موسوعة

التاريخ الإسلامي

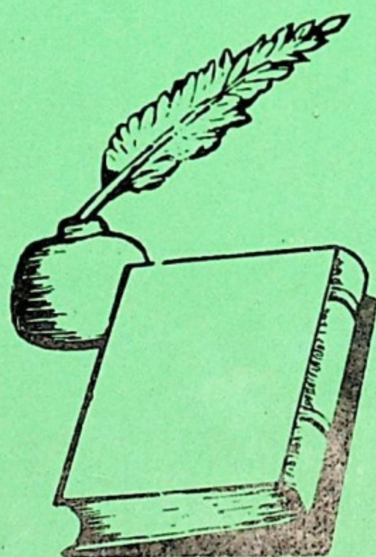
والحضارة الإسلامية

تأليف

الدكتور أحمد شلبي

دكتوراه من جامعة كمبردج

استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة



مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى - القاهرة

مع إضافات واسعة وتحقيقات جديدة

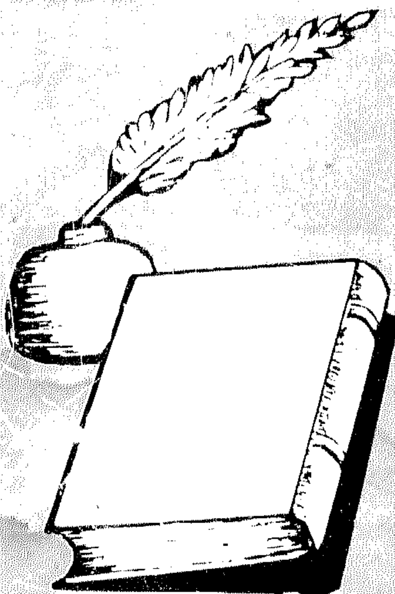
موسوعة
التاريخ الإسلامي

٩

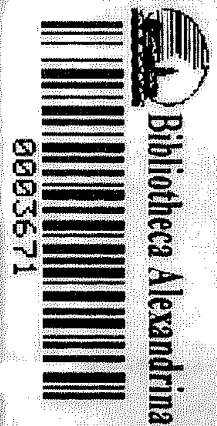
دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر
(ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم)

ـ حوليات عصر محمد نجيب : الواجهة
ـ حوليات عصر جمال عبد الناصر : عصر المظالم والهزائم

تأليف
الدكتور أحمد شلبي
دكتوراه من جامعة كمبردج (انجلترا)
استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة
الحائز لوسام « العلوم والفنون » من الطبقة الأولى
لكتاباته فى السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى



مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى - القاهرة



الطبعة الرابعة ١٩٨٩ إضافات واسعة وتحقيقات جديدة

موسوعة

التاريخ الإسلامي

والحضارة الإسلامية

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة أجزاء لتاريخ العالم الإسلامى كله ، من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران وتطوير الفكر البشرى .

٩

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر .

(ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم)

ـ حوليات عصر محمد نجيب : المواجهة

ـ حوليات عصر جمال عبد الناصر : عصر المظالم والهزائم

تأليف
الدكتور أحمد شلبى

أستاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لصاحبها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

الطبعة الثالثة ١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

التاريخ . . .

شعاع من الماضي ينير الحاضر والمستقبل

الطبعة الاولى ١٠٦٨٠

الطبعة الثانية ١٩٨٣

خطة البحث فى هذه الموسوعة

إن خطة البحث التى أتّبعها فى كتابة التاريخ الاسلامى خطة جديدة وم يحة ، ويسرنى أن أبرزها فى التخطيط التالى، ليعرف القارئ كنهها، وليسهل عليه متابعتها:

دراسة زمنية فى هذه الأجزاء الثلاثة، إذ أن العالم الإسلامى وحدة واحدة	جـ ١	العرب قبل الاسلام — السيرة النبوية المطرة — عصر الخلفاء الراشدين
	جـ ٢	الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها
	جـ ٣	الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول، وبدور المسلمين خلاله فى خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية

دراسة مكانية (قطاعات جغرافية) فى الأجزاء الخمسة التالية لأن العالم الإسلامى انقسم إلى دويلات كثيرة، ويشمل كل جزء من اجزاء الموسوعة قطاعا من العالم الإسلامى، بحيث يتناول تاريخه من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر مبتدئين من الغرب ومتجهين إلى الشرق كالتخطيط التالى :

الجزء الرابع

- الأندلس الإسلامية وانتقال الحضارة الاسلامية منها إلى أوروبا
- المغرب — الجزائر — تونس — ليبيا من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر
- السنوسية : مبادئها وتاريخها

الجزء الخامس

- مصر وسوريا من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر
- الحروب الصليبية : دوافعها — أدوارها — نتائجها
- الإمبراطورية العثمانية (تركيا) منذ ظهورها حتى الآن

الجزء السادس

الاسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية منذ دخلها الاسلام حتى الآن

دراسة عن:
- وسائل انتشار الإسلام بقلب إفريقية
- الدول الإسلامية قبل الاستعمار الأوروبى
- الدول الإسلامية الحالية :

موريتانيا — السنغال — جامبيا — غينيا — مالى — النيجر — نيجيريا — تشاد — السودان — الصومال — جيبوتى

الجزء السابع

الإسلام والدول الإسلامية بالجزيرة العربية والعراق من مطلع الإسلام حتى الآن

دول الجزيرة العربية : المملكة العربية السعودية — عمان — اليمن — جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية — دولة الامارات العربية — قطر — البحرين — الكويت — ثم العراق

الجزء الثامن

التاريخ الإسلامى للدول الإسلامية غير العربية بآسيا :

إيران — أفغانستان — الباكستان — بنجلاديش — ماليزيا — اندونيسيا — الأقليات الإسلامية بالهند والصين والاتحاد السوفيتى والفيليبين .

وتختم الموسوعة بدراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر :

الجزء التاسع : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : عصر محمد نجيب وعصر عبدالناصر

الجزء العاشر : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم . عصر أنور السادات

مقـــدمة

الطبعة الثانية

لك الحمـــد يارب على توفيقك وعونك ، والثناء عليك على ما أوليت من نعم ، وما أفضت من خـــير ، وأمامي يارب قولك الـــكريم « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » وقد تعلمت من هذه الآية أن أجود عملي ما وسعتني الطاقة ، وبالتالي جنيت ثمار تجويد العمل والإخلاص له جنيته في هذا الـكتاب إقبالا من الناس ، وتقديراً من المنصفين .

وقد نفذت الطبعة الأولى منه على كثرة عـــددها — في وقت قصير ويسعدني أن أقدم الطبعة الثانية ، وأقرر أن هذا الـكتاب لعب دوراً كبيراً في تصحيح أفـكار الناس في الداخل والخارج ، وأعاد الحقيقة إلى نورها وإشعاعها .

ولم يـكن الهدف من هـذا الـكتاب أن ننقد عبـــد الناصر فقط أو أن نصحح التاريخ ، بل أن أعظم هدف سعيت إليه أن أوضح لرؤساء الحاضر والمستقبل أن عيون المؤرخين بالمرصاد ، وأن الحقيقة لا تمـــوت لعلهم بذلك يحسنون الصنع فيما وضع في أعناقهم من مسؤليات .

وكتابة التاريخ المعاصر من أشق أنواع الـكتابة في مجال التاريخ ولـكن كل جهد يهون من أجل أداء الواجب وخدمة الدين والوطن .

يارب بارك هذا الجهد وانفع به قارئه ومؤلفه فأنت نعم المولى ونعم النصير

دكتور / أحمـد شلبي

المعادي في ٢٢ يناير سنة ١٩٨٣

تاريخ الملوك والرؤساء

إن كتابة تاريخ الملوك والرؤساء ، لاتعنى فقط أننا نشرح تاريخ حقبة مضت ، بل إن الأهم من ذلك أننا بهذا نحافظ على الحاضر والمستقبل، فالعاقل من اتعظ بغيره ، ويوم يعرف أى رئيس أو أى مسئول ، أن أعماله محسوبة عليه ، وأنه هو وأسرته سيحاسبون عما يقترفون من أخطاء فإنهم لاتغريهم مظاهر الحياة ، ولاكلمات الملق المزيف ، ولايخدعهم الحاضر القصير عن المستقبل الطويل ، وسنوضح هذا المعنى فيما يلى من دراسات ، ولكننا نبرزه هنا فى مطلع هذا العمل كالناقوس الذى يدق للتنبيه والإنذار ، وصدق الله العظيم الذى يقول « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » .

على أن هذا الكتاب لن يتوقف عند كتابة تاريخ القادة والرؤساء، وإنما سيصور الحركات الشعبية،ونشاط الجماعات بمصر طيلة الفترة التى يتحدث عنها .

ومن الله نرجوالعون والسداد

المؤرخ عندما يكتب تاريخ بلاده

هناك تاريخ يدوِّنه المؤرخ . . .

وتاريخ يحسُّه ويتعاطف معه . . .

وتاريخ يعيشه وينفعل به، ومع هذا النوع من التاريخ كان حالى عندما كنت أكتب هذا المجلَّد ؛ كان التعذيب ينزل بالمواطن فأعانى أنا آلامه ، وكانت الحراسة تفرض على مال المصرى ليجوع ، فأحس أنا معه بالحاجة والعوز وكانت الهزائم تنتاب البلاد فأجدنى مكلوماً كأنما غلبنى غالب .

ولما انكشفت الغُـمَّة عن الناس عاودتنى الابتسامة .

إن المؤرخ عندما يسجِّل تاريخ بلاده تنعكس عليه أصداء الأحداث

طبيعة الحكم العسكرى فى مصر

(مقتبسات سترِدُ موثّقةً داخل هذا الكتاب)

اتضح أن الجيش جماعة أنانية ، متلهفة على الاستمرار فى السلطة ، وعلى زيادة امتيازاتها ، وهى بعيدة عن الطبقات العاملة ، وغير جديرة أن تهب نفسها لأهدافها.
ماكسيم رودنسون ص١٠٤.

التفكير فى الطبقات العاملة لم يكن واردا فى ذهن قادة الجيش وتعبير العسكريين عن أهداف هذه الطبقة كان تصوراً بعيداً عن الواقع والحقيقة .
أحمد حمروش ص١٠٤ — ١٠٥

تخلّى ثوار مصر عن مبادئهم التى كانوا يعلنونها قبل الثورة ؛ فقد كانوا يهاجمون الأحكام العرفية ، والرقابة على الصحف ، واعتقالات السياسيين ، وحلّ البرلمان . . . . ولكنهم فى أقل من ستة شهور أصبحوا يزاولون هذه الأعمال بشراسة ، فقد استطابوا الحكم واستبدوا به ، واستبعدوا فكرة تسليم السلطة للشعب
Gourge Haddad :
"Revolutions and Military Rule in tho Middle East ص١٠٢–١٠٣

وصل الوضع بعبد الناصر إلى أكثر مما وصل إليه فرعون فى زمانه ، أو اللورد كرومر فى عصره .
عبداللطيف البغدادي ص٦٥٨

إن الجماعة فشلت تجربتهم فى الحكم والحرب ، وينبغى أن يتركوا القيادة لسواهم .
الضابط. البطل الوحيد فى حرب ١٩٦٧ ص ٧٣٤

كتب للمؤلف

اولا . موسـوعة التاريخ الاسـلامى

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة اجزاء لتاريخ العالم الاسـلامى كله من مطلع الاسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى اسـهم بها المسلمون فى ترقية العمران ، وتطوير الفكر البشرى :

١ ــ الجزء الأول : (الطبعة العاشرة)

ــ مقدمة الموسوعة : نطاق التاريخ الاسلامى ــ تفسير التاريخ ــ هل التاريخ علم ؟ .. فلسفة التاريخ ــ فائدة التاريخ ــ مراحل تدوين التاريخ ــ قضية الالتزام فى كتابة التاريخ الاسـلامى ــ علم التاريخ بين المسيحية والاسلام ...

ــ تاريخ العرب قبل الاسلام : البدو والحضر ــ حياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ــ السـيرة النبوية العطـرة : جوانب من السـيرة تدون لأول مـرة

ــ الدعـوة الاسـلامية وفلسـفتها ــ عصر الخلفـاء الراشـدين

٢ ــ الجزء الثانى : (الطبعة السادسة)

الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية فى عهدها .

٣ ــ الجزء الثالث : (الطبعة السابعة)

الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول ، وبدور المسلمين فى خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية .

٤ ــ الجزء الرابع : (الطبعة السادسة)

ــ الأندلس الاسلامية ، وانتقال الحضـارة الاسلامية الى اوربا عن طريقهـا .

ــ المغرب ــ الجزائر ــ تونس ــ ليبيـا (من مطلع الاسـلام حتى العهد الحاضر) .

ــ السنوسية : مبادئها وتاريخها .

٥ ــ الجزء الخامس : (الطبعة السادسة)

ــ مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر .

ــ الحروب الصليبية : دوافعها ــ ادوارها ــ نتائجها .

ــ الامبراطورية العثمانية (تركيا) منذ نشاتها حتى الآن .

٦ ـــ **الجزء السادس** (الطبعة الثالثه)

الاســلام والدول الاســلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلهــا الاســلام حتى الآن :

ـــ دراسة عن وسائل انتشار الاسلام :
مراكز الشمال ـــ هجرات عربية وغير عربية ـــ التجار ـــ **الطرق** الصوفية ـــ مراكز داخلية .
ـــ الدول الاسلامية قبل الاستعمار الأوربى :
غانة ـــ مالى ـــ صنغى ـــ دول **الهوسا** ـــ **برنو** ـــ **باجــرمى** ـــ واداى ـــ **الفونج** ـــ **مقدشو** ـــ **مملكة** الزنج .
ـــ الدول الاسلامية الحالية :
موريتانيا ـــ السنغال ـــ جامبيا ـــ غينيــا ـــ **مالى** ـــ **النيجر** ـــ نيجيريا ـــ تشاد ـــ السودان ـــ **الصومال** ـــ **جيبوتى** .

٧ ـــ **الجزء السابع :** **(الطبعة الثانية)**

الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق :

ـــ دول الجزيرة العربية من مطلع الاسلام حتى الآن :
المملكة العربية السعودية ـــ اليمن ـــ جمهورية اليمن الجنوبية ـــ عمان ـــ دولة الامارات العربية ـــ قطر ـــ البحرين ـــ الكويت .
ـــ العراق من مطلع الاسلام حتى الآن .

٨ ـــ **الجزء الثامن :**

الاسلام والدول الاسلامية غير العربية بآسيا من مطلع الاسلام حتى الآن :

ايران ـــ افغانستان ـــ الباكستان ـــ بنجلاديش ـــ ماليزيا ـــ **اندونيسيا**
الأقليات **الاسلامية** فى الهند والصين وروسيا **والفيليبين** ..

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر

٩ ـــ **الجزء التاسع :** **(الطبعة الثانية)**

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم . عصر محمــد نجيب وعصر جمــال عبد الناصر (عصر المظالم والهزائم) .

١٠ ـــ **الجزء العاشر :**

ثورة ٢٣ **يوليو من يوم الى يوم** ، **عصر أنور السادات** .
(ترجمت أكثر أجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات)

كتب للمؤلف

ثانيا : موسوعة النظم والحضارة الاسلامية

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة أجـزاء ، تبرز الاتجاهات الحضارية التى جاء بها الاسـلام لهداية البشرية فى شـئون العقيدة ، والسياسة ، والاقتصـاد ، وفى مجـال الحيـاة الاجتماعية والتربوية والعسـكرية ، والتشريعية والقضائية ، وتشمل :

١١ — **الجزء الأول : تاريخ المناهج الاسلامية** (الطبعة الثانية)

مناهج التعلم فى صدر الاسلام — انحرافاتها فى عصـور الظلام — وجوب تصحيحها .

١٢ — **الجزء الثانى : الفكر الاسلامى : منابعة وآثاره** (الطبعة السادسة)

١٣ — **الجزء الثالث : السـياسة** (الطبعة الخامسة)

فى الفكر الاسـلامى

مع المقارنة بالنظم السياسية المعاصرة .

١٤ — **الجزء الرابع : الاقتصـاد** (الطبعة الخامسة)

فى الفكر الاسـلامى

مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة .

ومع دراسة شاملة للنقاط التالية :

١ — الاسلام والقضايا الاقتصادية الحديثة مثل شهادات الاستثمار والايداع بالبنوك . . .

٢ — النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور واثر الفكر الاسلامى فيهـا .

٣ — خطر الشيوعية على الأديان والانسان والدول .

١٥ ــ الجزء الخامس : التربية الاسلامية (الطبعة السابعة)
نظمها ــ تاريخها ــ فلسفتها

دراسة عميقة وشاملة لفلسفة التربية عند المسلمين ، ولمناهج التعليم وامكنته ، ولحالة المدرسين المالية والاجتماعية ، والاجازات العلمية ، والعقوبات ، والجوائز ، والمكافآت ، وملابس المدرسين ، ونقابة المعلمين ، وتكافؤ الفرص بين التلاميذ ، وتوجيههم حسب مواهبهم ..

١٦ ــ الجزء السادس : المجتمع الاسلامى (الطبعة السادسة)
اسس تكوينه .. اسباب ضعفه .. وسائل نهضته

١٧ ــ الجزء السابع : الحياة الاجتماعية (الطبعة الثالثة)
فى التفكير الاسلامى

ــ فى نطاق الأسرة : كالختان وتحديد النسل وعمل المراة ...

ــ وفى نطاق المجتمع : كالأفراح والمآتم والموسيقى والغناء ...

١٨ ــ الجزء الثامن : تاريخ التشريع الاسلامى (الطبعة الثانية)
وتاريخ النظم القضائية فى الاسلام
مع بحوث واسعة عن القرآن الكريم : المصدر الأول للتشريع
ومع دراسة شاملة لمصادر التشريع الأخرى

١٩ ــ الجزء التاسع : الجهاد والنظم العسكرية (الطبعة الثالثة)
فى التفكير الاسلامى

بحث علمى يبرز موقف الاسلام من السلم والحرب ، كما يبرز اتجاهات الاسلام فى مشكلات الحرب كالاستعداد للجهاد ووسائله ، وأخلاق المجاهد ، والخديعة فى الحروب ، والثبات والفرار ، والرباط ، والتجسس والخيانة ، والهدنة والأسرى ..

٢٠ ــ الجزء العاشر : رحلة حياة (الطبعة الثالثة)
تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الاسلامية

كتب للمؤلف

ثالثاً – مقارنة الأديان

سلسلة من الكتب فى مقارنة الأديان ، تعتمد على أدق المراجع بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق وتشمل :

٢١ – الجزء الاول : اليهودية : (الطبعة السادسة)

دراسة لشتى المسائل اليهودية : اليهود فى التاريخ من عهد إبراهيم حتى الآن : الصهيونية ؛ أنبياء بنى إسرائيل ، عقيدة بنى إسرائيل ، يهوه إله بنى إسرائيل ؛ التعدد والتوحيد فى الفكر اليهودى ، التابوت والهيكل ، الكهنة والقرابين

– مصادر الفكر اليهودى : العهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء صهيون.

– اليهود فى الظلام : الماسونية ، والروتارى ، الاغتيال ، التجسس ، البابية والبهائية .

– من صور التشريع فى اليهودية .

٢٢ – الجزء الثانى : المسيحية : (الطبعة السادسة)

– المسيح والمسيحية فى نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة

– بولس واضع المسيحية الحالية ، التثليث ، صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر

– شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، المجامع ، طبيعة المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهبنة والأديرة ، خرافة ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون ، حركة الإصلاح الدينى ونتائجها ونقدها

٢٣ – الجزء الثالث : الاسلام : (الطبعة السادسة)

– الله فى التفكير الإسلامى ، النبوة فى التفكير الإسلامى ، الروح والمادة فى التفكير الإسلامى ، فلسفة العبادات فى الإسلام ، غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ، الدين المعاملة ، المرأة فى الإسلام ، الرق وموقف الإسلام منه ، السياسة والاقتصاد فى الاسلام

٢٤ – الجزء الرابع : أديان الهند الكبرى :

« الهندوسية – الجينية – البوذية » (الطبعة الخامسة)

– تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات فى الهند ، الأديان فى الهند

– دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا ، مها بهارتا : يوجاواسستها ، كيتا

– أهم العقائد الهندية : الكارما والتناسخ ، الانطلاق والنرفانا ، وحدة الوجود

– تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعيها

كتب للمؤلف

رابعا : كتب فى الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

٢٥ — كيف تكتب بحثا أو رسالة (الطبعة الخامسة عشرة)
دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه
باللغة الانجليزية :

٢٦ — ISLAM : Belief - Legislation - Morals
٢٧ — History of Muslim Education
مكتبة النهضة المصرية

وباللغة الاندونيسية والماليزية :

٢٨ — Negara dan Pemerintahan Dalam Islam
٢٩ — Masjarakat Islam
٣٠ — Hukum Islam
٣١ — Sedjarah dan Kebudajaan Islam I
٣٢ — Sedjarah dan Kebudajaan Islam II
٣٣ — Sedjarah dan Kebudajaan Islam III
٣٤ — Perbandingan Agama (Jahudi)
٣٥ — Perbandingan Agama (Masihi)
٣٦ — Perbandingan Agama (Islam)
٣٧ — Perbandingan Agama (Agama2 yang Terbesar di India · Hindu-Jaina-Buddha)
٣٨ — Sadjarah Pendidikan Islam
٣٩ — Politik dam Ekonomi Dalan Islam
٤٠ — Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam
٤١ — Perkembangan Keagamaan Dalam Islam dan Masehi
٤٢ — Perang Salib
٤٣ — Kurikulum Islam Dalam Perkembangan Sedjarah
٤٤ — Pengajian Al Quraan
٤٥ — Sedjarad Kehakiman Dalam Islam

Pustaka National (Singapore)

كتب للمؤلف

خامساً ـ تعليم اللغة العربية لغير العرب
وقواعد اللغة العربية

- برنامج شامل ميسر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب .
- أول سلسلة من نوعها فى المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
- دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
- تضم هذه السلسلة الكتابين التاليين :

٤٦ ــ تعليم اللغة العربية لغير العرب : **(الطبعة الثانية)**

يبدأ هذا الكتاب من المرحله الأولى : مرحلة الهجاء ، وبتطور للقراءة ، فالتعبير ، فالإملاء ، فالخط والنصوص ، ثم يقفز بالطالب إلى مرحلة متقدمة فى القراءة والمحادثة والكتابة ، مستعملا فى هذه المرحلة موضوعات جذابة من الفكر الإسلامى والعربى اختيرت من أمهات الكتب العربية ثم صيغت فى أسلوب مناسب ، مع أسئلة وتمرينات مفيدة .

٤٧ ــ قواعد اللغة العربية : **(الطبعة الثانية)**

عرض لجميع أبواب النحو العربى بطريقة تربوية سهلة
ودراسة واضحة لأهم أبواب الصرف

هذا الكتاب ضرورى للمثقف العربى وغير العربى

كتب نفذت ولن يعاد طبعها .

٤٨ ــ فى قصور الخلفاء العباسيين :

أكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة

٤٩ ــ مصر فى حربين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) دراسة مقارنة :

وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٩ من هذه القائمة

٥٠ ــ الحكومة والدولة فى الاسلام :

وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٣ من هذه القائمة

٥١ ــ الاشتراكية : دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحى :

وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٢٠ من هذه القائمة

كتب للمؤلف

سادسا : المكتبة الاسلامية المصورة

لكل الأعمار

١٠٠ جزء من سير عظماء الاسلام ومن التاريخ والحضارة وقصص القرآن للأولاد والشباب والسيدات والرجال

ظهر منها الأجزاء التالية :

ج ١ محمد قبل البعثة
ج ٢ من غار حراء .. الى غار ثور (قصة الاسلام فى مكة)
ج ٣ الاسراء والمعراج : دراسة تصحيح للقضاء على الشطحات
ج ٤ الهجرة للمدينة ووسائل الاستقرار بها
ج ٥ الرسول الداعية ومربى الدعاة
ج ٦ الرسول فى بيته : ازواجه — اولاده واحفاده — خدمه
ج ٧ الرسول فى بيته : مشكلات الحياة فى بيت الرسول وكيف عالجها
ج ٨ الرسول بين اصحابه — الرسول يربى الفرد المسلم ويربى المجتمع الاسلامى
ج ٩ الرسول يربى القضاة ، ويربى القوة العسكرية ، ويربى الولاة والحكام
ج ١٠ الرسول والشباب — الرسول والعمل
ج ١١ توجيهات طبية يقدمها الرسول — مكرمات للرسول — الرسول والمنافقون
ج ١٢ الرسول والنصارى — الرسول واليهود
ج ١٣ الاسلام والقتال ، وهل انتشر الاسلام بالقوة او بالدعوة — غزوة بدر ودراسات جديدة حولها — اهم احداث غزوة بدر
ج ١٤ غزوة احد والهزيمة التى اخافت المنتصر — غزوة الاحزاب وكلمة عن سلمان الفارسى
ج ١٥ صلح الحديبية — كتب الرسول للملوك والرؤساء
ج ١٦ فتح مكة — غزوة حنين والطائف — الصراع ضد الروم — الفترة الأخيرة فى حياة الرسول
ج ١٧ ابو بكر الصديق : حياته وعصره والمشكلات التى واجهها
ج ١٨ عمر بن الخطاب والتوسع فى عهده — عمر بانى الدولة الاسلامية
ج ١٩ عثمان بن عفان والفتنة فى عهده
ج ٢٠ على بن ابى طالب : شخصيته وحياته والمشكلات التى واجهها
ج ٢١ العشرة المبشرون بالجنة
ج ٢٢ المرأة فى الاسلام ونماذج من خيرة المسلمات
ج ٢٣ الدولة الأموية : تاريخ يحتاج الى انصاف
ج ٢٤ الدولة الأموية : مواهب فريدة : الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز
ج ٢٥ الدولة الأموية : التوسع الاسلامى العظيم فى عهدها
ج ٢٦ الدولة الأموية : نشاط الشيعة خلالها وقصة استشهاد الامام الحسين

(الاجزاء التالية ستظهر تباعا ان شاء الله)

دراسات تمهيدية
حول هذا الكتاب

مصادر هذا الكتاب

أكثر مصادر هذا الكتاب مصادر أصيلة مباشرة أو كما يقول الغربيون First Hand Information فهي عبارة عن رؤيتي كشاهد عيان ، أو عن سماعي سماعاً متواتراً من الثقات ، ثم تجيء قراءات في أدق المصادر وعلى هذا فإن مَنْ يقلّب صفحات هذا الكتاب يتضح له ما يلي :

ـ استقبلتُ الثورة وأنا مدرس للتاريخ بجامعة القاهرة ، فكان من التزامي أن أدون تاريخها يوماً بعد يوم .

ـ عايشتُ مشكلات الضباط في صراعهم ضد بعضهم البعض ابتداء من سنة ١٩٥٣ وألقيت خطاباً حافلا بالقاعة الكبرى بالجامعة في مارس سنة ١٩٥٤ ، اعتبر آنذاك معبراً عن رأي الأساتذة ، كما سنرى فيما بعد .

ـ تابعتُ الاعتداء الثلاثي دقيقة إثر دقيقة .

ـ تابعتُ حركة الوحدة مع سوريا ، وما حصل في أثناء هذه الوحدة مما دعا إلى الانفصال .

ـ تحسرتُ على دخول معمعة اليمن، وكنت ـ كمؤرخ ـ أذكر أن العثمانيين سيطروا على أكثر البلاد العربية ، ولكنهم عجزوا عن السيطرة على اليمن لطبيعة الأرض والناس، وتوقعت أنها معركة طويلة وفاشلة بدون ضرورة .

ـ رأيتُ بني وطني يعانون الجوع والحرمان ليقدم الزعيمُ طعامَ المصريين هدايا للآخرين ، وليبعث الجيوش المصرية بكل ما تحتاجه من نفقات باهظة إلى هنا وهناك .

ـ سمعت جمال عبد الناصر وهو يفخر بأنه قبض على ثلاثين ألفا في نصف ساعة ، وسمعت بطريق متواتر ما نزل بهؤلاء من ضر .

ـ رأيت اشتراكية عبد الناصر وعانيت منها وقد وصفها الرئيس أنور السادات أروع وصف حينما قال أنها اشتراكية الجوع واشتراكية الصمت .

— إجراءات عملية سنة ١٩٦٧ بكل جوانبها ؛ من عدم الاستعداد الحقيقى للمعركة ، ومن هزيمة جيشنا بدون معركة ، ومن قرار الانسحاب المشئوم ، ومن ضحاياها فى الرجال والعتاد... كل ذلك أعلنه جمال عبدالناصر بنفسه ، وسمعته منه ، وسمعه معى الناس .

— قرأت الصحافة المصرية ، والكثير من الصحافة العالمية ، واقتبست منها ، بعد عملية اختبار دقيقة ، ملاحظاً الفرق بين الآراء الشخصية للصحفى أو الكاتب وبين الأخبار التى ترتبط بالدعاية ، وتلك التى تحمل أنباء موضوعية حقيقية .

ومن أبرز ما نشرته الصحف تلك الوثيقة المهمة التى نشرها إبراهيم بغدادى عما رآه من أحداث وعسف بمحافظة المنوفية حينما كان محافظاً لهذه المحافظة ، وما نقله الأستاذ موسى صبرى إلى الصحافة عما دار بقاعة المحكمة عن عبد الحكيم عامر ومعاونيه الذين كانوا يحفرون أرض الحدائق لإخفاء الذهب وأوراق النقد الأجنبى يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ ، وجثث ضحاياهم تغطى أرض سيناء ولا تجد من يدفنها .

ومثل هذا يقال عن موظفى وزارة الخارجية الذين تاجروا فى العملة المصرية عقب إلغاء الورقة ذات الخمسين جنيها والورقة ذات المائة جنيه ، ويقال كذلك عن الأقوال التى أدلى بها المرحوم المشير أحمد إسماعيل عن أن الدفاع عن سيناء قبل معارك ١٩٦٧ كان قد ضعف بسبب سحب بعض قواتها المدربة تدريباً عالياً إلى اليمن ، وأن التعاون بين سوريا ومصر لم يكن حقيقياً ، وأن قرار الانسحاب كان مخاطرة ومجازفة غير محسوبة النتائج ، ضاعفت من حجم الخسائر ...

— حصلت على حشد من الوثائق والقرارات والمراسيم .

— قرأت الكتب التى تعد مصادر رئيسية لهذا التاريخ وفى قمتها :

١ — كلمتى للتاريخ ، لمحمد نجيب .

٢ — البحث عن الذات ؛ لأنور السادات :

٣ — مذكرات عبد اللطيف البغدادى .

٤ — الأجزاء الأربعة التى كتبها الأستاذ أحمد حمروش عن قصة الثورة وبخاصة الجزء الرابع الذى روى فيه أقوال العشرات من قادة الثورة والضباط الأحرار .

٥ — ما كتبه محمد حسنين هيكل الذى كان يُعَدُّ طباخ الفكر والقلم لجمال عبد الناصر ، وعشرات الكتب الأخرى التى كتبها مؤرخون وباحثون مصريون وغير مصريين .

وعلى هذا فإننى أطمئن القارىء إلى أن ما سيقرؤه فى هذا الكتاب أشياء موثّقة ، وكل مافعلته هو جمع المادة وعرضها بشىء من النقد والمقارنة تبعاً لطبيعة المؤرخ ، على ألا يغير النقد والمقارنة من الفكرة الحقيقية التى هى هدفنا والتى نحمل مسئوليتها أمام الله وأمام التاريخ .

وقد سبق أن نشرت جزءاً من هذا الكتاب باسم :

« مصر فى حربين : دراسة مقارنة »

وقد نفد بعد بضعة شهور ، فأعدت طبعه فى نفس العام ، وعلّق عليه كثير من الباحثين ، وهذا أعطانى فرصة التعرف على آراء المؤرخين والنقاد ، فانتفعت بها فى كتابة هذا الجزء من « موسوعة التاريخ الإسلامى »

ويسعدنى أن أقرر بعض الحقائق المهمة المرتبطة بهذا الجزء وهى :

أولا — هذا الكتاب جامع لقضايا العصر ، وقد ظهرت كتب كثيرة تتحدث عن بعض الجوانب أو بعض الأحداث ، كالكتب التى اتجهت لإبراز المظالم التى نزلت بالإخوان المسلمين والكتب التى تتحدث عن محاكمات عبد الناصر ، وعن أزمة مارس وغير ذلك ، ولكن هذا الكتاب يضم جميع مشكلات العصر من مطلع الثورة حتى نهاية عبد الناصر (١٩٧٠) .

ثانياً — اتخذ هذا الكتاب الحيدة التاريخية منهاجاً له ، وبهذا فهو ليس من نمط ما كتبه أصدقاء عبد الناصر مثل حسنين هيكل والكُتّاب الروس (أجاريشيف وبيليايف وبريماكوف) فهؤلاء اتخذوا حبهم لعبد الناصر

مرجعاً لهم ودافعاً لكتابتهم عنه : وليس من الكتب التى اتجهت لجمع انحرافاته ككتاب « سنوات العاز » وكتاب محمد نجيب « كلمتى للتاريخ » .... وإنما هو كتاب يدرس القضايا التاريخية لتقوده هذه القضايا إلى نتائجها أيا كانت ، فليس هناك هدف من الكتابة إلا إبراز الحقيقة التاريخية .

ثالثاً — كثيرون ممن ألفوا عن أحداث العصر اتخذوا صحف القاهرة مرجعاً لهم ، ومن هؤلاء George Haddad فى كتابه :

Revolutions and Military Rule in the Middle East Vol 3,

فقد أخذ هذا الكتاب مادته عن عبد الناصر وعهده من صحف القاهرة ، ولم تكن صحف القاهرة آنذاك بعد إيقاف صحيفة «المصرى» وصحيفة « الجمهور المصرى » إلا نشرات يومية تحت رقابة صارمة تنشر فقط ما يريده عبدالناصر وجماعته ، ومن أجل هذا جاء كل كتاب اعتمد على الصحف حافلا بالأخطاء ، فقد كانت الصحافة فى واد وأحاسيس الناس فى واد آخر .

ولهذا لم ألجأ للصحف إلا فى الأخبار التى تثبت صحتها ، ولم أعتمد على التعليقات والآراء التى كان أكثرها نابعاً عن الإغراء أو التخويف ، وعُنيت بالمراجع الكثيرة الأخرى التى ذكرتها آنفاً عند الحديث عن « مصادر هذا الكتاب » .

رابعاً — أوردتُ دراسات علمية واسعة حول القضايا التى عرضتُ لها ، فإذا تحدثت عما أسموه الإصلاح الزراعى تدارست عدة قضايا حول هذا الموضوع مثل :

— هل تسمَّى الملكيات الزراعية الكبيرة التى كانت بمصر إقطاعاً ؟ . واستدعى هذا أن نعرِّف بالإقطاع .

— وما عدد الذين استفادوا من هذا الإصلاح ؟ .

— وما الأرض التى تمَّ الاستيلاء عليها عقب إصدار القانون مباشرة ؟ وتلك التى أبيح لأصحابها أن يبيعوها بأنفسهم بالأسعار التى يرونها؟ .

— وماذا عن المبيعات الوهمية ؟ التي تتحدث عنها الوثائق ؟
— وما الأضرار التي حدثت عن تفتيت الأرض ؟
— وماذا كان يمكن أن يحصل لتحقيق التقارب بدون تأثير على الإنتاج الزراعي ؟ .

وعشرات أخرى من الموضوعات التي تتصل بهذا الإصلاح .

ومثل هذا حدث عنه ما تعرضت للحديث عن الدستور والاعتقالات والمحاكمات والأحزاب . . . . . فقد أوردت دراسات شاملة فيها عرض تاريخي ، وفيها مقارنات واسعة .

وبعد ، فإني أتجه إلى الله أن يهبنا التوفيق ، وأن يهيء لنا من أمرنا رشدا .

وعلى الله قصد السبيل

المعادي في الثالث من يوليو سنة ١٩٧٩

دكتور أحمد شلبي

صورة وصورة

لقد أصبحت الكتابة عن عبد الناصر سهلة إلى حد كبير ، بعد أن انكشف القناع السميك . أو كاد ، ذلك القناع الذى كان يغير كل شيء ولا يدع للحق نصيبا ، ولكن إذا عدنا إلى الوراء ؛ إلى عهد عبد الناصر نفسه ، أو بعده بقليل ، وجدنا الكتابة عن عبد الناصر كانت تمثل عقبة كئوداً ، وكنت كمؤرخ أحس أن المادة العلمية التى معى تجعلنى فى واد ، وأن الجماهير تعيش فى واد آخر ، فالحقائق التى فى يدى . والتاريخ الذى أريد أن أدونه فى جانب ، وإحساس الكثيرين من الناس عن عبد الناصر وما يعتقدونه عنه فى جانب آخر بعيد . وأشهد لقد تمثل سحر الكلمة المقولة والكلمة المكتوبة فى هذا الوضع الذى استطاع أن يقلب الأحوال .

لقد كانت الصورة القاتمة تَـبْرُز للباحثين من زوايا متعددة :

كان الإنسان مهيناً تماماً فى دولة عبد الناصر ، وقد ابتكر للنيل منه كلَّ صنوف الهوان ؛ كمصادرة الأموال ، والجوع ، والإذلال ، والسجن ، وهتك العرض ، وكصورٍ تقشعر لها الأبدان من التعذيب انتهت بالكثيرين إلى العاهات المستديمة وإلى الموت .

ودخل عبدالناصر حروباً خاسرة متتالية دون أسباب توجبها، ودون استعداد لها ، ودون قدرة على التخطيط أو الإدارة ، وسقط فيها فى ساعات عشراتُ الآلاف من الشبان . وضاعت أسلحة تقدر أثمانها بآلاف الملايين من الجنيهات ، وضاعت فى الكثير منها مساحات فسيحة من أرض الوطن، وقبل ذلك وبعد ذلك انهارت كرامة مصر وكرامة جيش مصر .

وعانت مصر انهياراً اقتصادياً بالغ المدى جعل الحياة تتوقف أو توشك أن تتوقف ، فأصبحت مصر فى ذيل القائمة بالنسبة لدول العالم فى مجال الإسكان والطرق والمواصلات والتليفونات والمستشفيات ودور العلم وغيرها :

وعمّ ضياعٌ في كل شيء، وفي كل المجالات، في السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية والأخلاق، وإهمال بلغ الغاية في شئون القرية المصرية على الرغم من الطنين الزائف عن الخمسين في المائة من العمال والفلاحين، وعن الإصلاح الزراعي، وبسبب هذا الإهمال اندفع سكان القرى إلى النزوح إلى المدن، كما سنرى من الدراسات القادمة :

هذه صورة قاتمة عن عبد الناصر وعهده وكانت هذه الصورة شديدة على الإنسان المصري وقد عانت منها مصر بصورة لم يعرف التاريخ مثيلا لها.

أما الصورة الأخرى فهي الأغاني باسم عبد الناصر التي كانت تنتشر في كل مكان، وهي المدن والمؤسسات والمصانع التي سميت باسمه، فمدينة ناصر، وشركات النصر، وألوان المشتقات من اسمه، كانت تتويجاً لكل شيء، وأعمدة الصحف المصرية أو المشتراه بأموال مصرية، وسيل المديح في الإذاعة والتليفزيون وكتب مصلحة الاستعلامات، والمدرس المخدوع أو الجاهل أو المغلوب على أمره.

كل هذا صوَّر صورةً أخرى لعبد الناصر زاهية براقة . . :

ولقد ظلت هذه الصورة تعيش عدة سنوات وكانت وسائلها أقوى من الهزائم والخسائر، وتحدث عنها شاب من الشباب المخدوع اسمه حسن عبد الرازق، وقد بعث برسالته من إيطاليا فنشرتها له الأخبار في ١٩٧٨/٢/٢١ وفيها يقول « لم أكن أسلم بغير الراحل زعيما وقائداً لأنني لم أعرف سواه؛ ولم أعاصر تجارب أخرى غير تجربته، إنني شاب يحمل سنوات الثورة على كتفيه؛ ترعرعت في كنفها . . رددنا مبادئها في وقت مبكر من العمر؛ حتى ولو لم نعرف معاني هذه المبادىء، وكنا إذا سمعنا اسم الراحل تحركت أيدينا بالتصفيق والهتاف بحياته، حتى أستاذ اللغة العربية لم يكن يعطينا الدرجة النهائية إذا لم نختم موضوعات الإنشاء باسم الراحل العظيم .

« وكم سخرنا نحن الشباب من الذين عاصروا فترة ما قبل الثورة ، واستهزأنا برؤيتهم مقتنعين تمام الاقتناع بأننا على حق دون نقاش وأنهم على باطل لا شك فيه . وكنا نقول أى ديمقراطية هذه التى بصدد عون رؤوسنا بها وهل ستكون أفضل من هذه الشعارات المعلقة فى كل مكان : حرية اشتراكية وحدة ؟ ولماذا الأحزاب والاتحاد الاشتراكى يضم الجميع ؟ أليس هو تحالف قوى الشعب العاملة ؟ ورسب فى ذهنى أن من يمس تلك المبادىء والشعارات ما هو إلا مزايد مزيف رجعى مستغل ، وهى الاصطلاحات التى سادت ذلك العصر والتى كانت تُطلق على من يتحدثون عن سياسات أخرى ، ولم نكن نعرف أننا مخدوعون وأننا نحفر قبورنا بأيدينا » .

فى هذا الجو كتبتُ ورسمتُ صورة عبد الناصر الحقيقية بلا رتوش ولا أكاذيب ، وليصدقنى القارىء أن هذه الكتابة آنذاك كانت مغامرة ولكنى لم أتردد ، فأداء الواجب كان يحتم الصدق فى الأداء مهما كانت النتائج .

قد تقول لى إن الجندى يدخل المعركة غير هياب ، والمعركة أكثر من المغامرة التى كان علىّ أن أخوضها ، والإجابة أن الجيش به عشرات الآلاف من الجنود ، ومن الطبيعى أن يسقط بعضهم فى المعركة ، أما ميدان كتابة التاريخ المعاصر ، فالذين يقفون به قليلون جداً ، وكنت أحس أن عندى معلومات إن لم أنشرها فقد لا تعرف النور أبداً ، ومن هنا فقد دخلت المغامرة راجياً النجاة لأكمل الشوط الذى أكتب اليوم حلقة من حلقاته .

* * *

وأخيراً فمرحباً بالقارىء يجول فى صفحات هذا الكتاب ، الذى أرى أنه أهم كتاب كتبته ، لأنه سجّل للجيل الحالى وللأجيال القادمة سمات العصر الذى عشناه . والله المسئول أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه وقارئه ، وهو المستعان .

كتابان من كتاب واحد

هناك سرٌ آن لى أن أكشف عنه ، فقد أخرجت كتابى «مصر فى حربين ٦٧ — ٧٣ دراسة مقارنة » وأخذت حرب ١٩٧٣ وسيلة لأتكلم عن حرب ١٩٦٧ وعن الأسباب الحقيقية التى قادت لهزيمة الجيش المصرى ؛ ولانهيار الاقتصاد المصرى. وكان يقال بعد مايو سنة ١٩٧١ إن الحرية انطلقت من عقالها ، وإن لكل إنسان أن يعبِّر عن نفسه كما يشاء فى حدود القانون ، ولكنى لم أكن أصدق هذا القول ، وكانت جماهير الشعب تخاف أن تتكلم خشية التنكيل الذى عاناه شعبنا حوالى عشرين عاماً قبل ذلك ؛ فكتبت عن حرب ١٩٧٣ شارحاً أمجادها ، وعظمة جيشنا فيها ، واتخذت ذلك طريقاً لأكتب عن المخازى التى صاحبت الحروب التى قبلها .

* * *

وعلى هذا ، فإنى أقرر أن الحديث عن حرب ١٩٧٣ فى الكتاب المذكور لم يكن مقصوداً لذاته بقدر ما كان وسيلة للحديث عن العهد المرير الذى شهدته مصر فى العقد السادس والسابع من هذا القرن .

* * *

وأثبتت الأيام أن هناك حرية فعلا ؛ إن لم تكن كاملة ، فهى كافية جداً لمثلى أن يؤدى عمله ، وأن يقوم بواجبه كأستاذ للتاريخ ، وعلى هذا أصبح الكتاب كتابين ، فدخلت حرب ١٩٦٧ ضمن تاريخ عبد الناصر فى هذا الجزء (الجزء التاسع من موسوعة التاريخ) وأصبحت حرب ١٩٧٣ جزءاً من تاريخ أنور السادات الذى خصص له الجزء العاشر من هذه الموسوعة

قضايا مهمة حول هذا الكتاب

هذا الكتاب خطوة ثالثة على الطريق :

فى الحق إنى أحب عملى ، وأعد التأليف متعتى ، وأبذل غاية الجهد حتى تخرج كتبى فى أعلى مستوى أستطيعه ، وأحشد كل الطاقات ليكون الكتاب صورة واضحة لما أريد أن أبرزه . ولهذا فإنى كنت أحس عندما يخرج كتاب من كتبى أنه ولد شابا فيه الوضوح والفتاء ، وأحس تبعاً لذلك بالكثير من الراحة والسعادة ، وأدع الكتاب يشق طريقه بين العقول والأفكار ، ولكن كتابى عن عبد الناصر اتخذت طريقاً آخر ، إذ لم أكن أستطيع أن أواجه الناس بكل معارفى عنه من أول خطوة ، فقد جمعت تاريخه يوم بعد يوم بكل صبر ودقة ، ورأيت فى تاريخه المظالم الصارخة والهزائم المتوالية ، ونشره الرعب والجوع . وتلذذه بإفقار الأغنياء دون حرص على تحسين حال الفقراء ، وبهذا ظهر لى تاريخه أسود مريراً . ومع هذا فقد كانت هناك مؤامرة فكرية أشرنا لها من قبل تتجه لخداع الجماهير وتضليلهم ، إذ اتجهت أجهزة الإعلام لتنشر غير الواقع ، فأدركت أن هناك خيانة ضد التاريخ ، وأننى المسئول بأن أرفع هذه الخيانة يوماً من الأيام ، ووضعت خطتى أن يكون ذلك على مراحل ، وكانت المرحلة الأولى سنة ١٩٧٢ حين أصدرت كتابى « رحلة حياة » وفيه كشفت النقاب عن بعض معارفى عن عبد الناصر ، إذ لم يكن الجو مهيئاً لحديث صريح شامل عنه ، وإنما كنت أجس النبض وأبدأ بإرسال القليل من أشعة الضوء .

ثم حدثت معارك ١٩٧٣ ؛ واستعاد جيشنا مكانته ، ورفعنا رؤوسنا بعد أن طال انحناؤها ، واتجه الرأى العام للتعرف على أسباب الهزائم المتتالية فى عهد عبد الناصر ، واتجه كذلك للتعرف على أسباب ما تعانيه البلاد من اضطراب اقتصادى واجتماعى ، فانتهزت الفرصة وأخرجت كتابى « مصر فى حربين : دراسة مقارنة » أدين فيه عبد الناصر ، وعهده البغيض الذى

حفل بكل ما يتنافى مع القيم الإنسانية ؛ وقد نفدت طبعته الأولى فى بضعة أيام ، فأعدت طبعته بزيادات واسعة ؛ ووثائق أشمل ، وأسهمت كذلك بنصيب كبير فى كتابة المقالات الصحفية التى هزت العهد السابق وكشفت الكثير من آثامه ، وكان هذا وذاك يمثل الخطوة الثانية .

وجاء هذا الكتاب يمثل الخطوة الثالثة ، وهى خطوة الدراسة الشاملة المباشرة الدقيقة ، وهى وحدها التى أتاحت لى أن أجعل هذا الكتاب جزءاً من موسوعة التاريخ بعد أن اكتمل عوده وأصبح جديراً أن يكون ضمن أجزاء هذه الموسوعة .

عبد الناصر وهؤلاء :

وساعدنى فى موقفى من عبد الناصر أننى كنت من القلة التى لم تمدح الرجل فى حياته ولم تتملقه ، وقد كان هذا الموقف منى مغامرة فى عهد كان يحارب كل من لم يسر فى الركب ، وعندما كتبت وكتب سواى عن عبد الناصر انبرى بعض اتباعه يراجعون الصحف والمجلات والكتب ليجمعوا منها كل كلمة مدح لعبد الناصر ، ليواجهوا بها الناقدين ،وأصدر هؤلاء الأتباع كتاباً عنوانه « عبد الناصر وهؤلاء » وطبيعى أن اسمى لم يرد فى هذا الكتاب على الرغم من أنه ضم عدداً كبيراً من أرباب الأقلام الذين مدحوا عبد الناصر فى فترة ما ، طوعاً أو كرهاً ، فلما تبين لهم وجه الحق أو فلما استطاعوا أن يقولوا كلمة الحق انتقدوه بصراحة وقوة ، وبرئت بحمد الله من هذا الوضع ، إذ قد أتيح لى فى عهد مبكر أن أتعرف على الرجل وعلى أسلوبه فى الحياة ، فحمانى ذلك من مدحه أو الثناء عليه .

اسم عبد الناصر بصراحة :

وقد اتجهت فى هذا الكتاب وفى كتابى « مصر فى حربين » وكذلك فى المقالات الصحفية اتجاهاً جديداً ، ففى وقت كان الكتاب يتكلمون فيه

عن « مراكز القوى » أو « مراكز النفوذ » اتجهت أنا بصراحة المؤرخ ومسئوليته لأنسب أخطاء عبد الناصر إليه هو ، ويمكن القول إن ذلك كان فتحاً جديداً وأن كثيرين من الناقدين لم يفعلوا ذلك حتى بعد مرور عدة سنوات على وفاته ، وهناك شخص تصدى للدفاع عن عبد الناصر ، ومارس تأليف الكتب للرد على الناقدين واسمه « حسين كروم » وهو يقول عن ذلك الموضوع ما يلى : . . . يعتبر الدكتور أحمد شلبى أول من هاجم عبد الناصر مباشرة ودون التواء ، وحدد اسمه صراحة لدرجة أنه كان يذكر الاسم ثلاثياً — جمال عبد الناصر حسين — وهذه شجاعة منه(١)

الدفاع عن أفكارى :

وكان ما كتبته بصراحة فى كتابى « مصر فى حربين » صدمة للكثيرين أشبه بشعلة ضوء قوية تفاجىء العيون فتحدث بها اضطراباً وذهولا ، وقد ثار بعض الناس على ما كتبت ، وسخط آخرون ، ورضى العارفون ببواطن الأمور ، وقد وجهت جهدى لمواجهة الثائرين والساخطين ؛ فقد أرسل لى عديد من الناس خطابات احتجاج وكنت أرد عليها بتؤدة وفكر ، وزارنى بعض الثائرين فرحبت بهم وشرحت لهم وجهة نظرى ، وكتب بعض الصحفيين مقالات ضد كتابى واتجاهى ، فأسرعت بكتابة مقالات فى نفس الصحف تناقشهم وتشرح ما غمض عليهم ، ويوماً بعد يوم كسبت الأنصار ، وفتحت مغاليق الأبواب للناس ، وضعف المعارضون لأن الحق كان أقوى وأعظم ؛ وأحمد الله أن خفتت أصوات المهاجمين وعاد الحق أبلج ، ووُضع كل إنسان فى مكانه ، وزالت الغشاوة عن العيون .

ويكفى هنا أن أشير إلى صحف دار التعاون التى هاجمت موقفى عندما كتبت عن عبد الناصر ، وكانت ردودها محمومة وقاسية ، واستعْدت على وزير التعليم العالى ورئيس جامعة القاهرة ، ولكن سرعان ما أصبحت هذه الصحف مصدراً مهماً ينشر مآسى عبد الناصر وانحرافاته .

---

(١) عبد الناصر المفترى عليه ص ٨٥ وص ٩٣

وأحسست بفرحة هائلة فقد كنت كمؤرخ أعرف أن تاريخ الأمويين كان بعيداً عن الإنصاف لأنه كتب فى عهد أعدائهم العباسيين ، وقد ظل الزيف عالقاً بتاريخ الأمويين أكثر من ألف عام ولم يهتم بتصحيحه إلاجيلنا ، وقد حدث مثل ذلك مع غير الأمويين . أما الزيف الذى ارتبط بتاريخ عبد الناصر فقد صححناه فى نفس الجيل ، ولم نسمح له بالانتقال إلى جيل آخر ، إذ أن هذا الجيل الآخر بلا شك سيصعب عليه أن يعرف الحق من الباطل ، وكان سيعانى ما عانيناه ونحن نبحث عن عناصر الصدق التى بنينا عليها إنصافنا لتاريخ الأمويين ولن يماثلهم .

هذا الكتاب الآن :

وقد أدى كتاب « مصر فى حربين » دوره فى حينه ، ونجح فى ذلك نجاحاً عظيما ، وانتهت هذه الموجة التى كنا نرمى فيها إلى تصحيح التاريخ ، وأن نزيل الهالة الزائفة التى أحاطت بعبد الناصر ، وجاء دور جديد لهذا الكتاب هو أن يقدم بهدوء أحداثَ عهد ، وأن ينتقل من كتاب يمكن أن يدخل فى عداد « الدراسات الموسمية » — التى تواجه حدثاً معيناً — إلى جزء من موسوعة التاريخ لا يركز على شخص ليرفع عنه الهالة الزائفة وإنما يركز على الحقائق وإيرادها متناسقة متتابعة ، لتؤرخ لعهد حتى يستقر هذا التاريخ بصفة دائمة بعد أن أزلنا صفة « الموسمية » ووضعنا مكانها صفة الدوام والثبوت .

سؤالان مهمان :

هناك سؤالان يترددان أو قد يترددان هما :

١ — لماذا نكتب عن الماضى ونثير الغبار ؟

٢ — وإذا كان الماضى يمس عبد الناصر ، فلماذا لم نكتبه فى حياته ؟

ونجيب عن هذين السؤالين بدقة ووضوح .

فعن السؤال الأول نقرر أن هذا هو ضرورة التاريخ ، وليس هناك عاقل يريد أن يهدر التاريخ ويسدل عليها ستاراً من الكتمان ، وإذا كنا ندرس تاريخ الفراعنة أو العهد القبطي بمصر أو العهد الإسلامى ، وندرس تاريخ أوربا والعالم كله ، فكيف لا نكتب تاريخ فترة عشناها ورأينا فيها الأحداث؟ إن التاريخ أمانة أودعها الزمن فى يد المؤرخ ، والذى يكتم أمانة التاريخ أو يخونها لا يقل ذنبه عمن يخون أمانة المال .

ونكتب كذلك تاريخ الماضى لحماية الحاضر والمستقبل ، فإذا أدرك أى رئيس أن أعماله سيتتبعها التاريخ ، وتتناقلها الأجيال ، وأن الزيف لن يقوى أمام الحياة والنقد ، إذا أدرك ذلك فإنه يحسن عمله ، **فنخدم بدراسة الماضى إنسان الحاضر والمستقبل** ، ويقول Hearnshow [1] فى ذلك : إن دراسة التاريخ كانت على مر الأجيال من أجل خدمة الحاضر وإلهامه سبل الرشاد .

ويقول Josiph Horse [2] إن الحياة تعلم العيش ، وإن ملاحظة أعمال الناس فى الماضى ونتائجها تضيف خبرة إلى خبرتنا وتدفعنا إلى تصرف أحسن.

أما السؤال الثانى ، وهو لماذا لم نكتب هذا الكلام فى حياة عبد الناصر ، فإن الإجابة عنه تحتاج أن ننبه السائل ، ونشد انتباهه إلى الماضى فيبدو أنه لا يعرف الماضى : فقد كتبنا تاريخ عبد الناصر فى حياته يوماً بعد يوم ، وصرخنا ننتقده بصراحة وقوة منذ أن أمسك الزمام وانحرف به ، وكانت النتيجة أن سلط علينا زبانيته ، واستعمل ضدنا كل سلاح بعيد عن الحق والإنسانية ، وكاتب هذه السطور كان نصيبه عند ما ألقى خطاباً بذلك فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة فى مارس ١٩٥٤ أن فصل من

---

(١) علم التاريخ والترجمة العربية للاستاذ عبد الحميد العبادى ص ٢٤

(٢) The value of History p.p. 12-13

وانظر مقدمة موسوعة التاريخ الاسلامى بالجزء الأول من الموسوعة للمؤلف .

الجامعة فصلا تعسفياً بقرار من مجلس قيادة الثورة، ومُنع من العمل بالداخل كما منع من السفر للخارج، وعانى الجوع والقلق فترة من الزمان.

والسنهورى أبو القانون ضُرب بمكتبه بمجلس الدولة حتى سقط مغشياً عليه، ثم عزل من منصبه ...

وجميع الذين كتبوا أو تكلموا أو اتُّهموا بذلك مسهم الضرر، فأُلقى بهم فى غياهب السجون وصودرت أموالهم، وانتهكت أعراضهم وأعراض ذويهم.

وصحيفة « المصرى » التى كانت مفخرة الصحافة المصرية عارضت سياسته فصدرت القرارات بإغلاقها، والحكم على أصحابها بالتشرد والسجون ومصادرة الأموال.

وتكلم القضاة فعزلوا، وتكلم المحامون فهددوا، وقيل إن الدولة الاشتراكية لا تعرف المحامين.

وهبت كل الطوائف تقريباً، ولكن اليد القاسية كانت تضربه بدون رحمة، فكممت بذلك الأفواه المصرية، وقضت على كل كلمة معارضة.

وأمسكنا عن الكلام، ولكننا لم نمسك عن تدوين التاريخ يوماً بيوم راجين أن تنكشف الغمة يوما لننشر على الناس كلمة الحق، فلما انقضى عهد الرقابة، وجاء عهد النور، انطلقنا نعلن على الناس ما كان سراً، لنؤدى بذلك واجبا نحو الحق، ونحو التاريخ.

ونقطة مهمة تتصل بموقفى كمؤرخ مسه الضر من عبد الناصر كما سبق القول، ثم جاء يكتب تاريخه، فإن بعض الناس قد يعتقدون أنى أهاجم عبد الناصر، لأنه فصلنى من الجامعة، وفرض علىّ الجوع والقلق، والإجابة تجىء من نواحٍ ثلاث:

أولا: من الخطأ أن يُعتبر نقد الظلم هجوما، لقد طغى عبد الناصر أكثر

مما طغى فرعون ، كما قال زميله كمال الدين حسين ، فكيف يعتبر سرد هذا الطغيان ونقده هجوما ؟

ثانيا : إن الدراسة التى نقوم بها موضوعية ، فهى تتخذ الوثائق والحقائق أساسا لها .

ثالثاً : إننى لم أهاجم عبد الناصر لأنه فصلنى ، بل الحق إنه فصلنى لأننى هاجمته ، فقد انتقدته ، وحللت شخصيته ، وأنا مدرس بالجامعة ، كما قلت آنفا ، ثم فصلنى لهذا الغرض ، وظللت بعد ذلك كما كنت قبل ذلك أدون تاريخه بإنصاف ، والتاريخ المنصف يدين الرجل .

عبد الناصر : حسناته وسيئاته :

لا أعتقد أننى عانيت صعوبات وأنا أكتب حلقات التاريخ الإسلامى ، كتلك التى عانيتها وأنا أكتب تاريخ عبد الناصر ، وليس ذلك فقط بسبب تشويه الحقائق ، واختفاء الوثائق ، بل لأنى مع الاستقصاء وبذل الجهد ، والاستعانة بكل من يستطيع أن يعين ، كانت حسنات عبد الناصر التى حملتها وسائل الإعلام وجعلت منه بطل الأبطال ، عبارة عن السد العالى ، وكسر احتكار السلاح ، ومقاومة الأحلاف ، وتأميم القناة ، ومحاربة الاستعمار بالجزائر والكونغو ، والتصنيع ، ولا تقوى هذه الأشياء على الصمود أمام البحث العميق ، وسنتدارسها جميعا فيما بعد بالكثير من الوثائق والبحوث ، ولكنا نسرع فنقرر أن كسر احتكار السلاح عبارة ماتت ، وعدنا أدراجنا إلى أسلحة الغرب بعد أن منع المعسكر الشرقى عنا الأسلحة فى أخطر الأحوال ، وماتت كذلك مقاومة الأحلاف بإجراء مدة مع روهعا سيا نفسها ، وبإعطائها كثيراً من التسهيلات ، وجلب الخبراء منها ، ولم نوقف ذلك إلا فى عهد أنور السادات ، وكان التصنيع طلاء لا أعماق له ، أما تأميم القناة ومحاربة الاستعمار فى الجزائر والكونغو ... فلنا عنها دراسات أوضح وأوسع فيما بعد .

ولعل زميل عبد الناصر وخلفه الرئيس محمد أنور السادات خير من يتكلم عن هذا الموضوع ، فقد عرض سيادته فى خطابه بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة عبد الناصر (٢٨-٩-١٩٧٥) لهذا الموضوع ، ولم يذكر من حسنات ثورة ٢٣ يوليو إلا أنها أنقذت مصر من حكم القصر والسفارة البريطانية وقضت على الاحتلال البريطانى ، وهذا صحيح ولكن الثورة فى عهد عبد الناصر خلقت بدل القصر قصوراً تعيش فيها مراكز القوى وتباشر ضد الإنسان المصرى كل أنواع القسوة ، كما جلبت سياسة عبد الناصر الاحتلال اليهودى لسيناء والنفوذ الروسى للبلاد ، كما أثبتنا ذلك فى عدة أمكنة من هذا الكتاب . ويستمر أنور السادات فى حديثه ذاك ، فيقول :

« إن هذا العهد كان عهداً حافلاً بالانحرافات ، وكانت هناك سجون ومعتقلات ، وإذا كانت هناك إجراءات استثنائية تبررها أى ثورة ، فإن الإجراءات التى اتخذت فى عهد عبد الناصر طالت أكثر مما يجب ، وامتدت إلى مجالات ما كان يجب أن تمتد إليها . . . وكانت هناك إجراءات وتصرفات لا تبررها الشرعية الثورية ، فقد نمت مراكز قوى ، واستفحل خطرها » .

وفى محاضرة ألقيتها بنادى طلبة البحرين بالقاهرة ، قلت هذا الكلام فقال لى طالب : إن عبد الناصر ساعد على استقلال دولة البحرين ، وربما كان ذلك صحيحاً ، وربما كان صحيحاً كذلك أنه ساعد على استقلال « الجزائر » ، وأرسل جيوش مصر للكونغو ضد تشومبى ، ولكنه قام بذلك من أجل نفسه ، وعلى حساب الشعب الذى كان يعانى الجوع والحرمان ليبعث عبد الناصر بمال مصر وجيش مصر إلى مختلف الجهات .

وإذا كانت هذه مآثر ، فإنى أضيف مأثرة أخرى من هذا النوع . فقد حدث مرة أن مصر كانت قد اشترت كمية من القمح من الاتحاد

السوفييتى ، وكان القمح فى طريقه إلى مصر ، وحينئذ أشيع أن بالهند مجاعة ، فأمر عبد الناصر أن تتجه السفن التى تحمل القمح إلى الهند ، ولا شك أن الهند صفقت لهذه الأريحية ، ولكن شعب مصر جاع ؛ لأن رئيسه حقق لنفسه جاهاً عظيماً .

وسنرى فيما بعد مآثر كثيرة من هذا النوع إن عدت هذه مآثر .

ومن الواضح أن الزعيم الحق يرعى شعبه أولا ويَكْلُم جراحه ، ثم يلتفت للخارج ، وكانوا يقولون عن الاتحاد السوفييتى إنه يعيش خلف ستار حديدى ، وقد ظل كذلك حتى بنى نفسه ، وخرج قوياً صلب العود ، ولكن عبد الناصر بذل مال مصر وجهد مصر فى الخارج على حساب تدمير المرافق والحريات ، وعلى حساب البطون الجائعة ، والاقتصاد الذى انهار ، فلما فكر — إن كان قد فكر — فى العودة لإصلاح الداخل لم يجد المال ، لأن المال كان قد سُرق بعضه ، وأنفق بعضه الآخر على المظاهر التى أرادها الزعيم ، بل لم يجد الشعبَ ؛ لأن الشعب كان قد انصرف عنه ، فهاجر منه من هاجر ولجأ الباقون إلى اللامبالاة واليأس .

ومثل هذا يقال عن المصانع التى يقال إنه أقامها ، لقد قتل بها الزراعة تماماً ولم يمنح الصناعة الحياة ، وكنا فى عهده نبحث عن الإبرة من «المستورد» والإبرة رمز لكل شىء ، ليس ذلك إلا لأن المصانع كانت حلقة من حلقات الدعاية دون أن تبنى على أسس سليمة ، وأصبحت كلمت « المستورد » على كل لسان فى عهده لعدم الثقة فى الصناعات المحلية .

وعلى هذا تجدنى أسطر تاريخ عبد الناصر كما تُسطَّر ملحمة متصلة الهزائم ، وبذلك فإن تاريخ عبد الناصر سلسلة من الآلام ، وأشهد الله لقد حاولت جهدى أن أجد للرجل مآثر فلم أنجح ، ولم يبق إلا هذه العبارات الجوفاء التى يقولها بعض أتباعه ومحبيه مثل ترك بصماته على . . . . وغيَّر تاريخ مصر . . . . فإذا أردت أن تترجم هذه العبارات إلى حقائق تفيد شعب مصر عجزت عن ذلك كل العجز .

وأنا لست صانع التاريخ وإنما أنا أدونه فقط ، فلا حول لى إن لم أجد مأثرة لعبد الناصر أضعها فى كفة حسناته ، ومع هذا فسأظل أحاول ذلك ما وسعتنى الحيلة ، وأقرر أننى أشهد الله أن أتبع الحيدة فى عملى دون ذرة من التعنت أو البعد عن الإنصاف ، فإن ذلك هو أمانة المؤرخ يؤديها لهذا الجيل ولما يجىء من أجيال .

وبالله التوفيق ..

جيش مصر

الجيش عُدَّة البلاد وأملها، يقوى فتقوى البلاد ، ويضعف أو ينصرف إلى غير عمله فتنهار البلاد ، وتهوى إلى القاع ، ولهذا اتجهت جيوش العالم المتمدين كله لحراسة البلاد دون أن تتورط فى الأمور الداخلية ، وقد أثر عن الزعيم مصطفى كامل أنه قال : من الحكمة ألا يدخل ضباط الجيش فى حركتنا . وارتفع كذلك صوت الرئيس أنور السادات قائلا : إن الجيش يحمى الشعب ولا يحكمه . وقال المشير محمد عبد الغنى الجمسى : إن جيش مصر يعرف واجبه مدافعاً عن الوطن ضد أعدائه ، وفى مايو ١٩٧١ عندما حاول الفريق محمد فوزى أن يهيج الجيش للتدخل لصالح أعداء الشعب ضد الرئيس أنور السادات صرخ فيه الفريق محمد صادق بأن هذا ليس من عمل الجيش ، ومنعه من محاولة تسخير الجيش لصالح فرد ، وعُدّ ذلك عملاً مجيداً منه .

وفى لقاء المحامين بتونس (يناير ١٩٧٩) قال نقيب المحامين المصريين إن المحامين يرفضون أن تكون رسالة الجيش حماية الأنظمة وليست حماية الأوطان . واستنكر المحامون تخصيص جيوش للدفاع عن الحكام (١) .

وعندما تأزمت الأمور فى إيران فى فبراير ١٩٧٩ بين الحكومة التى تعتمد على الجيش وبين المعارضة ، أعلن الجيش الحياد ، وأنه لن يتدخل فى الأمور الداخلية ، وأن مهمته حراسة البلاد من أى عدوان خارجى ، ولكنه لن ينصر جبهة فى الداخل على جبهة أخرى ، واهتزت بذلك كفة الحكومة التى كان يرأسها شهبور بختيار الذى عينه الشاه رئيساً للحكومة

---

(١) الأخبار فى ١ / ٢ / ١٩٧٩ .

قبل أن يغادر البلاد ؛ فاستقالت هذه الحكومة ، وأخلت الطريق للاتجاه الشعبي .

وهذا الاتجاه السليم هو الذي دفعني لأن أكتب هذه الكلمة وأتقدم بها إلى جيشنا الذي طالما كان لبلادنا مفخرة ؛ ولوطننا درعاً ، ولكن الانحراف مسه أحياناً ، أو أثرّ فيه فساعد هذا الجيشُ أعداءَ الحياة وأعداء الحق ،وأصبح سوطاً في يد فؤاد وفاروق وعبد الناصر ، وطالما انهال هذا السوط على ظهور الشعب ونال من كرامتهم .

وكان انتصار الجيش المصرى فى حروبه ، أوهزيمته ، صدى دقيقاً لموقفه من الشعب فعندما كان الجيش متفرغاً لعمله العسكرى ومتجهاً لتحقيق أهداف وطنية استطاع أن يحقق أعظم الانتصارات فى الميادين والمعارك ، وعند ما كان الجيش ينغمس فى السياسة ، فيصبح أداة تنكيل بالشعب كانت الهزائم تتربص به ، ويمكنك أن ترى ذلك واضحاً إذا استعرضت الثلاثين سنة الماضية ، فقد هزمُ جيشنا فى عهد فاروق سنة ١٩٤٨ ، وفى عهد عبد الناصر سنة ١٩٥٦ وفى اليمن (١٩٦٢ — ١٩٦٧) وفى سنة١٩٦٧ ، وانتصر فى عهد أنور السادات فى حرب أكتوبر المجيدة سنة ١٩٧٣ومن أجل هذه الفكرة عقدت هذا الفصل فى هذا الكتاب أشرح الماضى وأحاول أن أرسم للمستقبل .

والذى دعانى إلى كتابة هذه الدراسة بهذا الوضوح أحساسي بأننى من أكثر الكتاب الذين تغنوا بأمجاد الجيش المصرى ، وبإبراز بطولاته على مرّ التاريخ ، فعن التاريخ القديم تحدثت بإفاضة فى كتابى « اليهودية »[1] عن انتصارات أحمسَ ورمسيس الثانى ، وعن التاريخ الوسيط تحدثت بإفاضة كذلك عن انتصارات الجيش المصرى ضد الصليبيين ، والتتار ،

---

(١) ص ٥٤ وما بعدها من الطبعة الخامسة

والقرامطة[1] ، وعن التاريخ الحديث أبرزت النجاح الرائع الذى حققه جيشنا فى الأناضول ، وفى قلب إفريقيا ، وكيف كان مشعل نور فى القارة السوداء[2] ، ثم عشت انتصارات أكتوبر ودونت هذه الملحمة الناجحة بقطرات من القلب ، وأصبح كتابى عن هذه الحرب وثيقة من وثائق هذه الحرب المجيدة .

وإذا كنت قد أثنيت على هذا الجيش فى انتصاراته ، ووهبته عقلى وقلبى وقلمى لأشيد به ، وأسجل فى التاريخ أمجاده ، فإن من حقى ومن حق بلادى علىّ أن أقرر حقيقة مؤلمة هى أن هذا الجيش انحرف أحياناً ، أو انحرف به قادته فجعلوه أداة ظلم فى يد ملك غاشم أو رئيس مستبد ، والذى يستعرض تاريخ الملك فؤاد أو الملك فاروق يجد أن الواحد منهما كان يعلن إقالة الوزارة التى تمثل الشعب أدق تمثيل ، ولكن كتاب الإقالة كان يصدر فى نفس الوقت الذى يسرح فيه الجيش بدباباته ومعداته فى شوارع القاهرة ليحمى الملك من ثورة الشعب ضد هذه الإقالة الظالمة .

ومن أجل هذا يقول بيليايف وبريماكوف : كان الجيش موضوعاً تحت رقابة الملك الكاملة ، وكان الجيش فى خدمة الملك ، وبالتالى فى خدمة الإنجليز[3] .

وكانت الانتخابات المزورة تجرى فى مصر ويقوم الجيش بحراسة هذا التزوير وكبح أى صوت ينادى بالعدالة .

وما كان فؤاد أو فاروق يستطيع أبداً أن يعزل وزارة الوفد ، أو يستدعى صدقى لتأليف وزارة أو تكوين حزب أو إجراء انتخابات، لولا تأكده من أن الجيش سيحمى هذه الإرادة الغادرة .

---

(١) انظر الحديث عن الحروب الصليبية بالجزء الخامس ص ٥٤٧ — ٦٤٠ وعن حروب مصر ضد المغول بنفس الجزء ص ٢١٦ — ٢٢٢ من موسوعة التاريخ الإسلامى وعن الجيش المصرى ضد القرامطة ، انظر الجزء السابع ص ٧٠٣ وما بعدها .

(٢) انظر الحديث عن ذلك فى الجزء الخامس من موسوعة التاريخ الإسلامى .

(٣) مصر فى عهد عبد الناصر ص ٢٨ .

ويصف الأستاذ محمد فؤاد سراج الدين السكرتير العام لحزب الوفد ارتباط الجيش بالقصر بقوله .

« كان معروفاً أن السراى تعتبر الجيش والأزهر حصنين لها ، وقد استطعنا التسرب إلى الأزهر ، أما الجيش فقد ظل مغلقاً علينا فى خدمة السراى .

« ومن المواقف المخجلة التى وقفها الجيش ضد زعيم الأمة ، ما حدث عندما كان إسماعيل صدقى رئيساً للوزارة ، إذ أرسل هذا جزءاً من الجيش لمنع زيارة النحاس باشا للمنصورة ، وتحمل سينوت حنا بيده ضربة السونكى الموجهة للنحاس ، وتكرر موقف الجيش ضد النحاس خلال سنة ١٩٣١ و ١٩٣٢ فى معظم المدن التى حاول النحاس باشا زيارتها .

« وفى سنة ١٩٣٨ أجريت الانتخابات فى الدلتا فى يوم ، وفى الصعيد فى يوم آخر حتى يستطيع الجيش أن يوجد هنا وهناك ويؤثر على نتائجها .

« وفى مارس سنة ١٩٥٢ بعد إقالة الوفد ، حاصر الجيش البرلمان خشية اجتماع النواب به فى اليوم المحدد لاجتماع المجلس » (١) .

ولولا هذا الموقف من الجيش ما ضاعت حقوق الأمة .

وكان تكرار موقف الجيش من الشعب على هذا النحو من أسباب ضعف الشعب وتهاونه فيما كان عليه ألا يتهاون فيه ، ويصف الزعيم مصطفى النحاس باشا ذلك بقوله : الجيش مثل وابور الظلط ، لاشىء يقف أمامه إلا ما هو أقوى منه ؛ وهذه القوة هى شعب مؤمن بالديمقراطية والدستور وهو الأمر الذى اهتز كثيراً خلال حكم أحزاب الأقلية (٢) .

ويوضح مصطفى النحاس باشا رأيه تجاه الجيش بقوله : إنه يؤثر أن يكون

---

(١) احمد حروش : شهود ثورة يوليو ص ٢٩٤ — ٢٩٥

(٢) المرجع السابق ص ٢٨

الجيش بعيداً عن السياسة ، وأن تكون الأمة مصدر السلطات ، ويتمنى أن يكون ولاء الضباط للوطن والشعب أكثر منه لشخص الملك (١) .

ومن العجيب أن هذا الاتجاه من زعيم الأمة ، كان وهو فى أمس الحاجة لمساعدة الجيش ، إذ حدث ذلك عندما عرض عليه مندوبو الجيش استعداد الجيش لمقاومة الإجراءات غير الدستورية التى يرتكبها الملك . (٢) وهذا يدلنا على أن الرغبة فى إبعاد الجيش عن السياسة كانت طبيعة الفكر السليم فى جميع الأحوال .

وقد بالغ بعض ضباط الجيش فى الخضوع للملك والارتباط به حتى إن أحد الضباط وقف فى الحفلة التى أقامها الملك يوم حريق القاهرة وهتف « الجيش سيف الملك » (٣) .

* * *

وجاء عهد عبد الناصر فكان اعتماده على الجيش أضعاف اعتماد فؤاد وفاروق عليه ، فقد حل عبد الناصر الأحزاب ، وكمم الصحافة وقبض ظلماً على عدد كبير جداً من المصريين ، وأنزل بالناس ألوان الاضطهاد والعسف ، وفرض الحراسة بما شملته من توزيع الجوع والحرمان ، وقتل وعذب وشرد ، وكانت عصابة من الجيش هى التى أنزلت بالناس كل هذه المظالم ، وأوقعت بهم هذا السوء .

ومن الواضح أن أفراد الجيش جنوداً وضباطاً هم من أبناء الشعب ، ولكن عبد الناصر أقام حاجزاً حصيناً بين الجيش والشعب ، وأصبح الجيش يمثل النمر ، والشعب يمثل الفريسة .

---

(١) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ١٧

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٣) عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته ص ٤٢

وما كان عبد الناصر يستطيع أن ينزل هذا الضر بالشعب لوأن الجيش عرف مهامه ووقف عندها ، ورفض أن يكون سوطاً قاسية يمسك بهاالجلاد ليعذب بها الظهور البريئة .

ويقول عبد اللطيف البغدادى إن تعين عبد الحكيم عاماً قائداً عاماً للقوات المسلحة أبعد باقى أعضاء الجيش عن وحداتهم العسكرية تدريجياً ، كما أبعد عنا زملاءنا فى الأسلحة بوسائل متعددة وصلت إلى التهديد، وبذلت جهود لتقريب الضباط من عبد الحكيم ومن عبد الناصر بخدمات تُقَدَّم اليهم ، حتى أصبح لاهَمّ للكثير من الضباط إلا التقرب من ناصر وعامر أو إلى من هم قريبون منهما طمعاً فى منصب أفضل أو خدمه تؤدى لهم : . . . . . ونتج عن هذه السياسة فساد الجيش مما ترتب عليه نتائج وخيمة عسكرية وسياسية (١) .

والعجيب أن عبد الناصر أنزل التعذيب أحياناً بالكثير من أفراد القوات المسلحة ، وكان زملاؤهم فى السلاح هم الذين يقومون بهذا المنكر ، فانقلب المفترس ليصبح فريسة معتدى عليها ، اما الجلاد فهوهو ينشر الذعر بين الناس ، ويضرب بعضهم ببعض .

وسنرى فى هذا الكتاب صوراً تقشعر لها الأبدان مما نزل بأهل كرداسة وبأسرة الفقى بكمشيش وبالإخوان المسلمين وباليساريين وبسلاح المدفعية والفرسان ، فأعوان عبد الحكيم عامر بعد كارثة ١٩٦٧ ، سنرى كل ذلك وسنسجله عتاباً مريراً لجيشنا الذى نسى واجبه أحياناً وراح يعمل لصالح مروضيه ضد المجتمع بأسره ، ولاشك أن ما خسرته مصر بسبب مواقف الجيش مع الحكام ضد الشعب كان خسارة هائلة فى كل مجال ، ولولم يعتمد الحكام الطغاة على الجيش لبذلوا الجهد لإرضاء الشعب ولكسبت مصر الخير العميم .

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٧٨ ﻫ

تلك همسة تشير إلى الماضى المشين ، وتهتف بجيشنا العظيم أن يعرف واجبه وأن يقف دائماً درعاً يحمى الشعب ، وألا يكون سوط عذاب فى يد أعداء الحق ، وأعداء الناس ، فإن استجاب جيشنا لهذا الهتاف أمددناه بأبنائنا وأيدناه بعقولنا ، وكنا خلفه بنياناً مرصوصاً ، وقوة اقتصادية واجتماعية هائلة ، وفى ظل هذه الوحدة بين الجيش والشعب سيكسب جيشنا النصر ويحقق شعبنا أطيب الآمال .

الباب الأول

مصر قبل الثورة

مصر لم يبدأ تاريخها بالثورة :

كان من الأخطاء التى تبنتها الثورة ترويج فكرة مؤداها أن مصر بدأت بثورة ٢٣ يوليو ، وقد راح المنافقون يذكرون أن استقلال مصر لم يتحقق منذ عدة آلاف من السنين إلا فى عهد الثورة . . . . وتلك أقوال خاطئة جاهلة ، وسيتضح خطؤها وجهلها من الدراسات التى سنوردها عن مصر قبل الثورة ، وقد لاحظ قائد الثورة اللواء محمد نجيب ذلك ، فكتب يقول :

كان يؤلمنى كثيراً أن يحاول بعض الكتاب تصوير الحياة فى مصر وكأنها بدأت يوم ٢٣ يوليوسنة ١٩٥٢ وكنت أدرك أن مثل هؤلاء لا يمكن أن يكونوا مخلصين لحركتنا ولا لمصر[١] .

وسنصف فيما يلى أهم ملامح الحياة بمصر قبل الثورة :

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ١١ .

الثورات المصرية فى العصر الحديث

وماحققته من أهداف

عمر مكرم والسادات والشرقاوى :

دخل العثمانيون مصر سنة ١٥١٧ ، وأصبحت مصر بذلك جزءاً من الإمبراطورية العثمانية الفسيحة ، والذى يدرس تاريخ مصر خلال العهد العثمانى يدرك أن المصريين لم يروا فى العثمانيين إبان عهودهم الأولى غزاة أو مستعمرين ، بل اعتبروهم قادة مسلمين يعملون على توحيد الصف الإسلامى وإعادة مجد الخلافة الإسلامية ، ومن هنا لم يحدث صراع بين المصريين والعثمانيين خلال فترة طويلة من هذا العهد ، وكان المصريون يفسرون انحراف بعض السلاطين العثمانيين على أنه انحراف شخص الخليفة ، ويتطلعون إلى خليفة يبتعد عن الانحراف .

وكان المماليك ينعمون بخيرات مصر ، ويستبدون بالأمر قبل العثمانيين ، وكان هؤلاء المماليك يُعدون مصريين ؛ إذ لم يكن لهم وطن سوى مصر ، ويسميهم الجبرتى « الأمراء المصريين » .

وعاش المصريون ردحاً من الزمن يسلمون زمام السلطان للمماليك وللعثمانيين فى ضوء التفسير السابق .

وعند ما جاءت الحملة الفرنسية انهار العثمانيون والمماليك أمامها ، وعقب انهيارهم تخلى هؤلاء وأولئك عن مصر ، ولم يشغلوا أنفسهم بإعادة الاستعداد للدفاع عنها ، فحمل المصريون وحدهم هذا العبء ، وثارت مدن مصر وقراها من رشيد حتى أسوان ، وقدم المصريون الضحايا غير مبالين بشىء ؛ وأنزلوا بالعدو ضربات شديدة ، حتى قتلوا ديبو وكليبر وغيرهما .

وتحدّت الحملة الفرنسية هذا التصرف فبشطت ، واستعملت كل ضروب القسوة ، ولكن المصريين لم يلينوا ولم يخضعوا ، وكان علماء الأزهر هم

قادة هذه الحركة وعلى رأسهم السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى ، والشيخ السادات . وكان هذا مبدأ بروز الشخصية المصرية الحقيقية .

وخرجت الحملة الفرنسية من مصر ، واستمرت الشخصية المصرية فى حمل مسئولياتها وفى مسيرتها ، وتحدّت تركيا وعزلت الوالى الذى عينته الأستانة وهو خورشيد باشا ، وعين المصريون محمد على والياً على مصر ، واضطرت الأستانة أن تنحنى أمام هذه الرغبة وتوافق على هذا التعيين .

وتعد حركة مصر بقيادة العلماء أولى الثورات المصرية فى العصر الحديث ، فقد نجحت هذه الثورة ، إذ أبرزت الإرادة المصرية وأعلنت الشخصية المصرية[1] . ونتيجة لهذه الحركة أصبحت مصر دولة مستقلة عن الإمبراطورية العثمانية أو على حافة الاستقلال فى حين كانت الدول العربية الأخرى مقسمة إلى مقاطعات وتخضع خضوعاً تاماً للإمبراطورية العثمانية[2] .

ثورة عرابى :

وقد حقق محمد على وابنه ابراهيم وحفيده إسماعيل كثيراً من الأمجاد الخارجية والداخلية تحدثنا عنها فى الجزء الخامس والجزء السادس من موسوعة التاريخ ، وانحرف أحد أبناء محمد على وهو الخديو توفيق ، وتآمر مع الشراكسة والإنجليز ضد البلاد ، فجاءت ثورة جديدة بقيادة أحمد عرابى لتعيد مكانة الشخصية المصرية ، ولكن ثورة أحمد عرابى لم يقدر لها النجاح ، وانتصر الإنجليز عليه ودخلوا مصر ، وبدأ الاحتلال البريطانى البغيض .

مصطفى كامل ومحمد فريد :

وجاءت الثورة الثالثة بقيادة مصطفى كامل وخليفته محمد فريد ، واتجهت هذه الثورة بقوتها لمصارعة الاحتلال الإنجليزى ، واضطر مصطفى كامل

---

(١) انظر تاريخ مصر فى الجزء الخامس من « موسوعة التاريخ الإسلامى » للمؤلف .

(٢) George Haddad Revolutions and Military Rule in the Middle East vol 3 P. 19.

استعمال اللغة العربية في علاقات الأفراد والهيئات بالحكومة ومصالحها ، ويوماً بعد يوم أخذ نفوذ اللغات الأجنبية بمصر يتقلص ، وظهر جيل يتحدث العربية ولكنه يضع في حديثه بضع كلمات أوربية ، ولكن النزعة الوطنية هاجمت هؤلاء ، فبدأوا يتراجعون ويتمسكون بلغة الوطن التي برهنت على قدرة فائقة في التعبير عن كل الأفكار والمشاعر .

وشهد عصر ما قبل الثورة نهضة واسعة في مجال التعليم ، فكثرت المدارس كثرة هائلة ابتداء من رياض الأطفال حتى التعليم الجامعي ، ومن مفاخر هذه الفترة ، أنها قضت على الازدواج في التعليم الذي كان موجوداً في المرحلة الأولى ، وفي عهد حكومة الوفد سنة ١٩٤٢ أصبح التعليم الابتدائي مجاناً ، وفي حكومة الوفد سنة ١٩٥١ صدر قانون بجعل التعليم الثانوي بالمجان كذلك ، ومن مفاخر هذا العصر أيضاً أن الجامعات بدأت تكثر عدداً وكيفاً ، وإذا كانت الجامعة المصرية الأهلية قد أنشئت في العقد الأول من القرن العشرين فإنها أصبحت جامعة رسمية حكومية منذ سنة ١٩٢٥ ، ثم أنشأت حكومة الوفد سنة ١٩٤٢ جامعة فاروق (الإسكندرية) ، كما أنشأت حكومة الوفد الأخيرة جامعة إبراهيم (عين شمس) وجامعة محمد علي (أسيوط)(١).

ونال الأزهر عناية كبرى بعد نجاح ثورة ١٩١٩ وبخاصة عندما صدر قانون إصلاح الأزهر سنة ١٩٣٠ ، والقوانين المكملة له التي صدرت سنة ١٩٣٦ و ١٩٣٧ و ١٩٣٨ وبمقتضاها أصبح للأزهر معاهده وكلياته ، ودخلت إصلاحات كبيرة في مناهجه ، مما مكنه من القيام بنهضة عظيمة في مجال الدراسات الإسلامية واللغة العربية ، وذلك على عكس قانون التطوير رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، وهو مايعرف في الأوساط الإسلامية

---

(١) اقرأ ذكرياتي في عهدين لصلاح الشاهد ص ١٥٦ .

بقانون « تدمير الأزهر » وقد تحدثت عنه بإفاضة فى كتابى « تاريخ المناهج الإسلامية » وسنعرض له عند دراسة حوادث سنة ١٩٦١ .

وشهدت العقود التى تلت ثورة ١٩١٩ نهضة صحفية كبرى شملت الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية العامة والمتخصصة كما شملت المجلات الشهرية ، وكانت الصحافة مستقلة أحياناً وتابعة للاحزاب أحياناً أخرى ، وقد تنافست هذه الصحافة لرفع المستوى الفكرى والسياسى بين الجماهير ، ويمكن القول إن مكانة الصحافة قبل ثورة ٢٣ يوليو أعظم بكثير من مكانتها بعد هـذه الثورة سواء فى ناحية العدد أو الحرية أو روعة التحرير والأداء ، ومن صحافة هـذا العصر نذكر صحيفة السياسة وصحيفة الأخبار التى أصدرها أمين الرافعى ، وصحف الوفد الكثيرة المتعددة كالبلاغ والمصرى والوفد المصرى وكوكب الشرق وصحيفة الأساس التى كانت تابعة للحزب السعدى ، وصحيفة الكتلة الوفدية بالإضافة إلى الأهرام والمقطم ؛ وإلى عـدد كبير من المجلات الثقافية والسياسية ، وفى ظل هذه النهضة الصحفية ظهرت أقلام عظيمة كانت تقوم بدور المعلم لجماهير الشعب ، وكان فى الأسكندرية وحدها ما يزيد عن سبعين صحيفة ومجلة ؛

ومن مظاهر النهضة الثقافية التى برزت قبل الثورة النهضة الفنية التى تمثلت فى السينما والمسرح والتى يمكن القول إنها مبكرة ورائدة فى العالم العربى والإفريقى .

الحياة الاقتصادية :

رأت مصر أن النجاح السياسى الذى حققته بثورة ١٩١٩ لا يكتمل إلا بنجاح اقتصادى ، ومن هنا اتجهت إلى تأسيس بنك مصر وشركاته ، ثم تطورت بالنشاط الاقتصادى تطوراً هائلا ، فصدر قانون الشركات ، كما قامت أنواع من الصناعات التى ارتقت فى كثير من الأحوال ونافست الصناعات الأجنبية ، وقد ساعد إلغاء الامتيازات عام ١٩٣٧ الذى قامت به حكومة الوفد على مزيد من التطور فى الجانب الاقتصادى .

وتدلنا الاحصاءات الرسمية على التطور الهائل الذى حظى به الإنسان المصرى فى الجانب الاقتصادى بعد ثورة ١٩١٩ : ويتضح لنا هذا التطور من مقارنة ذلك العصر بعصر ما قبل هذه الثورة ، وتدل البيانات الرسمية على أن، قبل ثورة ١٩١٩ كان نصيب الأجانب من رأس المال المستثمر فى الاقتصاد المصرى ٩١ ٪ فلما ظهر نشاط المصريين بعد هذه الثورة أخذت النسبة المئوية لهم ترتفع من عام إلى عام ، فقد أصبح نصيب المصريين فى الشركات التى أسست بين عام ١٩٣٤ وعام١٩٣٩ هو ٤٧٪ من رءوس أموال تلك الشركات أما الشركات التى أسست بين عامى١٩٤٠ و١٩٤٥ فقد كان نصيب المصريين ٦٦ ٪ ثم صار نصيب المصريين ٨٤ / فى الشركات التى أسست فى الفترة بين ١٩٤٦ و١٩٤٨(١) .

وكان النشاط الاقتصادى فى يد شركات مساهمة غالبا ، وقد استطاعت هذه الشركات أن تجذب مدخرات الأفراد وأن تدفع بها إلى ميدان هذا النشاط ، فإن دعامة النشاط الاقتصادى بمصر فى هذه الفترة ، لم يكن فى نطاق ما عرف بالقطاع العام ، وإنما كان نشاطا فرديا أو نشاط شركات ، وقد حقق هذا وذاك نجاحا هائلا للمستثمر وللشعب المصرى .

وزَحْفُ النشاط المصرى فى مجال الشركات والاستثمار على حساب الأجانب حدث مثله أو أكثر منه بالنسبة لملكية الأراضى ؛ فقبل ثورة ١٩١٩ كان عدد الأجانب الذين يملكون أرضاً زراعية بمصر ٨٢٤٢ وكانوا يملكون أكثر من ٧٠٠,٠٠٠ فدان ، فلما أعلن استقلال البلاد سنة ١٩٢٢ بدأ عدد الملاك الأجانب يتناقصون وكذلك تناقصت مساحة ما يملكون ، وزاد ذلك الانكماش بتوقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ ثم بإلغاء الامتيازات الأجنبية فى العقد الخامس من هذا القرن أصبح عدد الملاك الأجانب ١٦٠٤ وأصبحت مساحة ما يمتلكونه ١٧٢,٣٦٨ فداناً ثم جاءت الضربة

(١) راشد البراوى : التطور الاقتصادى فى مصر ص ٤٤٩ وما بعدها .

القاضية التى أعلنتها حكومة الوفد سنة ١٩٥١ بإصدار القانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٥١ ونصه « يحظر على غير المصريين سواء أكانوا أشخاصاً طبيعيين أو اعتباريين اكتساب ملكية الأراضى الزراعية والأراضى القابلة للزراعة والأراضى الصحراوية بمصر » .

وإذا كان امتلاك الأجانب للأرض الزراعية قد تقلص ، فإن مصر كان بها عدد من كبار الملاك المصريين الذين كانوا يمتلكون مساحات شاسعة مثّلت خطراً على النظام الطبقى بمصر، وكان الملك والاسرة المالكة فى قمة هؤلاء المُلاّك ، وقد علت صيحات متعددة قبل ثورة ١٩٥٢ بتحديد ملكية الأراضى الزراعية حمل لواءها محمد خطاب وغيره ، ولكن ما كان لها أن تنجح مع وجود الملك والأسرة المالكة .

وعلى كل حال ، فإن ملكية الأراضى بمصر لم تصل إلى حد الإقطاع بالمعنى العلمى للإقطاع ، فلم يكن لمالك الأرض من السلطة على الفلاحين قدْرٌ يقارَن بما كان لرجال الإقطاع فى التاريخ(١). وسنشرح هذا الموضوع عند الكلام عن قانون الإصلاح الزراعى .

ومن المآثر التى حققها عصر ما قبل ثورة ٢٣ يوليو معالجة الديون المصرية التى كانت تسمى الدين العام، والدين العام كان يحتوى على وجهين ، الوجه الأول الدين نفسه ، والوجه الثانى هو الإدارة التى كانت الدول الدائنة تمارس بها إشرافها على المالية المصرية لصالح هذا الدَّين ، وهذه الإدارة هى التى كانت تسمى « صندوق الدين » ، وقد استطاعت حكومة الوفد فى الفترات القصيرة التى تولت فيها الحكم أن تقضى على هاتين المشكلتين ؛ فقد دخلت عقب إلغاء الامتيازات فى مفاوضات انتهت بإلغاء صندوق الدين ، أما بالنسبة للدين نفسه فقد أصدرت حكومة الوفد مشروع قرض وطنى

---

(١) اقرأ عن الإقطاع كتاب النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور وأثر الفكر الإسلامى فيها للمؤلف .

سددت به هذا الدين ، وقضت بذلك على أثر خطير من آثار التدخل الأجنبي فى مصر .

ومن أبرز مزايا هذا العصر استصـــدار قانونى عقد العمل الفردى ونقابات العمال .

الحياة الاجتماعية :

أبرز انتشـــار التعليم والمجانية فى أكثر مراحله حقيقة هامة من الناحية الاجتماعية وهى كثرة الطبقة المتوسطة وقوتها ، كما أن هذه الطبقة برز الاهتمام بها بسبب كثرة المصانع والعمال ، وأدخلت حكومة الوفد الأخيرة مياه الشرب النقى للقرى ، وخففت الضريبة على صغار الملاك ، وكان لكل هذا صداه فى الحياة الاجتماعية .

* * *

وبينما كان المصريون يبرزون فى محيط الحياة الاجتماعية من جميع النواحى كان الأجانب يختفون ، فإن ريح الحرية لم تكن جواً مناسباً للأجانب ، فقد كان هؤلاء ينعمون بحماية المستعمر ، وبالامتيازات الأجنبية ، فلما اختفى هذا وذاك ، بدأ الأجانب يرحلون .

ولم يقف الأمر عند اختفاء الأجانب من محيط التجارة والصناعة لتقاعسهم عن دفع الضرائب ومنافسة النشاط المصرى الزاحف ، بل بدأ الأجانب يختفون كذلك من الوظائف والدواوين عقب تصريح ٢٨ فبراير وقيام البرلمان ، وكان دور سعد زغلول فى هذا المجال واسعاً ، ثم أكملت معاهدة ١٩٣٦ الشوط ، فبناء على هذه المعاهدة كان من الممكن إلغاء الوجود الأجنبى فى الجيش والشرطة والقضاء .

وهكذا نمت المصالح الاجتماعية المصرية على حساب المصالح الأجنبية ،

الحياة السياسية :

أخرنا الحديث عن الحياة السياسية ليستمر حديثنا عن حركة ٢٣ يوليو ، فمن الواضح أن هذه الحركة كانت نتيجة عامة للتحولات الكبيرة التي حدثت في المجال الثقافي والاقتصادي والاجتماعي ، وكانت نتيجة خاصة للتحولات التي حدثت في المجال السياسي :

كان المستعمر يمد نفوذه في كل مجال ، ولم يكن للخديوي أو للحكومة مع ممثل بريطانيا أي نفوذ ، فلما انكمش نفوذ المستعمر بتصريح ٢٨ فبراير ، وزاد انكماشا بمعاهدة ١٩٣٦ ظهر صراع مرير بين القصر ومعاونيه من جانب وبين السلطة الشعبية ممثلة في حزب الوفد من جانب آخر ، وكان القصر يريد أن يرث النفوذ الأجنبي ، ورأى ممثلو الشعب أنهم أصحاب الحق في السلطة ، وأن الملك يملك ولا يحكم ، ووَجَدَ الملك كثيرين من أعوان السوء يؤيدونه في موقفه الظالم ، واتخذ الجيشُ — كما ذكرنا من قبل — جانب الملك فرجحت كفته ، وأبعد ممثلو الشعب عن السلطة إلا قليلا ، وكانت الفترة من تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ إلى قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ مسرحا في الغالب لأحزاب الأقليات ، ولم يتول حزب الأغلبية الحكم إلا فترات قصيرة ؛ وكان أكثرها بدون رغبة الملك ، كما أوضحنا بدراسات إحصائية في الجزء الخامس من هذه الموسوعة .

على أن حزب الأغلبية كانت لديه دائما دراسات كاملة عن حالة مصر واحتياجاتها في الشئون المختلفة ؛ ولذلك كان عندما تسند له الأمور يسرع بالقيام بإصلاحات كبيرة في المجالات المختلفة ، وقد أشرنا آنفا إلى بعض هذه الإصلاحات كالتوسع في التعليم وتقرير المجانية في أكثر مراحله ، وصدور قانون الشركات ، وخفض الضريبة على صغار الملاك ؛ ووضع مشروع المجموعات الصحية ، واستصدار قانوني عقد العمل الفردي ونقابات العمال[1].

---

(١) محمد مصطفى عطا : مصر بين ثورتين

وآخر وزارة وفدية تولت الحكم كانت سنة ١٩٥٠ وقد جاءت إلى الحكم رغم إرادة الملك عقب كارثة فلسطين (١٩٤٨) وما أشيع حولها من تجارة الأسلحة الفاسدة التى كانت سبباً فى الهزيمة والتى كانت لصالح الملك وأعوانه من الخونة الذين أخذوا المال وخسروا كل شىء .

وقد بقيت حكومة الوفد هذه فى الحكم حوالى سنتين قامت خلالها بأجل الأعمال ، ومن ذلك :

أولا : نشر الحريات العامة واحترامها إلى أقصى حد ، وذلك بإلغاء الأحكام العرفية ، وإلغاء الرقابة على الصحف ، وقد استغل طلاب الجامعة هذه الفرصة ، فانطلقت المظاهرات تهتف بسقوط الملك ، وتمزق صورته ؛ كما انطلقت الصحف منددة ببعض المواقف الملكية ، ومن أجل هذا طالب القصر بإعادة فرض الأحكام العرفية ، ولكن وزارة الوفد رفضت ذلك تماما .

ثانيا : مواقف العدالة الاجتماعية : اتخذت حكومة الوفد إجراءات لتحقيق العدالة الاجتماعية تمثلت فى الآتى :

١ — ضرائب تصاعدية وصلت إلى نسبة مئوية كبيرة ، ووصلت فى ضرائب التركات إلى ٩٠ ٪ فى الفئات العالية .

٢ — مجانية التعليم ، وكانت مجانية التعليم الابتدائى قد قررتها حكومة الوفد سنة ١٩٤٢ وقررت حكومة الوفد مجانية التعليم الثانوى سنة ١٩٥٠ (لم تكن هناك مرحلة إعدادية) وتوسعت حكومة الوفد فى المجانية فى التعليم العالى ، وكانت تتجه لتحقيق المجانية الشاملة به .

٣ — عمل مشروع لتعميم مياه الشرب فى القرى خلال خمس سنوات .

٤ — مكافحة الغلاء وتحمل فروق الأسعار ، وإطلاق العلاوات الموقوفة ، وعمل كادر جديد للموظفين .

وقد اتُهمت حكومة الوفد بسبب هذا الاتجاه الاقتصادى بأنها حكومة

شيوعية ، وكان يُقصد بذلك إثارة الملك على الوفد ليعود كعادته إلى أحزاب الأقلية .

ثالثاً ، كانت الجبهة الوطنية قد عقدت معاهدة ١٩٣٦ ، وكانت هذه الجبهة برياسة النحاس باشا ، ولما جاءت إلى الحكم سنة ١٩٥٠ فاوضت الإنجليز لتعديل المعاهده بما يضمن خروج الإنجليز تماماً من مصر ، وبما يضمن الوحدة بين مصر والسودان ، ولما تعثرت المفاوضات بسبب السودان ألغت حكومه الوفد هذه المعاهدة فى أكتوبر سنة ١٩٥١ واتخذت إجراءات قويه لتنفيذ هذا الإلغاء ومن ذلك :

١ — إصدار تشريع بمعاقبة كل عامل يعمل فى القاعدة البريطانية ، وتعيين كل العمال المصريين فى الوزارات ودفع مرتباتهم .

٢ — منع السكك الحديدية من نقل حاجات الجيش البريطانى ، وكذلك منع النقل النهرى .

٣ — تشجيع حركة الفدائيين لاصطياد البريطانيين .

وبسبب ذلك ل أرسل الإنجليز يطلبون إيقاف حركة الفدائيين وذكروا أنهم مستعدون للعودة للمفاوضات بتيسير كبير ، ولكن أحداً لم يستجب لهم(١).

حريق القاهرة :

ولهذه المواقف لم يستطع الملك أن يقيل الوزارة الوفدية هذه المرة خوفاً من الجماهير التى زادت ارتباطاً بالوفد وحماسة له ، ومن أجل هذا اتفق الإنجليز مع الملك على حريق القاهرة ليكون ذلك صدمة يمكن أن تقال بسببها حكومة الوفد ، وقد لجأ الإنجليز إلى ذلك بعد أن فشلت معركة الإنجليز ضد البوليس فى ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ ، فقد أثبت البوليس المصرى قوة خارقة ، ووطنية

---

(١) أحمد حمروش : شهود ثورة يوليو ص ٢٩٥ — ٢٩٨ .

عظيمة، ووقف يدافع عن نفسه ببطولة رائعة ضد زحف الجيش الإنجليزى وسقط من المصريين ٧٠ جندياً وسقط من الإنجليز ٤٠ وهى نتيجة رائعة لصدام بين البوليس المصرى بأسلحته البسيطة ، وبين الجيش الإنجليزى بمعداته وأسلحته .

ولم يبق بعد ذلك إلا حريق القاهرة لإثارة الذعر والاضطراب حتى يمكن إقالة حكومة الوفد ، وكانت القاهرة تحترق والملك يعتقل كبار رجال الجيش فى مأدبة أقامها لهم فى القصر حتى لا يجد وزير الداخلية الوفدى ضباطاً يطلب منهم إنقاذ العاصمة من الدمار . وعلى حطام القاهرة أقال فاروق حزب الأغلبية .

ويثبت الأستاذ فؤاد سراج الدين حديثاً يرتبط بهذه الكارثة ننقله بحروفه، ونصه كالآتى :

أثناء محاكمة كريم ثابت أمام محكمة الغدر استدعت هيئة المحكمة حافظ عفيفى ليكون شاهد إثبات فقال : "إن الملك أبلغه إنه يريد التخلص من حكومة الوفد ، فقال حافظ عفيفى له إن المعركة الآن مع الإنجليز ولا بد من حدوث حاجة مهمة لإخراجهم . وعلّق أحد القضاة على ذلك قائلا : وأظن ياباشا وجدتم فى حريق القاهرة الحاجة المهمة (١) .

ويتضح من دراسة هذا الحدث الخطير أن تدبير الحرائق كان قد تمّ على مستوى عال ، فقد وجدت مضخة استعملت فى ضخ الغاز ثم إشعاله ليحترق المكان دفعة واحدة ، وقد أعطى ذلك انطباعاً بأن المسألة مدبرة تدبيراً دقيقاً وعلى مستوى عالٍ من الكفاءة(٢) .

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ٢٩٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٨ .

ونقتبس فيما يلى تحقيقاً يثبت اشتراك الملك والانجليز اشتراكاً فعلياً فى هذه الكارثة التى ألمت بعاصمتنا الحبيبة، ويثبت كذلك اشتراك ضباط الجيش والبوليس بموقفهم السلبى وخضوعهم للملك فى إتاحة الفرصة للكارثة أن تمتد وتتعاظم ، وهذا التحقيق من كلمات ضابط وثيق الصلة بالأحداث، يقول الأستاذ أحمد حمروش :

كانت قبضة الملك على السلطة قد ضعفت، وأهينت كرامته ، وهتف المتظاهرون بسقوطه ، واتخذت الحكومة الوفدية قرارات وإجراءات دستورية لم يُفلح فى مقاومتها إلا بالتآمر والتنسيق مع الاستعمار عن طريق تعيين حافظ عفيفى رئيساً للديوان ، ذلك الرجل الذى قالت عنه جريدة التايمز يوم تعيينه :

« أنه أول شعاع ضوء يبدد ظلام الجو الشامل فى مصر »

وتنفيذاً للمؤامرة الملكية الإنجليزية أقام الملك يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ مأدبة تضم ٦٠٠ ضابط من قيادات الجيش والبوليس فى اليوم والموعد المحدد لبدء الحريق وأبقاهم الملك فى القصر شبه محتجزين أمام موائد الطعام إلى ما بعد الثالثة مساء ولم يتركهم إلا بعد أن كانت الحرائق قد التهمت معظم الشوارع وسط القاهرة[1] .

وتعليقنا على هذا الحادث هو أنه إذا خان الملك والإنجليز مصر ، فكيف جاز لستمائة ضابط من قيادات الجيش والبوليس أن يقبلوا مثل هذه الدعوة وأن يجلسوا على موائد الطعام بعد ساعات معدودة من مذبحة البوليس المصرى فى الاسماعيلية التى قام بها الإنجليز فى اليوم السابق ؟ ومن الواضح أنها جريمة كبرى من هؤلاء أن يجتمعوا فى هذا الحفل والدماء هناك لم تجف بعد .

ثم إن ألسنة النيران بدأت تلتهم القاهره قبل أن يتوافد هؤلاء الخونة إلى

---

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ١٧٣ .

الأسر الملكى وإلى لذائذ الطعام ، ولاشك أن هؤلاء رأوا ذلك وسمعوا به ، ولكنهم آثروا الخيانة والطعام على أداء الواجب وحراسة الوطن، فعليهم لعنة الله والناس .

ليت الأستاذ أحمد حروش أو سواه من الضباط الذين لهم صلة بهذا الحادث ينشرون لنا أسماء هؤلاء الخونة الذين طاب لهم الطعام والعاصمة تحترق، إن نشر أسمائهم فى قائمة سوداء ، وما يترتب على ذلك من احتقار لهم وامتهان قد يخيف سواهم أن يشتركوا يوماً ما فى أى موقف عدائى من الشعب والبلاد .

وعن ارتباط الإنجليز والقصر والضباط بحريق القاهرة نذكر أن الأستاذ صلاح الشاهد (١) روى أن « سفرجياً » يعمل عند مسئول انجليزى اتصل به تليفونيا وأبلغه أن المسئول الانجليزى يجرى اتصالات لاسلكية لدفع حركة الحريق ، وقد تأكد صلاح الشاهد من هذا فاتصل بحسن صبحى مدير الأمن العام ليعمل احتياطاته ، فرد عليه هذا بأنه لايمكن عمل أى شىء لعدم وجود أى ضابط بوليس .

تحية لهذا السفرجى النبيل وعلى الخونة لعنة الله والناس .

ويروى صلاح الشاهد شيئاً رآه بعينه، فقد كان اليوزباشى عبدالهادى نجم الدين يقود بعض المتظاهرين من جنود البوليس ، وهؤلاء المتظاهرون هم الذين بدءوا التظاهر الذى انقلب تدميراً، وقد كوفئ هذا الضابط الذى كان عميلا للقصر بأن أصبح فى رتبة لواء ومديراً للأمن بمحافظة الغربية (٢) .

ومع هذا فقد حدث فى عدة مدن بالجمهورية حرائق أكثر بشاعة واتساعاً ، وكانت الخسارة فيها هائلة على الممتلكات والأموال ، وقد حدث ذلك فى ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ ، ولكن إقالةً لم تحدث لوزارة ممدوح سالم

---

(١) ذكرياتى فى عهدين ص ١٨٠ .
(٢) المرجع السابق ص ١٧٩ .

التى كانت موجودة أنذاك ، وبقيت فى دست الحكم مع أنه من المؤكد أن إهمالا قد حدث فأتاح الفرصة للغوغاء ليتصرفوا هذا التصرف الحقير .

وحسب الملك عندما حرق القاهرة أنه انتصر ، ولكنه كان يحفر قبره بيده ، فإن الأمور لم تستقر له بعد ذلك ، وكانت زفرات الناس أشد لهيباً من النيران التى ألتهمت العاصمة ، وكانت هذه الزفرات تسد عليه المسالك ، وتقطع ما تبقى من صلات بينه وبين الشعب .

وفى الشهور القليلة بين حريق القاهرة وثورة ٢٣ يوليو ، لم يستقر أحد فى رياسة الوزراء ، وتوالى عليها فى خلال هذه الشهور على ماهر ، ونجيب الهلالى ، وحسين سرى ، ونجيب الهلالى مرة أخرى ، وهيأ هذا الاضطراب إلى قفزة جديدة ، ودم جديد ، ظهر باسم القضاء على هذا الانحراف ، والثأر من الملك الظالم .

تكوينات الضباط الأحرار :

تكلمنا من قبل عن الجيش وعن موقفه حامياً للملك بأمر كبار الضباط فيه ، وكان الملك يعيش فى أحضان الانجليز وينفذ سياستهم ، ومعنى هذا أن الجيش كان يخضع للانجليز بطريق غير مباشر ، ومن أجل هذا تكونت جماعة « الضباط الأحرار » لمقاومة هذا الثالوث « الملك والإنجليز وقادة الجيش » وكانت حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ هى الشرارة التى بدأ منها اللهب ، ففى هذه الحرب اتضحت خيانة القصر والانجليز ، وبدأ هؤلاء الضباط يتمردون على القصر وعلى القادة الذين يسيرون فى ركابه ، وبذل الملك أقصى الجهد ليحافظ على استمرار ولاء الجيش له ، فعيّن اللواء محمد حيدر قائداً عاماً للقوات المسلحة ، وكان هذا أحد ضباط البوليس من ذوى الشهرة فى ضرب المتظاهرين خلال ثورة ١٩١٩ وكان قد تدرج فى المناصب حتى أصبح مديراً لمصلحة السجون (١) وفتح اختيار حيدر مرحلة جديدة فى إبعاد الضباط عن الملك ، كما قوّى من التشكيل الجديد .

---

(١) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ١٩ — ٢٠ ويذكر صلاح الشاهد عن حيدر أنه كان وهو برتبة (اليوزباشى) سوطا فى يد الانجليز المستعمرين وطالما تعرض الطلاب المتظاهرون لعسفه وطغيانه (انظر ذكرياتى فى عهدين ص ١٨)

ثم جاء حريق القاهرة الذى تحدثنا عنه من قبل ، واتضح منه أن حرق العاصمة الحبيبة كان مكيدة ملكية إنجليزية ، فزاد بُعد الضباط المخلصين عن الملك .

وأقيلت حكومة الوفد ، وتوقف الكفاح المسلح ضد الإنجليز ، الذى كانت حكومة الوفد تدّبره وتديره ، وتوقفت كذلك المفاوضات مع الإنجليز للجلاء ، وجاء عدد من الوزارات دون أن يكسب أى منها ثقة الشعب (١) .

وفى وسط هذه المشكلات جاءت قضية كانت بمثابة إعلان عن انفصال الجيش عن الملك ، ما هذه القضية ؟ إنها قصة انتخابات نادى ضباط الجيش .

قصة انتخابات نادى الضباط :

كانت انتخابات النادى تتم قبل ذلك دون أن يحس بها أحد من الشعب ، ولكنها فى سنة ١٩٥٢ كانت حادة عنيفة ، فقد رشح محمد نجيب نفسه لرياسة مجلس إدارة النادى ، وكان هذا من الضباط المناوئين للقصر ، ورشح معه ضباط يقول محمد نجيب عنهم إنهم كانوا من القيادات التقليدية ، وأصر الملك على ترشيح حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود لمنصب رئيس مجلس الإدارة ، ولكن الجمعية العامة للضباط قررت عدم الموافقة على ترشيح حسين سرى عامر لأنه من الحدود وهى لاتعتبر سلاحاً لأنها تضم ضباطاً من مختلف الأسلحة ، وجرت الانتخابات وأسفرت عن نجاح هائل لمحمد نجيب ؛ ونجح لعضوية مجلس الإدارة رشاد مهنا وزكريا محى الدين وحسن إبراهيم .

---

(١) المصدر السابق ص٢٩

وغضب الملك لهذه النتيجة ، فأصدر أمره فى ١٦ يوليو بحل مجلس إدارة النادى ، وتعيين مجلس مؤقت ، والعجيب أن على صبرى كان أحد أعضاء هذا المجلس المؤقت ، وهذا يرينا أن الكثيرين كانوا يستطيعون أن يجلسوا على عدة موائد ، فعلى صبرى هذا الذى كان حظيًّا عند الملك أصبح فى عهد عبد الناصر رئيس وزراء ثم الأمين العام للاتحاد الاشتراكى ، ونائب رئيس الجمهورية ، وعلى كل حال فقد كان موقف الجيش من إرادة الملك نوعاً من التحدى السافر ، وكان الملك يخاف أن يفقد سلطانه على الجيش ، وفى هذا كارثة له ، فحاول تعيين حسين سرى عامر وزيراً للحربية ليعزل العناصر المعادية للملك من الجيش ، وليعيد الجيش إلى الولاء للقصر ، وكانت هذه المحاولة من الملك سبباً فى التعجيل بالقيام بالثورة ، كما سنرى بعد قليل .

وعلى هذا ، كان تنظيم الضباط الأحرار يتجه بصراعة ضد الملك والإنجليز ، وكان جمال عبد الناصر وهو فى قمة هذا الجهاز يعلن هذا قبل الثورة ، استمع إليه يقول للبكباشى أحمد أنور « مهما كانت عقيدة الضباط الأحرار السياسية فإن أمامهم غرضاً واحداً ، هو إخراج الإنجليز ، وبعد تحقيق هذا الغرض يُصبح لكل منهم الحرية فى أن ينضم إلى الحزب الذى يراه »(١) وباسم هذا الاتجاه تجمع فى صفوف الضباط الأحرار أعداد من المنتمين إلى الأحزاب والهيئات المختلفة كحزب الوفد والحزب الاشتراكى والحزب اليسارى والإخوان المسلمين وغيرهم .

وإذا جاز لنا أن نعلق على هذا التصريح بشىء ، فإننا نتساءل : هل حقيقة أصبح للضباط بعد إخراج الانجليز الحرية فى أن ينضموا للأحزاب التى يرونها ؟ ؟

ليت هذه الوعود تحققت ولكن الحق أن الوعود عن الديمقراطية

---

(١) أحمد حمروش : شهود ثورة ٢٣ يوليو ص ٣٠ .

والدستور والانتخابات الحرة . . . . . . فى عهد عبد الناصر كانت مجموعة من الخداع ، فالوفاء بالوعد والعهد كان بعيداً عن خلق هذا الرجل .

وقد مارس الضباط الأحرار طبع منشورات بآرائهم وأهدافهم . ويقول أحمد فؤاد إن جمال عبد الناصر كان يكتب القليل منها ، وأن اليساريين كانوا يكتبون أكثرها ، ويضيف أنه هو الذى قدم الأهداف الستة لجمال عبد الناصر ، ونزل بها منشور (١)

وإذا عدنا للضباط الأحرار نجد أن تنظيمهم قد اكتمل نجاحه ، وأن أكثر الضباط الشبان كانوا ثائرين على الملك والإنجليز ، ولم يبق إلا تحديد الموعد للقيام بالثورة والتخلص من الملك ، ولبدء الصراع مع الإنجليز ، فحدث عامل مهم عجّل بالثورة ، فقد اتصل الصحفى الوفدى أحمد أبو الفتح من الاسكندرية يوم ٢٠ يوليو بصهره الصاغ ثروت عكاشة ، وطلب منه أن يبلغ جمال عبد الناصر — وكان صديقاً شخصياً لأحمد أبو الفتح — بأن الملك يعتزم تغيير الوزارة ، وإسناد رياستها إلى نجيب الهلالى وأن وزير الحربية فى الوزارة الجديدة هو اللواء حسين سرى عامر الذى يعرف الكثير عن الضباط الأحرار ، والذى سوف يكون أولُ ما يفعله بالتأكيد هو أن يقضى عليهم لكى يُثْبِتَ للملك قوته وولاءه(٢) ويذكر ثروت عكاشة أن أحمد أبو الفتح تعمّد فى أسلوب حديثه أن يشير تلميحاً إلى مدى الخطورة التى سوف تنزل بالضباط الأحرار إن لم يتحركوا بسرعة (٣) .

ونتيجة لذلك تم الاتفاق على أن تكون الثورة عند منتصف ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

ويخطر بالبال سؤال ، هو : من كان الرئيس لتنظيم الضباط الأحرار؟

---

(١) أحمد حمروش : شهود ثورة يوليو ص ٥٣ .
(٢) أنور السادات : البحث عن الذات ص ١٣٩
(٣) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ١٠١ .

ولا تكاد ولا توجد اجابة متفق عليها ، ويقول أنور السادات إنه كان رئيس التنظيم حتى قبض عليه فتولاه جمال عبد الناصر[١] ويرى محمد نجيب أن التنظيم كان في يده ويقرر أنه بعد حل مجلس إدارة النادى أصبح أمامنا ثلاثة طرق : الاحتجاج أو احتلال النادى بالقوة أو تجميع كبار الضباط واعتقالهم وفرض شروطنا على الملك ، وكان هذا الحل هو ما وافقت عليه وقررنا الأخذ به[٢] لكن الدراسات المختلفة تبرز أن عبد الناصر كان الرئيس الفعلى للتنظيم ، وقد انتخب رئيساً أكثر من مرة قبل الثورة . وكان يحرص على الرياسة كل الحرص ، ولذلك عندما انضم زكريا محي الدين للتنظيم وهو أقدم من جمال عبد الناصر ، انتحى هذا بحسن إبراهيم والبغدادى، وقال لهما إن الموضوع ليس موضوع أقدمية [٣].

* * *

وقبل أن نتحرك إلى قيام الثورة نضيف إضافة قصيرة عن العلاقة بين القصر وحزب الوفد ، فإن بعض الكتاب يوردون كلاماً عاماً قد يؤدى إلى طمس الحقائق والوهم ، فالأستاذ أحمد حمروش يذكر أن حريق القاهرة كان بداية انهيار النظام الملكى الذى كان قائماً بمؤسساته وأحزابه ومقوماته[٤] وقد يوهم هذا النص أن حزب الوفد كان ضمن الأحزاب الملكية ، وهو مالم يقل به أحد ، ولم يكن خافياً على رجال ثورة ٢٣ يوليو ، ويقول اللواء محمد نجيب فى وصف العلاقة بين الوفد والسراى : إنها كانت — كما كانت دائماً — صراعاً بين المحافظة على الحقوق الدستورية للشعب من جانب حكومة الوفد ، ومحاولة الاعتداء عليها من جانب السراى[٥] .

---

(١) البحث عن الذات ص ٣٤ .
(٢) كلمتى للتاريخ ص ٢٩ .
(٣) أحمد حمروش : شهود ثورة يوليو ص ٢٢٢ .
(٤) قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ٣١٧ .
(٥) كلمتى للتاريخ ص ٢٥ .

ويقرر أحمد أنور أحد الضباط الأحرار أنه التقى بفؤاد سراج الدين عندما كان وزيراً للداخلية لقاء استمر ثلاث ساعات ، وكان الحديث يجرى عن احتمال قيام ثورة ضد الملك ، ويقول أحمد أنور إننى حمدت لفؤاد سراج الدين فضل صمته كجميل . فقد كان ممكناً له بعد هذه المقابلة أن يضربنى ، وقد نقلت لجمال عبد الناصر ما دار فى هذه المقابلة ، وفهم جمال عبد الناصر من ذلك أن الوفد لن يكون معادياً للحركة (١) .

وإذا كان هذا هو موقف الوفد من القصر ومن الحركات التى كانت متوقعة للقيام ضد الملك ، فإن هناك موقفاً آخر يقابل ذلك الموقف ، ذلك هو موقف أحد رؤساء وزارات الأقلية (حسين سرى) فقد كتب عنه أحد وزرائه (مصطفى مرعى) يقول : إننى خفضت حكماً بالسجن على الدكتور أحمد شكرى من سبع سنوات إلى ثلاث سنوات بعد مراجعة قانونية بصفتى الوزير المسئول ، وقد وافق حسين سرى رئيس الوزواء على ذلك ثم اعترضت السراى ، فكشط رئيس الوزراء كلمة (أوافق) بالمطواة ، فصورت المستند ، ورفضت العمل مع رئيس متهم بالتزوير ، وكتبت له خطاب استقالة (٢) .

* * *

والآن نستطيع أن نخطو لدراسة جديدة ، فنتحدث عن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

---

(١) أحمد حروش شهود ثورة ٢٣ يوليو ص٣١ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٥٩ .

الباب الثانى

دراسات عن الثورة

قيام الثورة

تحدد موعد الثورة — كما ذكرنا آنفاً — ووضعت خطة الانقلاب على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : العمل على السيطرة على القوات المسلحة بالاستيلاء على مبنى القيادة العسكرية بمنطقة كوبرى القبة ، واعتقال كبار ضباط الجيش حتى لا يحرك هؤلاء قوات ضد الحركة ، ثم السيطرة على مداخل القاهرة ، ويقوم سلاح الطيران بالتحليق فوق القاهرة والاسكندرية لمنع الملك فاروق من الهرب ولمراقبة القوات البريطانية فى القناة ، وتتجه وحدات من المشاة للسيطرة على محطة الإذاعة وشبكة التليفونات ، ويبدأ ذلك فى منتصف الليل ٢٢ — ٢٣ يوليو :

المرحلة الثانية : السيطرة على الجهاز المدنى بتعيين وزارة مدنية تنال ثقة الشعب ، ويتضح ولاؤها للانقلاب .

المرحلة الثالثة : التخلص من الملك .

ويقول عبد اللطيف البغدادى : إن التخلص من الملك كان مرحلة سرية مخافة تدخل القوات البريطانية ، وهو شىء كنا نعمل بقدر استطاعاتنا على تفاديه وتجنبه[1].

تلك هى الخطة كما وضعت ولكن حدث شىء لم يكن متوقعاً ، وكان شديد الأهمية بالنسبة للحركة فإن البكباشى يوسف صديق سمع خطأ أن الحركة ستبدأ فى الساعه الحادية عشرة بدلا من منتصف الليل فتحرك بقواته بعد أن خطب فيهم قائلا « إنكم ستفخرون بما تعملون هذه الليلة » وسارت قواته من الهاكستيب (خلف مطار القاهرة الدولى) متجهة

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٥٠ — ٥١ بإيجاز .

نحو رئاسة الجيش عند كوبرى القبة ، وفى الطريق عرف أن السراى علمت بالتحرك وأن هناك اجتماعاً بمركز قيادة الجيش للقيام بعمل مضاد فأجاب ، أنها فرصة للقبض عليهم هناك .

واقتحم هذا البطل المكان وقبض عليهم ، ولولا تحركه المبكر لكان من الممكن أن يُصْدِر قادة الجيش أوامر بحركات مضادة قبل البدء فى حركة الانقلاب .

ويقول يوسف صديق : بعد الانتهاء من احتلال القيادة جاء أحد الجنود يبلغنى أن هناك ضابطاً يطلب مقابلتى اسمه جمال عبد الناصر ، ودخل هو وعبد الحكيم عامر ، ثم توافد الضباط الآخرون بعد ذلك عندما بدأت القوات والوحدات الأخرى تتحرك(١).

ويقول محمد نجيب : إنه كان ساهراً قلقاً على نجاح الخطة ، وكان ينتظر فى البيت تبعاً للخطة الموضوعة ، فلما نجحت المرحلة الأولى اتصل به جمال حماد من القيادة العامة وهنأه بنجاح الحركة ، وقال : إنه سيرسل له ثلاث عربات مدرعة لإحضاره ، ولكن محمد نجيب قال له إنه سيحضر بعربته الخاصة توفيراً للوقت ، وعند كوبرى القبة تلقاه الضباط فرحين وركب عربة جيب دخل بها مركز القيادة(٢) .

صوت الثورة :

ومع إشراقة الصبح فى الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ م كانت البلاد تهتز فى فرحة هائلة للوثبة التى قام بها الجيش المصرى ليضع حداً لفساد الملك ، وانطلق البيان الأول فى الإذاعة والصحافة بتوقيع اللواء أركان حرب محمد نجيب وصوت أنور السادات ، وإذا كان جمهور الناس لم يعرفوا فى اللحظات الأولى صاحب الصوت الذى حمل لهم هذه البشرى

---

(١) أحمد حمروش : شهود ثورة يوليو ص ٤٧٦ . ٤٨٠ بإيجاز

(٢) كلمتى للتاريخ : ص ٣٤ .

فإن الغالبية الساحقة من الشعب كانت تعرف اللواء أركان حرب محمد نجيب الذى لم يكن آنذاك غريباً عن الناس ، والذى كان عنصراً مشرفاً فى الجيش ولدى المثقفين ، والذى كانت وقفته بالنادى ضد الملك على كل لسان .

وكان البيان الأول يظهر فيه التحدى للملك والانضواء تحت راية الشعب ؛ والعمل على تحقيق الآمال التى كان يعبث بها الملك ومعاونوه ، وكان البيان الأول يعلن النقاط الست وهى :

- القضاء على الاستعمار وأعوانه .
- القضاء على الإقطاع .
- القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم .
- إقامة عدالة اجتماعية .
- إقامة جيش وطنى قوى .
- إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وسمع الشعب المصرى مع مطلع الصبح هذه الصيحة الحبيبة التى كان الناس فى مصر يتمنونها ، سمعوها فخفقت قلوبهم بالفرح والبشر ، وتركت كلمات البيان الأول سروراً هائلا فى كل بيت وكل شارع وكل منتدى ، وسرعان ماأخذ الناس يهنىء بعضهم بعضاً بالتقاء الجيش مع الشعب على طريق الأمل والبناء وقد شاهدتُ هذه المظاهر بنفسى وأسهمت فيهابالهتاف والدعاء .

وتدفقت الوفود إلى كل مكان فيه ضابط أو جندى من رجال الجيش ، وانهالت برقيات التأييد من كل إتجاه ، ويقول محمد نجيب : أردت أن ألمس أثر الحركة فى نفوس الجماهير ، فنزلت إلى الشارع ، واهتز قلبى فرحاً بما رأيت ، فقد رأيت الجماهير تهتف وتصفق ، فأحسست بالكثير من الاطمئنان مما جعلنى أبتهل إلى الله أن يجعل هذه الحركة لخير الشعب الذى طال به الذل والحرمان(١).

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ٣٥

وتحقق بذلك نجاح المرحلة الأولى من المراحل الثلاث لخطة الانقلاب ، وكانت هذه المرحلة أخطر المراحل كما ذكرنا من قبل .

ومن الحق علينا هنا أن نذكر أن جامعة الاسكندرية كانت من أسبق من أيد الثورة ، فقد كانت أول برقية تلقتها الثورة وافدة صباح ٢٣ يوليو من الدكتور رشوان فهمى المدرس بكلية طب الاسكندرية ؛ وكانت تحمل تأييده وتأييد أعضاء هيئة التدريس للحركة ، ولكن الدكتور رشوان أدرك انحراف عبد الناصر بالثورة يوماً بعد يوم فانتقد تصرفاته ، وكان من نتائج ذلك أن أصدر جمال عبد الناصر قراراً جمهورياً فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٦ بفصله من العضوية العاملة بالاتحاد الاشتراكى ، وبالتالى أبعد عن المؤسسات التى كان من الضرورى أن يكون المشترك فيها عضواً بهذا الاتحاد ، وفى نفس اليوم أصدر عبد الناصر قراراً آخر بفصله من الخدمة وفرض الحراسة عليه (١).

وقبل أن نخطو نحو المرحلة الثانية وهى تعيين رئيس للوزراء يكون ولاؤه للحركة وللمرحلة الثالثة وهى طرد الملك ، ينبغى أن نقف وقفة مع عامل مهم من عوامل نجاح المرحلة الأولى وهو وجود محمد نجيب قائداً لحركة الجيش .

محمد نجيب وضرورته لنجاح الثورة

يتساءل كثير من الناس : هل كان من الممكن أن تظهر الثورة فى هذا الموعد بدون محمد نجيب ؟

يقول الدكتور ابراهيم عبده(٢) . « لاشك أن الثورة ما كان لها أن تتم قبل عشر سنوات لو لم يكن محمد نجيب قائداً لها ، فبدون محمد نجيب كان لابد من الانتظار عشر سنوات حتى يصل واحد من الشبان الثائرين إلى

---

(١) سامى جوهر : الصامتون يتكلمون ص ١٨٢ و ١٨٦

(٢) الوسواس الخناس ص ٨٠

رتبة عالية فى الجيش ، وإلى مكانة مرموقة ، وصيت مشرف بين الضباط ، ولو غامر الثوار بدون محمد نجيب فى هذه الليلة ما أنصت لهم أحد ، ولربما دارت معارك رهيبة بين فرق الجيش ، لأن حداثة سنهم كانت ستدفع الطبيعة البشرية لتلعب دورها بالغيرة والحسد فيما بينهم ، وكل ذلك كان من شأنه أن يمضى بالثورة إلى فشل محقق » .

ولقد كان هناك بلا شك مجموعة من الضباط الأحرار الذين يعملون للثورة فى الخفاء ، وقد هبّ هؤلاء لتنفيذ خطتهم ، ولكن اسم محمد نجيب والهالة التى كانت حوله ضمنت النجاح للخطة ، فإن كثيرين اشتركوا بقوة فى دعم الثورة فى أحرج أوقاتها لاطمئنانهم إلى قيادتها مع أنهم لم يكونوا ضمن الضباط الأحرار ، ومن هؤلاء يوسف صديق الذى كان يقود الكتيبة رقم ١٣ والتى يقول عنها محمد حسنين هيكل(١) : أنها قبضت على عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ثم تعرّف عليهما يوسف صديق وأفرج عنهما ، وأن يوسف صديق ضُمّ إلى مجلس قيادة الثورة بسبب هذا الموقف منه ومن كتيبته .

وقد بقيت مع محمد نجيب قوة هائلة من الجيش أعادته إلى السلطة بعد أن أقيل فى فبراير سنه ١٩٥٤ وسنرى ذلك مفصلا فيما بعد ، ولكنا هنا نقول إن تجمعاً كبيراً من الجيش كان يحيط بالرجل الذى وقّع إعلان الثورة : باللواء محمد نجيب .

ومن ناحية أخرى فإن أخوف ما كان يخافه الثوار هو أن يتدخل الإنجليز(٢) ولكن كان واضحاً أن اسم محمد نجيب يعنى وحدة الجيش ، فهو الذى اختاره ضباط الجيش بالأمس رئيساً لناديهم ، ولم يكن الانجليز يستطيعون مصارعة الجيش والشعب ، فقد كان الشعب ثائراً ثورة عارمة

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ٢٥ — ٣٦

(٢) هكذا يقرر حسنين هيكل فى كتابه السابق ص ٢٠

ضدهم منذ ألغى زعيم الشعب المعاهدة سنة ١٩٥١ ، وكان الملك فى جانب الإنجليز مؤيداً بزعماء الجيش ، فإذا تحول الجيش عنه وانضم للشعب فإن الإنجليز يترددون طويلا فى مقاومة هذه الثورة ، ولولا محمد نجيب لكان من الممكن ألا تستجيب فرقة من فرق الجيش لاتجاه الثورة ، وينتهز القصر والإنجليز هذه الفرقة للتدخل .

وهكذا كان الأمل كبيراً فى نجاح الثورة على هذا الوضع ، ومع هذا فينبغى أن نقرر ما ذكرناه فى كتابنا « مصر فى حربين » من أن محمد نجيب وأنور السادات هما اللذان كانا يمكن أن يقادا إلى المقصلة لو فشلت هذه الثورة ، فلم يكن قد برز من قادة الثورة سواهما ، ونجحت الثورة نجاحاً سريعاً ، فالشعب صفق لها وأيدها ، ووحدات الجيش فى كل مكان أبرقت بالتأييد للاعتبارات التى أسلفنا ذكرها . . .

الثورة تختار رئيساً للوزراء

ولنعد الآن لندرس المرحلتين الثانية والثالثة ، ويقول أنور السادات إننا بعد أن رأينا الجماهير تلتف حول دباباتنا فى كل مكان وهى ترقص وتغنى ، اتجهنا لاختيار رجل يصبح رئيسا للوزراء ، وبعد مناقشة قصيرة استقر الرأى على اختيار على ماهر لبعده عن الأحزاب ولأنه معروف بالحسم(١) .

وقد اتجه الجيش بعد نجاح المرحلة الأولى لإيهام الملك ألا شىء ضده فقدم محمد نجيب طلبات الجيش إلى نجيب الهلالى وهى :

١ — تكليف على ماهر بتشكيل الوزارة .

٢ — تعيين محمد نجيب قائداً عاماً للقوات المسلحة

---

(١) البحث عن الذات ص ١٤٤

٣ — طرد محمد حسن وحلمى حسين وانطوان بوللى من حاشية الملك(١) وخدع الملك بهذه المطالب فاستجاب لها ، ونجحت بذلك المرحلة الثانية ، ويقول Goarge Haddad إن فاروق طلب من كافرى أن يتصل بالقوات البريطانية بقناة السويس للتدخل لحماية الملك ، ولكن كافرى رفض ذلك ووعد بحماية حياة الملك(٢) .

التخلص من الملك :

فى خلال فترة تشكيل الوزارة أخذت قوات الجيش تتدفق على الاسكندرية وانزعج الملك وعلى ماهر لهذا ، وتساءل على ماهر عن سبب ذلك فأجيب : إنها دواعى الأمن ؛ وبخاصة أن بالاسكندرية عدداً كبيراً من الأجانب .

وفى الساعة التاسعة صباح يوم ٢٦ يوليو ذهب محمد نجيب وأنور السادات إلى بولكلى بالاسكندرية والتقيا بعلى ماهر ، وقدما لعلى ماهر انذاراً ليقدمه إلى الملك ، وفيه طلب الثوار أن يتنازل الملك عن الملك لابنه ؛ وأن يغادر الأراضى المصرية فى الساعة السادسة من نفس اليوم، فإن لم يفعل فإن عليه أن يتحمل المسئولية كاملة ، وحمل على ماهر الإنذار للملك الذى قبله ، وكتبت وثيقة التنازل لابنه الطفل أحمد المولود فى يناير من نفس العام ، ووقع الملك وثيقة التنازل ، ورحل على الباخرة المصرية المحروسة إلى إيطاليا على أن تعود الباخرة عقب الانتهاء من مهمتها .

وانتهت بذلك مراحل الثورة الثلاث بنجاح عظيم .

* * *

لقد كان الملك والانجليز أخطر وأهم خصوم السلطة الجديده (٣) ،

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ٣٥ .

(٢) Revolutions and Military Rule in the Middle Eos tval 3 p. 23

(٣) دكتور بيليايف ودكتور بريماكوف : مصر فى عهد عبد الناصر ص ٢٢٩

وقد خرج الملك ، وتضاءل سلطان الانجليز أمام التجمع الهائل للجيش والشعب كما ذكرنا من قبل بقيادة محمد نجيب الذى كان ولاء الجيش والشعب له واضحاً ، وقد عانى الانجليز شر عناء من حركات الفدائيين أمام حكومة الوفد فكيف يستطيعون مواجهة الجيش والشعب ؟ إن ذلك سيكون مغامرة داخلية ودولية خطيرة ، وبخاصة أن اسم أمريكا بدا فى كل الخطوات مرتبطاً بالثوار ، ولهذا تحقق النصر فى هذا الميدان فلم تستطع القوات البريطانية ولا السياسة البريطانية أن تتدخل ، لقد كان الملك وسيلة تدخل الانجليز فإذا كان الملك قد اختفى فبأية وسيلة يتدخل هؤلاء ؟

مجلس الوصاية ورشاد مهنا :

وبخروج الملك بدأ فراغ جديد كان لابد من ملئه وذلك بتكوين مجلس وصاية على الملك الطفل الذى تنازل له فاروق ، وتكوينُ مجلس وصاية أبْـرَزَ مطلع الانحراف وما يمكن أن يسمى « الطبخ » فبناء على الأمر الملكى رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٢ يتكون مجلس وصاية من ثلاثة أعضاء على أن يكونوا من الأسرة المالكة أو من الوزراء السابقين ، وقد اختير لذلك الأمير محمد عبد المنعم والدكتور بهى الدين بركات باشا : ثم رؤى التخلص من القائمقام رشاد مهنا لرتبته العالية ، ولأنه كما يقول عبد اللطيف البغدادى كان معروفاً بطموحه وله شعبيته بين زملائه ضباط سلاح المدفعية ، ولما كانت الشروط غير متوافرة فيه ، فقد احتيل على القانون بتعيينه وزيراً للمواصلات مدة يوم واحد ثم نقل ليكون عضواً بلجنة الوصاية على العرش (١)

ولم يهنأ رشاد مهنا بمكانته ، فقد تدخل فى الأمور كأنه ملك يملك ويحكم على حد قول عبد اللطيف البغدادى ، وانتهز مجلس قيادة الثورة هذه الفرصة فأصدر فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٢ قراراً بفصله وتحديد إقامته .

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٦٥

وواجه مجلس قيادة الثورة مشكلة مجلس الوصاية من جديد ، وبخاصة أن بهى الدين بركات استقال من العضوية ، وظهر اقتراح بتعديل الأمر الملكى السابق ليمكن أن يكون هناك وصى واحد على العرش ، فقُبِل هذا الاقتراح وصدر قرار بالتعديل ، وأصبح الأمير محمد عبد المنعم هو الوصى الوحيد على العرش .

وقبل أن نترك رشاد مهنا نذكر أمرين خطيرين يتصلان به .

الأمر الأول ـ أن تعيينه فى لجنة الوصاية على العرش فتح الباب للضباط ليوضعوا فى المناصب الوثيرة ، يقول محمد نجيب : أن تعيين رشاد مهنا فى منصب كبير خارج الجيش كان فاتحة لتعيين ١٨ من اللواءات وكبار الضباط فى مناصب مماثلة أو قريبة ، وكانت وظائف السفراء من الوظائف التى دفع لها هؤلاء(١) .

الأمر الثانى . إن حركةً قامت فى سلاح المدفعية عقب عزل رشاد مهنا وتحديد إقامته ، وقد استدعى ذلك إلقاء القبض على عدد من ضباط هذا السلاح وعلى رشاد مهنا فى ١٥ يناير سنة ١٩٥٣ ومحاكمتهم أمام مجلس الثورة ، وكان الاتجاه يميل إلى الحكم على رشاد مهنا بالإعدام ، وبعد مداولات صدر الحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، كما صدرت عقوبات مختلفة على الضباط الآخرين(٢) .

* * *

وننتقل إلى نقطة مهمة نختم بها حديثنا عن الملك وعزله وهى مقتبسة عن محمد حسنين هيكل نقلا عن جمال عبد الناصر والنقطة هى : هل كان إخراج الملك مقصوداً لذاته ؟ أو أن المقصود كان الإصلاح بإخراج الملك الذى كان عقبة فى طريق الإصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى ؟

لقد أجاب عبد الناصر نفسه عن هذا التساؤل عندما رأى صور الانحراف التى امتلأ بها عهده فقال : إذا كان ذلك يمكن أن يحدث فى عهد الثورة

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ٤٧

(٢) مذكرات البغدادى ص ٧٣

فالأشرف والله « نفضُّها » ونعود إلى بيوتنا ، والله يصبح عهد فاروق أحسن(١) وتلك شهادة ذات بال . ويقول الأستاذ أحمد أبو الفتح فى إحدى مقالاته : إن فرحتى بعزل الملك كانت كل أسبابها مستمدة من أن فى زواله تمكينا للحياة الدستورية واسترداد الشعب حقوقه . . ولكن عزل الملك لم يُعِدْ الحياة الدستورية ولم يعد للشعب حقوقه .

بعد إتمام المراحل :

نجحت المراحل الثلاث فى الأيام الثلاثة الأولى ؛ فقد سيطر الجيش على كل المرافق ، وتلقى تأييداً شاملا من الشعب ، ولم يتدخل الإنجليز ، وأُلِّفت وزارة مدنية برأى الجيش ، وخرج الملك ، وبذلك زالت كل الصعوبات ، وعاد الهدوء والاطمئنان لقادة الحركة ، فماذا فعلوا بعد ذلك ؟ الإجابة يقدمها عبد اللطيف البغدادى بقوله(٢) : كانت مشكلتنا أننا لم نكن قد أعددنا لأنفسنا برنامجَ عمل قبل قيام الثورة ، خشية أن إعداد مثل هذا البرنامج ربما يترتب عليه خلافات حول تفصيلاته مما يتسبب عنه فُرْقةٌ بيننا . . . .

ومن أجل هذا كان التخبط الذى حصل عقب نجاح الثورة ، التخبط الذى سنراه : دستور أو لا دستور ، أحزاب أو لاأحزاب ، ديمقراطية أو ديكتاتورية ... وقد وصف الأستاذ أنيس منصور(٣) هذا الوضع بقوله : الثورة بلا صيغة فكرية حركة عمياء .

ولكن هناك شيئا مهما لم يغفل عنه قادة الثورة ، ذلك هو فصل كل الضباط من رتبة اللواء فما فوقها فيما عدا محمد نجيب الذى ترك ردحا من الزمن ، ثم إحالة عدد كبير من رتبة القائمقام والأميرالاى إلى المعاش أو نقلهم إلى وظائف مدنية بعيدة عن تخصصهم ، وبهذا فقد الجيش قادة لهم مكانتهم فى التدريب العسكرى ، ووضعوا فى مصالح مدنية ليست لهم فيها خبرة ، فكان الضرر مزدوجا(٤) .

---

(١) حسنين هيكل : لمصر لا لعبد الناصر ص ٤٦ ـ ٤٧

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٦٣

(٣) مجلة أكتوبر العدد ١١٨ ص ٩

(٤) مذكرات البغدادى ص ٦٤ وشهود ثورة يوليو ص ٤٣٣

الأمريكان والثورة

إذا صح أن الثوار كانوا على صلة بأمريكا قبل الثورة ليستعينوا بها على نجاح أهدافهم الوطنية ، فإنى لا أرى فى ذلك بأساً ، فقد كان الاحتلال البريطانى جاثماً على البلاد ، وكان غاضباً بسبب أعمال الفدائيين بعد إلغاء المعاهدة ، ومن هنا كان يتربص الوسائل لضرب الحركة الوطنية سواء أكانت بإدارة الوفد أو بإدارة الضباط الأحرار ، وعلى هذا فقد كان من الحكمة أن تتحصن الثورة ضد أى تدخل ممكن من القوات البريطانية .

وعلى هذا فدراستنا عن مدى العلاقة بين الأمريكان والثورة ليس للنقد بل لمحاولة إيضاح حقيقة تاريخية ، ولكن عدم النقد هذا مشروط بشرط حاسم هو ألا تكون العلاقة مع أمريكا على حساب الديمقراطية وحقوق الشعب ، وألا تنقلنا هذه العلاقة من سيد إلى سيد ، من التبعية لبريطانيا إلى التبعية لأمريكا ، فإذا لوحظ ذلك كانت علاقة مشبوهة جديرة بالرفض .

والثابت تاريخياً أن الثورة قبل أن تقوم اتجهت لإرضاء أمريكا ، ويقول خالد محى الدين : إن الحذر من إغضاب الأمريكان بدأ من مارس سنة ١٩٥٢ م عندما بدأت تثور مناقشات حول استخدام التعبير « الاستعمار الأنجلو أمريكى » فى المنشورات ، والرغبة فى قصر الحديث على الاستعمار البريطانى[١] .

وبدأت الصلة بين رجال الثورة والمسئولين الأمريكان منذ اللحظة الأولى للثورة ، ويقول محمد نجيب[٢] : فى صبيحة ٢٣ يوليو أبلغتُ السفارة الأمريكية بواسطة على صبرى ضابط مخابرات الطيران آنذاك أن الحركة

---

(١) أحمد حمروش : شهود ثورة يوليو ص ١٥٠ :

(٢) كلمتى للتاريخ : ص ٨٤ .

لا تستهدف التعرض للأجانب ، وكان على صبرى له صلة صداقة بالملحق الجوى الأمريكى (إيفانز) .

ويذكر عبد اللطيف البغدادى مزيداً من التفصيل عن هذه النقطة ، فيقول : إن هذه الرسالة أبلغت للسفير الأمريكى ليبلغها للسفارة البريطانية ، وأضيف لهذه الرسالة أن الحركة ترمى إلى مطالبة السلطات المصرية ببعض المطالب الخاصة ، وأن أى تدخل من القوات البريطانية سيدفعنا للتصدى لها ، وأبرزتْ الرسالة أن هناك منظمات وهيئات شعبية ستشترك مع الثورة فى هذا التصدى(١) .

وهذا القول يوضح نقطتين مهمتين :

١ — التبكير بالاتصال بأمريكا .

٢ — تخويف السلطات البريطانية بالمنظمات والهيئات الشعبية ، تلك التى أقضت مضجع القوات البريطانية عقب إلغاء المعاهدة ، وهى أيضاً تلك التى بذلت الثورة أقصى الجهد وأقصى العنت للقضاء عليها .

وبعد ساعات من قيام الثورة ظهر برهان جديد على تعلق الثورة بأمريكا ، فقد اقتُرِح الدكتور عبد الرزاق السنهورى ليكون رئيساً للوزراء ، ولكن على صبرى همس بكلمة فى أذن جمال سالم فانطلق هذا يقول : إنه يجل السنهورى . . . . ولكن الأمريكان سوف يعترضون على الترشيح ، لأن بعض الصحف الغربية نسبت إليه ميولا يساريه عندما وقّع على نداء للسلام .. وكان هذا سبباً كافياً للعدول عن ترشيح الدكتور السنهورى(٢)

واستمرت صلة الأمريكان بواسطة مخابراتهم بجمال عبد الناصر وبعدد من أعضاء مجلس القيادة ، ويذكر محمد نجيب أنه عارض هذا الاتجاه ،

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٥٦ .
(٢) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٥١ — ٥٢ .

ولكن معارضته لم تمنع مداومة الاتصالات السرية وزيادتها ، وقد رأى مرة كيرمت روزفلت فى مكتب جمال عبد الناصر بمجلس قيادة الثورة ، وحذّر من وجود علاقة بين أعضاء مجلس القيادة وبين المخابرات الأمريكية ولكن العلاقة ظلت قائمة (١) .

ويذكر الضابط محمد أبو نار الذى كان مديراً لمكتب صلاح سالم أن زيارة هذا للجنوب السـودانى أسهم فى ترتيبها السفير الأمريكى كافرى، وضابط الاتصال سوينى(٢) .

وهناك حديث يتصل بالبطل يوسف صديق ، وهو يوضح شدة اهتمام رجال الثورة بإرضاء أمريكا ولو على حساب الاتجاهات الوطنية ؛ فقد حاول يوسف صديق القيـام بحركة تجميع للإخوان المسلمين والشيوعيين ليعملوا جبهة واحدة مع الثورة وبخاصة فى الجامعة ، وفوجىء يوسف صديق بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يحضران لمنزله فى منتصف الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ليبلغاه **أن السفارة الأمريكية لم تنم قلقا من اتحاد جبهة الطلاب فى الجامعة** ، وخطب يوسف صديق مرة فى بنى سويف فقال : إن الثورة لا شرقية ولا غربية ولكنها مصرية ، وحضر له جمال عبد الناصر ليلتها متسائلا : « انت عملت إيه فى بنى سويف ؟ ؟ السفارةالأمريكية متضايقة » . ولم يسمح للإذاعة بإذاعة الخطاب ، وكانت قد سجلته حين إلقائه . وكان هذا من الأسباب التى جعلت يوسف صديق يحس — كما قال — أن هناك اتجاهاً معادياً للديمقراطية يستحيل توفيق الآراء معه فاعتزل(٣) .

واستمراراً للاتجاه المعادى للديمقراطية الذى كانت أمريكا تتبناه نشرت

---

(١) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٨٤ — ٨٥ .
(٢) شهود ثورة يوليو ص ٣٨١ .
(٣) شهود ثورة يوليو ص ٤٨٢ — ٤٨٣ .

صحيفة الأخبار النص التالى : عند ما احتدم النزاع فى مارس سنة ١٩٥٤ بين الرئيس محمد نجيب وجمال عبد الناصر حول نظام الحكم ، وكان محمد نجيب يطالب بالحكم الديمقراطى سارعت المخابرات الأمريكية وبتشجيع من السياسة الأمريكية إلى مساندة عبد الناصر ليضرب الدعوة للديمقراطية »[1].

وهذا يدل على تأييد ما سبق أن ذكرناه من أن المخابرات الأمريكية كانت على صلة وثيقة بجمال عبد الناصر ، وعلى أن الأمريكان الذين يحبون الديمقراطية فى بلادهم يسعون لقتل الديمقرطية فى الشرق ، ويحبون أن يحكموا الشعوب بالحديد والنار .

ومن أجل هذه الاتجاهات هاجم أحمد حسين الثورة وقال : إنها تسير فى ركاب أمريكا . وقد دفع ثمن ذلك ضربا قاسيا ، ونزل به تعذيب شديد حتى وصل إلى حالة سيئة جداً ، كما قال ذلك محمد رياض ياور محمد نجيب[2] .

---

(١) الأخبار فى ١٩٧٩/١/٢٨م .
(٢) شهود ثورة يوليو ص ٤٠٥ .

ثورة أو انقلاب ؟

ماذا نسمى ما حدث فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ؟

هل كان ثورة أو انقلاباً ؟

فى اعتقادى أننا فى حاجة لتعريف كل من هذين النوعين لنستطيع أن نرى ما يناسب هذا التصرف الذى حدث فى ٢٣ يوليو .

يقول محمد حسنين هيكل : إن الثورة فى معناها الحقيقى نقل الثروة والسلطة إلى أوسع الجماهير[١] . ولكن هذا التعريف يشرح نتيجة الثورة وليس تحركها ، ولكى نقدم تعريفاً دقيقاً للثورة نذكر التعريف الدقيق لها وهو الذى يشرح الفرق بين الثورة والانقلاب وهو : الثورة يقوم بها الشعب نفسه ، ولكن الانقلاب يقوم به بعض رجال الحكم من الوزراء أو الجيش[٢] .

وطبيعى أن الشعب يقوم بالثورة ليسترد حقوقاً سلبها الطغاة فإذا نجحت الثورة انتقلت للشعب الثروة والسلطة كما يقول هيكل ، وقد عرفت مصر مجموعة من الثورات (الشعبية) أشرنا لها من قبل ، وكان فى قمتها ثورة ١٩١٩ التى قامت بها الجماهير فى كل مدينة وقرية لا فرق بين غنى وفقير ؛ ولا بين رجل وامرأة .

أما الانقلاب فتقوم به جماعة من أصحاب السلطة ضد جماعة أخرى ، وبنجاحه تأخذ الجماعة التى قامت بالانقلاب ما كان فى أيدى الجماعة الأولى ، ولا ينال الشعب إلا الفتات .

فى ضوء هذا التعريف يكون من الواضح أن ما حدث يوم ٢٣ يوليو

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٢٠ .

(٢) انظر الموسوعة العربية ص ٥٨٣ .

هو انقلاب لأن مجموعة من رجال الجيش قامت به ضد مجموعة أخرى وضد السلطات الأخرى ، ولعله بسبب ذلك يطلق عبد اللطيف البغدادى على ما حدث أنه انقلاب[1] كما أن الكاتبين الروسيين بيليابيف وبيريماكوف يصفانه دائماً بأنه انقلاب [2] .

ولكن شيئاً طرأ على الوضع صبيحة الثالث والعشرين من يوليو ذلك أن الشعب أسعده أن يهب الجيش ضد الملك وينضم لصفوف الشعب ضد عدو الشعب ، كما سعد الشعب بالمبادىء التى أعلنها القائمون بالانقلاب لأن هذه المبادىء كانت تعبر عن آمال الشعب وأهدافه ، وقد اشترك فى تأييد هذه الحركة كل الزعماء وأساتذة الجامعات ورجال القانون والعمال والفلاحون وجميع طبقات الشعب ، وبهذا أصبح الانقلاب ثورة .

وقد حاول أحمد عرابى عندما قام بحركته أن يكسبها طابع الثورة فأخذ يجمع توقيعات من الشعب ليعلن أنه يتحدث باسمهم .

ثم طرأ شىء آخر على الوضع بعد نجاح الثورة ، ذلك أن قادة الثورة بعد أن تأكدوا من نجاح حركتهم ، وطردوا الملك تمسكوا بالسلطة وآثروا أنفسهم بقصور الملك ، وجواهر القصور ، وأداروا ظهورهم إلى الوعود التى أعلنوها عن الديمقراطية والدستور وإقامة العدالة الاجتماعية ، فعادت إلى الحركة صفة الانقلاب والاستيلاء على حقوق الشعب .

وتمشياً مع هذه التفسيرات والشروح القانونية اتجه بعض القانونيين إلى أن الثورة قد انتهت عندما حققت التغيير الذى أحدثته[3] ويقول أنور السادات فى ذلك[4] : إننا لم نعد أنفسنا عند القيام بالثورة لتولى الحكم ، كانت أقصى

---

(١) انظر مذكرات البغدادى ص ٦٢ و ٦٣ .
(٢) مصر فى عهد عبد الناصر ص ٥ ، ٣٢ .
(٣) حسنين هيكل « بصراحة عن عبد الناصر ص ٤٣ .
(٤) البحث عن الذات ص ١٩٢ .

أمانينا أن تنجح الثورة ، وأن تقوم فى مصر حياة ديمقراطية . . . أما نحن كجيش فنجلس فى الخلفية نراقب سير الأمور إلى أن تصل البلاد إلى بر الأمان ، وتؤصل الحرية والاستقلال فلا ملك ولا مستعمر بعد الآن .

ذلك قول نوافق عليه تماما ، ولكنا لا نوافق على كلمات أخرى وردت فى هذه الفقرة ، وهذه الكلمات تقول : « أن يتولى زمام البلد طاقم جديد يختلف عن الطاقم القديم » فإن الديمقواطية ترفض ذلك لأن الاختيار التام للشعب ، يختار القديم أو الجديد بدون وصاية من أحد ، وبدون أن يفرض أحد عليه ذلك ، وكان هذا هو الفرق الكبير بين الثورة الحقيقية وبين أى نظام يدعى أنه ثورة .

ولجأ إلى الاتجاه الصحيح بطل الزحف المبكر ليلة ٢٣ يوليو وهو يوسف صديق ، فقد أرسل برقية إلى الرئيس نجيب خلال أزمة مارس التى سنعرض لها فى حينها ، واقترح فى البرقية تأليف وزارة ائتلافية انتقالية من الوفد والإخوان والاشتراكيين والشيوعيين برياسة الدكتور وحيد رأفت لإجراء انتخابات للبرلمان الجديد(١) .

وعلى كل حال فإن هذه الفكرة أو الإعلان عن النوايا الحقيقية المنحرفة للانقلاب كانت سببا فى انتفاضات متعددة ضد الانقلاب ، وقد قام بهذه الانتفاضات كثير من ضباط الجيش كما سنرى فيما بعد ، كما قامت بها جماعات وهيئات مصرية كثيرة ، وفى قمتهم أساتذة الجامعات ، ولكن حركة الجيش كانت قد تمكنت من السلطة فضربت بقسوة كل حركة هبت ضدها .

وقد عبر الأستاذ إحسان عبد القدوس عن الاتجاه الحقيقى بالنسبة للثورات بقوله : ليس هناك سبيل لاستعادة ثقة الناس إلا بتغير الوضع وأن تنتهى

---

(١) صحيفة المصرى فى ١٩٥٤/٣/٢٤

الثورة ، وإذا طالبتُ بإلغاء الثورة فلست مبالغًا ، ولا متطرفا إنما هو الوضع الطبيعى ، فليس هناك بلد يستطيع أن يعيش فى نظام ثورى إلى الأبد ؛ ولا حتى عاما أو عامين ، إنما الثورة تقوم لتقضى على نظام فاسد ، وتضع نظاما آخر بدلا منه ، فوراً ، نظاما آخر طبيعيا تستقر عليه البلاد ، ويحقق الأهداف التى قامت من أجلها الثورة(١) .

* * *

ذلك هو الوصف الدقيق **للحالة الظاهرة** ، فقد رأينا انقلابا أصبح ثورة ثم عاد انقلابا ، أما التعرف الدقيق **لبواطن الأمور** فيؤكد أنه بدأ انقلابا وظل انقلابا ، وأما المبادىء الستة ، والتظاهر بالقرب من الشعب ، ومحاولة تحقيق آماله فى الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، فكانت طلاء خفيفا يخفى وراءه حقيقة الانقلاب ، والذى يتابع الأمور بدقة منذ اللحظات الأولى يتأكد أن الانقلاب كان حريصا على بقائه انقلابا ، وأنه اتخذ لذلك وسائل خفية حينا حتى اشتد عوده فأعلن ما كان قد أضمر ، والدليل على ذلك أن المادة ٥٢ من الدستور (دستور ٢٣ الذى كان معمولا به) تنص على أنه عند وفاة الملك (والمقصود خلو العرش بشكل ما(٢)) يجتمع مجلس النواب بحكم القانون خلال عشرة أيام من الخلو ، فإن كان المجلس منحلا ، وكان الموعد المعين لاجتماعه بعد انتخاب أعضائه يجاوز اليوم العاشر وجب أن يعود المجلس المنحل للعمل حتى يجتمع المجلس الذى يخلفه(٣) .

وعلى هذا كان مفروضا أن يجتمع مجلس النواب الوفدى المنحل للانعقاد طبقا للدستور ، وقد قدم عدد من رجال القانون طلبا بذلك إلى على ماهر ، ولكن قادة الانقلاب راحوا يستفتون قسم الرأى فى مجلس الدولة ، ومن المعروف

---

(١) روز اليوسف فى ٢٢ مارس سنة ١٩٥٤

(٢) انظر فصول من ثورة يوليو للدكتور وحيد رأفت ص١٢٢

(٣) انظر دستور سنة ١٩٢٣

أنه لا استفتاء مع وجود النص الصريح ، واستطاعوا بذلك أن يفلتوا من احترام الدستور ، وتم الاحتيال لذلك بإضافة جديدة للأمر الملكى الخاص بالوصاية على العرش تقول إنه فى حالة نزول الملك عن العرش وانتقال وصاية الملك إلى خلف قاصر يجوز لمجلس الوزراء إذا كان مجلس النواب منحلا أن يؤلف هيئة للعرش من ثلاثه تتولى بعد حلف اليمين أمام مجلس الوزراء سلطة الملك إلى أن تتولاها هيئة الوصاية الدائمة ،

ويعلق محمد نجبب على هذه الاتجاهات بأنه لم يكن فى أعماقه مستريحا لذلك دستوريا ، وكان أكثر ميلا للالتزام بأحكام الدستور (١) ولكن يبدو أن محمد نجيب لم يكن يعرف بواطن الأمور التى أفصحت عن نفسها وهى أن المسألة مسألة انقلاب بكل ما يعنيه ذلك من معان ، وأن التظاهر كان عملا مؤقتا .

وهذا الموضوع لايزال محتاجا إلى مزيد من الدراسة لن نضن بها ، فإن الحكم ينحرف أحياناً فى أى بلد من البلاد ، ويشتد ضغط الحاكم على المحكوم ، فتهبُّ ثورة تزيل الحاكم الظالم وتأخذ السلطان من يده ، وعلى الثورة أن تسرع عقب ذلك فتعيد الحق إلى نصابه ،فإذا كان الحاكم الظالم ديكتاتوراً كان على الثورة أن تعيد السلطان للشعب ، وإذا كان إقطاعياً استبد بالثراء كان على الثورة أن تعيد الأموال لأصحابها ، وتستقر الأمور عقب ذلك التصحيح لتسير الحياة فى مسارها الطبيعى وتنتهى مهمة الثورة .

أما إذا بقيت الثورة وفرضت نفسها على الجماهير فإنها حينئذ تسلب سلطان الشعب وتستبد بالأمر دون تفويض من الناس ؛ وكأنها بذلك تدعو لقيام ثورات ضدها ، كما قامت هى ضد المنحرفين السابقين .

وثورة ٢٣ يوليو كانت ضرورية فى وقتها ، عملت لتتخلص مصر من ملك

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ٤٦ — ٤٧ .

انحرف وحاشية ضلّت ، وكان لها برنامج طموح صفّق له الشعب ، وكان من الطبيعى أن تزيل كل العقبات التى تقف دون تحقيق هذا البرنامج كالاستعمار والملكية ثم أن تترك التفاصيل لمن يمثلون الشعب تمثيلا حقيقياً ، ويعود الجيش إلى ثكناته ، يرقب الأمور عن كثب كما قال أنور السادات مما اقتبسناه آنفا .

ذلك هو الوضع الطبيعى للثورات من الناحية العلمية ، ولم يكن هذا الوضع بعيداً عن فكر قادة الثورة ، يؤكد ذلك ما قاله محمد حسنين هيكل الذى يسميه فؤاد مطر « كبير الطهاة فى مطبخ السياسة المصرية فى عصر عبد الناصر » (١) فإنه يروى أن بعض القانونيين أفتوا بأن الثورة انتهت عقب قيامها بوقت قصير ، وأن دورها انتهى بالتغيير الذى أحدثته ، وأن محمد نجيب بناء على ذلك أخذ يستبعد كلمة ثورة ، وأصدر تعليمات إلى الصحف باستعمال كلمة نهضة (٢) ويقرر هيكل كذلك أن رجال الثورة استدعوا مصطفى النحاس من أوربا بصفته زعيم الأغلبية ، وأن مقابلات تمت بين عبد الناصر وبينه ، وبين عبد الناصر وفؤاد سراج الدين ، وكلمات هيكل

---

(١) كتاب « بصراحة عن عبد الناصر » ص ١٠ وفى هذا الكتاب يقرر محمد حسنين هيكل ص (١٦٤) أنه كان يكتب خطب عبد الناصر ، ورغبة فى توفير وقت القارىء . وجهده أقرر له أنه اتضح لى من قراءة هذا الكتاب أنه ليس إلا كإحدى الخطب التى كتبها هيكل ليلقيها عبد الناصر ، ولكن لما كان هذا قد مات فإن مؤلف هذه الخطبة طبعها فى كتاب ، وقد اتجه هيكل فى تاليف الكتب عن كثير من أحداث التاريخ التى عاصرها واشترك فيها ، والذى يقرأ هيكل يدرك بوضوح أن الرجل لا يتحرى الحق ، وأنه يدافع من نفسه كأنه يحس بأن العهد سيحاكم يوما ، وهو يمد دفاعه من الآن ، وقد وصف الرئيس أنور السادات (صحف القاهرة فى ١ / ٦ / ١٩٧٥) ما قاله هيكل بأنه تزوير التاريخ ، وعلقت صحيفة الاهرام بالنوح على كثير مما كتبه هيكل رئيس تحريرها السابق وكبير الطهاة الذى طالما ملها أطعمة أودت بحياة طاعميها .

(٢) ص ٥٥

هى . « حاول عبد الناصر إقناع فؤاد سراج الدين بأنه مستعد لإعطائهم الحكم على شرط أن يوافقوا على تطبيق الإصلاح الزراعى[1] .

وهذا يوضح لنا بما لايدع مجالا للشك طبيعية الثورات ، وانها تنتهى عقب تحقيق أهدافها الكبرى ، ولكن جمال عبد الناصر رأى أن يبقى فى الحكم ليحقق برنامجه كله ، وقد كان ما عرضه على مصطفى النحاس وعلى فؤاد سراج الدين بدافع الوضع الصحيح للثورات ، ولكنه كان عرضا مشروطا بقيود كان يعرف سلفا أن زعيم الأغلبية لايمكن أن يقبلها ، فقبوله لها خضوع لسلطة غير سلطة الشعب، وذلك مالا يرتضيه زعيم الشعب، وبناء على ذلك بقى جمال عبد الناصر فى الحكم فترة طويلة حتى يقيم جيشا قويا ويحقق العدالة الاجتماعية .

وتنفيذا لهذا الوضع أصبح قائد الثورة رئيسا للدولة ، وتكونت له بطبيعة الحال حاشية وأعوان لهم نفوذ وسلطان ؛ وظل اسم الثورة قائما فترة طويلة كان تأثيرها شديد الوقع على الناس بوجه عام، وعلى المشتغلين بتدوين التاريخ بوجه خاص .

بقيت كلمة عن هذا الموضوع نلحظها من كلام الاستاذ أحمد أبو الفتح والأستاذ مصطفى مرعى فالأستاذ أحمد أبوالفتح يستعمل كلمه « حركة » ويتحدث عن « حكم الضباط » [2] والأستاذ مصطفى مرعى يستعمل كلمة حركة أيضا فيقول : إن على ماهر شكل وزارته بعد الحركة . . . . ولم يتم الاتصال برجال الحركة من الضباط » [3] فهل هناك مدلول عندهما لهذا الاستعمال ؟ ؟ من يدرى ؟

---

(١) ص ٤٦ ، ٥٠

(٢) التحدى ص ١٤٨ — ١٤٩

(٣) شهود ثورة يوليو ص ٤٦٠ — ٤٦١

الثوار يحكمون

ليسمح لنا الرئيس محمد أنور السادات أن نقتبس منه هذا العنوان ، وأن نقتبس منه بعد العنوان سطوراً قليلة جداً لها معنى كبير فى سياق الأحداث ، وفى تصحيح المفاهيم فى عقول الناس وهذه السطور هى :

« فى مساء ٢٧ يوليوسنة ١٩٥٢ دعانا جمال عبد الناصر للاجتماع فى القيادة ، وافتتح الاجتماع قائلا إن مرحلة إخراج الملك نجحت ، ونحن الآن المسئولون عن البلاد ، وأعلن الآن أننى أتنحى عن رئاسة الهيئة التأسيسية ، فقد انتهت هذه االهيئة بنجاح الخطوات السابقة ، ونحن من اليوم اسمنا « مجلس قيادة الثورة »(١) .

ومن هذه الكلمات تتضح النوايا على ما يلى :

١ — قادة الانقلاب باقون ويريدون أن يحكموا ، وقد حكموا خفية أولا من خلف الوزراء المدنيين ، ثم استولوا على الوزارت بشكل سافر ، وأصبحوا وزراء ، وعلى هذا فعرضُ الحكم على النحاس باشا والكلام عن الدستور والانتخابات كانت خديعة لكسب الوقت .

٢ — جمال عبد الناصر هو القيادة الحقيقية بعد نجاح الخطوات السابقة ، وقد أعيد انتخابه رئيسا للمجلس الجديد الذى اقترح اسمه وهو « مجلس قيادة الثورة » وكان انتخابه بالإجماع .

وكل من هاتين النقطتين تحتاج إلى مزيد من الشرح

فعن النقطة الأولى يقول محمد نجيب : اتخذ مجلس القيادة قراراً بتكليف أعضائه مباشرة الإشراف على الوزارات المختلفة فأصبح فى كل وزارة مندوب للقيادة ، وقد عارضتُ هذا الرأى ولكن أغلبية مجلس

---

(١) البحث عن الذات ص١٥٥ .

القيادة وافقت عليه(١) .

ويقول أنور السادات : لم نكن قد أعددنا أنفسنا للعمل الوزارى ولم نعد برنامج عمل معين ؛ ولكن رغم هذا كله حدث أننا فى أحد اجتماعاتنا قلنا : لقد آن الأوان لكى نوزع أنفسنا لمتابعة أعمال الوزارات بمعنى أن يصبح كل واحد مسئولا عن وزارة أو مجموعة وزارات و . . . . . . وأخذ كل واحد يتكلم ويستعرض قدراته بالنسبة لهذه الوزارة أو تلك(٢) .

وقد واجه على ماهر تدخل الضباط فى الوزارة ، وقال لوزرائه وكانوا من المدنيين : إن السياسة فن الممكن وإن الوزراء يستطيعون أن يوجهوا ضباط الاتصالات المنتشرين فى كل الوزارت ، ويعلق الأستاذ مصطفى مرعى على ذلك بقوله : كان ذلك خطأ حيث أصبحت هناك ازدواجية فى المسئولية وما كان لنا أن ندع المرونة تجرنا إلى الميوعة(٣) .

أما عن النقطة الثانية وهى أن القيادة الحقيقية كانت لعبد الناصر فنذكر أن محمد نجيب — كما أشرنا من قبل — كان ضروريا لتنجح الثورة ، ولكنه بعد أن نجحت ، دُفِعَ به إلى الظل ، وكان دفعه مصحوبا بقسوة عنيفة فى أكثر الأحوال ، وقد كتب محمد حسنين هيكل عن « ١٨ سنة تحت حكم عبد الناصر » ومعنى هذا أنه لم يدع لمحمد نجيب فترة يحسب لها حساب ، وأنه جعل حكم عبد الناصر يمتد من مطلع الثورة حتى وفاته سنة ١٩٧٠ وعلى هذا فإننا نؤيد ما يتجه له الباحثون ، وما يتجه له هيكل من أن رياسة محمد نجيب الحقيقية كانت خلال الخطر الذى كان يمكن أن يمتد إلى الثورة والثوار ، وهى المدة التى لا تتجاوز أسبوعا ، فلما رسخت أقدام الثورة بدأ الاتجاه للاستغناء عن نجيب ، ولم تبق إلا الوسيلة التى تقضى عليه دون عناء ليفسح الطريق

---

(١) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٥٦

(٢) البحث عن الذات ص ١٦١ .

(٣) شهود ثورة يوليو ص ٤٩ .

لعبد الناصر الذى كان يعمل من خلف الستار ، بيد أن بعض الآراء اتجهت إلى الإبقاء على محمد نجيب فترة أخرى من الزمن لاستغلال اسمه فى اتخاذ بعض القرارات التى رؤى أن فيها كثيراً من الخطورة .

وعلى هذا فكلام هيكل قريب من الصواب إذ جعل عهد عبد الناصر يبتلع عهد محمد نجيب ، بل إن عهد عبد الناصر حاول أن يبتلع عهد أنور السادات أيضا ، ولكن أنور السادات كان حاسما وكان أقوى من أن يبتلعه أحد فبدأ غصة فى الحلوق المريرة حتى قضى عليها وحمى عهده .

وعلى هذا فعهد محمد نجيب الحقيقى كان قصيراً ، ولم يطل بعض الشيء إلا لمداراة السودان فى المفاوضات التى كانت تدور حول مستقبل السودان ، إذ كان السودان شديد الارتباط بمحمد نجيب ، ولكن جمال عبد الناصر استغنى عن السودان إذا كان ارتباط مصر بالسودان سيقف حائلا أمام القفزة التى كان يتطلع إليها عبد الناصر ليسيطر على الحكم فى الظاهر والباطن .

وسنتحدث فيما بعد بشيء من التفصيل عن الأحداث التى تمت فى عهد محمد نجيب ثم فى عهد جمال عبد الناصر ، ولكننا نرى — وقد اندفع الضباط إلى الحكم والمسئولية — أن نتعرف عليهم من جميع الوجوه ، وللرغبة فى الإنصاف والدقة تتجه دراساتنا عنهم إلى الاقتباس منهم ، فهم أدرى الناس بعضهم ببعض ، ولعلنا من كلامهم نستطيع أن نقدم صورة حقيقية لكل منهم ، وذلك ما سنحاوله فى الباب التالى

الباب الثالث

قادة الثورة

تعريف بهم من كلامهم

التعريف بقادة الثورة

سواء أسميناها ثورة أو انقلاباً ، أو أطلقنا عليها « حركة بعض الضباط »، على أى حال ، فقد كان لها قادة ، والقادة الذين نتحدث عنهم فى هذا الجزء حكموا حوالى عشرين عاماً ، وهذه الفترة تتميز فى تاريخ البشرية بتقدم هائل جداً ؛ غزا الإنسان خلالها الفضاء ، ووصل إلى سطح القمر ومشى عليه ، وحقق تقدماً عظيما فى مختلف الميادين ، وخطت الدول المتوسطة خطوات طيبة نحو رفاهية شعوبها ، فماذا فعل هؤلاء القادة بمصر والمصريين ؟ ولماذا كانت ثورتهم مخيبة للآمال ؟ ولماذا تراجعت مصر والعالم يتقدم للأمام ؟

الإجابة عن ذلك تكمن فى شخصيات هؤلاء القادة ، ومن هنا كان من حق القارئ أن يتعرف عليهم ، فإن طبيعتهم كانت لابد أن تصل بنا إلى هذه النتيجة . ووسيلتنا للتعرف عليهم هو كلامهم هم ، فذلك أقرب إلى الدقة ، وقد نقتبس مزيداً من التعريف بهم من أقرب الناس لهم ، وأعرفهم بهم لتكتمل الصورة أمامنا ، ولنعرف حقيقة من حكمونا من أهم مصدر ممكن أن يقود لهذه المعرفة .

على أن هناك شيئاً مهماً لاحظته ويلحظه سواى عندما نقرأ ما كتبه هؤلاء ، ذلك أن الذاتية مسيطرة على كتاباتهم ، فكل منهم معجب بنفسه ، لايرى فى تصرفاته أى لون من ألوان الخطأ ، وهو يغمز أو يثبت الاتهامات على الآخرين ، وهو اتجاه يدركه القارئ من كلماتهم جميعاً ، ولكن هذه الذاتية على أى حال لن تستطيع أن تعمّى علينا الطريق ، ونرجو أن يلهمنا الله الصواب فيما نعرض من آراء فى هذا الكتاب لنصل إلى صورة دقيقة لهؤلاء الذين أمسكوا بزمام مصر فى أخطر فترة من فترات التاريخ البشرى .

وهناك شخص واحد من قادة الثورة سوف نؤجل الحديث عنه فى هذا الجزء ذلك هو الرئيس محمد أنور السادات ، وسبب تأجيل الحديث عنه يرجع إلى العاملين التاليين .

أولا : لايزال أنور السادات فى الحكم حتى كتابة هذه السطور ، ومعنى ذلك أن شخصيته لاتزال تتكشف بها بعض النواحى الجديدة من حين لآخر ،فمن الطبيعى أن نؤجل الحديث عنه ريثما تتكامل أمامنا اتجاهات شخصيته .

ثانياً : خصصنا الجزء العاشر من هذه الموسوعة للحديث عن عصر أنور السادات ، وستكون هناك فرصة لعرض شخصيته عرضا كاملا .

وقبل أن نورد ما قاله قادة الثورة بعضهم عن بعض نورد حقيقة مهمة هى أن القارىء قد يظن أننى جمعت المساوىء وتركت الحسنات ، وأحب أن أذكر فى رد هذا الظن أن الكتب التى كتبها نجيب وعبد الناصر والسادات والبغدادى والعشرات من القادة الذين جمع أحمد حمروش كلامهم والثلاثة الذين جمع سامى جوهر تصريحاتهم . . . هذه الكتب موجودة فى كل مكان ، ولن يستطيع أى قارىء أن يجد كلمة مدح واحدة فيما كتبه واحد من هؤلاء عن الآخرين ، إن الذى سيجده القارىء فى هذا الكتاب هو الصورة التى يرسمها كل منهم لرفاقه إذا جاز أن نسميهم « رفاقاً » .

وأعضاء مجلس الثورة هم :

١ — محمد نجيب   ٢ — جمال عبد الناصر

٣ — عبد الحكيم عامر .   ٤ — عبد اللطيف البغدادى .

٥ — كمال الدين حسين .   ٦ — حسن إبراهيم .

٧ — زكريا محيى الدين .   ٨ — خالد محيى الدين .

٩ — أنور السادات .   ١٠ — جمال سالم .

١١ — صلاح سالم .   ١٢ — حسين الشافعى :

١٣ — يوسف صديق . ١٤ — عبد المنعم أمين .
١٥ — رشاد مهنا .

وسنتحدث أولا عن قادة الثورة إجمالا ، ثم نفرد لكل منهم حديثاً خاصاً .

ثقافتهم :

وأول ما نتعرض له هو ثقافتهم ، ويذكر محمد نجيب[1] أنه — بالإضافة إلى دراساته العسكرية — كان حاصلا على ليسانس الحقوق ، وأن خالد محيي الدين حصل على بكالوريوس كلية التجارة سنه ١٩٥١ ، أما باقى الأعضاء فكانت دراستهم عسكرية فقط ، فقد تخرجوا من الكلية الحربية أو كلية أركان الحرب. أما دراستهم المدنية فكانت الثانوية العامة ، ومن المعروف أن الذين يلتحقون بالكليات العسكرية يكونون فى الغالب من الذين حصلوا فى الثانوية العامة على درجات لا تؤهلهم للالتحاق بكليات الدرجة الأولى كالطب والهندسة .

وسنرى فيما بعد أن محمد نجيب استُبعد عن السلطة والنفوذ بعد وقت قصير من قيام الثورة ، وأن تكتلا هائلا قام ضده منذ الشهور الأولى، وسنرى كذلك أن خالد محيي الدين هو الوحيد الذى لم تسند له أية وزارة ، من بين أعضاء مجلس القيادة الذين أصبحوا ١٢ بعد استبعاد يوسف صديق وعبد المنعم أمين ورشاد مهنا قبل زحف الثوار على الوزارات .

هل كانت هناك عقدةٌ أبعدت الجامعيين عن مكانهم فى القيادة ؟ أو أن إبعاد الجامعيين كان مجرد صدفة ؟ ربما .

ولا شك أن مصر عانت من الثقافه الضحلة التى كانت زاد الحكام

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ٤٦ .

الثوريين وأكبر دليل على ذلك هو الإجابة العجيبة التى قدمها جمال عبد الناصر للسؤال الذى عرضه الصحفيون الأجانب عليه فى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى ٢٨ مايو سنة ١٩٦٧ . فقد سأله هؤلاء الصحفيون عما إذا كان الاقتصاد المصرى يحتمل حرباً أخرى بعد حرب ١٩٥٦ وحرب اليمن ؟ فأجاب . نعم ، ألا تأكلون الكباب والكفته فى بلادنا ؟

وهكذا كان أكل الكباب والكفتة دليل قوة الاقتصاد المصرى فى رأى رئيس جمهورية مصر. يالله !!!

وقد سئل مرة عن سياسته تجاه الولايات المتحدة ، فأجاب أنا لاأعرف فى السياسه أنا (دوغرى) .

وهكذا كانت سياسة مصر فى يد مَنْ يعترف أنه لايعرف السياسة .

وهناك حادث يثير الضحك والاشمئزاز معاً ، ومبعثه الجهل باللغات الأجنبيه ، والجهل بالتقاليد وما يسمى « الإتيكيت » وهذا الحادث كان من الممكن أن يثير أزمة بين مصر وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، إذ وُضِع سفير الولايات المتحدة فى دورة المياه بمجلس قيادة الثورة حوالى الساعة ، لأن الضابط لم يفهم لغة السفير عندما قابله ، فاعتقد أنه يريد أن يدخل دورة المياه قبل مقابلة جمال عبد الناصر فقاده السكرتير العسكرى محمود الجيار إلى دورة المياه وأدخله فيها ، ولم يعرف السفير سر هذا التصرف ، وقبل أن ننقل كلمات الأستاذ صلاح الشاهد فى هذا الموضوع نذكر أن المسألة لم تكن جهلا باللغة فقط وإنما كانت كذلك جهلا بالتقاليد ، إذ لا يمكن أن يجىء سفيرٌ بناء على طلبه لمقابلة رئيس الدولة ، ثم يطلب دخول دورة المياه قبل المقابلة مع أنه ترك بيته منذ دقائق قليلة ، ولنعد إلى كلمات صلاح الشاهد حول هذا الموضوع .

فى أثناء الاعتداء الثلاثى على مصر طلب السفير الأمريكى مستر بادو مقابلة الرئيس مقابلة عاجلة ، وتحددت المقابله فى الحال بالقيادة العامة بمنشية البكرى ، ووصل السفير الأمريكى فى الموعد المحدد ، واستقبله سكرتير

الرئيس العسكرى محمود الجيار ، ويبدو أن هذا فهم — على سبيل الخطأ — أن السفير يريد الذهاب إلى دورة المياه قبل أن يقابل الرئيس ؛ فقاده السكرتير العسكرى إليها ؛ وأدخله وأغلق عليه الباب .

ومر الوقت على السفير وهو واقف بدورة المياه ، عشر دقائق : : ربع ساعة ... ثلاثة أرباع الساعة ... والسفير رهين دورة المياه ، ولما طال الوقت على احتجاز السفير بدورة المياه،وخشى السكرتير العسكرى أن يكون قد أصاب السفير الأمريكى مكروه دق الباب عليه ، وفتحه،فوجد السفير واقفاً مذهولا ! ! .

ويقول صلاح الشاهد أنه بدون كلام صحب السكرتير العسكرى السفير الأمريكى إلى مكتب الرئيس ، وقص السفير على مسامع الرئيس ما حدث وقال : إننى قد تصورت أن الأوامر قد صدرت بإلقاء القبض علىّ ، واحتجازى بدورة المياه فاستسلمت لذلك : ولما عرف جمال عبد الناصر أن الجهل هو السبب لم يزد عن أن أغرق فى الضحك واعتذر للسفير عن سوء الفهم(١) .

خططهم ومبادئهم .

لم يكن أحـــد من الضباط الأحرار حين قاموا بالانقلاب يدرك مدى الأبعاد الواقعية للعمل الذى بدأوه ، ولم يكن لديهم برنامج عمل — كما اقتبسنا ذلك منهم من قبل—وقد حاول جمال عبد الناصر أن يدفع بنفسه لقيادة الثورة منذ الأشهر الأولى لقيامها ، فألف كتاب فلسفة الثورة ، ولكنه جاء أقرب مايكون للوجدان منه إلى الإدراك(٢) ومن هنا تخبطت البلاد وسارت فى حياة ارتجالية طيلة هذا العصر .

---

(١) صلاح الشاهد : ذكرياتى فى عهدين ص ٢١٦

(٢) دكتور بيليايف ودكتور بريماكوف : مصر فى عهد عبدالناصر ص ٣ و٣٣

وعلى فرض أنه كانت هناك خطط فإنه يبدو أن الاتجاه العام بعد نجاح الثورة لم يكن لتنفيذ خطة سابقة ، أو تحقيق وعد أعلن قبل الثورة أو فى مطلعها ويحدثنا يوسف صديق عن ذلك فيقول؛ عند ما دخلت مجلس قيادة الثورة سرعان مالاحظت انحراف أعضائه ، وعندماذكرتهم بما كان يكتب فى منشورات الضباط الأحرار قال بعضهم « انس المنشورات . . . الظروف تغيرت » (١) .

فإذا انتقلنا من الحديث عن الخطط إلى الحديث عن المبادىء نجد عجبا، فبعضهم كان من الإخوان المسلمين ، ثم أصبح عدواً لهم ، ويقولون عن عبد الناصر إنه انتقل إلى اليسار بعد معركة ١٩٥٦ ، وقد سبق أن ذكرنا عن على صبرى أنه كان وثيق الصلة بالأمريكان ، وعن طريقه توثقت العلاقات بين الثورة وبين أمريكا ، ولكن على صبرى هذا كان ينشر فى الجمهورية مقالات تبرزه فى مظهر اليسارى ، فبدأت موجة من الدعاية تصفه بأنه أصبح شيوعى النزعة ، وقد ذكر له الضابط محمد على بشير أن القراء أصبحوا فى حالة قلق من هذه المقالات ، فأجابه على صبرى بقوله ؛ « أعمل إيه ؟ المقالات تحضّر لى وأنا أوقعها »(٢) .

وهكذا كان الواحد منهم ينتقل من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين بإرادته أو بدون إرادته كما يحلو للذى يحرك القطع فى لعبة الشطرنج .

ويتحدث Gearge Haddad عن مبادىء الثوار بالنسبة للمحكومين، فيقول : تخلى الثوار عن مبادئهم التى كانوا يعلنونها قبل الثورة وفى مطلع الثورة ، فقد كانوا يهاجمون الأحكام العرفية ، والرقابة على الصحف ، والاعتقالات للسياسيين ، وحل البرلمان . . . ولكنهم فى أقل من ستة شهور

---

(١) شهود ثورة يوليوس ٤٨

(٢) أحمد حمروش : مجتمع جمال عبد الناصر ص ٢٧٧ .

أصبحوا يزاولون هذه الأعمال بشراسة ، فقد استطابوا الحكم ، واستبدوا به ، واستبعدوا فكرة تسليم السلطة للشعب(١).

الضباط الأحرار والسلطة :

لقد اتضح منذ اللحظة الأولى لنجاح الثورة أن شهية الضباط للسلطه برزت ، وأنها دفعتهم إلى إزالة العقبات التى اعترضتهم ليحكموا(٢) فمن أجل تعيين رشاد مهنا فى مجلس الوصاية عين أولا وزيراً عدة ساعات لينتقل إلى مجلس الوصاية الذى كان يشترط على أعضائه أن يكونوا من الوزراء السابقين ، وقد فتح هذا باباً واسعاً لأعضاء مجلس قيادة الثورة ليمدوا أرجلهم إلى السلطة ، وقد بدأوا بالإشراف على الوزارات ، أوبلغة أخرى بالحكم من الخلف كما حدثنا بذلك مصطفى مرعى من قبل ، ولكنهم سرعان ما اندفعوا نحو السلطة الكاملة فأرادوا أن يصبحوا وزراء ويقول خالد محيي الدين(٣) إن محمد نجيب قاوم دخول أعضاء مجلس الثورة لمناصب الوزارة ، فوقع تحت تهديدهم ، فرضخ ، وعندما أعلنت الجمهورية وعين محمد نجيب رئيساً للجمهورية أعيد تشكيل الوزارة وخرج منها سليمان حافظ الذى كان خلال فترة من الزمن المستشار والمسموع الكلمة كما خرج مراد فهمى وزير الأشغال وحسين أبو زيد وزير المواصلات وفؤاد جلال وزير الارشاد وصبرى منصور وزير التموين ، ودخلها جمال عبد الناصر نائباً لرئيس الوزراء وصلاح سالم وزيراً للإرشاد وعبد اللطيف البغدادى وزيراً للحربية ، ثم جمال سالم وزيراً للمواصلات ، وزكريا محيي الدين وزيراً للداخلية ، وكمال الدين حسين وزيراً للشئون الاجتماعية ثم وزيراً للتربية والتعليم ، وقبل أن تنتهى سنة ١٩٥٣ م كان

---

(١) Revlutions and Military Rule in the Middle East vol 3 p. 30

(٢) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٦٥ .

(٣) شهود ثورة يوليو ص ١٥٢ .

جميع الثوار يحكمون ماعدا أنور السادات ، وهكذا اتضحت حقيقة مهمة هى أن للحكم بريقاً خلب لب الثوار ولعب برءوسهم(١).

وعندما جلس أعضاء مجلس قيادة الثورة فى كراسى الوزارة كان لابد أن يفتحوا أبواب الوظائف المريحة والدسمة لزملائهم من الضباط الآخرين ، وإلا فقد كان من الممكن أن يواجهوا ثورات منافسة قاسية ، ولهذا فتحت الثورة الباب للضباط ليصبحوا فى كل موقع بمصر ؛ أصبحوا محافظين ، ورؤساء مجالس إدارات ، وسفراء ، وكلما ظهر خلل بأى مرفق عُهِد به إلى القوات المسلحة أو البوليس الحربى ، ويقول الرئيس السادات(٢): إنه عندما اتضح أن النقل العام أصبح فى حالة سيئة ألحق بالقوات المسلحة لإصلاحه ، كما أشرفت القوات المسلحة على الثروة السمكية ، وعلى الكثير من المراكز الحساسة ، ومن المؤكد أن هذه المرافق كانت تزداد سوءاً بالوصاية الجديدة كما كانت العناصر الطيبة بالجيش يحرم منها الجيش فلا هى بقيتْ فى مواقعها ، ولا هى أفادتْ فى المواقع الجديدة التى تختلف فى طبيعتها عن ثقافة الضباط وكفاءاتهم ، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل .

ويقول **مكسيم رودنسون** : اتضح أن الجيش جماعة أنانية متلهفة إلى الاستمرار فى السلطة ، وإلى زيادة امتيازاتها ، وأنها بعيدة عن الطبقات العاملة ، وغير جديرة أن تهب نفسها لأهدافها ، ويعلق أحد ضباط الجيش على هذا الكلام الخطير بقوله :

التفكير فى الطبقات العاملة لم يكن وارداً فى ذهن قادة الجيش وتعبير العسكريين عن أهداف هذه الطبقة كان تصوراً بعيداً عن الواقع والحقيقة ، وكان الجيش هو السند الرئيسى للنظام ، وفى سبيل ذلك مُــنِحَ ضباطه كثيراً

(١) أنور السادات : البحث عن الذات ص ١٦٧ — ١٧٥

(٢) البحث عن الذات ص ٢١٠ و ٢١٥

من الامتيازات . فقد تقررت للضباط بدلات جديدة مثل بدل التمثيل ، وارتفعت قيمة بدل السكن وبدل الإقامة فى محافظات أسوان والبحر الأحمر وقنا وسوهاج ، ومُنِحَ مرتب امتياز للخدمة برياسة الجمهورية ، وزادت العلاوات عدداً وقيمة [١] .

وأصبح الجيش هو المصدر الرئيسى لتوريد الوزراء والمحافظين ورؤساء مجالس الإدارة ، ووكلاء الوزارات والسفراء . . . [٢] مع ملاحظة ظاهرة مهمة هى أن معظم الضباط الذين دُفع بهم إلى مناصب السلطة العليا كانوا من ضباط المخابرات العامة أو المخابرات الحربية مثل : على صبرى وكمال رفعت وطلعت خيرى وثروت عكاشة وعبد القادر حاتم وشعراوى جمعة وأمين هويدى وتوفيق عبد الفتاح وعبد المحسن أبو النور ، وقد انعكست هذه النوعية على أسلوبهم فى الحكم فاعتمدوا على السرية والانغلاق والتقارير ولم ينفتحوا على الجماهير [٣].

وفى سنة ١٩٥٦ أى بعد نهاية فترة الانتقال تدفق عدد كبير من ضباط الجيش على الوظائف المدنية ، ويقول الأستاذ أحمد حمروش فى ذلك : صدر قرار من مجلس القيادة بخروج الضباط الأحرار من الجيش بعد فترة الانتقال ، على اعتبار أن ذلك سوف يكون حداً فاصلا لخروج الضباط للحياة المدنية وكنت واحداً من الذين ضمتهم آخر نشرة صدرت فى يوليو سنة ١٩٥٦ ، ولكن هذه النشرة لم تكن سداً يحول دون تسرب الضباط إلى الحياة المدنية بعد ذلك إذ استمر تدفقهم على الوزارات المختلفة وبخاصة وزارة الخارجية والشركات وذلك تحت ضغط الرغبة فى التخلص من البعض ومكافأة آخرين [٤].

---

(١) أحمد حمروش : مجتمع جمال عبد الناصر ص ١٣٨
(٢) المرجع السابق ص ١٣٩
(٣) المرجع السابق ص ٢٣٣
(٤) شهود ثورة يوليو ص ٤٩

وعند ما جاءت حرب اليمن اتجهت للأسف — كما يقول أنور السادات إلى أن تصبح عملية انتفاع واستغلال ، وتمادى عبد الحكيم عامر ليثبت أقدامه فى جميع المجالات ، فعهد بالمؤسسات المدنية إلى الضباط ، فكان منهم رؤساء هذه المؤسسات ، وكان منهم كذلك رؤساء المدن وجميع المراكز الحساسة فى البلد ، حتى الشقق عندما تكون خالية يتدخل الجيش فى توزيعها (١) .

وقد وصل حرص الضباط على السلطة إلى نوع من الفوضى أحياناً ، فقد حدث أن اختار بعض الضباط لأنفسهم المناصب التى يريدونها ، وباشروا فيها كل مسئولياتها دون أن يصدر لهم تعيين بذلك ، ويروى فتحى رضوان أن ضابطين ذهبا إلى وزارة الداخلية وسيطرا على كل كبيرة وصغيرة فى الوزارة المذكورة ، وتوليا أكبر السلطات دون أن يقدما إلى أى إنسان ما يدل على أنهما مكلفان رسمياً بهذا الإشراف الذى ألغى كل اختصاصات الوزير ، وكل صلاحياته ، وقد عرف عبد الناصر ذلك بطريق المصادفة عندما تقدم له الصحفى حلمى سلام يستنجزه أوراقاً معينة من مكتبيهما ، فسأله جمال عبد الناصر عنهما ، فتبين له أنهما وضعا أنفسهما فى هذا المنصب دون أى قرار .

ويروى فتحى رضوان قصة مماثلة : هى أن ضابطاً مهندساً ذهب إلى رئيس مجلس الإدارة فى شركة مصر الجديدة وذكر أنه مندوب القيادة ليصبح عضواً منتدباً بالشركة ، وعلى الفور هيأت الشركة للضابط المهندس مكتباً مناسباً ، وأقبل على ممارسة عمله ، فأخذ يصدر القرارات ويوقع الأوراق ، وقد اكتشف عبد اللطيف البغدادى ذلك بمحض المصادفة(٢).

---

(١) البحث عن الذات ص ٢٠٩ — ٢١٠
(٢) أسرار حكومة يوليو ص ١٢٨ — ١٢٩

وقصة ثالثة عن فوضى الوظائف يرويها فتحى رضوان ترتبط بموفق الحموى صديق عبد الناصر ، وكان هذا ثائراً لأن زملاءه الضباط أصبحوا وزراء وكان فتحى رضوان يضنّ عليه بالدرجة الأولى ، وقد وضعوه مشرفاً على الرقابة على الصحف ، ولكن عقب إلغاء الأحكام العرفية توقفت هذه الوظيفة ونقل موفق إلى وزارة الإرشاد ، ويقول فتحى رضوان إننا فكرنا فى أن ننشئ له « مصلحة » باسم مصلحة الصحافة تُنتَزَع اختصاصاتها من مصلحة الاستعلامات ؛ ولكن توجسنا خلافاً بين الضابطين موفق الحموى وعبد القادر حاتم ، فاتجهنا إلى تعيين موفق فى وظيفة إدارية كبيرة بالوزارة(١) ولكن هذا رفض وشكا لعبد الناصر فأحاله إلى عبد الحكيم عامر ؛ وأحاله عامر إلى أحمد حسنى وزير العدل ليكلم فتحى رضوان ، وقال أحمد حسنى لفتحى رضوان : أنت مجنون ، الناس تجرى وراء سائق عبد الناصر ، ووراء العسكرى الذى يقف أمام بيته ، وأنت تغضب زميله وصديقه . . (٢)

العاطلون بالرياسة :

وأصبح القصر الجمهورى كذلك مكانا يحشر فيه عدد من الضباط فى وظائف من درجة رئيس وزراء ، ونائب رئيس وزراء ، ومن درجة وزير أو نائب وزير . . . . ولم يكن هؤلاء يباشرون عملاً ، وإنما يباشرون سلطات ويقبضون مرتبات وبدلات ، وقد كان بعض هؤلاء شجعانا فقالوا عن أنفسهم أنهم أصبحوا عاطلين بالرياسة ومن هؤلاء حسين عرفه الذى قاد العصابة التى اعتدت على الدكتور السنهورى(٣) (وقد أورد الأستاذ أحمد حمروش أسماء بعض هؤلاء(٤)) .

امتيازات قضائية للضباط :

صدر القانون رقم ٢٥ (سنة ١٩٦٦) وهو يقضى بجعل الاختصاص

(١) أسرار حكومة يوليو ص ١٩٨
(٢) المرجع السابق ٢٠٠ (٣) شهود ثورة يوليو ص ١٤٣
(٤) انظر صفحات ١٤، ٢٩، ٩٢، ٩٨، ١٢٩ من شهود ثورة يوليو

للنيابة والقضاء العسكرى فى كافة الجرائم التى يرتكبها العسكريون ، إذا ارتبطت بوظائفهم ، وكذلك إذا لم ترتبط بوظائفهم إذا انفردوا بالاتهام فيها دون أشخاص آخرين من المدنيين وذلك عمل شائن وامتياز لا يليق ، وبخاصة فى ميدان العدالة .

استعراض العضلات وتعطيل القرارات :

هذا عنوان آخر نقتبسه من كلمات أنور السادات ، ونقتبس ما تحته من آراء لنبين مدى قدرة الضباط على العمل النافع ، يقول أنور السادات(١) : فى المجلس المشترك بين مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء كانت المناقشات تطول وتتشعب ... كل واحد من المجتمعين كان يستعرض عضلاته ، وفى أغلب الأحيان كان الخلاف يتسع فلا نصل إلى قرارات ، وهكذا كانت تتعطل الأمور . . . ، وقد دعانى هذا الوضع الغريب أن أطلب الكلمة فى أحد الاجتماعات وأشير صراحة إلى المناورات المستديمة التى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من المؤتمر المشترك ، والتى تعطل العمل مما يستلزم سرعة تغيير هذا الأسلوب المعوّق ، والبحث عن أسلوب آخر .

انحرافات وامتيازات مالية :

حرص قادة الثورة من وقت مبكر على أن يحصلوا على امتيازات مالية رفيعة ، فقد تقرر لهم مرتب الوزراء ، وأعلن ذلك فى يونير سنة ١٩٥٣(٢) فإذا أحيل الواحد منهم إلى المعاش تقررت له الامتيازات التالية :

٥٠٠ جنيه فى الشهر .

سيارة خاصة من رياسة الجمهورية .

خط تليفونى .

حق العلاج المجانى فى مستشفيات القوات المسلحة .

جواز سفر دبلوماسى .

---

(١) البحث عن الذات ص ١٧١ (٢) صحيفة الأهرام فى ١٩٥٣/٥/١٩

. وبهذه المبالغ العظيمة ، وبواسطة امتيازات عينية أخرى أصبح بعضهم فى عداد أصحاب الملايين بما عنده من تجارات واسعة أو مزارع وحدائق ، وقد صدر قرار جمهورى نشرته الوقائع المصرية يقضى بمنح الضباط الذين اشتركوا فى حركة الثورة ليلة قيامها معاش الوزير ، أما زوجة جمال عبد الناصر فقد كان فى خدمتها بعد وفاة زوجها سبع عشرة سيارة لكل منها سائقان ولما كتب موسى صبرى ينتقد ذلك غضبت وأعادت السيارات إلى الدولة ، ولكن اعتذاراً قُدِّم لها وأعيدت لها السيارات، هذا بالإضافة إلى مرتبات عبد الناصر ومخصصاته التى تصرف لها بدون ضرائب، ويقال أنها تكلِّف الشعب حوالى مليوناً من الجنيهات فى العام (١) ، وأثار الأستاذ صلاح أبو اسماعيل هذا الموضوع بمجلس الشعب لإيقاف هذا الفيضان الظالم الذى يُغدق على الأثرياء ويحرم الفقراء ، ولكن صوته لم يجد أى صدى ، وماتت فكرته بين خوف الخائفين وأطماع الانتهازيين .

وعند نهاية فترة الانتقال وحلّ مجلس الثورة ، منح كل عضو من أعضاء هذا المجلس وسام الجمهورية الذى يحقق لحامله فوائد كثيرة .

ويقول اللواء محمد نجيب (٢) كلاما كثيراً عن هذا الموضوع نقتبس منه بضع جمل :

— كانت تصرفات بعض الضباط الذين انطلقوا فى أنحاء المجتمع مندوبين للقيادة أو ممثلين لهيئة التحرير قد أساءت إلى الثورة ولوثت ثوبها ببقع سوداء مشينة .

— خسر أحد الضباط على مائدة الميسر عدة مئات من الجنيهات فى ليلة واحدة .

— ذهبت لزيارة أحد أعضاء مجلس القيادة فى منزله فوجدت فنانا يصنع

(١) أقول للسلطان للدكتور ابراهيم عبده ص ٦٣ — ٦٤

(٢) كلمتى للتاريخ ص ١١٠ — ١١١

له تمثالاً يكلف مئات من الجنيهات، وكنت أعرف أن حالته المالية لاتسمح بذلك ، فعنفته وخرجت غاضبا

— قال لى جمال عبد الناصر مرة فى مطلع الثورة إنى أريد أن أعرض عليك أمراً ناقشته مع بعض الزملاء وهو أن يأخذ كل عضو عشرة الآف جنيه ،وتأخذ أنت أربعة عشر ألفاً فيكون المجموع ١٣٤ ألف جنيه وقد طلبت من زكريا أن يحجزهم (هكذا) لنا نقوداً جديدة (ويلاحظ أن هذا المبلغ الذى يبدو متواضعا الآن كان كبيرا جدا آنذاك بالنسبةلقيمة العملةوبالنسبة لسن الضباط) .

— عندما صدر قرار عزلى وذهبوا بى إلى المرج وأنزلونى فى منزل السيدة حرم الزعيم مصطفى النحاس رأيت ضباط الحراسة يبدأون حملةسلب ونهب ، يرفعون الأثاث وينتزعون الستائر ويخلعونمشايات السلالم،ويحملون السجاجيد ، ويأخذون الثلاجات حتى تركوا المنزل خاليا،جدرانا وأرضيات فقط . . . . ولما طالبتُ بأثاث منزلى لنضعه بدل الأثاث الذى سُلِب ونهب تكررت المأساة مرة أخرى فوصل أثاث المنزل على دفعات ، علب النياشين والقلادات فارغة ، صودرت كل الكتب التى كانت بالمنزل ، ولم يصل أى شيء ثمين من ساعات أو حُلى أو سجاجيد (١) .

ويقول محمد أبو نار الذى كان مديرا لمكتب صلاح سالم إن جمال عبد الناصر حاول جذبى بعيدا عن صلاح سالم وأحضر لى هدية من باندونج كما أمر بإعطائى نقودا لإصلاح شقتى (٢) .

ويذكر أنور السادات أن هذا لم يكن مقصورا على أعضاء مجلس القيادة بل تعداهم إلى ذويهم ،وهو يقول فى ذلك : لقد لعبت نشوة الحكم برءوس الحكام فقسموا البلاد إلى مناطق نفوذ لهم ولمن يلتف حولهم من أقارب

(١) كلمتى للتاريخ ص ١٥٠

(٢) شهود ثورة يوليو ص ٣٨٣

وأصدقاء » . . . وعلى هذا المنوال سارت الأمور في كل اتجاه فليست العبرة بما يفيد البلاد ، بل العبرة بمن سوف يستفيد من أقارب وأصدقاء وأتباع الحكام (١) .

وفي محاكمة شمس الدين بدران وزملائه في قضية محاولة الانقلاب التي كانوا يعدون لها لصالح عبد الحكيم عامر كشفت المحاكمة عن تهريب المشير لكميات من الذهب ، والعجيب أن عبدالناصر دافع عن هذا التصرف ذاكراً أن ذلك كان تصرفاً سياسياً وليس تصرفاً مالياً لأن التهريب قصد به الاستعانة بالمال للدفاع عن مبدأ سياسي(٢) .

ولا شك أن هذا الدفاع معناه بوضوح أن عبد الناصر كان يستبيح لنفسه تهريب المال ضماناً للتقلبات السياسية وصيانة للمستقبل إذا ما اضطرته التقلبات أن يبعد عن السلطة ، فإذا كان يبيح ذلك لعامر إبّان ثورته عليه فمن المؤكد أن يستبيحه لنفسه .

ولنعد للمشير وأعوانه لننقل عنهم بعض المخازى المالية التي تجاوبت أصداؤها رسمياً في قاعات المحاكم مرتبطة بالتعذيب الوحشي لأعضاء مكتب المشير الذى اتُّهم به شمس الدين بدران وآخرون ، ونقتبس هنا كلمات محامي وزارة الدفاع ونصها :

إن المشير عامر الذى كان وزيراً للحربية ترك خزانته مفتوحة لشمس بدران وعلى شفيق وأعوانهما يأخذون منها ما شاءوا ، بغير رقيب أو حسيب وكان بعضهم يستعملون طائرة المشير الخاصة في نقل البضائع التي يتّجرون فيها ، والمليون جنيه التي وجدت في شقة على شفيق بعد قتله في لندن هي من هذه

---

(١) البحث عن الذات ص١٨٣ .

(٢) جلال الدين الحمامصي : حوار وراء الأسوار ص ١٧٠ و ٢٠٥ — ٢٠٦

الأموال . . كما أثرى بعض المجنى عليهم ثراء فاحشاً من أموال الدولة(١).

ويقول الاستاذ جلال الدين الحمامصى أنه شاهد إحدى الوقائع بنفسه فى لندن إذ رأى مجموعة من أطباق الفضة النادرة التى صودرت بمصر معروضة للبيع فى مزادات لندن(٢).

ويقرر أن عدة صحف نشرت أن مجوهرات الأسرة المالكة ومجوهرات الأثرياء التى صادرتها الدولة كانت تعرض للبيع فى أسواق أوربا(٣).

وهناك انحرافات مالية رهيبة جاءت عن طريق الموظفين الذين وُضعوا فى مناصب غريبة عليهم ليكونوا أدوات للكسب الزائف الدنىء ، ويرتبط هؤلاء بالمبدأ الذى ساد فى هذا العهد الأسود ، وهو تفضيل أهل الثقة على أهل الكفاءة ، وهو مبدأ نتدارسه فيما يلى :

الثقة لا الكفاءة

لايستطيع ملك أو رئيس أن يحكم وحده ، ولابدّ له من أعوان يشيرون عليه ويحكمون باسمه ، وعلى ولى الأمر أن يحسن اختيار أعوانه فهم امتداد له ، ويقول صلى الله عليه وسلم : من قلّد رجلا عملا على جماعة وهو يجد فى تلك الجماعة من هو أرضى منه ، فقد خان الله ، وخان رسوله ، وخان جماعة المسلمين .

فماذا نرى فى أعوان جمال عبد الناصر ؟

وما المقياس الذى اتُخِذ لاختيار هؤلاء ؟

---

(١) صحيفة الأخبار فى ٥ — ٤ — ١٩٧٩
(٢) حوار وراء الأسوار ص ١٧٢
(٣) المرجع السابق ونفس الصفحة .

لقد وضع هذا العهد أساساً عجيباً لاختيار الأعوان ، ذلك هو الثقة لاالكفاءة ، فاستبعد أهل الخبرة لأنهم لم يكونوا موضع ثقة(١) وأسندت المناصب الحساسة لمن يوثق بهم ولو لم يكونوا ذوى كفاءه لحمل هذا النوع من المسئوليات ، وغاب الرجل الكفء عن المكان الذى يناسبه ، وحُشِد الأتباع فى أدق الأمكنة ، حتى وُجِد فى المؤسسات الإسلامية من لايجيد قراءة الفاتحة ، ووجد فى المناصب الإدارية الكبرى بالجامعات من لم يسبق له أن التحق بالجامعات ، وأسندت أكبر الأعمال فى أعظم مشروع للإصلاح الزراعى لمن لم يدرس الهندسة ولاالزراعة ، وعندما كنت مديراً للمركز الثقافى المصرى بإندونيسيا وهى قطر غير عربى أرْسِل لى عدد من الموظفين الذين لايعرفون كلمة واحدة من اللغات الأجنبية ، فكان وجودهم عبئاً على المركز لاعوناً لتيسير شئونه .

وكان السلك الديبلوماسى من أهم الوظائف التى اهتم بها ولاة الأمور ، فاختاروا لهذا السلك أنصارهم حتى لايذيع هؤلاء بالخارج مخازى العهد ، فازدحمت وزارة الخارجية بهم ، وكان هؤلاء وسائل لذوى النفوذ ؛ يتاجرون باسمهم ، ويستوردون لهم مطالبهم .

وقد نشرت صحيفة أخبار اليوم فى ٧٤/٣/٢٣ صفحة كاملة عن هذه المخازى فقد اشتغل هؤلاء تجاراً ، وعاشوا لأنفسهم ولم يتذكروا بلادهم ، بل عرضوها للمآسى ، وتقول الصحيفة إنه عندما ألغيت أوراق النقد المصرى ذات الخمسين جنيها وذات المائة جنيه ، اتجه هؤلاء الديبلوماسيون لشراء هذه الأوراق بأرخص الأسعار ، وتوافدوا على مصر ليستبدلوا بها عملات لم يشملها الإلغاء من البنوك المصرية فى المدة المقررة ، وقد وصل إلى القاهرة منهم خلال هذه المدة القصيرة ٧٥٪ من تعدادهم ، وضُبِطت

(١) انظر هيكل : بصراحة عن عبد الناصر ص ١٨٧

حقائب بعضهم وبها عشرات الآلاف من الجنيهات ، ولكن سرعان ماصدرت الأوامر بتسليمهم الحقائب بما فيها ، وكأنَّ شيئاً لم يكن .

وحكاية أخرى : كان هناك إصرار من مراكز القوى على الاحتفاظ لأعوانهم بمناصب معينة فى سفارتنا فى عاصمة إحدى الدول ، وكانت حركة التنقلات والتعيينات الخاصة بهذه السفارة تصدر من مكاتب مراكز القوى ، وتُرسل إلى وزارة الخارجية للاعتماد والتنفيذ .

وفى سنة ١٩٧٠ اكتشفت سلطات الأمن المصرية السِّرَّ وراء إصرار مراكز القوى على إرسال رجالها إلى هذه السفارة بالذات ، إذ اتضح أن الذهب يباع فى البلد الذى به هذه السفارة بأسعار خيالية ، وأن رجال سفارتنا يهرِّبون الذهب من مصر ويبيعونه فى تلك الدولة ، ويحققون بذلك أرباحاً طائلة ، وفى سجلات إدارة مكافحة التهريب بمديرية أمن القاهرة ، وفى ملفات البوليس الحربى ما يثبت إلقاء القبض على موظف صغير قبل دقائق معدودة من إقلاع طائرته إلى عاصمة هذه الدولة ، إذ كان يحمل حقيبةً بها ٥٠ كيلو جراماً من سبائك الذهب عيار ٢٤ .

واعترف الموظف بكل شىء : إنه مجرد (شيال) ، مجرد وسيط بين مراكز القوى فى القاهرة التى تموِّل وبين أعوانها فى السفارة الذين يتولون « التسويق » وهو — أى الموظف — لا يعرف محتويات الحقائب التى يرافقها من القاهرة إلى الجهة التى يعمل بها . فهذا هو عمله الوحيد ، وسيط أبكم أصم أعمى .

ونتيجة لهذه الفئات الفاشلة التى ألحقت بالخارجيـة وبالوظائف الدبلوماسية دون كفاءات ، وُجد بالخارج ممثلون لمصر كانوا لا يعرفون لغة أجنبية ؛ واضطروا أن يعيشوا ~~منطوين~~ لا يتصلون بأحد ، وقد وصل بعضهم إلى درجة السفراء ، ولكنهم كانوا لا يعرفون عن هذا المنصب

إلا مزاياه المادية ، بل العجيب أن بعض السفراء وضع فى أخطر السفارات ، لا لشيء إلا لإبعاده عن مصر ، حتى وُجد خليط لا يربطه رابط إلا الجهل والمرارة ؛ وكانت بلادنا ضحية هذا العبث المشين . ضحية مبدأ الاعتماد على الثقة وإهمال الكفاءة .

صورة لنائب الرئيس فى ذلك العهد :

وفى الحديث عن الثقة والكفاءة نقفز إلى قمة من قمم الحكم فى العهد الماضى ، إلى واحد من أكبر أعوان رئيس الجمهورية هو نائبه « على صبرى » وقد شاهدنا هذا النائب يسافر إلى الخارج ويعود بطائرة خاصة تحمل ما عظم قدره وغلا ثمنه ، وكانت هناك سيارات ضخمة تنتظره فى المطار لتحمل هذه الثروة الهائلة وأدوات البذخ إلى قصره المنيف ، ولكن الستار كُشِفَ عن هذا التصرف ، فنشرت جريدة الأهرام أن الدولة وضعت يدها على كل هذه الأشياء ، ووصفت الصحيفة هذه المصادرة بأنها « ظاهرة صحيّة » ولكن نائب رئيس الجهورية ظل فى جبروته وسلطانه ، حتى لقد ائتمر بعد وفاة الرئيس ، ليجمع فى يده كل القوى والنفوذ . ويقف الإنسان حائراً ؛ هل كان هذا الرجل موضع ثقة وجديراً بها ؟ أو أنه قد انحرف وينبغى أن يعاقب ؟ ولكنا لا نجد جواباً شافياً ، فالمصادرة تتم ، والصحف تهاجم وتغمز ، ولكن الرجل يبقى فى نفوذه ، بل يحاول أن يزحف ليضم نفوذاً جديداً .

المشير والذهب :

بل نقفز إلى الشخص الثانى فى الدولة ، إلى المشير عبد الحكيم عامر الذى كان نائباً أول لرئيس الجمهورية ، ونائباً للقائد الأعلى للقوات المسلحة ، وكان يحرص إذا ذكر اسمه فى الإذاعة أو الصحافة أن يُتْبَع بهذه الألقاب ، ولن نتحدث عنه فى ظرف من الظروف العادية ، بل

سنقصر كلامنا على فجيعة مرّة حدثت فى أحلك الأوقات ؛ فى اليوم السابع من يونيو الحزين ، وقد نشرت جريدة الأخبار مقالا طويلا للأستاذ موسى صبرى تعليقاً على المحاكمات التى أجريت فى مطلع عام ١٩٦٨ بسبب تجمّع أعوان المشير حوله فى مؤامرة تستهدف استعادة السلطان له ولهم ؛ وكان دستورهم « لا ناصر بدون عامر » وفى هذه المحاكمات كُشِفَ القناع عن شناعة كبرى لا يغفرها التاريخ بحال من الأحوال ؛ ففى خلال الانسحاب المشئوم الذى تم بشكل غير منظم ، والذى قضى على كثير من رجال الجيش بأن يتساقطوا دون مقاومة ، وأن تزهق أرواح الآلاف منهم ويقع فى الأسر عدد كبير من الجنود والضباط ، ويهيم المئات ضالين فى سيناء ، فى نفس هذا الوقت كان كبار قادة الجيش يحفرون أرض الحدائق ليُخْفُوا حقائب مليئة بالذهب والعملات الأجنبية ، يا لله !! لقد باعوا بلادهم رخيصة ، وبلغت الأنانية مداها عندهم ، ولكن الله أنقذ البلاد وأوقع بهم .

ولا يمكن أن تمر هذه الحادثة المريرة دون أن نقتبس بعض كلمات للأستاذ موسى صبرى مما نشره بجريدة الأخبار يوم ٧–٢–١٩٦٨ مع تعليق بسيط ، هو أن هذه المحاكمة لم تكن لتتم ، وهذه الأسرار لم تكن لتذاع ، لولا أن هذا النفر بقيادة المشير كانوا قد وضعوا خطة للاستيلاء على الحكم ، ومن هنا قدّموا للمحاكمة .

وعن هذه المحاكمة يقول الأستاذ موسى صبرى :

إنها تكتب فصلا حزيناً من أيام تاريخنا ، تاريخنا الذى كنا نجهل الكثير من أسراره حتى جاءت هذه القضية لتعلننا بأعلى صوت : أفيقوا أيها الجماهير ، وتنبهوا ، واسمعوا بكل الآذان ، كيف كان نفر من قادتكم يحكمون مصيركم .

ويستمر موسى صبرى فيسأل : ماذا قال عباس رضوان ؟

قال عباس رضوان إن صلاح نصر سلمنى حقيبتين بهما ٦٠ ألف جنيه لأحفظهما فى مكان أمين ، ثم علمت أن هذا المبلغ يخص المشير ، لأن المشير قال لى بعد ذلك : « أنا كنت طلبت من صلاح تدبير حاجة ».. ويقول عباس رضوان إنى سألت صلاح نصر عن هذه الحاجة ، فقال لى : إنها المبلغ الذى أعطيته لك . .

ومتى حدث هذا ؟ . .

يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ .

يوم النكسة ، أسود الأيام ، ساعات استشهاد آلاف الأبطال من رجالنا ، يوم النفوس المحطمة فى كل بيت وكوخ وشارع وزقاق ، يوم وصول الأعداء إلى ضفة القنال .

هل كنتُ أستطيع أن أغالب الدمع وأنا أفكر فى قائد الجيش الذى تنبه وسط الحطام والأنقاض ليطلب من صلاح نصر تدبير مبلغ ؟ . فيعدُّ له هذا على الفور ستين ألفاً من الجنيهات ويعدُّ لها مخبأ أميناً ، وينتقل عباس رضوان فى سيارته ومعه (الأمانة) ، ليسترها تحت التراب فى حديقة منزل القرية .

وماذا قال أيضاً عباس رضوان ؟ . .

قال : المشير عامر قال لى .. فيه حاجة عاوز أشيلها عندك يا عباس .

- حاضر يا أفندم . .

- هاتها يا طنطاوى . .

ويحضرها طنطاوى على الفور . . وطنطاوى هذا هو السكرتير

العسكرى للمشير الذى صحبه إلى منزله ، وكان يقيم به مستمراً فى أداء وظيفته حتى بعد رفع كل السلطات من المشير . ويتسلمها عباس رضوان ، ويحتفظ بها فى منزله .

وما هى ؟ . .

حقيبة بها خمسة أكياس . . وكل كيس به ألف من الجنيهات الذهبية ، خمسة آلاف جنيه من الذهب ، أى خمسون ألف جنيه من العملة المصرية .

وأين كانت ؟ . .

كانت فى مكتب المشير . ثم انتقلت من مكتبه إلى منزله .

ومتى ؟ . .

وقت أن كان المشير غاضباً من أجل الديمقراطية . . : . ديمقراطية أكياس الذهب .

وقت أن كان المشير يتصل بعدد من الضباط ، ويعقد الاجتماعات السرية فى حجرة نومه ، وفيلا الدقى ، وشقة الشربتلى ، ويدرس الخرائط ويحدد العمليات . . من أجل ماذا ؟ . . ليعود إلى الجيش ويستولى على الحكم ويهدى أحكام البراءة لكل المسئولين عن الكارثة . .

* * *

وماذا قال أيضاً عباس رضوان ؟ . .

قال : فى يوم القبض على الضباط المتجمعين فى منزل المشير . . « سلمنى جلال هريدى مبلغ ٩٠٠ جنيه وقال لى : دول بتوع المشير و ٦٠٠ جنيه

بتوعه هوه . . وشمس بدران سلم لى مظروفاً فيه عملة أجنبية . . وصندوقا به عملة أجنبية أيضاً » .

ويقول رئيس المحكمة إن شمس بدران قرر أن العملات الأجنبية كانت ألفى جنيه إسترلينى و ٨ آلاف دولار . .

نعم آلاف العملات الأجنبية يحتفظ بها أشخاص كانوا فى موضع المسئولية . . ومصانع الكادحين العارقين تحتاج إلى قطع الغيار . ونداءات الكتّاب تطالب بربط الأحزمة على البطون لأن البلاد فى حاجة إلى كل مليم من العملة الصعبة لزيادة الإنتاج .

ومتى كان المتهمون يحتفظون بهذه الآلاف ؟ . . كان ذلك وهم يجتمعون ساخطين غاضبين : : من أجل الديمقراطية ؟ . . الديمقراطية فى توزيع أسلاب العملات الصعبة على من كان بيدهم كثير من سلطات الحكم .

مَنْ منا يستطيع أن يقوى على عينه فلا تذرف الدمع الحزين على هذا البلاء .. ؟ ؟

هذا ما ظهر .. وما خفى لابد أنه أعظم ؟ ..

والعجيب أن الأستاذ موسى صبرى مسه الضر بسبب هذا المقال لأنه كشف بعض أسرار الماضى ، فأبعد عن الكتابة ردحاً من الزمن ، لأنه كشف القناع عن جماعات كان يجب أن تظل مسدولة القناع ، ولأن كشف القناع عن هذه القمم يضع مؤشرات تهز كيان الحاكمين جميعاً .

الاستيلاء على أكياس الذهب باليمن :

واحتجزت العناصر الفاسدة من الضباط بعض أكياس الذهب باليمن ، تلك الأكياس التى كانت توزّع على القبائل لتؤيد مصر ، ونحن هنا نعانى

الحاجة والحرمان ، ويقول محمد حسنين هيكل وهو شاهد عيان عن هذه القيادات المنحرفة : لقد تسيَّبت بعض القيادات العسكرية باليمن ، وبدأت تستفيد من الحرب هناك(١) ، وسنورد تفاصيل هذا الموضوع عن اليمن . ضمن حوادث سنة ١٩٦٢ .

الاستيلاء على جواهر القصور

وأسند إلى الضباط المقرَّبين جَرْد القصور الملكية التى صودرت وبَيْع محتوياتها .. وامتدت الأيدى فسلبت ما استطاعت الحصول عليه من تحف هذه القصور وجواهرها ، ويقول الأستاذ سعيد سنبل فى ذلك ما يلى :

« عندما قامت الثورة الفرنسية احتفظت بقصور الملوك والأمراء والنبلاء ، واحتفظت بكل ما تحويه هذه القصور من كنوز ، ومن تراث تاريخى لا يقدر بثمن ، واهتم الشعب الفرنسى بحماية القصور ، فلم يهدمها انتقاماً من الملوك الذين ظلموه ، ولم ينهبها ؛ ولم يبددها ، وإنما حولها إلى متاحف تحكى تاريخ فرنسا . . .

« وتحولت هذه المتاحف بدورها إلى مصدر دخل للشعب الفرنسى ، لا ينضب ولا ينقطع . . فنى كل يوم يتوجه الألوف من زوار باريس إلى هذه القصور لزيارتها ومشاهدة ما فى داخلها . . ويدفع الزوار فى كل يوم ألوف الجنيهات ثمناً لهذه الزيارات . . تدخل جيب الشعب الفرنسى ..

« وعندما قامت الثورة فى ٢٣ يوليو . . وأطاحت بالملكية ، وصادرت أموالها . . كان المفروض أن تحتفظ بالقصور الملكية ، وأن تحتفظ بقصور الأمراء والنبلاء ، وأن تحولها إلى متاحف تحكى تاريخ مصر ، وأن تجعل منها مصدر دخل للشعب لا ينضب ولا ينقطع ، كما فعل غيرنا من الدول . ولكننا للأسف لم نفعل ذلك ؛ بددنا هذه الثروة ، وألقينا بها فى التراب .

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٠٢ .

« بيعت محتويات القصور بأبخس الأثمان والأسعار ، واختفت من هذه القصور أندر التحف والقطع الفنية التى صنعها أكبر المثالين والرسامين والفنانين تلك التى لا تقدر بثمن . . فنهبت ، وهربت إلى الخارج فى ظل قوانين الحراسة والمصادرة »(١) .

ونرجو أن يجىء اليوم الذى نعرف فيه أين اختفت جواهر الأسرة المالكة ومحتويات القصور المصادرة ، والقصور التى فرضت عليها الحراسة .

ولا شك أن مثل هذا الانحراف كان له أسوأ العواقب على جيشنا وعلى المعارك التى خاضها ، فالتطلع إلى مباهج الحياة والرغبة فى الانغماس فيها ، كل ذلك يتنافى مع التضحية التى هى الأساس الأول لانتصار الجيش ونحن نتذكر الحكمة التى تقول « اطلب الموت توهب لك الحياة » ، ولكن هؤلاء طلبوا متع الحياة ، فقضوا بالموت على كثير من الشباب الأبرياء .

وبعد ، يتحدث بعض الناس عن فقر مصر ، وأنا أعجب كيف استطاع اقتصاد مصر أن يتحمل هـذه السرقات ، وتلك الانحرافات الباهظة ، ولا أعتقد أن دولة أخرى تستطيع أن تعيش وهى تخسر مئات الملايين فى الحروب المتعددة ، ومئات الملايين فى الأطماع باليمن والكونغو . . ومئات الملايين فى المشروعات الفاشلة ، ومئات الملايين فى وحدة بلا أساس ، ومئات الملايين ينهبها الناهبون ، ومئات الملايين فى إقامة مصانع تتلف قبل أن تُشاد ، ولا يعرف لها إنتاج .

كيف استطاعت مصر أن تعيش مع كل هذا ، ومع ما هو أكثر من هذا ؟

الإجابة : أنه عون الله الذى حمى هذا البلد الأمين من الانهيار .

---

(١) أخبار اليوم فى ١٩٧٥/٦/٢١ بتصرف .

خوفهم من الديمقراطية :

بعد هذه الجولة عن الانحرافات المالية نتجة إلى صفة أخرى كانت بارزة عند هؤلاء الذين حكمونا، وهى خوفهم من الديمقراطية ، ويقول محمد نجيب : إن قرارات ٥ مارس سنة ١٩٥٤ التى قضت بإلغاء الرقابة على الصحف وبإلغاء الأحكام العرفية ، والعمل على إقامة برلمان يمثل الأمة تمثيلا صحيحاً . . . هذه القرارات الديمقراطية أدت الى توافر قدر كبير من الحرية استغلته بعض الصحف مثل « الجمهور المصرى » فى مهاجمة سلوك ضباط البوليس الحربى وهذا بذر بذور الخوف فى نفوس الضباط ، وجعلهم يعتقدون أن العودة للديمقراطية تعنى الأضرار بهم ومحاسبتهم على أخطائهم(١) .

ويعترف إبراهيم الطحاوى بنفس النتيجة ، فهو يذكر أن حسين الشافعى حضر له ليبلغه أن مجلس الثورة قرر الانسحاب والعودة للثكنات ، فاعترض إبراهيم الطحاوى على ذلك وقال : إن الانسحاب معناه دخول السجن . ولذلك يقول الطحاوى إنه قرر المقاومة فى وقت كانت الجماهير تهتف : إلى السجن يا جمال . إلى السجن يا صلاح . لا ثورة بلا نجيب(٢).

ويروى الأستاذ صلاح الشاهد صورة من صور معارضة العسكريين للديمقراطية فيقول : فى ليلة من ليالى رمضان عقد مجلس الوزراء جلسة وامتد انعقادها إلى بعد منتصف الليل ؛ ثم خرج جمال سالم وكان نائبا لرئيس مجلس الوزراء ، وقابله الصحفيون وسأله أحدهم عن حقيقة ما أشيع حول ترشيحه لرياسة المجلس النيابى المزمع انتخابه ، فصرخ فيه جمال سالم قائلا :

هل تظن أن هذا الشعب يحكم حكما ديمقراطياً ؟ يجب أن يحكم بالحديد والنار . فقال له أحد الصحفيين : ولكن الرئيس جمال عبد الناصر صرح

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ٤٤٢ . (٢) المرجع السابق : ص ١٧

فى خطاب له بأن الانتخابات على الأبواب ، وأن المجلس النيابى سوف يعقد قريباً .

فثار جمال سالم وقال : هذا كلام فارغ ، لا مجلس نيابى ولا حاجة أبداً . ويستمر صلاح الشاهد فى ذكر بعض التفاصيل عن هذه القصة فيقول إن الصحفيين دهشوا لهذا التناقض ؛ وأظهروا دهشتهم لجمال سالم ، وكان رده على ذلك أن أقسم بأنهم لن يغادروا الرياسة قبل طلوع الشمس ، وجلس هو معهم حتى بزغت الشمس ، وصام من صام منهم دون تناول السحور(١) .

ويذكر محمد نجيب السبب فى بعد الضباط عن الديمقراطية بقوله : يبدو أن قدرة العسكريين على استيعاب المعانى السامية للديمقراطية أمر شديد الصعوبة نتيجة لطبيعة حياتهم داخل الجيش ، حيث تنفذ الأوامر بلا تردد ، ولا مجال للشورى وتبادل الرأى ، ومثل هذه الحياة قد تكون طبيعية فى الجيش ، لأن الانضباط أساس القتال ، ولكن السياسة أمر يختلف عن ذلك تماماً ، فهى يجب أن تكون تفاعلا حياً وفهماً لآراء الجماهير ومعتقداتها(٢) .

سوء العلاقة بين بعضهم والبعض :

يقول محمد رياض : إنه عندما كان يعمل (ياور) محمد نجيب اتصل به بعض الضباط ليكون جاسوساً على محمد نجيب ، ويقول محمد رياض أنه رفض ذلك(٣) .

وكان مجدى حسنين يعمل مديراً لمكتب محمد نجيب ؛ ومع هذا فقد

---

(١) ذكرياتى فى عهدين : ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .
(٢) كلمتى للتاريخ ص ١٦٠ .
(٣) كلماته فى ثورة يوليو ص ٤٠٣ .

كان هو المحرك للمظاهرات التى حدثت فى ٩ مارس سنة ١٩٥٤ ، وكان بيده مكبر للصوت يصدر به أوامره للمتظاهرين بالحماس للهتاف ضد محمد نجيب ، وقد حاول المتظاهرون الاندفاع إلى مكتب محمد نجيب ، فوقف بعض حراسه أمامهم ، ومنهم الضابط البحرى لطفى السيد ولكن أحد ضباط الشرطة العسكرية وهو خال لطفى السيد تقدم منه وصفعه على وجهه وهدده بالقتل ، ومن أجل هذا لجأ لطفى السيد إلى الملك سعود طالباً أن يكون فى حمايته ، وقال الملك : سوف آخذه معى إلى السعودية فأنا ملك عربى لا أتخلى عمن طلب حمايتى(١) .

وكان محمد نجيب يحاول أيضاً أن يتجسس على أعضاء مجلس قيادة الثورة فإن الضابط محمد توفيق عبد الفتاح يذكر أنه وهو يعمل فى مكتب محمد نجيب مع حافظ إسماعيل ، طلب منه محمد نجيب أن يراقب الآخرين مراقبة سياسية(٢) .

وعند عودة عبد الناصر من باندونج رأى عبد الحكيم عامر ، وزكريا محيى الدين ، وكمال رفعت ، وأحمد لطفى واكد أن يدفعوا الشعب لاستقبال العائد استقبالا شعبياً ، ولكن جمال سالم الذى كان يقوم بأعمال رئيس الجمهورية رفض ذلك ، ولكن الأولين أصروا على موقفهم ونفذوه(٣).

وقد وصلت سوء العلاقة إلى قمتها عندما هاجم صلاح سالم أعضاء مجلس الثورة ، واتهمهم بالخيانة ، وأنه يجب محاكمتهم ، وأخذ يتهكم على البعض ثم صرخ : « تنازلوا عن السلطة ، وجيبوا هيئة تأسيسية لتحكم البلد »(٤) .

---

(١) صلاح الشاهد : ذكرياتى فى عهدين ص ٢٨٠ .

(٢) شهود ثورة يوليو ص ٣٦٤ .

(٣) شهود ثورة يوليو ص ٧٤

(٤) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٢٩١

ويضع محمد نجيب أقسى تعبير عن سوء العلاقة بينه وبين ناصر وعامر عندما يقول : « لم أعد أستطيع النظر فى وجه جمال وعبد الحكيم . . . كنت أرى على وجهيهما قناع إبليس ، ومن أيديهما تقطر الدماء »[١] .

أما ألوان الصراع والتلاحم بالأيدى ، واعتقالات الضباط بعضهم لبعض والتعذيب الذى قام به بعضهم ضد البعض ، وتدابير القتل التى نظمت شباكها من بعضهم ضد البعض الآخر . . . فلنا معها حديث آخر فيما بعد تحت عنوان « الثورة تأكل نفسها » .

وسنكون كعادتنا مقتبسين من كلامهم ليكون كل منهم حجة صدق على الآخرين .

وهكذا كان عدمُ التعاون ، وكانت الشكوك والصراع والمؤامرات وسائل استنفدت جهود الثوار ، فلم تتحقق للبـلاد مصلحة ولا قُضى لها مطلب .

عزلة بين قادة الثورة وبين الجيش والشعب :

إن قادة الثورة يعترفون بوضوح بأنه كانت هناك هوة ساحقة بينهم وبين الشعب ، وأن هوة ساحقة أخرى قامت بينهم وبين الجيش ، وأن المظاهر الكاذبة لم تُخفْ هذه الهوة . ويقرر الكاتبان الروسيان بيليايف وبريماكوف أن الطبقة المتوسطة لم تحتشد خلف القادة ، ولم تلتف بهم ، وكان ذلك واضحاً حتى بعد أعوام كثيرة من وقوع الانقلاب[٢] .

وقد اعترف جمال عبد الناصر بهذه النتيجة اعترافاً واضحاً حين قال : إن هذه الثورة ليست لها قاعدة شعبية تعتمد عليها ، وليس لها من يؤيدها

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ١٤٤

(٢) مصر فى عهد عبد الناصر ص ٣٣ — ٣٤

لا من الشعب ولا من الجيش ، وإن الذين قاموا بها تسعون ضابطاً فقط ، وإنهم فى تناقص حتى أصبح عددهم خمسين ضابطاً لا غير(١) .

ويقول محمد نجيب : كانت تصرفات أعضاء المجلس تحاصرهم فى عزلة من الضباط ومن الشعب ، وقد أسدلت ممارسة السلطة عليهم ستاراً لا يشهدون معه إلا عواطف الانتهازيين والمتقربين(٢) .

ونعود إلى عبد اللطيف البغدادى الذى يقول إنه اتصل بعبد الحكيم عامر وبلّغه مالمسه وسمعه من ضباط القوات الجوية وخلاصته أنهم فقدوا الثقة فى قيادتهم نتيجة للأخطاء التى حدثت (٣) .

والعجيب أن قادة الثورة بعد أن أدركوا بُعْد الشعب والجيش عنهم وبخاصة فى مارس سنة ١٩٤٥ لم يتخلوا عن الحكم ، بل قرروا أن يعودوا الثكنات ليقوموا بثورة أخرى كما قال حسين الشافعى لإبراهيم الطحاوى فى اللقاء الذى أشرنا له آنفا . ونفس الجملة تقريباً قالها عبد الناصر فى التليفزيون المصرى وسمعتُها منه مع الملايين الذين سمعوها ، وكانت قولته تهديداً لاعتراض على اقتراح تقدم هو به ولم يُقبل هذا الاقتراح ، فصرخ فى السامعين : « سألبس الكاكى وأعود لكم بثورة أخرى أنفذ بها ما أريد » .

ويثبت عبد اللطيف البغدادى هذا التهديد فيروى أن عبد الناصر تقدم مرة باقتراح إلى مجلس قيادة الثورة يقضى بطرد أفراد أسرة محمد على خارج البلاد وبمحاكمة الطلبة والأخوان المسلمين أمام محكمة عسكرية ، واتجه محمد نجيب إلى تأجيل الاجتماع ريثما تهدأ النفوس ثم يُدْرَس هذا الاقتراح بعيداً عن الانفعال ، ولكن عبد الناصر طالب بإعفائه من عضوية المجلس ، وأعلن

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص١٧٢

(٢) كلمتى للتاريخ ص ١١٧

(٣) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٣٦٠

أنه سيختفى ويعمل بصورة سرية ثم يظهر فى يوم من الأيام ويقوم بثورة جديدة (١) .

وقد عبّر سليمان حافظ عن مدى الكراهية بين الشعب وبين قادة الثورة بقوله لعبد اللطيف البغدادى عقب الاعتداء الثلاثى : أنا أقول لكم الحقيقة والناس لاتصارحكم بها ، وهى أن جمال مكروه وغير محبوب ، فسأله عبد الحكيم عامر : وكيف تفسر نتيجة الاستفتاءات التى تثبت عكس ما تقول ؟ فرد سليمان حافظ : إننا نعلم جميعاً كيف تجرى مثل هذه الأمور ، وبخاصة إذا كان الشخص المستفتى عليه يتولى زمام الحكم فى البلاد . (٢)

ويعترف الكاتبان الروسيان بيليايف وبريماكوف بأن عبد الناصر وقادة الثورة الآخرين سرعان ما واجهوا الخوف من جماهير الشعب ؛ من العمال والفلاحين الذين قال أولئك القادة من قبل إنهم يفكرون بهم(٣) .

مجتمع حقد :

ونختم حديثنا الإجمالى عن قادة الثورة بمقتبسات من كلمات أنور السادات صوّر فيها المجتمع الذى خلقه الثوار ، بأنه مجتمع حقد ، وفيما يلى كلماته :

« فى الثمانية عشر عاماً السابقة على رئاستى للجمهورية ، حاولوا أن يجعلوا من مصر مجتمع حقد . . . ومن نتائج مجتمع الحقد هذا وُجدَتْ حالة الضياع عند الشباب فى مصر لأن المجتمع كان خالياً من أى قيم . وأنا شخصياً عندما دخلت مجلس قيادة الثورة ، شعرت أن هناك خللاً فى

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ١٣٨

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٤

(٣) مصر فى عهد عبد الناصر ص ٢٠٣

توازنى الداخلى ، وأنى فى الطريق إلى أن أفقد سلامى الروحى . (١)

وفى جو الحقد والصراع الذى سيطر بشكل واضح على مجلس قيادة الثورة انصرف الاهتمام عن مصالح الشعب ، بل أصبح الإنسان المصرى ضحية هذا الحقد فكان يؤخذ بجرم غيره ، أو بدون جرم على الإطلاق . وكانت الإشاعات وحدها كافية للقضاء على أى إنسان ، وكان يساند هذا الجو الرهيب اعتقاد القادة بأن لهم الحق فى أن يفرضوا على البلد مايشاءون .

تلك كلمة عن قادة الثورة أبرزنا فيها ثقافتهم وصفاتهم وننتقل بعد ذلك خطوة لنتحدث عن صراعهم ضد بعضهم البعض ، ذلك الصراع الذى وصل إلى التشابك بالأيدى وتدبير المؤامرات ، وعندما ننتهى من هذه المرحلة نخطو لمرحلة أخرى نتحدث فيها عن كل واحد منهم على حدة ، ولعل كل هذه الخطوات توضح صورة هؤلاء القادة الذين سيطروا على مصر فى أدق مرحلة من مراحل تاريخها ؛ وبالتالى تبرز الأسباب التى حملت لمصر الهزائم والتخلف عن ركب المجتمع العالمى الذى يسير إلى الأمام .

---

(١) — البحث عن الذات ص ١١٣ ، ١١٧ ، ١٨٢

الثورة تأكل نفسها

إن الذى يسجل حياة ثورة ٢٣ يوليو يرى بوضوح أن ما أنزله الضباط بعضهم ببعض أقسى مما أنزله الضباط بالشعب ، لقد كان كلٌ منهم يعيش فى قلق ، ويصارع سراً أو جهراً للبقاء ولو على حساب الآخرين وسنرى ذلك من كلامهم فيما بعد ، ولكن الذى نسرع فنقرره حرصا على الأجيال القادمة أن من واجب المواطنين أن يحرصوا على تجنيب البلاد حكم العسكريين ، ففى حكمهم دمار للعسكريين ، وللمدنيين ، وللبلاد .

وفى الحديث عن هذا الموضوع نذكر أن هذا العنوان الذى وضعناه أعلى هذه الكلمات ليس من صنعنا ، وإنما هو تقريباً من كلمات الرئيس محمد نجيب ، فهو يقول : إنه منذ وقت مبكر أصبحنا كما يقول المثل البلدى « مثل السمك نأكل بعضنا »[1] ويقول اللواء حسنى عبد المجيد : إننى رأيت الأخ يطعن أخاه فآثرت البعد عن هذه الخلافات »[2] . .

والذى يتتبع الثورة وهى تأكل نفسها يرى صوراً تقشعر لها الأبدان من خيانات الأصدقاء ، ومن الصراع بين الجبهات المتعددة ، ويرى التلاحم بالأيدى ، ويرى المؤامرات والانقلابات ، ويرى الاعتقالات الجائرة ، بل يرى أحياناً اعتقالا يقوم به ضابط أو ضابطان دون أوامر من السلطات العليا ، ويرى عزل الضباط وضربهم وتعذيبهم إلى درجة الموت أحياناً ، ويرى التهديد بالقتل والاغتيال . . .

كل هذا يراه من عاش مع المراجع التى كتبها الضباط أنفسهم ،

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ٥٩ .

(٢) شهود ثورة يوليو ص ١٢٨ .

وهى نتيجة تخفف أسى المدنيين ، فإن ما أنزله الضباط بعضهم ببعض لم يكن أقل مما أنزله الضباط بالمدنيين ، كما قلنا آنفاً .

وسنقتبس فيما يلى صوراً قليلة مما لدينا حول هذا الموضوع :

بدأ الحقد بين جماعات الثوار مبكراً جداً ، ويحدثنا أنور السادات عن ذلك بقوله : « إن مواجهتى للأحداث من مطلع الثورة تسببت فى خلق حساسيات كثيرة بينى وبين الزملاء فى مجلس قيادة الثورة ، ولم أتنبه إلى هذه الحساسيات فى بادىء الأمر ، ولكنى بعد ذلك عانيت الكثير منها »(١) .

ومن الحساسيات ننتقل إلى التجسس وخيانات الأصدقاء ، وقد شاع ذلك شيوعاً كبيراً ، ويقول حسنى عبد المجيد : إن حمدى عاشور وهو زميل فى التخرج طلب منى التجسس على اثنين من زملاء الدفعة هما أحمد جمروش ومحمود الغراب ، وكان الأول قد اعتُقل مدة خمسين يوماً فى يناير سنة ١٩٥٣ ، وعُرف بأنه يسارى ، والثانى كان معروفاً بأنه من الأخوان المسلمين(٢) .

ومن الخيانات ما يذكره حسنى الدمنهورى من أن ضابطين هما فؤاد الشاهد وصفى الدين حسين نقلا بعض أخباره إلى بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وسُجلت أقوالهما على شريط ليواجه به حسنى الدمنهورى عند محاكمته(٣) .

وننتقل من الحساسيات والتجسس إلى الصراع ، وقد بدأ الصراع فى مجلس قيادة الثورة — كما يقول أنور السادات — فى وقت مبكر جداً ، وفيما

---

(١) البحث عن الذات ص ١٤٧ .
(٢) شهود ثورة يوليو ص ١٢٨ .
(٣) شهود ثورة يوليو ص ١٢٥ .

يلى كلماته : كان زملائى من أعضاء مجلس قيادة الثورة مجموعة من الضباط الشباب ، كانوا منذ ثلاثة أيام فقط يجلسون إلى مكاتبهم فى القاهرة كما يجلس الكثيرون ، وبعد ثلاثة أيام من إعلان الثورة وجدوا أنفسهم ينتقلون فجأة إلى مركز السيادة ، ومن ثم كان الصراع على السلطة . . . وبعد ثلاثة أسابيع من قيام الثورة كانت الصراعات داخل مجلس القيادة قد بلغت حداً يحتم ضم عناصر جديدة ، و محايده إلى المجلس عسى أن يخفف ذلك من حدة الصراع[1] .

وكان صلاح سالم شديد الهجوم على محمد نجيب فى مطلع الثورة ، وكان هو وأخوه جمال سالم — كما سنرى فيما بعد — أداه طيعة فى يدى جمال عبد الناصر للتخلص من محمد نجيب ، وهاجم صلاح سالم أكثر الأعضاء ، ثم هوجم بعنف داخل المجلس حتى اضطر للاستقالة ، وهوجم خارج المجلس بقسوه من الطحاوى وطعيمة[2] :

وقد وصل الصراع إلى التلاحم بالأيدى بين جمال سالم ومجدى حسنين ، وكان جمال سالم قد حاول ضرب أحد الحاضرين فى النقاش الذى دار حول مشروع مديرية التحرير[3] .

أما الصراع الذى دار بين عبد الناصر وأتباعه من جانب ، وبين المشير ورجاله من جانب آخر ، فقدكان صرآعا مدمراً لكل القيم والآمال ، وقد شمل صوراً من التهديد والأعمال الخلقية ، ومن ذلك ما يرويه حسين عرفة بقوله : إن مبنى المباحث العسكرية قد حوصر بقوات من البوليس الحربى تحت قياده القائمقام عبد العزيز سليمان ، فقلت له : لماذا تفعل هذا

---

(١) البحث عن الذات ١٥٧ — ١٦١ : بإيجاز

(٢) كلمات محمد أبو نار فى شهود ثوره يوليو ص ٣٨٣ :

(٣) كلمات مجدى حسنين فى المرجع السابق ص ٣٦٢ :

ونحن نخدم الرئيس جمال عبد الناصر . فأجاب : ونحن ننفذ أوامر المشير عبد الحكيم عامر[١] ، وكان عبد الناصر يقول عن عامر : إن الطفل المدلل أصبحت له أنياب وأظافر[٢] :

ولننتقل إلى المؤامرات والانقلابات التى حدثت من بعض الضباط ضد آخرين ، وهى سلسلة متصلة يمكن القول إنها شملت العصر كله ، وسنرى فيما بعد صراع مارس سنة ١٩٥٤ وما دار فيه ، ولكننا هنا ننقل عن عبد اللطيف البغدادى قوله : لم يكن قد مضى شهر على تسوية الخلاف مع محمد نجيب حتى واجهنا مشكلة أخرى جديدة يوم ٢٧ إبريل سنة ١٩٥٤ ، فى هذا التاريخ اجتمع بعض من ضباط سلاح الفرسان بمبنى السينما داخل معسكرهم بالعباسية ، وقرروا القيام بانقلاب عسكرى على أن يبدأ صباح اليوم التالى ، وقرروا كذلك مهاجمة منزل جمال عبد الناصر ، ومبنى القيادة العسكرية بكوبرى القبة ، وكذلك مبنى قيادة الثورة بالجزيرة ، وقد تم القبض على ستة وعشرين ضابطاً وعلى المدنيين الذين قيل إنهم يتعاونون معهم[٣] .

وكان عبد اللطيف البغدادى حريصاً على إدانة مجدى حسنين فى قضايا مديرية التحرير ، فأوغز — وهو رئيس مجلس الأمة — إلى وجيه أباظه بجمع توقيعات من نواب الشرقية لإسقاط عضوية مجدى حسنين ، ولما عرف جمال عبد الناصر ذلك قال : إن البغدادى عمل هذا الموضوع (من ورايا) ، وتراجع النواب الذين كانوا قد تكتلوا ضد مجدى حسنين عندما وقف عبدالناصر معه ضد اتجاهات رئيس مجلس الأمة [٤] وسنرى ذلك مفصلا فيما بعد .

أما الاعتقالات التى أنزلها الضباط بعضهم ببعض فكثيرة ومتتابعة ،

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ١٤٣

(٢) أحمد حمروش : مجتمع جمال عبد الناصر ص ٢١٤ :

(٣) مذكرات عبد اللطيف بغدادى ص ٢١٨ — ٢١٩

(٤) كلمات أحمد لطفى واكد فى شهود ثورة يوليو ص ٧٨ .

وقد بدأت باعتقال رشاد مهنا وضباط المدفعية بعد شهور قليلة من قيام الثورة ، واستمرت الاعتقالات دون توقف حتى سنة ١٩٦٨ عندما جرت الاعتقالات الشهيرة لأعوان عبد الحكيم عامر . وإذا تغاضينا عن هذه الاعتقالات لكثرتها ، فإننا لا نغض الطرف عن اعتقال وحيد فى نوعه ، ذلك هو ما يرويه عبد اللطيف البغدادى من أن اليوزباشى كمال رفعت ؛ واليوزباشى حسن التهامى قاما من تلقاء أنفسهما بإلقاء القبض على محمد نجيب رئيس الجمهورية ، ونقلاه أسيراً إلى « ميس » سلاح المدفعية (١) .

وكان عزل الضباط عملا عادياً بذنب أو بدون ذنب ، وقد بدأ ذلك مبكراً منذ عمدت الثورة إلى عزل كبار الضباط ؛ ولكن الأمر وصل إلى مدى يثير السخرية ، فقد اقترح جمال سالم التخلص من كل ضابط فى الجيش غير موال للثورة ، والإبقاء فقط على الموالين لها حتى لو أصبح عددهم ثلاثمائة ضابط فقط(٢) .

وهناك نموذج يثير الشجن يرويه الضابط آمال المرصفى الذى يقول : إنه ألقى القبض عليه فى إبريل سنة ١٩٥٤ ، ثم عزل عن الجيش وكان عمره لا يتجاوز ستة وعشرين عاماً (٣) .

فإذا وصلنا إلى الضرب والتعذيب الذى أنزله بعض الضباط ببعضهم الآخر فإننا نشاهد قسوة بالغة ، ينفر العقل السليم من حدوثها ضد المجرمين وقطاع الطرق ، فما بالك أن تحدث من ضابط ضد ضابط ، وفى هذا المجال يقفز إلى الذهن اسم البكباشى حسنى الدمنهورى ، وهو أكبر سناً وأقدم رتبة من أكثر أعضاء مجلس قيادة الثورة ، أو قل بوجه الدقة أقدمهم جميعاً إذا استثنينا محمد نجيب ويوسف صديق ، وكان مطلع غضب حسنى

---

(١) مذكرات عبد اللطيف بغدادى ص ١٠٩

(٢) المرجع السابق ص ١٨٢

(٣) كلمات آمال المرصفى فى شهود ثورة يوليو ص ٨٤ .

الدمهوري كلمة قالها اللواء صلاح حتاته في اجتماع بسينا هاكستيب ضمه الضباط الثائرين على مجلس قيادة الثورة ، إذ قال اللواء صلاح حتاتة : « الضابط اللي ما يعجبوش حنضربه بالجزمة » ، وعقب ذلك انسحب حسني الدمنهوري ، وانسحب ضباط اللواء الرابع ، واستدعاه محمد نجيب في أول يناير سنة ١٩٥٣ لمساءلته عما حدث منه ، وكان يقف جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر خلف محمد نجيب ، فأبدى الدمنهوري احتجاجه على وقوف اثنين من الضباط أحدث منه رتبة في أثناء التحقيق .

ولم يكن حسني الدمنهوري يدرك أن الثورة قد قفزت بهذين الاثنين إلى مكانة تبيح لهما كل شيء ، وقد دفع ثمن ذلك غالياً ، وبخاصة عندما تم اعتقال رشاد مهنا وعدد من ضباط المدفعية في ١٥ يناير سنة ١٩٥٣ ، واحتج حسني الدمنهوري على ذلك ، ولم يكن قادة الثورة يحتملون كلمة الاحتجاج ، وكان عقابه ما يرويه هو عن نفسه قائلاً : في يوم ١٧ يناير فوجئت بحضور أحمد أنور ومجدى حسنين وأحمد طعيمه وإبراهيم الطحاوي ومحمد أبو نار إلى منزلي ليلاً بالمدافع الرشاشة حيث اعتقلوني ، وذهبوا بي إلى معسكر قصر النيل حيث وجدت لجنة يرأسها عبد اللطيف البغدادي ، وأعضاؤها : عبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين وصلاح سالم ؛ ووقف خلفي حرس من كمال رفعت وحسن التهامي ومحمد أبو نار وهم يحملون المسدسات ، وقبل المحاكمة فوجيء حسني الدمنهوري بهم يخلعون علامات الرتبة ، وكأنهم يصدرون الحكم قبل التحقيق ، ويواصل حسني الدمنهوري كلامه فيقول : انطلق صلاح سالم يقذف في وجهي كلمات قبيحة ، وتبادلنا السباب والاتهامات ، ولكني تعرضت لضرب شديد قاس من ضباط الحرس الثلاثة الذين ذكرتهم آنفا ، واستمر الضرب من الرابعة فجراً حتى الرابعة مساء ، ولم يقدم لي طعام ولا شراب طيلة هذه المدة . . . وقد حكم عليه بالإعدام ، ونقل إلى السجن الحربي مقيد اليدين والرجلين(١) .

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ١٢٥ ، ١٢٦

ويروى محمد نجيب أنه علم من زوجة المرحوم الأميرالاى وصفى مدير الحدود الأسبق أن ابنها الضابط محمد وصفى ضابط مخـــابرات مطروح قد تعرض للضرب والتعذيب من صلاح سالم الذى ركله برجله فى صدره حتى نزف الدم من فمه ، ثم توفى عقب ذلك(١) .

بقى من سلسلة المآسى التى تَرْوِى أن الثورة أخذت تأكل نفسها أن نذكر صوراً من التهديد بالقتل والاغتيال ، ومن محاولات القتل والاغتيال ، ففى مطلع عام ١٩٥٣ وصلت إلى مجلس قيادة الثورة معلومات عن أن هناك عملية مدبرة لاغتيال أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكان جزاء من اتهموا بذلك أن قبض عليهم ونالوا أشد العقوبات كما يقول محمد نجيب وقد طلب عبد الحكيم عامر من محمد أحمد رياض قائد حرس محمد نجيب أن يسافر إلى أمريكا لأنه مريض ، ورفض محمد أحمد رياض ذاكراً أنه لا يحس بأى مرض ، ولكن محمد نجيب طلب منه السفر لأنه علم أن هناك تفكيراً فى اغتياله(٢) .

وفى أثناء أزمة مارس سنة ١٩٥٤ اتفق عدد من ضباط السوارى على توجيه إنذار للقيادة بضربها بنيران الدبابات (٣) .

وهناك مؤامرة قام بها أربعة عشر ضابطاً كانت خطتهم تقضى بالاعتداء على أعضاء المجلس فى أثناء حضورهم لحفلة فى صالة السينما الصيفى فى حديقة الأزبكية ، وكانت الخطة تتجه أساساً للقضاء على جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين (٤) .

ويروى محمد رياض أنه فى أثناء أزمة مارس سنة ١٩٥٤ عرض على محمد نجيب التخلص من أعضاء مجلس الثورة بناء على خطة سبق أن تم

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ١١٧

(٢) كلمتى للتاريخ ص ١١٦

(٣) رواية توفيق عبده اسماعيل فى شهود ثورة يوليو ص ٩٧ .

(٤) المرجع السابق ص ١٣٧.

وضعها بالهجوم على مبنى البرلمان أثناء انعقاد مجلس الثورة به ، فوافق عليها أولاً ثم عاد وطلب استشارة خالد محيى الدين . . . (١)

ويقول الضابط حسين عرفه إنه اكتشف أن اثنين من ضباط الطيران كانا قد كُلِّفا بوضع قنبلة في طائرة كان يستقلها عبد الحكيم عامر ، كما أن جماعة من المهندسين كانت تعد خطة لقتل أعضاء مجلس القيادة (٢) .

أما محمد نجيب ، فقد تعرض أكثر من مرة لتدبير مؤامرات للقضاء عليه ؛ ويقول الضابط محمد رياض ياور محمد نجيب إن مجلس الثورة قرر التخلص من محمد نجيب بقتله ، وعندما حدثت مناقشة فى ذلك رُفِض الاقتراح بأغلبية ضئيلة (٣) ، وهذه الحادثة يرويها عبد اللطيف البغدادى محدِّداً أن جمال سالم اقترح أن يقوم بالاعتداء على محمد نجيب ذاكراً أنه (ميرابو الثورة) ، وللمجلس أن يحاكمه عقب ذلك .

أما الصراع الذى دار بين العسكريين عقب هزيمة ١٩٦٧ فهو صراع تقشعر له الأبدان ، وقد استعملت فيه أحطّ الحيل من جانب للإيقاع بالجانب الآخر ، وعلت فيه صيحات « لا ناصر بدون عامر » ، وفى يوم ١٠ يونيو عندما ظهر الأمل فى عودة عبد الحكيم للسلطة « وزع القوم الشربات (٤) » ولعل هذا الشراب كان أحمر اللون قانياً كالدماء التى كانت لاتزال تنزف فى سيناء ، وعلى ضفتى القناة ، وسقط عبد الحكيم عامر فى معمعة هذا الصراع .

* * *

تلك صور قليلة نرويها مما بين أيدينا مما يدل على أن الثورات العسكرية لا تعرف الأصدقاء ، ولا تعرف الاستقرار ، ولا تعرف القيم .

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ٣٠٤ .
(٢) المرجع السابق ص ١٣٨
(٣) المرجع السابق ٤٠٣
(٤) شهود ثورة يوليو ص ٢٦٨

أعضاء مجلس القيادة

فى مطلع حديثنا عن « قادة الثورة : تعريف بهم من كلامهم » ذكرنا أننا سنتحدث إجمالاً عن القادة ثم نعود للحديث عن كل منهم على حدة ، وجاء الآن دور الحديث عن كل فرد من هؤلاء الأفراد :

محمد نجيب

إن الحديث عن محمد نجيب ليس طويلاً وليس صعباً ، فالرجل يصور نفسه تصويراً واضحاً فى كتابه « كلمتى للتاريخ » والذى يقرأ هذا الكتاب بدقة يجد أنه أمام إنسان تعبرٌ عنه الجملة المصرية «على نياته» فقد قالوا له تعال لترأس الثورة فأقدم ، ووضع نفسه فى الخطر ، بحيث كان أول اثنين يمكن أن يقادا للمقصلة لو فشلت الثورة ، وطالما فشلت الثورات .

وقالوا له إنك رئيس مجلس القيادة ، وصدق ؛ وليس هناك ولاء يضمره أو يعلنه أى واحد من الأعضاء له فيما عدا خالد محي الدين ويوسف صديق ، كما يقول فى كتابه ، ولكنه كذلك مخطىء فى اعتقاده فيهما ، فهما رجلان لهما مبادىء واتجاهات خاصة ، ولم يجمعها به إلا وقوف الآخرين ضدهم :

وأسندوا إليه منصب رئيس الوزراء لينخلصوا من على ماهر ، وليفتحوا لأنفسهم باباً سهلاً ليصبحوا وزراء ؛ وفرح الرجل بذلك ، وعينوا أنفسهم وزراء دون أخذ رأيه .

وشكل مجلساً عسكرياً لمحاكمة عمال كفر الدوار ؛ وصدر الحكم بإعدام عاملين هما مصطفى خميس ومحمد البقرى ، واندفع ليصدق على حكم الإعدام وهو غير مقتنع به .

وأصدر قوانين الأحزاب ؛ وألغى الدستور ، وهو يعتقد أن الأحزاب ستعود وأن دستوراً جديداً سيوضع ، ولكنه كان مخدوعاً وواهماً ، وكان اسمه يُستغل وهو لايدرى .

وأغروه بيوسف صديق ، وهو يقول : إن همسأتهم كانت تلاحق هذا الرجل البطل ، وأن جمال عبد الناصر كان يحذر محمد نجيب منه ، ويقول إن يوسف شيوعى يريد أن ينحرف بالثورة ، ووقع محمد نجيب فى الفخ ، فكان يلقبه « الرفيق يوسف ستالين » .

ولعله فرح عندما عين رئيساً للجمهورية ؛ وكان أول قرار وقّع عليه فى هذا المنصب ، هو ترقية عبد الحكيم عامر من درجة صاغ إلى درجة لواء ، وتعيينه قائداً عاماً للقوات المسلحة ، وهو بهذا كان يحفر قبره بيده ، وقد ذكر هو أن هذه غلطة كبيرة وقع فيها .

وقبض عليه اثنان برتبة يوزباشى من تلقاء أنفسهما ، وهو رئيس جمهورية كما ذكرنا من قبل ، ومع هذا وافق أن يبقى فى هذا المنصب بعد ذلك ، ولم ينزل بأى من هذين اليوزباشيين أى عقاب .

وسلبوا منه كل سلطة ، وأهملوه ومع هذا بقى يتردد على القصر الجمهورى حتى قبضوا عليه فيه ذليلا ، وقادوه إلى المعتقل .

* * *

إننى أرثى لحال هذا الرجل ، واعتقادى أنه ظلم نفسه وظلم الشعب معه ، وقد كان عليه أن يستقيل منذ اللحظة التى اتضح له فيها أنه أداة فقط لتنفيذ أغراض الأعضاء وأن أحداً منهم لايكنُّ له أى احترام .

هل هى الرغبة فى البقاء فى هذا المنصب ، مع كل ألوان المهانات ؟

هل هى الغفلة ؟

لست أدرى ، ولكنى كمصرى أدين هذا التصرف وأسخر منه .

بقيت كلمة عن شخصية محمد نجيب هى نزاهته المطلقة ، وعدم انتفاعه بالمناصب الكبرى التى شغلها ، فقد بقى فى داره المتواضعه حتى بعد انتخابه رئيساً للجمهورية ، ويروى فتحى رضوان أن ذلك ذُكِرَ لعبد الناصر فقال « احنا بنبالغ بدون لازمة »(1) مما يفيد أن عبد الناصر كان يتجه للمتعة التى ترتبط بالمنصب

(١) أسرار حكومة يوليو ص ٩٣

جمال عبد الناصر

عند الحديث عن جمال عبد الناصر ، ينبغى أن يكون الصبر رائدنا ، لأننا أمام فارس الميدان الذى لعب بالجميع بأعلى مهارة ، وأوقع بهم فرداً فرداً دون أن يثور عليه أحد ، وسنعرف من كلامه ومن كلام رفاقه ، أنه جنى على البلاد وعلى العباد ، وأوقع بمصر وبالمصريين ما لم يوقعه حاكم مصرى ولا مغتصب ، ويؤسفنى أن أبدأ بهذه النتيجة ، وذلك لصلتى بالاقتباسات التى أمامى ، ومعرفتى بها ، أما القارىء فيمكن أن يرى رأيه بعد أن يطلع على هذه الاقتباسات ، ولنبدأ الدراسة بشىء من التنسيق والتتابع .

أسرة عبد الناصر وثقافته الأولى :

وأول ما نبدأ به كلمة مقتبسة من مؤلف روسى اعتمد على ملف عبد الناصر وكان وثيق الصلة بحاتم صادق (زوج ابنة عبد الناصر) الذى قدّم له ما شاء من معلومات ويورد هذا المؤلف كلاماً قد يساعدنا على التعرف على عقيدة جمال عبد الناصر الدينية ومدى عمقها ، وفيما يلى كلماته :

تلقى عبد الناصر (والد الرئيس جمال) علومه فى أسيوط بإحدى المدارس المسيحية ، وكان معلموه من المبشرين ، ويبدو من سياق الكلام أن المبشرين ترددوا فى قبول طالب مسلم بين المسيحيين آنذاك ، ولكن رغبة أبيه جعلتهم لا يرفضون طلبه .

ومن متابعة الحديث عن أسرة عبد الناصر نجد المؤلف الروسى يجعلنا نحس بأن والد جمال عبد الناصر قد تأثر عقائدياً بالتحاقه بالمدرسة المسيحية ، وبسبب هذا التأثر رفض أن يُدْخِلَ ابنه (جمال) فى مدرسة الخطاطبة التى أنشئت لأبناء موظفى هذه المنطقة التى كان يعمل بها عبد الناصر حسين ، وسبب الرفض أن المدرسة كانت تحفّظ الطلاب بعض سور القرآن ويقول المؤلف : إن هذا لم يكن التعليم الذى يريده عبد الناصر لولده [1] .

---

(١) أجاريبشيف : ناصر ص ٩ و١٢

وتربية جمال عبد الناصر فى بيئة غير اسلامية ستفسر لنا مواقفه المضادة للاسلام فيما بعد كحل هيئة كبار العلماء وإصدار القانون المسمى « تطوير الأزهر » وهو الذى يسميه المفكرون الأزهريون « قانون تدمير الأزهر » والقسوة البالغة على الأخوان المسلمين ، وتسليم الكثير من وسائل الإعلام للشيوعيين الذين اتخذوا مواقعهم وسيلة لمهاجمة الاسلام ، ومثل سماحه لبعض الانتهازيين بمقارنته بالرسول صلوات الله عليه كما سنرى بعد قليل .

ونواصل كلامنا عن جمال عبد الناصر فنذكر أن الكثيرين يعتبرون أن عصره يبدأ من قيام الثورة إلى وفاته سنة ١٩٧٠ ، فهيكل يجعل الفصل الخامس من كتابه « بصراحة عن عبد الناصر » بعنوان : علامات استفهام فى ١٨ سنة ، ويتحدث فى الكتاب كله بهذا المعنى ، فلا يدع لمحمد نجيب وجوداً حقيقياً (١) ، وقد نشرت مجلة « لايف » الأمريكية خمس صفحات عن عبد الناصر باعتباره الزعيم الحقيقى للثورة ، وقالت إنه حكم مصر بالفعل منذ عزل فاروق من خلال الشخصية التى اختارها لتقف فى الصف الأول ، وهى شخصية اللواء محمد نجيب (٢) ثم استمر يحكم مصر بعد عزل نجيب .

ونحن نوافق تماماً على أن عبد الناصر كان الرأس الأول للتدبير للثورة ، ونوافق كذلك أنه كان الحاكم المطلق بطريقة مباشرة أو من خلف نجيب فيما عدا الأيام الثلاثة الأولى للثورة ، فقد كان عبد الناصر أميل للاختفاء كما شرحنا من قبل وكما سنرى فيما بعد ، والذى نريده الآن هو أن نسأل لماذا كان عبد الناصر حريصاً على القيام بثورة فى مصر ؟ .

والإجابة نأخذها من كلام عبد الناصر نفسه ، وهى إجابة غير متوقعة ، ففى يوم ٢٠ يوليو زار عبد الناصر وكمال الدين حسين البكباشى عبد المنعم أمين بمسكنه الذى يطل على النيل للاتفاق على تحديد موعد الثورة ، وقد انتحى جمال عبد الناصر بكمال الدين حسين وأطلا على النيل من شقة

(١) انظر كتاب هيكل « بصراحة عن عبد الناصر » .
(٢) دكتور عبد العظيم رمضان : الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر ص ١٠٤

عبد المنعم أمين ، وقال : هو عاوز ثورة ليه ماهو عنده كل حاجه (١) ؟ .

وهكذا لم يكن الهدف من الثورة عنده تحرير البلاد من المستعمر أو القضاء على الملك الفاسد . . . بل كان الدافع الحقيقى هو الحصول على مثل هذا المسكن فى موقعه وفى محتوياته .

مقارنة عبد الناصر بمحمد صلى الله عليه وسلم :

ولنقفز قفزة تحملنا إلى مدى بعيد حول عبد الناصر ، فقد وصلت الجرأة بأعوانه أن يعقدوا مقارنة بينه وبين الرسول الكريم صلوات الله عليه ، بل أن يجعلوا المقارنة فى صالحه ، إذ قال سعد زايد محافظ أسيوط فى خطاب ألقاه أمام جمال عبد الناصر : إن رسالة محمد كانت من وحى السماء أما رسالة عبد الناصر فهى من عبقرية إنسان له هذا التفوق الذى تجاوز به الإمكانيات العقلية التى للبشر ، وهو بذلك أفضل من الأنبياء ، وأتى من المعجزات مالم يأت به هؤلاء(٢) ومثل هذا ما قاله الدكتور سليمان حزين رئيس جامعة أسيوط فى المؤتمر الأول للاتحاد القومى أمام لجنة التوجيه القومى ، وأمام مجموعة كبيرة من رجال الفكر(٣) :

وربما يسأل القارىء : ما ذنب عبد الناصر فى ملق هؤلاء الرجال ؟

والإجابة هى أن عبد الناصر قَبِلَ هذا الكلام وكافأ عليه قائليه ، فانتقل الأول ليصبح محافظ القاهرة ، وعين الثانى وزيراً للثقافة .

وذنب عبد الناصر كذلك أنه هو الذى كان يوحى بهذه المقارنة ، فقد أعلن يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦١ فى اللجنة التحضيرية للاتحاد القومى قوله : لم يكن مطلوبا منى فى يوم ٢٣ يوليو أن أطلع ومعى كتاب مطبوع وأقول إن هذا الكتاب هو نظريتى ، فإن محمدا أعلن فى مطلع الاسلام جملتين هما أساس الإسلام وهما الشهادتان ثم جاء بعد ذلك القرآن (٤) .

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ٢٤٦

(٢) شوكت التونى : محاكمات الدجوى ص ٢٥٤

(٣) عبد الصمد محمد عبد الصمد : العشاء الأخير للمشير ص ٥٨

(٤) انظر مجتمع جمال عبد الناصر لأحمد حروش ص ١٧٤

وفى خطاب اتجه به قائله لعبد الناصر وصف الخطيب زعيمه بلفظ « نبى » وانفعل عبد الناصر بهذا الوصف حتى يروى أنه بكى طربا ، ويروى صلاح الشاهد هذا الموقف فيقول إن سامى الدروبى أول سفير لسوريا فى مصر بعد الانفصال وقف أمام عبد الناصر وهو يقدم أوراق اعتماده وألقى خطابا قال فيه : إنك ياسيادة الرئيس تطل على التاريخ فترى مسيرته رؤية نبى . . . (١) ولعل هذا الانحراف من الاثنين هو السبب فى تدهور العلاقات فى أكثر الأوقات بين مصر وسوريا .

والعجيب أنه بعد أن مات الرجل وذهب للدار الآخرة بقى يخيف بأعوانه كما كان يخيف بنفسه ، ومن هنا عاش بعده هذا الاتجاه المنحرف الذى يدفعه ظلماً لصفوف الأنبياء ، وآية ذلك ما جاء فى كتاب « القراءة الإعدادية » وهو كتاب المطالعة المقرر على الفرقة الثالثة الإعدادية تحت عنوان « حياة خالدة » فقد كتب مؤلفو الكتاب ، غفر الله لهم ، ما يلى :

فُجِعت أمتنا العربية بوفاة بطل من خيرة أبطالها . . . . وهو ينهض بتبعة شاقه شاء القدر أن ينجزها فى يوم كأنه يوم حجه الوداع .

وجاء فى المناقشة التى وضعها هؤلاء المعلمون السؤال التالى :

لماذا كان يوم وفاة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر يشبه يوم حجة الوداع ؟

ومعاذ الله أن يوجد يوم يشبه حجة الوداع ، ومعاذ الله أن يوجد شبه بين محمد الذى عاش للناس ولم ينل لنفسه شيئاً ، والذى كانت الحكمة وحسن الصلة والإيثار سبيله فى الحياة ، وبين سواه ممن تتلاطم الأفكار حولهم وتلاحقهم الشبهات والاتهامات .

ولن ينال هؤلاء المؤلفون إلا سخط الجماهير على مر الزمن .

---

(١) ذكرياتى فى عهدين ص ٣٤٩

ولست أحب أن أضيع وقتاً مع هذه المقارنة العمياء ، ولكنى فقط يخطر ببالى خاطر لابدّ من تدوينه،فكتب السيرة تذكر أن الرسول بعد آيات سورة العلق كان يتمنى أن يرى مرة أخرى ذاك الذى ضمه وأطلقه ثم ضمه وأطلقه ، وكان الرسول يترقبه فى الغار وخارج الغار ، فسمع مرة وهو يمشى صوتَ جلجلة ، فرفع رأسه إلى السماء فرأى الملك الذى رآه من قبل فى الغار ، فهاب المنظر وارتعد ، ورجع إلى بيته فى حالة من الخشية ، وقال لأهله دثرونى دثرونى ، فجاءه جبريل وألقى إليه نداء ربه « يا أيها المدثر ، قم فأنذر. . . . . » فهبَّ الرسول ، فطلبت منه زوجته خديجة عندما رأته يرتجف من شدة ما يبدو عليه من الجهد أن يستريح قليلاً ، فقال لها : ياخديجة ، لم يعد هناك وقت للراحة ، ونهض ليحمل هذا العبء الكبير (١) .

الذى خطر ببالى مرتبطاً بالمقارنة البلهاء السابقة أن هذا هو حال الرسول ؛ جهد وعناء لحمل العب كاملاً بدون راحة ، أما عبد الناصر فكان– كما يقول هيكل حواريـّه– يشاهد ثلاثة أفلام سينمائية فى الليلة الواحدة . اهتم لفترة بالأفلام الأمريكية ، ثم استهوته الأفلام الإيطالية والأفلام الهندية (٢) .

وفى ضوء هذا الملق خرجت مجلة الأزهر يوماً ومقالة رئيس تحريرها كانت مقارنة بين الدعوة المحمدية ، والدعوة الصلاحية (نسبة إلى صلاح الدين الأيوبى) ، والدعوة الناصرية ، واتجه المقال لترجيح الدعوة الناصرية ولكن الأزهريين حرسهم الله هبوا ثائرين على رئيس التحرير الذى تنطبق عليه وعلى أمثاله الآية الكريمة :

« كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً »

---

(١) انظر الجزء الأول من موسوعة التاريخ الإسلامى للمؤلف ص ١٨٩

(٢) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٨١

والوطن أيضا :

ولم يكن الدين فقط هو الذى مسه الضر من طموح عبد الناصر ، بل امتد الضر كذلك للوطن ، ويذكر ابراهيم الطحاوى أحد مريدى جمال عبد الناصر ، أنه فى أثناء خطبة جمال عبد الناصر فى الاسكندرية لاحظ أن هتافات الحرس الوطنى كانت « تحيا مصر » وكان الاتفاق أن تكون الهتافات « يعيش جمال عبد الناصر » ولم يقبل إبراهيم الطحاوى أن يرتفع الهتاف لمصر ويهمل ولى النعم ، فماذا فعل ؟ استمع إليه يقول : قطعت سلك الكهرباء عن ميكروفون الحرس الوطنى ، ولم أقنع بذلك ، بل انتهزت فرصة وصول الوفد السودانى للسرادق ، فطردت الحرس الوطنى من مكانه وقدمت مكانه للجماهير العادية (١) .

وكوفئ إبراهيم الطحاوى على هذا الموقف وأمثاله فمنح الدكتوراه ، وأصبح وزيراً برياسة الجمهورية ، ورئيساً عاماً لجمعية الشبان المسلمين ، وكان عبد الناصر يقول عنه فيما يرويه إبراهيم الطحاوى « أنا كفاية علىّ إبراهيم الطحاوى أحكم به مصر » (٢) .

صفات عبد الناصر :

نورد فيما يلى مجموعة من صفات عبد الناصر لولا أنها مستقاة من كلماته ومن كلمات رفاقه لكان تصديقها صعباً ، وليس لنا من دورٍ فى تسجيلها إلا الجمع والتنسيق .

حبه للرياسة وسعيه لها :

كان جمال عبد الناصر يسعى لأن يكون رئيساً منذ كان فى مطلع الشباب عقب حصوله على الشهادة الثانوية سنة ١٩٣٦ وقد رأى فى الجيش أقرب وسيلة لذلك ، فحاول الالتحاق بالكلية الحربية التى كانت حكومة الوفد قد

---

(١) ابراهيم الطحاوى فى شهود ثورة يوليو ص ١٩/١٨
(٢) المرجع السابق

فتحتها « لغير الارستقراطيين » ولكن عبد الناصر فشل فى دخولها فى هذا العام، ثم جدد سعيه فى العام القادم وساعده بعض المحسنين فدخل الكلية الحربية سنة ١٩٣٧ ، ولأن الحرب العالمية كانت على الأبواب تخرج جمال عبد الناصر بعد عام واحد ، وأصبح ضابطاً من سنة ١٩٣٨ (١) وقد هيأ له هذا الوضع أن يفكر فى تكوين هيئة يصبح لها زعيماً ، وإذا نجحت أصبح زعيم ثورة ، وهو يقول فى ذلك : لستُ أدرى لماذا أذكر دائما قصة مشهورة للشاعر الايطالى : بويجى بيراندللو أسماها « ست شخصيات تبحث عن ممثلين » ؟ إن ظروف التاريخ مليئة بالأبطال الذين حققوا لأنفسهم أدوار بطولة مجيدة قاموا بها فى ظروف حاسمة على مسرحه ، وإن ظروف التاريخ أيضا مليئة بأدوار البطولة المجيدة التى لم تجد الأبطال الذين يقومون بها على مسرحه ، ولست أدرى لماذا يخيل إلى دائما أن فى هذه المنطقة التى نعيش فيها دوراً هائما على وجهته يبحث عن البطل (٢) .

وتكونت جماعة الضباط الأحرار ، ولكن عبد الناصر كان يهتم أن تكون له الرياسة ، ويقول عبد اللطيف البغدادى إننا اجتمعنا قبل الثورة فى منزل خالد محى الدين ، وكان زكريا يقرأ علينا خطة الحركة ولاحظت أن جمال عبد الناصر قد انتحى فى جانب مع حسن ابراهيم وقال : إن الموضوع ليس موضوع أقدمية و ذلك لأن زكريا محيي الدين كان أقدم من جمال عبدالناصر (٣) .

وسنرى فيما بعد أن عبد الناصر تغلب على زملائه ، وجعل وجودهم تابعاً لوجوده ، ولم يبق الا عبد الحكيم عامر ينافسه ويقاسمه السلطان ، وله أتباع وحواريون ، فهتف عبد الناصر يقول لأنور السادات « يا أنور البلد تحكمها عصابة . . . طيب أنا أخرج وأروح أقعد فى الاتحاد الاشتراكى ويتولى هو رياسة الجمهورية . » (٤) وفى هذه الكلمات نرى اعترافا

---

(١) انظر مصر فى عهد عبد الناصر ص ٢٣٧

(٢) فلسفة الثورة ص ٢٤

(٣) كلمات البغدادى فى شهود ثورة يوليو ص ٢٢٢

(٤) كلمات عبد الناصر فى « البحث عن الذات » ص ٢٢٠

صريحا بأن البلاد تحكمها عصابة ، ونرى إصرارَ عبد الناصر على الرياسة من أى نوع ، فإذا غُـلِـبَ على أمره فى رياسة الجمهورية فليتحول إلى رياسة الاتحاد الاشتراكى .

وفى الحق أننا نرى أن زملاء عبد الناصر هم الذين أسلموا الزمام إليه وجعلوا منه الحاكم بأمره ، ولو راجعنا أقوالهم لرأيناها سلسلة من التسليم والتبريك والغناء بمجده ، ففى مطلع الثورة بعد ظهور بشائر النجاح جمع عبد الناصر زملاءه مساء ٢٧ يوليو وقال لهم : إنه يتنحى عن رياسة الهيئة التأسيسية فقد أتمت عملها بنجاح ، وذكر أنهم من الآن اسمهم « مجلس قيادة الثورة » وطلب اختيار رئيس للمجلس الجديد .

ومن الواضح أنه هنا يعلن قيام هيئة جديدة ويتطلع لرياستها كما كان رئيسا لهيئة الضباط الأحرار ، وأسرع أنور السادات يبارك الرياسة الجديدة وهو يقول : لماذا يستقيل عبد الناصر؟ وما الفرق بين رئيس الهيئة التأسيسية ورئيس مجلس قيادة الثورة ؟ ووافق الباقون (١) وبدأت رياسة جديدة وتحققت أحلام الرجل .

عنف الخصومة :

ولننتقل إلى صفة أخرى برزت فى عبد الناصر بروزا واضحا هى أنه كان يعاقب بالسجن أو بالفصل من الوظائف ، أو بالحراسة ومصادرة الأموال ، ويغرى بالتعذيب ، وبتجويع من لم يحظوا برضاه ، ثم ينسى هؤلاء فى محنتهم ، ومن هنا عاش كثيرون من المصريين فى ظلام السجون والمعتقلات ، وفى عناء التشرد والفاقة ، ولم تنته محنهم إلا بعد انتهاء عهده .

ويقول أنور السادات (٢) : كان عبد الناصر عنيفا فى خصوماته لا يعرف لها حدًّا . وعندما فصلنا من الجامعة سنة ١٩٥٤م توقعنا أن نعود بعد شهور

(١) البحث عن الذات ص ١٥٥
(٢) البحث عن الذات ص ٢١٧

على نحو ما حدث لطه حسين فى عهد إسماعيل صدقى ، ولكن أبواب الجامعة لم تفتح لنا إلا بعد عهده المقيت ، وكان أكثرنا قد وصل سن المعاش فلم يعد للجامعة .

ولم يدخل خلق الوفاء قاموس عبد الناصر فطالما نكّل بمن أحسن إليه ، وقد سبق أن ذكرنا أن الأستاذ أحمد أبو الفتح هو الذى نبه الضباط الأحرار إلى الخطر الذى أوشك أن يبتلعهم بواسطة تعيين حسين سرّى عامر وزيرا للحربية ، وكانت أسرة أبو الفتح أسرة حبيبة وصديقه لجمال عبد الناصر ، والذى يطالع صحيفة المصرى يرى اللقاءات المتكررة التى كانت تتم بين عبد الناصر وبين أسرة أبو الفتح ، وفى عدد ٢١ مارس ١٩٥٣ م نشرت الصحيفة صورة كبيرة على صفحتها الأولى لجمال عبد الناصر والاستاذ حسين أبو الفتح نقيب الصحفيين ، والأستاذ محمود أبو الفتح صاحب المصرى ، وذكرت أنها كانت جلسة عائلية .

ولكن سرعان ما انقلب عبد الناصر لهيبا متأججا على هؤلاء ؛ صادر أموالهم ، وأغلق صحيفة المصرى ، وفرّ هؤلاء من البلاد هاربين ، مات منهم من مات بعيدا عن الوطن ، ولم يعد الآخرون إلا بعد نهاية عصره .

الحقد والحسد والريبة :

ويتحدث أنور السادات عن صفة أخرى من صفات عبد الناصر هى الحقد والحسد والريبة ولنعمد إلى أنور السادات نقتطف بعض ما قاله فى هذا المجال :

— كان عبد الناصر يؤمن بالتقارير ويميل بطبعه إلى الإصغاء للقيل والقال (١)

— مات عبد الناصر دون أن يستمتع بحياته كما يستمتع الآخرون فقد قضى حياته كلها بين انفعال وانفعال . . . القلق يأكله أكلاً . . . كان يفترض الشك فى كل إنسان مسبقاً . . . وكانت النتيجة الطبيعية أن خلّف عبد الناصر

---

(١) البحث عن الذات ص ١٠٥

وراءه تركة رهيبة من الحقد سواء بين زملائه أو داخل البلد نفسها بجميع طبقاتها (١) .

— لم يكن من السهل على عبد الناصر أن ينشىء علاقة صداقة بمعنى الكلمة مع أى إنسان ، فهو المتشكك دائما ، الحذر ، المليء بالمرارة ، العصبى المزاج (٢) .

— كنت أحادثه مرة حديثا هادئا آخذ فيه جانبه فى خلافه مع الزملاء ، ولكنه قاطعنى محتدا ، محتجا ، غاضبا ، ساخراً ، وكأننى أقف ضده لا معه ، كانت ... كلها مليئة بالمرارة التى انفجرت فجأة وكأنها حمم البركان يقذفها فى ثورة طائشة المرمى ، تلهب وتؤذى بلا سبب ، ودون أى اعتبار (٣) .

— كان عبد الناصر يشك فى كل إنسان ، وفى كل شيء ، إلى أن يثبت العكس. وفى ظروف حياتنا المعقدة قليلا ما يثبت العكس (٤) .

— فى الستينات بدأت الثورة فترة المعاناه ، والآلام ، والهزائم ، والنكسات ، والأخطاء البشعة من جانبنا ، ومع طول صلتى بعبد الناصر لم أستطع أن أدرك لماذا كان يترك خلفه كمية رهيبة من الأحقاد مما دفع كلا من الآخرين إلى أن يحمل فى نفسه كمية هائلة من الحقد على عبد الناصر حتى عبد الحكيم عامر صديق العمر الوحيد لعبد الناصر انتهت علاقته به إلى عملية حقد رهيبة (٥)

تلك نماذج قليلة مما كتبه أنور السادات عن حقد عبد الناصر وكراهيته للناس ، ولا تزال أمامنا نماذج كثيرة متناثرة فى كتابات أنور السادات ، ولكننا نقنع بما دوناه هنا ، وننتقل إلى عبد اللطيف البغدادى الذى يذكر أن عبد الناصر

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٦ ، ١٠٧
(٢) المرجع السابق ص ١٣٥
(٣) المرجع السابق ص ١٣٦
(٤) البحث عن الذات ص ١٦٣
(٥) المرجع السابق ص ٢٠٢

كان يحقد عليه نجاحه فى وزارة البلديات ، ثم ننتقل إلى صلاح سالم الذى يقول إنه لم يكن يعتقد أن يصل الأمر إلى تمنى الفشل لمن نال النجاح من أعضاء المجلس ، وإنه لم يكن يتصور أن يحدث هذا فى يوم من الأيام (١) .

السجان :

كان الأستاذ حسن عشماوى صديقا لجمال عبد الناصر فى مطلع الثورة ، وسنتحدث عن ذلك عند الحديث عن الإخوان المسلمين ، ولكنى أريد أن أقول هنا إن عبد الناصر عندما قبض فى الأيام الأولى للثورة على الزعماء السياسيين وكان عددهم ثلاثة وسبعين قال له حسن عشماوى : من غير المعقول أن يقوم حكم على أساس اعتقال الخصوم . . . فأجابه عبد الناصر قائلا : أنت تستكثر ثلاثة وسبعين معتقلا ؛ ليت لى سجنا يحتوى على اثنين وعشرين مليون سرير للشعب كله (٢) .

خوفه وانشغاله بأمنه :

وقد ترتب على حقد عبد الناصر وشكوكه أنه كان دائما خائفا ، ومن هنا انشغل بأمنه ، وكثيراً ما كان ذلك على حساب الإنسان المصرى ، الذى اندفع جمال عبد الناصر يسجنه ويعذبه ويجيعه حتى يأمن عدوانا قد يجىء منه ، ويصف أنور السادات هذه المسألة بقوله : فى غمرة شكوك عبد الناصر وانشغاله بأمنه حدثت فى مصر للأسف أخطاء جسيمة ضد أخطر وأهم ما كان يجب أن نحرص عليه وهو آدمية الإنسان وإنسانيته (٣) .

ومما يتصل بحرص عبد الناصر على أمنه أن راح الرجل يقيم فى جميع الطرق التى يسير بها محطات إنذار بحيث يكون هناك قوة تسبق ركبه ،

---

(١) مذكرات البغدادى ص ٢٣٨

(٢) حسن عشماوى : الإخوان والثورة ص ٩٠ — ٩١

(٣) البحث عن الذات ص ٢٤٠

فإذا صادفت خطراً استعملت هذه المحطات فى إيقاف الركب حتى لا يمسه سوء ، وقد تكلفت هذه المحطات ملايين الجنيهات ولم تستعمل قط ، ولكن مجرد الحيطة دفعته ليكلف خزانة الدولة هذه التكاليف على حساب البطون الجائعة والألسنة الشاكية .

التزوير :

وينسب محمد نجيب خلق التزوير إلى جمال عبد الناصر ؛ فقد قدم له مرة كشفاً بإسقاط الجنسية المصرية عن ستة من الإخوان المسلمين ، ورفض محمد نجيب التوقيع عليه ، ولكن القرار نشر فى الوقائع المصرية ونفذ زوراً ، ويكرر محمد نجيب وصف « التزوير » فى معاملات أخرى كثيرة نسبها لجمال عبد الناصر(١) .

الانفعالية :

ومن صفات عبد الناصر التى كانت شديدة البروز فيه الانفعالية بدون تقدير النتائج ، ومن أخطر صور الانفعالية ما يذكره صلاح نصر « أن سحب قوات الطوارئ الدولية من شرم الشيخ وما ترتب على ذلك من أخطار ، كان نتيجة لدعاية ضد عبد الناصر كانت صادرة من السعودية والأردن تذكر أنه يحتمى وراء هذه القوات ، وتتهمه أن أقواله أكثر من أفعاله(٢) » . وقد كلفتنا هذه الانفعالية أرواح الآلاف ، وفقدان الأرض ، ومئات الملايين من الجنيهات ثمناً للسلاح الذى خلفناه عقب الفرار . ومن الانفعالية أنه اندفع بسبب أو بدون سبب لطرد سفير تركيا وسفير إيران ، وأوقف علاقاتنا الديبلوماسية بالدولتين الإسلاميتين الكبيرتين ، وسنصادف فى دراساتنا كثيراً من الجوانب الانفعالية التى كانت أداة فى تدمير البلاد والعباد .

ملهم ؟ ؟ ؟

كان يطيب للحواريين أن يصفوا عبد الناصر بأنه ملهم ، ولكن تتبع تاريخه يرينا أن نظراته كانت بعيدة عن الصواب فى أغلب الأحيان ، فهو

---

(١) انظر كلمتى للتاريخ ص ٦٩ .

(٢) كلمات صلاح نصر فى شهود ثورة يوليو ص ١٩٤ .

يقول لثروت عكاشة : إنه لم يكن يصدق إمكان حدوث العدوان الثلاثى على الرغم من التحذير الذى بعث به ثروت عكاشه إليه ، ويرى أن كل الحسابات كانت تؤدى إلى استحالة حدوث العدوان[١] .

وعقب كارثة سنة ١٩٦٧ صرح بأنه كان يتوقع العدو من الشمال فجاء من الغرب ، وقد سمعنا هذا التصريح من كلماته بالإذاعة والتليفزيون .

يدير الوزارات من خلف الوزراء :

وكان جمال عبد الناصر يدير الوزارات من خلف الوزراء ، وقد اشتكى صلاح سالم من أن وزارة الإرشاد التى هو مسئول عنها أصبح وزيرها الحقيقى جمال عبد الناصر ، وأن ما حدث لوزارة الإرشاد القومى حدث مثله فى وزارة الخارجية والداخلية والقوات المسلحة ، وغيرها من أجهزة الدولة[٢] .

وهناك حادثة ترتبط بى شخصياً لم تتضح لى خباياها إلا بعد فترة طويلة ، وخلاصة هذه الحادثة أنى عند ما كنت مديراً للمركز الثقافى المصرى بإندونيسيا طلبت مقابلة الوزير المختص (كمال الدين حسين) وأبدى سيادته اهتماماً بهذه المقابلة ، فطلب أن تكون بعد نهاية العمل اليومى بالوزارة ، والتقيت به فى منتصف الساعة الثالثة من شهر سبتمبر سنة ١٩٦٠ وكان آنذاك يشغل أخطر المناصب فى الدولة بالإضافة إلى الوزارة ، وكنت قد أعددت عدتى لهذا اللقاء لعمق صلتى بإندونيسيا وطول معاشرتى لأهلها هناك ، فشرحت له المشكلات واحدة إثر واحدة واقترحت الحلول ، ووجدت قبولا هائلا منه ، واستجابة تامة لكل ما طلبته تقريباً ، وأصدر تعلياته إلى مدير مكتبه وكان موجوداً معنا لينفذ هذه المطالب ، وعدت لإندونيسيا فخوراً

---

(١) كلمات عبد الناصر فى شهود ثورة يوليو ص ١٠٦ .

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٢٢٧ — ٢٢٨

ما حققته من أمل ، وحملت البشرى للناس هناك بأن ما يتطلعون إليه أصبح فى الطريق إليهم ؛ سيفد المدرسون والدعاة تباعاً ، وسترسل الكتب والصحف والمجلات لراغبي الشراء والاطلاع ، وستفتح الأبواب فى مصر لبعض المبعوثين الإندونيسيين ، وسيزود المركز الثقافى بالكفاءات الضرورية .... ووو ، ولم ينفذ أى شيء من ذاك كأن المقابلة لم تحدث . وقد عرفت فيما بعد أن ذلك الموقف نُقل إلى رجال عبد الناصر أو إلى عبد الناصر نفسه ، ولم يكن هؤلاء يريدون لكمال الدين حسين مزيداً من النجاح فى الأعمال التى كانت منوطة به ، فصدرت الأوامر بالتغاضى عن هذه المطالب.

عبد الناصر وموقفه من الديمقراطية :

قلنا فيما سبق إنه بعد نجاح الحركة أسرع عبد الناصر فجمع الهيئة التأسيسية ليقرر أموراً خطيرة ، وكان ذلك يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وفى هذا الاجتماع قرر عبد الناصر بالمجلس الأمور التالية :

١ — ذكر أن اسم الجماعة أصبح « مجلس قيادة الثورة » بعد أن كان اسمها « الهيئة التأسيسية » ، ومن الواضح أن التسمية الجديدة تفيد الرغبة فى الاستمرار ، وأن كل ماقيل عن الأحزاب والانتخابات كان تمويهاً .

٢ — طلب عبد الناصر من الأعضاء اختيار رئيس لمجلس القيادة بعد أن أعلن استقالته من رياسة الهيئة التأسيسية ، وطبيعى أنه اختير رئيساً لهذا المجلس الجديد .

٣ — عَرَضَ على المجلس طريق المستقبل ، وهل سيتجهون للديمقراطية أو للدكتاتورية ؟ ويقول أنور السادات : إن جميع الأعضاء اتجهوا لاعتناق نظام الدكتاتورية معتقدين أن ماينجزونه بالطريق الديمقراطى فى سنة يمكن إنجازه عن طريق الدكتاتورية فى يوم ، ووقف عبد الناصر وحده متشبثاً بالديمقراطية ، ولما تمسك الأعضاء بموقفهم أعلن عبد الناصر استقالته وغادر

المجلس ، ولكن الآخرين تراجعوا ونزلوا على رأى عبد الناصر ليعود لاستئناف نشاطه .

ويعلق أنور السادات على موقف عبد الناصر بأن هذه الخطوة كانت أولى خطوات الدكتاتورية من جمال عبد الناصر ، إذ أراد أن يفرض رأيه على المجلس كله ، وفيما يلى كلمات أنور السادات :

« لم يخطر ببالى فى تلك اللحظات أن المسألة ليست إلا اختباراً للقوة من جانب عبد الناصر ، فهو يهدف فى بداية رياسته للمجلس إلى أن يثبت للجميع أنه يستطيع أن يتخذ القـــرار الذى يريده مهما كان رأى الآخرين »(١).

وهكذا كان هذا المظهر الديمقراطى يخفى خلفه دكتاتورية قاسية ، وقد قال فى تعليله لاتجاهه الذى ألبسه زيفاً لباس الديمقراطيه ما يلى:

إن الدكتاتورية طريق الدم ، والعمل الذى يبدأ بدم لابد أن ينتهى بدم ، وإنه يفضل ألف مرة إعادة البرلمان الحزبى القديم ، وتسليم مقاليد الأمور للأحزاب برغم الرفض المطلق لها من جانب الشعب !!! على أن يلجأ إلى أسلوب الدكتاتورية ، فكيف نخرج البلاد من دكتاتورية الأحزاب لندخلها فى دكتاتوريتنا(٢).

وهذا الكلام مزيج من الحق الباطل ، أما جانب الحق فيه فهو أن الدكتاتورية التى تبدأ بالدم لابد أن تنتهى بالدم ، وقد بدأت الدكتاتورية بهذا القرار ، وبدأ الدم بعد ذلك ينزف ولم يتوقف طيلة هذا العهد الفاسد .

أما جوانب الباطل فى هذا الكلام فكثيرة ، فلم يكن البرلمان الذى

---

(١) البحث عن الذات ص ١٥٨

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة .

يشير إليه إلا برلمان الأمة ، اختير بواسطة وزارة محايدة ، ولم يكن هناك رفض مطلق من الشعب للأحزاب ،إنما كان هناك رفض من الشعب لانحراف الملك وطغيانه ، وخلقه أحزاباً من القش تقف معه ضد رغبة الأمة ، وقد بقيت الغالبية الساحقة على موقفها من حزبها حتى بعد مرور أكثر من ربع قرن على الثورة .

وعلى كل حال فقد بدأت بهذا المجلس دكتاتورية عبد الناصر وظلت طيلة حياته دون توقف . وسنعطى فيما يلى مزيداً من النماذج لهذه الدكتاتورية التى كانت سبباً فى دمار الإنسان ، ودمار الاقتصاد ، وضياع الأرض :

فى سنة ١٩٥٣ كان جمال عبد الناصر يتناول الغداء فى منزل حسين أبوالفتح ، وقال جمال مصوراً مافى نفسه من دكتاتورية : أتمنى أن يأتى اليوم الذى أستطيع فيه أن أضغط على زر كزر الكهرباء فينام كل الشعب ، ثم أضغط عليه مرة أخرى فيستيقظ الشعب . ويعلق الأستاذ أحمد أبو الفتح على ذلك بقوله : بطبيعة الحال لم يصل عبد الناصر إلى مثل هذا الزر ، ولكنه استطاع عن طريق الإرهاب والدكتاتورية الصارمة ، والبطش الوحشى أن يشيع الفزع بين الناس ، واستطاع عن طريق تجميع الرزق فى يده أن يُخْضِع الناس لإرادته ، واستطاع عن طريق الدعاية الجارفة أن يغرس معتقدات كاذبة فى رءوس النشء ولدى بعض الطوائف من الشعب، وحتى عند ما اهتزَّ اهتزازاً عنيفاً بهزيمة سنة ١٩٦٧ بادر الذين كانوا يحرصون على بقائه لتدوم لهم امتيازاتهم إلى بذل جهود خارقة لإبقاء عبد الناصر فى مكانه(١) .

ويذكر عبد اللطيف البغدادى أن جمال عبد الناصر ذكر فى إحدى اجتماعات مجلس قيادة الثورة قصة فحواها أن « لنكولن » رئيس الولايات

(١) احمد ابوالفتح : التحدى ص ٢٥٤

المتحدة عرض مرة على زملائه موضوعاً من الموضوعات المهمة ، ولكنهم لم يوافقوا جميعاً عليه ، بيد أن « لنكولن » كتب القرار بالموافقة . وعقب جمال سالم على ذلك بقوله « بس فيه هنا تسعة لنكولن » فصمت جمال عبد الناصر وَهْلَةً ثم قال : لأ لنكولن واحد . ويعلق عبد اللطيف البغدادى على ذلك بقوله : أصبحت الدكتاتوية فى الرأى والعمل واضحة لا غموض فيها ، وأصبحنا نخشى الاعتراض والمناقشة ، وكان ما خشيناه هو السبب الذى جلب البلاء للبلاد فى المستقبل(١) .

ويقول فتحى رضوان إن مجلس الوزراء عند ما أصبح عبد الناصر رئيساً له أصبح جلسة استماع يكون فيها عبد الناصر هو المتحدث وحده ، والوزراء منصتون ويأخذون الملاحظات ويتلقون التوجيهات ، ولا يتكلم أحد منهم إلا بإذن ، وفى إحدى الجلسات قال فتحى رضوان للرئيس إن أمينى الاتحاد القومى (الطحاوى وطعيمة) أذاعا أن أعضاء التنظيم السياسى يمكنهم الحضور للقاهرة فى عيد الثورة بتخفيض قدره ٧٥٪ من أجور السكك الحديدية مستعملين بطاقة الدعوة فقط ، وأضاف فتحى رضوان أن السكك الحديدية استغاثت بالوزير (فتحى رضوان) من هذا القرار . فثار جمال عبد الناصر على فتحى رضوان عند ما سمع كلامه وصرخ فيه : « انت عايز تحرجنى » هل تريد أن تعرض هذا الموضوع على مجلس الوزراء لأخذ الرأى فيه ، اتفضل اعرض وخذ الرأى » وكرر هذه الجملة عشر مرات ، ثم قام وغادر قاعة الاجتماعات(٢) وابتلع فتحى رضوان هذه الثورة واستمر فى الوزارة .

ويقول أنور السادات : كان عبد الناصر بطبيعته الدكتاتورية يتطلب من رئيس وزرائه أن يكون مجرد مدير مكتب ينفذ أوامره فحسب(٣).

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٢٢٤ .
(٢) أسرار حكومة يوليو ص ٢٠٢ — ٢٠٣
(٣) البحث عن الذات ص ٢١٣

وهناك حكام كانت الدكتاتورية طبيعتهم ، وأظهروا هذه الطبيعة فى أقوالهم وأفعالهم ، ولكن عبد الناصر مارس أقسى أنواع الدكتاتورية ، ولكنه لم يتوقف لحظة عن التغنى بكلمة ديمقراطية ، فخلق لديمقراطيته التنظيمات الزائفة ، وكوّن البرلمانات الضعيفة المتهافتة .

وقد عرف التاريخ صوراً من الدكتاتوريات سلبت الحرية ، ولكنها جلبت الغنى والقوة ، ولكن دكتاتورية عبد الناصر كانت محاطة بالجهل وانعدام المعرفة ، فأضاعت كل جوانب الخير وجلبت جميع أنواع الشر .

كانت كلمة دكتاتورية كلمة يخاف عبد الناصر أن يوصف بها ، ولهذا كانت نقطة الهجوم التى لجأ إليها عبد الحكيم عامر ليضرب صديق صباه إذ أحس أنها الجرح الذى تؤلم الضربات فيه . وهذا المعنى يبرزه أنور السادات بقوله(١) : كان عبد الحكيم عامر يعرف جيداً أن لا شىء يغيظ عبد الناصر مثل الحديث عن الديمقراطية ، وأنه دكتاتور ، فلجأ إلى طبع الاستقالة التى كان قد قدمها لعبد الناصر سنة ١٩٦١ فى شكل كتيب ، ووزعها على أوسع نطاق ليعلن فيها أنه لا يؤمن بحكم الفرد ، وأن لا بد من إعادة الأحزاب ، ولم يكن عامر يؤمن بذلك ، ولا يطرأ هذا على فكره ، ولكنه أراد أن يوجع عبد الناصر ليتراجع هذا عن موقفه من عبد الحكيم عامر ، ونجح عامر فيما قصد إليه ؛ فتراجع عبد الناصر عن قبول الاستقالة ، وأبقى الجيش تحت سلطان عامر ، ليبقى هو دكتاتوراً ، ولتتحمل البلاد أى نتائج لذلك ما دام الفارسان ينعمان بالمكان الرفيع .

بقيت كلمة تتصل بالبرلمانات التى كونها عبد الناصر ، وهذه الكلمة مأخوذة منه شخصياً ، وهى : « أعضاء البرلمان فاكرين إنهم سندٌ لى ؟ الحقيقة أنى أنا سندهم(٢) » . وهذه جملة واضحة الدلالة على أن عبدالناصر كان يجلب لبرلماناته من يشاء بواسطة منع بعض المرشحين من خوض المعركة الانتخابية ، وبواسطة التزوير فى الانتخابات ، وبفرض خمسين فى المائة على

(١) البحث عن الذات ص ٢٤٨
(٢) شهود ثورة يوليو ص ٣٥

الأقل من الأعضاء للعمال والفلاحين ليجلب للمجلس جماعات لا يمثلون العمال والفلاحين ، وإنما يجيدون التصفيق والهتاف للدكتاتور العظيم .

تلك هي ديمقراطية عبد الناصر ، ويلَ هذه الكلمة ، إن أشد أعدائها طالما أطلقوا لها البخور أمام الناس ، وهي عندهم كريهة سجينة ، يبذلون أقصى الجهد للقضاء عليها ، والعجيب أن الناس يدركون ذلك ، فليست الديمقراطية كلاماً ، وإنما هي تصرفات وأعمال ، والذين يتشدقون بها ولا يستعملونها يكذبون على أنفسهم ،ولا يُخدع بأكاذيبهم إلا البلهاء .

الغدر بالأصدقاء وعدم الوفاء :

الذى يقرأ ما كتبه عبد اللطيف البغدادى ، وما كتبه أنور السادات يدرك أنه كانت هناك خطة دقيقة وضعها عبد الناصر ليقضى على كل رفاقه ، وليستبد بالأمر دونهم ، ولعل أول خطوة عنى بها هى أنه وضع عبد الحكيم عامر على رأس الجيش ، ليسحب السلطة على الجيش من نجيب ، وليضمن ولاء الجيش له عن طريق صديق صباه عبد الحكيم عامر ، ودَعَمَ صلته به بالمصاهرة ، فزوج أخاه حسين من بنت عبد الحكيم ، وسمى أحد أبنائه عبد الحكيم إبرازاً للعلاقات بينهما .

وراح عبد الناصر يكوِّن له أتباعاً فى الجيش من ضباط الطبقة الثانية ، وعزل قادة الثورة تماماً عن أسلحتهم ، وأبعد أصدقائهم أو احتواهم .

وعندما اطمأن للجيش بذلك، احتضن جمال سالم وصلاح سالم لينتفع بما كان فيهما من تسرع وحمق فى مهاجمة نجيب وفى الحملة المسعورة عليه،والتى وصلت إلى أن يهدده جمال سالم بقتله ، ولما انتهى من نجيب واجه صلاح سالم وأبرز إخفاقه فى قضيّة السودان ، وقرب إليه محمد أبو نار مدير مكتب صلاح سالم كما ذكرنا من قبل ، وانتهى صلاح سالم ، ولحق به جمال سالم الذى بدأ يواجه عبد الناصر بعد القضاء على محمد نجيب ، ولم يصمد جمال سالم

فى هذه المواجهة فاستُبعد(١) وجاء دور عبد اللطيف البغدادى فقام بينه وبين عبد الناصر خلاف أوضحه البغدادى فى مذكراته ، ولكن البغدادى كان شديد الحرص على البقاء فى السلطة فابتلع المتاعب التى وضعها عبد الناصر حوله ، وتركه عبد الناصر بعد أن أصبح سلس القياد حتى استغنى عنه فى الستينات(٢) ولحق به حسن إبراهيم ثم كمال الدين حسين الذى أبعد بعد أن كان يتولى تسع مناصب مختلفة ؛ وجاء أخيراً دور عبد الحكيم عامر فطوّقه عبد الناصر بطوق فولاذى عقب هزيمة ١٩٦٧ ومحاولة عامر أن يعود للجيش كما عاد عبد الناصر إلى ساحة السياسة والرياسة بعد تمثيلية التنحى ، وانتهى عامر داخل هذا الطوق الفولاذى بالانتحار أو بسواه مما سنتحدث عنه فيما بعد ، ولم يبق إلا أنور السادات ولعل كتاب « ياولدى هذا عمك جمال » كان سنداً له حتى لاتهب الأعاصير ضده ، وساعده كذلك بعده عن السلطة التنفيذية ، وحياته فى مجلس الشعب ، وهدوء وسياسة كامنة فيه ، وبقى كذلك حسين الشافعى الذى كان يستمتع بالمنصب الذى يسند له دون محاولة الحصول على أى نفوذ أو بروز ، ومع هذا لم ينج أنور السادات وحسين الشافعى من هجمات عبد الناصر ومحاولته التصغير من شأنهما ، فعندما دعى أنور السادات لزيارة أمريكا بصفته رئيساً لمجلس الأمة رحب عبد الناصر بذلك ووجد فيها فرصة للتقريب بين مصر وبين أمريكا ، وسافر أنور السادات وزوجته واستُقبل هناك استقبالا رائعاً ، وعمل أنور السادات على تحسين العلاقة بين مصر وأمريكا ، ولكن عبد الناصر هاجم أمريكا بأعنف الألفاظ والسادات لايزال بها ، وخلق بذلك حرجاً شديداً لأنور السادات . ويتساءل أنور السادات : إذا كان هذا قصد عبد الناصر فلماذا وافق على الزيارة(٣) .

أما حسين الشافعى فقد هوجم عدة مرات ، وفى إحداها كان الهجوم

---

(١) أقرأ مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٢١٩ وما بعدها

(٢) المرجع السابق ص ١٨٤ وما بعدها

(٣) البحث عن الذات ص ٢١٧ — ٢١٨

بألفاظ قاسية على مرأى ومسمع من الناس ، ولم يستطع هذه المرة أن يحتمل الإهانة فوقع مغشياً عليه :

ويعبر الأستاذ أحمد حمروش عن ذلك بقوله : أصبح الزعيم فى قمة مجده ، يمارس تشكيل المجتمع بإرادته ، ومجلس الثورة لم يعد كياناً تنظيمياً، وأصبح أعضاؤه يستمدون وجودهم من علاقتهم به(١) .

وهناك جمع حاشد من الضباط ساندوا عبد الناصر فى أزمة مارس سنة ١٩٥٤ ، لسبب أو لآخر ، ولكن عبد الناصر سرعان ماتخلص منهم أيضاً، ويقول محمد نجيب فى ذلك : لقد عمل جمال عبد الناصر على حل تنظيم الضباط الأحرار بعد ذلك ، ولم يبق أحد منهم فى الجيش أو فى مراكز السلطة ، إلا عدد لايتجاوز أصابع اليد ، وكأن جمال عبد الناصر كان يطبق ما كتبه ميكافيللى من أن الحاكم يجب أن يتخلص من اللذين ساعدوه على الوصول إلى الحكم ، واستبدل بالضباط الذين ساعدوه فى أزمة مارس سنة ١٩٥٤ أتباعاً جدداً يدينون له شخصياً فقط بوجودهم ، وتبارى الأتباع الجدد فى الحصول على رضاه .

ويستمر محمد نجيب فيقول : لقد قهر الجيشُ الشعبَ مصدرَ السلطات ، وقهر مجلسٌ من الضباط الجيشَ ، وقهر هذا المجلسَ واحدٌ منهم(٢).

وهكذا استطاع عبد الناصر بذلك أن يُخْرِج بعض رفاقه ، وأن يطوِّع الآخرين ليكونوا رهن إشارته ، فأصبحوا يتسابقون لمرضاته ، ويَدَّعون له الأمر كله ، ويقنعون بأن يكونوا أعواناً مخلصين له ، وكان هذا نهاية المطاف بهم ، فبعد الزمالة أصبحوا تابعين وأصبحوا يسارعــون بإعلان مايرضيه(٣).

---

(١) مجتمع جمال عبد الناصر ص ٢٨٢ .

(٢) كلمتى للتاريخ ص ١٦١

(٣) إقرأ عن ذلك مذكرات البغدادى ص ٢٥٣ ومابعدها فإنها تعطى تفاصيل خطيرة ومثيرة .

عبد الناصر عند الشدائد :

معدن الإنسان يبرز عند الشدة ، وقد نال عبد الناصر ألواناً من الرخاء في سنيه الأولى ، قضى على الملك ، وعلى الأحزاب ، وقهر الدستور ، واستبد بالأمر ، ووقع اتفاقية الجلاء وحضر مؤتمر باندونج حيث ظهر بين قادة ذلك العصر كنجم لامع ، ثم واجهته أولى الشدائد في اكتوبر سنة ١٩٥٦م فيما يسمى « العدوان الثلاثى » فكيف تصرف عبد الناصر آنذاك ؟

إن عبد اللطيف البغدادى يصور لنا عبد الناصر الذى قتل فلم يرحم ، وقسا دون أن يتردد ، واضطهد وعذب ، وأجاع من غير أن يتراجع . هل كان قلب عبد الناصر قوياً جريئاً يتحمل الشدائد ويصارعها ؟ ويجاهد ضد العدوان لينجح أو يموت ، أو — على الأقل — ينهزم هزيمة مشرفة ؟ أو كان رعديداً يضطرب عند الشدائد ويجفل عند المحن ؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة نستمدها من كلمات زميله عبد اللطيف البغدادى الذى يقول :

— عندما بدأت الغارات الجوية على القاهرة نزلنا المخبأ الموجود بمبنى القيادة ، ثم بلغنا أن هناك عملية إنزال جنود مظلات في أرض السباق بمصر الجديدة . . . ولقد حدث على إثر سماع هذا الخبر ما لم أكن أتوقعه من الانفعال والعصبية ، فقد اضطرب جمال عبد الناصر ، وفكر في أولاده وطلب العمل على نقلهم فوراً إلى القناطر الخيرية ، ولكنه عاد وطلب نقلهم إلى منزله وسط القاهرة خوفاً من كلام الناس حتى لا يقال إنه هرب أولاده ، وترك الناس معرضين للخطر(١) .

— دخلت على جمال عبد الناصر يوم الأحد ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦ وهو يتناول الإفطار فربت على ظهره وسألته :

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ج ٢ ص ٣٤٦ .

كيف الحال ؟ فقال إنه لم ينم طول الليل ، وإنه بكى ، وإنه أضاع البلد(١).

— اقترح جمال عبد الناصر أن ينتحر أعضاء مجلس القيادة جميعاً ،وطلب من زكريا إحضار عدد من زجاجات السم « سيانور البوتاسيوم » تكفى لعدد الأعضاء ، وأكد كلامه بقوله : إننى جاد فيما أقول(٢).

— قال جمال عبد الناصر لى : إننى قررت الذهاب إلى بور سعيد الليلة حتى أرى ماذا سيفعل الجيش عندما يحس جنوده أننى بينهم . . . . وفى الطريق وجدنا الدبابات المحطمة ، والسيارات المحترقة ، فقال جمال إنها بقايا جيش محطم ، وأخذ يتحسر على المبالغ التى أنفقت على تسليح الجيش قائلا : إن مائة وثلاثة وثلاثين مليونا من الجنيهات قد ضاعت هباء (كان هذا المبلغ هائلا سنة ١٩٥٦ وهذه هى الأسلحة التى جاءت فيما يسمونه كسر احتكار السلاح) وانهار عبد الناصر وبدا أنه أصبح ضعيفاً لاحول له ولا قوة(٣).

— وصلنا الإسماعيلية، ووجدنا هناك كمال الدين حسين الذى كانت روحه المعنوية عالية غير ما كنا نحن عليه ، وفى المساء قال لى : أنا تعبان . وكان فى حالة يأس شديد وفى الإسماعيلية عرفنا أن العدو بدأ يُنـزِل قوات فى بورسعيد، فأمر بإعداد سيارته للعودة للقاهرة قائلا : إنها كانت غلطة كبيرة منا أن نحاول الذهاب إلى بور سعيد . فقلت إن الدافع لذلك كان أن نضرب المثل بالتضحية للدفاع عن الوطن . وعدنا حتى دون أن نمرّ على القوات التى بالاسماعيلية(٤) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥٢
(٢) المرجع السابق ص ٣٤٥
(٣) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٣٥٣ — ٣٥٤
(٤) نفس المرجع السابق ص ٣٥٤ — ٣٥٦

ويروى عبد اللطيف بغدادى أن سليمان حافظ الذى مهّد الطريق للقضاء على الأحزاب والدستور والتمكين للثوار ، جاء إلى مجلس القيادة ليعلن :

— على جمال أن يعود إلى الكتيبة السادسة مشاة ، لأن الناس تقول عنه إنه يخلط بين مجده الشخصى وبين مستقبل البلاد .

— أقول لكم الحق الذى لايصارحكم الناس به ، جمال مكروه وغير محبوب .

— إن الأرقام التى حصل بها جمال عبد الناصر فى الاستفتاءات خيالية ولا تعبر عن حقيقة مشاعر الجماهير(١).

ونقف هنا وقفة لنذكر أن عبد الناصر تحدث مرة عن ثورة ١٩١٩ فذكر أن البلاد كلها اشتركت فيها ثم جاء سعد زغلول فركب الموجة ، وهو بذلك يقلّل من جهود سعد زغلول ، ويذكر أن سعدا انتفع بجهود الناس ، وهذه القصة تعبير دقيق عن حالة عبد الناصر ، فبعد هذا الانهيار الذى أوجزناه والذى نقلناه من رفيقه البغدادى ، تدخلت أمريكا واضطر المعتدون للانسحاب ، فركب عبد الناصر الموجة حقا ، وغنى له المغنون بالنصر ، وظهر بطلا مغواراً هزم الأعداء وحقق أعظم انتصار ، ولم يذكر لأمريكا أى فضل كما سنرى فيما بعد ، وكان لهذا التنكر للجميل أقسى العواقب .

وقبيل الانسحاب ، وبعد إيقاف القتال بأمر أمريكا اهتم عبد الناصر بسحب السلاح من المواطنين كما قال أحمد لطفى واكد ، ويضيف : لقد زرته فى القناطر الخيرية بعد ذلك وكان عنده ثروت عكاشه وقدم كشفاً بخسائر قواتنا المسلحة فى سيناء التى تركها بدون حرب ، وكان شديد الاستياء من كثرة الخسائر ويومها وجه كلمات عنيفة ضد عبد الحكيم عامر

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤٦ — ٣٤٧

وصلاح سالم ، وصلاح نصر ؛ وصلاح دسوقى ، لأنهم كانوا من دعاة الهزيمة والاستسلام(١).

يحمى مساوىء أسرته :

كان عبد الناصر شديد الحساسية بالنسبة لأسرته ، فلم يكن يحتمل أن يذكر عن أى واحد منهم أى انحراف ، وقد شدهم جميعاً إلى ميدان السياسة والاقتصاد فأصبح منهم النواب والرؤساء الأقليميون للاتحاد الاشتراكى ، وأصبح بعضهم مدير مدارس حرة . . . وما كان أحد يستطيع أن ينتقد أياً منهم أو يذكر عنهم أى شىء يشين ، إذ — كما يقول أنور السادات — «كان لدى عبد الناصر حساسية شديدة من ناحية أهله ، فكان يكفى أن يبلغه أنّ أحداً من الناس قال شيئاً ما عن أحد أقاربه حتى يضعه على الفور فى المعتقل ، ويتخذ ضده من الإجراءات ما يحلو له»(٢) وفى ظل هذه الحماية المطلقة كان يمكن لأى فرد من هذه الأسرة أن يتصرف كما يشاء آمناً على كل شىء ومن كل شىء ، ويضيف أنور السادات أن هذه الحساسية طالما استغلت ضد الشعب ، فقد كان أى واحد من مراكز القوى ينتهز هذه الحساسية ليوقع بأعدائه بأن ينسب لهم أنهم يتكلمون عن أقارب عبد الناصر(٣) وقد حدث فى أثناء وجود عبد الناصر فى مؤتمر باندونج أنه اتُّهم حسين خليل عبد الناصر عم جمال بالتدخل لصالح إحدى الشركات ، ولما عرف ذلك جمال سالم الذى كان رئيساً للجمهورية بالنيابة آنذاك أمر بالتحقيق مع هذا المتهم ، وكانت ثورة عنيفة من جمال عبد الناصر ، واعتذارات من من الآخرين (٤) ولكن المهم أن أحدا لم يستطع بعد ذلك أن يتكلم كلمة

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ٧٧ — ٧٨

(٢) البحث عن الذات ص ١٣٠

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة

(٤) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٢٢٥ وما بعدها

واحدة عن أى شخص يمتُّ بصلة للرئيس ، وأصبح كل فرد من الأسرة ذاتاً مصونة لاتُمَسّ ؛ وفى ظل هذا جفت الأقلام ، ولا يعلم إلا الله ما ارتكب هؤلاء من انحرافات .

انحرافات عبد الناصر المالية :

فى الحديث عن عبد الناصر والانحرافات المالية نرجو القارىء أن يطّلع على الدراسه المفصلة الموثقة التى قدمها الأستاذ جلال الدين الحمامصى عن هذا الموضوع الخطير فى كتابه « حوار وراء الأسوار » صفحة ١٧٠ ومابعدها ومنه نقتطف بضعة سطور :

— بدأ عبد الناصر فقيراً ولكن سرعان ما أصبح لكل فرد فى أسرته « فيلا » أو قصر صغير مشيد له خصيصاً ، فمن أين جاء المال لبناء هذه القصور ؟ وأين قانون الكسب غير المشروع(١).

— كان شقيق عبد الناصر رجلا بسيطاً فى مستوى معيشته ، ثم سمح له أكثر من مرة أن يسافر للخارج بحقيبة واحدة ويعود إلى مصر بحقائب لاتعد ولا تحصى بها بضائع تغمر الأسواق وتحقق ربحاً يكوّن تلالا من الثراء(٢) .

— كان الأستاذ سعد فخرى عبد النور المحامى وأحد رجال الأعمال يتناول العشاء مع أصحاب الأعمال ورؤساء البنوك السويسرية ، وسأله واحد منهم : هل تدرى كم بلغ حساب عبد الناصر فى بنوك سويسرا ؟ وأجاب الأستاذ سعد أنه سمع أنه وصل عشرات الملايين من الجنيهات الاسترلينية ، فقال له رئيس البنك إنها بلغت أكثر من ذلك ، وأضاف قائلا : ما كان لى

---

(١) جلال الدين الحمامصى : حوار وراء الأسوار ص ١٧٠
(٢) المرجع السابق ص ١٧١

كرئيس للبنك أن أتكلم فى مثل هذا الموضوع ولكن ذلك لم يعد سراً فحكومة مصر تحاول استرداد بعض هذه الأموال ، ويضيف الأستاذ الخامصى قوله إنه عقب ذلك فى مارس ١٩٧٤ نشرت جريدة « أخبار اليوم » أن مصر استردت بعض أموال مصر من الأرصدة السرية بسويسرة(١).

ـ فى فترة الحماس قبيل حرب سنة ١٩٦٧ تقدم الكثيرون من الأثرياء العرب بهبات للمساعدة فى الجهود للحرب ، ومن ضمن هذه الهبات ماقدمه الملك سعود فقد كتب فى ٢٨ مايو سنة ١٩٦٧ شيكين أحدهما بمبلغ ثلاثة ملايين من الدولارات الأمريكية باسم جمال عبد الناصر والثانى بمبلغ مليونين باسم صلاح نصر ، وذلك تبرعاً منه لدعم المجهود الحربى ، وقد حُوِّل الشيكان لحساب خاص للرئيس جمال عبد الناصر ، وصدق على التوقيع بالتحويل الأستاذ أحمد فؤاد رئيس مجلس إدارة بنك مصر(٢).

ـ وخلال النكسة ، وفى يوم ٧ يونيو بالضبط أى فى الوقت الذى كان عبد الناصر يُعِدُّ نفسه فيه للانسحاب من الحياة العامة ، أصدر قراراً جمهورياً رقم ١٣٥٠ لعام ١٩٦٧ بالإذن لوزير الاقتصاد المصرى نيابة عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة بأن يقترض من الملك سعود مبلغ عشرة ملايين من الدولارات على أن يقوم البنك المركزى المصرى برد هذه السلفة على ثلاثة أقساط خلال عام (من ٧ يونيو ١٩٦٧ إلى ٦ يونيو ١٩٦٨) وقد أصدر الملك سعود بناء على ذلك شيكاً بهذا المبلغ ، باسم جمال عبد الناصر ووقع عليه جمال عبد الناصر بالاستلام ، وصدق محمود صدقى مراد نائب البنك المركزى آنذاك على التوقيع ، وتم تحصيله وأودع فى حساب الرئيس جمال عبد الناصر فى بنك باريس والبلاد الواطية(٣) .

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٣ — ١٧٤
(٢) المرجع السابق ص ١٨٩ — ١٩٠
(٣) المرجع السابق ص ١٩١ — ١٩٢ و ٢١٢

وبعد وفاة الملك سعود فى فبراير سنة ١٩٦٩ طالب ورثته بهذا الدين ، وقابل الشيخ حسين شكرى مندوب الورثة الدكتور فؤاد الصواف وكيل وزارة الاقتصاد لشئون النقد لهذا الغرض ، فقال له الدكتور الصواف إن هذا المبلغ دين على تركة الرئيس عبد الناصر ، ولكن مندوب الورثة أحضر القرار رقم ١٣٥٠ الذى يفيد التزام الحكومة المصرية بالسداد وكان ذلك فى حياة عبد الناصر وبالضبط فى ١٢ فبراير سنة ١٩٧٠ . وقامت الحكومة بسداد هذا الدين .

ويلاحظ أن القرار رقم ١٣٥٠ لم ينشر فى الوقائع الرسمية وقد نشرت القرارات التى سبقته والقرارات التى جاءت بعده .

والعجيب أن البنك المركزى قام بإضافة المبلغ المعادل لقيمة هذا القرض بالعملة المحلية ، ولا يدرى الإنسان كيف نقترض عملة صعبة وتحصل لحساب جمال عبد الناصر ، ثم لخوف الفضيحة يضاف ما يعادلها بالعملة المحلية ، ويبرز الأستاذ جلال الحمامصى هنا عدة أسئلة :

١ — كيف نقترض بالعملة الصعبة ونسدد القرض بعملة صعبة كذلك ، ولا تحصل مصر على هذه العملة بل تضاف عملة محلية بدلها ؟ وألا يدخل ذلك فى نطاق تهريب العملة ؟ .

٢ — من أين لجمال عبد الناصر بهذه الملايين من العملة المحلية حتى يحتفظ لنفسه بالعملة الصعبة ويسددها بالعملة المحلية ؟ .

٣ — لماذا لم ينشر قرار القرض فى الوقائع المصرية ؟ وقد عوقب الدكتور جمال العطيفى عقاباً صارماً عندما نشر مقالا بالصحف ينتقد فيه عدم نشر القرار ، وكان عقابه بحجة أن تصرفه مضاد للثورة ، وأنه استخدم الصحافة التى هى ملك للشعب ضد مصالح الشعب(١).

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٢

٤ - هل كان الوقت ملائماً لمثل هذا القرض فى ساعات يكتب عبدالناصر خلالها استقالته ؟ أو أنه كان يدبِّر لمستقبل حياته بعد التخلى عن الحكم الذى أعلنه بعد ذلك بساعات(١) ؟ »

٥ - وهل كان الوقت مناسباً لقرض كهذا يسدد خلال عام على الرغم مما ستقبل عليه البلاد من ضائقات مالية عقب الهزيمة المدمرة وما تستلزمه من نفقات .

ولكن يبدو أن عبد الناصر لم ينس نفسه وأولاده أبداً فى أحلك الظروف ، وكأنه كان يهتف : النجاة لى ولأولادى وليبتلع الطوفان كل الناس .

ويتبقى أن يتضح أن الملايين الخمسة التى قدمت هبة ومساعدة للمجهود الحربى والتى حصلت لحساب عبد الناصر لم يطالب بها الورثة لكونها هبة ، ولم تعلم الحكومة المصرية شيئاً عن هذين المبلغين(٢) »

- عندما رشح الليثى عبد الناصر بالإسكندرية لمجلس الأمة سنة ١٩٥٧ دفع له أخوه جمال عبد الناصر مبلغ ٣٠٫٠٠٠ جنيه من المصروفات السرية وحملها الضابط سعيد حليم سكرتير زكريا محيى الدين وزير الداخلية آنذاك وسلمها إليه بنفسه ليصرف منها على المعركة الانتخابية(٣) .

وإذا كان لى أن أعلق بكلمة على هذا التصرف فهى أن شقيق عبد الناصر لم يحتج وما كان له أن يحتاج لنفقات للمعركة الانتخابية ، فما كان أحد يستطيع أن يواجهه أو يعارضه :

- يقول الأستاذ جلال الدين الحمامصى : وهناك واقعة مؤكدة هى أن

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٧ .
(٢) نفس المرجع ص ١٩٣
(٣) نفس المرجع ص ٢٠٤

واحدة من بنات عبد الناصر طلبت من الإصلاح الزراعى عام ١٩٧٥ أن يبيعها قطعة من الأرض بالقرب من فندق مينا هاوس مساحتها ٢١ فداناً وأبدت استعدادها لدفع الثمن المبدئى للقطعة وهو مائتا ألف جنيه ، ولكن الإصلاح الزراعى أفاد أن هذا الثمن المبدئى تحدد فى عهد كانت الأرض رخيصة الثمن ويتوقع أن يتضاعف ثمنها الآن . فتوقفت عن السير فى المزاد الخاص بهذه القطعة ويتساءل الأستاذ الحامصى : من أين لابنة الرئيس الفقير بهذا المبلغ الضخم ؟(١) .

وقد ظهرت هذه الحادثة فى (مانشتات) حمراء بصحف دار التعاون ثم أسدل عليها وعلى نظيراتها الستار .

رأى الافارقة والأسيويين فى عبد الناصر :

هناك رأى انتهى له باحث عاش فترة طويلة يتدارس شخصية عبد الناصر ، وهذا الرأى هو أن الأفارقة والأسيويين كانت سياستهم عن عبد الناصر تتلخص فى جملة واحدة قصيرة هى « الله يسعده ويبعده » أى الله يسعده بشرط أن يظل بعيداً عنا(٢) .

رغبته فى إذلال الأعزاء :

عن هذا الموضوع ننقل سطوراً خطيرة من كتاب مهم ، وهذه السطور هى : « ما من شك فى أن الرئيس الراحل كان يمارس متعة ظاهرة وباطنة فى أن يضع أبناء كبار الرجال قبل الثورة ليكونوا فى وظائف «الشماشرجية»(٣) وكثيرون من أصحاب النفوذ والمكانة السياسية قبل الثورة رفضوا أن يصبحوا عبيداً لعبد الناصر فنزل بهم الهوان وصودرت أموالهم ليعانوا

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٦ — ٢٠٧

(٢) ضياء الدين بيبرس : أسرار حكومة يوليو كما يرويها فتحى رضوان ص ١٠٥

(٣) المرجع السابق ص ٥٦ — ٥٧

الجوع ، وهذا الخلق يفسر لنا كثيراً من التصرفات التي ارتبطت بالأسر التي كان لها مجد قبل الثورة .

تاريخ بلا وثائق :

هذا العنوان هو عنوان كتاب أصدره الدكتور إبراهيم عبده وصف فيه تاريخ مصر فى عهد عبد الناصر ، وأنا أقتبس هنا هذا العنوان لأروى حادثة خطيرة تتصل بعداء عبد الناصر للوثائق التاريخية ، وقد سمعت هذه الحادثة من صاحبها مباشرة وهو المؤرخ الأستاذ أحمد عطية الله الذى كان فى مطلع الثورة يشرف على إدارة المطبوعات وكان قريب الصلة بقادة الثورة ، يقول الأستاذ أحمد عطية الله :

حرصت على أن أجمع أخبار الثورة من قادتها قبل أن تزدحم الأحداث فى أذهانهم فينسوا أدوارهم التى قاموا بها فى الإعداد للثورة وفى تنفيذها وفى برنامج الحكم بعد نجاحها ، وقابلت عدداً وفيراً منهم وسألتهم وأجابوا ودونت هذه الإجابات التى جمعت لدىّ ثروة تاريخية مهمة فيها ما لا يعرف الناس ، وسمع جمال عبد الناصر عن هذا العمل ودبّر شيئا ، وفى يوم تلقيت محادثة تليفونية من مدير مكتبه (أمين شاكر) وزير السياحية فيما بعد ، ونقل إلىّ عتاب الرئيس جمال عبد الناصر لأنى لم أقابله لأدوّن رأيه ودوره فى هذا الموضوع . فقلت له إن هذا شرف كبير ، وهو يثرى الهدف التاريخى الذى أعمل له ، فدعانى لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر وطلب منى أن أحضر (كشاكيل) الأقوال فربما أراد الرئيس أن يطلع على بعض الآراء ، وحدد لى موعداً للمقابلة ، وبالغ بأن طلب منى أن أتفرغ زمناً طويلا لأن مثل هذه المقابلة قد تطول .

وقبيل الموعد المحدد كنت هناك مع أمين شاكر الذى أحسن استقبالى ورحب بى ، وطلب إلىّ مشروباً سريعاً ، ودق الجرس فى مكتب أمين شاكر ، وكان الذى يدق الجرس هو الرئيس جمال عبد الناصر ، فاستعد

أمين شاكر للمثول بين يديه ، وطلب منى حقيبة (الكشاكيل) ليوصلها للرئيس وليخلى الحجرة للقاء التاريخى .

وسلمته (الكشاكيل) ، ودخل وخرج ليقول لى لحظة قصيرة لأن الرئيس مشغول بـ . . . . ومرَّ الوقت وطلب لى مشروباً آخر ، ودخل ثانياً ثم خرج لينقل لى أن لقاء عاجلا حدث مع سفير أو وزير . . . . . وأخيراً طلب منى تأجيل اللقاء ليحدده سريعاً لأن الرئيس قد تعب هذا اليوم .

ومرت الشهور والسنون والموعد لم يحدد، واختفت (الكشاكيل) إلى الأبد ، والعجيب أن بعض الذين تحدثوا لى ووقعوا بإمضاءاتهم على أحاديثهم انطلقوا فيما بعد يتكلمون كلاماً جديداً هو إلى الاختراع و (الفبركة) أقرب وهذا هو السر فى صعوبة كتابة تاريخ هذا العهد لأن قادة العهد حرصوا على إخفاء هذا التاريخ .

الداهية :

فى القاموس كلمة « الداهية » لها معنيان تقول : رجل داهية أى ذو حيلة وسياسة ، وتقول نَزَلَتْ بالرجل داهية أى نكبة ومصيبة ونحن هنا نتكلم عن « الداهية » بمعنى نكبة ومصيبة ، والكلمة مأخوذة من تعبير لشمس الدين بدران ، يقول فؤاد المهداوى محافظ الصحراء الغربية سابقاً إنه عند ما حدثت هزيمة يونيو ١٩٦٧ تم الاتفاق بين الرئيس والمشير على التنحى وترشيح شمس بدران لرياسة الجمهورية (وفى بيان التنحى رشح جمال عبد الناصرزكريا محيى الدين، فقد كان عبد الناصر متمسكاً بالحكم العسكرى ؛ ولم يُرِد له الغروب بعد ما أنزله بمصر من أوجاع ونكبات) . ثم فوجئ شمس بدران بجمال عبد الناصر يتصل به يوم ١٠ يونيو ويبلغه بقبوله العودة عن التنحى ، وأنه سيرسل إلى مجلس الأمة خطاباً بذلك ، وقد رَدَّ عليه شمس بدران بقوله « يادى الداهية »[1] .

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ٢٦٨

تلك لقطات عن عبد الناصر الذى لقبوه « بالزعيم الخالد » ولكن الذى يتحتم أن نذكره هنا هو أن المسئولية لا تقع عليه وحده وإنما تقع على هذه الجماعة التى حكمت البلاد ، لا لصالح البلاد ، ولا لصالح الشعب ، وإنما لتستمتع هى بأكثر مما استمتع به الملوك والأباطرة على حساب الشعب المسكين والوطن الجريح .

إن الدراسة التى نثبتها هنا مستقاة من كلام هؤلاء القادة ، ونقصد بها أن نوضح أن ما أوقعه العسكريون بالبلاد شىء طبيعى ، وما كان من الممكن أن يحدث غيره لقلة الثقافة وقلة التجربة ، وبطبيعة الدكتاتورية التى يحتمها النظام العسكرى ، ونحذر كل الشعوب من الحكم العسكرى فهو يحمل الدمار أنَّى سار ، وأبسط مثال لذلك ما يتحتم أن يقع للهندسة والطب من كوارث إذا قام الطبيب بعمل المهندس وقام المهندس بعمل الطبيب ، وإن حماية البلاد أسمى ما تتطلبه الأوطان ، فليعكف رجال الجيش عليها ، فهم يؤدُّون مهمة عظمى ، فإن تجاوزوا هذه المهمة فسد الجيش وفسدت السياسة ، وبالتالى تنزل بالبلاد أقسى أنواع النكبات .

الناصرية

كلمة مهمة صكت آذاننا فترة طويلة ، ويجدر بنا أن نتناولها بالعرض في ختام تعريفنا بعبد الناصر ، ومن الواضح أن هناك بعض المذاهب الإسلامية التي تُنْسب لأصحابها كالحنفية والشافعية . . . وهذه تدل على اتجاهات محـــددة لأصحابها في الفروع التشريعيةفي الإسلام . . .

وهناك في الاقتصاد العام مذاهب محددة كالرأسمالية والماركسية التي تتكلم عن قانون فائض القيمة ، وعن المادية التاريخية ، والصراع بين الطبقات . . .

فهل كان لعبد الناصر فكر مرسوم يعمل في ضوئه ؟

هل كان له خط واضح قطع فيه شوطاً وترك لتلاميذه ومريديه أن يكملوا الشوط ؟

هل كان له منهج محدد في مشكلات الداخل والخارج يسير فيه ويتابع المسيرة ؟

هذه أسئلة مهمة إذا أجيب عليها بالإيجاب كان من الممكن أن توجد « الناصرية » وأن يستمر لها أتباع وأشياع .

والذي يستعرض بتؤدة حياة عبد الناصر في الداخل والخارج يجد أنه فعل الشيء وضده في أكثر الأحوال ، وصادق أفراداً وجماعات ثم عاداهم ، وأمر بشيء ثم نهى عنه ، وكانت حياته أشبه بمقياس حرارة يوضع في ماء ساخن ثم بارد ثم ساخن . . . فلا يستقر ارتفاعاً وانخفاضاً .

وسنقدم نماذج من تصرفات عبد الناصر لنقيس بها مبادئه :

— عندما بدأ فى إقامة أسطورة السد العالى أذاع وأشاع أنه سيسيل شهداً ولبناً ، وأن ملايين الأفدنة ستزرع وتحتاج لأيد عاملة ، وهتف بالناس ألا يسمعوا لمن يقول بتحديد النسل أو تنظيمه ، فإن مصر تحتاج لملايين كثيرة من البشر .

ثم عُنِيَ فى الستينات بتنظيم النسل ، وأطلق وزراءه وكل وسائل الإعلام للحد من التكاثر ، وسخر من أن يتولى وزارة الشئون الإجتماعية وزير (حافظ بدوى) عنده ١١ ولدا .

وبهذه المناسبة نذكرٌ القارىء بمئات الملايين من سكان الصين ولكن الثورة الرشيدة عندهم ، لم تقنع بأن تقدم لهم الزاد والكساء بل حققت قدراً هائلا من الفائض فى الأطعمة والأكسية غمرت به جوانب الأرض .

ونذكر القارىء كذلك أن كوريا التى عانت الدمار فى الحروب استطاعت فى مدى وجيز أن تحقق المعجزات فى ميادين التقدم والتطور ، واندفعت بتقدمها ورجالها وإنتاجها إلى أقطار كثيرة .

— فى مطلع الثورة ارتبط بأمريكا ارتباطاً وثيقاً جعل السفير الأمريكى بمصر يحضر وحده من بين السفراء مغادرة الملك فاروق للبلاد ، ويقال إن أمريكا كان لها تدبير فى قيام الثورة وفى حمايتها من تدخل بريطانيا ، كما ذكرنا من قبل .

وبعد فترة وجيزة هاجم أمريكا أشد هجوم ، وكال لها اللعنات ، وأعلن عليها العداء كما يقول كاتب وحيه محمد حسنين هيكل(١).

— وقف من الملك سعود ومن الملك فيصل مواقف عجيبة ؛ فى خلاله

---

(١) بصراحة عبد الناصر ص ١١٩ و ١٢١

حكم الملك سعود هاجمه وعاداه لدرجة أنه كما يقول هيكل دخل حرب اليمن حتى لايعطى الملك سعود فرصة لتحقيق انتصار آخر بعد الانتصار الذى حققه بعملية انفصال سوريا عن مصر(١) وكان فى هذه الأثناء شديد القرب من فيصل ، فلما عُزل الملك سعود وجاء الملك فيصل هاجمه أشد هجوم وأقساه ، واحتضن الملك سعود وأحسن استقباله .

— ومواقف عبد الناصر من الملك حسين مشهورة معروفة وصلت فى عدائها إلى المساس بأمه ، وهو موقف بعيد كل البعد عن الشهامة العربية ، ثم كان إليه صديقاً فى كثير من المواقف أهمها موقفه منه قبيل حرب سنة ١٩٦٧ .

— وللإخوان المسلمين مع عبدالناصر حديث بالغ العجب ؛ فقد احتضنهم دون بقية الأحزاب ، وحل الأحزاب وأبقاهم ، واختار منهم بعض وزرائه ، وأمضى معهم بعض سهراته ، ثم انقلب عليهم وحشاً كاسراً ، قتل ودمّر وعذب ، وسجن دون حق ودون هوادة .

— ولعبد الناصر نفس الموقف مع الشيوعيين لقد غضب عليهم فحشدهم فى السجون ، ووضعهم تحت عذابه المهين ، ثم رضى عنهم فأسلمهم زمام الأمور فى البلاد ، فى الصحافة والتخطيط ، واتحاده الاشتراكى ، وكل أركان الدولة .

— وروسيا تقرّب إليها وتباعد عنها ، وكان فى الحالين مغالياً ، فهو مرة يهدد ويزمجر ، وهو أخرى يلين ويرحب ويعقد الاتفاقات ويجلس مع الخبراء ويسلم زمام الأمور للسوفييت ليتحدثوا عن مصر ، ويعلن أنه يقبل ما يقبله لنا هؤلاء الأوصياء .

وبهذه المناسبة نذكر أنه طالما صرخ فى الجماهير بأن ما أخذ بالقوة لايسترد

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٨

إلا بالقوة ، وكان فى نفس الوقت يسلم الأمور للاتحاد السوفيتى ويعلن لهم أنه يقبل ما يرتضونه كما سبق القول .

— وهو يتطلع إلى توسيع نفوذه فى العالم فينشر المراكز الثقافية فى أمكنة متعددة فى الدنيا ، ويتخرج من كلية دار العلوم وحدها أربعة أساتذة ليتولوا إدارة هذه المراكز وليعملوا مستشارين ثقافيين ، وكان كاتب هذه السطور واحداً من هؤلاء وكنت بإندونيسيا ، وكان الآخرون فى هولندة ، والعراق ، ونيجيريا ، وبعد سنوات قليلة انكمش هذا النشاط وقفلت هذه المراكز وعاد كل الموظفين ، ويقال إن إسرائيل استأجرت بعض الأمكنة التى كانت مراكز ثقافية مصرية ، وأخذت تديرها ضد مصر وضد العرب .

وبهذه المناسبة نقرر أن آلاف الكتب التى كانت بالمراكز الثقافية قد اختفت أو احتوتها الصناديق ، وأسلمت للضياع .

— والعرب نال زعماؤهم من عبد الناصر كل هوان وتحقير ، وكان يتكلم عن هؤلاء الزعماء واصفاً إياهم بأحط الصفات ، وقلّ من نجا من عدوانه ومؤمراته ، مع أنه كان يصيح بأنه راعى العروبة وحبيب العرب .

— ورفاقه فى مجلس الثورة الذين ارتبط مصيره بمصيرهم فى أخطر عمل يقوم به جماعة ، هؤلاء الرفاق سقطوا بضرباته واحداً بعد واحد ، وعرفوا العزل والاعتقال وتحديد الإقامة ، كما عرفوا صوراً من الهوان ، كان بعضها أمام الجماهير بل سقط واحد منهم صريع سم قضى عليه .

وأمثلة أخرى كثيرة تذبذب فيها عبد الناصر ، هى وقائع يصعب حصرها لكثرتها ، ولاشك أن فيما أوردناه كثيراً من الغناء .

فهل يمكن بعد ذلك أن نقول إن عبد الناصر كانت له مبادئ تمسك بها وعمل لتحقيقها .

إنها كلمة حق قوية وواضحة لقد عاش عبد الناصر لنفسه وذويه ، فشيد أفخم المبانى وكوّن أعظم الثروات لأسرته ، وكان مستعداً أن ينتقل من اليمين لليسار ومن اليسار لليمين إذا كان هذا سيحقق له منفعة خاصة .

وقد أدركت الجماهير ذلك فانفضت عن أولئك الذين أسموا أنفسهم ناصريين ، ولم يستطع « كمال رفعت » الذى رشح ناصرياً فى انتخابات سنة ١٩٧٦ أن يحصل على التأمين الذى دفعه لأن أصوات الناس أعرضت عنه .

والعجب أن الحزب اليسارى اتخذ من عبد الناصر زعيما له ، ولا يجهل أحد ما كان من عداء بين خالد محيي الدين زعيم هذا الحزب وبين عبد الناصر ، ويتخذ هذا الحزب شعاراً له تلك الكلمات الجوفاء التى كان يطلقها عبد الناصر ، وهى « حرية — اشتراكية — وحدة » ومن الواضح أن عبد الناصر لم يؤمن بالحرية ولا بالاشتراكية ولا بالوحدة ، وأن كل تصرفاته كانت ضد هذه الاتجاهات ، فلم تعرف البلاد الحرية فى عهده ، وغمرتها عبودية قاسية ، وكان القتل والتعذيب هما البديلان لكل من انتفض يطالب بالحرية له وللناس ، أما اشتراكية عبد الناصر فقد وصفها أنور السادات بأنها اشتراكية الصنم الذى صنعوه ووقفوا يعبدونه ، اشتراكية توزيع الفقر على الناس ، أما الوحدة فلا مدلول لها إلا التفكك الشامل الذى عمر البـلاد العربية طيلة العهد الناصرى البغيض .

ومن هنا يتحتم أن تختفى كلمة « الناصرية » مع اختفاء الإنسان الذى اشتقت من اسمه حروف هذه الكلمة .

أول حاكم مصرى منذ ألفى عام !! :

كان عبد الناصر — كما قلنا من قبل — أول حاكم حقيقى فى عهد الثورة .

وبهذه المناسبة شاع ادعاء بأن الثورة جلبت لمصر حكاماً مصريين بعد أن حُكِمَتْ بالأجانب منذ عهد طويل يقدِّره بعضهم بآلاف السنين(١) .

ولعل هذه الفكرة الجاهلة انحدرت من كلمات أنتونى ناتنج ونصها : « بعد عزل فاروق تولى حاكم مصرى حكم مصر ، وذلك لأول مرة منذ الغزو الفارسى من ٢٥٠٠ سنة تقريباً » وفى تقديرى أن كلام أنتونى ناتنج كلام مستعمر يهمه طعن الشعوب التى تحاول طرد الاستعمار ليُضعف من قوتها ، وفى مناقشتنا لهذا الادعاء الذى يرى أن جمال عبد الناصر أول حاكم مصرى منذ حوالى ألفى عام نسأل سؤالين مهمين .

— إلى أى مدى يصح هذا الادعاء ؟

— ولماذا تحرص الأوطان على أن يحكمها مواطنون منها ؟

فى تقديرى ينبغى أن نجيب عن السؤال الثانى قبل الأول ، ففى الإجابة عن هذا السؤال تمهيد للإجابة عن السؤال الأول ، ومن الواضح أن كل وطن يحرص على أن يحكمه أحد أبنائه ليكون هذا عميق الصلة بآمال الوطن شديد الإخلاص له ولأبنائه ، وليكون نابعاً من البيئة ، ونبت الأرض ، وليكون للمواطنين ابناً وأخاً وصديقاً ، يبذل أقصى الجهد لخدمة بلاده ، وخدمة مواطنيه :

بل تتجه كثير من الدساتير فى العالم لاختيار الرئيس لمدة واحدة كما هو الحال فى لبنان (فالمدة ست سنوات) أو مدتين على الأكثر كما فى الولايات المتحدة (ومجموع المدتين ثمانى سنوات) . ويقولون عن سبب هذا التحديد إن الرئيس ينبغى أن ينبع من الشعب وأن يكون عميق الصلة به ، ويُخْشَى أن ينسى الرئيس نبضات الشعب بسبب حياته فى القصور ، ولهذا تلزم العودة

---

(١) انظر كتاب « مصر فى عهد عبد الناصر ص ٢٣٦ » .

للشعب من حين إلى آخر لاختيار من تتمثل فيه آمال الشعب ومعاناته وآلامه .

وعلى هذا فاختيار الرئيس من الشعب يقصد به خير الشعب وتحقيق آماله ، فإذا لم يستطع أى رئيس أن يكون مصدر خير لشعبه فإنه يصبح كارثة لا تقل أثراً عن الحاكم الأجنبي الذى يحكم البلاد لصالح دولته فى عهود الاستعمار المقيت .

هذه هى الإجابة عن السؤال الثانى ، فلنعد للاجابة عن السؤال الأول وهو :

إلى أى مدى يصح القول بأن حكام مصر قبل الثورة كانوا غرباء . والحق أن القول بهذا قولٌ عجيب جداً ، ولايستند إلى أى أساس ، وإذا ركزنا إجابتنا على العصور الإسلامية التى خصصنا لها هذه الموسوعة فإننا نقرر أنه لا يصح القول إطلاقاً بأن مصر حكمها أجنبي خلال هذه العصور ، ويعتبر هذا القول دليل جهل بالفكر الإسلامى الذى يرى أن الأمة الإسلامية أمة واحدة ، قال تعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة »(١) .

وعلى هذا فقد كانت مصر جزءاً من العالم الاسلامى ، وكانت تابعة لمقر الخلافة ، وكان كل مسلم يعد مواطناً فى ذلك العالم الاسلامى ، وكان الخليفة يعيِّن والياً على مصر كما يعيِّن الولاةَ على مختلف الأقاليم ، وكان الحكم — كما ينبغى أن يكون دائماً — مسئولية عظمى ، يختار له الخليفة أتقى رجاله ويتابع أعمالهم وإخلاصهم ، فإذا أهمل الخليفة أو الوالى فذاك نكوص بالعهد والالتزام فى الإسلام .

وإذا وصلنا إلى عصور التفكك واستقلال المناطق وجدنا الذين حكموا مصر كان يتوافر فيهم الشرطان اللذان يفصلان بين الحاكم المصرى والحاكم الأجنبي ، وهذان الشرطان هما :

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٢

١ — يحكمون البلاد بفكر نابع من الداخل وليس تبعاً لتعليمات وأوامر صادرة من الخارج .

٢ — يحكمون البلاد لصالح البلاد ، أى أن ثروات البلاد تبقى بها ولا يبعث بها الحاكم للخارج ، كما يفعل ممثل الاستعمار الذى يجمع الثروات ليرسل بها إلى الدول المستعمرة .

وهذا الوصف ينطبق إلى حد كبير على أحمد بن طولون والإخشيديين والأيوبيين ، وينطبق انطباقاً تاما على الفاطميين والمماليك وأسرة محمد على ، والفرق بين الطولونيين والأخشيديين والأيوبيين من جانب وبين الفاطميين والمماليك وأسرة محمد على من جانب آخر أن المجموعة الأولى كانت ترسل بعض الهبات لعاصمة الخلافة ، ولكن هذه الهبات لم تعد دليل تبعية ، وإنما كانت دليل ارتباط إسلامى كان الجميع يحرصون عليه ، ولم يكن للخليفة آنذاك سلطان يستطيع به أن يعين وأن يعزل ، فقد أصبحت الوراثة سائدة ، أما المجموعة الثانية فكان استقلالها تاما ، وكان الخليفة فاطميا أو عباسياً يقيم فى القاهرة ، وسرعان ما تمرد محمد على على العثمانيين وهاجمهم .

ومن الواضح أنه لم يبق لابن طولون وطن غير مصر ، وأن جهوده كانت كلها لخدمة هذه البلاد ، أما الفاطميون فإنهم عند انتقالهم لمصر من الشمال الإفريقى نقلوا معهم ثرواتهم وحرسهم بل نقلوا جثث آبائهم ، وهذا أبلغ دليل على ارتباطهم بمصر ، ونشأ سلطان الأيوبيين بمصر ثم مد صلاح الدين سلطانه إلى الشام ، أما المماليك فقد أصبحوا مصريين تماماً ولا وطن لهم إلا مصر ، ويسميهم الجبرتى « الأمراء المصريين » وتحكى الروايات قصة شقيقين من القوقاز بيعا فى عهد الصبا أحدهما إلى ثرى فرنسى والآخر إلى ثرى مصرى وتقدمت السن بالصبيين فأصبحا شابين ، ودفعتهما العبقرية إلى مكان الصدارة فى الجيش وفى الحملة الفرنسية التقى الأخوان أحدهما مهاجم فى الجيش الفرنسى ، والثانى مدافع عن مصر ، وعرف كل منهما شقيقه وقبله ، ثم انتزع كل

منهما نفسه من أخيه ليدافع ببسالة عن وطنه وخرَّ أحدهما صريعاً بسيف الثانى ، فقد أصبحت الوطنية هى كل شىء عنده .

وعلى هذا كان أحمد بن طولون عند ما استقل بمصر مصرياً بدون شك ، وكذلك كان الفاطميون والأيوبيون والمماليك وأسرة محمد على ، والدستور المصرى الجديد (دستور سنة ١٩٧١) يتفق مع هذا تماماً ، فهو يشترط فى المادة ٧٥ منه أن يكون رئيس الجمهورية مصرياً من أبوين مصريين ، ومعنى هذا أن الدستور لم يحتم عراقة فى المصرية أو تسلسلاً مصرياً فى الأجداد ، وهذا وضع سليم فإن نقاء العنصر وصفاء الجنس شىء غير ممكن فأكثر المصريين تجرى فى عروقهم دماء عربية أو دماء تركية أو شركسية أو سودانية . . . . وهذا لا يتناقض أبداً مع مصريتهم ، وكثير من المصريين لهم أولاد أعمام فى الشام وفى تركيا ، ومن المستحيل أن يقلل هذا من صدق فى المواطنة لكل منهم تجاه بلاده ، وهذا يتكرر كثيراً فى عشرات الأسر العربية التى يوزَّع أفرادها بين دول الشام ، بل يوجد بعض الأسر فى دول المغرب وفروع منها فى أسبانيا والبرتغال..

وبناء على ذلك فمن الخطأ التاريخى أن يعد فاروق غريباً عن مصر مهما كان فيه من الأخطاء ، ففاروق مصرى ولا وطن له إلا مصر ، وقد طردته مصر ، لأنه خان الأمانة ، ولكن المصرية بقيت فى دمه حتى كتب فى وصيته أن يدفن جثمانه بمصر بعد وفاته ، وجىء بهذا الجثمان ليوارى فى تراب مصر الذى حرم منه فاروق فى حياته ، أما عن خيانة الأمانة فشىء يحدث كثيراً من الحكام ومن غير الحكام ، وقد تُكتشف الخيانة فى حينها وقد لا تكشف ، وتنزل بالخائن عقوبات فى حياته أو يفلت من العقوبة فى الدنيا لسبب أو لآخر ، ولكنه لا يفلت من عقوبة الآخرة .

وقد كان جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) فى المدة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦١ ولا يمكن أن نقول أن هذا عصر

احتلال بالنسبة إلى سوريا أو أن الحاكم غريب ؛ ولو قد حسنت سياسة الحاكم لطال هذا العهد ، ولأمكن تحقيق مزيد من التجمع العربى ، وسنتحدث عن عهد الوحدة فيما بعد .

وقد عرفنا فى العصر الحديث جنسية تخلق كالجنسية السعودية التى تشمل أقاليم نجد والحجاز والملحقات ، وجنسية تفكك كالجنسية اليمنية التى أصبحت شمالية وجنوبية مع ما بين الاثنين من خلاف ومشكلات .

وبهذه الدراسة نصل إلى رفض الادعاء بأن حكام الثورة كانوا أول حكام مصريين لمصر منذ أمد بعيد ، فهو ادعاء قيل لمدح قادة الثورة ، ولكنه كان طعنة فى مصر ، ما أجدرنا أن نردها ونستنكرها ، إن مصر قد نعمت باستقلالها التام خلال الفترة الإسلامية كلها ، وامتد سلطانها فى أكثر العصور الإسلامية فشمل الشام وأحياناً شمل السودان ، ولكن ذلك أيضاً لم يكن قط استعماراً للشام أو السودان ، وكانت تبعية مصر للعثمانيين تمشى فى نطاق التجمع الإسلامى ، ولم تتمرد مصر عليه إلا عند ما ظهر انحراف الخلفاء العثمانيين عن جادة الصواب ، وعند ما عجزوا عن مقاومة الحملة الفرنسية ، فحينئذ حمل المصريون عبء الدفاع عن بلادهم ، وظلوا يحملونه بعد خروج الفرنسيين ، وقد اختار المصريون محمد على ؛ وما كانوا آنذاك يختارون أجنبياً لحكم بلادهم ، وقد برهن محمد على على إخلاصه لمصر فانتقل بها خطوات عظيمة إلى الأمام ، ولولا ضعف بعض أحفـــاده وخيانتهم ، ولولا سعار الاستعمار الأوربى الذى تحدى محمد على فى حياته ، وتحدى الشرق كله من بعده لكان لمصر شأن أعظم .

وعند ما وُجِدَ الحاكم الأجنبى فعلا فى مصر منذ عهد الاحتلال سنة ١٨٨٢ فإن مصر ريفها ومدنها هبت فى ثورات متعاقبة حتى حمل الاستعمار عصاه ورحل .

ذلك فى تقديرى ما يجب أن يعرفه الناس من كل حدب ، وما يجب أن يعرفه هذا الجيل والأجيال التالية من المصريين .

محمد أنور السادات

لقد ذكرنا من قبل أن أنور السادات سنخصص له الجزء العاشر من هذه الموسوعة ، ولكن هذه السطور تكتب فى مارس سنة ١٩٧٩ ومصر تمر بفرحة هائلة نتيجة للجهود التى بذلها السادات لوضع حد للمعاناة التى خلقها جمال عبد الناصر ، ولاسترداد الأرض التى أضاعها العهد الأسود السابق ، ومن هنا أحسست أن من الوفاء أن نتعجل بذكر كلمة عن أنور السادات على أن تكون كلمة مجملة نعود لها إن شاء الله فى الجزء العاشر بالشرح والتفصيل .

وفى هذه العجالة عن أنور السادات نريد أن نسأل سؤالاً مهماً هو : هل يُعتبر أنور السادات مسئولاً عن عهد سلفه عبد الناصر ؟ .

قال أنور السادات فى عدة مناسبات إنه مسئول عن عهد سلفه ، ونحن نعارض هذا الاتجاه ، فهو يخالف المقاييس الدينية والتاريخية التى يتحتم أن نخضع لها ، وفى قمة هذه المقاييس قوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى »(١) وهى تضع على كل لسان مسئولية أعماله ، ثم إن أنور السادات لم تسند له أية وزارة عندما تزاحم أعضاء مجلس قيادة الثورة على الوزارات فى عهد الثورة المبكر ، وسرعان ما بعد عن السلطة التنفيذية تماماً فأصبح سكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامى ، ومشرفاً على دار التحرير للصحافة ، ووكيلاً لمجلس الشعب ثم رئيساً لهذا المجلس ، ولا يمكن بهذا أن يعد مسئولاً عن قرارات اتخذتها السلطة التنفيذية .

كما أننا سنرى فيما بعد أنه ألغى كثيراً من القرارات الجائرة التى اتُّخذت فى عهد سلفه ، مما يدل على عدم رضاه عنها .

ونقطة ثانية نريد أن نتحدث عنها هنا هى هذه الجهود الكبيرة فى السياسة

---

(١) سورة فاطر الآية ١٨ .

الخارجية التى نعتقد أنه عبَّر بها عن اتجاه الجماهير العريضة فى الشعب المصرى، ووفق فى التعبير أعظم توفيق فى حالتى الحرب والسلام ، فقد خطط لحرب ١٩٧٣ ، وباشرها بكفاءة هائلة رفعت رأس مصر ، وأعادت للمصريين ما فقدوه من كرامتهم فى العهد السابق ، ثم دخل معمعة الصراع سلمياً ، ولقى من التوفيق فى ميدان السياسة والمفاوضة مثل ما لقيه فى ميدان الحرب والصراع ، ولم يتأثر بالشعارات الباطلة التى تصرخ بها حناجر ليس معها سلاح إلا سلاح الهتافات والأبواق ، وفى الحق إن شعب مصر كان خلفه كما رأيته بعينى وعقلى ، وكان يطمع أن يصل إلى اتفاق إن لم يحقق كل الأمل ، فإنه يحقق أكثره ، وذلك هو حكم التاريخ فى كل قضايا المفاوضات ، وأشهد أن قلوبنا كانت معه ، ودعواتنا كانت تتصاعد لتأييده .

هذا هو التفكير العام حيال اتجاهات السادات الخارجية ، تفكير أحسست به ورأيته وسمعته ودونته ، أما الشئون الداخلية فمشكلاتها تحتاج إلى تفاصيل ودراسات سيحفل بها الجزء العاشر إن شاء الله .

عبد الحكيم عامر

إن الذى يدرس حياة عبد الحكيم عامر مع عبد الناصر يدرك بوضوح أن عبد الناصر بنى عبد الحكيم عامر ليكون عوناً له ، فقد كانا صديقين من قبل الثورة ، وكانا متلازمين تقريباً ، ولكن الصداقة بين الاثنين لم تكن لله ولا للوطن ، وإنما كانت لمصلحة خاصة ، فقد حسب عبد الناصر أنه يصطنع عبد الحكيم عامر لنفسه ويسخّره لتحقيق أطماعه ، وحقّق عامر ذلك لعبد الناصر فترة من الزمن ، ثم اتجه لبناء نفسه وتحقيق أطماعه هو ، وكان عبد الناصر يريد أن يحصل على ولاء الجيش عن طريق عامر ، ولكن عامر حصل على ولاء الجيش له هو لا لسواه ، فدبَّ الخلاف بين الاثنين ، وحلَّت البغضاء محل الحب ، وتمَّ بين الاثنين اتفاق واضح جلى على أن ينعم كل منهما بسلطات هائلة على حساب الشعب المظلوم المكلوم ، وقد وقعت هزيمة إثر هزيمة بالجيش ، وكان ذلك يحتّم التغيير فى قيادة الجيش ، ولكن هذه القيادة صرخت بأن دكتاتورية الحكم يجب أيضاً أن تختفى لأنها سبب الكوارث ، فتنازل الدكتاتور عن رأيه ، وأبقى القيادة فى اليد المرتعشة لينعم هو بالحكم المطلق ، ولمـّا ضاق الدكتاتور بالقائد الذى هزَّ الدكتاتورية وضع له نهاية ، ولكن أفول الزعيمين كان قد حان بعد الخسارة الهائلة التى نزلت بالبلاد والعباد .

تلك خلاصة حياة عامر ، نعود لها بشىء من التفصيل :

فى مطلع الثورة عندما وُضِعَ محمد نجيب رئيساً لها ، عيَّن عبد الناصر عبد الحكيم عامر مديراً لمكتب نجيب ، ليكون لعبد الناصر عن طريق عامر تدبير حياة محمد نجيب ، وتنظيم اتصالاته ، وليتعرف على كل حركاته .

ثم أعلنت الجمهورية ، وخدع محمد نجيب بمنصب رئيس الجمهورية

وأبعد عن الجيش ، ورُقِّيَ عبد الحكيم أربع رتب مرة واحدة ، فانتقل من رتبة « صاغ » إلى رتبة « لواء » ، وعين قائداً عاماً للجيش ، وكان قرار تعيين عبد الحكيم عامر فى هذا المنصب أول أمر يصدره محمد نجيب بعد إعلان الجمهورية(١) ويقول محمد نجيب : إنى أعترف أن هذا كان خطأ كبيراً وقعت فيه ، فقد شعرت بعد قليل أننى أصبحت فى مركز أقل قوة بعد أن تركت قيادة الجيش(٢) .

وخطا عبد الناصر بعامر خطوة أخرى ، فأبعد أعضاء مجلس القيادة عن وحداتهم العسكرية ، وقطع صلاتهم بالجيش ، وبهذا اعتقد أن الجيش أصبح له وحده عن طريق عامر .

ويقرر عبد اللطيف البغدادى نفس المعانى التى أوردناها بقوله : كنت أعتقد أن جمال عبد الناصر لم يرشح عبد الحكيم لقيادة الجيش إلا لتصبح له السيطرة السياسية على الجيش دون باقى المجلس ، وكان فى ذلك معتمداً على الصداقة المتينة بينه وبين عبد الحكيم ، وكنت أخشى عندما تولى عبد الحكيم أمر الجيش أن يصبح الجيش فى المستقبل أداة تدخل فى السياسة ، **ومن الواضح أن الجيش إذا تدخل فى السياسة فسد الجيش وفسدت السياسة** ، وأن هذه محصلة تجارب على مدى التاريخ ، واقترحت أن يتولى أمر الجيش ضباط محترفون بعيدون عن السياسة ، ولكن جمال عبد الناصر تمسك برأيه(٣) .

وعندما عُيِّن عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للجيش استقال بعض كبار الضباط الذين كانوا قد بقوا فى مناصبهم لكفاءة عالية كانت بارزة فيهم ، وأعلنوا إن استقالاتهم احترام للرتب التى يحملونها ، ويعلق الأستاذ أحمد

---

(١) الأهرام فى ١٩ يونيو سنة ١٩٥٣ .

(٢) كلمتى التاريخ ص ٦٧

(٣) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٧٧ ، ٧٨

أبو الفتح على ذلك بقوله : إن تعيين عبد الحكيم عامر نسف تقليداً عسكرياً هو احترام الأقدميات ، وكان لهذا التعيين أعمق الآثار على النظام ، ليس فى الجيش وحده ، بل فى كل أجهزة الدولة (١)

وعلى الرغم من الهزيمة الساحقة التى منى بها عامر وجيشه سنة ١٩٥٦ فقد أصبح قوة يتحتم على عبد الناصر أن يوادعه ويخادعه ، ومن أجل هذا توالت عليه الألقاب والرتب ، فعين قائداً عاماً للجيش السورى والمصرى خلال الوحدة ، ورُقى إلى رتبة « مشير » وخلع عليه عبد الناصر لقب « نائب رئيس الجمهورية » ثم أصبح بعد ذلك « النائب الأول لرئيس الجمهورية(٢) »

صفات عبد الحكيم عامر :

وهنا يتحتم علينا أن نعود إلى المراجع التى بين أيدينا لنتعرف على صفات هذا الرجل الذى دفعه عبد الناصر إلى المجد دفعة إثر دفعة :

يقول أنور السادات :

ـ كان لعبد الحكيم عامر أخطاؤه بطبيعة الحال ، ولكن الأهم من ذلك أنه كان يسىء اختيار معاونيه بشكل فاضح ، وكان من أبرز ملامح شخصيته روح القبيلة ، فهو يساند معاونيه بالحق أو الباطل .

ـ عقب الانفصال قلنا لعبد الناصر إن عزل عبد الحكيم عامر كان يجب أن يتم سنة ١٩٥٦ ، لا فى ١٩٦١ فقط ، لأنه لا يصلح من ناحية العمل العسكرى(٣) .

---

(١) التحدى ص ٢٥٢

(٢) البحث عن الذات ص ٢٠٤ — ٢٠٥

(٣) البحث عن الذات ص ٢٠٥ و ٢٠٧

ويقول محمد حسنين هيكل :

إن عبد الحكيم عامر كان نصف فنان ، ونصف بوهيمى ، ولطيفاً جداً ، ولكنه من الناحية العسكرية توقف عند رتبة صاغ ، أى أنه يستطيع أن يقود كتيبة ، لكنه لايستطيع أن يقود جيشاً ، لقد أصبح عبد الحكيم عامر ضابطاً سياسياً ، ولكن الضابط السياسى لايمكن أن يكون مسئولا عن الجيش(١)

ويورد الضابط أحمد حمروش مجموعة من الصفات الدقيقة لعبد الحكيم عامر فيقول :

— أحاط المشيرُ نفسَه بحاشية سرعان ما عرفت فيه أسوأ الصفات فتمادت فى سلوكها اللاأخلاقى واستغلت أموال الدولة أسوأ استغلال ، وكان الذين يقتربون من رجال مكتبه الذين يقودهم الصاغ على شفيق تأخذهم الدهشة من الجموح المكشوف فى مجال اللهو والبذخ المبالغ فيه ، الأمر الذى أثر تأثيراً شديداً على قمة القيادة العسكرية وانعكس على بقية مستويات الضباط(٢) .

— عندما عُيِّنَ على صبرى رئيساً للوزارة سنة ١٩٦٤ أصبح المشير عامر والمحيطون به يتصرفون أحياناً وكأنهم وحدهم فى الساحة لا يقيمون وزناً للوزارة فكانت التعيينات الكبرى تتم بترشيح من عامر ، وكان كثيرون ممن أدانتهم الرقابة الإدارية مستمرين فى مناصبهم بسبب مساندة المشير .

— كانت المتعة الشخصية هى الفلك الذى يعيش فيه عامر ، وأصبح

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٠١

(٢) مجتمع جمال عبد الناصر ص١٣٩

ذلك معروفاً ومتداولاً ، وكانت هذه المتعة تشمل تدخين الحشيش ، والاتصال ببعض الفنانات ، والبذخ ، الذى وصل إلى حد السفه ، ونتيجة لعلاقة الضباط بالفنانات تزوج المشير من برلنتى عبد الحميد ، وعلى شفيق من مها صبرى ، وعبد المنعم أبو زيد من سهير فخرى[١] .

— كانت هناك عصابات فى مكتب المشير تشتغل بالتهريب وبخاصة فى الأجهزة والآلات والدخان التى كانت تستورد من اليمن ، وكانت تلك العصابة بقيادة الصاغ عبد المنعم أبو زيد وقد أدانتهم المحكمة العسكرية[٢] .

ومن الحق أن نقرر أن عبد الناصر حاول أكثر من مرة أن يستبعد عامر على الأقل ليخلو له الجو تماماً ، ولكن هذا كان قد مكّن لنفسه فى الجيش ، وكان كلما أحس بغمزة من عبد الناصر يصيح ضد الدكتاتورية فيتراجع عبد الناصر ، ويتظاهر العدوان بالوفاق ، كما أشرنا من قبل .

ولم يكن عبد الحكيم عامر قانعاً بالمناصب الكبرى التى يشغلها فى الجيش وفى السياسة ، بل مدّ نفوذه فى عدة مجالات ، فأخذ مسئوليات عبد الحكيم السراج فى سوريا ، وصارع زكريا محيي الدين حتى أبعده عن رياسة الوزارة ليتولاها أحد معاونيه كما يقول أنور السادات[٣] وأصبح رئيس لجنة تصفية الإقطاع ، ورئيس لجنة مراجعة الترشيح لمجلس الأمة ، وأصبح اسمه أو اسم أحد معاونيه موجوداً فى كل مجال .

ولم يدرك عبد الحكيم عامر مسئولية الرجل العام ، فالرجل العام يتحتم أن يظهر أمام الجماهير على الأقل بمظهر لائق ، ولو كان فى ذلك بعض الحرمان مما يشتهيه ، ونتج عن الجهل بهذه المسئولية أن تزوج عبد الحكيم عامر

---

(١) مجتمع عبد الناصر ٢٣٢
(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة
(٣) البحث عن الذات ص ٢١٥

من الفنانة « برلنتى عبد الحميد » فكان ذلك من أسباب الابتعاد النسبى فى علاقاته بعبد الناصر(١) .

القائد المنهزم :

لا نعرف قط قائداً شنّ الهجوم وجلب الهزائم المتكررة المريرة على جيشه وأمته ثم بقى طامعاً فى الحكم مثلما فعل عبد الحكيم عامر وعبد الناصر ، وهذا عمل عجيب يستحق أن نقف معه وقفة نعود فيها إلى تراثنا الفكرى بإفريقية لنرى أن قبيلة اليوروبا كان من تقاليدها أنه إذا أرسل الملك حملة عسكرية ثم فشلت ، فإنه يقتل نفسه قبل أن تعود حملته المهزومة إلى أرض الوطن ، وإذا لم يقتل الملك نفسه ، فإن الشعب يرى أن تنفيذ القانون أمر لا مفر منه فيتولى بنفسه قتل الملك ، وهكذا كان حق الهجوم أو إثارة الحرب معناه النصر أو الموت بالنسبة للملك(٢) .

أين هـــذا مما أحدثه ناصر وعامر ، فقد دفعا مصر عدة مرات إلى الحروب سنة ١٩٥٦ ، وخمس سنوات باليمن وسنة ١٩٦٧ ، وقدما آلاف الضحايا من الشباب وبلايين الجنيهات من الخسائر بسبب اضطراب الاستعداد وسوء إدارة المعارك ، ثم ظلت رغبتهما فى الحكم شرسة وقوية غير مبالين بالدماء والأرواح التى قضيا عليها ، ولم ينتحر عامر — إذا كان قد انتحر — إلا عندما لم يجد وسيلة للحكم بعد أن ضيق عليه الخناق صديق الأمس .

على أن أنور السادات يمتدح التقليد الذى كانت تسير عليه قبيلة اليوروبا فقد قال لجمال عبد الناصر تليفونياً عندما أبلغه هذا أن عبد الحكيم عامر انتحر « والله إذا كان ده حصل فعلاً يبقى ده أحسن قرار اتخذه عبد الحكيم كقائد خسر المعركة لأنى لو كنت مكانه كنت عملت كده يوم ٥ يونيه ، فى التقاليد العسكرية أى قائد ينهزم يعمل كده »(٣).

---

(١) كلمات فؤاد المهداوى فى شهود ثورة يوليو ص ٢٦٨ .
(٢) فجر التاريخ الأفريقى ترجمة عبد الواحد الإمبابى ص ٩٠
(٣) البحث عن الذات ص ٢٥٢

ونختلف مع أنور السادات تاريخياً فى نقطتين :

الأولى : أن عبد الحكيم عامر لم ينتحر لأنه انهزم ، بل انتحر — إن كان قد انتحر — لأنه لم يستطع أن يعود لأبَّهة الحكم وسلطانه كما فعل عقب الهزائم السابقة سنة ١٩٥٦ ، وفى سوريا سنة ١٩٦١ ، وفى اليمن طيلة خمس سنوات ، ولا حتى عقب هزيمة يونيو فى الأيام الأولى من هذه الهزيمة ؛ بل إنه وزَّع الشربات يوم ١٠ يونيو عند ما ظهر الأمل فى عودته لمركزه بالجيش ، كما ذكرنا من قبل وكما سنروى بعد قليل .

الثانية : أن عبد الناصر كان شريكاً لعامر أو سابقاً له فى تحمل أسباب الهزيمة ونتائجها ، ولذلك هزته كلمات السادات كما يتضح من عباراته بكتاب « البحث عن الذات »(١) ، ولو أن أنور السادات لم يكن يقصد أن يذكِّر جمال عبد الناصر بالتزامه ، فقد كان يعرف حرصه على الحياة .

فترة صراع :

ولنعد إلى الفترة التى سبقت نهاية عبد الحكيم ، فإنه عقب الهزيمة اتفق ناصر وعامر على الاستقالة ، وعلى تعيين شمس بدران رئيساً مؤقتاً للجمهورية وكان شمس من أعوان عبد الحكيم ، ولذلك تراجع عبد الناصر عن هذا الاتفاق وأعلن تعيين زكريا محيي الدين نكاية فى عامر ، وحتى لا يجيئ شمس الدين أى أمر لصالح عامر ، وقنع عامر بذلك ، ولكن سرعان ما قامت تمثيلية ٩ ، ١٠ يونيو وسرعان ما استجاب ناصر للعودة إلى السلطة ، فثار عبد الحكيم لذلك ، وثارت جماعته هاتفة « لا ناصر بدون عامر » وانتقلت المسألة إلى صراع بين صديقى الأمس . والذى يقرأ كتاب « البحث عن الذات »(٢) . فى هذا الموضوع يحس بألم قاتل لأن الزعيمين

---

(١) راجع رد الفعل على جمال عبد الناصر عندما سمع كلام السادات عن ضرورة انتحار القائد المنهزم فى الصفحة المذكورة (٢٥٢)

(٢) إقرأ ص ٢٤٦ وما بعدها .

نسيا تماماً الدماء التى لم تجف بعد فى سيناء ، ونسيا الجزء الغالى من الوطن الذى استولى عليه العدو ، ونسيا توقف قناة السويس ، والخراب الذى حل بمنطقة القناة ، ومئات الملايين التى كسبها العدو أسلحة ومالا فى سيناء ، نسيا كل هذا وراحا يتصارعان للحصول على مجد شخصى لها ، وكان عبد الناصر لا يريد شريكا بعد ذلك ، فألقى القبض على عامر ، ثم قبض على معاونيه ، ولم يجد عامر طريقاً للمجد فآثر الفرار بالانتحار .

ونختم هـــذه المأساة بعبارة مريرة أشرنا لها من قبل هى أنه لما عاد عبد الناصر عن التنحى فى ١٠ يونيو توجه الضباط الموالون لعبد الحكيم عامر طالبين منه عودته أيضاً وذهابه إلى مكتبه فى اليوم التالى مباشرة ، وقد وافقهم المشير على ذلك فوزعوا الشربات[١] .

وإننى أتصور أن هذا « الشربات » لم يكن أحمر حتى لا يذكرهم بالدماء القانية التى كانت لا تزال تتدفق فى سيناء وعلى ساحل القناة ، لقد نسى هؤلاء كل واجب ولم يبق أمامهم إلا الأنانية المفرطة ، ولابد من حساب على هذه الخيانة إن لم يكن فى الدنيا فليكن يوم المعاد .

---

(١) كلمات الضابط فؤاد المهداوى محافظ الصحراء الغربية سابقا فى شهود ثورة يوليو ص ٢٦٥ .

زكريا محيي الدين

زكريا محيي الدين من بيت غنيٍّ ولهذا كان عبد الناصر يغمزه من حين إلى آخر بما عنده من ثراء ، وكان أقدم من عبد الناصر فى الرتبة ، ولذلك كان عبد الناصر يؤكد – كما رأينا من قبل – أن المسألة ليست مسألة أقدمية ، وذلك لكي يستبعد زكريا محيي الدين .

ويروى فى ذلك أنه فى يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ كان الثوار مجتمعين وقد أعدوا خطة التحرك ، فحضر زكريا وأعطاه عبد الناصر الخطة ليقرأها بصفته المسئول عن التحركات ، فقرأها وقال : حسن ، على بركة الله . ووضع الورقة وانصرف . وهنا التفت عبد الناصر وقال للحاضرين : عايز يبقى ريس والا إيه ؟[١] .

وعندما استقر الأمر لعبد الناصر كان شديد الرغبة فى الاستهانة بزكريا محيي الدين ، ويروى عبد اللطيف البغدادى أنه كان دائماً يصفه بأنه «الأصفراوى» وأن عبد الناصر بَلَغَه أن زكريا مرة اقترح على البغدادى أن « يشيلوا » جمال عبد الناصر فطلب عبد الناصر البغدادى وقال له عن زكريا « هو يقدر يشيل غفير ؟ أما يشيل رئيس الجمهورية[٢] ؟ » .

ويروى عبد اللطيف البغدادى أن عبد الناصر لما ذهب إلى يوغسلافيا وعين زكريا محيي الدين نائباً عنه عاتبه عبد الحكيم عامر لأنه تخطاه ، وقال إن الضباط لا يعترفون بزكريا[٣] .

---

(١) الصامتون يتكلمون ص ١٣
(٢) المرجع السابق ص ٤٢
(٣) مذكرات البغدادى ص ٣٦٤

وعندما ساءت علاقة عبد الناصر بعامر قدم عبد الناصر زكريا محيي الدين ليضرب به صديق صباه ، فعين زكريا رئيساً للوزارة سنة ١٩٦٥ ، ولكن زكريا لم يمكث فى منصبه إلا شهوراً قليلة ، إذ سرعان ما اختلف مع عبد الناصر ، ولو أن عبد الحكيم عامر كان وراء هذا الخلاف لأنه كان يكره زكريا ويريد أن تسند الوزارة إلى أحد رجاله ، وانتصر فى ذلك فعين صدقى سليمان رئيسا للوزارة ، وخرج زكريا من الوزارة وفى حلقه غصة ، ولكنه من النوع الكتوم لا يتكلم كثيراً(١) .

ويتكلم الكاتبان الروسيان بيليايف وبريماكوف عن زكريا محيي الدين كلاما يناسب اتجاهاتهما الشيوعية فيقولان : لم يؤيد إطلاقا الأفكار الخاصة بتطور البلاد على الطريق المعادى للرأسمالية ، وهو من مؤيدى النهج القومى المتطرف ، غربى الميول ، روَّج رجاله لشعار (مصر — النيل — الوطن) أثناء أحداث ٩ يونيو ١٩٦٧ ، كان ضد الإجراءات اللا رأسمالية ، وكان يعمل لمناصرة القطاع الخاص(٢) .

تلك كانت عيوبه فى نظر الاتجاهات الشيوعية ، ومهما يكن الرأى فى زكريا محيي الدين فلا يمكن أن نعفيه من تحمل مسئولية التعاون مع هذه الجماعة التى جلبت أكبر الخسائر للبلاد ، وأصابت الإنسان المصرى فى كرامته وعرضه وماله ، وأغرقته فى الخوف والقلق ، ولا ندرى متى يستطيع الإنسان المصرى أن يتخلص من النكبات التى ألحقها به هؤلاء النفر .

---

(٤) البحث عن الذات ص ٢١٥

(٥) مصر فى عهد عبد الناصر ٣٤

خالد محيي الدين

من أسرة تستمتع بقسط وافر من الثراء كما ذكر عن نفسه فى كتاب «شهود ثورة يوليو» ومع هذا فله اتجاهات يسارية ، وتلك واحدة من المفارقات التى نجدها فيه ، وهى فى الوقت نفسه ظاهرة كثيرة الشيوع ، وربما جاز القول إنها كثيرة الغموض ، فبعض أثرياء اليهود أو بعض كبار البورجوازيين يتجهون أحيانا إلى اليسار أو قل يتظاهرون بذلك لأسباب متعددة ليس هنا مجال ذكرها .

ونسير مع مفارقات خالد محيي الدين لنرى ما يلى :

تربى سيادته تربية روحية ، فقد كان جده شيخا من مشايخ الطرق الصوفية ، ونشأ فى تكية النقشبندية ، وقوى عنده الجانب الروحى ، وانضم للاخوان المسلمين ، وكان ضمن الجهاز السرى بهذه الجماعة[1] . ومع هذه التربية الدينية والاتجاهات الروحية ينتهى به المطاف ليكون يساريا ، وليكون سكرتير المجلس المصرى للسلام ، وعضو رياسة مجلس السلام الدولى ، ومن المعروف أن هذا السلام هو السلام الشيوعى ، وهى كلمة اصطلاحية ، ليست خاضعة للمدلول اللغوى للكلمة ، وليت خالد محيي الدين يعود أدراجه للاتجاه الروحى ، ويقرأ من جديد عن الإسلام وحضارته ففى ذلك نفع له ولنا كبير ، وبعدٌ عن الإلحاد الذى هو الطابع الحقيقى للشيوعية .

وتنبعث هذه الأمنية فى نفسى لأنى أحس أن يسارية خالد محيي الدين بوجه خاص لم تبعد به عن الإسلام ورحابته ، ولكن الإسلام يحتاج لجهود خالد محيي الدين كلها ، ولا يقبل الإسلام أى انحراف فى رجل له هذا الماضى ، وله وطنية لا يمكن تجاهلها .

---

(١) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ١٤٥

ومن المفارقات فى خالد محيى الدين أنه كما يقول عنه محمد نجيب[1] كان دائماً من أنصار الحرية والديمقراطية ومع هذا فإن له ارتباطاً بالقوى الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى ، وهى قوى البطش والطغيان الذى لا يعرف الحرية ولا الديمقراطية ، ولا يغيب عن ذهنه موقف هؤلاء من تشيكوسلوفاكيا والمجر ، فالحرية عندهم هى حريتهم فى القضاء على معارضيهم ، وعلى الذين يفكرون بغير تفكيرهم .

ومن المفارقات فى خالد محيى الدين التى تدعو للحيرة أنه ناصرى مع أنه لاقى صور العنف من عبد الناصر ، وعبد الناصر هو الذى عمل على إبعاده عن مجلس قيادة الثورة وعن مصر .

ومن المفارقات فى حياة خالد محيى الدين أنه جاءت عليه فترة ابتدأت من ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٤ كان مرشحاً لرياسة الوزارة ، وقد صدر بذلك قرار من مجلس قيادة الثورة فى ذلك التاريخ ، ومع هذا لم يتحقق له ذلك، بل كان الشخص الوحيد بين أعضاء مجلس القيادة الذى لم يشغل منصب الوزير .

وعلى كل حال فإن نشاطه فى سلاح الفرسان ، ومكانته فى هذا السلاح الذى كان على وشك أن ينجح فى فرض الديمقراطية وإعادة قادة الثورة إلى مكانتهم فى الجيش . . . . . كل هذه الأشياء كانت من الأسباب التى وسعت الهوة بين خالد محيى الدين وبين باقى الأعضاء الذين طابت لهم حياة السلطة : فكتب استقالته من مجلس قيادة الثورة عقب أزمة مارس والقضاء على الأمل فى الديمقراطية ، وخلاصة هذه الاستقالة أنه ذكر أن موقفه من الديمقراطية والحياة النيابية اتضح للرأى العام فى الفترة الأخيرة بسبب تصريحاته على صفحات الجرائد ، وأنه بعد إلغاء القرارات الديمقراطية سيصبح الأمر

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ١١٧

محرجاً له لو بقى واستمر عضواً بالمجلس (يقصد أن المجلس اتجه بقرارته للديكتاتورية) ولذلك فهو يقدم استقالته من المجلس(١) .

وألزمه جمال عبد الناصر عقب ذلك بالسفر للخارج ، وقال له : أنت تسافر للخارج فى بعثة مجلس الإنتاج ثم نعيّنك سفيراً . ويقول خالد محيي الدين : تعطل تعييني سفيراً بسبب المحاولة الانقلابية التى قادها أحمد المصرى فى سلاح الفرسان ، وطلبوا منى البقاء بالخارج فى غير فرنسا وإيطاليا ، واتجه مجلس قيادة الثورة إلى تثبيت مركزه بأى ثمن ، إذ اتصل جمال عبد الناصر وأعضاء المجلس بالمسئولين فى السفارتين الإنجليزية والأمريكية وأبلغوهم الموافقة على اتفاقية الجلاء ، وإدخال الهجوم على تركيا أيضاً مبرراً لعودة القوات البريطانية إلى القاعدة ، وحدثت اتصالات سرية مع بعض المسئولين فى إسرائيل قام بها عبد الرحمن صادق المستشار الصحفى ومؤداها تطمين إسرائيل بأنه عند جلاء الإنجليز يمكن حل المشكلة(٢) ، وسنروى هذه الأشياء عند كلامنا عن التسهيلات التى قدمها الجانب المصرى للوصول إلى اتفاقية الجلاء .

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ١٧٤

(٢) كلمات خالد محي الدين فى شهود ثورة يوليو ص ١٥٧ ، ١٦٠ .

صلاح سالم

كان الشارع بالقاهرة يتحدث فى مطلع الثورة عن صاحبى المنظار والمنخار (الأنف) يقصدون بذلك صلاح سالم وجمال عبد الناصر ، فقد كان الأول لسان الثورة ، وكان الثانى داهيتها .

وهناك نقطتان مهمتان ارتبط بهما اسم صلاح سالم ، وفشل فيهما أعظم فشـــل ، ودل على ضحالة فى الفكر وسطحية فى تناول الأشياء ، وهاتان القضيتان هما :

١ ـ مسألة السودان .

٢ ـ الصراع ضد محمد نجيب .

مسألة السودان :

وقد عُهد إلى صلاح سالم ، الشاب قليل التجربة ، الذى كانت سنه حوالى ثلاثين عاماً بأخطر قضية كانت تتحطم عليها المفاوضات بين مصر وانجلترا ، وهى قضية السودان ، وقد أعلن المفكرون آنذاك أن السودان ستنخلع عن مصر إذا تولتْها هذه اليد الضعيفة ، وذكر بعض المعلقين أن جمال عبد الناصر أراد أن يقضى على صلاح سالم ، فوكل له هذه المشكلة ، وجعل السودان ضحية موقتاً أنه سيضيع ، ولكنه سيزيل صلاح سالم من الأضواء .

وكانت سياسة صلاح سالم فى السودان ترتكز على دعامتين جلبتا نتائج على عكس ما توقع ، الدعامة الأولى : نثر الذهب هنا وهناك ، وسرعان ما انفض عن الارتباط بمصر أقوى الناس صلة بها ، إذ أصبح مفهوماً أن مَنْ ينادى بالارتباط بمصر هو المرتشى الذى دفعه ذهب صلاح سالم إلى هذا التصرف ، وفى الوقت نفسه أصبح شائعاً أن الارتباط بمصر

يشترى بالمال ، وليس وضعاً طبيعياً ، وهكذا فقدنا المال وفقدنا السودان .

الدعامة الثانية التى اصطنعها صلاح سالم بالسودان هى الرقص ، فقد رقص مع قبائل الدنكا بالجنوب وهو عارٍ ، وسمى لذلك « الصاغ الراقص »(١) .

ولعل الرقص أرضى بعض قبائل الدنكا ، ولكن الكثيرين فى السودان ومصر سخروا من هذه الوسيلة ، لأن زعماء السودان يسافرون للجنوب بوقار وجلال ، ولايمارسون الرقص مع الراقصين ، وقد اعترف صلاح سالم بأنه أصبح « كرتاً محروقاً »(٢) .

ويتحدث الأستاذ صلاح الشاهد عن رحلة الصاغ المشئومة إلى السودان ونتائجها فيقول : فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٥ استقال صلاح سالم ، وقُبلت استقالته ، وترجع ظروف هذه الاستقالة إلى سياسة الصـاغ فى السودان ، فقد قام برحلة إلى جنوب السودان ، ولما عاد عرض نتيجة السياسة التى انتهجها هناك ، وكان جمال عبد الناصر قد عرف شيئاً عن تصرفات الصاغ وغضب منها لأنها أغضبت السودانيين ، وأدت إلى الفرقة بين صفوف المؤيدين للوحدة مع مصر ، بل كانت هذه السياسة من شأنها إلغاء الاتفاقيات التى أبرمت بشأن السودان من قبل .

وقد تخللت هذه الرحلة بعض الحوادث المثيرة وسُجلت أحداثها فى فيلم سينمائى ظهر فيه الوزير المصرى عارياً كيوم ولدته أمه فى غابات جنوب السودان (نيمولى) .

وناقشه عبد الناصر بشدة فى تصرفاته هناك ، فأجاب صلاح سالم بأنه كان يعمل مافى وسعه لإرضاء السودانيين تارة بالتنازل عن ممتلكات مصر ، وتارة بتوزيع الملايين من الجنيهات على بعض رجال الأحزاب وزعماء القبائل

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ٣٨

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٢٨٦ .

لكى « يملأ عيونهم » وتارة بالرقص معهم على نحو ما يفعلون .

ولكن عبد الناصر انتقد بعض هذه الأساليب ، وشعر صلاح سالم بعدم الثقة به فقال : إننى أعتبر نفسى مستقيلا ، ورد عبد الناصر فى التو واللحظة قائلا : لقد قبلت استقالتك . وفى الحق لم تكن هناك استقالة وإنما إعفاء وإقالة(١) .

وإذا جاز لنا أن نعلق بكلمة قصيرة على هذه الاستقالة أو الإقالة فإننا نكرر ما سبق أن ذكرناه ، وهو أن صلاح سالم كان قد أدى دوره فى التصدى بخشونة لمحمد نجيب ، فلما انتهى محمد نجيب جاء دور صلاح سالم ، وكان هذا الوقت أنسب الأوقات للتخلص من الصاغ الراقص لأن أخاه جمال سالم كان آنذاك فى زيارة لإندونيسيا ، وبهذا كان صلاح سالم يقف وحده فى مجلس القياده لغيبة أخيه ولأنه مكروه من الجميع .

بقى أن نقول إن صلاح سالم توفى بعد ذلك وأهدى جمال عبد الناصر إلى اسمه قلادة النيل ، وسمى باسمه أهم طريق بالقاهرة هو طريق صلاح سالم . وهذا يذكرنا بقول الشاعر :

ولا إخالك بعد الموت تندبنى ... وفى حياتى مازودتنى زاداً

الصراع ضد محمد نجيب :

تلك هى القضية الثانية التى ارتبطت بصلاح سالم ، وقد ذكرنا من قبل أن صلاح سالم وأخاه جمال كانا شديدى القسوة على محمد نجيب ، وأن عبد الناصر قدمهما لبخوض بهما معركته ضد نجيب ، فلما انتصر عبد الناصر بهما فى صراعه ضد نجيب التفت بسرعة بعد شهور قليلة ليقضى على صلاح سالم ، واتخذ لذلك عدة طرق ، فقد اجتذب عبد الناصر محمد أبونار مدير مكتب

(١) ذكرياتى فى عهدين ص ٣٠٦ — ٣٠٧

صلاح سالم، واصطحب جمال عبد الناصر إلى باندونج صلاح سالم، ويصف عبد اللطيف البغدادى عودتهما بقوله : شعرنا من أول لحظة أن صلاح غير مرتاح لما جرى فى أثناء الرحلة، واشتكى صلاح أن جمال لم يشركه معه هناك ، لا فى اللجان ولا فى المؤتمر ، وأنه لم يطلعه على المذكرات وعلى الخطط ...(١)

وقدم صلاح سالم استقالته ، وقبلت الاستقالة . وقد أسند له عقب ذلك منصب صحفى ، ولكنه أصبح لا حول له ولا قوة ، لذلك تلقى فى ٦ يناير سنة ١٩٥٧ خطاباً من جمال عبد الناصر ذكر له فيه أن عدم إمكانية التعاون معه تستلزم إبعاده عن رياسة الجريدة التى يتولاها(٢) .

بقى فى التعريف بصلاح سالم أن نذكر بعض صفاته من كلامه أو من كلام رفاقه ، وأول هذه الصفات ، ولعلها من أبرز صفاته ، ما يذكره عنه أنور السادات من أنه كان معروفاً بحب الظهور والتهجم(٣) .

وصفة التهجم كانت بارزة فيه ، فهو مرة يشتم الشعب المصرى ويصوره بأنه شعب جحود ينكر كل جميل ، ومره يصف مصر بأنها (مفعوصة) ومرة يطلب إعفاء الوزراء العسكريين من مناصبهم لعدم قدرتهم على تحمل مسئولياتهم ، ويواجه مجلس قيادة الثورة مرة ، ويتهم أعضاءه بالخيانة ، ويقول إنه تجب محاكمتهم ، ويتجه إلى التهكم على بعض الأعضاء ويهددهم بقوله : (تنازلوا عن السلطة وجيبوا هيئة تأسيسية لتحكم البلد) ، وفى مقابل ذلك وصفه جمال عبد الناصر مرة بالخيانة ، وقال إنه يجب أن يحاسب على ذلك(٤).

ويذكر أحمد أنور أنه فى حركة مارس سنة ١٩٥٤ حضر له صلاح

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٢٨٦.
(٢) المرجع السابق ٣٦٦
(٣) البحث عن الذات ١٦٢
(٤) هذه الشتائم مأخوذة من مذكرات عبد اللطيف البغدادى فى الصفحات الآتية بالتتالى ١٣٨ — ١٩٦ — ١٣٩ — ٢٩١ — ١٩٣ — ٢٩٨

سالم فى مكتبه بالبوليس الحربى وقال له : اعتبرنى معتقلاً هنا إذا لم يخرج محمد نجيب من الحكم . وهوكلام لايصدر عن عاقل حكيم .

وقد كان صلاح سالم شديد الأمل فى وحدة مصر بالسودان وكان يقرر أنه لو فشل هذا الهدف ، فإن مصيره سيكون (راعى غنم) ، ولكنه بعد أن فشل لم يَصْدقُ فى وعده ، وليته فعل .

بقيت كلمة ترتبط بصلاح سالم يذكرها محمد نجيب هى أنه كان له أخ طبع بطاقة عليها اسمه وتحت الاسم العبارة التالية (شقيق جمال سالم وصلاح سالم) وكان هذا يستخدم تلك البطاقة فى الوساطة وتسهيل الأمور[1].

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ١٢٠

جمال سالم

إن الباحث يجد دون عناء صفات مشتركة بين جمال سالم وأخيه ، وهو وضع طبيعي أن يتشابه الأخوان ، على أنه يحدث العكس أحياناً ، أى يوجد أخوان يختلفان فى أكثر الصفات أو فى كلها ، وأنا أقرر هـــذه الحقيقة بمناسبة حديثنا عن صلاح سالم وأخيه جمال ، فإن لهما أخاً أعرفه يسكن معنا ضاحية المعادى هو محيى الدين سالم وهو بحق إنسان أقرب إلى الكمال ، نجد به أسمى الصفات ، وأروع الخصال ، وتبرز فيه عفة اليد وعفة اللسان ، وتتضح به موهبة الكفاءة والإخلاص ، والحب ، وكل ما يخطر بالبال من خلال طيبة ؛ فسبحان الله العظيم الذى يقول « يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل »(١) .

ولنعد إلى جمال سالم لنرى ماذا يقول عنه رفاقه :

يقول أنور السادات : كان جمال سالم رحمه الله حاد المزاج عصبياً إلى حد غير طبيعى ، غير متزن فى جميع نواحى شخصيته ، فلما وجد الناس منصرفة عنه لسوء معاملته بدأ يثير المعارك هنا وهناك وفى كل مجال(٢) .

وكان جمال سالم لا يهاب الدم ويهدد بالقتل ويحث عليه ، وقد اندفع مرة متأثراً بجمال عبد الناصر ضد نجيب ، فأعلن جمال سالم أنه سيقوم بقتل محمد نجيب وتخليص المجلس منه ، وعلى المجلس أن يقوم بمحاكمته على فعلته . وعندما اعترض ضباط المدفعية على تصرفات مجلس الثورة فى يناير سنة ١٩٥٣ اقترح جمال سالم أن يحاكموا محاكمة صورية ويتم إعدامهم فوراً(٣) .

---

(١) سورة الرعد الآية الرابعة

(٢) البحث عن الذات ص ١٨٠

(٣) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٩٤

وإذا كان هؤلاء قد نجوا لسبب أو لآخر من القتل ، فإن جمال سالم استطاع فى موقف آخر أن يحكم بالإعدام وأن ينفذ حكمه ، فقد كان رئيساً لمحكمة الشعب التى أصدرت حكمها فى ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ بعقوبة الإعدام شنقاً حتى الموت على كل من المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين المستشار حسن الهضيبى ، ومحمود عبد اللطيف ، وعبد القادر عودة ، ويوسف طلعت ، وإبراهيم الطيب ، وهنداوى دوير ، ومحمد فرغلى ، ولم ينج من هؤلاء إلا الأول الذى خففت عقوبته إلى الأشغال الشاقة المؤبدة ، أما الستة الآخرون فقد نفذ فيهم حكم الإعدام .

ولم تتسع الظروف لإراقة الدماء التى كان يهوى جمال سالم أن تراق ، ولذلك اتجه بوعيده اتجاهاً أخف من إراقة الدماء ، وإن كانت خطورته بالغة الحدة ، فقد اقترح عزل كل ضابط فى الجيش غير موال للمجلس ولو اقتضى الحال ألا يبقى من الموالين إلا ٣٠٠ ضابط فقط ، أما فيما يتعلق بالشعب وموقفه من الثورة ، فقد اقترح عزل جميع الذين لا يتعاونون مع الثورة ، مهما بلغ عددهم ، ووضعهم فى الواحات(١) .

ومن شذوذ جمال سالم ما يرويه الأستاذ صلاح الشاهد ، وكان هذا كبيراً للأمناء بالقصر ، ونقل بحكم عمله إلى جمال عبد الناصر تصريحات لجمال سالم ضد الديمقراطية كان هذا قد أعلنها للصحفيين ، وكانت الصحافة على وشك أن تنشر هذه التصريحات ، فطلب منه جمال عبد الناصر أن يبلغ جمال سالم أن الرئيس عبد الناصر يريد مقابلته ، فقابله ، ثم خرج من المقابلة ، وهنا ننقل كلمات صلاح الشاهد « خرج هائجاً ، ودخل حجرتى ، وأمسك بخناقى ، وحاول الاعتداء علىّ ، لولا دخول الرئيس عبد الناصر بنفسه

---

(١) مذكرات البغدادى ص ١٨٢

فقض المعـــركة ، ونهر نائب الرئيس ، وطلب منى أن أذهب لمنزلى للاستراحة هذا اليوم »[١] .

ومتابعة تاريخ جمال سالم تبرز أن جمال عبد الناصر حرص على أن يضمه إليه فى معاداة محمد نجيب ، وكان جمال عبد الناصر فى ذلك ذكياً ، لأن جمال سالم كانت به صفات الانفعالية والثورة والعنف ، وهى صفات كان يحتاجها جمال عبد الناصر فى هذا الموقف ، وقد سبق أن أشرنا لها ، ونذكر منها هنا أنه اقترح أن يفوض المجلس جمال عبد الناصر السلطة فى اتخاذ القرارات الضرورية دون الاجتماع فى هيئة مجلس ، وذلك تجنباً للاجتماع بمحمد نجيب[٢] . وفى إحدى المرات حضر إلى مجلس الثورة اسماعيل فريد ياور محمد نجيب وقال : سيادة اللواء فوق فى انتظاركم ، فثار عليه جمال سالم ، وشتمه هو واللواء ، فخرج مهرولاً[٣] . ويقول البغدادى إن انضمام جمال سالم إلى جمال عبد الناصر أخل بتوازن القوى الذى كان موجوداً بالمجلس ، بل وضع نهاية لهذا التوازن ، وكنا ندهش لموقف جمال سالم وانحيازه لجمال عبد الناصر[٤] .

وجاءت نهاية محمد نجيب ، واتجه جمال عبد الناصر إلى رفيق الأمس الذى خدع فيه ، ويورد لنا عبد اللطيف البغدادى صور الإعراض والتجاهل والهجوم التى قام بها جمال عبد الناصر ضد جمال سالم ، ليقضى عليه بعد أن استعان به فى القضاء على نجيب ، يقول عبد اللطيف البغدادى : كان جمال عبد الناصر قد سافر يوم السبت ٩ إبريل سنة ١٩٥٥ إلى الهند فى طريقه إلى مؤتمر باندونج وكان جمال سالم ينوب عنه فى رئاسة الوزارة ،

---

(١) ذكرياتى فى عهدين ص ٢٨٩
(٢) مذكرات البغدادى ص ٨٧
(٣) سامى جوهر : الصامتون يتكلمون ص ١٧
(٤) مذكرات البغدادى ص ٩٤

وتحدث إلى ذاكراً أن مسئوليته كنائب لرئيس الوزراء غير محددة ، وأن جمال عبد الناصر لم يطلعه على اتجاهنا فى بعض المسائل الخارجية الهامة ، حتى تصبح الصورة واضحة له رغم أنه قد طالبه بذلك عدة مرات قبل سفره ، ولكن دون فائدة .

ولما عاد جمال عبد الناصر شكا منه صلاح سالم الذى كان يرافقه فى هذه الرحلة كما قلنا من قبل ، لأن جمال عبد الناصر أهمله خلالها ولم يطلعه على شيء من أمورها وكان ذلك سبباً فى أن نهاية صلاح سالم وجمال سالم من المجلس أصبحت وشيكة ، وحدث اجتماع عقب ذلك لهذا المجلس تكلم فيه جمال عبد الناصر عن علاقة أعضاء المجلس بعضهم ببعض ذاكراً أن روح الجماعة أصبحت غير متوافرة بينهم ، واعتقد جمال سالم أن الحديث موجه إليه : وعمل جمال عبد الناصر على أن يحد من اختصاصات جمال سالم ويكثر من مضايقته ، وبخاصة بعد أن استقال صلاح سالم عندما كان أخوه جمال فى زيارة لإندونيسيا ، فلما عاد هذا من إندونيسيا وجد نفسه غريباً ، وقد سحب كل شيء من تحته(١) .

ويرتبط برحلة جمال سالم إلى إندونيسيا حدث رأيته بنفسى ، فقد كنت باندونيسيا آنذاك ، وكنت بحكم عملى قريباً من هذه البعثة الرسمية التى كان يرأسها جمال سالم ، وكان ضمن أعضائها الضابط وحيد رمضان ، وسرعان ماحدث خلاف بين جمال سالم والضابط وحيد رمضان ، وأحس جمال سالم أن وحيد رمضان يتخطى حدوده أو يعمل جاسوساً عليه كما قال ، فطلب استبعاده من البعثة ؛ ولكن هذا أعلن أن عضويته ثابتة بقرار رئيس الدولة ، ويتحتم أن يمارس حقوقه كعضو فى البعثة ، وكانت ورطة وقفنا معشر المسئولين المصريين حيارى إزاءها ، واضطرت السفارة أن تتصل بالقاهرة فى هذا الشأن ، وجاء الرد بأن يبقى

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى فى الصفحات ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

وحيد رمضان عضواً فى البعثة ، ولا يصحب جمال سالم فى تنقلاته ، فخابت بذلك آمال جمال سالم الذى كان يطمع فى أن يسحب هذا من إندونيسيا .

ونتيجه لكل ذلك كان جمال سالم يعلن أسفه لما حدث منه من تأييد مطلق لجمال عبد الناصر ، ذلك التأييد الذى أخلّ بالتوازن فى المجلس ، ثم كان هو من ضحاياه . وهو يقول فى ذلك كنت أثق ثقة عمياء فى جمال عبد الناصر ، ولم أكن أظن أنه رسم لنفسه خطة تجميع كل السلطات بين يديه(١) .

نهايتــه :

يروى لنا محمد نجيب صورة من الأيام الأخيرة لجمال سالم ويقول : اختطف القدر صلاح سالم فمات دون أن أراه ، فذهبت لتعزية شقيقه جمال سالم الذى كان قد ترك السلطة ؛ وفوجىء جمال سالم بحضورى ، فقال مندهشاً : هل أنت الرئيس محمد نجيب ؟ هل تعزى فى صلاح ؟ وتعزينى ؟ بعد كل الإساءات التى ألحقناها بك ؟

فأجبت : الواجب أولا يا جمال .

ومرض جمال سالم بعد ذلك ، فذهبت لزيارته ، وهو على فراش الموت ، فأجهش بالبكاء وقال : سامحنى يانجيب ، فقد دفعنا الشيطان الرجيم ضدك .

ومات جمال سالم بعد ذلك بأيام ، ويقول محمد نجيب : لم أملك إلا السماح ولكن هل يسامح التاريخ (٢) .

وأغلب الظن أن التاريخ لا يسامح ، والله سبحانه يقول « يوم تجزى كل نفس بما عملت » ويقول « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

(١) المرجع السابق ٢٢٧

(٢) كلمتى للتاريخ ص ١٥٦

عبد اللطيف البغدادى

كتب عبد اللطيف البغدادى مذكراته ونشرها ، وهى ذات فائدة كبيرة للباحثين ، إذ كشفت القناع عن كثير من أسرار هذه الجماعة التى حكمت مصر وهوت بها إلى القاع فى ميدان الحرب والاقتصاد ، ولولا تاريخ مصر الراسخ وانتصارات أكتوبر المجيده لكان حال مصر أسوء حال .

وقد أثبت البغدادى عيوب رفاقه ومؤامراتهم ، ولم ينس أن يظهر نفسه مكافحاً بطلا لا عيب فيه ، ولكن القارىء يدرك بسهولة حرصة على السلطة ورغبته فى التمسك بأى قدر ممكن من النفوذ ، فلقد كان عضواً فى مجلس القيادة على قدم المساواة مع الآخرين ، ولكن جمال عبد الناصر سحب البساط من تحتهم جميعاً ، ولقد حاول البغدادى أن يدافع عن مكانته ، ولكنه عجز ، فقد جاءت محاولته بعد فوات الأوان . واستسلم البغدادى ليبقى له قدر من السلطة على أية حال ؛ وعندما اشتدت الأمور بالبغدادى وطعنه عبد الناصر بأنه انفصالى ، وأسند له عدة صفات معيبة ، كتب البغدادى استقالته ، ولكنها استقالة من يتمسك بالسلطة ، فقد قدمها فى مجلس القيادة لتقرأ فى حضوره ، وهو يسميها كتاب استقالة ، ولكن من يقرأ هذا الكتاب المؤرخ فى ١٤/٤/١٩٥٤ يحسب أنه يستجدى العطف والرضا ولا يستقيل[1] ولم يمنحه عبد الناصر هذا الرضا بل ترك الجلسة صارخاً « هو إحنا جايين هنا علشان تلقحوا علينا بالكلام » ولم يجد البغدادى بدأ من أن يتطامن ويحنى الرأس ليظل له جانب من النفوذ عشر سنوات أخرى إلى أنه استقال حقيقة فى مارس سنة ١٩٦٤ [2] وسنعود لهذه

---

(١) اقرأ هذا فى مذكرات البغدادى ص ١٨٤ – ١٧٦

(٢) سامى جوهر : الصامتون يتكلمون ص ٥٦

الاستقالة بعد حين ، فلنواصل الآن تفصيل ما أجملناه ، متخذين من مذكرات البغدادى مرجعنا .

والذى يبدو للباحث أن البغدادى لم يساعد عبد الناصر فى صراعه ضد نجيب ، فلما تخلص عبد الناصر من نجيب ، ثم عاد فتخلص من صلاح سالم وجمال سالم ، اتجه إلى البغدادى الذى لم يمد يد العون إليه فى حلبة هذا الصراع . والذى يقرأ مذكرات البغدادى يجد سلسلة من المؤامرات والحقد والمتاعب يقيمها عبد الناصر ضد البغدادى ، ونحن نقتبس بعض ذلك ، واعتقادنا أن كلام البغدادى صحيح لأن مثل هذا السلوك شاع وذاع عن عبد الناصر ، وفيما يلى هذه اللقطات :

— فى سنة ١٩٥٥ كان جمال عبد الناصر يذكر أن هناك اتفاقاً بين البغدادى وجمال سالم ، وأن جمال سالم طيب ، ومستخدَم فى هذه العملية ، ويقرر أنه سبق أن دخل معارك عدة ، فلتكن هناك معركة أخرى ضد محور جمال سالم والبغدادى ، ورفض جمال عبد الناصر تعيين جمال سالم رئيساً لمجلس الإنتاج ، والبغدادى رئيساً لمجلس الخدمات قائلا : سيكون هناك بذلك ثلاثة رؤساء وزارات(١) .

— أبعد البغدادى عن وزارة الحربية لإبعاده عن الجيش ، وأسندت إليه وزارة الشئون البلدية والقروية على أمل أن يفشل فيها لما يشاع عن فساد جهازها(٢) .

— كان جمال عبد الناصر يتمنى الفشل للبغدادى ويضيق بما يحققه من نجاح ، وقد اعتبر عبد الناصر نجاح البغدادى فى وزارة الشئون البلدية والقروية محاولة للحصول على شعبية له ، ليفرض وجوده على المجلس . ومن هنا

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٢٣٧

(٢) المرجع السابق ص ١٨٨

أثار عليه حملة تشكيك ، ويقول البغدادى إن اختياره لهذه الوزارة كان للرغبة فى إظهار فشله فلما نجح اشتد الحنق عليه(١) . وكثرت حوله الشائعات ، وكان وجيه أباظة يتطوع بتوصيلها إليه .

ـ عقب عودة جمال عبد الناصر من باندونج قال صلاح سالم للبغدادى إن جمال عبد الناصر غاضب عليك بسبب التحقيق الذى جرى مع عمه (وقد ذكرنا ذلك من قبل عند الحديث عن حساسية عبد الناصر تجاه أسرته) وأن عبد الناصر يأخذ عليك عدم زيارتك له ، وعدم عرضك مشروعات وزارتك عليه ، وأن ما يذكر فى الصحف عن العصا السحرية التى يستعملها البغدادى لا ينسب إلى عبد الناصر ، وحذر صلاح سالم البغدادى من شائعات ستطلق ضده لتكون مبرراً للتخلص منه(٢) .

ـ عقب الاعتداء الثلاثى قال جمال عبد الناصر للبغدادى ، إن ما حدث بيننا من سوء تفاهم فيما مضى كان السبب فيه صديقك جمال سالم ، فقد لحق إلى مكتبى عقب أن تركتكم على إثر قراءتى كتاب استقالتك ، وفى مكتبى أعطانى عنك صورة منفرة . ويقول البغدادى : وقد فاتحتُ جمال سالم فى ذلك فى صيف ١٩٥٨ عقب تقديمى استقالة أخرى ، فقام جمال سالم وصلى ثم أخرج مصحفاً شريفاً وأقسم عليه أن ذلك لم يحدث منه(٣) .

وتعليقنا على ذلك هو : أيهما الكاذب ؟ .

وتطامن البغدادى كما قلنا من قبل ، ووجد ألا مناص من إرضاء جمال عبد الناصر ، فوقف بجواره حانياً إبان الاعتداء الثلاثى ، ولعله كان من القلة الذين وقفوا هذا الموقف من الذى ضيع البلاد وقتل العباد ، ولكن البغدادى

---

(١) مذكرات البغدادى ص ١٨٩ ، ٢٣٨ - ٢٣٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٧

(٣) المرجع السابق ٣٥٨ - ٣٥٩

— على كل حال — نال جزاء هذه الوقفة الحانية من جمال عبد الناصر إذ قال له آنذاك : أنا لم أكن أعرفك جيداً من قبل ، ولم أعرفك على حقيقتك إلا من يوم ٢٩ أكتوبر الماضى . وكان هذا الحديث يجرى يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، ومنذ ذلك التاريخ قنع البغدادى بأن يعمل فى ظل الحاكم المستبد ، حتى قدم استقالته الأخيرة فى ١٦ مارس سنة ١٩٦٤ ، وكان آنذاك لا يشغل منصبا ذا بال .

التنكيل بالبغدادى بسبب الاستقالة :

يقول سامى جوهر إن عبد الناصر انتقم من البغدادى لتجرؤه على الاستقالة ، فبدأ يتخذ خطوات للتنكيل بأفراد أسرته ، فنى يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٦٤ أصدر أمره بفرض الحراسة على سعد البغدادى شقيق عبد اللطيف البغدادى ، ولكن كيف تُفترض الحراسة فى ٢٤ مارس مع أنه قد صدر قرار فى ٢١ مارس بعدم فرض حراسة جديدة ؟ :

إن عبد الناصر لم يعدم وسيلة لذلك ، فقد أصدر قراراً آخر بفرض الحراسة على سعد البغدادى ، وجعل تاريخه ١٣ مارس ، ولا يزال فى ملفات الحراسة قراران مختلفا التاريخ حول سعد البغدادى . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل انتهز عبد الناصر فرصة عودة المهندس محمد نصير زوج ابنة البغدادى فى إجازة مع زوجته من لندن حيث كان يعد رسالة للدكتوراة ، فصدر قرار بمنعهما من مغادرة البلاد رغم أن الاثنين كانا قد تركا خادمتهما المصرية لدى محسن عبد الخالق المستشار التجارى لسفارة مصر بلندن ، واتخذت إجراءات لحصار البغدادى والتقليل من زواره ، ومُنِعَ من السفر إلى الحجاز هو ووالداه لأداء فريضة الحج ، وكان قد تقدم بطلب بهذا فى مطلع عام ١٩٦٥ .

وفى مارس سنة ١٩٦٥ كان الاستفتاء على الدستور وعلى رئيس

الجمهورية ، ويقول سامى جوهر إن عبد الناصر أرسل عيونه إلى لجان الانتخابات المقيد بها زملاؤه القدامى ليعرف موقفهم من الاستفتاء .

وقد قلنا من قبل إن البغدادى كان أميل إلى التطامن والانحناء أمام العواصف ، ولذلك ذهب إلى صندوق الانتخاب ووافق على الدستور وعلى اختيار جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية متجاهلاً كل ما عمله فيه وفى البلاد والشعب . ونال البغدادى ثمن هذه الانحناءة ، فقد أصدر جمال عبد الناصر قراراً فى اليوم التالى للانتخاب برفع الحراسة عن سعد البغدادى وأعاد له كافة ممتلكاته وجاء فى القرار العبارة التالية (كأن شيئاً لم يحدث)[1].

وهذا مثال آخر للقيم التى كان عبد الناصر يدير بها البلاد .

* * *

وقنع عبد اللطيف البغدادى منذ استقالته بالحياة فى قصره الشاهق بمدينة نصر بعد أن اكتوى بنار طالما رآها تحرق الآخرين دون أن يعرف أنها ستمتد يوماً إليه .

---

(١) الصامتون يتكلمون ص ٥٧ — ٥٩

كمال الدين حسين

نحن الآن مع رجل كان فى يوم من الأيام نجماً لامعاً ، تجمعت فى يده عدة مناصب يقولون إنها تجاوزت العشرة ، وكان من بينها منصب نائب رئيس الجمهورية ، والمشرف على الاتحاد القومى ، والوزير المركزى للتربية والتعليم إبان الوحدة ، ورئيس المجلس الأعلى للعلوم ، ورئيس المجلس الأعلى للفنون والآداب ، ورئيس المجلس القومى للبحوث ، ونقيب المعلمين ، ورئيس المجلس الأعلى للجامعات . . . ومع هذا لم يسلم من العناء والتعذيب من عبد الناصر الذى كان لا يحتمل أن يواجهه أحد ، أو ينتقده أحد .

وكمال الدين حسين رجل عرفته من قرب ، وأتيح لى أن أجلس معه ، كما ذكرت من قبل ، وأقرر أنه كان شديد الحماسة لخدمة الدين والوطن ، متأثراً أشد التأثر بماضيه مع جماعة الإخوان المسلمين ، وكانت اتجاهات عبد الناصر فيما يسمى بالقوانين الاشتراكية سبب نفور كمال الدين حسين من الحكم ، ولكن ذلك النفور جاء متأخراً بعد أن فسد الاقتصاد وفسدت معه السياسة ، ولذلك ، فمع كل التقدير الشخصى للرجل ، لا نعفيه من المسئولية التى وصلت لها الحال وهو يتعاون مع عبد الناصر أكثر من عشر سنوات حتى شرب من الكأس التى تجرعها الكثيرون من المصريين .

وقد بدأت المضايقات ضد كمال الدين حسين مبكرة ، ولكنه احتملها حتى لا يفقد النفوذ الكبير الذى كان يستمتع به ، فإن كمال الدين حسين قد عين قائداً لجيش التحرير عقب حرب سنة ١٩٥٦ وقد تم هذا بالاتفاق مع عبد الحكيم عامر ، فلما انكشفت الغمة وخرج المعتدون بأمر أمريكا حورب كمال بواسطة اللواء عبد الفتاح فؤاد وضباط آخرين من الجيش بتعليمات من عبد الحكيم ، وطبعاً لم يحاول عبد الحكيم إيقافهم عند حدهم ، بل ذهب إلى

جمال عبد الناصر وقال له : « الضباط يقولون هل فيه قيادتان عسكريتان فى البلد ، أوأن كمال هو القائد العام المنتظر ؟ » وخضع جمال عبد الناصر لرغبة عبد الحكيم عامر ، وطلب من كمال الدين ترك جيش التحرير(١) .

وقد كتب كمال الدين حسين مذكرات نشرها سامى جوهر فى كتاب أسماه « الصامتون يتكلمون » ونقتبس منه نصاً يوضح موقف عبد الناصر من كمال الدين حسين ومن عبد اللطيف البغدادى ، وفيما يلى هذا النص :

كان جمال عبد الناصر يشعر أن الاثنين يكوّنان جبهة ضده ، وأنهما يعوقان تحركه فى تحقيق أغراضه ، وكان الاثنان موضع احترام المواطنين ، وكانت الصحف المحلية والعربية تسعى للحصول على أحاديث منهما ؛ فثار عبد الناصر لذلك ، إذ كان لا يريد أن تتحدث أجهزة الإعلام عن أحد غيره ، فأرسل خطاباً دورياً إلى جميع نوابه وإلى الوزراء يوم ٢١ أغسطس عام ١٩٥٨ جاء فيه : إننى لاحظت بكل أسف فى الأيام الأخيرة الجرى وراء الصحف والصحفيين ، وتوزيع نشرات عليهم ترمى للدعاية الشخصية وتتسابق فى نسبة الأعمال للأشخاص . .

وقد أحس كمال الدين حسين والبغدادى بأنهما المقصودان بهذا الاتهام ، وأن الخطاب أرسل فى هيئة نشرة دورية تخفيفاً للأمر ، وقد استقال البغدادى عقب ذلك ، ولكن جمال عبد الناصر لم يقبل استقالته ، وذهب كمال الدين حسين إلى عبد الناصر فى استراحة برج العرب ، وأبدى اعتراضه على هذا الخطاب ، ولكن جمال عبد الناصر تراجع ، وقبل الاثنان منه هذا التراجع وواصلا عملهما (٢) .

ولكن الصاع قد طفح ، وأحس كمال الدين حسين فى وقت متأخر

---

(١) مذكرات البغدادى ص ٣٦٤ (٢) الصامتون يتكلمون ص ٤٥ - ٤٦

للأسف بأنه لا يستطيع أن يستمر فى التعاون مع عبد الناصر ، وكان ذلك مرتبطاً بانفراد جمال عبد الناصر بالسلطة وعدم الاهتمام بمجلس الرياسة ، فتوقف كمال الدين حسين عن الذهاب إلى مكتبه بمجلس الرياسة من أغسطس ١٩٦٣ ، وقدم استقالته ولكنها لم تعلن .

وفى مارس سنة ١٩٦٤ حاول عبد الناصر أن يسترضيه ، ولكن أسس الرضا لم تكن سليمة ، فلم يتم التقاء بين وجهتى نظرهما ، وفى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٦٥ أثناء فترة اعتقالات الإخوان ومحاكماتهم ، أرسل كمال الدين حسين خطاباً إلى عبد الناصر يقول له فيه «اتق الله» ، ويذكر له بعض آيات من القرآن الكريم لتحثه على التقوى ، وتوضح أن النصح واجب من المسلم للمسلم»(١) .

ويقول كمال الدين حسين إن عبد الناصر فقد أعصابه بعد تلقى هذه الرسالة ، ونسى كل معانى الصداقة والوفاء ، ولم يدفعنى لرسالتى إلا أنى وجدت الفساد يستشرى فى البلاد ، والحريات أصبحت شعارات ، والمحاكم الاستثنائية ، والتلفيقات ، والزج بالأبرياء فى السجون ، أصبحت دستور البلاد الذى يحكم به .

وما إن أرسلت هذا الخطاب إلى جمال عبد الناصر حتى ماجت الأرض من تحتى وزلزلت حولى ، بسبب الأعمال التى قام بها عبد الناصر ضدى . ويسرد كمال الدين حسين تلك الأعمال سرداً يهز الوجدان ، ونحن نلتقط منه موجزاً لهذه التصرفات :

- فى اليوم التالى لإرسال الخطاب تلقى زوج شقيقتى أنور أبو العطا

---

(١) اقرأ هذا الخطاب ضمن ما كتبه كمال الدين حسين فى شهوده ثورة يوليو ص ٣٤٢ وما بعدها .

رئيس مجلس مدينة القناطر محادثة من حمدى عبيد وزير الحكم المحلى أبلغه فيها إحالته للمعاش فوراً ، على أن يترك مسكنه الحكومى فى الحال .

- من العجيب أن عبدالناصر استطاع أن يمزج الأفراح بالقسوة والتنكيل، ففى نفس اليوم الذى كان يستعد فيه لزفاف ابنته (١٤ أكتوبر ١٩٦٥) استدعى اللواء هلال عبد الله مدير سلاح المدفعية والعقيد حسن خليل مدير المباحث الجنائية العسكرية ، وأعطاهما أمراً باعتقالى فى الحال .

- وبينما كنت جالساً مع عدد من الضيوف يوم ١٤ أكتوبر استدعيت خارج الحجرة التى كنا نجلس فيها حيث قابلنى اللواء هلال والعقيد حسن خليل ، وتم اعتقالى ، ولم يسمح لى بالعودة لضيوفى .

- صحبتنى حرمى فى هذه الرحلة المشئومة إلى فيلا الهرم التى كانت قد تحولت إلى معتقل تحيط به الأسلاك الشائكة والتحصينات . وتقف حوله وحدات الحراسة فى خطوط متتالية ، وعندما دخلنا الفيلا ، وجدنا كل أجهزة التليفونات قد رفعت .

- عقب أن خرجنا من منزلنا للمعتقل اقتحم رجال المباحث البيت ، وفتشوا كل شىء ، وأخذوا كل ما طاب لهم ، وقبضوا على كل الضيوف وأخذوهم إلى السجن الحربى .

- فى ١٥ أكتوبر ذهب حكمدار القليوبية ومعه بعض الضباط إلى منزل أبى وهاجموه ، وكان مريضاً ، وأقاموا حول البيت خياماً وحراسة .

- مرضتْ زوجتى ونحن فى المعتقل ، وطلبنا طبيبا لفحص حالتها ، ومرَّ يوم واثنان وثلاثة ، والطبيب لم يحضر على الرغم من سوء الحالة ، ولم يجئ إلا بعد ١١ يوماً ، وقد أثرَّ عليها ذلك فماتت متأثرة بعلتها .

— سمحوا لى بأن أحضر تشييع الجنازة وأتلقى العزاء ، ولكن من العجيب أن عبد الناصر لم يستطع أن يحضر للعزاء أو أن ينيب عنه مندوباً ، بل إن بعض الزملاء من أعضاء مجلس الثورة لم يحضروا للعزاء[١] .

وهذه صورة من صور حياة عبد الناصر مع من كانوا بالأمس أقرب الناس إليه .

---

(١) الصامتون يتكلمون ص ٦٨ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ١٠١

حسين الشافعي

نحن الآن مع واحد طال عمره مع عبد الناصر ، وكان الوحيد الذى امتد وجوده بعد عبد الناصر فعاش عدة سنوات مع أنور السادات ، ويطرأ بالخاطر سؤال مهم عن سبب ذلك ، فكيف استطاع حسين الشافعى أن يبقى داخل الجهاز التنفيذى أكثر من عشرين عاماً ؟ .

والجواب سهل ، هو أنه كان يقنع بأبهة المنظر وزيراً أو نائباً لرئيس الجمهورية ، أو عضو مجلس الرياسة ، أو اللجنة المركزية . . . . وهذا أو ذاك يتيح له هيئة مكتب، وسكرتارية ، ومستشاراً صحفياً ، وما يتبع ذلك من من سيارات ومرتبات وحرس ، وكان هذا يكفيه دون تدخل فى أمر أو زج نفسه فى مشكلات ، إلا إذا طُلِبَ منه أن يرأس محكمة ؛ أو أن يكون عضواً فيها ، فإنه كان مستعداً أن ينفذ ما يراد منه ، وأن يصدر الأحكام التى تُعدّ له ، وكان — للأسف — عضواً فيما سمى « محكمة الشعب » التى حكمت فى ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٤ بعقوبة الإعدام شنقاً حتى الموت على كل من المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين المستشار حسن الهضيبى، ومحمود عبد اللطيف والعلامة عبد القادر عودة ، ويوسف طلعت ، وإبراهيم الطيب ، وهنداوى دوير ، ومحمد فرغلى ، وقد خفف الحكم على الهضيبى إلى الأشغال الشاقة المؤبدة لسنه ، ومرضه ، ونفذ الحكم فى الستة الباقين . كما كان قاضياً فى محاكم أخرى كما ذكرنا من قبل .

وكان حسين الشافعى يعانى البطالة أحياناً ؛ ويحس برغبته فى الحركة والكلام ، وكان يجد وسيلة لذلك أن يخطب الجمعة ، أو يوحى بأن يُدعى لحفل دينى ليخطب فيه ، وقد بكرت فيه هذه العادة ، فقد نشرت الأهرام(١) أنه خطب الجمعة فى الإسماعيلية ، وقال فى خطبته : إن لنا

---

(١) الأهرام فى ١٩٥٤/١٠/٩

دوراً كبيراً بعد تحرير القنال فى سائر بلاد المسلمين والعرب ، وهو كلام كما يبدو إلى اللغو أو إلى الأحلام أقرب .

واتجه مرة لتنظيم جماعة تعمل على خدمة القرآن الكريم والدراسات القرآنية ، واتخذ - للأسف - جمعيات الشبان المسلمين وسيلة لذلك ، ووقع علىّ الاختيار لأكون عضوا باللجنة التى تخطط لذلك ، واعترضتُ على ارتباط هذا النشاط بالمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، ذاكراً أن هذا المركز يعد جيل صالح حرب انغمس فى السياسة الثورية بواسطة إبراهيم الطحاوى ، وفقد نفوذه الدينى ، وذكرت أن ارتباطنا بهذا المركز سيكون بمثابة حكم الإعدام على الجماعة الناشئة ، ولم يؤخذ برأيى على كل حال ، فماتت هذه الجماعة ، ومات نشاطها ، ربما قبل أن تولد :

وفى أحد الاجتماعات ذكر حسين الشافعى أنه يرأس هذه اللجنة بصفته مسلماً وليس بصفته نائباً لرئيس الجمهورية ، ولعل بعض الحاضرين صفقوا لهذا ، ولكننى علّقت على ذلك بقولى إننى كنت أتمنى أن تكون رياسة السيد حسين الشافعى بصفته نائباً لرئيس الجمهورية فذلك يمنح القوة لهذه اللجنة ، وسيجعل من الممكن مطالبة الوزارات الخاصة بالتعليم أن تنفذ أو تبحث قرارات هذه اللجنة ، ولكن حسين الشافعى كان يدرك ما لا أدركه أنا من أن نفوذه لا يصل لهذا القوة ، فتمسك برأيه .

ولعلنا بذلك ندرك السبب الذى من أجله طال عمر حسين الشافعى وامتد فى الكرسى أكثر من عشرين عاماً ، وكان يطمع فى المزيد ، وكان حسين الشافعى مستعداً لأية تضحية من أجل الحفاظ على هذا الكرسى ولو كان خالياً من النفوذ تماماً ، ويقال إن جمال عبد الناصر هاجمه مرة فى حضرة عدد من الضيوف هجوماً قاسياً فخر مغشياً عليه ، ولما أفاق عاد إلى عمله ، ربما بعد أن اعتذر وأناب .

حسن إبراهيم

حسن إبراهيم مثل زميله حسين الشافعي في أنه كان قانعاً بالمناصب اللامعة دون نفوذ يذكر، ولكن حسن إبراهيم لم تطل مدته كما طالت مدة حسين الشافعي ، إذ لم يكن حسن إبراهيم خطيب مساجد ينفّس بذلك عن كبت داخلي كما كان يفعل حسين الشافعي .

وقد سعدت عند ما صدر كتاب « الصامتون يتكلمون » الذي أخرجه سامي جوهر ، وعلى غلافه صور البغدادي وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم ، وحسبت أنني سأجد به شيئاً يَنْطقه الصامت حسن إبراهيم ويطلعني على بعض الأسرار ، ولكني وجدت الكتاب خالياً تقريباً من أي شيء يتصل به ويثري معلوماتنا عنه .

وهناك شبه آخر بين حسن إبراهيم وحسين الشافعي ، ذلك أنه كان مستعداً أن يجلس مجلس القاضي وأن يُصدر الأحكام التي توضع له ، فقد كان عضو محكمة الثورة التي أنشئت مبكرة (١٦ سبتمبر ١٩٥٣) التي تقرر أن تظل قائمة طيلة فترة الانتقال . لتطهير البلاد من الخونة والمفسدين[1] والتي راحت توزع الرعب بين الناس . وواضح من قرارها سالف الذكر أنها تهدد من تسول له نفسه أن يعارض النظام الحاضر ، ومن هنا تقرر أن تبقى طيلة فترة الانتقال ، فهي لا تحاكم من انحرف في الماضي ، ولكن من قد ينحرف في المستقبل ، وكان معنى الانحراف معارضة الثورة .

---

(١) الأهرام في ١٨/٩/١٩٥٤

رشاد مهنا

فى عدد من مجلة الدعوة ، الصادر فى ابريل سنة ١٩٧٩ ظهر اسم رشاد مهنا كاتباً لإحدى المقالات ، وهو مظهر تكرر كثيراً إذ يلجأ الناس إلى الإسلام كلما سُدّت فى وجوههم الطرق .

وقد رأينا من قبل كيف عُيّن رشاد مهنا وزيراً مدة ساعات ، لتتحقق فيه الشروط اللازمة لمن يكون عضواً فى مجلس الوصاية على الملك ، وكيف عُيّن عضواً فى هذا المجلس ، وكيف أنه قال إننى أملك وأحكم ، وكيف أن عبد الناصر اتخذ ذلك وسيلة للتخلص منه والقبض عليه تنفيذاً لمخططه الذى كان يقضى بالتخلص من كل مَنْ هم فى رتبة أعلى منه :

وكان رشاد مهنا أقدم رتبة من يوسف صديق الذى كان مسئولاً عن منطقة العريش التى تضم الاثنين ، وقد سأل يوسفُ صديق مرة جمال عبد الناصر عمّا إذا كان ينبغى عليه أن يسلّم السلطة لرشاد مهنا لأن رشاد أعلى منه رتبة ؛ فطلب منه جمال عبد الناصر ألا يسلمه قيادة التنظيم ، وألا يطلعه على سير العمل ، ولكن على ألا يعاديه ، ومن هنا كان يوسف صديق يخفى اجتماعات أعضاء التنظيم على رشاد مهنا . (١)

وكان رشاد مهنا يتجه إلى الإصلاح فى ظل الملكية وعهد ما قبل الثورة ، دون الثورة على ذلك . (٢)

واختفى رشاد مهنا بعد ذلك ، ليظهر فى العصر الحاضر كاتباً فى مجلة الدعوة الغراء .

---

(١) كلمات يوسف صديق فى شهود ثورة يوليو ص ٤٧٥ – ٤٧٦

(٢) المرجع السابق

يوسف صديق

نحن الآن مع بطل من أبطال مصر ، يبدو من قراءة تاريخه أنه كان يعشق الحرية ، ويسعى بكل جهده لخدمة بلاده ، ومن هنا تعاون مع الثورة بنشاط جم حتى كان من أقوى أسباب نجاحها ، وعارض الثورة علانية حتى دُفع به الى السجن هو وزوجته ، وارتبط باليساريين دون أن يبعد عن الإسلام ، وإنما — كما يبدو من كلامه — لأنه كان يتوسم فى الاتحاد السوفييتى الخير فى فترة من الفترات ، ولأنه كان معجباً بصفات رآها فى المجتمع الشيوعى كما سنرى فيما بعد .

والذى نريد أن نسجله بادىء ذى بدء أن يوسف صديق هو الوحيد الذى استقال من مجلس قيادة الثورة عندما رأى انحراف هذا المجلس وبُعدَه عن الخطة التى كان الثوار قد رسموها فى منشوراتهم قبل الثورة .

ولنعد لهذا البطل لننصفه ، معتمدين على ما كتبه بيده ، ولن يجرنا الاعتماد على كتابته إلى البعد عن الحقيقة لأن ماكتبه يتفق تماماً مع ما كتبه محمد نجيب وعبد اللطيف البغدادى .

يوسف صديق والتجمعات :

يقول يوسف صديق : « إننى بدأت من مطلع شبابى أبحث عن تنظيم أرتبط به ، وأصُبُّ فيه طاقتى وأفكارى ، فاتصلت بالإخوان المسلمين ، ولكنى انشققت عليهم لجمودهم العقائدى بعد أن ظللت معهم بضعة شهور ، واتصلت عقب ذلك بالشيوعيين فى النصف الثانى من الأربعينات ، وكنت مقدراً لدور الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية ، وما أبرزه من صلابة فى المقاومة ؛ وقد رأيت فى الشيوعية أنها تغرس حب العدل فى النفوس وتعمل لتحقيق السلام على الأرض ، وإقامة المحبة والتعاون بين

الناس ، وهي لا تفرق بين الناس بسبب الأنساب والأحساب كما أنها تعمل على إلغاء استغلال الإنسان للإنسان » . (١)

ولا يمكن أن يمر هذا الكلام دون تعليق ، بل إن يوسف صديق نفسه علّق عليه بأنه لم يشعر فى تطبيق هذه المبادىء بما يتعارض مع عقيدته الدينية . . . والذى يبدو لى أن كثيرين من الناس خدعوا فى بعض المظاهر التى أعلنها الاتحاد السوفييتى عن نفسه دون أن يأخذ بها ، فانضموا إليه . وأنا أقول ذلك لأنى لا أجد أية صفة من هذه الصفات تتوفر فى هذا المعسكر الذى خضّب أرض المجر وتشيكوسلوفاكيا بالدماء الغزيرة ، وحرم أهلها من الحرية ، والذى يقتل دون وازع جماهير المسلمين فى داخل بلادهم بالاتحاد السوفييتى .

وعلى كل فقد خُدع يوسف صديق فى هذا ، كما خُدع كثيرون ممن حاولوا التوفيق بين الشيوعية والإسلام ، متناسين إلحاد الشيوعية ودكتاتوريتها وحبها للدماء والفتن.

وعلى كل حال فإن جمهوراً كبيراً من الشرقيين الذين اصطلوا بنيران الاستعمار الغربى فى القرن التاسع عشر وفى النصف الأول من القرن العشرين كانوا مستعدين إلى الانضمام الى أى معسكر ، ولو كان معسكر الشيطان ليقاوموا الاستعمار الغربى .

يوسف صديق وثورة يوليو :

فى أكتوبر سنة ١٩٥١ عرف يوسف صديق أن جمال عبد الناصر قائد الضباط الأحرار ، فتوجه لزيارته، وبدأ التعاون بينهما ، وأصبح يوسف صديق مسئولا عن منطقة العريش ، وقد أوصاه جمال عبد الناصر بالحذر من رشاد

---

(١) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ٤٧٤

مهنا دون أن يعاديه كما ذكرنا ، وانتقلت كتيبة يوسف صديق إلى القاهرة « الهاكستب » يوم ١٣ يوليو ٥٢ فى طريقها إلى السودان ، وعرف يوسف صديق أن ساعة الصفر ستكون فى الساعة الحادية عشرة مساء ٢٢ يوليو ؛ وكان موعدها الحقيقى منتصف الليل ، وعلى هذا تحرك يوسف صديق بكتيبته قبل تحرك الآخرين بساعة ، وكان هذا التعجل من أهم أسباب نجاح الحركة كما شرحنا ذلك من قبل ، ويتحدث يوسف صديق عن زحفه إلى رئاسة الجيش ، وعن الصراع الذى دار فى مقر الرياسة ، وعن اعتقاله لزعماء الجيش السابقين ، وحديثه فى ذلك مثير يدل على جرأة وثبات جأش وقدرة على تصريف الأمور والمعضلات [1] ويختم يوسف صديق هذا الوصف المثير بقوله : « وبعد أن انتهيت من احتلال القيادة جاء أحد الجنود يبلغنى أن هناك ضابطاً اسمه جمال عبد الناصر يطلب مقابلتى ، فسمحت له بالدخول ، وتوافد الضباط الآخرون على مركز القيادة للتهنئة » .

ومن هنا يتضح الدور الضخم الذى قام به يوسف صديق فى إنجاح حركة الانقلاب :

فى مجلس القيادة :

يقول يوسف صديق إنه بعد انتصار الحركة ، لم أكن أدعى لاجتماعات مجلس القيادة ، ولم يكن ذلك يهمنى لأنى لم أتحرك لهدف شخصى ، ولكن سرعان ما دعيت لأكون عضواً فى هذا المجلس بعد أن وجدتُ الاتفاق قد تم على أن يكون جمال عبد الناصر رئيساً له ، وكان جمال أحدث منى رتبة ، وأصغر عمراً ، ولكن ذلك أيضاً لم يكن ذا بال عندى لأنى كنت مهتماً بتحقيق ما نصبو إليه .

---

(١) انظر هذه التفاصيل فى المرجع السابق ص ٤٧٨ ، ٤٧٩

وفى مجلس القيادة لاحظت من الأيام الأولى بداية الانحراف ، كما لاحظت الرغبة فى الدم عندما تم إعدام خميس والبقرى ، رغم عدم الموافقة الجماعية فى المجلس على ذلك ، ولاحظت كذلك أن أعضاء المجلس نسوا وعودهم السابقة التى كانوا يذيعونها فى منشوراتهم : ولما ذكرتهم بهذا قالوا : انس المنشورات ، الظروف تغيرت . ولاحظت كذلك أن اجتماعات جانبية تعقد يتفق فيها على تفاصيل نفاجأ بها ، كما أن أعضاء المجلس وزعوا أنفسهم على الوزارات بطريقة ارتجالية ، واندفع محمد نجيب ينادينى « يوسف استالين » خالطاً الجد بالدعابة ، وبدأت تتنافر وجهات نظرى مع أعضاء القيادة حول أسلوب الحكم بسبب صدور قوانين تنظيم الأحزاب ثم حل الأحزاب ، وإلغاء الدستور ، والرقابة على الصحف ، واعتقال الضباط ... فقررت الاستقالة ، إذ لم يكن ممكناً لضميرى تحمل وزر الإجراءات المرتجلة غير الديمقراطية ، وقرر المجلس قبول استقالتى وبعثى إلى الخارج ، وأرسلوا لى زوجتى وأولادى ، وكان ذلك فى مارس سنة ١٩٥٣ ، ولما عدت فجأة إلى بلدى فى أغسطس ١٩٥٣ حددوا إقامتى حتى اعتقلت فى أبريل سنة ١٩٥٤ بعد فترة حرية نسبية خلال أزمة مارس ، وهى التى كتبت خلالها فى جريدة المصرى مطالباً بتشكيل وزارة مشتركة برياسة وحيد رأفت ، وعندما اعتقلت ، أعتقلت زوجتى فى نفس الشهر ، وعشت بين سجن الأجانب والسجن الحربى مع مجموعة من الضباط منهم عبد المنعم عبد الرءوف الذى كان عضواً فى الهيئة التنفيذية للضباط الأحرار .

وقد سئل يوسف صديق السؤال التالى : ألم يكن من الممكن الصبر والنضال من أجل أهدافك فى مجلس القيادة ؟ فأجاب : لا . لم يكن ذلك ممكناً ، لأنى لاحظت أن هناك اتجاهاً معادياً للديمقراطية يستحيل الاتفاق معه ؛ وخشيت أن يسجل التاريخ أنى كنت عضواً فى مجلس يهدد الحريات ويعتقل الأحرار(١).

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨٢ — ٤٨٣

وتوفى يوسف صديق فى ٣١ مارس سنة ١٩٧٥ ، وقد انطلق الكثيرون آنذاك يتحدثون عنه ويبرزون أفضاله وحفلت صحف الأيام الأولى من أبريل ١٩٧٥ بأحاديث طيبة عنه .

ويوسف صديق هو الشخص الوحيد بين أعضاء مجلس القيادة الذى رفض أن يتحمل الوزر فى هذا المجلس فاستقال منه ، وكان يَعْرِف أن استقالته ستجلب عليه كثيراً من الضرر ، ولكنه احتمل الضرر حتى لايثقل ضميره بمسئوليات خطيرة ضد مصر والمصريين . وفى اعتقادى أنه لو تضامن مع يوسف صديق عدد من أعضاء القيادة فى اتجاهه وعدم قبوله المشاركة فى الانحراف لكان من الممكن أن يتغير وجه التاريخ ، ولكن الكثرة الغالبة قنعت بالنعيم الذى جلبته لهم عضوية مجلس القيادة مهما كان فى ذلك من الضرر على البلاد والعباد ، أعمق الرحمات على روح هذا البطل الذى أقام الثورة بجهده ، ثم أنف أن ينعم بثمارها على حساب سواه .

عبد المنعم أمين

شخصية قصيرة العمر فى مجلس قيادة الثورة ، فقد اقترح جمال عبد الناصر ضمه للمجلس فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٥٢ بسبب ما قدمه من عون لنجاح الحركة ، وكان الاقتراح يشمل زكريا محيي الدين وحسين الشافعى ويوسف صديق مع عبد المنعم أمين .

وقد سبق أن ذكرنا أن عبد المنعم أمين كان يسكن شقة فاخرة على النيل ، ولما رآها عبد الناصر قبيل الثورة همس فى أذن كمال الدين حسين قائلا « هو عاوز ثورة ليه ؟ ما هو عنده كل حاجة » فيبدو أن الثورة عند عبد الناصر كانت للحصول على الترف والنعيم .

وفى ليلة الثورة احتل بقواته مدخل طريق السويس ، وبعد نجاح الحركة كان ضمن الضباط الذين سافروا إلى الإسكندرية ليبحثوا قضية نهاية الملك ، وقد تولى قيادة القوات التى حاصرت قصر رأس التين حتى خرج الملك .

وتولى رياسة المجلس العسكرى الذى حاكم ثوار كفر الدوار ، وكان معه فى المجلس حسن إبراهيم ، وعبد العظيم شحاتة الذى أصبح الأمين العام لجامعة القاهرة فترة طويلة من الزمن ليسيطر على الجامعة من خلال وظيفته . وحكم هذا المجلس فى أغسطس ١٩٥٢ بالإعدام على قائدين من قادة العمال هما خميس والبقرى ، وكان ذلك اتجاهاً مبكراً لسفك الدماء بواسطة حركة الانقلاب .

ومن مطلع يناير سنة ١٩٥٣ ظهرت الغيوم فى حياة عبد المنعم أمين ، وهاجمه بعنف صلاح سالم وأبعد عن المجلس ، ثم عين سفيراً لمصر فى ألمانيا الاتحادية ، وبقى هناك حتى مايو ١٩٥٦ حيث استقال وانقطعت صلته بالأعمال الحكومية(١) .

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ٢٥٢ وما بعدها ومذكرات البغدادى ص ٣٥

الأوصياء

بعد أن تحدثنا عن أعضاء مجلس قيادة الثورة، وتعرفنا على ثقافتهم ومذاهبهم، وأخلاقهم ، ينبغي أن نوضح أن الكثيرين منهم بعد أن تركوا السلطه ظلوا يحسبون أنفسهم المنقذين لهذا الوطن ، والحماة الوحيدين لأمجاده ، ولست أدرى كيف بقيت هذه الصورة الزائفة فى أذهانهم بعد ما نزل بالوطن من هوان فى عهدهم ، وقد أسماهم الرئيس السادات «الأوصياء» سخرية من اتجاههم ، وقد بدأ اتجاههم هذا فى عهد عبد الناصر ، فنى حرب ١٩٥٦ هرع إليه صلاح سالم — وكان قد استقال من مجلس الثورة — يحسب نفسه نجدة من السماء ، وسرعان ما أصبح رعديداً يشير على عبد الناصر بأن يسلم نفسه للسفير البريطانى كما سنرى فيما بعد ، وعاود هؤلاء الكرة كذلك فى عهد عبد الناصر إبان أزمة سنة ١٩٦٧ فاتصل به حسن إبراهيم وجرى بينهما الحديث الآتى :

حسن إبراهيم : ياريس عاوزين نشوفك .

عبد الناصر : طيب تعال بكره .

— : وبغدادى وكمال الدين حسين كان عايزين يشوفوك ، تحب تتصل بهما ليحضرا ؟ .

— : لا أنا مش فاضى اتصل بيهم أنت وتعالوا سوا (١) .

وذهب ركب الأوصياء إليه ، وبعد حديث قصير قام واقفاً معلناً انتهاء الزيارة ، وهو يردد لهم قوله : أنا متشكر على مشاعركم (٢) .

• • •

---

(١) الصامتون يتكلمون ص ١٢٧

(٢) المرجع السابق ص ١٢٩

وفى عهد السادات كان عدد الأوصياء قد كبر ؛ إذ أبعدهم أنور السادات جميعاً فتجمعوا فى موكب المتقاعدين ، وأرادوا العودة للنفوذ بعد التخلص من مراكز القوى ، ثم فى حرب ١٩٧٣ ولكن أنور السادات سخر منهم وأعلن أن مصر ليست فى حاجة لهؤلاء الأوصياء ، ومن هنا اتجهوا اتجاهاً آخر ، فاتحدوا فى حزمة معارضة وأعلنوا رفضهم مع الرافضين لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل .

لقد كان عهدهم عهد هوان وظلم ، وهزائم ، ولست أدرى بأى وجه يريدون العودة للنفوذ ، ولو كنتُ مكانهم لاختفيت على استحياء ، وشكرتُ أنور السادات لأنه لم يسمح بعد بنشر كل المخازى التى حفل بها هذا العهد الكريه .

إنهم فتية :

بقيت كلمة تتصل بهؤلاء الأوصياء فإنهم عند ما سلبوا السلطة وجلسوا فى مقاعد النفوذ كانوا شبانا ، أعمارهم بين ٣٠ و ٣٥ سنة ، وكانوا يفخرون بهذه الأعمار ، واتخذوا شعارهم الآية الكريمة « إنهم فتية آمنوا بربهم » فكانت هذه الآية توضع فى مكاتبهم ومنتدياتهم ، وكان رأيهم فى من يكبرهم سناً أنهم رجعيون مرتجفو الأفكار . وأريد أن أقول لهؤلاء الذين كانوا فتية أنهم أصبحوا شيوخاً ، وإن كلاً منهم الآن فى الستين من عمره أو تجاوزها فهل يرون أن يتركوا الأمر لفتية اليوم ؟ .

كلما التقيت اليوم بشباب فى رتبة النقيب أو الرائد ورأيت معلوماتهم الضحلة وتجاربهم المحدودة ، أقشعر ، إذ أتصور أن قادة الأمس كانوا فى مثل هذه الحال وحكموا مصر ، ويبرز لى أن ما حدث لمصر فى عهدهم كان طبيعياً ومتمشياً مع قدرات هؤلاء .

ضباط الثورة

من حالٍ إلى حال

بعد أن تدارسنا شخصيات القادة من أقوالهم ، نريد أن نضع أمام القارئ قائمة سريعة بأسماء مجموعة من الضباط ، ليرى كيف انتقلوا من حال إلى حال ، وليدرك أن هذا الانقلاب كان فرصة للترقى والكسب بوسيلة أو بأخرى ، كان أنانية لاتعرف الإيثار ، وأخذاً لا يعرف العطاء ، وهذه الأسماء نموذج موجز لذلك ، وما خفى من ألوان الكسب أكثر جداً مما تظهره هذه القائمة :

أعضاء مجلس قيادة الثورة :

الاسم	الرتبة عند قيام الثورة	ما وصل إليه
١ ــ محمد نجيب	لواء	رئيس الجمهورية
٢ ــ جمال عبد الناصر	بكباشي	
٣ ــ زكريا محيي الدين	بكباشي	رئيس وزراء ونائب رئيس الجمهورية
٤ ــ عبد اللطيف البغدادى	بكباشي	نائب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الأمة
٥ ــ جمال سالم	بكباشي	وزير ونائب رئيس الجمهورية
٦ ــ حسين الشافعى	بكباشي	وزير وأمين الاتحاد الاشتراكى ونائب رئيس الجمهورية
٧ ــ عبد المنعم أمين	بكباشي	سفير

	الاسم	الرتبة عند قيام الثورة	ما وصل إليه
٨	خالد محيي الدين	صاغ	رئيس مجلس إدارة دار أخبار اليوم
٩	عبد الحكيم عامر	صاغ	مشير والنائب الأول لرئيس الجمهورية
١٠	حسن إبراهيم	صاغ	وزير ونائب رئيس الجمهورية
١١	صلاح سالم	صاغ	وزير
١٢	كمال الدين حسين	صاغ	وزير ونائب رئيس الجمهورية

من الضباط الأحرار :

	الاسم	الرتبة عند قيام الثورة	ما وصل إليه
١	زكريا العادلى إمام	أمير الاى	سفير بالهند
٢	صدقى سليمان	قائمقام مهندس	رئيس وزراء ثم رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات
٣	أحمد أنور	بكباشى	وزير برئاسة الجمهورية
٤	عبد الحميد صبور	بكباشى	سفير
٥	عبد المنعم النجار	بكباشى	سفير
٦	على صبرى	بكباشى	رئيس وزراء
٧	محمد التابعى	بكباشى	سفير
٨	إبراهيم الطحاوى	صاغ	وزير برئاسة الجمهورية
٩	أمين هويدى	صاغ	وزير ورئيس مخابرات
١٠	ثروت عكاشة	صاغ	وزير وسفير ومساعد رئيس الجمهورية
١١	حسن خليل	صاغ	قائد المباحث الجنائية

الاسم	الرتبة عند قيام الثورة	ما وصل إليه
١٢ - حسن فهمى عبدالمجيد	صاغ	سفير
١٣ - صلاح نصر	صاغ	رئيس المخابرات العامة - وزير مفوض
١٤ - عبد الحليم الأعسر	صاغ	مدير شركه مصر للحرير الصناعى
١٥ - فريد طولان	صاغ	نائب مدير المخابرات العامة
١٦ - مجدى حسنين	صاغ	سفير
١٧ - محمدتوفيق عبدالفتاح	صاغ	وزيرالشئون الاجتماعية وسفير
١٨ - محمد على بشير	صاغ	رئيس مجلس إدارة الشركة الشرقية للبترول
١٩ - محمد وجيه أباظة	قائد جناح	محافظ القاهرة
٢٠ - مصطفى بهجت بدوى	صاغ	رئيس مجلس إدارة التحرير
٢١ - ممدوح جبة	صاغ	سفير
٢٢ - وفاء حجازى	صاغ	سفير
٢٣ - إبراهيم بغدادى	يوزباشى	محافظ القاهرة
٢٤ - أحمد كامل	يوزباشى	رئيس المخابرات العامة
٢٥ - أحمد اطفى واكد	يوزباشى	رئيس تحرير جريدة الشعب
٢٦ - أمين شاكر	يوزباشى	وزير سياحة
٢٧ - توفيق عبده إسماعيل	يوزباشى	وكيل وزارة برياسة الجمهورية
٢٨ - حامد محمود	يوزباشى	محافظ الجيزة
٢٩ - حسين عرفة	يوزباشى	مدير مكتب وزير الداخلية

الاسم	الرتبة عند قيام الثورة	ما وصل إليه
٣٠ – سعيد حليم	يوزباشي	مدير مكتب وزير الداخلية
٣١ – فتح الله رفعت	يوزباشي	رئيس هيئة الائتمان الزراعى
٣٢ – فؤاد هلال	يوزباشي	سفير بالخارجية
٣٣ – كمال رفعت	يوزباشي	نائب رئيس وزراء وسفير بلندن
٣٤ – محسن عبد الخالق	يوزباشي	سفير
٣٥ – محمد أبو نار	يوزباشي	رئيس شركة الأخشاب
٣٦ – طلعت حسين	ملازم أول	وكيل وزارة فى الإدارة المحلية ورئيس مجلس مدينة الجيزة
٣٧ – فؤاد المهداوى	ملازم أول	سفير بالخارجية
٣٨ – أحمد قدرى	ملازم ثان	وكيل وزارة الثقافة
٣٩ – آمال المرصفى	ملازم ثان	مدير المسرح القومى

الباب الرابع

عصر محمد نجيب: الواجهة

حوادث سنة ١٩٥٢

إن الدراسة التى قمنا بها آنفاً عن قادة الثورة تبرز لنا سرّ ما نزل بمصر من هزائم وويلات ، وما عاناه الشعب من مرارة وآلام ، وعلى هذا فإننا عندما نبدأ فى دراسة الأحداث فى عهد عبد الناصر سيتضح لنا أن كل مساوئ هذا العصر نبعت من الأصل الذى توقفنا عنده طويلا وهو إعطاء السلطة لمن ليست له كفاءة للسير بالسلطة وحمل التبعات .

وقد قلنا من قبل إن العهد من مطلع الثورة إلى وفاة عبد الناصر كان عهد عبد الناصر ، وإذا تتبعنا الأحداث بدقة فإننا نجد أن عهد محمد نجيب الحقيقى لا يتجاوز بضعة أيام ، فعندما أظهر الشعب تأييده للثورة ، والتف الجيش كله خلف محمد نجيب ، وبالتالى لم تتدخل بريطانيا ، واضطر الملك للتنازل عن العرش ومغادرة البلاد ، عندئذ استقرت الثورة ، وآن لنجم محمد نجيب أن يتجه للأفول ، ولنجم عبد الناصر أن يرتفع بوسائط هائلة قام بها لذلك ، ولكن محمد نجيب لم يدرك هذه الحقيقة فقاوم دون مهارة فى المقاومة ، وبسبب عدم المهارة فى المقاومة تهاوى فى النهاية واستسلم ، ولكنه كان — على كل حال — الرئيس الظاهرى للسلطة سواء أكان رئيساً فى منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة التى قامت بالانقلاب ، أو كان رئيساً للوزراء ، أو رئيساً للجمهورية عقب إسقاط النظام الملكى ، وقد امتدت عهود محمد نجيب هذه مدة تزيد عن السنتين ، ويمكن القول إنه استُغِلَّ لتصدر باسمه أخطر القوانين ، وتقوم أشنع المؤسسات حتى هيئة التحرير ، فقد أعلن بافتخار قيامها ، ولكنها بذلت أقصى الجهد لهدمه ، وهدم كل القيم . وتلك غفلة من محمد نجيب جنى ثمارها المرّة ، وجنتها معه مصر ، وعلى كل حال فالسلطة الحقيقية كانت فى يد عبد الناصر ، وكانت عليه مسئولية هذه الأعمال أما محمد نجيب فكان واجهة فقط .

بقيت كلمة عن المدنيين الذين اعتمد عليهم زعماء الانقلاب ، وقد كان فى القمة من هؤلاء على ماهر وسليمان حافظ والسنهورى وثلاثتهم من أكثر

أعداء حزب الأغلبية ، وكان ذلك إرهاصاً بتلمس السبل لمحاربة حزب الوفد(١) .

والخطة التى نتبعها فى عرض الأحداث هى مزيج بين نظام الحوليات ونظام الدراسة الموضوعية ، فسنتكلم عن الأحداث بتسلسلها التاريخى ، ولكنا عندما نبدأ الحديث عن حدث سنظل معه غالباً حتى ننتهى من عرضه خلال الفترة كلها ، فالاصلاح الزراعى مثلا صدر به قانون سنة ٥٢ ، ثم عُدِّل بقانون آخر سنة ١٩٦١ ، ثم صدر تعديل ثالث سنة ١٩٦٩ وعندما نتكلم عن الإصلاح الزراعى سنتكلم عنه مرة واحدة .

وهناك كذلك قضية « الإخوان المسلمون والثورة » وهى قضية متشعبة بدأت من مطلع الثورة عندما اشترك بعض زعماء الإخوان فى الوزارة ، ثم تقلبت الأحوال بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر ، ودراسة هذه القضية متشابكة ينبغى عندما نتكلم عنها أن نجمع أطرافها بقدر الامكان .

وحرب اليمن التى استمرت خمس سنوات نورد الحديث عنها فى مكان واحد . . . وهكذا .

أما فيما عدا ذلك فسيظل نظام الحوليات هو النسق الذى نتبعه .

ومن الواضح أن عهد محمد نجيب حافل بالأحداث الكبرى التى قام أكثرها باسمه ، والتى وقف هو يدافع عنها أحياناً وهولا يدرى ما تخبئه له الأيام : ومن هذه الأحداث الإصلاح الزراعى وإلغاء الدستور وإنشاء محاكم القسوة والقهر ، وحل الأحزاب ، وإنشاء هيئة التحرير . . . وغير هذه من الأحداث التى كانت شديدة الخطر على البلاد ، وسنبدأ فيما يلى بمدارسة هذه الأحداث

---

(١) Gaorge Haddad : Revolutions and Military Ru!e: in the Middle East Vo! 3 P. 30.

على ماهر

أول رئيس للوزراء فى عهد الثورة

لعل أول حدث مهم فى عهد محمد نجيب، هو اختيار على ماهر لرياسة الوزارة ، وقد قلنا من قبل إن الثورة أرادت أن تفرض نفسها على الملك. فاقترحت أن تسند الوزارة لعلى ماهر ، وخضع الملك لهذا الاقتراح ، وبخاصة أن على ماهر كان دائماً سلاحاً فى يد الملك يلجأ له فى الأزمات ، وكان على ماهر يكره الدستور والحياة الديمقراطية التى تبعده عن الحكم ، وتجلب الوفد للسلطة ، ولكنه كان لا يعلن هذا العداء ولا يقوى على إعلانه .

وتاريخ على ماهر يبرز — كما يقول أحمد حمروش — أنه اتخذ طول حياته السياسية مواقف تعادى الدستور وتتناقض معه ، فقد اشترك فى وزرات أحمد زيور ومحمد محمود وإسماعيل صدقى التى أهدرت سلطة الأمة وعطلت الدستور ، ثم ألغته ، والتى كانت حرباً على الحريات والكرامات ، كما كانت وسيلة لدعم سلطان الملك ونظريته التى ترى أنه يملك ويحكم . وعندما عين على ماهر رئيساً للديوان الملكى بعد تولية فاروق سلطته الدستورية عام ١٩٣٧ استهل عهده بقرار أصدره الملك بإقالة الوزارة الوفدية .

ومن أجل هذه المواقف المعادية للدستور انتهز على ماهر وجود الثورة ليحكم بسلطتها العسكرية ، واتجه من أول لحظة لمعاداة الدستور ورفض دعوة البرلمان المنحل(١) ، وكان فى كل خطواته يتجه ليأخذ من الثورة

---

(١) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ٢٣٧

وسيلة له ليحكم ، ولم يكن يدرى أن هناك قوة تسعى لنفس الهدف ، وأنها اتخذته مطية فترة قصيرة من الزمن ، ثم ألقت به بعيداً لتجلب محمد نجيب لرياسة الوزارة ، فهو باب أفسح لدخول عبد الناصر والعسكريين للحكم :

تتابع السلطات :

وبهذه المناسبة نذكر أنه فى مطلع الثورة كانت القوانين تصدر بتوقيع «محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة» ، وكان على ماهر يصدر القرارات التنفيذية .

ثم دُفِعَ محمد نجيب لتولى رياسة الوزارة فاجتمعت فى يده السلطتان ، وكان ذلك باباً جديداً لتدفق العسكريين على السلطة ، فلم يكن محمد نجيب إلا ساتراً ضئيلا :

وكان عبد الناصر قد جمع زملاءه فى مساء ٢٧ يوليو ١٩٥٢ — كما قلنا من قبل — وأعلن لهم أن مجلسهم بعد نجاح الثورة لم يعد الهيئة التأسيسية ، بل أصبح اسمه « مجلس قيادة الثورة » واختير عبد الناصر فى هذا الاجتماع رئيساً لهذا المجلس ، ولم يكن محمد نجيب قد دعى لهذا الاجتماع .

وفى يونيو سنة ١٩٥٣ اكتمل تقريباً إبعاد محمد نجيب عندما سُحِب منه لقب القائد العام للقوات المسلحة ، وأعطى لعبد الحكيم عامر ، واكتفى نجيب بالرياسة الاسمية للجمهورية التى أعلنت آنذاك .

وبدأت تظهر قرارات مجلس قيادة الثورة باسم عبد الناصر ، ولكنه مع الزمن لم يقنع بذلك ، بل أوقف جلسات المجلس ، واستبد بالسلطة ، ثم ألغى هذا المجلس نهائياً .

إننا نعلن أنها كانت براعة فائقة فى التخطيط الاستبدادى من عبد الناصر ، ولو كان الرجل فى مثل هذه البراعة بالنسبة لقضايا البلاد لحقق الخير الكثير لها ، ولكن عبد الناصر ما كان يفكر إلا فى نفسه وذويه ، وكانت البلاد بالنسبة له فى ذيل القائمة .

• • •

ولنتابع الآن دراسة أحداث عصر محمد نجيب :

الأحزاب

توجد هيئات ونقابات لخدمة المعلمين والأطباء ورجال الصحافة ، ولكن أعظم التجمعات فى العالم المتحضر هى تلك التى يطلق عليها «أحزاب» لأنها ترعى مختلف الشئون التى تهم البلاد ، وفى قمتها شئون السياسة والحكم ، وعن طريق الأحزاب التى تنبثق حقيقة من الشعب ، وعن طريق صحافتها الحرة مؤيدة ومعارضة تجئ حماية البلاد ورعاية مصالحها . وقد تحدثنا عن الأحزاب بمصر حديثاً طويلاً فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة ، ونتحدث هنا عن موقف حركة الجيش من الأحزاب .

وقد كانت قضية الأحزاب هى أولى القضايا التى واجهت الثورة ، ذلك لأن حزب الوفد حسب أن سقوط الملك سيؤدى حتماً إلى القضاء على الوسيلة التى كانت تبعده عن حقه فى تولى زمام الحكم ، وقوى هذا الاتجاه عند الوفد أنه كان ضمن مبادئ الثورة إقامة حياة ديمقراطية سليمة ، وتأثراً بهذا الاتجاه أسرع مصطفى النحاس زعيم الأمة آنذاك ، وفؤاد سراج الدين السكرتير العام لحزب الوفد بالعودة من أوربا إلى مصر ، وكانا قد سافرا إليها منذ أيام قليلة للاستراحة والاستشفاء ، وفى المطار ألقى النحاس باشا كلمة قال فيها : الحمد لله أن تطهرت مصر من الفساد على أيدى رجال الجيش المخلصين ، وانحدر الرئيس والسكرتير من المطار إلى مقر زعماء الحركة معتقدين أن زمام الأمر سيتجه لهما ، باعتبار الوفد هو الممثل الحقيقى للأمة .

وقضية الأحزاب التى نتكلم عنها الآن ستتسع ، ويتصل بها إسقاط الدستور وخلق المحاكم العسكرية لتشويه مكانة زعماء الأحزاب ، وخلق دستور مؤقت تحكم به الثورة العسكرية ، ثم إنشاء هيئة التحرير لتكون

بديلاً للأحزاب ، وقد بدأت هذه الحركات فى عهد وزارة على ماهر ، وأسهم هو فيها ، فقد كان عدواً لحزب الأغلبية كما قلنا من قبل ، ولكن السلطات العسكرية سرعان ما استبدت بالأمر ، فلم تكن فى حاجة إلى المواربة التى كانت خلق على ماهر فى معالجة الأمور ؛ فعين محمد نجيب رئيساً للوزارة فى ٩/٧ ، ووضعت حركة الجيش سليمان حافظ نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية ، وكان سليمان حافظ من ألد أعداء حزب الوفد ، وهو الحزب الذى اتجهت الجهود لأبعاده خوفاً من شعبيته .

ورغبةً فى القضاء على الوفد بوجه خاص ، والقضاء على الأحزاب كلها بوجه عام ، والاستبداد بالسلطة فى غيبة ممثلى الأمة ، اتخذت الحركة خطوات متتالية سنتدارسها فيما يلى :

أولا : تطهير الأحزاب :

انتشر هذا التعبير بدءاً من ١٩٥٢/٧/٣١ ، وكان وسيلة مهمة للإيقاع بين أتباع الأحزاب بعضهم والبعض ، ولكن يبدو أن التماسك بين أتباع كل حزب كان أقوى من أن يتأثر بهذا التعبير ، ولذلك جاء قانون تنظيم الأحزاب ثم قانون حل الأحزاب بعد ذلك .

ولنتتبع خطوات القول بتطهير الأحزاب :

فى ٣١ يوليو صدر بيان من القيادة العامة يقول : « والجيش وقد كان أول الهيئات العاملة على تطهير صفوفه وتسليم قيادته لأيدٍ أمينة صالحة نزيهة (!!!) يرى أن يقوم الجميع بهذا العمل ، كل فى صفوفه على أن يكون التطهير كاملاً يتناول الأداة الحكومية والأحزاب والهيئات دون أى تأخير أو تسويف ؛ كما يرى الجيش أن تعلن الأحزاب والهيئات برنامجاً واضح المعالم للشعب » .

وفى ٢ أغسطس اجتمع الإخوان المسلمون وطالبوا بالتطهير الشامل الكامل لكل من أعان الملك السابق على الشر ويسّر له سبل الفساد والطغيان، وكان أسرع صدى لذلك أن اجتمعت مجموعة من شبان الحزب الوطنى وقررت بالإجماع إعفاء اللجنة الإدارية للحزب من عبء العمل فيه ، واختيار الأستاذ فتحى رضوان رئيساً للحزب الوطنى ، ونشر البرنامج الجديد للحزب خلال ثلاثة أيام .

وتوقف الصدى تقريباً عند هذا الحد ، ويبدو أن ذلك كان خدعة لشبان الأحزاب الأخرى ليقوموا بنفس التصرف ، ولكن ذلك لم يتم ، فزعامة الوفد الممثلة فى مصطفى النحاس ، وزعامة الأحرار الدستوريين الممثلة فى الدكتور محمد حسين هيكل كانت موضع إجلال الشبان وتقديرهم .

وعندما فشلت هذه المحاولة بدأت الأصوات الرسمية تتكلم متسترة خلف توقيعات بالأحرف بدل الأسماء ، أو معلنة أسماءها وصفتها الرسمية : ففى ١٥ أغسطس نشر بالأهرام مقال بتوقيع مجهول يرمز له بالحرفين ا . ا . تحت عنوان « تطهير الأحزاب » جاء فيه : إننا نبالغ فى حسن الظن بالأحزاب وزعمائها حين نطالبها بتطهير نفسها ، وليس محتاجاً إلى دليل أن الفساد الذى تغلغل فى كل مرافق البلاد وعانت منه مصر كل ما عانت إنما كان مبعثه أولئك الزعماء أنفسهم ، والبارزون فى الصفوف الأولى من الأحزاب ، ثم طالب كاتبه فيه بأن يقوم الشرفاء من الوفديين والسعديين والدستوريين بتأليف حزب جديد على مبادئ جديدة تتفق ومتطلبات العهد الجديد .

وفى نفس اليوم ذكر على ماهر فى بيان أعلنه على الأمة أن البرلمانات المتعاقبة لم تقف فى وجه الباطل والطغيان ، وأنها عجزت عن مناهضة الفساد رغم كل السلطات التى منحها إياها الدستور ، ولهذا فإن الحكومة

تعمل جاهدة لإنقاذ الحياة النيابية من هذا الخزى ، والتمهيد لحياة دستورية سليمة مطهرة نزيهة ، ومن أجل هذا تصر الحكومة والجيش على أن تطهر الأحزاب نفسها من العناصر غير الصالحة قبل الانتخابات القادمة .

ثم خطا الاتجاه الرسمى خطوة تهديد ، فقد كانت قد ظهرت « لجان التطهير الحكومية » التى بدأ تكوينها لمحاسبة من اعتبروا منحرفين من الموظفين ، وهددت الحكومة بأن الأحزاب إذا لم تطهر نفسها فإن لجان التطهير ستتولى ذلك وبدأت مقابلات واتصالات عقب ذلك بين محمد نجيب وزعماء الأحزاب للتعرف أو للاتفاق على العناصر المنحرفة لإبعادها ، وكان عبد السلام فهمى جمعة هو ممثل الوفد الذى التقى باللواء محمد نجيب فى ٢٢ أغسطس ، وبناء على ذلك تقرر فصل بعض أعضاء من الهيئة الوفدية .

وكان هناك لغط كبير حول إبراهيم عبد الهادى رئيس الهيئة السعدية وبخاصة لاتهامه فى حادث مقتل الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين ، ومن أجل هذا أعاد الحزب السعدى تكوين رئاساته فى ٢٩ أغسطس فتنحى إبراهيم عبد الهادى وحامد جودة .

وعقدت اجتماعات فى حزب الأحرار الدستوريين لتنفيذ مبدأ التطهير من الداخل ، وكان الزمن يمر وسلطان الثورة يقوى ويستقر ، والدعاية لها تتسع ، ومن أجل هذا لم تقنع بما حدث ، فتكررت التهديدات والإنذارات ؛ ففى ٣٠ أغسطس أنذر على ماهر الأحزاب بأن الحكومة ستفرض على الأحزاب القواعد الصحيحة للتطهير ، لإهمالها فى إصلاح نفسها ، وعلى ماهر كان دائماً كما قلنا من قبل عدواً للأحزاب وعبداً للقصر ، وقد جرب مرة تكوين حزب أسماه « جبهة مصر » ولكنه فشل فشلاً تاماً ، لأنه لم تكن له أعراق شعبية وقد حدث مرة أو أكثر من مرة أن أجرى انتخابات حرة جاء الوفد على أثرها ، ولكن ذلك كان لأن الموجة كانت شديدة فلم

يستطع إلا أن يطأطئ لها الرأس ، وطالما رحب بالتقاط الرئاسة عقب طرد أصحاب الشأن ؟

والمهم أنه بدأ ينذر الأحزاب بنفسه أو بالإيعاز إلى الصحفيين الذين يسيرون فى ركاب كل حاكم ، ففى ٥ سبتمبر كتب أحمد الصاوى بالأهرام يقول : لا يزال التطهير فى الأحزاب حبراً على ورق ، فلتستيقظ الأحزاب لتطهر نفسها بنفسها وإلا رأت نفسها مطهرة على رغمها لأن هذه هى إرادة الشعب . ومسكين هذا الشعب الذى يدعى الكثيرون أنهم يتكلمون باسمه حتى أحمد الصاوى .

وفى نفس التاريخ أدلى على ماهر بحديث قال فيه : إن تطهير الأحزاب يعجل بالعودة إلى الحياة النيابية الصحيحة ، ولكن على ماهر لا يكتفى بهذا بل راح يتكلم عن إصلاح أداة الحكم ، وأن هذا هو رائد الحكومة الأول .

وكان الحديث عن إصلاح أداة الحكم مؤشراً واضحاً على أن الثورة تريد الاستمرار والبقاء ، وأن الكلام عن تطهير الأحزاب « شغل » للوقت ، وموضوع « غير مقصود » مهما بلغ هذا التطهير ، وكان من نتائج ذلك أن أقيل على ماهر فى ٨ سبتمبر ، وألف قائد الثورة محمد نجيب الوزارة الجديدة .

ومن الواضح أن تركيزاً شديداً اتجه لإبراز مساوىء الأحزاب ، ويلاحظ فى هذا الشأن شيئان :-

أولا : تنوسيت تماماً حسنات الأحزاب ومزاياها ، فإن للحياة الحزبية بمصر مآثر مشرقة ، أهمها ذلك الكفاح المرير لتحقيق الأهداف القومية

فى استقلال البلاد وطرد المستعمر وترسيخ أسس الحياة النيابية(١) والتطور بالبلاد اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً كما ذكرنا من قبل .

ثانياً : إن الكلام عن مساوىء الأحزاب كان عاماً دون تحديد الحزب أو الأحزاب التى كانت تسير فى ركاب الانجليز أو الملك ، وهذا يدل على أن الاتجاه كان يرمى إلى التخلص من الحياة النيابية كلها دون تمييز الصالح من الفاسد ؛

وينبغى هنا أن نعطى صورة توضح لنا تفكير جمال عبد الناصر تجاه المقياس الذى قاس به زعماء الأحزاب ، ونأخذ هذه الصورة من كبير الطهاة فى مطبخ السياسة المصرية محمد حسنين هيكل(٢) يقول كبير الطهاة :

ـ استدعى رجال الثورة النحاس من أوربا ، وسرعان ماحضر وقابل محمد نجيب وكان جمال عبد الناصر ورفاقه متهيبين أمام الرجل الذى استدعوه من أوربا ، وكانت أفكارهم تجاهه طيبة ، ولم يتكلموا تركوه يتكلم مع محمد نجيب ؛ لكنه بمجرد أن بدأ الكلام أصيبوا بشىء من الذهول .

كأن النحاس كان غريباً عنهم ؛ وصموده ربع قرن زعيما للأمة لم يكن معروفاً لهم ، ولما رأوه ، وسمعوا كلامه أصيبوا بالذهول !!

وفى لقاء النحاس مع محمد نجيب قال له نجيب إن الثورة قامت ، ومن أهدافها تحقيق الإصلاح الزراعى ... ورد النحاس على الفور لا . لا . لا.

وموقف النحاس باشا واضح فهو زعيم شعبى وله برنامجه الإصلاحى الطويل ، ولا يتلقى تعليماته من أحد إلا من الشعب ، لقد عانى عمره كله من

---

(١) دكتور وحيد رأفت : فصول من ثورة يوليو ص ٥٧

(٢) بصراحة عن عبد الناصر ص ٤٩ – ٥٠

الملكية ، وهو لايريد أن يبدأ عهداً جديداً يعانى فيه من سلطات أخرى ، كما أنه يرى أن من صالح الاقتصاد القومى اللجوء إلى الضرائب التصاعدية بدل القضاء المباشر على الملكيات الكبيرة .

ويستمر هيكل قائلا : والواقع أن جمال عبد الناصر صدم بالنحاس ، فإذا كان زعيم الأغلبية هكذا فكيف إذاً بقية الأحزاب ، وصدم أيضاً بالسياسيين القدامى مثل ما صُدِم بالنحاس، صدم جمال عبد الناصر بالنحاس لأنهم عندما حدثوه عن الإصلاح الزراعى كان يتكلم كأنه فى ملكوت آخر ، وصدم أيضاً لأن القوى السياسية والأحزاب عموماً لم تكن عندها فكرة عن أى عمل إصلاحى أو تغيير .

وحدث اجتماع بين عبد الناصر وفؤاد سراج الدين ، وتكررت الاجتماعات بينهما ، وحاول عبد الناصر إقناع فؤاد سراج الدين بأنه مستعد لإعطائه الحكم على شرط أن يوافقوا على تطبيق الإصلاح الزراعى ، وكما رفض مصطفى النحاس الشروط رفض أيضاً فؤاد سراج الدين .

وفى تعليقنا على ذلك نذكر أن هذه الأحداث لو صحت تبين لنا أن تفكير عبد الناصر رسا ورسخ على ما أسماه الإصلاح الزراعى ، فلما رُفِضَ هذا الاقتراح لأسباب فنية ودستورية ، اتُّخِذَ الرفض أساساً لاستمرار الثورة واستبعاد الأحزاب .

ذلك كان المقياس الذى قيست به كفاءة مصطفى النحاس ، وكفاءة زعماء الأحزاب ، مقياس الاستلطاف والإحساس أولا ، والادعاء ثانياً بأن هؤلاء لم تكن عندهم فكرة لأى عمل إصلاحى !!!

يالله ، لقد عاش النحاس باشا من سنة ١٩٢٧ إلى قيام الثورة زعيما

شعبياً هائلا ، وله مواقف عظيمة جعلته مهيباً عند قادة الثورة كما يقول هيكل ، وكان سراج الدين عقلية خصبة نادرة لم تستطع محاكم الثورة أن تنال منه ، أو تثبت عليه أى انحراف ، وكان الدكتور محمد حسين هيكل من عباقرة الجيل وأساتذة العصر ، وكل هذا يتهاوى ويضيع فى لحظات ، لأن جمال عبد الناصر لم يستلطف هؤلاء الزعماء ، ولم يجد عندهم أية فكرة عن أى عمل إصلاحى أو تغيير !!

ويهمنا هنا أن نوضح شيئاً مهماً هو أن زعماء الثورة اتخذوا فكرة تطهير الأحزاب لعجم عودها وللتعرف على قواها ، فلما اطمأن زعماء الثورة إلى أن هؤلاء الزعماء لن يثوروا ضدهم خطرا فى طريقهم الذى رسموه وهو إبعاد على ماهر والتقدم للحكم المباشر خطوة جديدة ، وقاموا بإجراء حملة اعتقالات للسياسيين ، وقد تم ذلك فى اليوم الأخير لوزارة على ماهر .

وقامت الثورة فى اليوم التالى لتولية محمد نجيب رياسة الوزارة بإعلان قانون الإصلاح الزراعى (١٩٥٢/٨/٩) واعتبر ذلك تقرباً للجماهير ليكون وسيلة مساعدة فى القضاء على الأحزاب وتثبيت أقدام الثوار ، وسنتكلم عن الإصلاح الزراعى فيما بعد .

ثانياً : قانون تنظيم الأحزاب :

ثم أصدرت الثورة قانون تنظيم الأحزاب فى ٩ سبتمبر ، وبمقتضاه كان على الأحزاب أن تقدم إخطارات جديدة بتكوينها ، وأن تقدم برامج شامله لها ، وقال سليمان حافظ فى الدفاع عن هذا القانون إن له نظائر فى العراق وفى ألمانيا الغربية (لم يكن لها نفوذ آنذاك ، وكانت قوى الحلفاء تخشى قيام حزب نازى) .

ومن عجب أن يتجه الاهتمام إلى البرامج ، مع أن كتابة البرامج شىء

يسير ، ولكن المهم هو الإخلاص لهذه البرامج والكفاءة التى تعمل على تنفيذها .

ويقول الأستاذ صلاح الشاهد : إنه كان من الواضح أن القانون لم يكن يستهدف سوى ضرب الوفد باعتباره حزب الأغلبية الذى يتمتع بتأثير شعبى واسع ؛ والذى كان دائماً صاحب الأغلبية الساحقة فى كل برلمان انتخب انتخاباً حراً(١)

وتنفيذاً لهذا القانون تقدمت الأحزاب بإخطارات لإعادة تكوينها ، وأصدر حزب الوفد برنامجاً حافلا فى ٩/٢١ ، ومن أهم ما جاء فى هذا البرنامج مايلى :

١ — الوفد هيئة سياسية ديمقراطية اشتراكية

٢ — يعمل الوفد لتحقيق الاستقلال والوحدة .

٣ — يرفض الوفد جميع صور الدفاع المشترك .

٤ — التمسك بعروبة فلسطين .

٥ — إصدار مجموعة من القوانين لصالح العمال والفلاحين والنظم الإدارية .

٦ — إعادة بناء القرى المصرية خلال عشرين عاماً (ابتداء من سنة ١٩٥٢) .

٧ — الانتهاء من تعميم المياه الصالحة للشرب خلال خمس سنوات طبقاً لمشروع الوفد الذى بدىء فيه سنة ١٩٥١ .

---

(١) ذكرياتى فى عهدين ص ٢٦٥

٨ — جعل التعليم الدينى إجبارياً .

٩ — تحريم الخمر والميسر .

١٠ — الموافقه على مشروع تحديد الملكية .

وحسبت الأحزاب أنها بذلك تستجيب لرغبة هذا القانون ، ولكن سرعان ما اعترض سليمان حافظ على أنظف رجال الأحزاب ، على الزعيم مصطفى النحاس وعلى الأستاذ دسوقى أباظة السكرتير العام لحزب الأحرار الدستوريين ، وقد هز الاعتراض على مصطفى النحاس شعور الجماهير ، وتمسك النحاس باشا فى بادئ الأمر بحقه كرئيس للوفد ، ولكن النحاس تراجع عن موقفه ، وأبدى استعداده بأن يضحى بنفسه إذا كان فى ذلك ما يفسح الطريق لقيام حزب الوفد من جديد ، ونشر مقالاً فى ٦ أكتوبر يفيد هذا الاتجاه ، وأعلن فؤاد سراج الدين أنه لا يمكن أن يتنحى زعيم الأمة ، فصاح النحاس فيه : اقبل ما أردته وهذا آخر أمر منى لك ، وعليك أن تنفذه ، وكان ذلك فى ٧ أكتوبر ٥

وكانت الثورة تتخذ من اعتراضها على النحاس باشا وسيلة ليتخلى الوفد عن الظهور ، فلما وقف النحاس باشا هذا الموقف بدأت الثورة تبحث عن حل جديد فأعلنت فى ٢٩ نوفمبر أن الأحزاب لن تعود إلى نشاطها قريباً ، ثم لجأ الثوار إلى حل آخر يبعد عنهم شبح القوى الحزبية ، وذلك هو إلغاء الدستور ، وقد صدر بذلك قرار قائد الحركة فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥٢ وسنتكلم عن الدستور فيما بعد .

ثالثاً — حل الأحزاب :

أتاح إلغاء الدستور الفرصة لحل الأحزاب التى كانت تستمد وجودها من وجوده فصدر فى ١٧ يناير سنة ١٩٥٣ قرار من القائد العام للقوات

المسلحة يعلن فيه حل جميع الأحزاب السياسية ، ومصادرة جميع أموالها لمصلحة الشعب ، وأعلن فيه أيضاً قيام فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات .

وختم هذا البيان بعبارات تهديد ، فقد جاء فيه « . . . . حتى نتمكن من إقامة حكم ديمقراطي دستوري سليم . . . . ومنذ اليوم لن أسمح بأي عبث أو إضرار بمصالح الوطن ، وسأضرب بمنتهى الشدة على من يقف في طريق أهدافنا التي صنعتها آلامكم الطويلة » .

وكان قائل هذا الكلام هو محمد نجيب ، وقد مهد الأرض لسواه ونزل أشرس هوان ، فلا تأخذك رحمة به أيها القارىء .

ويعلق الأستاذ أحمد حمروش على هذه الإجراءات بقوله : وكشرت الحركة بذلك عن أنيابها(١) .

وعندما أثيرت الشكوك حول دستورية القرارات والمراسيم التي اتخذتها الحركة ، أصدرت هذه الحركة مراسيم تقضي باعتبار كل تدبير اتخذه أو يتخذه القائد العام للقوات المسلحة بوظيفه رئيس حركة الجيش ... من أعمال السادة التي لا يجوز الطعن فيها .

بقيت كلمة نعلق بها على موقف الثورة من الأحزاب ، هي أن صحيفة المصري قامت بدور عظيم للدفاع عن الدستور والنظام الحزبي ، وأن الجماهير كانت تؤيد هذا الاتجاه ، وأعلن الطلبة سخطهم على موقف الثورة من الديمقراطية والدستور والأحزاب ، وقاموا ببعض التحركات في ٥٣/١/١٢ ووصلت حركات التذمر إلى الجيش ، فقد قام بعض الضباط بعمليات إثارة ضد زعماء الحركة ، مما دعا محمد نجيب أن يضمن بيانه الذي ألغى به الأحزاب في ١٩٥٣/١/١٧ تحذيراً يهدد فيه ويخوف ، وعلى العموم فقد

---

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ٢٧٥

كان موقف الثورة من الأحزاب ومن الدستور أساس الانعزال الذى قام بين الثورة وبين الجماهير [illegible] مما يبدو ذلك على مر الأحداث .

ويتهمون الأحزاب بالتعفن والفساد لأنها ارتمت فى أحضان الملك والإنجليز ، ولا شك أن الارتماء فى أحضان الملك والانجليز تعفن وفساد ، ولكن إطلاق هذا التعبير هو خطأ تاريخى عظيم ، فمن المعروف أن القصر خلق مجموعة من الأحزاب لتدور فى فلكه وتكون رهن إشارته ، أما حزب الوفد ، الذى كان الممثل الحقيقى للشعب ، فكان منذ نشأته وعلى مر تاريخه عدواً للإنجليز والملك ، ومن هنا حُرِم من حقه فى تولى الوزارة ، ولم يظفر بها إلا فترات قليلة جداً(١) وكان الغنم كله للأحزاب الفاسدة التى لم تكن لها جذور شعبية على الإطلاق ، وعندما كانت تجرى انتخابات حرة كان الوفد يحصل دائماً على الأغلبية الساحقة ، ولكن الملك الطاغية كان سرعان ما يُقيل حزب الأغلبية ، وقد أقيل الوفد خمس مرات فى عهدى فؤاد وفاروق(٢) وكان ذلك يتم دائماً بإيعاز الإنجليز أو موافقتهم على الأقل ، فما كان الملك يستطيع أن يقوى على هذا العمل بدون رضائهم ، وكان هذا التصرف من الملك من أهم الأسباب التى أدت لسخط الشعب عليه ولحسن استقبال الشعب للثورة التى قامت متظاهرة بأنها أساساً ضد الملك .

وقد ذكر الأستاذ أحمد حمروش وهو ضابط يسارى صوراً من جهود الوفد ضد الانجليز ، وهى تشمل براعة فؤاد سراج الدين الذى عرف من السفير البريطانى مزايا قاعدة السويس فعمل على القضاء على هذه المزايا بأن منع وسائل المواصلات الداخلية من نقل مهمات الإنجليز ، ومنع الأيدى المصرية من العمل عندهم ، وقامت وزارة الوفد بتعيين جميع هؤلاء

---

(١) انظر الاحصائية التاريخية فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة

(٢) فى السنوات ١٩٢٨ و ١٩٣٠ و ١٩٤٧ و ١٩٤٤ و و ١٩٥٢

العمال ، وسمحت الوزارة لبعض الجنود فى التخفى بالملابس المدنية للاشتراك فى أعمال المقاومة ..(١)

ومن العجيب أن زعماء الثورة كانوا دائماً يفرضون آراءهم على الشعب ويقولون لن نسمح ولن نترك . . . وسنقضى على . . . وهذا خطأ فقد كان عليهم أن يرفعوا وصايتهم عن الشعب وأن يتركوا له أن يختار ، وكان لهم أن يقوموا بأساليب الدعاية والترشيد ما استطاعوا ، وأن يتركوا للجانب الآخر أن يدافع عن نفسه ، ثم يكون للشعب الكلمة الأخيرة ، فذلك هو النظام المعروف لمن أراد الديمقراطية الحقة ، وقليل هؤلاء، لقد كان الملك يحرم الشعب من حقه فى الاختيار ، فكان من أبرز أعمال الثورة أنها تبنت سياسة الملك وحرمت الشعب من الاختيار .

---

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ١٥٤ - ١٥٥

إلغاء الألقاب المدنية

إذا كان الحديث عن الأحزاب قد بدأ يوم ٣١ يوليو ، فاحتلت الأحزاب بذلك المكان الأول فى أحاديثنا عن أحداث عصر محمد نجيب ، فإن الحدث الثانى هو إلغاء الألقاب المدنية الذى صدر به قرار القائد العام للقوات المسلحة فى ٢ أغسطس من الشهر التالى للثورة .

والألقاب المدنية التى ألغيت هى فى الأصل ألقاب تركية (باشا — بك) وتعربت فأصبح معمولاً بها بعد الانفصال عن تركيا ، وهى فى الغالب دلالة على تقديم شىء ذى بال للوطن فى أى مجال من المجالات ، ومن هنا كانت من قبل مرتبطة بالألقاب العسكرية ، فالضابط فى رتبة الأميرالاى كان يأخذ لقب بك ، وفى رتبة اللواء كان يأخذ لقب باشا ، كما كانت مرتبطة بالعلماء ورجال السياسة والفكر ، وقد كافأت الإمبراطورية العثمانية مصطفى كامل لتحمسه لعلاقة مصر بتركيا وصراعه ضد الإنجليز فأنعم الخليفة العثمانى عليه بلقب باشا ، وهو فى سن الشباب (حوالى ٣٠ عاماً) ولا شك أنه أسىء استعمال هذه الألقاب أحياناً فقدمت لمن لا يستحقها .

لماذا ألغيت الألقاب المدنية ؟

للتعرف على السبب الذى ذكر عن إلغاء الألقاب المدنية نلجأ إلى محمد نجيب الذى يقول : كان إصدار قانون الإصلاح الزراعى وقانون إلغاء الألقاب المدنية قد خلق شعوراً عاماً بين المواطنين بأن تحولاً اجتماعياً يحدث فى مصر(١) .

أما محمد حسنين هيكل فيتحدث عن إلغاء الألقاب ، ويوضح لنا أن

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ١٠٨

جمال عبد الناصر كان يستعجل إلغاء هذه الألقاب ، وأن اهتمام عبد الناصر بإصدار قانون الإصلاح الزراعى وتعجله إصدار قانون إلغاء الألقاب ، هذه الأمور وغيرها كانت فى الواقع إيماءات وإشارات إلى نزعات فى نفس عبد الناصر(١) .

وكلام هيكل صحيح ويتمشى مع « التأثير النفسى على التاريخ » ، الذى أوضحناه فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة . وحقيقةً كان عبد الناصر من أسرة ليست لها أملاك زراعية ولا تحمل الألقاب المدنية ، وكان الرجل ذكياً يحسد هؤلاء الذين يملكون الأرض والذين يحملون الألقاب ، فلما أتيحت له الفرصة أسرع فى التنفيس عن نفسه ، وفى الحقيقة لم يكن إلغاء الألقاب شيئاً خطراً يستحق أن يكون من أول الأعمال أو قل أول الأعمال التى تقوم بها الثورة ، ثم إن الجماهير العريضـــة وجماعات المثقفين لا يزالون يستعملون هذه الألقاب ، ولا تزال الصحف تذكر هذه الألقاب عند ما يموت أحد هؤلاء الذين كانوا يحملونها .

والباحث فى التاريخ الاجتماعى لمصر فى عهد الثورة يرى أن هذا العصر شهد اهتماماً كبيراً بالألقاب لم تشهده مصر من قبل ، فالمحافظ فى درجة وزير ولكنه بطبيعة الحال ليس وزيراً ، ولكنه يعلن عن نفسه وينادى فى كل الأوساط بأنه سيادة الوزير المحافظ ، وفضيلة المفتى يقال عنه « الوزير المفتى » ومئات الوظائف فى درجة وكيل وزارة ، ولكن أصحابها ينتحلون اللقب فيقال وكيل وزارة لشئون المعاهد الدينية مثلا . . . . وليست هناك وزارة ليكون هذا الموظف وكيلاً لها ، فهو فقط يدير هذه الإدارة فى درجة مالية واجتماعية تماثل درجة وكيل الوزارة ، وألغيت مع الألقاب المدنية كلمة مثل « سعادة » ووضع بدلها كلمة « سيادة » والأخيرة أسمى وأخطر من الأولى . ووجد فى القصر الجمهورى عشرات الوظائف ، فى درجة نائب رئيس وزراء ؛ ووزير ،

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ٦٢

ونائب وزير ، ووكيل وزارة ، وكلهم ينادون بهذه الألقاب مع عدم صحتها ، فهم فى درجتها ولكنهم ليسوا وزراء . . . .

وعندما شغل العسكريون مناصب الوزراء كانت ألقاب « معاليك » و « معالى الوزير » تتردد عشرات المرات لهم وأمامهم كل يوم ، وهذا شيء عرفته شخصياً وعاينته .

وسار الأزهر الشريف فى تيار الرغبة فى الألقاب فحرص كل شيوخه أو أكثرهم على حمل لقب « الدكتوراه » ، وكانوا من قبل يسعدون بلقب « العالم » و « العالمية » .

وانطلق لقب « الرئيس » فى مجالات متعددة دون ذكر الأسماء : سيادة الرئيس — الريس جاء ، والريس يقول ، ولم يكن هذا لرئيس الدولة فحسب ، بل لرئيس التحرير ولرئيس مجلس الإدارة ، وحتى لرئيس المدينة أو القرية .

لقد قتلوا الزنبور وأطلقوا العقارب والثعابين .

العمال فى كفر الدوار

قلنا فى الباب الثانى إن الثورة كانت لها صبغة أمريكية ، ومن هنا نستطيع أن ندرك الأسباب الحقيقية لموقف الثوار من حركة كفر الدوار ؛

وخلاصة هذه الحركة أن مظاهرة قامت فى كفر الدوار فى ١٢ ، ١٣ أغسطس تطالب بإبعاد بعض ذوى النفوذ فى الشركة ، وإجراء إنتخابات حرة لنقابة العمال ، وأن يكون مقر هذه النقابة بعيداً عن مكان العمل ، ومساواتهم فى المنح التى تمنح للموظفين ؛ وزيادة الأجور ، وإبعاد محامى الشركة الظالم ...(١)

وقد تعرض البوليس للمتظاهرين ، فحدث اشتباك بين الجماعتين ، وتدخلت قوات الجيش فزاد الصراع ، وانتهى بمصرع ثلاثة من الجنود وثلاثة من العمال وجرح ٢٨ شخصاً بالإضافة إلى الحرائق والخسائر فى الأموال ، وقبض على ٥٦٧ عاملا قدموا للمحاكمة .

لماذا لم تقابل طلبات هؤلاء العمال بالمناقشة والدراسة قبل الاستعانة بالبوليس والجيش ؟

الإجابة أن الاتجاه العام تصور أن هذه الحركة حركة شيوعيه عاتية ، فتصرف الحكام إزاءها تصرفاً قاسياً ليحافظوا على أنفسهم من جانب وليرضوا أمريكا من جانب آخر .

وعندما أخذت الحركة تصرف قادة الثورة إزاءها — كما يقول الأستاذ

---

(١) يقول الدكتور عبد العظيم رمضان (الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر ص٥٢) إن هذه المطالب هى التى كانت مكتوبة على سبورة فى الصالة .

أحمد حمروش[1] — برعونة شديدة تحت وهم أن هذه المظاهرات هى بداية أعمال مضادة ضد الجيش ، وتشكل مجلس عسكرى تطوع لرياسته عبد المنعم أمين الذى كان وثيق الصلة بالأمريكان . وقلد المحكمة التى أقامها كرومر لمحاكمة المصريين فى دنشواى، فاقترح عقد المحكمة فى موقع الحادث ، وكان أعضاء المحكمة هم حسن إبراهيم والبكباشى عبد العظيم شحاتة (الذى أصبح فيما بعد أميناً عاماً لجامعة القاهرة عدة أعوام كما ذكرنا من قبل) والبكباشى أحمد وحيد الدين حلمى ،والصاغ محمد بدوى الخولى ، واليوزباشى فتح الله رفعت واليوزباشى جمال القاضى .

ويقول الأستاذ أحمد حمروش إن المحاكمة كانت سافرة العدوان على حقوق المتهمين ، فلم تتح لهم فرصة الاعتماد على المحامين : لدرجة أن عبد المنعم أمين طالب الصحفى موسى صبرى الذى كان يمثل جريدة الأخبار للدفاع عن العامل محمد مصطفى خميس ، باعتبار موسى صبرى حاصلا على ليسانس الحقوق ، ويقول عبد المنعم أمين إن موسى صبرى (غَـرَّق) مصطفى خميس[2] وإن مصطفى خميس ترافع عن نفسه مرافعة عظيمة ...

ولكن الحكم صدر بإعدام مصطفى خميس ومحمد حسن البقرى وبالأشغال الشاقة على إحد عشر عاملا ، ووقف محمد نجيب موقفاً متردداً فهو فى جانب يتشكك فى التقارير التى رفعت عن المظاهرات والتى كتبتها المباحث العامة ، ويرى أن العمال لم تُـعْـط لهم الفرصة فى الدفاع عن أنفسهم ... وهو فى جانب آخر مغلوب على أمره[3] ، فصدق على هذا الحكم على

---

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ٢٨٩ .
(٢) شهود ثورة يوليو ص ٢٥١
(٣) كلمتى للتاريخ ص ٤٨ — ٤٩

الرغم من أن الحكم لم يصدر بالإجماع مما يتعارض مع قانون الأحكام العسكرية، ولم يصدق عليه مجلس القيادة بالإجماع[١] وقد صاح خميس قبل إعدامه قائلا : أنا برىء ومظلوم، أريد إعادة محاكمتى. ولكن هذه الصيحة ضاعت وتبددت فى الهواء كما يقول حمروش[٢] .

وقد فتحت دماء هذين العاملين الباب لدماء كثيرة طاهرة ؛ أراقتها هذه الثورة تحت مجموعة من الاتهامات كما سنرى فيما بعد .

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ٢٥١

(٢) قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ٢٨٩ — ٢٩٠

الاصلاح الزراعى

كانت مصر قبل الانقلاب تعانى حقيقة من سوء توزيع الأرض الزراعية ، فقد كان هناك الملاك الكبار الذين تمتد أملاكهم فتصل إلى آلاف الأفدنة ، والفقراء الذين لايملكون شبراً ولا بيتاً وإنما يعيشون فى عزب الملاك أو يهيمون على وجوههم فيما يعرف « بالتراحيل » .

ولم تكن مصر وحدها فى هذا الأمر آنذاك ؛ وإنما كان ذلك هو النموذج الواسع الانتشار فى العالم نتيجة العصور الوسطى التى كانت تركز المال والسلطان فى أيد قليلة ، ونتيجة الاستعمار الذى كان شديد الحرص على إضعاف الروح الوطنية عند المواطنين بجعلهم لا يملكون فى أوطانهم ما يحرصون على الدفاع عنه .

وقد كانت الأسرة المالكة من أهم الأسباب التى نشرت بمصر الفوارق الكبيرة فى الملكية الزراعية ، ومن أهم الأسباب التى حالت دون القضاء على هذه الفوارق ، فلما انتهى نفوذ الاستعمار وطُرِدَ الملك كان ذلك إيذاناً بالقضاء على هذا التفاوت الجسيم فى الملكية الزراعية .

وإذا أردنا أن نذكر لمحة عن تاريخ امتلاك الأرض بمصر ذكرنا أن نظام الالتزام كان هو النظام المتبع فى العهد العثمانى ، وبناء على هذا النظام كان الملتزم يدير مساحة كبيرة من الأرض ، ويدفع للدولة قدراً من المال نظير ذلك ، فألغى محمد على هذا النظام وأعطى للملتزمين مرتبات شهرية ، وتولى هو إدارة الأرض فوزع منها قدراً على الفلاحين بحيث يأخذ كل فلاح مساحة قدرها يتراوح بين فدانين وخمسة أفدنة ، ويقدم الفلاح للدولة إيجاراً لهذه المساحة ، وفى الثلاثينات من القرن التاسع عشر وزع محمد على مساحات كبيرة من الأرض على كبار الأعيان والموظفين والضباط ، وفى عهد سعيد أصدر هذا

اللائحة السعيدية التى تبيح امتلاك الأرض ، وكان من يئول له حكم البلاد يحرص على توسيع رقعة الأرض التى يمتلكها فالخديوى اسماعيل كان يملك يوم تولى الأمر ١٥ ألف فدان فارتفع بها إلى ٩٠د ألفاً استولت عليها الحكومة بعد عزله ، وكان فؤاد يملك يوم تولى السلطة ٨٠٠ فدان فارتفع بها إلى ٢٨ ألفاً وورث فاروق من أبيه ١٥ ألف فدان فارتفع بها إلى ٤٨ ألفاً .

وبجوار هؤلاء الملوك كان أفراد من الأسرة المالكة يملكون مئات الألوف من الأفدنة . كما كانت هناك أسر أخرى اتسع نطاق ممتلكاتها الزراعية اتساعاً كبيراً وظالما .

ويثبت التاريخ أن حركات ثائرة قام بها الفلاحون المصريون من حين لآخر ضد الملاك الظالمين ، ولكن هذه الحركات كانت تقمع بشدة وقسوة لأنها كانت تحدث فى ضياع أفراد الأسرة المالكة أو فى ضياع أصحاب النفوذ من الأسر المصرية ، وقد شهدت « كفور نجم » و « بهوت » وغيرهما صورا من هذه الانتفاضات .

وبالإضافة إلى سوء توزيع الأرض كان هناك تأثير اقتصادى خطير على الثروة القومية بسبب هذا التوزيع ، فإن كبار الملاك كانوا يحصلون على إيرادات ضخمة أكثر جداً من نفقاتهم ، وكانوا يتجهون إلى البذخ أو إلى شراء مزيد من الأراضى ، وقلما اتجهوا إلى المشاركة فى التنمية الصناعية التى لم يكونوا فى حاجة للمساهمة فيها .

الإقطاع :

ومع إيماننا العميق بأن توزيع الأراضى كان بعيداً جداً عن العدالة ، وأن العلاقات بين كبار الملاك وبين الفلاحين كانت ظالمة وغير إنسانية ، مع هذا فإننا ينبغى أن نوضح تعبيراً شاع مرتبطاً بهذه الملكية وهو أنها إقطاع ونتساءل : هل كان هذا إقطاعاً ؟ .

إن الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى التعرف على المعنى الحقيقى للإقطاع ، ومن مراجعة المصادر الدقيقة عن نشأة الإقطاع نجد أنه وجد فى أوربا عقب انهيار الأنظمه الرومانية نتيجة اعتداءات القبائل الجرمانية واستيطانها جهات مختلفة من ممتلكات هذه الأمبراطورية مكونة ما يسمى إقطاعاً ، وكان جمهور الزارعين يكونون فى الإقطاع طبقة رقيق الأرض ، وهناك فى الإقطاع طبقة أعلى من هؤلاء وهى حاشية صاحب الإقطاع ثم يجئ الإقطاعى نفسه وهو فى الغالب أمير أو نبيل أوفارس حرب أو رجل دين ، وهذا بدوره يخضع للملك أو لإقطاعى أكبر منه ، وكان الفلاحون وعمال الإقطاع مرتبطين بالضيعة ارتباطاً تاماً ، وليس لهم أن يغادروا إقطاع سيدهم إلى إقطاع آخر ، وكان صاحب الإقطاع يتصرف مع هؤلاء كما شاء فيما عدا القتل ، وكان هذا هو الفارق الأساسى بين التابع فى العصر الإقطاعى وبين العبيد فى عصر الرق(١) . وكان على رقيق الأرض واجبات إقطاعية متعددة لصاحب الإقطاع(٢) .

وعلى هذا فإن الملكيات الكبيرة بمصر لم تكن إقطاعاً ، وكان هذا التعبير يطلق عليها تجاوزاً ، ويقول الأستاذ أحمد حمروش مؤيداً هذا الاتجاه : إن الطبقة الإقطاعية لم تكن ضاربة الجذور فى أعماق التاريخ المصرى ، ولم تكن لها تقاليد العائلات الإقطاعية الأوربية التى ما زالت قائمة حتى الآن فى أسبانيا مثلا(٣) .

وهناك نقطة مهمة ترينا أن خطورة هذه الملكيات الكبيرة لم تكن تتناسب مع الدعايات التى انتشرت مع مشروع الإصلاح الزراعى ، فالأرض التى يملكها ملاك تزيد أطيانهم عن مائتى فدان مساحتها ٤٦٣ر١٥٤ر١ فإذا

---

(١) Niklin ; Fundamentals of Political Economy p. 20.

(٢) انظر كتابنا « النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور وأثر الفكر الإسلامى فيها » ص ٣٦ وما بعدها .

(٣) قصة ثورة يوليو ص ٢٥٤

خصصنا أملاك الأسرة المالكة ، ثم لاحظنا أن ما سمح بامتلاكه للأسرة ذات الأولاد فى قانون سنة ١٩٥٢ كان ثلثمائة فدان وليس مائتين فإن ما يطبق عليه هذا القانون ينخفض إلى حوالى نصف مليون فدان (٥٦٠ ألف فدان بالضبط) وهو قدر لا يستحق هـذا الضجيج إذا نسب إلى الأرض الزراعية بمصر ، التى تبلغ مساحتها ٦ ملايين فـدان (بالضبط ٥,٩٦٢,٦٦٢ فداناً) وإذا لاحظنا كذلك أن المقادير التى أخذت من كبار الملاك لم تسلم كلها للمزارعين ، ولم تثبت ملكيتها للفلاحين إلا فى عهد أنور السادات بعد حوالى عشرين سنة من هذا القانون أدركنا أن قانون الإصلاح الزراعى كان هدفه الدعاية وإفقار بعض الأغنياء وليس إغناء الفقراء .

الإصلاح الزراعى والحرية السياسية :

بقيت نقطة مهمة ذكرت كثيراً كسبب من أسباب قانون الإصلاح الزراعى ، تلك هى ما يقال عن النفوذ السياسى للأغنياء وسيطرتهم فى الانتخابات على فلاحيهم ، وعن هذه النقطة يقول جمال عبد الناصر فى خطابه فى ١٥ أبريل سنة ١٩٥٤ : إن طلبنا الرئيسى لم يكن اقتصادياً وإنما هو تحرير الفلاح من سيطرة السيد . وقد كرر جمال عبد الناصر هذا المعنى فى خطاب آخر بعد أيام من الخطاب الأول فقال : إن أهم شىء فى تحديد الملكية هو الحرية السياسية ، والتخلص من الاستبداد السياسى[(١)] وفى هذا المعنى يقول الكاتبان الروسيان بيليايف ويريماكوف : ولقد بدت أهمية تنفيذ الإصلاح الزراعى فى البلاد كبيرة جداً فى المجال السياسى ، فقد تم نتيجة له تقويض نفوذ كبار الإقطاعيين[(٢)] . . . . . . ولم يبق أى مجال للشك فى أن حرمان كبار ملاك الأراضى من السلطة السياسية ومن نفوذهم الخطير على سياسة البلاد الداخلية والخارجية قد بدأ منذ إصدار

---

(١) انظر خطب الرئيس فى شهر إبريل سنة ١٩٥٤ (مصلحة الاستعلامات) .
(٢) مصر فى عهد عبد الناصر ص ٦٦

قانون الإصلاح الزراعى فى سبتمبر سنة ١٩٥٢[1] .

وعن هذا الموضــوع يقول الأستاذ أحمد حمروش[2] : إن قانون الإصلاح الزراعى لم يكن يستهدف ضرب الإقطاع بإزالة مصدر ثرائه فقط بل كان يستهدف تحرير الفلاح الذى يعيش فوق الأرض تابعاً لصاحبها ، الأمر الذى كان يخلق قوة سياسية للإقطاعيين بنفوذهم على الفلاحين .

ونتساءل برفق سؤالين هما : ١ ـ هل كان هناك فعلا إستعباد سياسى؟

٢ ـ وهل تحرر الفلاح بعد الإصلاح الزراعى ؟

عن السؤال الأول نقرر أن تاريخ الانتخابات الحرة فى مصر يرد هذه الفرية . فنى أول انتخابات أجريت لمجلس الأمة بسنة ١٩٢٣ شهدت دائرة الصنافين شرقية صراعاً بين اثنين من المرشحين أحدهما يحيي إبراهيم رئيس الوزراء الذى كان يجرى الانتخابات والذى كان يملك هو وأهله آلاف الأفدنة ، وكان فى الوقت نفسه وزيراً للداخلية ، والمرشح الثانى شاب صغير اسمه أحمد مرعى وكان مرشح الوفد ، ودارت الانتخابات بنزاهة ؛ فقد كانت الأيدى لم تلوث بعد ، فنجح مرشح الوفد ورسب رئيس الوزراء بسلطانه وماله وجاهه .

وفى العام الثانى أعيد الانتخاب ، وأجراه هذه المرة رئيس وزراء جديد هو أحمد زيور ، وكان من ألد أعداء الوفد ، ولكن النتيجة جاءت على غير ما يهوى ، فقد نال حزب الوفد الأغلبية الساحقة أيضاً كما حدث فى الانتخاب الأول ؛ ويعلق الأستاذ مصطفى أمين على هذه النتيجة بقوله « أخبار اليوم :

---

(١) المرجع السابق ص ٦٧

(٢) قصة ثورة يوليو ص ٢٥٨

« كان سعد مبتهجاً بهذه النتيجة الهائلة التى لم يتوقعها لأنها أثبتت أنه كان على حق فى إيمانه بهذا الشعب؛ هذا الايمان الذى لم يتزعزع أمام الخطوب والأهوال وكان يقول : إن الذين لم يخافوا من الإنجليز لا يمكن أن يخافوا من الباشوات ، وإن الفقراء الذين لم تستطيع أن تشتريهم أغنى أمة فى العالم لايمكن أن يشتريهم أصحاب الضياع فى مصر .

« وأذهلت النتيجة خصوم الوفد، لم يتوقعوا مطلقاً أن خدمهم سيصوتون ضدهم، وأن عبيدهم سيثورون عليهم، وأن مئات الألوف من الفلاحين الذين يعملون فى أراضيهم سيصغون لصوت ضمائرهم لا إلى صوت بطونهم .

« لقد أنفق كثير من خصوم الوفد عشرات الألوف من الجنيهات فى معركة الانتخابات وسقطوا ، باع أحد أعيان الصعيد ثلثمائة فدان من أجود الأطيان وأنفق ثمنها فى الانتخابات وفشل أمام مرشح الوفد الذى لم يكن يملك فداناً واحداً ، أنفق الدكتور أحمد ماهر أربعة جنيهات وأصبح نائباً للدرب الأحمر .

صرف محمود فهمى النقراشى جنيهين ونصف جنيه وأصبح نائباً للجمرك ، وصرف إسماعيل صدقى باشا خمسة عشر ألف جنيه فى دائرة فرسيس حيث كان يملك هو وإخوته ألف فدان وكانت أسرة زوجته تملك فيها عدة آلاف من الأفدنة ، ورشح الوفد محمد نجيب الغرابلى فى هذه الدائرة وهو لايملك فيها قيراطاً واحدا ، وليس له فيها أقارب ولا أصهار وسقط إسماعيل صدقى باشا ، ونجح محمد نجيب الغرابلى أفندى »

ذلك نموذج تكرر دائماً عندما كانت الحكومات ترفع ايديها عن الضغط وتزوير الانتخابات ، فالمسألة تاريخياً لم تكن سطوة المال ونفوذ الغنى على الإطلاق ، وإنما العبث بالانتخابات الذى اتجهت الأقليات إليه بتشجيع الملك وحماية الجيش .

أما الإجابة عن السؤال الثانى فواضحة كذلك ، وهى أن أحداً لم يتحرر فى عهد عبد الناصر ، وكانت الانتخابات عملية متصلة من التزوير ، وقد أثبتت التقارير صوراً من الفضائح التى كانت تجرى فى انتخابات عهده ، ولم يجد الناس حيلة إلا السلبيا ، فامتنع الكثيرون عن الانتخابات ولكن أصواتهم سجلت على أنهم حاضرون ومؤيدون لمرشح السلطة ، حتى الأموات فُعِل بأصواتهم مثل ذلك .

لقد كانوا يقولون إن الفلاح كان مسلوب الإرادة ، ولكن عهدهم جعل الشعب جميعه مسلوب الإرادة تحت صور الضغط والإكراه .

محاولات تحديد الملكية قبل الثورة :

إن التفاوت الذى استهجنّاه فى الملكية الزراعية كان موضع هجوم متصل من المفكرين المصريين ، وقد ارتفعت بذلك الأصوات على صفحات الصحف وداخل البرلمان فى عهد فاروق ، ونُشرت عن ذلك بعض الكتب ، ومن أشهر من اشتركوا فى ذلك محمد خطاب عضو مجلس الشيوخ ، وكان صوته عالياً ، وكان يرى تحديد الملكية بحد أقصى قدره خمسون فداناً على أن يتم ذلك دون تأميم أو مصادرة ، وإنما يتم على مدى الأجيال عن طريق الوراثة ، وعن طريق عدم السماح بإضافة جديدة تزيد عن هذا القدر من وقت إقرار القانون .

واهتم بهذا الموضوع كذلك صادق سعد ، فأصدر كتيباً باسم « مشكلة الفلاح » ، طالب فيه بتحديد الملكية بخمسين فداناً وتوزيع مازاد عن ذلك على الفلاحين ... كما تحدث الدكتور أحمد حسين عن الإصلاح الزراعى وطالب أن يتنازل الملك عن نصف أملاكه للشعب ليكون قدوة للآخرين ، وكتب إحسان عبد القدوس فى روزاليوسف يؤيد هذا الاتجاه .

ولكن هذه الأصوات كانت تخفت بسبب الملكيات الماثلة التى كانت

الأسرة المالكة تنعم بها ، ولذلك فإن طرد الملك وضعف النفوذ الاستعماري كانا أهم دعامة لقانون الإصلاح الزراعي الذي آن لنا أن نعرضه :

ملخص القانون :

صدر القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ في ٩ سبتمبر ، المسمى بقانون الإصلاح الزراعي وشمل أموراً ثلاثة هي :

١ — تحديد الملكية .

٢ — تحديد القيمة الإيجارية .

٣ — تعيين حد أدنى للأجرة اليومية لعمال الزراعة .

وعن تحديد الملكية قرر القانون ألا يزيد ما يملكه الشخص عن مائتي فدان لمن لا أولاد له ، وثلثمائة لمن له أولاد ، ويمنح من تستولي الدولة على أرضه تعويضاً يعادل عشرة أمثال القيمة الإيجارية للفدان ، وأجاز القانون للملاك أن يبيعوا ما زاد عن الحد الأقصى ، مادامت الحكومة لم تستول فعلا عليه ، على أن يقسم هذا الزائد قطعاً لا تزيد مساحة كل منها عن خمسة أفدنة ، وأن يكون المشترون ممن لا تتجاوز أملاكهم عشرة فدادين مع إضافة القدر الجديد . ويقول المهندس سيد مرعي إن ما بيع طبقاً لهذا وصل ١٤٥ ألف فدان(١) وقد سمح بأن تكون أثمان هذه الأطيان حرة لا تتقيد بعشرة أمثال الإيجار التي حددت ثمناً للفدان إذا استولت عليه الدولة .

وقضى هذا القانون بأن يأخذ المالك من الدولة « بونات » بالثمن تستهلك خلال ثلاثين عاماً ، ويدفع عنها ربح قدره ٥ر٤٪ ، وكان

---

(١) بيانه في مجلس الأمة في ١٩٥٧/٨/٥

الحاصل على الأرض يلتزم بدفع ١٤ جنيها مصرياً فى المتوسط عن كل فدان يأخذه ، ويستمر ذلك مدة ثلاثين عاماً(١) .

وفيما يتعلق بالأرض المؤجرة قضى القانون أن تكون قيمة الإيجار لا تزيد عن سبعة أمثال الضريبة الزراعية ، وإذا دفعت القيمة الإيجارية من المحاصيل الزراعية فيجب ألا تزيد عن ٥٠٪ من المحصول على أن تكون تكاليف الزراعة على حساب المؤجر والمستأجر ، وقضى القانون كذلك أن المالك ليس من حقه أن يحول الأرض من الإيجار إلى المزارعة ، وليس من حقه أن يسترد الأرض من زارعها .

وفيما يتعلق بالحد الأدنى لأجر العامل الزراعى فقد حدده القانون بمبلغ لا نقل عن ١٨ قرشاً يومياً للرجال ، وعشرة قروش للنساء والأطفال .

تعديلات فى القانون :

فى سنة ١٩٦١ عدل هذا القانون فيما يختص بالنهاية القصوى التى يسمح بامتلاكها ، فجعلت مائة فدان بدلا من مائتين ، كما صدر قانون يقضى بأن يكون الاستيلاء على الأرض الزائدة عن هذا القدر بدون ثمن ، ويطبق هذا على الأرض التى أخذت منذ سنة ١٩٥٢ .

وفى سنة ١٩٦٩ صدر قانون الإصلاح الزراعى الثالث ويقضى بألا تزيد الملكية عن خمسين فدانا ، وأن ما يترك للأولاد لا يزيد عن خمسين فداناً كذلك .

قوانين الإصلاح الزارعى فى ميزان النقد :

فى مطلع حديثنا عن نقد هذه القوانين نذكر أن قادة الثورة اتخذوا من الصين نموذجاً لهم فيما يتعلق بالإصــلاح الزراعى ، وفى ذلك يقول

---

(١) سيد مرعى : الإصلاح الزراعى ومشكلة السكان فى القطر المصرى ص ٥١، ٥٢ .

أنور السادات : إن الإصلاح الزراعى كان المحور الرئيسى للثورة الديمقراطية الجديدة فى الصين ، وإن الصين كانت مثل بلادنا عندما قامت ثورتها ، كان فيها خونة وإقطاع واحتكار وذل وحفاة وعراة وجياع ، وقد قضى الإصلاح الزراعى فى الصين على هذا التخلف(١)، ونحن نوافق تمام الموافقة على أن الإصلاح الزراعى فى الصين أدى دوره خير أداء ، ودبر لألف مليون صينى ما يحتاجونه من طعام وكساء ، وخلق فائضاً هائلا اندفع فى شكل معلبات وملابس لأكثر دول الأرض ، وكم كنا نتمنى أن نرسل بعثة للصين لنتعرف على خطتها فى الاستيلاء على هذه الأرض وإدارتها ، ولكن الفرق كبير جداً بين ما حدث هناك وما حدث هنا ، فالإصلاح الزراعى هناك جلب الخير للمجموع ، ولكنه هنا جلب الذل والجوع .

والرئيس المغلوب على أمره محمد نجيب الذى أصدر هذا القانون ينتقده مر النقد ، وفيما يلى مقتطفات من كلامه ترينا الأهداف المنحرفة لهذا المشروع الذى كان ينبغى أن يكون وطنياً ، وليس للقهر والتنكيل ، يقول محمد نجيب (٢) :

— عارضت المشروع ولكن مجلس الثورة أيده .

— كان رأى المؤيدين أن سرعة الاستيلاء على الأراضى ستدعم مراكزهم حيث سيجرد أصحاب الأراضى من أموالهم وسلطتهم وهم الذين كانوا يعارضونهم (وتلك هى النكبة الكبرى لقد كان المشروع للتنكيل وليس للإصلاح) .

— كنت لا أريد الطفرة ، وأرى أن يتم توزيع الأرض تدريجياً

---

(١) الدكتور عبد العظيم رمضان : الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر ص ٤٦

(٢) كلمتى للتاريخ ص ١٠٦ — ١٠٧

بغرض ضرائب تصاعدية ، وتزيد الضرائب زيادة كبيرة على الأراضى التى تزيد مساحتها عن ٢٠٠ فدان ليسرع أصحابها ببيعها .

— كنت أرى أن المشروع كما قدم سيستلزم إنشاء وزارة للإصلاح الزراعى ، وأجهزة إدارية كثيرة مما سيكلف الدولة أموالا هائلة ، مع أن الضرائب التصاعدية ستزيد من دخل الخزانة العامة .

— وكنت أخشى على الفلاح من بيروقراطية الموظفين الجدد الذين سيصبحون السادة الجدد (هكذا !!)

— وكان رأيى عدم إثارة العداوة بين أصحاب الأراضى القدامى والفلاحين المالكين الجدد مما سيثير حدة الصراع الطبقى فى بلادنا .

— كنت أعتقد أن تفتيت الملكية بهذه الطريقة المتسرعة سيجعل الإنتاج ينخفض .

— كان على ماهر من أصحاب الرأى المعارض للقانون ، وقد دعا أثناء فترة رياسته للوزارة إلى مؤتمر موسع لمناقشة مشروع القانون ، وقد وقف هو وبهى الدين بركات ورشاد مهنا فى الجانب المعارض .

— ويختم محمد نجيب كلامه بقوله : وكان قانون الإصلاح الزراعى أول قانون يصدر بعد أن أصبحت رئيساً للوزراء .

فى اعتقادى أن محمد نجيب لابد أن يحاكم على أنه أصدر قانوناً كهذا دون اقتناع ومع معرفته بتلك العيوب ، وكان عليه أن يستقيل حتى لايتحمل وزر عمل يعارضه ويعرف عيوبه ، وإذا لم يحاكم محمد نجيب ، فإن التاريخ سيحاسبه دون رحمة ، فلقد آثر المظهر الخادع على الخلود ، ولم يخرج من هذا المنصب إلا على أسنة الرماح .

عيوب فى الإعداد :

من الواضح أن فكرة القضاء على ما يسمى « الإقطاع » كانت ثابتة فى أذهان قادة الثورة حتى قبل البدء بالثورة ، ومن هنا كانت ضمن المبادىء الستة التى جاءت فى البيان الأول للحركة ، ومن الواضح كما قلنا من قبل أنهم عندما نجحت حركتهم وجدوا أنفسهم فى فراغ لأنهم لم تكن لهم خطة سبق إعدادها لمواجهة الموقف ، وما كان يتوقع من جماعة فى سنهم وثقافتهم أن يحيطوا بهذه القضية القومية الكبيرة ، ومن هنا كان كلامهم عن الإقطاع عاما وليس مدروساً ،ويقول الأستاذ أحمد حمروش[1]: إن حركة الجيش لم تكن قد أعدت لذلك مشروعاً أو خطة متكاملة ، وعندما نجحت الخطوات الأولى للحركة ، واتجه الضباط إلى الاستقرار فى السلطة بعد خروج الملك قابلهم أطماع الأحزاب ، وبخاصة حزب الوفد الذى كان يرى أن طرد الملك وإقامة الحياة الديمقراطية السليمة ستحمله إلى السلطة ، ومن هنا حدث الصراع المبكر بين قادة الجيش ورجال الأحزاب ، واتجه قادة الجيش لترجيح كفتهم إلى القبض على رجال السياسة عشية إقالة وزارة على ماهر ، ثم إلى إصدار قانون الإصلاح الزراعى بعد ذلك بيوم أو يومين دون أى إعداد سليم لتنفيذ هذا القانون الخطير .

ومما يدل دلالة واضحة على أن هدف القانون كان ضرب الطامعين فى أخذ السلطة منهم ، ما رويناه آنفا من كلمات محمد نجيب الذى وضّح أن تفتيت الملكية سيدعم مركز قادة الجيش ، ويجرد أعداءهم من أموالهم وسلطاتهم ، على أن المهندس سيد مرعى[2] يوضح لنا ذلك بدليل قاطع ، إذ يبين أن الاستيلاء على الأرض الزائدة لم يتم دفعة واحدة ، وإنما فى عدة

---

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ٢٨٧ وما بعدها .
(٢) أوراق سياسية جـ ١ ص ٢٤١

سنوات ، فكان الاستيلاء الأول متجهاً إلى الطامعين فى الحكم ورجال الأحزاب وأسرهم ، وكان هذا مبكراً ، (أكتوبر ١٩٥٢) أما الاستيلاء الثانى فقد جاء فى نوفمبر ١٩٥٤ ، والاستيلاء الثالث فى نوفمبر ١٩٥٥ ، والاستيلاء الرابع بسنة ١٩٥٦ ، مما يدل على أن فرصة أتيحت لبعض الملاك ليبيعوا أملاكهم بأثمان عالية ومقبوضة ، أما الذين اضطهدتهم الثورة فقد استولت على أرضهم فى وقت مبكر ، ومقابل « بونات » أبطلت قيمتها بعد حين كما رأينا من قبل .

وهكذا فقدت مصر مصدر ثرائها الأول لأن تقسيم الأرض إلى مساحات صغيرة جعل الإنتاج يخضع لحاجة الفلاح الاستهلاكية ولا يخضع لحاجة الدولة التى تعمل على ضرورة توفير بعض الإنتاج لاستهلاك المدن وللتصدير خارج القطر ، وتقسيمُ الأرض إلى مساحات صغيرة قلّل إنتاجها ، لأن الفلاح لايجيد فن الزراعة كما يجيده المهندسون والخبراء الذين كانوا يشرفون على المساحات الكبيرة ، ولأن الفلاح كذلك لايستطيع أن يقدم للأرض السماد كما ينبغى أن يكون ولا أن يجدِّد فى البذور ويختارَ أجودها وأكثرها إنتاجا ، وتقسيمُ الأرض إلى مساحات صغيرة يؤدى إلى استمرار الزراعة على النهج البدوى الذى يستعمل المحراث والساقية . . . لأن المساحات الصغيرة لاتقوى على الميكنة والطرق الحديثة ، وأخيراً فتقسيم الأرض إلى مساحات صغيرة قضى على الثروة الحيوانية التى كانت موضع عناية كبار الملاك ولا يمكن أن يقوم بها هؤلاء الملاك الجدد .

وقد عمدت الحكومة إلى « التحويض » أى أن تفرض على الملاك الجدد أن يزرعوا نوعا واحدا فى « حوض » واحد من الأرض ، ولكن ذلك لم يحل المشكلة لكثرة الحيل من جانب ، ولأن تعدد الملاك لايجعل الزراعة تتم فى وقت واحد مما يسهل خدمتها فى شكل جماعى ، ولأن قدرات الزراع مختلفة مما جعل الحوض الواحد به عدة مستويات زراعية .

وعلى هذا فالإصلاح الزراعى كان للدعاية من جانب ، وللرغبة فى تدمير المعارضين من جانب آخر ولو كان ذلك على حساب الصالح العام .

وفقدت مصر مصدر ترائها الزراعى والحيوانى ليتاح للثوار أن يتربعوا فى مراكز الحكم .

عيوب فى التطبيق :

إن كتاب «مصر فى عهد عبدالناصر» الذى أشرنا إليه من قبل يسرد مجموعة من الانحرافات والعيوب التى حدثت فى تطبيق القانون على الرغم من أن مؤلفيه روسيان ينتصران دائماً لجمال عبد الناصر .

يقول هـــذا الكتاب :

— استطاع كثير من ملاك الأراضى — باستغلال صلاتهم بالجهاز الحكومى والإدارة المحلية — أن يسجلوا الأراضى الزائدة عن حد المصادرة بأسماء أقاربهم ، وعلى ذلك ظلت هذه العائلات على حالها كما كانت سابقاً نتيجةً لهذا التلاعب والاحتيال(١) .

— وُضع فى القانون بند خاص بالأراضى البكر يُبيح أى قدرٍ من الملكية فيها خلال مدة تمتد إلى ثلاثين عاماً ، وقد انتهز أصدقاء الثوار هذه الفرصة فحصلوا على مساحات واسعة تصل إلى آلاف الأفدنة من هـذه الأرض . (٢)

— استثنى القانون الأراضى التابعة للشركات الصناعية ، وقد انتهزت بعض الشركات التى لها صلات بالسلطات المنفذة للإصلاح هذه الفرصة

---

(١) ص ٥٨ (٢) نفس الصفحة .

فطالبت بإعفائها من تطبيق القانون وحصلت على موافقـة ، وأظهرت التجربة العملية أن الحصول على مثل هذه الموافقة لم يكن صعباً(١) .

— وفقاً لقانون ٥٢ لم تخضع للاستيلاء الأراضي التي بيعت للأبناء والأحفاد قبل ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، وقد وَجَدَ كثير من المرضىٌ عنهم الفرصة لإثبات حالات بيع على أنها تمت قبل ذلك التاريخ ، وكان يكفي لتوثيق صحة عملية البيع ختمٌ وتوقيعٌ من أحد الموظفين ، الأمر الذى فتح الباب على مصراعيه أمام التلاعبات (٢) .

— كان القانون كما قلنا يبيح لكبار الملاك أن يقسموا أملاكهم قطعاً صغيرة يبيعونها لمن ليست لهم أملاك تتجاوز بعد هذه القطعة عشرة فدادين ، وكانت هذه فرصة أتاحت كثيراً من عمليات البيع الوهمية(٣) .

وهناك بيوع وهمية عاشرتُ نموذجا منها ، وقصة ذلك أننا نعرف سيدة فاضلة تعمل فى حقل التعليم ، وكانت فى مطلع حياتها مدرِّسة بالمدارس الابتدائية ، وقامت حينذاك بإعطاء بعض الدروس الخاصة لصبيان أسرة ذات تاريخ وثراء ، وعاما بعد عام توثقت صلات مودّة بين هذه السيدة وبين الأسرة الكبيرة ، وقد استطاعت هذه الأسرة بطريق ما أن تبيع للسيدة المدرِّسة قطعة أرض من أملاكها مساحتها خمسون فدانا ، وكان البيع وهمياً ، وسُجِّل هذا البيع ، ولم تعرف المدرِّسة موقع الأرض ولا رأتها ، وإنما كان عملا صوريا ، ولاشك أن نظائر كثيرة لهذا البيع قد حصلت ، ولعل البائعين كانوا يأخذون مقابل ذلك صكوكا بديون ، ورهن للأرض لهم نظير هذه الديون .

---

(١) ص ٥٩
(٢) ص ٥٩
(٣) ص ٦٠

وهكذا لم يكن القانون مدروساً ، ولم ينفذ تنفيذاً عادلاً ، ومن عيوب التطبيق ما ذكره المهندس سيد مرعي عن المشكلات التى ارتبطت بالاستيلاء على هذه الأرض، فإن المندوبين الذين خرجوا من القاهرة لتسلم هذه المساحات كان كل منهم يحمل مبلغاً قدره خمسون جنيهاً ليستعين به على المشكلات التى تواجهه ، وإذا قسم هذا المبلغ على الأرض المطلوب الاستيلاء عليها ، فإن ما يخص الفدان الواحد كان ستة مليمات ، ومعنى هذا أن عملية الاستيلاء كانت صعبة جداً ، وأن الحكومة لم تخصص لها التكاليف اللازمة (١) ، ومع هذا انطلق المندوبون للاستيلاء على الأرض، ولكنهم حينما وصلوا إليها وجدوا أمامهم أكواماً من المشكلات ؛ ماكينات رى توقفت لعدم وجود بنزين لها ، آلاف من الفلاحين يطالبون بالسماد والبذور ونفقات الحرث والرى، ولم يستجب بنك التسليف الزراعى للهيئة التنفيذية التى طلبت منه المساعدة ، بل إن الهيئة التنفيذية لجأت إلى مصلحة الوقود لتمد ماكينات الرى بحاجاتها فرفضت هذه المصلحة لعدم إرسال تفاصيل الاستهلاك السابق واللاحق ، وماركات الماكينات ، وعمرها ، مما لم يكن سهلاً الحصول عليه ، ولم تستطع الهيئة التنفيذية للإصلاح الزراعى كذلك أن تحصل على قطع الغيار ، ولا أن تعين الموظفين اللازمين ، ولا حتى أن تحصل على الأوراق والمساطر وأقلام الرصاص ، وعقبات أخرى لاحدود لها قامت فى وجه المشروع (٢) .

ويذكر المهندس سيد مرعى بالثناء بعض كبار الملاك الذين انتزعت أملاكهم ومع هذا استجابوا للجنة العليا التى طلبت عونهم ، فتغلب فيهم الدافع الوطنى وأنفقوا على الأرض المستولى عليها ، مع أن إيراداتها كانت

---

(١) أوراق سياسية [illegible] ص ٢٤٣ [illegible]

(٢) المرجع السابق ص ٢٤١ ، ٢٤٤

ستؤول للحكومة ، ويقول سيد مرعى إن التكاليف التى دفعها بعض الملاك وصلت إلى ١٨٠٫٠٠٠ جنيه (١)

الجمعيات التعاونية :

رغبة فى التغلب على المشكلات السابقة أنشئت وزارة سميت وزارة الإصلاح الزراعى ، كما أنشئت جمعيات تعاونية بالقرى لإمداد الفلاحين بحاجاتهم من السلف والبذور والسماد ، وبدأت بذلك مشكلات جديدة ترتبط بالإصلاح الزراعى ليس فقط من ناحية التكاليف الباهظة التى استلزمها قيام هذه المؤسسات ، بل أيضاً من ناحية الانحرافات الكثيرة التى سرعان ما برزت فى تلك الجمعيات التعاونية ، ويسوق الباحثان الروسيان اللذان أشرنا إليهما من قبل أمثلة على ذلك نقتبس منها ما يلى :

محمود أبو يوسف كان مشرفاً على الجمعية التعاونية لمنتجى البطاطا ، وقد تمكن من زيادة الأراضى التابعة له شخصياً من ٣٠ فداناً عام ١٩٥٢ إلى ٣٠٤ فداناً عام ١٩٦٦ ، كما أنشأ ثلاجة ضخمة لحفظ البطاطا استغلها لاستخدامه الشخصى .

عبد القادر المكباتى : كان سنة ١٩٥٤ حائزاً على ٦٠ فداناً فى منطقة كفر الدوار ، وفى سنة ١٩٦١ أصبح يملك ١٣٧ فداناً باسمه و ٥٤٩ فداناً بأسماء أبنائه وأحفاده ، كما استغل سلطته فى مجلس إدارة الأسواق التعاونية للفاكهة فحصل على قروض قدرها ١٢٥ ألف جنيه ، وذلك كله عن طريق استغلال نفوذه فى الجمعية التعاونية الزراعية (٢) .

وبينما كانت الجمعيات التعاونية بالقرى والمدن نهباً للاستغلال والسرقة

---

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٥

(٢) مصر فى عهد عبد الناصر ص ١٩

صدرت لها التعليمات فى الخمسينات أن تتزود كل منها بشىء مهم بحيث تعاقب الجمعية التى لم تتزود به ، ما هو هذا الشىء المهم ؟ إنه للعجب تمثال ضخم لعبد الناصر يوضع فى نافذة الحجرة الضيقة التى كانت تدار منها أمور الجمعية التعاونية فى كل قرية ، وقد رأيته فى قريتنا الصغيرة ، وفى القرى المجاورة ، وكان المفتشون على الجمعيات يقدمون الثناء لمن استطاع أن يحصل على تمثال أضخم حجماً وأغلى قيمة ، وقد اختفت هذه التماثيل تماماً ، ولكن بعد الخسارة الهائلة التى تحملتها الجمعيات ما بين أثمان لها، وعمولات ، وأرباح للوسطاء :

كيف كان يمكن تحاشى عيوب الإصلاح الزراعى ؟

لقد اتضحت لنا عيوب كثيرة فيما يختص بالاستيلاء على الأرض وتفتيتها مما أنزل أكبر الضرر بالثروة الزراعية ، فمن الواضح أن هذا القانون أثار ألواناً من المشكلات وخلق ملكيات صغيرة انقلبت بعد جيل واحد إلى تفكك أصغر ، مما هدد الاقتصاد الزراعى بمصر الذى كان رائعاً على مر التاريخ ، ويمكن هنا أن أقرر من المشاهدات المباشرة أن ضيعة من الضياع الكبيرة كانت مجاورة لقريتنا ، وكان المئات من العمال ينحدرون لهذه الضيعة كل صباح من القرى المجاورة فيجدون بها عملاً دون انقطاع ، كما كانت تنتج أعظم إنتاج من القطن وأنواع الحبوب والفاكهة ، بل الدواجن والحمام ، وكنا نرى عشرات اللوريات تخرج طيلة العام تحمل الأرز والقمح والفول والبطيخ ... إلى جهات مختلفة من القطر ، ثم وزعت هذه الأرض على الفلاحين ، وعاماً بعد عام أصبحنا نشهد الكثيرين من سكان هذه الضيعة يغشون الأسواق ليحصلوا على القمح والذرة بعد أن أصبحت الضيعة لاتكفى حاجاتهم ، صحيح أن أصحاب الضيعة لم يكونوا يعاملون الفلاح معاملة عادلة ، لكن العلاج الذى أحدثته الثورة كان قضاء على

الثروة القومية ؛ وفى ظله أصبح الزارعون يعانون ما كانوا يعانونه من من حاجة وعوز .

إن الإصلاح الزراعى شىء نؤيده ، ولكن على أن يقوم بعد دراسات دقيقة يقوم بها الأكفاء المخلصون ، ليحقق الإصلاح الزراعى أمل البلاد فى الثروة القومية وليرفع فى الوقت نفسه الظلم عن المظلومين .

حظوظ ومفارقات :

وقد نشأ عن قانون الإصلاح الزراعى أنواع من الحظوظ والمفارقات كان يمكن تحاشيها لو كانت هناك دراسة عميقة عن المشروع ، ومن هذه الحظوظ والمفارقات ما يلى :

— قرى بها ضياع كبيرة وُزعت على الفلاحين ، وآلاف القرى لا توجد بها ضياع ، فلم ينل أصحابها شيئاً من هذا القانون ، فكانت المسألة مسألة حظوظ لا غير ، وينبغى ألا تخضع القضايا القومية إلى الحظوظ ، ومن أجل هذا يقول المؤلفان الروسيان : إن قانون الإصلاح الزراعى بعيد عن الكمال لكثرة القرى التى لم توجد فيها أراضى للاستيلاء عليها وتوزيعها على الفلاحين(١) .

— أحد الأغنياء مات قبل ٢٣ يوليو بقليل واقتسم أولاده ثروته ، فلما جاء القانون كان ما يملكه كل واحد من الورثة لا يتجاوز مائتى فدان أو ثلاثمائة مع ذوى الأولاد ، وثرى آخر مات بعد صدور القانون أى بعد أن تم الاستيلاء على مازاد عن مائتى فدان أو ثلاثمائة فدان ، ولم يبق للورثة إلا هذا المقدار ، مجرد حظ !

---

(١) مصر فى عهد عبد الناصر ص ٥٨ .

— رجل باع قبل الثورة أرضه لشراء عمارة أو عمائر بالمدن ، وآخر فعل عكس ذلك ، باع عمائره لشراء أرض زراعية ، بمجرد حظ أيضاً :

وليست هذه الحالات من خيال الباحث ، وإنما هى وقائع معروفة ومحددة ، وقد كان من الممكن لو درس الموضوع بعمق أن نحافظ على الثروة القومية ، وأن تكون العدالة الاجتماعية أكثر شمولا ووضوحاً .

تحديد الإيجار :

ونجىء الآن للنقطة الثانية التى شملها قانون الإصلاح الزراعى ، وهى تحديد الإيجار بسبعة أمثال الضريبة ، وعدم جواز إخراج الزراع من الأرض .

وهذه نقطة خطيرة جداً ، خلقت بالريف ألواناً من المشكلات وصوراً من الحقد والكراهية ، فضريبة الأرض التى اتخذت أساساً لتحديد الإيجار لم تكن قط أساساً صالحاً لذلك ، فكثيراً ما تدخلت عوامل جعلت الضريبة لا تتناسب مع قيمة الأرض ، فالضريبة مثلا تدفع على الحوض الزراعى كله ، وفى الحوض مستويات مختلفة من الأطيان ، والمحظوظون فى القرى كانوا يتصلون بلجان تقدير الضرائب على أطيانهم ، ولكن الفقراء لم يكونوا يستطيعون ذلك ، ولم يكونوا يستطيعون الشكوى من المظالم التى تقع عليهم .

ثم إن السبعة أمثال قدرت سنة ١٩٥٢ ، وكانت أثمان الحاصيل رخيصة ، وقد ارتفعت أثمان الحاصيل إلى خمسة أضعاف ، وعشرة أحياناً والسبعة أمثال لا تزال كما هى ، ولم يحدث فيها النظر إلا سنة ١٩٧٨ بعد أكثر من ربع قرن عانى فيه صغار الملاك شر عناء ، وعندما أعيد كان ذلك شيئاً قاصراً أيضاً ، ولم يحقق العدالة المطلوبة على الإطلاق .

وعدم إخراج الزراع من الأرض مهما كانت مساحتها كان عملا أخطل ، فني كثير من الحالات كان الملاك أطفالا صغاراً ، وقد شب هؤلاء عن الطوق وأرادوا زراعة أرضهم بأنفسهم ولكن القانون حرمهم من استردادها من الزارع الذى كان يزرعها لهم وهم أطفال ، وطالما تسبب هذا فى صراع وعراك بالقرى الصغيرة ، وفى هذا يقول الأستاذ أحمد أبو الفتح : حرمت هذه القوانين استرداد الأرض ليزرعها صاحبها لحسابه ، وورثت الأرض لورثة المستأجر ، وبذلك أصبح المالك ليس مالكاً، فهو لا يستطيع أن يزرع أرضه ولا أن يبيعها ، وهو يدفع الضرائب التى ترتفع ولا يرتفع معها الإيجار ، وقد تسبب عن ذلك أن غرقت عشرات من الأسر المتوسطة فى الفقر نتيجة هذه القوانين الارتجالية مع أن هناك كثيرين من الأرامل واليتامى يعيشون على إيجار الأرض[1]

الحد الأدنى لأجر عمال اليومية :

بقيت النقطة الثالثة من الإصلاح الزراعى التى حددت أجرة العامل الزراعى بحيث لا تقل عن ١٨ قرشاً فى اليوم ، وكانت هذه القيمة حبراً على ورق ، فقد ظل العامل يعمل بنصف هذه القيمة فترة طويلة ، ثم ارتفع الأجر من تلقاء نفسه نتيجة لعامل العرض والطلب ، وتجاوز أجره اليومى جنيهاً الآن ، وهذا يشير إلى أن كل اتجاهات القانون كانت متسرعة وغير مدروسة

القرية المصرية :

لقد كان الإصلاح الزراعى أغنية لم يحسن تلحينها وأداؤها ، وكان وسيلة للقضاء على الغنى وليس لرفع مستوى الفلاحين ؛ بدليل

---

(١) أحمد أبو الفتح : التحدى ص ٧١

الإهمال التام للقرية المصرية التي تُركت ترزح تحت هموم القرون والسنين ولو كان القصد خدمة الفلاحين لا تجهت العناية للقرية المصرية ، وقد كان من أهم برامج حزب الوفد التي ذكرها سنة ١٩٥٢ تجديد القرية المصرية خلال عشرين عاماً ، وقد مرت حتى كتابة هذه السطور سبعة وعشرون عاماً ، والقرية المصرية هي هي إن لم تكن قد زادت تخلفاً . ويقول هواة الأرقام إن النفقات التي دفعناها في اليمن وحدها كانت كافية لإعادة بناء كل القرى المصرية ، ونحن هنا نصرخ بأن القرية المصرية هي التي أخرجت أكثر العلماء والضباط والجنود ، وهي التي تنتج الطعام والخضروات والفاكهة ، ومع هذا فهي محرومة من كل شيء ؛ إنها تستحق في عهد النور تخطيطاً منظماً لإعادة بنائها وضمان المياه الصالحة للشرب لها ، وضمان النور والنظافة والطب والمدارس ، والأندية ، والطرق الداخلية بها ، والطرق التي تربطها بسواها ، وحرام أن نضيف يوما واحداً إلى العهد الماضي ، نهمل فيه القرية المصرية التي تمنح كل شيء ولا تنال شيئا .

حرام أن يبقى فيها الحفاء والجوع والأسمال والأكواخ والجهل والانعزالية والأمراض ، فلندفع بقريتنا إلى النور في عهد الأمل والعبور .

ويقولون إن سكان الريف يتدفقون إلى المدن وبخاصة إلى القاهرة حتى أصبحت المدن تضيق بالسكان ، وأصبحت القاهرة توشك على الانفجار ، ونقول لهم إن الوسيلة الحقة لإيقاف الهجرة هو محاولة الرقي بالريف وبدون ذلك ستستمر الهجرة كما حدث على ر التاريخ .

إن العناية بالريف لن توقف الهجرة فحسب ، ولكنها يؤمل أن تقوم بعمل مضاد ، أي أن تجذب بعض الناس الذين تقل مصالحهم بالمدن إلى اللجوء للريف حيث الخضرة والطبيعة الجميلة والهدوء الرائع

ويقول الأستاذ أحمد أبو الفتح[1] عن ذلك :

الأرض الزراعية قلّت مساحتها ، والإنتاج لم يتقدم ، والتطوير الحديث لم يتحقق، وتدهورَ إنتاج اللحوم والألبان والبيض تدهوراً شنيعاً ، واتجهت سلطات الدولة لاستيراد وبيع كل ما يلزم للزراعة من سماد وبذور ومبيدات ، فخضعت هذه الأشياء لتلاعب الموظفين وشَرَه الطامعين كما فُرض نظام التسويق التعاونى ، وفرضت أسعار جبرية لا توزاى فى كثير من الأحوال نصف الثمن الفعلى للمحاصيل ، وبدأ بسبب ذلك اختفاء كل صور الخير من الريف ، بل بدأت هجرة الريفيين إلى المدن ، وضاع ربع قرن من الزمان ولم تتطور الزراعة بمصر ، ولم تزد رقعة الأرض الزراعية بل نقصت ، ولم نتوسع فى إنتاج اللحوم ومنتجات الألبان ، فأصبحنا عالة على الدول الأخرى فى طعامنا وكسائنا ، والمحزن أن الذين يتعمون بالمحاباة يبيعون فى السوق السوداء بالريف ما يحصلون عليه من علف للمواشى ، ومن سماد وبذور ، وبذلك يمتصون دماء الفلاحين الصغار الذين يُقال إن الثورة قد قامت لتحميهم وتوفر لهم الحياة الكريمة وترفع دخلهم ، وكانت نتيجة ذلك أن هَجَرَ ملايين الفلاحين قراهم ، واندفعوا إلى المدن ، وأصبح صعباً أن نجد اليد العاملة فى الريف حتى فى جنى المحصولات . ومن الواضح أن الريفيين الذين هجروا الريف إلى المدن لم يجدوا بالمدن حاجاتهم ، بل عاشوا فى بطالة أو شبه بطالة ، يباشرون أتفه الأعمال دون مأوى ، ودون رعاية .

الإصلاح الزراعى كما ينبغى أن يكون :

أوضحنا فيما سبق اتجاه الثورة نحو ما سمته الإصلاح الزراعى ، ولكن

---

(١) التحدى ص ٧٠ وما بعدها .

إذا أردنا أن نبحث عن الإصلاح الزراعى الحقيقى ذكرنا أن المفهوم العلمى للإصلاح الزراعى يسعى لتحقيق الأهداف الآتية :

— العمل الكادح المثابر لاستصلاح مزيد من الأراضى ، لضم مساحات جديدة من الأراضى البور إلى الأراضى المنزرعة .

— رعاية التربة فى الأراضى المنزرعة بتحسين الصرف وإنتاج المخصّبات بأرخص الأسعار .

— تنظيم الدورات الزراعية ، ومحاولة الإكثار منها بدون إرهاق للتربة.

— حسن اختيار البذور ذات المحصول الجيد والوفير .

— الرقى بوسائل الفلاحة ، وذلك بالقضاء على المحراث والطمبور والشادوف والساقية التى انحدرت من عهد خوفو إلى الوسائل الزراعية الحديثة التى أنتجها العقل البشرى فوفرت جهد الإنسان والحيوان وضاعفت دخل الأرض .

ذلك هو نوع الإصلاح الزراعى الذى ابتكرته الحضارات الحديثة ، أما عن تحديد الملكية فيمكن اللجوء للضرائب التصاعدية مع إصدار تشريع يقضى بأن من يملك مائتى فدان فأكثر لا يجوز له شراء أرض جديدة ، وسيتكفل نظام الميراث بتفتيت هذه الملكة دون عناء خلال جيل أو جيلين.

عدلى لملوم :

من الأحداث المتصلة بالإصلاح الزراعى ثورة عدلى لملوم ضد القانون بعد صدوره بثلاثة أيام ، وكان عدلى لملوم من كبار الملاك من منشأة لملوم التى تقع على بعد سبعه كيلومترات من مغاغة ، ويقال إنه اعترض هو وبعض رجاله على صدور هذا القانون وتجمع حوله الناس فى مدينة مغاغة فخطب فيهم ضد القانون ، وسرعان ما تصدت له الحكومة وألقت القبض عليه وعلى جماعته ، وقدّم لمحكمه عسكرية عليا عقدت فى بلدته يرأسها

حسين الشافعي وكان من أعضائها عبد المحسن أبو النور والصاغ أحمد عبد الله طعيمة ، واليوزباشي فتح الله رفعت ، وقد حكم عليه هذا المجلس بالأشغال الشاقة المؤبدة(١) .

واختفت بعد ذلك الأصوات المعارضة للقانون أمام جبروت الثورة التي لم تكن تطيق المعارضة في أي اتجاه من اتجاهاتها .

---

(١) جريدة المصرى : فى ١٧ ، ١٩ سبتمبر ١٩٥٢ ، ويقول عبد اللطيف البغدادى إن المحكمة العسكرية التى حاكمت العمال فى كفر الدوار هى نفس المحكمة التى حاكمت عدلى لملوم ، فقد طارت إلى مكان الحادث كما فعلته مع العمال (مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٦٩) .

الرقابة على الصحف وفتح المعتقلات

ذكرنا من قبل أن حركة اعتقالات للزعماء السياسيين بدأت مع تشكيل وزارة محمد نجيب ، ويتحدث الضابط أحمد حمروش عن هذه المعركة وعن الاتجاهات الدكتاتورية التى تعتبر هذه المعركة مطلعها بقوله :

كان تركيز السلطة فى يد قادة الثورة إعلاناً عن قيام نظام يستند إلى الدكتاتورية العسكرية ، ولا يجيد التخفى فى ثياب الديمقراطية ، واتباعاً لهذا الفهم الدكتاتورى صرّح صلاح سالم للصحف بقوله : قبل أن تعود الحياة البرلمانية يجب أن نستأصل جميع أسباب الفساد من الأمة ، ويعلق الأستاذ حمروش على هذه العبارة بقوله : كأنّ استئصال الفساد يمكن أن يتم بعملية جراحية كاستئصال « اللوز » مثلاً ، وقد ترتب على هذا الاتجاه الذى قام به الجيش خروج الجيش عن نطاق « اجباته المحددة ، وظهوره فى مظهر قوة سياسية ، وذلك ابتعاداً عن إطار القوات المسلحة ، واستناد إلى قوة يصعب إزالتها بدون ضغط ظروف شديدة .

ويواصل الأستاذ حمروش كلامه فيقول : وقد أثارت حركة الاعتقالات وما تبعها من حل الأحزاب السياسية نوعاً من الفزع بين الجماهير ، فاتجهت القيادات السياسية إلى السلبية حتى لاتقع فى مواجهة مع الجيش ، وظهرت ألوان من التناقضات ، فمن حديث عن الانتخابات ، وتحديد موعد لها ، إلى تأجيلها إلى أجل غير مسمى ، ومن كلام عن الحرص على التمسك بالدستور إلى إلغاء هذا الدستور ، ومن بيان بقبول مبدأ وجود الأحزاب إلى مرسوم بحل الأحزاب وينهى دورها نهائياً ، ومن حديث عن ضمانات الحريات إلى هجمة اعتقالات واسعة لكبار السياسيين ،

ومن حديث عن حرية الصحافة إلى رقابة صارمة على كل كلمة تنشر بها ، وكانت النهاية هي السفور عن سلطة الجيش ، وعودة الرقابة على الصحف، وفتح المعتقلات .

وهكذا إذا كان الجيش أنهى ديكتاتورية الملك فقد استبدل بها ديكتاتورية عسكرية كانت أشد قسوة وأوسع نطاقاً (١).

---

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ٢٧٦ وما بعدها .

الثورة ورجال الدين

فى أواخر أغسطس سنة ١٩٥٢ دعا رئيس الوزراء جماعة كبار العلماء للقائه وأبلغهم أن الحكومة ترى أن يُختار شيخ الأزهر بطريق الانتخاب من بين جماعة كبار العلماء تحقيقاً للمطلب الذى أثير منذ سنه ١٩١١ ، ونتيجة لذلك استقال شيخ الأزهر الشيخ عبد المجيد سليم فى ٢ سبتمبر ليفسح الطريق لهذا الاختيار .

ولكن الانتخاب لم يتم أبداً بل عين شيخ للأزهر فى ١٦ سبتمبر هو الشيخ محمد الخضر حسين ، ولا يزال شيخ الأزهر يُعين حتى الآن ، ولم تكن وقفة رئيس الوزراء من شيخ الأزهر إلا مطلعاً لطعن رجال الدين والتسلط على الشئون الإسلامية .

. وفى ٢١ سبتمبر أصدر قائد حركة الجيش قراراً بحل جماعة كبار العلماء نفسها ، وكان ذلك بعد قانون الإصلاح الزراعى باثنى عشر يوماً، وذلك موقف يثير الدهشة والعجب ، ويتساءل الإنسان : هل كان حل مثل هذه الجماعة عاجلاً إلى هذا الحد ؟ حتى يرتبط بالقضاء على ما أسموه إقطاعاً ؟ إن الباحث المدقق يرى فى ذلك إرهاصاً بإذلال رجال الدين والتسلط على أعرق معهد إسلامى وهو الأزهر الشريف .

واكتمل لعبد الناصر التسلط على الأزهر وإضعاف الدراسات الإسلامية به بما يسمى تطوير الأزهر ، وهو القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ويسميه الأزهريون والباحثون المسلمون (قانون التدمير) وسنقوم بعرض هذا القانون ، وبيان عيوبه ، ورأى الأزهريين والباحثين فيه عند الكلام عن أحداث سنة ١٩٦١ .

الدستور

كان إلغاء دستور مصر خاتمة الأعمال التى قامت بها ثورة ٢٣ يوليو فى عامها الأول ، وذلك يوضح خطورة الاتجاهات الثورية التى ألمت بالبلاد فى الشهور الستة التى حكمتها الثورة فى هذا العام ، وقد أعلن إلغاء هذا الدستور فى ١٩٥٢/١٢/١٠م وسنورد فيما يلى دراسة عن الدستور الذى ألغى وعن الحياة الدستورية بوجه عام .

والدستور الذى كان موجوداً عند قيام الثورة هو الدستور الذى صدر فى ١٩ بريل سنة ١٩٢٣ وكان فى هذا الدستور بعض العيوب والثغرات التى خلقت الاضطراب فى الحياة السياسية قبل الثورة ، وأول نقد يوجه لهذا الدستور أنه كان من صنع لجنة اختيرت لهذا العمل ، ومعنى هذا أنه لم يأت وليد جمعية وطنية تعبر عن رأى الأمة ، بل كان من صنع لجنة حكومية ، أو شبه حكومية ، ويفرق فقهاء القانون بين دستور تضعه لجنة وطنية تنتخب انتخابا حرا لهذا الغرض وبين دستور تضعه لجنة يشكلها الحاكم أو الحكومة لتقوم بإعداد اقتراح للدستور ثم يستفتى عليه ، ويرى فقهاء القانون أن الجمعية التأسيسية هى أصلح الحالين ، فالشعب يستطيع أن يختار من يستحقون ثقته لهذا العمل الكبير ، أما الاستفتاء على الدستور فلا يأتى بطائل لأنه يتطلب درجة من الوعى والنضج السياسى لا يصل إليها إلا قلة من الشعوب ، ثم إن الاستفتاء حتى مع النضج الفكرى والسياسى لا يأتى بطائل أيضاً لأنه لا يبيح إلا الرفض أو القبول دون نقاش أو جدل فى مواد الدستور (١) .

وللأسف فإن هذا العيب الذى ارتبط بدستور ١٩٢٣ ظل هو النمط بالنسبة للدساتير التى صدرت بمصر بعد ذلك .

---

(١) دكتور وحيد رأفت : فصول من ثورة يوليو ص ٣٨ و٤٢

ومن عيوب هذا الدستور أنه أعطى للملك حق حل مجلس النواب ، وحق تأجيل انعقاده ، وكان ذلك وسيلة اتبعت عدة مرات منذ مطلع الحياة النيابية فى مصر ضد حزب الأغلبية ، مما دعا بعض الناس إلى وصف الدستور بأنه ثوب فضفاض .

وبجانب هذه العيوب كان فى نصوص دستور ١٩٢٣ مزايا مهمة ، وقد سأل قادة الثورة الأستاذ فتحى رضوان عن رأيه فى هذا الدستور فأجابهم : إنه يعد دستوراً نموذجيا ، فهو يقرر أن الأمة مصدر السلطات ، وأن الملك يملك ولا يحكم ، وأن أوامره المكتوبة والشفوية لاتعفى الوزارة من المسئولية ، وأن المجلس التشريعى يملك إسقاط الوزارة ويملك مساءلة الوزير ، ويملك محاكمة الوزراء ، ولكن الدستور هو الشعب ، فالشعب الذى يفرط فى حقوق نفسه لاينفعه أى دستور مهما كانت الضمانات الموجودة فيه (١) .

ومع ما فى هذا الدستور من عيوب وحسنات فإن الحكومات المختلفة بمصر تصارعت معه ، وبدأ صراعها بعد فترة قصيرة من صدوره ، فقد عطل من أول نوفمبر سنة ١٩٢٤ حتى عام ١٩٢٦ ثم عطل فى يونيو سنة ١٩٢٨ على يد وزارة محمد محمود التى تسمى « اليد الحديدية » ، وظل معطلا حتى أواخر عام ١٩٢٩ ثم ألغى عام ١٩٣٠ واستبدل به دستور إسماعيل صدقى وعاد سنة ١٩٣٥ م ثم اتجه الملك بعد ذلك إلى إبقاء الدستور على أن يكون حبرا على ورق دون ماقيمة أو اعتبار ، فأخذ يقيل الوزارات ، ويوعز بتزييف الانتخابات ، ويحل مجلس النواب ، حتى قامت الثورة .

وقد كان من الممكن أن يملأ هذا الدستور الفراغ بحسن استعماله من جانب أو بإصلاحه وتعديله من جانب آخر ، ولهذا اتجه بعض المفكرين إلى الإبقاء

---

(١) أسرار حكومة يوليوس ١٣٨

عليه وتعديل ما يلزم تعديله فيه ، ولكن اتجاه الثوار كان الراجح وهو ما سنليرسه فيما يلى :

الثوار والدستور :

عن دراستنا لموقف الثوار من الدستور نضع أمامنا مجموعة من صحافة ذلك العهد فهى تحمل اتجاهات هؤلاء الثوار :

— فى يوم ٢٤ يوليوسنة ١٩٥٢ نشرت الصحافة المصرية قول محمد نجيب إنى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش كله أصبح من الآن يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور مجرداً من أية غاية .

— وتكرر حديث الثوار عن احترام الدستور فى مناسبات متعددة ، ومن أجل هذا نجد أنه عندما برزت الاتجاهات للهجوم على الدستور كتب الأستاذ أحمد أبو الفتح فى صحيفة المصرى فى سبتمبر ١٩٥٢ م يعلن أن فرحته بالثورة لم يكن مبعثها عزل الملك ، وإنما كان مبعثها ما أذاعة القائمون بالحركة عن عزمهم على المحافظة على الدستور ، وأضاف قائلا : أستطيع أن أقرر أن فرحتى بعزل الملك استمدت أسبابها من أن فى زواله تمكينا للحياة الدستورية ، واسترداد الشعب لحقوقه .

— حفلت الصحافة منذ أن تولى محمد نجيب رئاسة الوزارة بأقوال تحمل إلحاح سليمان حافظ وشهوته الجامحة ضد الوفد والدستور والأحزاب ، وكان هذا الاتجاه يوافق هوى واضحا فى نفوس أكثر الثوار .

— نشرت صحيفة المصرى فى صفحتها الأولى يوم ١٤ سبتمبر ١٩٥٢ م صورة تمثل جنديا بجوار قبة البرلمان ، وتحتها عبارة « نحن نحمى الدستور » وكانت هذه الصورة قد أصدرتها مجلة التحرير ، ولُصقت على جدران المبانى بمناطق كثيرة بمصر ، وفى منتصف نوفمبر ١٩٥٢ م نزعت هذه الصورة من أمكنتها ، وكان ذلك دليلا على شيء يُراد بالدستور .

— فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٢ نشرت الصحف المصرية أجزاء من محاضرة ألقاها على ماهر جاء فيها قوله : إنه يرجو أن نواجه حياتنا السياسية بدستور يتجنّب تخلف دستور ١٩٢٣ م عن مسايرة الديمقراطية الحرة فى تطورها .

— فى ٢ ديسمبر ١٩٥٢ نشرت صحيفة الأهرام خبرا يقول : إن هناك اتجاهاً إلى وضع دستور جديد تقوم به لجنة من الإخصائيين ، ويستفتى فيه الشعب .

— كان مانشرته صحيفة الأهرام عن الاتجاه لوضع دستور جديد وسيلة للقضاء على الدستور القائم وإعطاء فرصة للثوار ليحكموا بدون دستور ، إذ كانت كلمة الدستور قد أصبحت — كما يقول محمد نجيب — شكّة الدبوس بالنسبة لأعضاء مجلس القيادة ، تثير غضبهم وثورتهم ، وتصوّر الأمور كأنها نهاية حكمهم(١).

ونتيجة لكل هذه الأحداث صدر قرار إلغاء الدستور فى ١٠/١٢/١٩٥٢ ، وقد أعلن محمد نجيب هذا القرار فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وفيه يقول : كان الملك يتخذ من الدستور مطية لأهوائه ، ويجد فيه من الثغرات مايمكنه من ذلك بمعاونة أولئك الذين كانوا يقومون بحكم البلاد . . . والآن أصبح لزاماً أن نغيّر الأوضاع التى كادت تودى بالبلاد ، والتى كان يسندها ذلك الدستور الملىء بالثغرات . . . ولهذا لامناص من أن نستبدل بذلك الدستور دستوراً آخر . . . وها أنذا أعلن باسم الشعب سقوط ذلك الدستور .

وعاشت البلاد فترة بلا دستور ، وفى أثنائها كانت هناك صور من التخدير تنشر من حين إلى آخر عن الدستور الذى يؤمل أن يجىء ، وفيما يلى نماذج من هذا التخدير :

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ٦٧

— نشرت صحيفة المصرى فى ١٩٥٣/٧/٢٣ كلاماً للصاغ خالد محيى الدين يقول فيه : أهدافنا الداخلية هى عودة الحياة الدستورية . وتحقيق العدالة الاجتماعية .

— ونشرت صحيفة المصرى فى ١٩٥٣/٨/٨ تصريحاً لعلى ماهر يقول فيه : أرجو أن تتمكن لجنة الدستور من وضع مشروعه هذا العام .

— ونشرت صحيفة المصرى فى ١٩٥٣/١١/٢٧ خطاباً لعبد الناصر بالاسكندرية جاء فيه :

إننا لم نفكر لحظة واحدة فى الديكتاتورية لأننا لانؤمن بها .

— ونشرت صحيفة المصرى فى ١٩٥٣/١٢/٢٣ تصريحاً للبكباشى جمال عبد الناصر يقول : هدفنا إعادة الحياة النيابية .

— ونشرت صحيفة الأهرام فى ١٩٥٤/٩/٢١ حديثاً لجمال عبد الناصر يذكر أن الثورة ماقامت إلا لتحقيق حياة ديمقراطية على أساس متين .

لجنة لوضع الدستور الجديد :

فى ١٣ يناير سنة ١٩٥٣ صدر مرسوم بتأليف لجنة من خمسين عضواً يمثلون مختلف الاتجاهات والأحزاب والطوائف لوضع مشروع دستور جديد ، ومن بين أعضائه أربعة من الوفديين واثنان من الأحرار الدستوريين ، واثنان من السعديين ، وثلاثة من الإخوان المسلمين ، وثلاثة من الحزب الوطنى ، وثلاثه من رجال القضاء ، وثلاثة من العسكريين ، وبعض أساتذه الجامعات ، وكان من أعضائها كذلك على ماهر ومحمد على علوبة ، ويقول الدكتور وحيد رأفت ، إنه سئل عن استعداده لقبول عضوية هذه اللجنة فوافق ، ولكن سليمان حافظ استبعده ، ويقرر الدكتور وحيد رأفت « أنه لم يندم على ذلك لاعتقاده أنه مهما بذلت اللجنة من جهد

وأصابت من توفيق فإنه لن يكتب لمشروع الدستور الذى تعده أى نجاح مالم تصادف هوى لدى الحكام الجدد ، وإلا فإنه سوف يوضع على الرف وقد تحقق هذا الظن فيا بعد »[١].

وقد طال عمر هذه اللجنة وامتد عملها أكثر من سنتين ونصف سنة فلم تقدم اللجنة مشروع الدستور إلا فى الرابع من أغسطس سنة ١٩٥٤ [٢] وكانت لجنة الثلاثين التى أعدت مشروع الدستور سنة ١٩٢٣ قد انتهت منه فى ستة شهور ، وهذا دعا الأستاذ عبد الرحمن الرافعى أن يجرى مقارنة بين اللجنتين يبرز فيها أن لجنة دستور ١٩٢٣ كانت أقل عددا وأثقل عبئاً لأنها تنشىء دستورا جديدا ، أما لجنة الخمسين فقد كان أمامها الدستور السابق ، وكل ما كانت تحتاجه هو إجراء تعديل فيه ليصبح أقرب إلى الكمال ، ومع هذا فلم تقدم مشروعها إلا بعد مضى عامين ونصف عام من تأليفها [٣] .

وبسبب الاتجاه إلى عدم الحرص على الدستور وعدم الرغبة فى تنشيط اللجنة صدر إعلان دستورى يوضح أن يتولى قادة الثورة أعمال السيادة العليا ، ويتولى قائد الثورة التدابير التى يراها ضرورية لحماية هذه الثورة ، ويمارس حق تعيين الوزراء وعزلهم ، ويتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية كما يتولى مجلس الوزراء والوزراء كل فيما يخصه أعمال السلطة التنفيذية ويتألف من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء مؤتمر ينظر فى السياسة العامة للدولة ، وتكون هناك فترة انتقالية مدتها ثلاث سنوات .

وعاشت البلاد هذه الفترة الانتقالية على هذا البيان الدستورى من ١٦ / ١ / ١٩٥٣ إلى ١٦ / ١ / ١٩٥٦ حيث صدر الدستور المؤقت ،

---

(١) فصول من ثورة يوليو ص ٤٩ .
(٢) الأهرام فى ٥/٨/١٩٥٤
(٣) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ص ٧٢

ويقول أنور السادات لا أعرف لماذا اخترنا أن يكون مؤقتا [1] وقد شمل الدستور الجديد ١٩١ مادة وطُرِح للاستفتاء الشعبي فوافق عليه الشعب فى ٢٣ يونيو سنة ١٩٥٦ وعندما قامت الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير ١٩٥٨ أعلن الدستور المؤقت لهذه الجمهورية فى ٥ مارس سنة ١٩٥٨ م ولما حدث الانفصال صدر إعلان دستورى جديد فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ حكمت به البلاد حوالى العامين ، وفى مارس ١٩٦٤ أعلن دستور آخر ألغى بعض ما جاء فى الإعلان الدستورى السابق ، وأدخلت تعديلات على مواده ، ولم يصدر الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية إلا فى عهد أنور السادات فى ٧١/٩/١١ .

وهكذا يتضح أن الثورات العسكرية لا تحب الدساتير ولا تعلنها إلا لتلغيها، فالتقاليد العسكرية تتنافى مع الديمقراطية ، ومع الدساتير التى تحكم الديمقراطية .

مطالعات فى الدساتير المصرية :

يجدر بنا بعد أن تحدثنا بإيجاز عن الدساتير المصرية التى تعاقبت من دستور ١٩٢٣ إلى الآن أن نورد بعض الملاحظات عن هذه الدساتير من مطالعاتنا لها ، وأول ما نعرض له هو العودة لما سبق أن أوردناه عن عيوب دستور سنة ١٩٢٣ ، فقد ذكرنا فى مطلع كلامنا فى هذا البحث أنه كان من صنع لجنة حكومية ، وليس من صنع جمعية تأسيسية اختارها الشعب ، وأنه أعطى للملك حق حلّ مجلس النواب وحق تأجيل انعقاده ، وحق إقالة الوزارة ، وقد سبّبت هذه العيوب اضطراباً فى الحياة السياسية بمصر ، لأن الملك كان يسىء استعمال هذه الحقوق ليعارض الاتجاهات الشعبية وحكومة الأغلبية ، ومن أجل هذا ذكر القرار الذى صدر بإلغاء الدستور أن الثورة ستضع دستوراً منزهاً عن عيوب الدستور الزائل ، وجاء فى الإعلان الدستورى

---

(١) البحث عن الذات ص ١٦٥ .

أن الثورة ستضع نظاماً دستورياً كامل الأركان . فهل صدق هذا الوعد ؟ تعال بنا لنرى ، وسنعرض دساتير الثورة للدراسة من الزوايا التالية :

أولا : النصوص والواقع :

تقرر المادة الأولى من الإعلان الدستورى الصادر فى ١٠ فبراير سنة ١٩٥٣ أن « جميع السلطات مصدرها الأمة » وقد وردت هذه العبارة أو ما يحمل معناها فى دساتير عبد الناصر ، ولكن لم يكن لها من الناحية الواقعية أى معنى ، فإن دساتير هذا العهد مهما ورد منها من نصوص كانت فى جانب ، وكانت الحياة الواقعية فى جانب مختلف تماماً ، كانت الدساتير تتحدث بشكل ما عن الديمقراطية ، وكان هناك مجلس أمة ، واتحاد قومى أو أشتراكى قيل إن به تتجمع قوى الشعب العامل . . . ولكن كل هذا كان مظهراً وستاراً لا يخفى الدكتاتورية الفرديه الظالمة ، وقد تحدث الرئيس أنور السادات عدة مرات فاعترف بأن النقطة الخاصة بإقامة حكم ديمقراطى سليم بمصر لم تتحقق أبداً قبل عهده .

ثانياً : النظام الرياسى :

فى دستور ١٩٥٦ وهو أول دستور أصدرته الثورة ترد النصوص التالية :

المادة ١١٩ : يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية .

المادة ١٣٩ : رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للقوات المسلحة .

المادة ١٤٣ : رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات ويبلغها لمجلس الأمة .

وقد احتفظت جميع الدساتير التى صدرت بعد ذلك بهذا الاتجاه ، وهو اتجاه خطير لأنه يعطى السلطة لرئيس الجمهورية . وهو بمنأى عن الرقابة والمساءلة البرلمانية ، مما يجعل الرقابة غير ممكنة لقيام الرئيس غير المسئول بوضع الخطة والتنفيذ أو لاشتراكه فى ذلك ، ويتحدث الدكتور وحيد

رأفت عن هذا الاتجاه فيقول(١) . إن جمال عبد الناصر بعد أن تخلص نهائياً من محمد نجيب فى نوفمبر سنة ١٩٥٤ أخذ يتطلع إلى النظام الجمهورى الرياسى دون سائر الأنظمة ليضمن دستورياً أن تظل السلطة كلها مركزة فى يديه ، وانطلاقاً من هذا الفهم والتخطيط صدر أول دستور لجمهورية مصر فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ معلناً النظام الجمهورى الرياسى ، ويلاحظ من مواد هذا الدستور أن نصوصه وأحكامه فصِّلت على حجم جمال عبد الناصر وطموحه ، وزاد هذا النظام رسوخاً فى الدساتير المؤقتة التى جاءت بعد ذلك ؛ فى دستور الوحدة مع سوريا سنة ١٩٥٨ ، ثم فى الاعلان الدستورى الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٦٢ بعد كارثة الانفصال ، وكذلك فى دستور سنة ١٩٦٤ ، واستمر النظام الجمهورى الرياسى ، فأخذ به الدستور الدائم الصادر فى سبتمبر ١٩٧١ .

وقد أثبتت التجربة أن نظام الجمهورية الرياسية فى البلاد الشرقية نظام خطير على الديمقراطية والحريات عموماً ، وأن النظام الجمهورى البرلمانى هو النظام المناسب لمثل هذه الدول ، إذ تكون فيه السلطة التنفيذية قسمة بين رئيسين ، رئيس الدولة الذى يسود ولا يحكم ، وهو بالتالى غير مسئول ، ورئيس الوزراء المسئول سياسياً عن الحكم أمام البرلمان أو المجلس النيابى ففى مثل هذا النظام يمكن تحريك المسئولية السياسية دون حرج ، ولكن النظام الرياسى لا يتيح القدرة على تحريكها ، ما لم يرتكب الرئيس ما يؤخذ عليه جنائياً .

ونجاح النظام الرياسى فى الولايات الأمريكية لا يشجع على إقامة هذا النظام فى الدول النامية ، فهناك شعب واع وانتخابات حرة تماماً تقدم لمجلس النواب ومجلس الشيوخ كفاءات عالية ، وتتيح لمجلس الشيوخ أن يشارك

---

(١) فصول من ثورة يوليو ص ١٩٢ — ١٩٣

رئيس الجمهورية فى بعض صلاحياته التنفيذية . وهناك كذلك صحافة حرة ليس للدولة عليها تأثير ونظام فيدرالى لامركزى يجعل سلطان الحكومة المركزية محدوداً .

وينبغى أن نتذكر القوى الهائلة التى عزلت الرئيس نيكسون وعزلت نائبه قبله ، وأوشكت أن تلقى بالرئيس نيكسون فى غياهب المحاكمات ، لولا قرار العفو الذى أصدره الرئيس فورد ، ومن هنا فالنظام الرياسى إن صلح فى الولايات المتحدة فإنه لايصلح فى الدول النامية .

ثالثاً — استبعاد الاتجاهات الديمقراطية :

وننتقل من النظام الرياسى إلى نقطه أخرى فى نقد دساتير الثورة ، فقد لوحظ فى هذه الدساتير بوجه عام أنها حرصت على إبقاء السلطة فى أيدى الثوار ، ومن هنا استبعدت الاتجاهات الديمقراطية العامة مثل :

١ — تكوين الأحزاب تكويناً حقيقياً نابعاً من رغبة الجماهير .

٢ — انتخابات حرة مباشرة على أن يتولى حزب الأغلبية الحكم :

٣ — صحافة حرة تماماً .

٤ — إطلاق الحريات العامة .

ويقول الأستاذ طارق البشرى(١) : إن التنظيم الدستورى الحقيقى كان شأنه أن يقضى على حركة ٢٣ يوليو ، ولا يبقى شيئاً للضباط الأحرار ، وبخاصة أن محاولة قيام تنظيم شعبى تابع للضباط الأحرار بتكوين هيئة التحرير كانت محاولة فاشلة من أساسها ، لأن القوى الشعبية تبعد عن أى

(١) الديمقراطية والناصرية : ص ١٦

تنظيم سياسى ينشأ فى أحضان السلطة ، وعلى هذا جاءت دساتير الثورة على نحو يضمن السلطة للثوار ، وإن خالف ذلك النظم الديمقراطية المعروفة .

رابعاً — الترشيح للرياسة والاستفتاء :

فى دستور سنة ١٩٥٦ ورد ما يلى :

المادة ١٢١ : يرشح مجلس الأمة بالأغلبية المطلقة لعدد أعضائه رئيس الجمهورية ، ويعرض الترشيح على المواطنين لاستفتائهم فيه ، وورد هذا النص كذلك فى المادة ١٠٢ لدستور سنة ١٩٦٤ .

وهذه الفكرة موضع اعتراض قوى من الوجهة الديمقراطية ، إذ ليس هناك حق الترشيح المطلق والانتخاب المباشر للرئيس ، ثم إن الاستفتاءات تتم بشكل لا يعطى على الإطلاق نتيجة دقيقة ، وقد تكلم الرئيس السادات عن ذلك فوصم الاستفتاءات بأبشع الوصمات :

وإذا أضفنا إلى ذلك أن مدة مجلس الشعب خمس سنوات أى أقصر من مدة رئيس الجمهورية اتضح لنا ما يقوله الأستاذ طارق البشرى[1] من أن « إطالة مدة رئيس الجمهورية ذات أثر لا يخفى فى التأثير على اتجاهات الانتخابات » وقد عبر عبد الناصر عن ذلك أصدق تعبير عندما قال : يرى أعضاء مجلس الأمة أنهم هم الذين أتوا بى للرياسة ، وهذا غير صحيح فإنى أنا الذى أتيتُ بهم لمجلس الأمة . وقد اقتبسنا هذه الكلمات منه فيما سبق »

خامسا — تعيين أعضاء مجلس الشعب :

فى دستور ١٩٥٦ ورد النص التالى :

المادة ١٩٢ : يكوِّن المواطنون اتحاداً قومياً . . . وهو يتولى الترشيح

(١) المرجع السابق ص ٨٤

لعضوية مجلس الأمة ، يكون وتكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية .

واستمرار لهذا النظام جاء فى الإعلان الدستورى الصادر فى يناير ١٩٦٩ ما يلى : يشترط فيمن يرشح لعضوية مجلس الأمة أن يكون عضواً عاملا بالاتحاد الاشتراكى ، وتنقضى العضوية بالنسبة لعضو مجلس الأمة الذى يفقد صفة العضو العامل بالاتحاد الاشتراكى .

وقبل ذلك جاء فى دستور مارس ١٩٥٨ النص التالى :

المادة ١٣ يحدد رئيس الجمهورية عدد أعضاء مجلس الشعب ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية ، ويشترط أن يكون نصفهم على الأقل من بين أعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الأمة المصرى .

ويعتبر ذلك غاية التحكم فى عضو مجلس الشعب ، فهو تارة يعين ، وتارة يعزل إذا فقد عضوية الاتحاد الاشتراكى .

سادسا — جميع السلطات فى يد رئيس الجمهورية :

ذكرت المادة الأولى من الإعلان الدستورى الصادر فى فبراير ٥٣ أن جميع السلطات مصدرها الأمة ثم يعود فى المواد التالية فيضع كل السلطات التشريعية والتنفيذية فى يد مجلس الوزراء ، بل يسحب السلطات القضائية فى كثير من الأحوال بتكوين محاكم عسكرية وبخاصة أن الأحكام العرفية سادت البلاد منذ حريق القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ ، ولم ترفع هذه الأحكام إلا فى يوليو سنة ١٩٥٦ ، وسرعان ما أعيدت فى أكتوبر من نفس العام ، وظلت حتى صدر الدستور المؤقت سنة ١٩٦٤ فرفعت ، وحل محلها قانون تدابير أمن الدولة (رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤) الذى يمنح رئيس الجمهورية فى الظروف العادية سلطات استثنائية ، ثم أعيدت الأحكام العرفية مع حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، وهكذا كانت السلطات التشريعية والتنفيذية

والقضائية تقريباً فى يد رئيس الجمهورية ، كما كان فى يده تكوين (التنظيم الشعبي) وهو تركيز لم يعرفه أى دستور من الدساتير الحقيقية .

الدستور الذى نريده :

وبعد ، إن الدستور الذى نريده ينبغى أن تتوافر فيه الركائز التالية .

١ — يقوم بوضع الدستور جمعية تأسيسية تنتخب انتخابا مباشرا .

٢ — تنبنى فيه الحياة الديمقراطية على أحزاب متعددة نابعة من الشعب ، ولها صحافتها الحرة التى تعبر عن رأيها وتدافع عن اتجاهاتها .

٣ — الحرية المطلقة للكلمة المقولة والكلمة المكتوبة والاجتماعات فى حدود القانون .

٤ — النظام الجمهورى البرلمانى الذى تلقى فيه المسئولية على الحكومة أمام البرلمان ولا يحكم فيه رئيس الجمهورية وبالتالى لا يكون مسئولا .

٥ — ينتخب رئيس الجمهورية بالانتخابات المباشرة من بين من ترشحهم الأحزاب أو يرشحون أنفسهم لهذا المنصب ، وكذلك ينتخب نائب رئيس الجمهورية .

٦ — لا يجدد انتخاب رئيس الجمهورية ما دامت مدة رياسته ست سنوات ، ويمكن جعل مدة الرياسة أربع سنوات وفى هذه الحالة يمكن أن يُجَدَّدَ انتخابه مرة واحدة أخرى . وقد سبق أن ذكرنا أن الرئيس إذا طال مقامه فى مقر الرياسة كان من الممكن أن ينسى زفرات الجماهير وحاجاتهم ، ومن أجل هذا يتحتم تغيير الرئيس من حين إلى آخر ليظل ممثلا لآمال الجماهير وحاجات الشعب .

٧ — لا يجوز لرئيس الجمهورية إقالة حكومة تتمتع بالأغلبية فى مجلس الشعب ولا يجوز له حل مجلس الشعب أو إيقاف جلساته .

٨ ـ المصريون متساوون تماماً فى استحقاقهم لعضوية مجلس الشعب سواء كانوا رجالا أو نساء ، عمالا أو فلاحين ، أو معلمين أو أطباء . . . . ولكل منهم أن يرشح نفسه حسب القانون وللشعب أن يختار ، ويمكن لجماهير الناخبين فى مناطق الريف أن يختاروا فلاحا ، ولجماهير العمال فى المناطق الصناعية أن يختاروا عمالا ، وهكذا ، فالأمر متروك للشعب دون تحديد أية نسبة أو أى عدد لأى طائفة .

كلمات ختامية عن سنة ١٩٥٢

لقد رأينا فى الصفحات السابقة أن الشهور الستة الأولى من حياة الانقلاب كانت شهوراً خطيرة ، ازدحمت بالأعمال والحركات ، ومع هذا لاتزال هناك نقاط حدثت فى هذه الشهور تستحق التدوين ، وسنقوم فيما يلى بالحديث عنها :

قيود على الصحافة :

تعجَّل قادة الثورة فى فرض قيود على الصحافة والتدخل فى حريتها ، وكانت وقفتهم المبكرة جداً مع صحيفة الأهرام المحافظة إنذاراً للجميع ، فقد أنذر الرقيب العسكرى هذه الجريدة فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢ بأنه فى حالة تكرار مخالفة تعليمات الرقابة سيكون الجزاء الحتمى تعطيل الجريدة .

ويبدو أن الأهرام استجابت للإنذار منذ ذلك التاريخ ، أما الصحف التى قاومت بشكل ما فقد عُطلت فعلا وإلى الأبد كصحيفة القاهرة وصحيفة المصرى وغيرهما من الصحف والمجلات .

قانون التطهير :

فى ٤ أغسطس سنة ١٩٥٢ أى بعد حوالى أسبوع من الثورة ، صدر مرسوم بقانون سمِّى « قانون التطهير » ونَص على إنشاء لجان لتطهير الوزارات والمصالح العامة والهيئات التى للحكومة إشراف عليها ، وتكون مهمة هذه اللجان البحث عن الجرائم والمخالفات التى وقعت ، ومحاكمة مرتكبيها ، كما نص على أن الطعون فى قرارات هذه اللجان لاتقبل ..

وقد فتح هذا القانو نأبواباً للقلق والمؤامرات والوساطات والمظالم ، وكان شرّه أضعاف محاسنه إن كانت له محاسن .

فصل الموظفين بغير الطريق التأديبي :

صدر مرسوم فى ١٥ سبتمبر بفصل مجموعة من الموظفين بدون الطريق التأديبي ، وفى ٢٥ سبتمبر أصدر مجلس الوزراء قراراً بفصل عدد كبير من المزظفين .

رئيس وزراء عسكرى :

يقول محمد نجيب عن هذا الحدث : كانت الوزارة التى توليت رئاستها هى أول وزارة يتولاها رجل عسكرى بعد محمود سامى البارودى وأحمد عرابى فى عهد الخديوى توفيق ، وكان هذا يعنى تحولا فى طبيعة الحكم كنت حريصاً فى أعماق على ألا يستمر ، فإنى لم أفكر لحظة فى أن يسحب الجيش السلطة من الشعب (١).

وحديث محمد نجيب السابق فيه دليل على أن الرجل كان مغلوباً على أمره ، وكانت تُسيّره القوى المستترة ، وللأسف عاشت رياسة الوزارة منذ ذلك الوقت حتى نهاية عهد عبد الناصر ، وهى تنتقل من رجل عسكرى إلى آخر فى أغلب الأحوال ، فقد تولاها جمال عبد الناصر ، وعلى صبرى ، وزكريا محيى الدين ، وصدقى سليمان ، وطمع فيها عبد الحكيم عامر كما رأينا من قبل ، وعندما يوضع فى كفة الميزان واحد من هؤلاء ، ويوضع فى الكفة الأخرى واحد من العمالقة الذين كان يُسند لهم هذا المنصب من قبل نحس بالخطر الذى يحيق بالحياة فى مصر نتيجة هذا التصرف الأحمق .

ويصور الأستاذ فتحى رضوان رأيه حول تأليف وزارة عسكرية بقوله:

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ٥٣

قابلنى سليمان حافظ وطلب منى أن أحضر إلى مجلس القيادة عشية ذلك اليوم الذى ألفت فيه وزارة محمد نجيب ، وقال لى : إن الوزارة الجديدة يجرى تشكيلها ، وأنت مدعو للمشاركة فيها ، وقد طلبوا منى أن أتولى رياسة الوزارة ، ولكنى ذكرت لهم أن الوزارة تحتاج شخصية دولية لاشخصية قانونية ، واقترحت محمد نجيب ليكون رئيساً للوزارة .

ويقول فتحى رضوان إننى عندما سمعت ذلك من سليمان حافظ صرخت فيه قائلا : لماذا رشحتَ محمد نجيب ؟ ألا تزال عند فكرة إدخال الضباط الحكومة ؟ فأجاب سليمان حافظ بقوله : محمد نجيب رجل مدنى لماذا تحسبه على العسكريين ؟ ويعلق فتحى رضوان على ذلك بقوله : شعرت بهمٍّ كبير وكدت لا ألبى الدعوة (١) .

ولكن بريق الوزارة يبدو أنه جذب فتحى رضوان إليها ، وجذب هذا معه بعض رفاقه الذين رشحهم هو للوزارة ، وقد ظل فتحى رضوان يتمتع ببريق الوزارة ست سنوات ، فاحتمل مسئولية كل ما جرى خلالها أمام الله وأمام التاريخ .

سليمان حافظ :

أعترف أننا كنا سذّجا عندما فرحنا بعلى ماهر رئيساً للوزارة فى مطلع الانقلاب ، لقد كنا نعتقد أن على ماهر سيجرى انتخاباً كما كان يحدث فى عهد الملك ، وكان هذا لايقوى على تزييف الانتخاب ، وبهذا كانت نتيجة الانتخاب العادل أن يصير الحكم للشعب ولحزب الأغلبية ، ولكن فاتنا أن قادة الانقلاب يريدون أن يحكموا ولهذا عزلوا على ماهر واتجهوا إلى شخص يضم إلى حقد على ماهر شراسة وعنفاً ضد حزب الأغلبية ، وبعداً عن

---

(١) أسرار حكومة يوليو ص ١٤٤ - ١٤٥

طموح على ماهر ، وقد عثروا على سليمان حافظ ، الذى يقول عنه محمد نجيب بعد أن اختير واجهة" لرياسة الوزارة : إننى لم أرشح أحداً لتولى الوزارة ولكننا أخذنا سليمان حافظ نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية ، وكان مرتبطاً بأفكار الحزب الوطنى فرشح معظم الوزراء الذين ضمتهم الوزارة ، ولم تضمّ الوزارة أحداً من رجال الأحزاب القديمة ، وإنما ضمت عدداً من المنتمين لمبادىء الحزب الوطنى وعدداً من المستقلين واثنين من الإخوان المسلمين (١) .

ولنسر خطوات مع سليمان حافظ لنرى اتجاهات الرجل الذى كان وسيلة شر ، ولكن الشر بعد أن تمكن انقلب عليه :

رجل قانون يصبح نائباً لرئيس الوزراء العسكرى ووزيراً للداخلية ، فتصبح له بحكم هذه المناصب سلطات ضخمه ،إذ يستطيع — بحكم تخصصه القانونى—أن يقترح على رئيس الوزراء العسكرى ما يشاء من قوانين ، ثم — بحكم أنه وزير داخلية — يستطيع أن يباشر تنفيذ هذه القوانين ، وبهذا أصبح سليمان حافظ سلطة هائلة ، وإننا لهذا نتساءل : هل كان هذا الرجل جديراً بحمل هذه الأمانة ؟ تعالى بنا نرى ما يقوله عنه أعرف الناس به : يقول محمد نجيب :

— اقترح سليمان حافظ قانون تنظيم الأحزاب ، وعارضه السنهورى معارضة شديدة ، ولكن سليمان حافظ أوضح له أن الأحزاب قد فسدت بما يفسد المعنى الحقيقى للديمقراطية .

— أوجد سليمان حافظ مخرجاً لإخراج الإخوان المسلمين من أن ينطبق عليهم قانون الأحزاب .

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ٥٣ .

— اعترض سليمان حافظ على شخص النحاس باشا ، ومن الذى يستطيع أن ينتزع النحاس باشا من قلوب الناس ؟

— أعد سليمان حافظ عدة تشريعات منافية للديمقراطية ؛ إذ قرر حق إقالة الموظفين من غير الطريق التأديبى ، وحرمان رجال القضاء المعزولين من معاشهم أو مكافأتهم ، وإحالة جرائم الإصلاح الزراعى للمحاكم العسكرية ، ورفع عقوبة الإشاعات من جنحة إلى جناية[1] وقد عُرِفت هذه الأشياء آنذاك بأنها تقنين للمظالم .

ويقول الأستاذ أحمد حمروش[2]:

قام سليمان حافظ بدور تخريبى لهدم الوفد ، واعترض على الرياسة الشرفيَّة للنحاس باشا ، وكان هذا — مع إغراء السلطة — سبباً فى التحول إلى الحكم العسكرى .

وعندما مكن سليمان حافظ الأمر لقادة الانقلاب انقلبوا عليه ، فاستقال من مناصبه الوزارية فى ١٩٥٣/٦/١٩ ولكن عرفانهم بصنائعه دفعهم لتعيينه فى نفس التاريخ مستشاراً قانونياً لرئيس الجمهورية بمرتب قدره ٣٠٠٠ جنيه سنوياً[3] ، ولكن مجلس الوزراء العسكرى برياسة عبد الناصر قرر إقالته فى ١٩٥٤/٤/١٧[4].

وذهب الرجل غير مأسوف عليه ، وقد ظهر له فيما بعد أنه خدع فى عبد الناصر ، فراح يعلن إبان حرب ١٩٥٦ أن العلاج فى أن يختفى

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢
(٢) قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ٢٧٠ — ٢٧١
(٣) الأهرام فى ١٩ يونيو سنة ١٩٥٣ .
(٤) صحيفة المصرى ١٨ — ٤ — ١٩٥٤

جمال عبد الناصر من الساحة لأنه مكروه من الشعب ، وقد سبق أن اقتبسنا كلامه ونحن نتكلم عن قادة الانقلاب ، ولكنه الآن كان يتكلم ولا نفوذ له ، فكان كلامه صيحة فى واد .

أخبار اليوم والوقيعة بين الجيش والوفد :

لقد كان إبعاد الوفد ضرورياً ليتمكن قادة الانقلاب من السلطة ، ولذلك اتخذ هؤلاء وسائل أكثر بمراحل من تلك التى اتخذها الملك من قبل لإبعاد الوفد ، وقد صرح الرئيس أنور السادات عدة مرات بأن الديمقراطية لم تباشرَ قط طيلة السنوات التى سبقت عهده ، وبانعدام الديمقراطية والقبض على زعماء الوفد ، وحل الأحزاب ونهاية الدستور . . . كانت العلاقة قد وصلت بين الوفد وبين الثوار إلى نهاية السوء .

وقد كان الوفد هو الممثل الحقيقى للشعب ، وكان أقرب الأحزاب للعدالة الاجتماعية فهو الذى قرر مبدأ الضريبة التصاعدية ، وفى الوزارة الوفدية الأخيرة ضاعف الضرائب على كبار الملاك بما فيها الضرائب العقارية لتزيد ١٠٠٪ ووصل فى ضرائب الشركات إلى فرض ضريبة تصل إلى ٩٠٪ من الأرباح فى الشرائح المرتفعة(١).

ولكن طمع قادة الانقلاب فى السلطة جعلهم يحاولون الهجوم على الوفد فهو أكبر عقبة فى طريقهم ، وقد اعتمدوا فى ذلك اعتماداً كبيراً على صحافة أخبار اليوم التى كانت تمثل صحافة الإثارة ، وقد حاربت هذه الصحافة الوفد قبل الثورة واتخذت جانب الملك ، فلما سقط الملك اتخذت هذه الصحافة جانب الضباط لتثيرهم على الوفد ، ذلك الحزب الذى ينتمى إليه معظم أبناء الطبقة الوسطى التى انبثق منها الضباط الأحرار كما يقول أحمد حروش(٢) .

---

(١) انظر قصة ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ أحمد حروش ص ٢٦١

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٢

ومن المواقف التى تذكر فى هذا المجال أن فؤاد سراج الدين السكرتير العام لحزب الوفد كان قد اجتمع ذات مساء بقادة الثورة للمناقشة فى الأمور الوطنية ، وقد طال الاجتماع من الخامسة مساء حتى بعد منتصف الليل ، وانفض الاجتماع وطلب صلاح سالم من فؤاد سراج الدين أن يجتمع بهم مرة كل أسبوع ، وطلب منه جمال عبد الناصر أن يبقى بالقاهرة ليكون على مقربة منهم ، وحدد موعد للقاء التالى بعد أسبوع ، وفى اليوم المحدد للقاء نشر مصطفى أمين فى « آخر لحظة » أن فؤاد سراج الدين صرح بأنه وضع ضباط القيادة فى جيبه . وكانت هذه العبارة مفتراة ، ولكن ماإن نشرت هذه العبارة حتى صـــدرت الأوامر بإلغاء اجتماع ضباط القيادة بسراج الدين[1]

على أن هذه الوقيعة إن باعدت بين قادة الانقلاب وبين الوفد ، فإن ما لاقاه مصطفى أمين من قادة الانقلاب كان أقسى وأمرّ مما لاقاه سواه ؛ والعدالة الإلهية تثأر للناس إذا عجز المظلوم أن يقتص لنفسه .

سيد مرعى والثورة :

كان أحمد مرعى والد المهندس سيد مرعى وفدياً قريب الصلة بالزعيم سعد زغلول ، وانتقل ابنه المهندس سيد مرعى ليصبح من أقطاب الحزب السعدى ولكن عندما جاءت الثورة سرعان ما استدار ليصبح بطلاً يعتمد عليه قادتها ، فقد كان فى قمة الجهاز التنفيذى لقانون الإصلاح الزراعى منذ سنة ١٩٥٢ ثم أصبح وزيراً للزراعة ، فنائباً لرئيس الوزراء ، فالمسئول عن

---

(١) صلاح الشاهد : ذكرياتى فى عهدين ص ١٥٠ - ١٥١

التنمية الزراعية بمصر ، فأميناً عاماً للاتحاد الاشتراكى ، فرئيساً لمجلس الشعب.

وأمثاله كثيرون وبخاصة من الحزب الوطنى ؛ وهى قدرة عظيمة أن يغير الإنسان جلده تبعاً للظروف :

حكاية النصف فى المائة :

هناك تعبير سمعناه مئات المرات من جمال عبد الناصر ، وكان يتغنى به ، وهو أن عهد ماقبل الثورة كان عهد النصف فى المائة ، أى كان هناك أغنياء قلائل وكثرة جائعة ، فماذا حدث بعد الثورة ؟

الإجابة نأخذها من كلام عبد الناصر نفسه ، فقد سئل عن السبب فى اهتمامه بالتأميم وتحديد الحد الأقصى للدخل فقال : لابدّ من ذلك ، فقد كان عندى ١٠ أو ١٢ مليونيرا فأصبحوا الآن ٣٠٠ أو ٤٠٠(١).

ربما تسألنى : من هم هؤلاء المليونيرات الجدد ؟

وأقول إنهم أمثال على شفيق زوج الفنانة مها صبرى الذى وجدوا معه مليون جنيه نقداً سائلاً فى شقته التى وجد قتيلا بها بلندن ، بخلاف الملايين التى كانت مودعة فى البنوك ؛ وعلى شفيق ضابط من الدرجة الثالثة أو الرابعة ، فما بالك بسواه ؟

ويقول محمد حسنين هيكل إن تقرير الخبراء يذكر أن فى مصر الآن خمسمائة مليونير ، وأن هذه الطبقة الجديدة تضغط ضغطا فاحشاً على الاستهلاك إلى حد البذاءة ، وهذه الطبقة لا يمكن ائتمانها على قضية من قضايا العمل الوطنى ولا على التراب الوطنى ، ولا مؤتمنة على قضية التحول الاجتماعى ، وليست لها فى مصر إلا أنابيب تتسرب منها الثروة وتتدفق أولاً بأول خارج مصر ، بل إن هذه الطبقة فى معظم الأحيان واجهة أو وكالة لمصالح أجنبية

---

(١) أحمد حمروش : عبد الناصر والعرب ص ٧٥.

تعمل خارج مصر ، وليس لها همٌّ إلا أن تشفط ما تستطيع أن تصل إليه فى مصر [1].

وهذا هو الـ ½ فى المائة زاد زيادة كبيرة فى عهد الثورة ، أما الفقر المدقع فلا زال يسيطر على الغالبية العظمى فى القرى وفى الأحياء التى يسمونها « الأحياء الوطنية » بالمدن ، وهذه وتلك لم تر النور ولا الإصلاح طيلة عهد عبد الناصر .

المحاكم والمحاكمات :

عَرَفَ عهد الثورة محاكمات ابتدأت من عام ١٩٥٢ واستمرت بما تحمل من إرهاب وذعر حتى نهاية عهد عبد الناصر ، وكانت أسماؤها مختلفة مثل محكمة الغدر ، ومحكمة الثورة ، ومحكمة الشعب ، ومحاكم الدجوى ، ولنا مع المحاكم دراسات فى عهد عبد الناصر ، لأن ارتباطها بعهد عبد الناصر أقوى من ارتباطها بعهد نجيب .

عبد الرحمن عزام :

فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ أبعد عبد الرحمن عزام عن منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية ، وخسرت مصر شخصية عظيمة ، واسعة الفكر ، عميقة الجهاد ، لها مكانتها فى العالم العربى كله :

ولعبد الرحمن عزام مكان مرموق فى خدمة الحركات العربية والحركات الإسلامية ، فقد التحق بالجيش العثمانى فى حرب البلقان سنة ١٩١٣ واشترك فى المعارك ضد الطليان بالصحراء الغربية (١٩١٥ — ١٩١٧) وانضم للحركة الوطنية بزعامة سعد زغلول ، ودافع بقوة عن قضية فلسطين :

---

(١) محمد حسنين هيكل : لمصر لا لعبد الناصر ص ٥٤ — ٥٥

وبعد إبعاده عن جامعة الدول العربية عمل مستشارا سياسيا للمملكة العربية السعودية .

الضباط والدراسات العليا :

وصل طموح الضباط إلى أن يحصلوا على درجات الدكتوراه ، ليستطيعوا بها أن يدخلوا ضمن هيئات التدريس بالجامعات وهى الهيئات التى استعصت عليهم لعدم حصولهم على هذه الدرجات العلمية ، وتيسيرا لهذا الهدف تقرر فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٢ قبول ضباط أركان الحرب للدراسة بمعهد فتح حديثا هو معهد العلوم السياسية .

وبطريق أو بآخر حصل بعض الضباط على درجة الدكتوراه ، وكان لهم أن يدخلوا هيئات التدريس بالجامعات ، ولكن كيف لهم أن يقنعوا بالمرتب الهزيل الذى يتقاضاه المدرسون بالجامعة وبالجهد المستمر فى إلقاء المحاضرات وكتابة البحوث حيث لا يرقى أحد إلى الدرجة الأعلى فى هيئات التدريس إلا بالانتاج العلمى .

وآثر هؤلاء الدكاترة أن يصبحوا وزراء أو فى درجة الوزراء وكان لهم ما أرادوا .

الضباط وسن الإحالة إلى المعاش :

فى ١٨ ديسمبر ١٩٥٢صدر قانون باستثناء السفراء من سن الإحالة إلى المعاش وكان واضحا من ذلك القانون أن ييسر لبعض الضباط الذين نقلوا لوزارة الخارجية أن ينعموا بهذا المنصب دون الخضوع للسن .

معونة الشتاء و قطار الرحمة :

شهدت سنة ١٩٥٢ والسنون التالية لها بدعة سميت « معونة الشتاء » وبدعة أخرى سميت « قطار الرحمة » والعجيب أن دار الرياسة وجدت وقتاً

لتشرف على هذا العمل ، ولتتلقى دفعات الملابس والأغطية التى كان المواطنون يتبرعون بها ، كما قامت سيارات الجيش بجمع تبرعات من الأحياء .

وقد التصقت بهذه الفكرة شبهات مريرة تكلم عنها محمد نجيب نفسه فقد كانت المصانع تُرْغَم على التبرع ثم تختفى هذه التبرعات ، وكانت الفنانات ضمن من يركب قطار الرحمة باسم الاستجداء فاختلط بذلك الخير بالشر[1] .

(١) انظر صحافة ١٩/١١/٥٢ و ٢٥/١١ و ٢٩/١١ و ٧/١٢/١٩٥٢

حوادث سنة ١٩٥٣

مقـــدمة

دخلت سنة ١٩٥٣ والبلاد غارقة فى الأحداث التى خلّفها العام السابق، وتحفل مذكراتى التى دونتها فى عام ١٩٥٣ بمجموعة من الأحداث الضخمة ، ولكن بعضها أحداث امتدت إلى عصر عبد الناصر وكانت أكثر ارتباطا به ، ولهذا سنؤجل دراستنا لها إلى عهد عبدالناصر ، وهذه الأحداث هى :

١ ـ المحاكمات ، والمعتقلات ، والقهر ، والإذلال ، وصدام زعماء الانقلاب مع القوى الوطنية ، فقد كانت هذه الإجراءات هى طابع عبد الناصر وأخلاقه كما ذكرنا من قبل .

٢ ـ الإخوان المسلمون ومشكلاتهم مع الثورة ، فهذه المشكلات أكثر ارتباطاً بشخصية عبد الناصر وعهده .

٣ ـ ظهور كتاب فلسفة الثورة ، وهو كتاب يوضح أطماع عبد الناصر واتجاهاته .

٤ ـ قيام هيئة التحرير . وهى مؤسسة سياسية ناصرية مائة فى المائة

أما الأحداث التى وقعت سنه ١٩٥٣ ويمكن أن نتحدث عنها هنا ، فهى :

١ ـ اتفاقية السودان .

٢ ـ نهاية الملكية وإعلان الجمهورية .

وسنتحدث عن كل منهما فيما يلى :

اتفاقيــــة السودان

عند الحديث عن اتفاقية السودان التى وقعت فى ١٩٥٣/١/١٢ يجدر بنا أن نمهد لهذا الحديث بالكلام عن نقطتين مهمتين هما :

أولاً : صلة مصر بالسودان طبيعياً وسياسياً وحضارياً .

ثانياً : الاتجاهات قبل الثورة عن الصخرة التى كانت تتحطم عليها المفاوضات بين مصر وبريطانيا .

مصر والسودان :

إن الحديث عن مصر والسودان قد أوردت جانبه التاريخى والحضارى فى الجزء السادس من هذه الموسوعة ، كما تحدثت عن الروابط النفسية والعاطفية فى الجزء التاسع من موسوعة الحضارة الإسلامية « رحلة حياة » وخلاصة ما ذكرته أن السودان بمساحته الحالية التى تشمل السودان الشمالى ومنطقة كسلا ، والنيل الأزرق ، والنيل الأبيض ، وكردفان ، ودارفور وأعالى النيل ، وبحر الغزال ، ومديرية خط الاستواء ، هذا السودان بهذه المساحة وهذا التجمع هو من صنع مصر ، فقد كانت دولة الفونج (دولة سنار) أول دولة إسلامية تحل سنة ١٥٠٥ محل الدولتين المسيحيتين : مقرة وعلوة ، واستطاعت دولة الفونج أن تمد نفوذها فقط إلى البجة وإلى كردفان أحياناً ، ثم إن دولة الفونج تغلبت عليها قوى (الهمج) الذين أخذوا هذه التسمية بسبب كثرة انقسامهم على أنفسهم ، واستعانة كل فريق منهم ضد الآخر بأعداء يكرهون المستعدِى والمستعدَى عليه ، فتفككت البلاد واضطرب أمرها ، وفى هذا الجو زحف محمد على إلى السودان سنة ١٨٢١ م .

وكان زحف محمد على إلى السودان إعادة للرباط المقدس بين مصر والسودان ، ذلك الرباط الذى حرص عليه حكام مصر جميعاً قبل الإسلام وبعده ، لاعتقادهم أن حوض النيل يكوّن وحدة ذات عناصر مشتركة اقتصادياً وجغرافياً ، ولأن سكان الوادى يكوّنون وحدة سكانية لا تختلف فى شيء إلا بتطور طبيعى فى اللون يبرز للباحث من شقرة تقريباً عند رشيد ودمياط واتجاه بطيء للسمرة حتى أعالى النيل ولكن الدم كان واحداً ، كما كان التأثر اللغوى والدينى واحدا هنا وهناك ، والذى يقرأ كتاب تاريخ ملوك السودان للشيخ أحمد كاتب الشونة وزملائه يجده يفصّل القول عن الحفاوة والترحيب اللذين لاقاهما الزحف المصرى من الأمراء والعلماء والقبائل بالسودان (١) فكأنما كان الزحف عودة غريب إلى داره .

وقد استطاع الزحف الذى بدأ فى عهد محمد على أن يضم بلاد الفونج حتى بربر وشندى وسنار ، ثم استطاع محمد الدفتردار أن يفتح كردفان ، وكانت آنذاك تدين بالطاعة لملوك دارفور فى الغرب .

وفى عهد الخديوى اسماعيل تمّ فتح دارفور وضمها إلى السودان ، واستمر الزحف المصرى فضم منطقة بحر الغزال ومنطقة خط الاستواء ، ورغبةً فى أن يتم اتصال بين مناطق خط الاستواء وبين مصر عن طريق البحر الأحمر تمت مفاوضات مع ملك أوغندا الذى قبل أن يرفع علم مصر على مملكته ؛ وأن يعلن تبعيته لمصر ، كما أبدى رغبته فى تعلم الدين الإسلامى(٢) .

وهذا يوضح أن امتدادات السودان من الشمال إلى هذه المناطق التى سبق الحديث عنها تمّ فى عهد اسماعيل فأصبح السودان وحدة سياسية ضخمة

---

(١) تاريخ ملوك السودان ص ٢٢
(٢) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل حـ ١ ص ١١٤ وما بعدها

تمتد من ساحل البحر الأحمر إلى وادای وتمتد جنوباً فتشمل منطقة خط الاستواء وأصبح السودان مع مصر يكوّنان امبراطورية ضخمة فى إفريقية ، وقد أجريت بهذه الإمبراطورية تحسينات واسعة فى المواصلات البرقية لربط أجزائها بعضها ببعض .

ويصور مؤرخ السودان الشيخ أحمد كاتب الشونة وزملاؤه ما قدمته مصر للسودان تصويراً دقيقاً ، فيتحدث بالثناء والتقدير عن بعض الأعمال المصرية بالسودان كبناء المساجد وحسن السيرة ونشر العلم وتقريب العلماء ، وزيادة العمارة ، وحسن السياسة ، ونشر الأمن ، وإزالة الفتن ، والمشورة(١) .

بريطانيا والسودان والصخرة أمام المفاوضات :

عندما احتلت بريطانيا مصر ١٨٨٢ بذلت جهداً كبيراً لتسحب مصر جيوشها من السودان ، ولم تكن مصر تحت الاحتلال بقادرة على رفض الخضوع للرغبة البريطانية ، وما إن تم سحب الجيوش المصرية من السودان حتى وضعت بريطانيا الخطط من جديد لتعود إلى السودان باسم مصر ، وما إن تم ذلك سنة ١٨٩٩ حتى أعلنت أنها شريكة فى الفتح ، فأصبح السودان تابعاً لحكم ثنائى من الناحية القانونية ولحكم بريطانى من الناحية الواقعية ، وانتهزت بريطانيا فرصة قتل السير لى ستاك بالقاهرة سنة ١٩٢٤ فطالبت بإجلاء القوات المصرية عن السودان ، وإجلاء المدرسين والإداريين المصريين ، وتمّ لها ما أردات .

وأعادت معاهدة سنة ١٩٣٦ لمصر بعض حقوقها فى السودان ، ومنذ هذه المعاهدة دارات مفاوضات بين الجانب المصرى والجانب البريطانى لتحديد العلاقات السياسية بين الدولتين ، وكان السودان يعتبر الصخرة

---

(١) تاريخ ملوك السودان ص ٢٨ — ٣١

التى تتحطم عليها هذه المفاوضات إذ اهتم المفاوضون المصريون على اختلاف أحزابهم بالوحدة بين مصر والسودان ، وكانت بريطانيا تعارض هـذه الوحدة دائماً ، وتنادى بأن يكون للسودانيين « حق تقرير المصير » وكان الاتجاه المصرى يرى أن الوحدة هى رأى السودانيين والمصريين إذا بعدت المؤثرات الأجنبية عنهم ، فليس السودان وليست مصر إلا جزءاً من دولة واحدة ، وكل محاولة لفرض التفريق باسم تقرير المصير لابد أن تكون مرفوضة[1] ، وكان الاتجاه المصرى يرى أن الوحدة بين مصر والسودان كالوحدة بين السودان الشمالى والسودان الجنوبى ، فكما لا يقبل السودان الشمالى نزعات التجزئة ، ويقاوم كل اتجاه لعزل جنوب السودان عن شماله ، فكذلك كانت مصر ترى الوحدة بينها وبين السودان ، ويقول الدكتور وحيد رأفت إن المفاوض المصرى كان لا يجد أن من حقه أن يفرط فى الحقوق التاريخية والقانونية التى تربط مصر بالسودان ، ولا كان شعوره الدفين المرتبط بأعماق التاريخ والمغلف بالحجج والأسانيد القانونية يطاوعه على مثل هذا التفريط[2] .

وعلى هـذا تأخر استقلال مصر بسبب قضية السودان ، فلم تكن بريطانيا إلا طارئاً دخل على حياة دولة وادى النيل بسبب الزحف الاستعمارى الذى بدأ بمصر ، ثم امتد إلى السودان ، وعليها أن ترحل دون أن تتخذ تعبيراً مثل « تقرير المصير » وسيلة لمد نفوذها فى السودان .

ضباط ٢٣ يوليو والسودان :

جاءت ثورة ٢٣ يوليو ، وسرعان ما أعلنت عن منهج جديد فى قضية السودان ، ذلك هو المنهج الذى كانت تقول به بريطانيا وتهيئ له ، وهو

---

(١) اقرأ تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية لشفيق غربال
(٢) فصول من ثورة يوليو ص ٢١٦

حق تقرير المصير وخُدع الضباط بمظهر كان واضحاً وهو الارتباط الطبيعى بين شعب وادى النيل فى الشمال والجنوب ، فعند ما يُطلَب للسودانيين أن يقرروا مصيرهم سيعلنون الارتباط بمصر بصورة من الصور ، وقد اتضحت هذه الحقيقة من بعض الاتصـــالات والاختبارات ، ولـكن فات الذين خُدِعوا بها أن الحـكم البريطانى الذى بدأ بالسودان سنة ١٨٩٩ كان قد كوّن له أنصاراً ودعاة يواجه بهم الارتباط بمصر ، وكان من الذكاء أن نشاط هؤلاء اختفى حتّى قبلت مصر مبدأ تقرير المصير ، ثم أعلن هؤلاء عن هويتهم بصراحة ، وساعدتهم ظروف مختلفة فتقرر استقلال السودان عن مصر ، ولنعد للمسألة من أولها :

يقول عبد اللطيف البغدادى(١) : رأى المجلس قبل أن يبدأ المفاوضات مع بريطانيا من أجل إجلاء قواتهم عن مصر ، أن يفصل أولا مشكلة السودان عن مشكلة الجلاء ، وأن يوافق على حق الشعب السودانى فى تقرير مصيره إما بالاستقلال وإما بالاتحاد مع مصر ، وبدأ المجلس بإجراء اتصالات مع الزعماء السودانيين للاتفاق معهم على هذا الأساس ، وكان طبيعياً أن يقبل جميع الزعماء هذا الاقتراح أساساً للمفاوضة مع بريطانيا .

وهناك خطوة أخرى فى هذا المجال توصلت لها حركة الضباط ، وهى توحيد الأحزاب السودانية (فيما عدا حزب الأمة) ليشكـل منها حزب واحد هو الحزب الوطنى الاتحادى ، على أن يكون اسماعيل الأزهرى رئيساً له ، ومحمد نور الدين نائباً للرئيس ، وتم ذلك الاتفاق فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٢ ، وفى ضوئه وبعد موافقة حزب الأمة على أساس المفاوضات مع بريطانيا ، بدأت هذه المفاوضات فى يناير سنة ١٩٥٣ ، وسرعان ما تم الاتفاق بين مصر وبريطانيا، لاتحاد وجهتى النظر المصرية والبريطانية حول

---

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٧٤

مستقبل السودان ، فوقعت المعاهدة فى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ بعد أقصر مفاوضة فى هذا المجال .

خلاصة الاتفاقية :

تشمل هذه الاتفاقية خمس عشرة مادة ، ومن أهم موادها ما يلى :

— الاحتفاظ بوحدة السودان شماله وجنوبه بوصفه إقليماً واحداً وبحظر على الحاكم العام ممارسة السلطات المخولة له على أية صورة تتعارض مع هذا المبدأ .

— تحديد فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات لإنهاء الإدارة الثنائية ، وفى خلال هذه الفترة يمارس الحاكم العام البريطانى سلطاته الدستورية ولكن بمعاونة لجنة خماسية تشكل من اثنين من السودانيين يتم تعيينهما من البرلمان السـودانى عند انتخابه ، وعضو مصرى ، وعضو بريطانى ، وعضو باكستانى ، ترشح كلا منهم حكومته .

— يتم انتخاب برلمان سودانى تشرف على انتخابه لجنة من سبعة أعضاء ثلاثة منهم من السودانيين يعينهم الحاكم العام بموافقة لجنته الخماسية وعضو مصرى وعضو بريطانى وعضو أمريكى وعضو هندى تكون له الرياسة .

— تشكيل لجنة للسودنة لتهيئة الجو الحر المحايد اللازم لتقرير المصير ، وتؤلف من مصرى وبريطانى ترشح كلا منهما حكومته ومن ثلاثة من السودانيين يختارهم الحاكم العام ولجنته من قائمة تتضمن خمسة أسماء يرشحهم رئيس وزراء السودان .

— عند البدء فى اتخاذ التدابير الخاصة بتقرير المصير تضع الحكومة السودانية مشروعاً بقانون لانتخاب جمعية تأسيسية كما تطلب انسحاب القوات العسكرية المصرية والبريطانية من السودان تمهيداً لتقرير المصير ، وتختار الجمعية التأسيسية الارتباط بمصر أو الاستقلال .

صلاح سالم والسودان :

كان صلاح سالم بطل هذه الاتفاقية ، وهذا يدعونا للتساؤل : ما المؤهلات التى وضعت صلاح سالم لممارسة هذا العمل الخطير ؟ وماذا كانت النتائج لذلك ؟

قد يخطر بالبال أن صلاح سالم كانت له صلة فكرية بالسودان ومشكلاته وشعبه ، ولكنه يجيب عن هذا السؤال بقوله :

لم أقرأ فى حياتى قبل ٢٣ يوليو عن السودان سوى النزر اليسير ، لم أقرأ سوى كتابين أحدهما استخفنى عنوانه عن الصيد والمغامرات ، والثانى عنوانه (حب النهر) ، ولم يكن لى صديق سودانى واحد يحدثنى وأتحدث معه فى شئون بلاده وأهله .

وارتبط صلاح سالم بقضية السودان مصادفة وعن غير قصد ، فقد كان مكلفاً بشئون الجيش فى بداية الثورة هو والصاغ عبد الحكيم عامر بجوار محمد نجيب ، وتصادف أن تلقى صلاح سالم مكالمة من البكباشى عبد الفتاح حسن الياور المصرى للحاكم العام فى الخرطوم يبلغه فيها أن بعض الجنود السودانيين الذين كانوا جنوداً بمصر وسرّحوا ، يشكون من عدم صرف مكافأة ترك الخدمة لهم . ولم يكن لهم حق قانونى فى مكافأة ، ولكن صلاح سالم أصدر قراره بصرفها(١)

وكانت هذه المصادفة كافية ليتولى صلاح سالم شئون السودان !!!

مراحل التنفيذ ومراحل الاخطاء :

خطت المرحلة الأولى بنجاح ، فعندما أجريت الانتخابات البرلمانية فى السودان وأعلنت نتائجها يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٣ ظهر أن الحزب

---

(١) أحمد حمروش : عبد الناصر والعرب ص ٣٠٤

الاتحادى قد فاز فوزاً عظيماً على سواه ، إذ حصل على ٥٤ مقعداً وحصل حزب الأمة على عشرين مقعداً وحصل المستقلون على ١٢ مقعداً ، وحصل الحزب الجمهورى على ٤ مقاعد ، وسرعان ما أعلن الحزب الجمهورى انضمامه إلى الحزب الاتحادى ، وألف إسماعيل الأزهرى أول وزارة بالسودان وافتتح البرلمان فى مارس سنة ١٩٥٤ . ومن الواضح أن النجاح فى هذه الخطوة كان بدافع الارتباط العام التاريخى بين مصر والسودان .

وبدأت مراحل الأخطاء وتسلسلت فرجحت كفة الانفصال وأصبح الحزب الاتحادى نفسه فى قائمة الأحزاب التى تنادى بالاستقلال . وفيما يلى خطوات هذه الأخطاء التى أدت إلى الفصل بين مصر والسودان .

١ — كان نجاح الحزب الوطنى الاتحادى فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٥٣ كما ذكرنا آنفاً ، وما إن فرحت البلاد بهذا الحدث حتى ظهر ما كان خافياً من صراع فى مجلس الثورة ضد محمد نجيب ، ذلك الصراع المعروف بأزمة فبراير ومارس سنة ١٩٥٤ والذى سنتحدث عنه فى حينه ؛ وكان محمد نجيب عاملاً مهماً من عوامل الربط بين مصر والســودان لعمق صلته بالسودانيين ولطول عمله هناك ، ومن هنا كان الصراع ضده قضاء على الوحدة التى كان هو رمزاً من رموزها ، وهو يقول فى ذلك « كان توقيع قرار تنحيتى من رياسة الجمهورية يساوى تماماً توقيع القرار لانفصال السودان عن مصر »[١] .

وينقل محمد نجيب عن كثير من السودانيين سئلوا عن سبب تدهور العلاقات مع مصر فأجابوا فى كلمة واحدة إن السبب هو « نجيب » ولما قيل لهم إن نجيب فرد زائل ورابطة السودان بمصر خالدة ، كان الجواب إن شعب السودان قد جعل من محمد نجيب فى هذه الفترة رمزاً للوحدة ، وقد

---

(٢) كلمتى للتاريخ ص ١٥٤

حطمت القيادةُ هذا الرمز[١]. واعتقادى أن محمد نجيب بالغ فى تقدير نفسه ، وأنه لم يكن إلا سبباً واحداً من أسباب عديدة ستظهر فيما يلى .

٢ - كان صلاح سالم - كما يقول أحمد حمروش[٢] - قد اتبع فى سياسته بالسودان أسلوباً يخرب علاقات القوى السياسية ، ويمزق صلابة الأفراد ، إذ استخدم الأموال والرشوة وسيلة للإقناع واجتذاب زعماء القبائل والطوائف والأحزاب ، وهى وسيلة شديدة الخطر .

ويوضح عبد اللطيف البغدادى خطر الرشوة التى قدمها صلاح سالم بقوله : إن قيام مصر برشوة كثير من السياسيين السودانيين والمشتغلين هناك كان له أثر سيئ على أغلبية أفراد الشعب السودانى ، حتى أصبح الشك يتناول كل شخص يتعاون مع مصر لاعتقادهم أن وراء هذا التعاون رشوة حصل عليها من مصر ، وهذه الصورة السيئة جعلت الكثيرين ممن يؤمنون بالاتحاد مع مصر يبتعدون عن التعاون معها درءاً لهذا الشك[٣] .

٣ - كانت حركة الضباط قد أقدمت على إلغاء الدستور وحل الأحزاب واعتقالات ضباط المدفعية والسياسيين ، وأقدمت على ما يسمى الإصلاح الزراعى ، وكل هذا وسواه انعكس على السودان انعكاساً رهيباً ، ومن الواضح أنه من الناحية السياسية كان اسماعيل الازهرى مقرباً من الوفد ومرتبطا بزعمائه ، وكان للوفد أعضاء كثيرون فى السودان ، وأحس السودانيون أنهم سينزل بهم من العنت ما نزل بمصر والمصريين ، فسقطت هيبة النظام فى مصر أمام السودانيين ، وفتحت الأبواب أمام المؤامرات المعادية لوحدة الشعبين[٤] .

---

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة
(٢) عبد الناصر والعرب ص ٣١٥
(٣) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٢٧٣
(٤) أحمد حمروش . عبد الناصر والعرب ص ٣٠٩ و ٣١١

٤ — ووصل الأمر بصلاح سالم إلى إعلان عداء سافر ضد إسماعيل الأزهرى، فألـّب بعض أعوانه ضده ، ووقف الأزهرى يدافع عن نفسه ، وفى هذا الدفاع صرَّح فى إحدى خطبة قائلاً : إن لحم أكتافى من مصر ، وقد دخلتها لابساً حذاء من الكاوتش وهناك وجدت كل عون وتكريم ، ولكن هل يرضيكم أن يحكمنا صلاح سالم والعسكريون فى مصر ؟ ؟ وتجيب الجماهير فى قوة : لا : . لا (١) .

ومما يوضح موقف السودانيين من حكم العسكريين أن الشعب السودانى تصدى سنة ١٩٦٤ للحكم العسكرى الذى كان يقوده إبراهيم عبود ، وأرغمه على الانهيار ،وكانت صرخة الشعب ضد الحكم العسكرى تدوِّى : إلى الثكنات يا حشرات(٢) .

٥ — من الأخطاء العنيفة التى وقع فيها صلاح سالم والعسكريون بمصر أنهم اتصلوا بالحزب الشيوعى السودانى لكسب جانبه ضد الأزهرى ، وبالتالى اتصلوا بزعماء الشيوعية فى مصر ليكونوا وسيلة للتقريب بين العسكريين بمصر والشيوعيين فى السودان ، والسودان يكره الشيوعية ويتمسك بالدين، فأتت هذه المحاولة بعكس المطلوب .

٦ — استعان صلاح سالم ضد الأزهرى بمحمد نور الدين، ولكن هذا لم يكن له وزن يذكر فى السودان آنذاك .

٧ — كان محمد نجيب قد تم إبعاده فى ١٩٥٤ وجاء الدور على صلاح سالم ، وقد وجد جمال عبد الناصر فى فشل صلاح فرصة ليتخلص منه ، ومن هنا تركه يغرق فى أخطائه دون إرشاد أو عون ، فلتضع السودان ليبقى جمال عبد الناصر حاكماً أوحد فى مصر .

---

(١) المرجع السابق ص ٣١٦

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٩

الصحافة المصرية وأحداث السودان :

كانت الأحداث بالسودان تتجه إلى الانفصال ، ولكن هذا كان بعيداً عن الإنسان المصرى الذى حجبت عنه هذه الأحداث لأن الصحافة المصرية كانت تعيش فى ظلام ، وقد زار الأستاذ أحمد قاسم جودة الصحفى بجريدة الجمهورية السودان آنذاك ، وعندما عاد قدم لمجلس الثورة تقريراً قال فيه إن سمعة مصر هناك أصبحت سيئة للغاية بسبب الرشوة التى تعطى وتبذل لكل إنسان حتى فى الشارع ، وإن المسئولين بالسودان يهاجمون مصر بأقسى الكلمات فى الحفلات الرسمية ، وحتى فى البرلمان السودانى نفسه ، وإن كل المسئولين فى السودان قد ساءتهم مهاجمة مصر لإسماعيل الأزهرى فى الصحافة والإذاعة المصرية ، وقد أضر ذلك بالعلاقة بين البلدين ، وإن الاعتماد على نور الدين هو اعتماد على شخص ضعيف لا شخصية له ، وإن الدعوة التى يقوم بها نور الدين للاتحاد مع مصر تسىء إلى مصر لأنها ترتبط بما قبض من رشاوى . وقال قاسم أمين جودة إن الصورة التى تعطيها الصحافة المصرية عن الموقف فى السودان تختلف تمام الاختلاف عن الحقيقة هناك ، وإن هذا ليس من الحكمة فى شىء ولابد أن تعطى صحافتنا الصورة الحقيقية للموقف ، وذلك لإشراك الشعب فى تلك المشاكل والتعرف عليها حتى لا يفاجأ مستقبلاً بالحقيقة وتكون صدمة له(١) .

إعلان الانفصال :

لعب الحاكم العام ورجاله دوراً هائلا فى إثارة الناس ضد الحكم العسكرى بمصر ، فكان هذا بالإضافة إلى الأسباب التى ذكرناها من قبل حافزاً لأن يعلن البرلمان السودانى بالإجماع عدم الحاجة للسير فى الإجراءات التى نصت عليها الاتفاقية لأن الجميع متفقون على استقلال البلاد ، وتم ذلك فى يناير سنة ١٩٥٥ وقبلت مصر هذا الاتجاه ، فلم يكن لها إلا أن تقبل ، وأما بريطانيا فقد سعدت به لأنه كان أعز أمانيها .

---

(٣) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٢٧٩

إنهاء الملكية وإعلان الجمهورية

إن الصراع بين قوتين كبيرتين ينتهى بضعف القوتين جميعاً ، ذلك هو قانون الحياة غالباً ، وتسبق إحدى القوتين فى الانهيار ، ويحس المنتصر بشىء من النشوة ، ولكنه فى الواقع يكون قد تأثر من طول الصراع فلا يلبث أن يهوى من عليائه .

وقد دار صراع طويل بين الملكين فؤاد وفاروق وبين الأمة متمثلة فى حزب الأغلبية ، ووقف الجيش فى جانب الملك يقهر حزب الأغلبية ، وطال الصراع وامتد ، وحقق الملك ألواناً من الانتصارات على الأمة ، ولكن هذه الانتصارات كانت لهيباً فى النفوس ، وسرى اللهيب من طبقة إلى طبقة ، وهب الجيش مندفعاً بإحساس الأمة فأسقط الملك .

وللأسف لم يُعِدْ سقوطُ الملك السلطةَ إلى الأمة ، فقد كانت الأمة قد أنهكها الصراع ، ولذلك عندما سلب عبد الناصر السلطة لنفسه وأهمل حق الشعب لم يثر الشعب ضده ، لأن أظفار الشعب كانت قد كلّت من طول الصراع ضد الملك ، ولأن الجيش للأسف عاد ينصر عبد الناصر على الأمة كما كان ينصر الملك عليها من قبل .

وسقوط الملك حدث يحمل فؤاد وفاروق مسئوليته ، وهو يضع نهاية لأسرة امتد حكمها من سنة ١٨٠٥ إلى سنة ١٩٥٣ وخلال هذه المدة عرفت مصر ألواناً من النجاح قام بها بعض القادة من هذه الأسرة ، كما عرفت ألواناً من الانحرافات والخطايا ، وكراهيتنا لتوفيق وفؤاد وفاروق يجب ألا تنسينا الأمجاد التى حققها محمد على وإبراهيم وإسماعيل ، فلقد كان هؤلاء أسبق من عصرهم بمراحل ، وخطوا بمصر إلى الأمام خطوات واسعة فى مجال المعرفة والعمران والتقدم ، فقهرت أعمالُهم ظلامَ العهد العثمانى ، وحققت لمصر سبقاً هائلا بالنسبة للدول العربية الأخرى التى ظلت ترزح تحت الحكم العثمانى أكثر من قرن بعد استقلال محمد على بمصر .

إننا دائما باسم الدين والوطن يطيب لنا أن نكرر الثناء والعرفان بالأيادى لمن خدموا البلاد ورفعوا شأن الإنسان المصرى ، كما نلتزم أن نهاجم من خان الأمانة وعبث بحقوق الناس .

وقد قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وطردت الملك فى السادس والعشرين من نفس الشهر ، وظلت البلاد تحكم باسم الملك الطفل أحمد بن فاروق حتى يوم ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ حيث أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً بإلغاء النظام الملكى وإعلان النظام الجمهورى بمصر ، وذلك ببيان طويل وصفه الدكتور وحيد رأفت (١) بأنه ركيك الأسلوب حافل بالقسوة على أسرة محمد على ، إذ وصف تاريخها بأنه سلسلة من الخيانات ، كما تحدث عن العبودية وعدم احترام الدستور وختم هذا البيان الذى وقعه محمد نجيب وأعضاء مجلس القيادة بما يلى :

أولاً : نعلن اليوم باسم الشعب إلغاء النظام الملكى ، وحكم أسرة محمد على ، مع إلغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة .

ثانياً : إعلان الجمهورية وتولى اللواء محمد نجيب قائد الثورة رئاسة الجمهورية مع احتفاظه بسلطاته الحاليه فى ظل الدستور المؤقت الصادر فى ١٠ فبراير سنة ١٩٥٣ .

ثالثاً : يستمر هذا النظام طوال فترة الانتقال ، ويكون للشعب الكلمة الأخيرة فى تحديد نوع الجمهورية واختيار شخص الرئيس عند إقرار الدستور الجديد ، وارتبط بإعلان الجمهورية قسمُ مبايعة تلاه عبد الناصر ورددّه معه أعضاء مجلس القيادة ، وقد نشرته صحف القاهرة فى ٢٤ يونيو سنة ١٩٥٣ ونص القسم هو :

اللهم إنا نشهدك وأنت السميع العليم أننا قد بايعنا اللواء أركان حرب

---

(١) فصول من ثورة يوليو ص ١٤٥

محمد نجيب قائد الثورة رئيساً لجمهورية مصر ، كما أننا نقسم أن نحمى الجمهورية بكل ما نملك من قوة وعزم ، وأن نحرر الوطن بأرواحنا وأموالنا وأن يكون شعارنا دائما الاتحاد والنظام والعمل ، والله على ما نقول شهيد» .

وقد برهنت الأيام على سوء نية الذين أقسموا ، وعلى أنهم حنثوا فى كل فكرة فى هذا العهد ، فلا البيعة احترموها ، ولا الوطن دافعوا عنه بالأرواح والأموال ، ولا الاتحاد والنظام والعمل كان شعارا صادقا .

واعتقادى أن الملك فاروق بنزواته واعتدائه على الدستور وضع حداً لأسرته ، ولكن هل يجلب النظام الجمهورى الديمقراطية دائماً ؟

الإجابة واضحة جداً هى أن النظام الملكى ليس دائماً عدواً للديمقراطية ، والنظام الجمهورى ليس دائماً صديق الديمقراطية ، ونعرف بعض الأنظمة الملكية التى تحترم الدستور تمام الاحترام كالذى نراه فى المملكة المتحدة وفى السويد وغيرهما ، ونعرف كثيراً من النظم الجمهورية التى وصل الاستبداد فيها أقصاه ، وحرم الشعب من جميع حقوقه .

وكان قرار إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية نتيجةً لدراسات سبقت تاريخ إعلانه ، فإن لجنة الدستور كانت قد شكلت لجانا فرعية كان منها « لجنة الخطوط الرئيسية » وقد قررت هذه اللجنة يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٥٣ أن يكون نظام الحكم بمصر جمهورياً .

وارتبط بإعلان الجمهورية أحداث خطيرة حفلت بها صحف اليوم التالى (١٩/٦/١٩٥٣) ومن هذه الأحداث ما يلى :

أولاً : التخلص من الوزراء المدنيين (سليمان حافظ ، ووزراء فهمى ، وحسين أبو زيد ، وفؤاد جلال ، ومحمد صبرى) ليخلوا الطريق لزحف ضباط القيادة وبخاصة جمال عبد الناصر الذى أصبح نائب رئيس الوزراء

ووزيراً للداخلية ، كما عين مجلس القيادة عبد اللطيف البغدادى وزيراً للحربية ، وصلاح سالم وزيراً للإرشاد ووزير دولة لشئون السودان ، وبعد قليل عين مجلس القيادة جمال سالم وزيراً للمواصلات ، وزكريا محيى الدين وزيراً للداخلية بعد أن تفرغ عبد الناصر لمنصب نائب رئيس الوزراء ، ثم عين كمال الدين حسين وزيراً للشئون الاجتماعية فوزيراً للتربية والتعليم .

ثانياً : كانت هذه التعيينات تصدر من مجلس القيادة ، لامن رئيس الجمهورية ، وبعض الوزراء رفضوا أن يقسموا اليمين أمامه ، وكان هـذا واضحاً فى زحزحة محمد نجيب عن السلطة .

ثالثاً : وَضْعُ جمال عبد الناصر نائباً لرئيس الوزراء بجانب محمد نجيب الذى كان يشغل وظيفتى رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ، أتاح لجمال عبد الناصر الزحف الشامل على السلطة الحقيقية لرياسة الوزارة .

رابعاً : كان أول قرار أصدره رئيس الجمهورية هو تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة وترقيته من رتبة صاغ إلى رتبة لواء ، وهو قرار يعترف محمد نجيب بأنه عزله عن الجيش وأبعده عن مصدر السلطة الحقيقى بالبلاد آنذاك ، وهو قرار ضَمِنَ السلطة لجمال عبد الناصر بحكم صلته الوثيقة آنذاك بعبد الحكيم عامر .

خامساً : فى صحيفة الأهرام بنفس التاريخ خبر يوضح مركز السلطة الحقيقى ، يقول الخبر : « على أثر إعلان الجمهورية توجه الرئيس محمد نجيب وأعضاء مجلس القيادة جميعاً إلى منزل البكباشى جمال عبد الناصر للتهنئة والتبريك » .

ويصف محمد نجيب وقع هذه الأحداث عليه وعلى الأمة فيقول :

— عارضتُ ترقية عبد الحكيم عامر وتعيينه قائداً عاماً للقوات المسلحة ،

لأنه لم يكن مهيئاً لذلك ، ولكني خدعت وقبلت ، وأعترف أن هذا كان خطئي الكبير :

— عندما زحف الضباط للمناصب الوزارية والمدنية لم يرحب الرأي العام بذلك إذ تبددت أحلامهم في مشاركة شعبية ديمقراطية ، وكانت ردود فعل المجلس حيال هذا الجو العام اتخاذ خطوات أكثر شدة وعنفاً فتقرر اعتقال عدد من الزعماء السياسيين ، وظهر اتجاه تكوين محاكم الثورة بجوار محاكم الغدر .

— كان عبد الناصر قد خطب أمامي في بني مر ووصفني بأنني حررت الفلاحين من الفزع والخوف ، ولكن تبين لي أن الفزع والخوف انتقل إلى سائر المصريين(١) .

أسباب ونتائج تعيين عبد الحكيم عامر :

يقول عبد اللطيف البغدادي : إن جمال عبد الناصر رشح عبد الحكيم عامر لتولي منصب قيادة الجيش لتصبح له السيطرة على الجيش بسبب صداقته لعامر ، وكنت أرى أن يترك الجيش لقيادة ضباط محترفين ، وأن نبعده عن السياسة فاعتقادي أنه إذا تدخل الجيش في السياسة فسد الجيش وفسدت السياسة ، ولكن عبد الناصر تمسك باقتراحه ، وقد استقال على أثر ذلك قائد سلاح الطيران اللواء حسن محمود لأنه لم يقبل أن يصبح عامر رئيساً له ، فعين بدله صدقي محمود الذي حوكم فيما بعد بسبب موقفه في حرب يونيو المشئومة . وكان من نتائج تعيين عبد الحكيم أن أبعد باقي أعضاء المجلس عن وحداتهم العسكرية تدريجياً بحجة أن تترك لعامر حرية العمل على مسئوليته . . . وأصبح الجيش أداة قوة في يد عبد الناصر ويد عبد الحكيم عامر وانعزلنا نحن نهائياً(٢) .

---

(١) كلمتي للتاريخ ص ٦٦ — ٦٨ بتصرف

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ص ٧٨ .

مصادرات الأسرة المالكة :

اتصل بإلغاء النظام الملكى إجراءات مالية اتخذها مجلس قيادة الثورة ضد الملك السابق فاروق وضد أفراد أسرة محمد على ، فى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٣ قرر هذا المجلس مصادرة أموال فاروق ، وكانت هذه الأموال قد وضعت تحت الحراسة ، وتشمل أموال الملك ٢٤ قصراً وآلاف الأفدنة ، وملايين الجنيهات وقدراً هائلا من التحف والمجوهرات ، وفى ٨ نوفمبر صدر قرار آخر بمصادرة أموال وممتلكات أسرة محمد على ، وكذلك الأموال والممتلكات التى آلت عنهم إلى غيرهم بطريق الوراثة أو المصاهرة أو القرابة مع ترتيب معاش لمن يستحقون منهم .

ويعلق الدكتور وحيد رأفت على هذا القرار بإبراز نقاط خطيرة هى(١).

١ — إن أكثر أموال أسرة محمد على ومجوهراتها لم يذهب إلى الشعب كما ادعى قرار المصادرة بل اتخذ سبيله إلى جيوب بعض ذوى النفوذ والسلطة من المتجرين بثورة يوليو .

٢ — معظم أفراد أسرة محمد على لم ينل معاشاً يحفظ عليه كرامته وآدميته .

ويروى صلاح الشاهد(٢) أن أحد أمراء الأسرة المالكة ذهب إليه يطلب إذنا ليعمل أى عمل ليعيش منه لأن المعاش الذى يصرف له ضئيل جدا ، وذكر الأمير أنه يعرف عدة لغات ، وقد رفع صلاح الشاهد هذا الرجاء إلى جمال عبد الناصر ولكن هذا نفر من رجاء الأمير وقال : « ما يشوف

---

(١) فصول من ثورة يوليو ص ١٥٢ — ١٥٣ .
(٢) ذكرياتى فى عهدين ص ٣٥٧ — ٣٥٨ .

له أى شغلة يا أختى ، وقد نُسِبَتْ إلى عبد الناصر قصص مماثلة بالنسبة لكرائم الأسر اللاتى لجأن إليه شاكيات .

٣ — كثير من القصور التى صودرت احتلها الطامعون لتصبح مساكن أو مكاتب للترف ، وكثير منها هدم ودمر لعدم الرعاية حتى أصبحت شبه خرابات .

وقد تحدثنا من قبل عن نهب أموال الأسرة المالكة وممتلكاتها ، وقد نشر الأستاذ جميل عارف مقالا خطيراً بمجلة اكتوبر (ديسمبر سنة ١٩٧٦) ذكر فيه حقائق عجيبة ، وعجيب أن نسكت عنها حتى الآن ، وفيما يلى مقتطفات من هذا المقال :

— لم يُذكر أى تقدير فى المجوهرات .

— الجواهر دخلت البنك فى صناديق وبدون قوائم منظمة .

— عبد الناصر كان يتصرف فيها كأنها أملاكه الخاصة .

— أمر عبد الناصر باختيار بعض قطع نادرة من هذه الجواهر ليقدمها هدية لنكروما :

— قَدَّم عبد الناصر عقد الملكة نازلى ، لفتحية زوجة نكروما .

— هناك شطب حدث كثيرا لقطع من الجواهر الثمينة دون ذكر السبب وبدون توقيع من أحدث هذا الشطب .

— كان هناك اتجاه لعمل متحف للمجوهرات ولكن السرقات جعلت هذا المتحف لامبرر له .

وسنظل نصرخ مطالبين بالتحقيق فى هذه الخيانات التى مست مال الشعب وسمعة البلاد .

حوادث سنة ١٩٥٤ ونهاية محمد نجيب

أحداث سنة ١٩٥٤ تعتبر أخطر أحداث فى تاريخ مصر الداخلى ، فقد حدث بها صراع خطير بين الديمقراطية والديكتاتورية ، وللأسف الشديد انتصرت الديكتاتورية فى الصراع ، وقدمت الديمقراطية ضحايا غالية تتمثل فى الدماء التى أريقت ،والحريات التى كبلت ،والعناء الذى تحمله المدافعون عنها ، وخفتت بعد ذلك صوت الديمقراطية فلم يظهر إلا بعد هزيمة يونيو ، ولكنه كان ضعيفاً فسرعان ما احتوته الديكتاتورية ببيان مارس ، أو بوظائف باهرة لبعض الذين قادوا تلك الحركة سنة ١٩٦٨ ، ولنعد للصراع الذى حدث سنة ١٩٥٤ بالدراسة والإيضاح :

أحداث فبراير ومارس ١٩٥٤

إن أحداث فبراير ومارس كانت امتداداً طبيعياً للأحداث التى سبقت هذين الشهرين ، كانت خطوة من خطوات عبد الناصر للاستئثار بالسلطة ، ولكن هذه الخطوة كانت واسعة ، فأثارت المعارضة ، بيد أن تخطيط عبد الناصر كان أقوى من المعارضة فانتصر وحصل على السلطة التى أرادها فى نهاية المطاف ، ولنعد للقصة من أولها بكل الدقة والعمق :

ذكرنا من قبل أنه بعد أن ثبتت أقدام الثورة فى الأسبوع الأول منها بتأييد الشعب وزعمائه ، وبعدم تدخل القوات البريطانية ، وبخروج الملك ، بدأ عبد الناصر يظل ليعمل فى الخفاء تارة وفى العلانية أخرى ليزيح كل القوى من أمامه ليخلص له الأمر ، فبعد أسبوع واحد من الثورة ، وبالتحديد يوم ٣١ يوليو بدأ الحديث عن تطهير الأحزاب ثم تنظيم الأحزاب ثم حل الأحزاب ، وبدأ كذلك القبض على الزعماء وفتح المعتقلات ، وتبع ذلك إقامة محاكم التنكيل مثل محاكم الغدر والثورة والشعب : وصدر القانون المسمى بالإصلاح الزراعى ، الذى رأيناه وسيلة للتنكيل ببعض الناس ، كما صدر قانون بإلغاء الدستور وفرض الرقابة على الصحف والنشر ،

وطارت الشائعات عن السرقات التي ارتبطت بجواهر القصور وتحفها ، وعن المصاريف السرية التي توزع على الأصدقاء والأنصار ، وتفسد ذمم الضباط وضمائرهم ، وعن دولة المخابرات التي يتم إنشاؤها وتعزيزها ويشرف عليها بعض ضباط المخابرات الأمريكية وكذلك بعض الضباط الألمان الذين كانوا من الجستابو »(١) .

وكان الشعب يغلي من العدوان على مقدساته وآماله وأمواله ، وكان ينتظر الفرصة ضد الذين سرقوا حقوقه وجلسوا منه في مكان الرياسة دون إرادته ، ووضح للجميع أن الضباط ينوون البقاء في الحكم وبخاصة لأنهم أعلنوا في يناير سنة ١٩٥٣ بدء فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات ، وثقلت هذه السنوات على الناس ، فقد كان كل يوم فيها طويلاً وحافلاً بالمرارة ، وكانوا يتطلعون للفرصة ليثوروا على هذا الباطل وليستعيد الشعب حقوقه .

ذلك كان موقف الانقلاب من الجماهير وموقف الجماهير من الانقلاب .

ولنعد إلى صورة أخرى لنوضح موقف ضباط الانقلاب بعضهم من بعض :

لقد رأينا سابقاً تعيين محمد نجيب رئيساً للجمهورية مع بقائه رئيساً للوزراء وتعيين عبد الناصر نائباً لرئيس الوزراء وتعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة وترقيته من رتبة صاغ إلى رتبة لواء وتعيين ضباط الانقلاب وزراء لأكثر الوزارات ؛ وكان تعيين عبد الناصر في منصب نائب رئيس الوزراء بمثابة سيطرة على الجهاز التنفيذي بعد شغل محمد نجيب بمظاهر رياسة الجمهورية ، وكان تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات

(١) محمد نجيب : كلمتي للتاريخ ص ١٢٠

المسلحة بمثابة سيطرة عبد الناصر على الجيش عن طريق صديقه عبد الحكيم عامر ، وقد بالغ عبد الناصر فى إحكام قبضته على الجيش بوسيلتين :

أولا : إبعاد أعضاء مجلس قيادة الثورة عن وحداتهم العسكرية ، وإبعاد زملائهم عنهم بواسطة تهديدات تخيفهم أو بواسطة وعود تقدم لهم وقد ذكرنا من قبل كلمات عبد اللطيف البغدادى التى ختمها بقوله : « وانعزلنا نحن نهائياً عن الجيش » .

ثانياً : كون جمال عبد الناصر له مجموعة من الأنصار من ضباط الصف الثانى وأعطاهم نفوذاً واسعاً،وأخذيتحكم الجيش بهم،ومن هؤلاء طعيمة والطحاوى ووجيه أباظة ، وأحمد أنور وكثيرون من أندادهم .

وبسيطرة عبد الناصر على السلطة التنفيذية وعلى الجيش ، وبإلقاء القبض على الزعماء والقضاء على الدستور . . . . لم يبق أمام عبد الناصر إلا محمد نجيب ، ومما يدعو للدهشة أن يضيق عبد الناصر مع كل هذا النفوذ برجل كان يرضى بالقليل ، رجل كان يقنع بحجرة فى القصر الجمهورى هى « حجرة رئيس الجمهورية » ولكن عبد الناصر كان لا يريد أن يترك أحداً فى القمة ولو كانت هذه القمة مظهرية فقط ، ومن هنا اندفع عبد الناصر بأعماله وإيحاءاته ليقضى على محمد نجيب ، ماذا فعل ؟ نقتبس كلمات قليلة من عبد اللطيف البغدادى توضح هذا الموقف : يقول عبد اللطيف البغدادى :

— فى صيف سنة ١٩٥٣ كانت مظاهر الخلاف بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر قد أخذت تظهر على السطح ، وذلك على أثر إبراز بعض الصحف لجمال عبد الناصر على أنه الرجل الأقوى ، وكان جمال نفسه يحاول إبراز هذه الصورة لتأكيد هذا المعنى(١) :

---

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٨٥

- كان جمال يقوم بدعوة مجلس الثورة للانعقاد ولا يدعو محمد نجيب ، وتؤخذ بعض القرارات وتنشر فى الصحف وكان فى ذلك كثير من التحدى[1] .

- اتجه جمال عبد الناصر إلى صلاح سالم ليُعينه فى القضاء على نجيب ، واستجاب صلاح ، فأمر بألا تذاع خطب محمد نجيب ولا اتصالاته إلا بالقدر الذى يوافق هو عليه باعتباره وزيراً للإرشاد ومسيطراً على وسائل الإعلام .

- أعلن جمال حملته على محمد نجيب بعد أن كان يُسرُّها ، وكان إعلانها بصيغة غوغائية ، يقصها البغدادى بقوله : فى مؤتمر شعبى بالاسكندرية حضره محمد نجيب وعبد الناصر وآخرون ألقى عبد الناصر خطاباً أشار فيه إلى الديمقراطية (!!) وحمل على الطغيان والاستبداد ، كما طلب من المستمعين ألا يسمحوا لأى منافق أو مخادع أن يخدعهم أو يغشهم ، ويقول البغدادى: ولم يكن جمال يقصد بهذه الكلمات إلا محمد نجيب نفسه .

- أطلق عبد الناصر أعوانه لتكرار هذا المعنى ، فقد تكلم فى هذا المؤتمر صلاح سالم والشيخ الباقورى (!!) فتناولا فى كلمتيهما هذا المعنى وهذا الاتجاه ، وفهم نجيب أنه المقصود بالذات من هذه الكلمات[2] . وكان الباقورى مستعدا دائما للسير مع الأقوى لتظل له الوزارة .

- أصدر عبد الناصر أوامر للصحافة بعدم نشر أحاديث وصور لمحمد نجيب إلا فى أضيق الحدود .

- اقترح جمال أن يكون اجتماع المجلس فى يوم غير يوم الأحد الذى يحضره نجيب ويتخذ الأعضاء ما يشاءون من قرارات حتى يكون اجتماع الأحد صورياً ، وبذلك يمكنه **شل وعزل محمد نجيب** ، وتحمس لهذا

---

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٢) المرجع السابق ص ٨٦

الرأى جمال سالم الذى بالغ فاقترح إعطاء عبد الناصر السلطة فى اتخاذ القرارات الضرورية دون دعوة المجلس[١] .

— أمر عبد الناصر أن يستبعد نجيب بعض أعوانه المخلصين له ، ورفض نجيب لأن هؤلاء لم يذنبوا قط ، فقال له جمال « إنك تأبى أن تمضى معنا لتحقيق أهداف الثورة ، وأن لكل منا طريقة ، وعلى القدر أن يحكم »[٢] ومع هذا فقد أصدر عبد الحكيم عامر أمراً لأحد هؤلاء الأعوان (محمد أحمد رياض) بالسفر لأمريكا بحجة أنه مريض ، ولما قال هذا إنه ليس مريضاً هُدد بالاغتيال فاضطر للسفر[٣] .

— وأخيراً أعلن عبد الناصر أنه عاصٍ ولا يمكن أن يتعاون مع نجيب ، واتصل عبد الناصر بياور محمد نجيب (اسماعيل فريد) وسب ولعن محمد نجيب وطلب من الياور إبلاغ نجيب بهذه الشتائم ، ووصلت المسألة قمتها عندما أعلن جمال سالم بأنه سيقتل نجيب ولهم أن يحاكموه على ذلك[٤] .

تلك كانت أخلاق الذين حكمونا ، وهى مقتبسة من مذكرات أحدهم ، ولولا أن البغدادى نفسه هو الذى دونها ماكان الإنسان يصدق أن يصل الأمر بهؤلاء إلى هذا الدرك الأسفل من الخلق ، ربما تسألنى : كيف رضى أعضاء مجلس الثورة بهذه التصرفات ؟ وأجيب أنهم ارتضوا ذلك مع علم بعضهم بانحرافه إيثاراً لمتاع الدنيا من جانب ، ومن جانب آخر كان عبدالناصر يحكم الجيش بواسطة ضباط الصف الثانى كما ذكرنا ، مما جعل أعضاء مجلس القيادة لا نفوذ لهم ولا صلة لهم بوحداتهم فآثروا الخضوع .

---

(١) المرجع السابق ص ٧٨

(٢) المرجع السابق ص ٩٠

(٣) كلمتى للتاريخ ص ١١٦

(٤) مذكرات البغدادى ص ٩٢ — ٩٤

استقالة محمد نجيب ونتائجها :

وإزاء هذه التصرفات البعيدة عن الخلق والكرامة قدم محمد نجيب فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٤ استقالته من الوظائف التى كان يشغلها وكان الشعب — كما قلنا — يغلى آنذاك ضد قادة الانقلاب الذين استبدوا بالسلطة فى غيبة الدستور وفى ظل المعتقلات والقهر ، وبخاصة أن جماعة الإخوان المسلمين كان قد صدر قرار بحلها فى ١٢ يناير سنة ١٩٥٤ فاجتمعت بذلك جموع الشعب ضد قادة الانقلاب الذين قد أصبحوا بعيدين كل البعد عن الجماهير.

قبول الاستقالة والمظاهرات عقب ذلك :

فى يوم ٢٥ فبراير صدر قرار مجلس قيادة الثورة بقبول استقالة نجيب على أن يقوم جمال عبد الناصر بكافة سلطاته حتى تحقق الثورة أهدافها بجلاء المستعمر . وبعد صدور هذا البيان اندلعت المظاهرات لتأييد محمد نجيب والهتاف ضد خصومه ، وقد ظلت هذه المظاهرات حوالى شهر من قبول استقالة نجيب حتى المؤامرة الكبرى التى دمرت الديمقراطية فى أواخر مارس ، وكانت هذة المظاهرات تشتد أو تهدأ حسب تحركات قادة الانقلاب على ما سنرى ، وقد اشتركت فى هذه المظاهرات كل طوائف الأمة ، وكان لكثير من فرق الجيش نصيب واضح فى الاتجاه للديمقراطية ، وفى لزوم أن يعود الجيش إلى ثكناته ، ومن أبرز الأصوات التى ظهرت آنذاك صوت القائمقام أحمد شوقى وهو من الضباط الأحرار ، وأكبرهم رتبة بعد محمد نجيب ، فقد كتب يقول : هل كان من أهداف الثورة أن تحكم البلاد ؟ هل كان من أهداف الثورة أن تكمم الأفواه وتقيد الحريات ؟ هل كان من أهداف الثورة أن يزج بالمواطنين الجانى منهم والبرىء فى السجون وأن تملأ بهم المعتقلات ؟ هل كان من أهداف الثورة أن تقحم الجيش فى السياسة وفى كل مرفق من مرافق البلاد؟ وأليس من أبناء مصر من يستطيع القيام بالأعمال المعهود بها الآن لبعض ضباط الجيش حتى يتفرغ هؤلاء

الضباط إلى النهوض بجيشنا المصرى لكى يتمكن من القيام برسالته . . . إذن عودوا إلى صفوفكم فى الجيش .

وانطلقت الجامعات تنادى بالديمقراطية وبعودة الجيش إلى ثكناته ، وفى القاعة الكبرى بجامعة القاهرة تجمع عشرات الآلاف من الطلاب وأكثر أعضاء هيئات التدريس أوكلهم ووقف خطباء الجامعة يقررون أن نجاح البلاد وتحقيق أهدافها لا يمكن أن يتم عن طريق قادة الانقلاب ، وأن للجيش مهام ينبغى أن يتفرغ لها ، وأن تدار شئون الدولة بالنظام الديمقراطى .

وكاتب هذه السطور كان ضمن الخطباء آنذاك ، فقد ألقيتُ خطاباً طويلاً وضحت فيه أن دخول الجيش فى السياسة يبعد الحياة عن الديمقراطية تمام البعد فتربية الجيش تقضى بالطاعة الشاملة ، والديمقراطية فيها اختلاف الآراء وحق الاعتراض ، وذكرت أن الخطر يهدد جيشنا من اندماجه فى السياسة وسيترك الضباط أمكنتهم فى صفوف الدفاع عن البلاد ليشغلوا أموراً لا يجيدونها بعد أن تركوا ما يجيدون ، وإن حاجتنا إلى الجندى الباسل أهم بكثير من حاجتنا إلى أن يجلس هذا الجندى فى مقاعد الوزراء ، وأوضحتُ أن الجيش فى التاريخ يفسد إذا اشتغل بالسياسة حتى فى ساعات انتصاره ، فقد قُتل قطز بعد أن قاد أشرف معركة فى تاريخ مصر ، واعتدى أعوان على بك الكبير عليه وهو فى قمة انتصاراته للاستقلال بمصر ضد العثمانين ، ولهذا يتحتم علينا أن نبعد الجيش عن السياسة ، فمن الخطأ الواضح أن تنجح السياسة بزعامة الجيش أو أن ينجح الجيش إن باشر السياسة .

وكانت صيحة الجامعات عالية بأن يُصفىَّ ذلك الكائن الهزيل الذى يسمى ثورة وهو ليس الا مجموعة من الحماقات والأنانيات .

واتخذت الهيئات القضائية ونقابة الصحفيين ونقابة المعلمين قرارات مماثلة ، وهتف الجميع بضرورة الإفراج عن المعتقلين والعودة بالبلاد بسرعة إلى الحياة المدنية السليمة .

مؤامرة ناصرية للتصفية الجسدية :

فى أثناء هذه الأزمة تقدم جمال عبد الناصر إلى مجلس قيادة الثورة يقترح انسحاب مجلس الثورة من الحياة العامة على أن يعمل كل فرد من أعضائه على تكوين فريق من عشرة أفراد سهمته العمل على التخلص من العناصر الرجعية والأفراد الذين يناهضون الثورة والذين يقفون فى طريقها كزعماء الأحزاب القديمة ، وكالأخوان المسلمين والشيوعيين . ولكن اقتراحه لم يقبل(١) .

وفيما يلى خطوات التراجع ثم خطوات السطو والانقضاض :

كمال رفعت وتراجع كامل يوم ٢٦ فبراير لم يعلن :

يعتبر كمال رفعت من أخطر الأشخاص الذين لعبوا دوراً خطيراً فى أزمة فبراير وكان آنذاك فى رتبة يوزباشى (نقيب) وقد قبض على محمد نجيب رئيس الجمهورية بدون إذن من أعضاء مجلس القيادة . . . كما سنرى دوره مفصلاً من روايته فيما بعد ، ولكننا هنا نسرع بالقول بأن كمال رفعت نال جزاءه وفاقاً من قادة الثورة ومن الشعب ، فقادة الثورة أغدقوا عليه فأصبح وزيراً ونائباً لرئيس الوزراء وعضو مجلس رياسة وسفير مصر فى بريطانيا ، وأما الشعب فقد ثأر منه ولقنه درساً قاسياً هو أنه عندما رشح نفسه لمجلس الشعب فى دائرة الدقى انصرف الناس عنه جميعا فلم ينل إلا أصواتاً قليلة ، وكان من القلائل الذين فقدوا تأمينهم لعدم حصولهم على عشر الأصوات ، وكان ذلك هو وسيله الشعب للقصاص ممن خانوه .

ولنعد إليه لنروى ما قاله عن أحداث فبراير سنه ١٩٥٤ ، وفيما يلى كلماته :

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ١١٩

«كنت عند بدء مشكلة فبراير أعمل فى منطقه القناة ، وكنت أحضر إلى القاهرة من حين إلى آخر لأكون على اتصال بالأحداث ، وكنت دائماً ألتقى بعبد الناصر عندما أحضر وكانت إحدى زياراتى للقاهرة فى أواخر فبراير سنه ١٩٥٤ فاتصلت بعبد الناصر الذى طلب منى البقاء فى القاهرة بعض الوقت ، وفى يوم ٢٦ فبراير اتصل بى زكريا محى الدين بالمنزل ، وطلب منى الحضور إليه بمبنى القيادة العامة فى كوبرى القبه لأمر هام ، فذهبت إليه وهناك أخبرنى بأن جمال عبد الناصر موجود بسلاح الفرسان منذ فترة وطلب منى أن أسرع إليه لأتعرف على ما يحدث هناك .

«وفى سلاح الفرسان وجدت مناقشة حامية بين عبد الناصر وبين جمع كبير من الضباط ، وكانت المناقشة تدور بعيداً عن قواعد اللياقة ، أو الضبط والربط ، وكان فيها كثير من التهجم على مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار ، خصوصاً من صغار الضباط ، وكان ضباط الفرسان يرددون كلمة «الديمقراطية» ومعظمهم لا يعرف معناها أو أبعادها ، وكانوا يطالبون بعودة محمد نجيب إلى رياسة الجمهورية وعودة الضباط إلى ثكناتهم ، فعدت إلى زكريا محيى الدين وبلغته ذلك ، ووجدت عنده عدداً من الضباط الأحرار من مختلف الأسلحة ، ورجعت مرة أخرى إلى سلاح الفرسان فى الساعة الواحدة من صباح ٢٧ فبراير وكانت المناقشات ما زالت مستمرة ، وبعد ذلك عاد جمال عبد الناصر إلى مبنى القيادة واجتمع مع أعضاء المجلس ، واتخذ المجلس قراراً بحل مجلس قيادة الثورة ، وعودة محمد نجيب رئيساً للجمهورية ، وأن يشكل خالد محيى الدين حكومة انتقالية مدة ستة أشهر ، وتجرى الحكومة انتخابات لجمعية تأسيسية لتصنع دستوراً دائماً ، ويعود أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى وحداتهم .

«وفى نفس هذا الوقت عقدت جماعتنا اجتماعاً فى نفس مبنى القيادة وحضره معى صلاح نصر وسعد زايد ومجدى حسنين وحسن تهامى ووجيه أباظه وأحمد أنور وآخرون واتخذنا قرارات نعارض فيها القرارت التى

اتخذها مجلس قيادة الثورة ، كما وضعنا ترتيبات للقضاء على الخطة التى كان يريدها خالد محيى الدين بأن يذهب فى الصباح فى مظاهرة عسكرية من ضباط الفرسان إلى منزل محمد نجيب لاصطحابه إلى قصر عابدين .

وشملت خطتنا لمقاومة خالد محيى الدين ومقاومة قرارت مجلس الثورة النقاط التالية :

أولاً : أن يقوم سلاح الطيران بالتحليق فوق سلاح الفرسان فى أول ضوء لمنعه من الحركة .

ثانياً : أن يقوم البوليس الحربى باعتقال الضباط الذين يتزعمون الحركة فى سلاح الفرسان .

ثالثاً : أن نقوم بالقبض على محمد نجيب وتحديد إقامته فى « ميس » سلاح المدفعية بألماظة ، ومنع أى اتصال به .

وقمت أنا ومعى اليوزباشى داود عويس بعملية القبض على محمد نجيب ، وأخبرناه بأن كل ما اتفق عليه حول إعادته رئيساً للجمهورية ، وتشكيل وزارة برياسة خالد محيى الدين قد أُلغى تماماً ، وطلبت منه اصطحابى حالاً إلى حيث أشاء ، وعرفته أن سلاح الفرسان محاصَر ، وتأكد كلامى عندما بدأت طائرات سلاح الطيران تزمجر فى الجو ، وقد حاول محمد نجيب أن يتردد أو يتصل بصلاح سالم ، ولكنى منعته ، وأخذناه إلى « ميس المدفعية » حيث وضعناه تحت حراسة مشددة بإحدى الغرف[1] . . .

وفى ضوء هذه التصرفات اتخذ مجلس قيادة الثورة قرارات جديدة ليس فيها حل مجلس قيادة الثورة أو عودة الضباط إلى ثكناتها ، وليس فيها وزارة يشكلها خالد محيى الدين ، وإنما هى قرارات مطاطة لإرضاء الجماهير ولعبور هذه الأزمة ، وسنتحدث عنها فيما يلى :

---

(١) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ٣٢٢ إلى ٣٢٦

قرارات ٢٧ فبراير وتراجع خفيف :

اجتمع مجلس قيادة الثورة فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٤ وقرر التراجع عن قراراته التى أصدرها فى ٢٥ فبراير ودعوة اللواء محمد نجيب للعودة إلى رياسة الجمهورية على أساس التحولات الآتية :

١ - تحويل جمهورية مصر إلى جمهورية برلمانية باسم الجمهورية البرلمانية المصرية .

٢ - تأليف جمعية تأسيسية تمثل كافة هيئات الشعب المختلفة تؤدى وظيفة البرلمان مؤقتاً ، وتراجع نصوص الدستور بعد أن يتم وضعها .

٣ - إجراء انتخابات بعد ذلك لإعادة الحياة النيابية فى مدى أقصاه نهاية فترة الانتقال .

وقد قبل محمد نجيب أن يعود إلى رياسة الجمهورية على هذا الأساس واستمرت المظاهرات تعلن فرحتها بالانتصار واندفعت إلى ميدان عابدين فى أول مارس تحيى محمد نجيب ، وصعد له بالشرفة الأستاذ عبد القادر عودة أحد زعماء الإخوان ، وسنرى فيما بعد أن محكمة الشعب حكمت على عبد القادر عودة بالإعدام ، ونفذت الحكم ، وأياً ماقيل عن أسباب هذا الحكم الجائر فالذى أراه أن وقفة عبد القادر عودة بجوار محمد نجيب فى شرفة قصر عابدين آنذاك كانت هى السبب الحقيقى فى هذا الحكم .

ونعود لقرارات ٢٧ فبراير لنتساءل : هل كانت هذه القرارات نتيجة تراجع أمام صيحة الشعب أو كانت للتخدير ولإطفاء الثورة الشعبية ؟

إن جمال عبد الناصر نفسه يجيب عن هذا السؤال فيما يرويه البغدادى فيقول : نقبل جميع شروط محمد نجيب الآن حتى تفوت عليه الفرصة وبعد شهر نتخلص منه (١) وسارت الظروف فى ضوء هذه المؤامرة كالآتى :

---

(١) مذكرات البغدادى ٩٨

قرارات ٥ مارس الديمقراطية :

فى ٥ مارس ١٩٥٤ اجتمع مجلس قيادة الثورة وقرر إجراءات تحمل مزيداً من الديمقراطية ، فقد قرر أن تنتخب الجمعية التأسيسية بطريق الاقتراع المباشر ، وكانت فى قرارات ٢٧ فبراير « تؤلف » كما قرر أن تلغى الأحكام العرفية قبل إجراء انتخاب الجمعية التأسيسية بشهر ، وأن تُلغى الرقابة على الصحافة والنشر ابتداء من ٦ مارس فيما عدا شئون الدفاع الوطنى ، وأن تُعقد الجمعية التأسيسية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٤ .

قرارات ٨ مارس للعودة لما قبل الأزمة :

وفى ٨ مارس ١٩٥٤ اجتمع المؤتمر المشترك المكون من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ، ورأى أن التعديلات التى طرأت على منصب كل من رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء يجب أن تزال ، وبذلك عاد محمد نجيب ليكون رئيساً للجمهورية ، ورئيساً لمجلس قيادة الثورة ، ورئيساً لمجلس الوزراء ، وتراجع جمال عبد الناصر إلى منصبه القديم وهو نائب رئيس الوزراء .

وقد تركت هذه الخطوات نتائج طيبة عند المطالبين بالديمقراطية فهدأت أكثر الأصوات وتراخت القبضة ، وخدع الناس . وكان عبد الناصر يعد عدته لينقضّ على هذه المكاسب ، وكانت وسيلته لذلك تنحصر فى خطوتين هما :

١ — الإعداد الدقيق لمقاومة الاتجاه للديمقراطية .

٢ — إعادة الإعلان عن إجراءات الديمقراطية بمزيد من التوسع لتبدأ حركات المقاومة .

وسنتكلم عن كل من هاتين الخطوتين كلمة تفصيلية :

خطوات مقاومة الديمقراطية :

اتخذت خطوات المقاومة عدة وسائل لتنتصر على الاتجاه الديمقراطى ، وأهم هذه الوسائل ما يلى :

أولاً : الاعتماد على الجيش وإثارته باعتبار أن الثورة ثورته ، وأن المقاومة اتجاه رجعى يعارض الثورة والجيش ، ومن ذلك كلمات جمال عبد الناصر التى ألقاها فى مؤتمر القوات المسلحة فى ٩ مارس ، وقد جاء فيها : يارجال الجيش إنكم تؤمنون إيماناً قوياً بأهداف الثورة ولن تستطيع الرجعية أن تتغلب عليكم مادمتم مؤمنين بالثورة ومبادئها . . .(١)

ثانياً : ترويج إشاعات وبخاصة بين الضباط المشتغلين بأن إنهاء الثورة معناه دخولهم السجن ، وقد صرح بذلك ابراهيم الطحاوى عندما بلغه أن مجلس الثورة قرر الانسحاب والعودة إلى الثكنات ، يقول إبراهيم الطحاوى: اعترضت على ذلك لأن الانسحاب معناه دخول السجن وقررنا المقاومة(٢) وشاع آنذاك أن ضباط البوليس الحربى أصبحوا يعيشون فى خوف وقلق إذ أحسوا أن العودة للديمقراطية تعنى الإضرار بهم ومحاسبتهم على ما ارتكبوا من مخالفات إلى جانب فقدانهم الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها(٣) .

ثالثاً : كان عبد الناصر وعبد الحكيم عامر قد تعرّفا خلال الأزمة على أعوان محمد نجيب ، وقد تم التخلص من كثيرين منهم ، بنقلهم إلى وظائف مدنية أو بالقبض عليهم ، أو بإعطائهم إجازات مفتوحة ، أو بإرسالهم خارج البلاد فى مهمات مختلفة .

رابعاً : أوعز عبد الناصر إلى بعض أتباعه بإحداث انفجارات فى

---

(١) المصرى فى ١٠ مارس سنة ١٩٥٤

(٢) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ١٧

(٣) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ١٢٨

أماكن مختلفة بالقاهرة ، واحد منها فى محطة السكة الحديد ، واثنان بالجامعة ورابع بمحل جروبى ، واستشهد عبد الناصر بهذه الانفجارات على أنها نتيجة لسياسة اللين والميوعة فى موقف الحكومة .

خامساً : أخذ صلاح سالم يهدد ويثير الذعر ليخيف الناس ، ومن ذلك خطابه بإحدى قرى المحلة الكبرى فى ١٣ مارس ١٩٥٤ وقد جاء فيه : قد يظن ظان أنه لو عاد الفساد مرة أخرى وعاد الطغيان أن الجيش سيخرج من ثكناته ليحمى هذا الطغيان ، لا ، إنه فى هذا الوقت سيكون مع الشعب فى صف واحد ، ولن تكون هناك محكمة ثورة ، بل ستكون ثورة أخرى من نوع جديد ، نحن نعرفها ولكن لا نتحدث عنها الآن ، ولكننا ننذر الطغيان والطغاة أن يفكروا قبل السطو على حقوق الشعب ، فلن تكون هناك ثورة بيضاء بل ستكون ثورة حمراء(١) .

سادساً : جاء الملك سعود لزيارة القاهرة ابتداء من ٢١ مارس ويبدو أن تحديد هذا الموعد كان مقصوداً لشغل محمد نجيب .

سابعاً : انتهز جمال عبد الناصر وأعوانه فرصة وجود الملك سعود وشفاعته للإخوان المسلمين فأصدروا قراراً بإعادة جماعة الإخوان المسلمين وزوال كل أثر لقرار حل الجماعة الذى كان قد صدر فى يناير السابق ، وكان هذا التصرف بالنسبة للإخوان سبباً فى تراجع الكثيرين منهم فى معارضة الانقلاب ، فضعفت الحملة الشعبية على قادة الثورة .

ثامناً : أعد عبد الناصر مجموعة من أنصاره لتقوم بحركات محددة على إثر إعلان الخطوة الثانية التى أشرنا لها من قبل ، والتى تعلن مزيداً من الإجراءات الديمقراطية ، وسنرى بعد قليل تحركات هذه المجموعات بعد أن نرى الخطوة التى أثارت هذه التحركات .

---

(١) جريدة المصرى فى ١٤ مارس ١٩٥٤ .

قرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤ المثيرة :

بعد أن أطمأن عبد الناصر على الخطط التي أعدها لمقاومة الاتجاه الديمقراطي تقدم لمجلس قيادة الثورة في اجتماعه الذي تم في ٢٥ مارس باقتراح مثير وافق عليه المجلس ، وهو :

١ — يُسمح بقيام الأحزاب .

٢ — مجلس الثورة لا يؤلف حزباً .

٣ — لا حرمان من الحقوق السياسية .

٤ — تنتخب الجمعية التأسيسية انتخاباً حراً مباشراً ، وتكون لها سلطة السيادة وسلطة البرلمان .

٥ — حل مجلس قيادة الثورة يوم ٢٤ يوليو باعتبار أن الثورة قد انتهت .

٦ — تنتخب الجمعية التأسيسية رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها .

ومن الواضح أن هذه القرارت كانت فيها إثارة للجيش ، ثم إن الجهود كانت — كما ذكرنا آنفا — قد أعدت لمقاومتها ، فبدأت حركات المقاومة عقب إعلانها على النحو التالي :

(أ) تأهب إبراهيم الطحاوي للعمل ، واستقبل صاوي أحمد صاوي رئيس اتحاد نقابات عمال النقل المشترك ، واتفق معه على إعلان الإضراب العام للمواصلات ، ونُفذت الفكرة ، ودُفع إلى صاوي المذكور عدة آلاف من الجنيهات للقيام بهذا الإضراب(١) .

---

(١) دكتور عبد العظيم رمضان : الصراع السياسي والاجتماعي في مصر ص ١١١ ومذكرات البغدادي ص ١٨١

(ب) أنزل مجدى حسنين بعض عمال مديرية التحرير إلى القاهرة وهم يهتفون بسقوط نجيب وحياة الثورة[1] .

(جـ) اشترك عمال مديرية التحرير مع جنود من البوليس الحربى يرتدون ملابس مدنية تحت قيادة الصاغ حسين عرفة الضابط بالمخابرات فى الهجوم على مجلس الدولة الذى كان قد أصدر قراراً بتأييد الديمقراطية والحياة النيابية وقرارات ٥ و ٢٥ مارس ، فاقتحم هؤلاء مبنى مجلس الدولة الذى سحبت الحراسة من حوله ليتمكن المتظاهرون من تنفيذ عدوانهم ، واعتدوا عدواناً فاحشاً على الدكتور عبد الرزاق السنهورى رئيس المجلس وعلى باقى الأعضاء . وتم إجبارهم على توقيع بيان بتأييد مجلس الثورة[2] .

ويروى حسين عرفة بنفسه رواية هذا العدوان فى « شهود ثورة يوليو »[3] فيقول : أعددت خطة بالتعاون مع إبراهيم الطحاوى وأحمد طعيمة . وتوجهت بعربة بوليس حربى وفى ملابس مدنية إلى مقر مجلس الدولة بالجيزة . وذكرت هناك لسكرتير رئيس المجلس أننى أخشى من حدوث مظاهرات عمالية ضد المجلس ، ولكن الدكتور السنهورى رفض مقابلتى ، وذكر أن المجلس لا يخاف أحداً فى سبيل القيام بواجبه . وعندئذ أرسلت إلى طعيمة والطحاوى لإرسال جمهور من المتظاهرين من عمال مديرية التحرير وجنود المباحث الجنائية بملابس مدنية ، واقتحمنا المجلس ، وهجم المتظاهرون على أعضاء الجمعية العمومية وهم يهتفون « الموت للخونة - تحيا الثورة - تسقط الرجعية » واعتدى المتظاهرون على السنهورى[4]

---

(١) كلمات مجدى حسنين فى شهود ثورة يوليو ص ٣٦٤ .
(٢) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٢٤٥
(٣) ص ١٣٥ - ١٣٦
(٤) تؤكد المعلومات أن حادث ضرب السنهورى كان مدبراً أسهمت فيه أجهزة عبد الناصر (انظر فصول من ثورة يوليو للدكتور وحيد رأفت ص ١٨٧ بالهامش) .

وأعضاء المجلس اعتداء عنيفاً ، وتظاهرتُ بالتدخل لإيقاف العدوان،وطلبت من أعضاء المجلس كتابة بيان تذيعه الإذاعة فكتبوا بياناً ضد الثورة ، فمزقناه فى وجوههم وأرغمناهم على كتابة بيان جديد حسبما نشاء .

ويذكر حسين عرفة هذا أن العدوان على مجلس الدولة أخاف الآخرين. فتوقف نشاط الذين كانوا يهاجمون الثورة ، وقد كان مفروضاً أن يعقد اجتماع بعد ظهر نفس اليوم فى نقابة الصحفيين ، ولكن أحداً لم يحضر .

وعن العدوان على مجلس الدولة نورد رواية أخرى مقتبسة من رجل قريب الصلة بالأحداث ، يقول الأستاذ صلاح الشاهد : فى خلال أزمة مارس سنة ١٩٥٤ نشرت الأخبار أن الجمعية العمومية لمجلس الدولة سوف تجتمع اليوم بدعوة من رئيس المجلس لإصدار بيان يرتبط بالحالة الحاضرة فاتجهت مظاهرة مدبَّرة بدأت سيرها من مبنى هيئة التحرير بجاردن سيتى ، وكانت مكونة من عمال من مديرية التحرير ، وجنود من البوليس الحربى بقيادة الصاغ حسين عرفة وعدد آخر من ضباط البوليس الحربى وكلهم بملابس مدنية ، واقتحم المتظاهرون مبنى مجلس الدولة الذى كانت الحراسة قد سُحبت من حوله ، ودخل المتظاهرون قاعة الاجتماع ، وكان المجتمعون قد انتهوا من إعداد قرار بتأييد الديمقراطيـــة والحياة النيابية ، فاعتدى المتظاهرون على الدكتور عبد الرازق السنهورى وعلى باقى الأعضاء بالضرب الشديد ، ومزقوا القرار الذى تمّ إعداده ، كما حبسوا مستشارى مجلس الدولة فى قاعة الاجتماعات ، وأجبروهم على توقيع بيان ببقاء مجلس الثورة . وقد اتّهم السنهورى أمام النيابة العامة جمال عبد الناصر بتدبير الحادث ، كما أنه رفض مقابلته عندما زاره بعد الاعتداء عليه ليعوده ، وعقب ذلك صدر قانون بمنع الوزراء الحزبيين من ممارسة العمل ، وكان الهدف من هذا القانون إسقاط السنهورى من رياسة مجلس الدولة ، وظل السنهورى

بعيداً عن الأحداث بمصر إلى أن وافاه الأجل سنة ١٩٧٢[١].

طائرة الملك سعود :

كانت نهاية محمد نجيب تقترب ، وذهب يوم ٢٨ مارس مع أعضاء مجلس القيادة إلى المطار لتوديع الملك سعود ، وصعد محمد نجيب سلم الطائرة مبالغة فى تحية الملك ، ولكن ظن بعض أعضاء مجلس القيادة أن نجيب ينوى مغادرة البلاد فى معية الملك ، فجذبوه بشدة جذبة أوقعته مغمًى عليه ، وادّعى بعد ذلك أن الإغماءة كانت نتيجة الجهد . يالله ![٢].

ويذكر فتحى رضوان أن ذلك لم يكن العدوان الوحيد باليد الذى حدث لمحمد نجيب ، فقد وقع عليه عدوان آخر فى الصحراء بواسطة ضباط ذكر محمد نجيب منهم أحمد أنور ، ويقول فتحى رضوان إنه عندما سمع هذه القصة انسحب من المجلس الذى كانت تروى فيه الحادثة ، وانقبضت نفسه غاية الانقباض من ذلك[٣] .

وأد القرارات الديمقراطية :

نجحت هذه الخطة التى فرضت الثورة بالقوة على الجماهير الثائرة ضدها ، وهيأت المظاهرات المفتعلة لمجلس الثورة أن ينعقد فى ٢٩ مارس ليقرر القرارات التالية :

١ - إرجاء تنفيذ القرارات التى صدرت فى ٥ مارس و ٢٥ مارس حتى نهاية فترة الانتقال .

---

(١) أذكرياتى فى عهدين : ص ٢٥٣ و ٢٥٤

(٢) دكتور وحيد رأفت : فصول من ثورة يوليو ص ١٨٨

(٣) أسرار حكومة يوليو ص ١٩٤

٢ - تشكيل مجلس وطني استشاري يراعي فيه تمثيل الطوائف والهيئات والمناطق المختلفة .

حادث المنشية ونهاية محمد نجيب :

قُضي على محمد نجيب بالأحداث السابقة قضاء يكاد يكون تاماً ، ولم يبق له إلا ظل باهت يتمثل في رياسة الجمهورية بدون أية سلطات ، وقد ظل ذلك حتى حادث المنشية في نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، الذي سنتحدث عنه فيما بعد ، والمهم هنا أن اسم محمد نجيب أشير إليه كواحد ممن اشتركوا في هذا الحادث ، واتُخِذ ذلك وسيلة لوضع نهاية تامة لمحمد نجيب ، والقبض عليه ووضعه في المنزل الذي كانت تملكه السيدة زينب الوكيل بالمرج تحت حراسة مشددة ومؤلمة ، وخلا الجو بذلك لعبد الناصر بعد هذا الصراع الطويل ، ومما يذكر أن قرار ٢٩ مارس الخاص بتشكيل مجلس وطني لم ير النور بعد ذلك .

ولم يكن إدراج اسم محمد نجيب في حادث المنشية إلا وسيلة للتخلص منه ، فحادث المنشية نفسه مشكوك فيه كما سنرى عند الحديث عنه ، وإدراج اسم محمد نجيب فكرة ساذجة لوضع نهاية لهذا الرجل ، ويروى فتحي رضوان ما يؤيد هذا الاتجاه بقوله كان عبد الناصر أكبر المتحمسين لإقالة محمد نجيب في أكتوبر ١٩٥٤ ، وكلمات عبد الناصر في هذا الموضوع هي : « في فبراير كان نجيب أقوى منا ، فكان في إقالته ضرر ، أما الآن فقد أصبحنا أقوى منه ، وعلى هذا ففي تأخير إقالته نفس الضرر [1] » ويتضح من هذه الكلمات أن الإقالة مقصودة لذاتها دون ربط بالتآمر الذي ادُّعِيَ في حادث المنشية ، ولو كان هناك تآمر فعلاً ما احتاج عبد الناصر ليقول هذا القول .

---

(١) أسرار حكومة يوليو ص ٩٢

بعد نجاح الاتجاه الديكتاتورى :

كان لنجاح الاتجاه الديكتاتورى نتائج خطيرة على مصر والمصريين نوردها فيما يلى :

١ - كان نجاح الديكتاتورية فى هذا الصراع بدءاً لعصر انتهت فيه سيادة القانون ، وبدءاً لعصر حكم الغاب(١).

٢ - فى ١٢ ابريل أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً بحرمان كل شخص تولى الوزارة فى الفترة من عام ٣٦ إلى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ من تولى الوظائف العامة لمدة خمس سنوات ، وأوضح جمال عبد الناصر للمجلس بصراحة أن الغرض من هذا القانون هو التخلص من السنهورى بطريق غير مباشر لأنه سبق أن تولى الوزارة ، وهذا دليل واضح على إخضاع القرارات للأغراض الشخصية(٢) ، وقد أشرنا لهذا القانون آنفا .

٣ - اتفق جمال عبد الناصر وصلاح سالم على ما أسمياه القائمة السوداء للتنكيل بمؤيدى الديمقراطية ، والقائمة البيضاء لمكافأة مؤيدى الديكتاتورية وقد شملت القائمة السوداء ما يلى :

(ا) تطهير الصحافة ووضع قانون وشروط لمن يعملون بها ، ومحاكمة محمود أبو الفتح ومصادرة جريدة المصرى وإيقاف صدورها . . . ؟

(ب) فصل بعض الطلبة نهائياً من الجامعات وحرمان البعض من دخول الامتحان ذلك العام .

(حـ) الفصل والإحالة للمعاش لعدد من أساتذة الجامعات ومدرسيها ، لتحريضهم الطلبة وإثارتهم (وكان كاتب هذه السطور ضمن المفصولين) .

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ١٤٥

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ١٨٢

(د) طرد أفراد أسرة محمد على من البلاد .

(هـ) محاكمة السياسيين القدامى أمام محكمة الثورة وحرمان البعض من حقوقهم السياسية بقرار من مجلس القيادة .

(و) العمل على تطهير نقابة المحامين بوسائل مختلفة .

وهكذا كان هناك سوط عذاب لكل من اشترك فى النداء بالديمقراطية وحق الشعب فى حكم نفسه .

أما القائمة البيضاء فكانت مكافأة العمال والفلاحين وتقرير الاستفادة بهم فى الجمعية التأسيسية ، وكانت كذلك العناية بالدعاية لصالح الهيئة الحاكمة .

٤ — استقال الوزراء المدنيون ، إذ اتضح لهم أن العمل مع العسكريين غير ممكن ، وهم على بهجت بدوى وعبد الجليل العمرى ووليم سليم حنا وحسن بغدادى وعباس عمار وعلى الجريتلى وعبد الرازق صدقى .

٥ — اقناع محمد نجيب بالاكتفاء برياسة الجمهورية على أن يتولى جمال عبد الناصر رياسة مجلس الثورة ورياسة الوزارة ، وكان ذلك فى ١٧ ابريل وقد وافق محمد نجيب على ذلك بسهولة ، فلم تعد له قدرة على المعارضة .

٦ — إنهاء علاقة خالد محي الدين بمجلس الثورة وتعيينه سفيراً (على الورق) .

٧ — أثرت هذه الحركة على علاقة مصر بالسودان ، وكانت من أسباب انفصال السودان عن مصر ، لأن الحكم العسكرى لايناسب السودانيين وقد سبق أن تحدثنا عن ذلك .

صور من وزراء ذلك العهد :

ذكرنا آنفا أن الوزراء المدنيين استقالوا عقب أزمة مارس ، ويذكر

لنا فتحى رضوان بعض الصور المخجلة التى ترتبط بهؤلاء الوزراء (١) ، وأولها صورة رجل اسمه « دكتور عبد الرازق صدقى » ويقول فتحى رضوان إن الدكتور عبد الرازق أسرع بعد الاستقالة فطلب مقابلة جمال عبد الناصر ، وقد روى جمال عبد الناصر لفتحى رضوان ما دار فى هذه المقابلة فقال وهو يضحك — ضحكة سخرية — : إن الدكتور عبد الرازق صدقى طلب منى ألا أقبل استقالته ، فسألته عن سبب الاستقالة ثم عن سبب العدول عنها فأجاب : طلب منى زملائى أن أستقيل لأن الدنيا ستنقلب رأسا على عقب فاستجبت لهم ، ثم رأيت أن الدنيا بقيت على حالها فرأيت أن الأفضل أن أعود للوزارة .

وقصة أخرى ترتبط بالدكتور عباس عمار ، فإنه بعد تقديم استقالته ذهب إلى فتحى رضوان وطلب منه أن يساعده للحصول على مقابلة مع جمال عبد الناصر ، ولم يكن من رأى فتحى رضوان أن يتصرف عباس عمار على هذا النحو ، ولكنه استجاب له واتصل بصلاح الشاهد ليحدد موعدا للمقابله وظل عباس عمار ينتظر الموعد إلى ما بعد الظهر ولم يتلق ردا فانسحب بأذيال الخيبة .

خطب نجيب بعد عزله :

بعد أقل من ساعة واحدة من إقالة محمد نجيب واعتقاله ، ذهب جمال عبد الناصر شخصياً إلى مبنى الإذاعة القديم بشارع الشريفين ، ومعه صلاح سالم وطلبا أن يتسلما كل الأشرطة التى تتضمن خطب محمد نجيب ، وقادة ثورة ٢٣ يوليو ، ووزراء الفترة من أول الثورة إلى عزل محمد نجيب .

وتسلم الاثنان كل الأشرطة التى طلباها وصحبهما الإذاعى الأستاذ حسنى الحديدى إلى مجلس الثورة ، وعكف هذا تحت رقابة شديدة على فرز تلك

---

(١) أسرار حكومة يوليو ص ١٨٠ – ١٨١

الأشرطة ، ليقضى قضاء تاماً على خطب محمد نجيب وكلماته ، وكذلك على جميع الخطب التى تحدث فيها قادة الثورة أو الوزراء يمجدون محمد نجيب أو يعترفون بأبوته الروحية للثورة وبقيادته لها ، وكان ضمن هذه الخطب نصوص ممتلئة بالمشاعر الجياشة التى كانت توشك أن ترتقى إلى مرتبة الكلام المنظوم فى التغزل فى اللواء محمد نجيب .

وهكذا فإنه كما محى من أرشيف الإذاعة كل إذاعات الملك السابق وكل خطب زعماء ما قبل الثورة وبخاصه الزعيم مصطفى النحاس . . . دارت دائرة المحو على ما قاله محمد نجيب وعلى ما قيل فيه (١) :

عظات :

ترتبط بهذه الأزمة عظات ينبغى أن نتذكرها ونحن نطوى صفحاتها السوداء :

أولا : السنهورى الذى طالما أيد وجهد لخدمة الباطل كانت نتيجته أن ضرب فى مجلس الدولة وفصل من هذا المجلس بقانون خاص ، وأعضاء مجلس الدولة الذى خالفوا الدستور ورفضوا إعادة البرلمان المنحل كان نصيبهم الضرب أيضاً من الغوغاء والسوقة مع رئيسهم .

ثانياً : هذا (الصاوى) اللعين الذى قُدِّر له أن يسهم فى إدارة مستقبل مصر ، توانى مرة فى تلبية طلب لأحمد أنور ، ويقول أحمد أنور : إننى آنذاك (لهفته قلمين) وقد سبق أن ذكرنا ذلك .

ثالثاً : على ماهر وسليمان حافظ وأعداد من الوزراء والمستوزرين المدنيين الذى حملوا إثم التعاون مع العسكريين ضد مصالح الأمة التى بهم

---

(١) المرجع السابق ص ٤٩ – ٥٠

العسكريون بعيداً بعد أن استغلوهم ، لقد كان هؤلاء يكيدون لزعماء الأمة ويبحثون لأنفسهم عن مكان عندما خلت الساحة من الزعماء الحقيقيين، ولكن الكارثة شملت الجميع ، وكان نصيب هؤلاء منها كبيراً .

رابعاً : انضم الإخوان للشعب فى الثورات التى قامت عقب قبول استقالة محمد نجيب وبخاصة أن الإخوان كان قد صدر قرار بحل جماعتهم قبل ذلك ، فلما صدر قرار آخر بإلغاء قرار الحل خُدِع الإخوان وانسحبوا من ميدان معارضة العسكريين ، وأصدروا قراراً بأنهم يعارضون عودة الأحزاب ويطالبون المصريين جميعاً بالسير خلفهم !!!(١) وعادت الدائرة مرة أخرى على الإخوان ونزلت بهم كل النوائب بعد أن نصروا عبد الناصر فى أزمته .

خامساً : فى خلال الأزمة بين الديمقراطية والديكتاتورية كانت صحيفة الأخبار تعنى بموضوعات إثارة غير وطنية ، ومن ذلك مانشرته يوم ٢٢ مارس عن فتاة مصرية تتحول إلى رجل ، وذلك تهرباً من العمل الوطنى ، ولكن الدائرة دارت على أصحابها ، فنزل بهم كل الضيم عقاباً من السماء(٢).

وانتهى بذلك عهد جمال عبد الناصر المستتر ، ليبدأ عهده البارز ، فإلى هذا العهد :

---

(١) محمد نجيب كلمتى للتاريخ ص ١٣٨

(٢) المرجع السابق ص ١٣٣

الباب الخامس

عصر جمال عبد الناصر:
عصر المظالم والهزائم

نحن الآن أمام اللغز الذى حيرَّ الناس ردحاً من الزمن ، اللغز الذى أطلق الألسنةَ والأقلام تبنى له صرحاً من المديح ، وفى الوقت نفسه أطلق مختلف الآلات والأدوات لتقضى على الإنسان المصرى وعلى مصر ، وقد أجّلنا من قبل مجموعة من الموضوعات بدأت فى عهد محمد نجيب بتوجيه عبدالناصر واستمرت وتعاظمت فى عهد عبد الناصر ، وقد آن لنا أن نعرض هذه الموضوعات ثم نواصل الحديث عن تاريخ مصر فى عهد عبد الناصر عاماً بعد عام .

الاعتقالات

ذكرنا من قبل أن المفكرين اصطلحوا على أن عهد عبد الناصر امتدَّ من مطلع الثورة حتى وفاته سنة ١٩٧٠ ، وكانت الاعتقالات والتعذيب والاضطهادات والسجون سمة هذا العهد كله ، وقد شملت هذه المحن جميع الأحزاب والهيئات والجماعات ، وعدداً كبيراً من الأفراد ، أما القلق والخوف والفزع فكان نصيبَ الناس جميعاً ، وكان كل واحد يتوقع الشر لأوهى الأسباب ، أو لسبب مختلق ، أو بدون سبب .

وإذا عدنا إلى الصحافة المصرية وإلى الوثائق وجدنا الأخبار التالية عن الاعتقالات :

– المصرى فى ٣١ / ٧ / ١٩٥٢ : (بعد الثورة بأسبوع واحد). قبض على عدد من الشبان بتهمة الشيوعية .

– أغسطس سنة ١٩٥٢ : صدر الأمر باعتقال فؤاد سراج الدين عقب قصة (الجيب) التى ذكرناها من قبل .

– ٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ : تمَّ اعتقال الآتية أسماؤهم : إبراهيم عبد الهادى ، أحمد نجيب الهلالى ، نجيب سالم ، أحمد عبد الغفار ، إلهامى

حسين ، رتضى المراغى ، فؤاد أباظة ، محمود سليمان غنام ، عثمان محرم حافظ عفيفى ، محمود غزالى ، صلاح الدين مرتجى ، إمام الشيمى ، الدكتور يوسف رشاد ، النبيل عباس حليم ، اللواء أحمد طلعت ، اللواء عمر حسن ، عبد العزيز البدراوى ، ادجار جلاد ، عبد الحميد سراج الدين ، يس سراج الدين ، اللواء وحيد شوقى ، على الرجال ، على الحشخانى ، محمود الدينى ، الدكتور أحمد النقيب ، عبد الحميد الوكيل خليل الجزار ، كمال عبد الرازق ، حافظ شيحة ، كمال رياض ، السيد سالم ، محمود طلعت ؛ يوسف حبيب ، سعد الدين السنباطى ، مصطفى صادق ، عبد الوهاب حسنى ، على الزمر ، ممدوح رياض ، حسن يوسف ، مصطفى فهمى (١) .

— فى مطلع سنة ١٩٥٣ : بدأ الصدام بين حركة الجيش والقوى الوطنية ، واتجهت أجهزة الأمن للقبض على عناصر كثيرة من هذه القوى الوطنية (٢).

— الأهرام فى ٨ / ٦ / ١٩٥٣ : المعتقلون الآن ٢٥٥ شخصاً .

— الأهرام فى ١٠ / ٩ / ١٩٥٣ : اعتقال مروجى الإشاعات .

— الأهرام فى ٢١ / ٩ / ١٩٥٣ : تحديد إقامة مصطفى النحاس وزوجته السيدة زينب الوكيل واعتقال إبراهيم فرج وكريم ثابت وإسماعيل المليجى ، وكمال القاويش .

— وفى سنة ١٩٥٤ عقب أزمة مارس وعقب حادث المنشية جاء الزحف الطاغى فى الاعتقالات حتى لم يبق بيت دون أن يعتقل واحد أو أكثر من أفراده ، وضاقت المعتقلات بالمعتقلين ، ودفع بأعداد كبيرة من هؤلاء إلى

---

(١) صلاح الشاهد : ذكرياتى فى عهدين ص ٢٧١ .
(٢) أحمد حمروش : مجتمع جمال عبد الناصر ص ٢٨٠

الواحات والصحارى لتتسع لهم ، وقد شملت الاعتقالات أشخاصاً تختلف هويتهم ، كما شملت جماعات تتعارض مبادئهم كالإخوان المسلمين والشيوعيين. وكان الاعتقال الناصرى بالغ القسوة ، وحتى يتبين لنا الفرق بين اعتقال واعتقال يجدر بنا أن نتعرف على طبيعة الاعتقالات قبل الثورة :

اعتقالات قبل الثورة :

شهدت مصر اعتقالات قبل الثورة ، وفى ظروف مختلفة ، ولكن اعتقالات ما قبل الثورة كانت تتسم بالجانب الإنسانى ، ويحدثنا عنها الرئيس أنور السادات فيقول :

– كان أهلى يأتون لزيارتى بمعتقل (ماقوصة) كل شهر ، وكنت أنا وزملائى فى المعتقل نتمارض أحياناً ، فكانوا يرسلوننا إلى المستشفى بالمنيا ، وفى إحدى هذه المرات التقيت بأحد زملاء الكفاح (وجيه خليل) الذى ذكر لى أن زملاءنا قد قرروا دفع عشرة جنيهات شهرياً لأسرتى بالقاهرة(١).

– وانتقلنا إلى معتقل الزيتون ، وكان فى هذا المعتقل عدة مزايا لسهولة زيارتنا من جانب ، ولأن المعتقل كان (فيلا كبيرة) تتيح لنا فرصة الحركة ، وكان لها حديقة أكبر من حديقة (ماقوصة الصغيرة) ، وقد إشتغلنا بزراعة البرسيم وتربية الأرانب(٢) .

– استدعيت للتحقيق مرة فى الثانية بعد منتصف الليل فصرخت فى المحققين قائلاً : إنكم أيقظتمونى من النوم ، وهذا أصابنى بهزة عصبية ، فأطلب منكم إثبات ذلك فى المحضر ، وأثبتوه ، ولم يعودوا لذلك بعد هذه المرة(٣) .

---

(١) البحث عن الذات ص ٦٩

(٢) المرجع السابق ص ٧٢

(٣) المرجع السابق ص ٨٨ .

ويضع أنور السادات مقارنة بين آدمية المصرى التى استمتع بها وهو معتقل قبل الثورة ، وبين المصرى الذى أفقدته الثورة آدميته فيقول إن النجاح لم يحالفنا بعد الثورة لأسباب مهمة أشدها عدم وضوح الرؤية بالقدر الكافى لا فى وقت مجلس الثورة ، ولا بعد أن أصبح جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية ، فقد كان بطبعه كثير الشك ، ولذلك انشغل بأمنه عن الرؤية البعيدة ، وعن أهم وأثمن ما فى الوجود وهو الإنسان ، ففى غمرة شكوك عبد الناصر وانشغاله بأمنه حدثت فى مصر أخطاء جسيمة ضد أخطر وأهم ما كان يجب أن نحرص عليه وهو آدمية المصرى وإنسانيته(١) .

ويصف فتحى رضوان معتقلات ما قبل الثورة فيقول : كان الأكثرية من المعتقلين وأنا منهم يستضيفون أولادهم الصغار ، فيصبحون أعضاء فى المعتقل بالأيام والليالى ، بل الأسابيع والشهور ، وطالما استضفت أولادى عصام وعمرو وعزة ، وكانوا يشتركون فى مباريات الكرة التى كانت تجرى على ملعب المعتقل . . . . وللقارىء أن يتصور بذلك مدى الحرية التى كنا نستمتع بها داخل المعتقل (٢) .

ولنعد إلى اعتقالات عبد الناصر لنضيف مزيداً من صورها ، فنذكر أن من الذين ألقى عبد الناصر القبض عليهم أفراداً رضى عنهم عبد الناصر فيما بعد ، وعينهم فى منصب الوزراء .

ومن الذين ألقى عبد الناصر القبض عليهم الأستاذ عبد اللطيف المردنلى الذى كان عضواً بمجلس النواب قبل الثورة ، وكانت جريمته أنه اشترك فى تشييع جنازة الزعيم مصطفى النحاس ، وقد اعتقل معه لنفس السبب عدد كبير ممن قاموا بنفس العمل ، وقد استمر المردنلى معتقلاً أكثر من خمس

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٠
(٢) أسرار حكومة يوليو ص ٩٦ .

سنوات ، ولم توجَّه إليه أية تهمة ، ولم يُدْعَ للتحقيق طوال مدة اعتُقاله حتى مات فى سجن ليمان طره .

وقد سبق أن ذكرنا أن بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة اعتقُلوا ، ومن هؤلاء يوسف صديق ، ومحمد نجيب ، وكمال الدين حسين ، وعبد الحكيم عامر ، وكثير من عائلات هؤلاء ، ولم ينج الأعضاء الآخرون من مجلس قيادة الثورة من الاعتقال إلا بالطاعة المطلقة أو السلبية .

وقد سمعنا جميعاً خطاب عبد الناصر الذى افتخر فيه بأنه قبَض على ثلاثين ألفاً فى نصف ساعة .

ووصلت شهوة عبد الناصر فى الاعتقال إلى درجة خطيرة يبرزها الأستاذ حسن عشماوى بقوله إنه طلب فى مطلع الثورة من عبد الناصر أن يُطلق المسجونين السياسيين الذين كانوا قد اعتُقلوا فى الثانوية العسكرية ، وكان عددهم ٧٣ فرداً ، وقد أجابه عبد الناصر بقوله : أنت تستكثر ٧٣ سريراً فى الثانوية العسكريه ؟ ليت لى فيها ٢٢ مليون سرير لهذا الشعب كله(١). (٢٢ مليون هو تعداد الشعب آنذاك)

أما الذين لم يعتقلهم عبد الناصر فلنا عنهم هنا حديث أيضاً ، فإن الناس جميعاً دون استثناء عاشوا فى رعب وفزع ، واضطراب وقلق ، وكان كل واحد يرتجف إذا دقَّ أحدٌ بابَه خوفاً من زوار الليل الذين كانوا كالقدر المحموم ينقضُّون على البيوت فيسلبون الرجال ويلقون بهم فى المجهول .

ويرتبط باعتقالات عبد الناصر شىء رهيب هو التعذيب آن لنا أن نتكلم عنه كلمة .

---

(١) الإخوان والثورة ص ٩١

التعذيب

ماذا أكتب عن التعذيب ؟

إن ما قرأته عن التعذيب شيء يثير الشجون ، ويجعل الجسم يقشعر من أهوال ما لاقى المصريون من الشيطان الأكبر ، ومن زبانيته ، لقد اختار عبد الناصر لهذا العمل الإجرامى مجموعة من المخلوقات ماتت آدميتهم ، ودربهم أدق تدريب أكثر مما درب جيشه ، وكانت البراعة فى التعذيب وسيلة ترفع صاحبها درجات ودرجات ، وقد دونت الأقلام صوراً من التعذيب بعيدة عن الإنسانية ، ولابد يوماً من قصاص عادل من أولئك الذين استباحوا كل محرم واستحلوا ما حرم الله .

ولن أستطيع هنا أن أصور كل هذه المآسى المريرة ، ولكنى أورد فيما يلى قائمة قصيرة مما لدىّ من كتب كثيرة تحدثت عن هذا العار ، فقد يجد القارىء من وقته وجهده ما يسمح له بالاطلاع عليها ، وفيما يلى هذه القائمة :

سنوات عصيبة	:	المستشار محمد عبد السلام .
شهداء وقتلة فى ظل الطغيان	:	عادل سليمان وعصام سليمان .
مذابح الإخوان فى سجون عبد الناصر	:	جابر رزق .
أيام من حياتى	:	السيدة زينب الغزالى .
قضية التعذيب الكبرى	:	الأستاذ محمد شوكت التونى .
فى معتقل أبو زعبل	:	الهام سيف النصر .
عندما يحكم الطغاة	:	المستشار على جريشة .
فى الزنزانة	:	« « «
ويل لهؤلاء من محكمة التاريخ	:	الأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر .

محاكمة جمال عبد الناصر : الأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر .
القابضون على الجمر : محمد أنور رياض .

ويبدو أن زبانية عبد الناصر لم يكتفوا بالتدريب العملى للجلادين ، بل راح واحد من أعوان عبد الناصر يضع المذكرات ويؤلف الكتب ليشرح لمريديه وتلاميذه طرقَ التعذيب والتنكيل حتى يحققوا لسيدهم ما يتمناه من إيقاع بهذا الشعب وتدمير له ، وبين يدىّ كتاب صلاح نصر « الحرب النفسية » الذى تدارس فيه وسائل التعذيب فى الجماعات المختلفة(١) ليقتبس أقساها ، وليضيف إليها من ابتكاره ما يُشْعِر سيده بعبقريته فى الإيذاء ، وقد نجح صلاح نصر ، وشمس بدران،وحمزة بسيونى ، ورجالهم فى تحقيق أمل سيدهم فيهم ، وسنورد فيما يلى صوراً من التعذيب ، ثم نعطى نماذج لمن نزل بهم هذا العناء .

صور من التعذيب :

يتحدث إلهام سيف النصر(٢) عن التعذيب الذى نزل بالشيوعيين ، فيذكر أن تاريخ مصر سجّل حدثاً فريداً فى وحشيته وقسوته ، وأيضاً فى غدره ، ويشرح لنا اصطلاحاً جديداً فى دنيا التعذيب هو « التشريفة » والتشريفة كانت مجموعة من التعذيب تنزل بالمعتقلين من حين إلى آخر ، فعندما يُنقلون من مكان إلى مكان أو عندما يُطلبون من الزنزانات كانت تستقبلهم « التشريفة » بكل ما بها من قسوة وبُعد عن الإنسانية ، وكان ممن ذاقوا التشريفة عدة مرات مجموعة من أساطين المفكرين مثل الدكتور فؤاد مرسى الأستاذ بجامعة الإسكندرية ، ومحمد سيد أحمد المهندس ،

---

(١) الحرب النفسية فى عدة صفحات ، وانظر بوجه خاص ص ١٩٠ وما بعدها .
(٢) فى معتقل أبو زعبل ص ١٢ ، ٢١

ومحمود أمين العالم المثقف المعروف ، وسعد زهران أستاذ الرياضيات ، والدكتور عبد العظيم أنيس أستاذ الرياضة البحتة وكثيرون سواهم .

ومع أننا نختلف فى العقيدة مع الشيوعيين فإننا لا نوافق على معاملة الإنسان بغير القانون ، أو بطبيعة الغاب ، ثم إن هؤلاء الشيوعيين الذين لاقوا العنت أسْلِمت لهم أزِمَّةُ الأمور فيما بعد فصار منهم الوزراء ، ورؤساء مجالس الإدارات ، وكبار المسئولين فى وسائل الإعلام المختلفة ، مما يدل على أن الأمور كانت تسير بالمصادفة .

ومؤلفا « شهداء وقتلة » يبرزان فكرة مهمة هى أن هزيمة الشعب المصرى تأتيه على مدار التاريخ من الداخل ، ويهيء ذلك لسقوطه أمام العدوّ الخارجى ، فكان الشعب المصرى ينهزم بالداخل أمام الطغاة فيتيح هذا الوضعُ الفرصةَ لهزيمة مصر أمام الغزاة من الخارج (١) .

ويذكر هذان المؤلفان أن شمس بدران قال لصفوت الروبى : الواد ده (يقصد الأستاذ شمس الدين الشناوى) مصروفٌ له ألف كرباج ، ويقول الأستاذ الشناوى إنهم أخلوه فعلاً وعلقوه فى « فلقة » وضربوه حتى أغمى عليه ، ولما أفاق استأنفوا الضرب ، وهكذا ليكملوا الألف كما أمرهم سيدهم ، وكانوا يطفئون السجاير فى جسده ، وأرغموه على أن يأكل ما تناثر من جلده بتأثير الضرب (٢) .

ويذكر المستشار على جريشة أن صور التعذيب التى تعرّض لها وشاهدها كانت الكى بالنار ، والصعق بالكهرباء ، ونهش الكلاب المتوحشة وسطوة القتل والتمثيل بالقتلى ، وهتك أعراض كرائم السيدات . . . . (٣)

---

(١) شهداء وقتلة ص ٤

(٢) المرجع السابق ص ٣١

(٣) عندما يحكم الطغاة ص ١١٢

ويعطى المستشار على جريشة تفاصيل عن التعذيب فى كتابه « فى الزنزانة » فيقول :

هنا جحيم . . . من صنع البشر . . . !

ألوان لاتخطر على بال . . .

جثث معلقة من أرجلها . . مسلوخة من جلدها . . تماماً كالذبائح . . تتصاعد منها صرخات ثم تخفت إلى أنات . . ثم تخفت الأنات الى أنفاس تتردد . . حتى تتوقف الأنفاس . . طبعا السلخ يتم بطريقة مؤلمة . . هى الضرب بالسياط . . ثلاثة أو أربعة على واحد حتى ينسلخ جلده ويتركوه بين الحياة والموت . . !

كلاب . . متوحشة . . تعوى وتهاجم . . وتقتطع أجزاء جمة من الأجساد . . !

أسلاك الكهرباء . . تسرى فى الأجساد وتصيبها برعدة شديدة ، وتتركها كذلك بين الحياة والموت . . . !

نزع الشعور ، واقتلاع الأظافر . . . !

ولحمزة البسيونى هواية غريبة . . . ينزع نصف الشارب من ناحية ، ونصف الذقن من ناحية أخرى . . ليسخر من « خلقة الله » . .

الحرمان من الطعام . . ومن الشراب . . فى عز الحر . ..

الثلاجة .. .. !

زنزانة لها عتبة عالية تملأ بماء بارد .. ويقذف فيها المعذب / يومين أو ثلاثة بلا نوم .. بلا راحة .. بلا جلوس ..

المبيت مع الكلاب ..

فعلوها مع الشيخ الأودن « فوق الثمانين » ، ومع المستشار الهضيبي « فوق السبعين » !

نساء ومنهن فتيات فى عمر الزهور ١٧ أو ١٨ سنة ، وأطفال وبينهم من هو فى السابعة أو الثامنة ، وتعلق النساء من أرجلهن ويضربن بالسياط ويفعل بالأطفال كذلك .

ملحمة حزينة من البكاء والصراخ ، من الآهات والأنات ، يستنجدون الله ويستغيثون به فيتطاول الجلادون على ذات الله ويتوعدونه إن جاء ، وأقل سب عندهم هو سب الدين (١) .

وكثيراً ما يُسْطَفأ نور السجن الحربى لتنقل جثة أحد المعذبين لتدفن فى الجبل ثم يكتب فى دفاتر السجن أنه هرب ، وياترى متى يكتب اسمى فى سجل الهاربين .

ويتحدث أنور السادات عما أنزله هذا العصر المظلم بالإنسان المصرى فيقول : لاحظت أن أكبر خطأ ارتُكب فى حق الإنسان المصرى كان هو زرع الخوف ، فبدلا من أن نبنى الإنسان أصبح كل همنا أن نخيفه ، والخوف هو أخطر ما يهدم كيان الفرد أو الشعب ، فلقد كانت أرزاق الناس كلها ملكاً للحاكم ، إن شاء منح ، وإن شاء منع ، وكان المنع مصحوباً فى أغلب الأحيان بمصادرة حرية الفرد واعتقاله ، ثم فصل جميع أهله من وظائفهم مع اتخاذ إجراءات ضدهم (٢) .

وليحقق عبد الناصر أقصى درجات الخوف لدى الشعب سرَّب للناس بعض المعلومات عن صور التعذيب داخل السجون والمعتقلات ليخاف الناس ويخضعوا(٣).

---

(١) فى الزنزانة ص ١٥ - ١٦ ، ١٧
(٢) صحيفة الأهرام فى ١٦/١٠/١٩٧٥
(٣) جابر رزق : مذابح الاخوان فى سجون ناصر ص ٢٧

وكانت قسوة هؤلاء الوحوش على المرأة مثل قسوتهم على الرجل، وتقول السيدة زينب الغزالى : ضربت بالسياط عدة مرات ، وكانت السياط بقسوتها تشق فى جسمى مجارى الألم والدم ، وكان الضرب يستمر حتى أسقط جثة هامدة ، وقد تغير جسمى تماماً من الضرب والكلاب والإجهاد والجوع والعطش والتمزق فى جسدى ، فكان الذى يرانى لايعرفنى (١) .

وكان الجلادون لايعرفون الله ولا يؤمنون به ، فعندما سمع شمس بدران هذه السيدة تهتف : « يارب » قال لها أين هذا الرب ؟ ادعيه لينقذك من يدى ، وكان يضيف : نادى عبد الناصر يسرع لك العفو والغفران ؛ وتقول السيدة زينب ، إنى كنت لا أرد عليه حتى لايستمر فى جاهليته . (٢)

ووصل الإجرام غايته حينما دخل صفوت الروبى على هذه السيدة المسلمة ومعه مارد أسود ، وألقى صفوت تعليماته إلى هذا المارد بأن يرتكب مع هذه السيدة أبشع جريمة ، وترك صفوت السوط للمارد الأسود وهو يقول : إذا لم تستجب لك فالسوط معك ، ولكن المارد الأسود كان فيه بقية من حياء ، فضعف أمام انكسار المرأة ودعواتها ، وقال لها : لا تخافى ياخالة لن أفعل بك مايريدون ولو قطعونى إرباً (٣) .

ويصف محمد أنور رياض شاباً مقبوضاً عليه نقلته سيارة من مكان إلى مكان ، وعندما وقفت السيارة دُفع الشاب إلى الأرض ، وحينذاك دفنوه فجأة داخل غابة من العصى تنهال بها أيد آثمة على رأسه وجسده . (٤)

ويصف جمال فوزى مالاقاه من شمس بدران وصلاح نصر فيقول : علقونى من ذراعىّ ، ثم ربطوا قدمىّ ؛ فى اتجاهين مختلفين ، ثم بدأت عملية

---

(١) أيام من حياتى ص ٩٠ - ٩١
(٢) المرجع السابق ص ٦١
(٣) المرجع السابق ص ٩٦ - ٩٧
(٤) القابضون على الجمر ص ٩٦

(الفسخ) بشعةً رهيبةً قاسيةً ، صرت أتمزق : وأحسست آلاماً فوق طاقة البشر من صنع أناس ليسوا من البشر ، ومن صور التعذيب التي مارسوها معي تهشيم الجسد بالعصى ، والكلمات والضرب ، على أن أقسى ما عانيته جسمانياً ونفسياً هو ما أسموه (الخابور أو الخازوق) فقد انتزعوا ملابسي الممزقة وجاءوا بجسم صلب يخزونني به في الموضع الحساس ، وشعرت بالتمزق ثم رحت في غيبوبة . (١)

وكثيرون من الناس ماتوا تحت التعذيب وكان شمس بدران يقول مهدداً المعتقلين (أنتم مش داخلين علينا بعدد ، ومش لازم تخرجوا من عندنا بعدد) والعجيب أنهم يقتلون الشهيد ، ويدفنونه في صحراء ما يسمى مدينة نصر ، ثم يذيعون أنه هرب ويُجرون محاكمة صورية لحرّاسه ؛ ويقبضون على أهله بتهمة أنهم اشتركوا في إخفائه .

وبمناسبة الحديث عن تعذيب الأهل يذكر المستشار على جريشة أنه شاهد طفلاً صغيراً يعذب ليعترف أبوه بما يريدون ، وشاهد بنات أحد الإخوان وزوجته يهددن في أعراضهن حتى يعترف الأب . (٢)

وقد وصلت العناية بوسائل التعذيب إلى أن تُرسل طائرة خاصة لجلب الكرابيج السودانية ، ولكن هذه تأخرت فترة عن الوصول بحمولتها ، فاستعمل (الشوم) بدل الكرابيج ، فترتب على ذلك ألوان من الكسر في العظام ، وإحداث كدمات مفزعة في الجسم ، ومن هنا كثر أن نرى أذرعاً معلقة في الرقبة ، أو نرى رجالا يزحفون على مقاعدهم .(٣)

---

(١) مذابح الاخوان في سجون ناصر ص ٩٣

(٢) عندما يحكم الطغاة ص ١٧

(٣) مذابح الاخوان في سجون ناصر ص ٢٣ ، وتاريخ بلا وثائق للدكتور إبراهيم عبده ص ٥٩

وننتقل الآن لإعطاء نماذج قليلة للذين وقع عليهم هذا التعذيب :

ونبدأ فى حسرة لنقرر أن صوراً من هذا التعذيب نزلت بالرجل الذى قاد الثورة ، وخرج فى الثالث والعشرين من يوليو ليعلنها ، ولو فشلت الثورة — وكثيراً ما تفشل الثورات — لدفع رأسه ثمناً لهذا الموقف: ويصف محمد نجيب ما نزل به من تعذيب فيقول : إنه وضع فى غرفة مقفلة النوافذ طيلة ٥٩ يوماً ؛ لم تدخل الشمس بها خلال هذه المدة ، ولم يصرح له بالخروج منها ، وشاركه فى النوم بها ضابط وصول وشاويش ، ويقول الرجل : حتى حرية النوم وحدى فقدتها . . وكان فى معتقله بالمرج يعيش فى بيت تحيط به جنود الحراسة ، كما كان عدد من الحراس يعيشون فوق الأسطح ، وكانت هناك (داورية) فوق الغرفة التى ينام فيها ، وصوت أقدام الجنود لا يهدأ طول الليل ، وكانت العربة المخصصة لنقل أولادى إلى المدرسة تصل فى الصباح متأخرة بعد بدء الدراسة ، ولا تصل إلى المدرسة لإعادتهم إلا بعد انصراف المدارس بمدة طويلة ، فيعودون إلى البيت مرهقين جائعين لا يجدون وقتاً للمذاكرة . . . ووصلت الحال إلى قمتها عندما هجم علىّ جندى محاولا الإعتداء علىّ (١) .

وننثنى للحديث عن عالم فاضل هو الشيخ الأودن ، وهو أستاذ لأجيال من المفكرين المسلمين ، وقد قبض عليه زبانية عبد الناصر ، وكانت سنه تتجاوز الثمانين ، وقبضوا معه على أولاده الأربعة ، وصلبوه وعذبوه ، وأشركوا معه فى زنزانته عشرة كلاب تسرع إلى الطعام عندما يقدم إليه فلا ينال الشيخ الفانى منه شيئاً ، ومع هذا يقول الشيخ الأودن إن هذه الكلاب كانت أكثر إنسانية من أصحابها . (٢)

وننتقل إلى نموذج ثالث من مشاهير الرجال الذين وقع عليهم التعذيب ؛

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ١٥٨ — ١٥٩

(٢) مجلة المصور فى ١٩٧٦/١/٢٤

ذلك هو الأستاذ مصطفى أمين ، ويصف الأستاذ أنور زغلول صور التعذيب التي وقعت للأستاذ مصطفى أمين فيقول : أخذوني إلى غرفة وجدت فيها الصحفي مصطفى أمين عارياً تماماً مثلي ، وقضيبه مربوط بسلك كهربائي ، وكان يلهث من العطش ، فأراقوا أمامه بعض الماء على الأرض ، فزحف وهو مكبل ليلعق الماء ، ولكن الزبانية كانوا يجذبونه كلما قرب من الماء ، وعلقوه من يديه في كلبشات ، وانهالوا عليه بالضرب ، فصرخ مصطفى أمين ليردد (يارب) فقال له صلاح نصر : (خلى ربك يجيء ينفعك)(١) .

عبد الناصر كان يأمر بالتعذيب ويشاهده :

ونجيء إلى نقطة مهمة يتحتم أن نبرزها ، هي أن كل هذه الصور من التعذيب كانت بأمر عبد الناصر وتدبيره ، وكان كثيراً ما يذهب إلى المعتقلات بنفسه ليتلذذ برؤيتها ، ولما بعد عنه المعتقلون إلى الواحات ، وأصبح عسيراً عليه أن يستمتع بمشاهدة تعذيبهم ابتكر له زبانيته دوائر تليفزيونية يستطيع بواسطتها أن يشاهد ضحاياه وهم يتعرضـون لعدوان وحوشه الكاسرة ، ومن هنا فينبغي أن تحذف من الألسنة والسطور والعقول تلك العبارة الكاذبة وهي « مراكز القوى أو مراكز النفوذ » فإن عبدالناصر أمر ورأى وباشر كل النكبات والأهوال التي نزلت بمصر وبالمصريين في عهده ، ويقول الاستاذ معروف الحضري : أشهد الله أن جمال عبد الناصر كان يحضر شخصياً إلى السجن الحربي ، وكذلك جمال سالم وعلى صبري ليتلذذوا بالتعذيب الذي كان يقع على جماعة الإخوان المسلمين . (٢)

وتقول السيدة زينب الغزالي : إنني كنت ملقاة على الأرض جثة هامدة عقب وجبة من الضرب والإيذاء ، وأحسست حولي بحركة غير عادية ، ففتحت

---

(١) محمد شوكت التوني : قضية التعذيب الكبرى ص ١٤٤ وانظر صورا بشعة في « سنة أولى سجن وسنة ثانية سجن »

(٢) جابر رزق : مذابح الاخوان في سجون ناصر ص ٢٦

عينى بصعوبة فوجدت أمامى جمال عبد الناصر يتكىء على كتف عبد الحكيم عامر ، ويمسك فى يده نظارة سوداء . (١)

ويقول المستشار على جريشة إنه شاهد الطاغوت ونائبه يشهدان صور التعذيب وهما فى غرفة حمزه البسيونى ، ويعلق المستشار على ذلك بقوله : كان يجد سعادة فى تعذيب الناس ، إنه إنسان غريب ، بل لايصح أن نقول عنه إنه إنسان . (٢)

وقد تسربت اللذة فى رؤية التعذيب من عبد الناصر إلى رجاله ،ويقرر الأستاذ إلهام سيف النصر أن عناصر من قادة الثوره اشتركوا فى وضع الخطط لتعذيب الشيوعيين ، ومن هؤلاء زكريا محيى الدين وعبد اللطيف البغدادى (٣) فالكل كانوا يتسابقون لإرضاء عبد الناصر .

ولسنا نستبعد ذلك ، فقد استطاع عبد الناصر أن يجعل من أعضاء مجلس الثورة عبيداً له ينفذون ما يريد بعدة طرق منها طريق المحاكم التى كان يضعهم فيها ليشتركوا فى حمل المسئولية ، وليلوث تاريخهم أمام الجماهير ، ومنها المشاركة فى الاعتقالات ، أو فى التعذيب ، أو — على الأقل — فى مشاهدة التعذيب .

ومن شركاء عبد الناصر فى هذه الجرائم شمس بدران ، وتقول السيدة زينب الغزالى : إنه وحش غريب عن الإنسانية ، وأكثر وحشية من وحوش الغاب ، إنه أسطورة فى التعذيب والقسوة ، كان ينطلق فى لذة غريبة ليضرب الموحِّدين بأعنف ما يمكن أن يتصوره العقل البشرى (٤) ، ومن أجل هذا كان شمس بدران يعد أحد « ملوك التعذيب الناصرى » وقد حكمت عليه المحاكم بتعويضات مالية كبيرة ستجىء الإشارة إليها فيما بعد .

---

(١) أيام من حياتى ص ١٤٣

(٢) عندما يحكم الطغاة ص ١٧ : ١٨

(٣) فى معتقل أبو زعبل ص ٤٢

(٤) أيام من حياتى ص ٨٦

وكان هناك رجل آخر تفنن فى أساليب التعذيب ، واستورد بعض صورها وبعض أجهزتها من الخارج حتى سمى أيضاً « ملك التعذيب » ذلك هو حمزة بسيونى ، الذى كان يذكر فتقشعر الأبدان لذكره - وكانت له كلاب مدربة يأمرها فتمزق الملابس وتنهش الأجسام .

وقد كتب الكثير جداً عن قسوة حمزة البسيونى ورجاله ، وسمعنا الكثير من ذلك ممن لا يملكون وسائل الكتابة ، ويكفى أن نقرر أن أسرى الصهاينة كانت تأخذهم الشفقة بالمصريين من قسوة ما يعانون من التعذيب ، وقد تحدثت السيدة زينب الغزالى عن ذلك(١) .

ولى مع حمزة بسيونى تجربة قاسية ، فقد استدعانى يوماً للقائه سنة ١٩٦٥ بالاتحاد الاشتراكى ، وكانت المرة الوحيدة التى رأيته فيها ، وأشهد أن منظره كان يبعث الخوف والرعدة ، وهناك ذكر لى أنه وقع علىّ الاختيار لألقى محاضرة إلى المثقفين المقبوض عليهم . ولم يكن لى خيار ، خوف أن أصبح واحداً منهم ، فقلت له إن هذه المحاضرة من أقسى ما تعرضت له من محاضرات ، فأنت لاتثق بى ، وستعدُّ علىَّ الكلمات عدّاً ، والسامعون سيعتبروننى أجيراً أو عميلاً لكم ، وعلى كلٍّ فإننى لا أملك إلا القول ، وأسأل الله العون ، وفى الوقت المحدد حضرت لى سيارة ركبتها ، واخترقت بنا شوارع القاهرة حتى أطراف المدينة ، ثم أسدلت ستائر على جوانبها ، وراحت تشق طريقها وسط الفراغ والسكون الشامل ، وبعد أكثر من ساعين وقفت فى مكان لاأعرفه ، ونزلتُ منها لأجد عدداً من المتخصصين فى الاختزال يكتبون كل كلمة ويدوّنون كل حركة ، وجلس أمامى عدد كبير جداً من المثقفين فى طوابير منتظمة ، وبدأتُ محاضرتى ، واتخذتُ طريقاً لحمايتى من الشبهات ، فتكلمت عن الحضارة الإسلامية ، وما قدمه الإسلام للجنس البشرى من أفضال ووسائل هداية وبعون الله أرضيت الجانبين .

---

(١) زينب الغزالى : أيام من حياتى ص ١٩٩

وكانت هذه المحاضرة وعَزْمُ حمزة البسيونى على أن أكرر هذا اللقاء من الأسباب التى دفعتنى لقبول الإعارة لجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان حتّى لايتكرر لقائى مع هذا الرجل الذى كان يخيف بمنظره ويخيف بسلطانه :

وفى عهد الحرية الذى أطلّ علينا مع انتصارات أكتوبر حكمت المحاكم المصرية بتعويضات هائلة على هذا الرجل لصالح بعض الضحايا الذين طالبوا بهذه التعويضات ، واستنكرت المحاكم هذه القسوة الوحشية التى أثبتتها التقارير ضد هذا الرجل وأعوانه ومشجِّعيه •

تلك عجالة عن التعذيب الناصرى ، وسنعود لهذا الموضوع عند الحديث عن الهيئات والجماعات التى نزل بها العسف والظلم .

المحاكمات

عرفت مصر فى عهد الثورة صوراً كثيرة من المحاكم والمحاكمات أوشكت أن تستنفد الكلمات التى يمكن أن تسمى المحاكم بها ، فكان منها :

- المحاكم العسكرية
- محكمة الغدر
- محكمة الثورة
- محكمة الشعب
- ومحاكم أخرى عرفت باسم محاكم الدجوى

مقارنة بين محاكم ماقبل الثورة ومحاكم الثورة :

قبل أن نتحدث عن محاكم الثورة نقتبس من أنور السادات كلمة عن محاكمات ما قبل الثورة ، يقول أنور السادات(١) .

استغرقت محاكماتنا فى قضية مقتل أمين عثمان ثمانية شهور ، وأذكر أنه عندما أتى البوليس ليأخذنا إلى المحكمة حاولوا وضع « الكلابشات » فى أيدينا ، فرفضنا ، وقلنا إذا حُكِم علينا فافعلوا ما تشاءون ، ولكن قبل الحكم لا يمكن أن تفعلوا بنا هذا . فاكتفى البوليس بأن وضعنا فى « لورى » إلى المحكمة ، وفى المحكمة حكم لنا بالبراءة ، وصدر الحكم فى الظهر ، وعدنا إلى السجن لإتمام الإجراءات ، وفى الساعة الخامسة مساء نفس اليوم أطلقوا سراحنا .

ماذا لو قارنا ذلك بمحاكمات عهد عبد الناصر ؟

---

(١) البحث عن الذات ص ١٢٢ - ١٢٣

الإجابة عن ذلك نأخذها من كلمات أحد قضاة هذه المحاكم وهو الفريق فؤاد الدجوى الذى يقول : إن الحكم لك أو عليك يتوقف على رأى ولاة الأمور ، فإذا رضى عنك ولاة الأمور لسبب أو لآخر فإنه يسعدنى أن أبرئك ، وإذا كنت مغضوباً عليك فيؤسفنى أنى سوف أحكم بقطع رقبتك .... إنى لم أدرس القانون ، وولى الأمر عندى كل شىء ، هو الدولة والوطن والدين ، ومن يخرج عليه أو يغضبه فقد خرج على الدولة وخان الوطن وكفر بالله(١) .

ولم تكن المحاكمات مقصودة لذاتها ، وإنما كان المقصود تدمير كل قوى المعارضة ، وتخويف من تخول له نفسه أن يقف فى طريق أطماع الثوار .

وفى بعض الأحوال حكمت المحكمة ببراءة متهم ، كما حدث فى حالة الأستاذ محمد أمين سوكة الوزير المفوض بوزارة الخارجية ، ولكنه لم يخرج من الاعتقال لأن قرارا جديدا صدر باعتقاله بدون اتهام .

وسنعطى فيما يلى كلمة عن محاكم عبد الناصر :

محاكمة البكباشى حسنى الدمهورى

إن الحديث عن محاكمة حسنى الدمهورى نقتبسه من كلام أحد الضباط الذين كانوا قريبين من الأحداث وهو الضابط محمد رياض ياور الرئيس محمد نجيب ، وهو فى ذلك يقول :

كان أول خلاف حدث بمجلس الثورة مرتبطاً بالبكباشى حسنى الدمهورى وكان ذلك فى يناير سنة ١٩٥٣ ، وقد شاهدت بطريق الصدفة عملية تعذيبه بنفسى ، وكانت صور التعذيب هذه أول عمل من نوعه تقوم به

---

(١) محمد شوكت التونى : محاكمات الدجوى ص ١٥

الثورة ، وأشهد أنه كان شجاعاً ، فإنه على الرغم من قسوة التعذيب لم يُدْلِ بأى اعتراف على غيره ، (نرجو أن يتنبه القارئ إلى أن التعذيب بدأ من يناير سنة ١٩٥٣) .

وقد شكلت فى اليوم التالى محكمة من أعضاء مجلس الثورة « فيما عدا محمد نجيب » وكانت برياسة جمال عبد الناصر ، وحكمت هذه المحكمة بإعدام حسنى الدمنهورى ، وقد نقلتُ ذلك إلى محمد نجيب ، ووضحت له ما نزل بالبكباشى حسنى الدمنهورى من تعذيب ، كما وضحت له أنه لم يمنح الفرصة المناسبة للدفاع عن نفسه .

ويواصل محمد رياض كلامه فيقول إن محمد نجيب — وكانت السلطة لم تسحب تماماً منه بعد — استدعى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأغلظ لهما القول ، ورفض الموافقة على حكم الإعدام ، فخفف الحكم إلى السجن المؤبد[1] .

محكمة الغدر

اسم الغدر تقشعر منه الأبدان ، ويحس الإنسان من هذا الاسم أن الذين سيحاكمون أمام هذه المحكمه خانوا أمانة الوطن ، وغدروا بالتزاماتهم ، ولكن التسمية لم تكن ذات معنى عند رجال الثورة ، فالذى يهمهم هو قطع ألسنة المعارضين وتشويه سمعتهم .

ويلاحظ فى محكمة الغدر شىء مهم هو أن المحكمة أعلن عنها فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ ولكنها لم تشكل إلا فى إبريل سنة ١٩٥٣ ويحس الإنسان أن الإعلان عنها كان للتخويف حتى يتراجع المعارضون أو بعضهم ، ثم يقدم للمحاكمة إليها أولئك الذين لم يريدوا التراجع .

---

(١) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ٤١

وهناك جانب يستحق التقدير ، ويرتبط بمحكمة الغدر ، وهذا الجانب يبرزه الدكتور وحيد رأفت بقوله : لعل محكمة الغدر هي المحكمة الوحيدة من محاكم الثورة التي غلب على قضاتها الطابع القضائي ، ولذلك لم تعمر طويلا(١) .

ولنسر مع صحافة تلك الأيام لننقل أخبار هذه المحكمة :

– في أهرام ٥٢/١٢/٢٢ ذكر متحدث باسم مجلس قيادة الثورة أن محكمة ستنشأ باسم « محكمة الغدر » يحاكم أمامها كل من استغلوا نفوذهم ، وأفسدوا الحياة السياسية .

– وفي أهرام ١٩٥٣/٢/١١ صرح هذا المتحدث بأن محكمة للغدر ستباشر عملها في أوائل مارس .

– وفي جريدة المصري الصادرة في ١٩٥٣/٣/٢١ ورد بالصفحة الأولى أن المؤتمر المشترك بحث كثيراً من المسائل الهامة ، وكان في مقدمتها تكوين محكمة الغدر ، وعلم مندوب المصري أن المحكمة ستتكون من مستشار بالنقض واثنين بالاستئناف وأربعة من ضباط الجيش ، وصرح أحد أعضاء مجلس الثورة لمندوب المصري بأن المحكمة ستحاكم كل الذين استغلوا نفوذهم من رجال الأحزاب ورجال الحاشية ، وسيُقتص من كل الذين أضروا بمصالح البلاد .

– وفي جريدة المصري الصادرة في ١٩٥٣/٤/٤ يتحدث مصدر رسمي مسئول عن الذين سيقدمون إلى محكمة الغدر ، فيذكر أنهم لم يحددوا بعد ، وأنهم بوجه الإجمال الذين أفسدوا الحياة السياسية أو الاقتصادية ، وبثوا الطغيان ، وحصلوا على مغانم بغير وجه حق .

وفي ١٩٥٣/٤/١٢ أصدر أحمد حسني وزير العدل قراراً بتأليف محكمة

---

(١) فصول من ثورة يوليو ص ٣١

الغدر على الوجه التالى : المستشار إبراهيم خليل بالنقض ، والمستشار محمد على جمال الدين والمستشار حسن جلال بالاستئناف ، ومن العسكريين صلاح الدين حتاته ، وفريد عبد الله ، ومحمد عادل لطفى ، وسعد الدين الشريف .

وأول الذين أحيلوا لهذه المحكمة مجموعة وفدية فيها السيدة زينب الوكيل زوجة الزعيم مصطفى النحاس ، والمهندس عثمان محرم ، ثم أحيل للمحاكمة أمام هذه المحكمة أحمد شعير ، وحافظ عفيفى ، وناهد رشاد .

وفى ١٩٥٣/٨/٣ نشرت صحيفة المصرى أحكام محكمة الغدر ، وكانت تقضى ببراءة عثمان محرم فى قضيتى المرج والمرسى ، وبراءة السيدة زينب الوكيل فى قضية المرسى وتغريمها ١١٤٣ جنيها فى قضية المرج .

ويبدو أن اتجاه هذه المحكمة لهذا النوع من الأحكام الذى يمنح البراءة أحياناً ويدين بإدانة خفيفة أحياناً أخرى ، لم يعجب قادة الثورة على نحو ما ذكر الدكتور وحيد رأفت آنفاً ، فاتجهوا لتشكيل محكمة يكونون هم قضاتها ؛ وهى محكمة الثورة التى سنتحدث عنها بعد قليل ، وهى محكمة قست أحكامها ، فقد كان المدعى فيها هو القاضى وهو الهيئة التنفيذية ، فأصبح مجلس قيادة الثورة هو المدعى والمشرّع والقاضى والمنفذ ، وهذا اللون من المحاكم هو الذى يلائم رغبات الثوار كما سنرى فيما يلى :

محكمة الثورة

هناك بعض المقدمات عن محكمة الثورة نقتطفها من الكاتب الضابط الأستاذ أحمد حمروش الذى يقول عنها :

- شُكلت المحكمة دون معرفة لقواعدها أو تحديد لأهدافها ، واقترح صلاح سالم عقدها فى ميدان التحرير ، مدعياً فى خطبة عامة أن هناك وثيقة تدين بعض السياسيين باتصالاتهم بجهات أجنبية ، ومن عجب أن هذه

الجهات الأجنبية ظهر أنها هى نهرو رئيس وزراء الهند الذى كان قد أصر على مقابلة النحاس باشا عند زيارته لمصر، وأن زيارة نهرو لمصر لن تتم إذا لم يكن ضمن برنامج الزيارة مقابلته للنحاس باشا، وقد وافق رجال الثورة على ذلك .

- كانت محكمة الثورة تعقد خلف باب رُفعت عليه الآية الكريمة « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » وهو سوء فهمٍ لكتاب الله .

- كانت جلسات محكمة الثورة تعقد سرية لا يحضرها إلا أعضاؤها والمتهم ، وزكريا محيي الدين رئيس مكتب الادعاء . ومن الواضح أن السرية وسيلة غير مشروعة فى المحاكمات .

- كان المتهمون يواجهون المحكمة بلا تحقيق ، ويوجِّه الادعاءُ التهمةَ إليهم بنوع من المفاجأة .

- بدأت جلسات محكمة الثورة أول أكتوبر ١٩٥٣ وانتهت فى سنة ١٩٥٤ وكان هدفها الأساسى التنكيل بأعضاء حزب الوفد ، وبقايا الأحزاب والتنظيمات الأخرى ، وقد حوكم من الوفد كل الأعضاء الذين لم يبلغوا الخامسة والستين من العمر ، وكانت محاكمة فؤاد سراج الدين أطول محاكمة ، إذ استمرت ٤٥ جلسة وبانتهاء جلسات محكمة الثورة كانت قيادات الوفد قد أصبحت خلف قضبان السجون .

- حاكمت محكمة الثورة ٣٤ شخصاً منهم ستة من الوفديين هم إبراهيم فرج ومحمود سليمان غنام وفؤاد سراج الدين والسيدة زينب الوكيل ومحمود أبو الفتح وحسين أبو الفتح ، وثلاثة من رجال السراى هم كريم ثابت ، وأحمد النقيب ، ومحمد حلمى حسين ، والنائب العام السابق كامل القاويش ، وسعدى واحد هو إبراهيم عبد الهادى ودستورى واحد هو أحمد عبد الغفار ، وضابطان هما عبد الغفار عثمان وأحمد شوقى ، و ١٣ جاسوساً ؛ وثلاثة من مروجى الإشاعات واثنان بتهمة التستر على الاتصال بالجهات الأجنبية ، وأصدرت

المحكمة ستة أحكام بالإعدام نفذ منها أربعة على الجواسيس ، وعدل اثنان إلى السجن المؤبد أحدهما بالنسبة إلى إبراهيم عبد الهادى والثانى بالنسبة إلى شخص اسمه أحمد محمد عوض (١) .

ومحاكمة أحمد محمد عوض تستحق وقفة لننقل من كتاب « محكمة الثورة » ما دار من نقاش بينه وبين رئيس المحكمة :

س : لك محامى ؟
ج : لا ما عنديش فلوس أجيب محامى ، هاتوالى محامى .
الرئيس : احنا هنا ما نجبش محامين ، دافع عن نفسك .
المتهم : عن أيه ؟ أدافع عن أيه ؛ ما تقولولى أنا متهم بإيه .
الرئيس : بالخيانة العظمى
المتهم : خيانة أيه ؟
الرئيس : مش هاتدافع عن نفسك ؟
المتهم : ما انا مش عارف حاجه .
الرئيس : تمت أقواله والحكم بعد المداولة .

ورفعت الجلسة مدة ¼ ساعة وعادت لينطق الرئيس بالحكم وهو الإعدام شنقاً (٢) .

ويعلق الأستاذ محمد شوكت التونى على هذه المحاكمة بأن المحكمة هدمت أعظم حق للمتهم وهو الدفاع ، ويقول عن المتهم إننا حتى الآن لا نعرف من هو ، ولا ماذا كانت تهمته (٣) .

تلك مقدمات مهمة ترينا طبيعة هذه المحكمة ، وبعدها نعود إلى مذكراتنا فنستعرض ما بها من اقتباسات من الصحف حول هذه المحكمة ه

---

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ٢٨٣ — ٢٨٥
(٢) كتاب محكمة الثورة التى نشرته مصلحة الاستعلامات
(٣) قضية التعذيب الكبرى ص ٤٦ — ٤٧

- فى ١٦ سبتمبر أعلن تشكيل محكمة الثورة من ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة هم عبد اللطيف البغدادى رئيساً وأنور السادات وحسن إبراهيم عضوين ، وأعلن فى قرار تشكيلها أنها لمحاكمة كل من عمل ويعمل ضد الوطن . وذكر متحدث بلسان مجلس قيادة الثورة أن هذه المحكمة ستظل قائمة طوال فترة الانتقال لإعداد البلاد للحياة النيابية وتطهيرها من الخونة .

ومن الفوارق التى تستلفت النظر أن قضايا تعذيب الإخوان المسلمين قبل الثورة سُحبت من محكمة الجنايات لتنظرها محكمة الثورة(١) ، تكريماً للإخوان المسلمين ، ثم لم يمض عام واحد بعد ذلك حتى كانت محكمة أخرى قد انبثقت من مجلس قيادة الثورة لتنكل بالإخوان المسلمين ، ولتنزل بهم أقسى الأحكام ، تلك هى محكمة الشعب التى سنتحدث عنها فيما بعد .

وكان فيما نشر عن بقاء محكمة الثورة طول فترة الانتقال تهديد وإنذار لكل من يرفع رأسه معارضاً ، أو يطلق لسانه متكلماً بما لا تريده الثورة .

وبالنسبة للحكم الذى أصدرته هذه المحكمة على إبراهيم عبدالهادى بالإعدام شنقاً وبمصادرة أمواله ، يقول محمد رياض ياور محمد نجيب كان محمد نجيب قد كلفنى بمراقبة محاكمة إبراهيم عبد الهادى ، ولهذا قدمت للرئيس تقريراً عن المحاكمة ذكرت فيه أن المحكمة لم تمكنه من الدفاع عن نفسه ، وكان ذلك سببا فى رفضه التصديق على الحكم ، وبخاصة أن احتجاجات كثيرة من الخارج وردت عن انحراف طبيعة المحكمة(٢) .

وفى أهرام ١٩٥٣/١٠/٧ نُشر الحكم على إبراهيم فرج بالأشغال الشاقة المؤبدة . ونشرت بعد ذلك الأحكام الأخرى .

---

(١) الأهرام فى ١٩٥٣/١٠/٤

(٢) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ٤٠١

ومما يذكر أن محكمة الثورة انتهت من دورتها الأولى وتوقفت جلساتها عقب محاكمة فؤاد سراج الدين ، ولكن هذه المحكمة عقدت دورة ثانية لمحاكمة متهمين جدد ، وممن حوكموا أمامها فى هذه الدورة أبو الخير نجيب رئيس تحرير مجلة « الجمهور المصرى » وقد حكم عليه بالسجن ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة ومع التجريد من شرف المواطن .

وهكذا قامت هذه المحكمة بنشر الذعر وتوزيع الأحكام الظالمة على المواطنين .

محكمة الشعب

تحدثنا من قبل حديثاً موجزاً عن حادث المنشية الذى أتهم فيه الإخوان المسلمون بالاعتداء على الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد قبض على الآلاف منهم عقب هذا الحادث ، وشكلت محكمة الشعب فى آخر أكتوبر ١٩٥٤ برياسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى ، وذكر فى قرار تشكيلها أنها ستنظر فى الأفعال التى تعتبر خيانة للوطن أو ضد سلامته فى الداخل والخارج ، وفى كل ما يعتبر موجهاً ضد نظام الحكم الحالى والأسس التى قامت عليها الثورة ، (١) وقد حكمت هذه المحكمة فى ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ بعقوبة الإعدام شنقاً على كل من مرشد الإخوان المسلمين المستشار حسن الهضيبى ، ومحمود عبد اللطيف ، وعبد القادر عودة ، ويوسف طلعت ، وإبراهيم الطيب ، وهنداوى دوير ، ومحمد فرغلى ، وقد رأى مجلس قيادة الثورة تخفيف الحكم على الهضيبى لسنه ومرضه إلى السجن المؤبد ؛ وصدق على الحكم بالنسبة للآخرين ، فنفذ فيهم حكم الإعدام .

---

(١) الأهرام فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤

وقد شكلت ثلاث دوائر فرعية من محكمة الشعب ؛ الأولى برياسة اللواء صلاح حتاتة ، والثانية برياسة قائد الجناح عبد الرحمن عنان ؛ والثالثة برياسة القائمقام يسن محفوظ ندا ، وقد قدم لهذه المحاكم آلاف المتهمين من الإخوان المسلمين ؛ وبلغ عدد الذين حكمت عليهم محاكم الشعب ٨٦٧ شخصاً.

تلك لمحة سريعة عن محكمة الشعب ، وسنعود فيما بعد لدراسة أشمل وأوسع عن علاقة الإخوان المسلمين بالثورة ، وما اتصل بها من خير وشر ومن إقبال وضر .

المحاكم العسكرية

حاولت الثورة أن تتخلص من القضاء العادى لسبب أو لآخر ؛ واتجهت إلى المحاكم العسكرية لسرعتها ، ولعدم تقيدها بالتشريع والقانون ، وكثرت المحاكم العسكرية التى ارتبطت بعهد عبد الناصر ، ولعل مطالعها كان تلك المحاكمة التى أشرنا إليها من قبل ، والتى قام فيها مجلس الثورة مجتمعاً بمحاكمة البكباشى حسنى الدمنهورى ، وجاءت بعد ذلك محاكم أشرنا لها أيضاً ، وهى تلك التى اختير لها ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وبعد هذا اتجه قيادة الثورة إلى تأليف المحاكم العسكرية لمحاكمة حركات عسكرية قامت ضدهم فى صفوف الجيش ، ولمحاكمة من اتهموا بالشيوعية ، ومن الطريف أن نذكر أن محكمة عسكرية عليا شكلت فى يوليو سنه ١٩٥٣ برياسه القائمقام أحمد شوقى قائد قسم القاهرة للنظر فى قضيتين شيوعيتين ، ولكن أحمد شوقى هذا سرعان ما أصبح — بعد أقل من عام — متهماً ، وحوكم أمام محكمة الثورة التى أعيدت جلساتها بعد أن كانت قد توقفت عقب محاكمة فؤاد سراج الدين ، وصدر الحكم على أحمد شوقى بالسجن عشر سنوات .

ومن المحاكم العسكرية التى شُكلت فى السنين الأولى للثورة محكمة خاصة برياسة اللواء محمد حسين مدير المدفعية ، وقد شكلت هذه المحكمة

للحكم فى محاولة الانقلاب التى قام بها مجموعة من الضباط فى إبريل سنة ١٩٥٤ وكانت هذه المحاولة تأخذ شكل حركة الانقلاب التى قامت فى ٢٣ يوليو ، مع احتمال تصادم مسلح مع بعض قوات الجيش ، وقد انكشفت هذه المحاولة لأن أحد أتباعها واسمه عفت عبد الحليم اعترف على زملائه ، فقامت حركة اعتقالات واسعة قبيل الموعد الذى حُدد للتحرك ، وحققت معهم لجنة بإشراف زكريا محيى الدين ، وكان من أعضاء هذه اللجنة الضابط المشهور فى دنيا المحاكمات العسكرية وهو محمد فؤاد الدجوى . ولنا معه أحاديث أخرى عن مجلسه كقاض فى المحاكم العسكرية فى الحوليات ابتداء من سنة ١٩٥٧ وقد حكمت هذه المحكمة (محكمة اللواء محمد حسين) على اليوزباشى أحمد المصرى بالسجن ١٥ سنة ، والصاغ حسنى الصـــاوى واليوزباشى عزت الألفى ١٠ سنوات ، واليوزباشى فاروق الأنصارى بالسجن ثلاث سنوات[1] .

محاكم عسكرية لمحاكمة الشيوعيين :

كانت حركة كفر الدوار المبكرة فاتحة لنشاط قام به بعض اليساريين ، ومن هنا بدأ اضطهاد الثوار للشيوعيين ، وتم اعتقال عدد منهم فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ : وقد نشرت الصحف أنه تم اعتقال ١٠١ من الأشخاص بينهم ٤٨ شيوعياً ، وتزايد عدد المعتقلين من الشيوعيين الذين كانوا ضباطاً ، أو الذين ينتمون للحزب اليسارى من غير الضباط ، وقد شكلت لهم محكمة عسكرية عليا برياسة القائمقام أحمد شوقى كما قلنا من قبل ، وحكمت المحكمة بالسجن على بعض المتهمين مدداً مختلفة ، وتعرض مئات منهم إلى الاعتقالات بدون محاكمة وإلى صور من التعذيب فى المعتقلات .

تلك كلمة عن المحاكم التى شهدتها مصر فى السنين الأولى للثورة ، ولم

---

(١) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ٣٥٤ – ٣٥٥

تكن فى الحقيقة محاكم ، وإنما وسائل لتوقيع العقوبات على الخصوم السياسيين ، وسنرى صوراً أخرى من محاكم عبد الناصر فى دراساتنا عن تاريخ السنوات القادمة .

تُرى ماذا يكون الأمر لو حوكم جمال عبد الناصر وأعوانه على ما ارتكبوا فى حق الوطن والمواطنين ؟ تُرى ما العقوبة الكافية نظير دفعهم لعشرات الآلاف من الشباب الذين سقطوا فى الحروب الخاسرة ؟ ولمئات الملايين من الجنيهات التى سُرقت أو ضاعت فى هذه الحروب ؟ وما العقوبة الكافية لما أنزله هؤلاء بالشعب من تنكيل وتعذيب وإذلال ؟

مديرية التحرير

قطعة من الأرض تبلغ مساحتها ٣٠٠٠٠٠ر٣٠ فدان ، تقع غرب الريّاح البحيرى بجوار محافظة البحيرة ، وكان الهدف منها القيام باستصلاح الأرض وبناء قرى نموذجية ، ومراكز حديثة لتربية الماشية ومصانع لتعبئة وحفظ المأكولات تمهيداً لنشر ذلك فى القطر كله .

ومن الواضح أنها أهداف عظيمة لو اتجهت خطوات التخطيط والتنفيذ اتجاهاً علمياً مع توافر الوطنية الصادقة والإخلاص فى العمل ، ولكن الريبة والشك ارتبطا بهذا المشروع من أول يوم ، ولنسمع إلى مجدى حسنين مدير هذه المديرية يعرض لنا خطواتها الأولى :

« وضع مشروع مديرية التحرير على مائدة البحث أمام مجلس الثورة .... وأثناء المناقشة اعترض جمال سالم وغادر القاعة بعد محاولته ضرب أحد الحاضرين ، ومن هنا بدأت الاتجاهات لمعارضة المشروع قبل أن يولد ، وقد وصل الخلاف بينى وبين جمال سالم إلى حد التلاحم بالأيدى .

« ثم بدأ المشروع فى نوفمبر سنة ١٩٥٢ بميزانية بسيطة جداً قدرها ٧٠٠٠٠ر٧٠ جنيه كانت مدرجة فى ميزانية تفتيش رى الصحارى حيث شقت بها الترعة الأولى وشكلت لجنة للمشروع كنت فيها العضو المنتدب »[1] .

ماذا حدث لهذا المشروع بعد ذلك ؟ .

الإجابة نجدها عند الكاتب الروسى الذى سخّر قلمه لمدح عبد الناصر ومع هذا أورد معلومات مخجلة عن هذا المشروع ، يقول إيفور بيلياييف : فكّر بعض الضباط الأحرار فى الاتجاه لإعادة بناء القرية المصرية ، وأرادوا

---

(١) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ٣٦٢

أن يأخذوا من منطقة مديرية التحرير مجالاً لبناء قرى جديدة تكون نموذجاً يحتذى فيما بعد ، ولكن هذا المشروع لم يضع فى اعتباره ظروفاً كثيرة أهمها عدم توافر المتخصصين الأوفياء لقضايا الثورة ، وكانت هذه الظروف هى السبب فى فشل الموضوع ، إذ أصبحت مديرية التحرير كالأوزة التى تبيض الذهب ، فقد تطلبت اعتمادات سنوية بلغت ١٨ مليون جنيه (البيانات من محافظة مديرية التحرير سنة ١٩٦٢) وعجزت مساحة الأرض عن الوفاء بالعائد المطلوب لتغطيـــة نفقات المديرية ، ولكن أقسى ماعانته مديرية التحرير هو الفساد الذى أخذ يتفشى فى المديرية على غرار الأورام الخبيثة ، فماتت فكرة مشروع القرى الجديدة[1] .

وبعد عشرين سنة من قيام مديرية التحرير أعلن سيد مرعى بصراحة مايلى « إننى يجب أن أعلنها صريحة ، نحن لازلنا بعد عشرين سنة نصرف على مديرية التحرير دون أن نأخذ منها أى شىء عائداً ، وهو خطأ يجب أن نعترف به [2] .

وظلت أمور الفساد فى مديرية التحرير سرّاً لا يظهر منه إلا القليل حتى قام بمصر أول برلمان فى عهد الثورة سنة ١٩٥٧ وكان من بين أعضائه الأستاذ سيد جلال فتقدم بسؤال لوزير الزراعة يطالبه فيه بموافاة المجلس بتكاليف استصلاح الفدان بهذه المديرية ، وعدد الموظفين التابعين لها بكل من القاهرة والإسكندرية ، وعدد السيارات التى تقوم باستخدامها ، وتكاليف تشغيلها وصيانتها .

وكان هذا فاتحة التعرف على ألوان الفساد بهذه المديرية ، وسنعود

---

(١) مصر فى عهد عبد الناصر ص ١٠٦ .
(٢) عبد الرحمن البيضانى : نكبة الشعارات على الأمة العربية ص ٩٢ .

للحديث عن ذلك عند الكلام عن أول برلمـــان للثورة سنة ١٩٥٧ حيث سنرى أن عبد الناصر حمى هذا الفساد وأحاطه برعايته .

ولى مع مديرية التحرير تجربة مهمة توضح مدى العناء الذى وُجِد بهذه المديرية منذ عهد مبكر ، ففى سنة ١٩٥٥ عملت - عقب فصلى من الجامعة - محرراً بصحيفة الأهرام ، وجاء وفد من الصحفيين السوريين لزيارة مصر ، وكانت مديرية التحرير ضمن المناطق المحددة ليزورها هذا الوفد ، وقد صحبتُ الوفد فى هذه الزيارة ، وما إن نزلنا أرض المديرية حتى استقبلنا مجدى حسنين ومعاونوه ، ووجدنا حشداً من العمال جاء يهتف لعبد الناصر ومجدى حسنين فى صيحة دعاية مدوية ، ولـكن هذه الصيحة لم يطل مداها ، فسرعان ماصمت حشد العمال ، ثم انطلقوا بصيحات جديدة صاخبة يطالبون فيها بأجورهم ، ويهتفون ضد من يستغلون عرقهم ويسرقون حقوقهم ، وكانت أزمة ، اضطر مجدى حسنين فيها أن يذكر أن بعض أعداء الثورة اندسوا بين العمال . . . ولـكن الحق أن أصوات الاحتجاج كانت تنبع من الجميع دون استثناء .

ومما أفسد مديرية التحرير أن عمالها أصبحوا يقومون بدور سياسى ، فأهملوا الدور الزراعى الذى أقيمت المديرية لأجلة ، وقد رأينا عمال مديرية التحرير يشتركون فى حركة مارس لصالح جمال عبد الناصر ، ورأيناهم يعتدون على السنهورى بالضرب ، وفى كثير من الحالات تفد عشرات من السيارات محملة بعمال مديرية التحرير للاستقبال والتوديع ، وهكـذا أجاد هؤلاء العمال الهتاف ، وتخلوا خطوة بعد خطوة عن الهدف الرئيسى لهم وهو إصلاح الأرض ، وبناء القرى ، وتكوين مجتمع زراعى جديد .

وقد فصل مجدى حسنين من مديرية التحرير يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٧ وحاول عبد اللطيف البغدادى رئيس مجلس الأمة آنذاك طرد مجدى حسنين من المجلس لإفساده الحياة النيابية ، فأوعز إلى عشرة من الأعضاء أن يقدموا

طلباً بذلك ، ففعلوا ، ولكن عبد الناصر حماه ، فتراجع النواب ، مع أن حماستهم ضد مجدى حسنين كانت حماسة شديدة كما سنرى عند ذكر حوادث سنة ١٩٥٧ ، وعُيِّن مجدى حسنين بعد ذلك سفيراً لمصر فى تشيكوسلوفاكيا .

وضاع الأمل فى هذا المشروع الكبير ، ومرت السنون والقرى المصرية تبيت فى ظلام القرون الوسطى ، وكان فى برنامج حزب الوفد الذى صدر سنة ١٩٥٢ إعادة بناء القرى المصرية فى عشرين عاماً ، وأبعد الوفد عن الحكم لأن الثوار تحدثوا عن برنامج أوسع وأسرع ، ولكن برامج الثوار كانت كلاماً غير قابل للتنفيذ .

كتاب فلسفة الثورة

ذكرنا من قبل (١) أن عبد الناصر أعلن فى اللجنة التحضيرية للاتحاد القومى قوله : لم يكن مطلوبا منى فى يوم ٢٣ يوليو أن أطلع ومعى كتاب مطبوع وأقول إن هذا الكتاب هو نظريتى ، فإن محمداً أعلن فى مطلع الإسلام جملتين هما أساس الإسلام وهما الشهادتان ، ثم جاء بعد ذلك القرآن ؛

وبناء على ذلك أعلن عبد الناصر المبادىء الستة يوم ٢٣ يوليو ثم وضع بعد ذلك كتابه « فلسفة الثورة » يشرح ما أوجز من تعاليمه وأفكاره وظهر هذا الكتاب فى يناير سنة ١٩٥٣ .

ومع أن هذا الكتاب كان سريع الزوال ، وسرعان ماماتت أفكاره فى حياة كاتبه ، مع هذا فإننا نتكلم عنه كلمة سريعة .

كان العسكريون قد وثبوا إلى معظم المراكز الرئيسية فى المجالات المختلفة ؛ الوزارة، والتنظيم السياسى ، والمؤسسات، والشركات الاقتصادية والصناعية ، ووزارة الخارجية ، واستكان لهم عبد الناصر على نظام الأخذ والعطاء ، ولكن لم تكن هناك أيدلوجية معينة تضىء الطريق ، فإن الأهداف الستة كانت مجرد شعارات تحتاج إلى تفسير وبرامج ، ومن هنا أخرج عبد الناصر كتابه « فلسفة الثورة » .وكان الضباط فى الأصل يرون أنهم يقومون فقط بدور الحراس، ولكن الحراس أصبحوا حكاماً، فاحتاجوا إلى منهج ؛ وكان فلسفة الثورة هو منهج عبد الناصر (٢) .

وفيما يلى مقتطفات من هذا الكتاب ؛ يقول عبد الناصر .

---

(١) عند الكلام عن : قادة الثورة والتعريف بهم من كلامهم

(٢) أحمد حروش : مجتمع جمال عبد الناصر ص ١٦٤

إننا نعيش فى مجتمع لم يتبلور بعد ، وما زال يفور ويتحرك ولم يهدأ حتى الآن ؛ ولم يتخذ وضعه ويستقر ، ليواصل تطوره التدريجى مع باقى الشعوب التى سبقتنا على الطريق .

ولكن ما هو الطريق ؟ وما هو دورنا على هذا الطريق ؟

إن الطريق هو الحرية السياسية والاقتصادية ، والحرية السياسية تستلزم التصادم ضد الاستعمار ، والحرية الاقتصادية تستلزم الثورة الاجتماعية ضد الاستغلال .

ويعلق محمد حسنين هيكل على هذا الاتجاه بقوله : لم يكن عبد الناصر أول من اكتشف هذا التصادم فقد سبقه إليه مكرم عبيد فى بيانه عن الميزانية حيث قال : يجب أن نخلص المصرى من استعمار الأجنبى ثم نخلص المصرى من استغلال المصرى (١) .

واهتم كتاب فلسفة الثورة بما يسمى الدوائر حيث تحدث جمال عبدالناصر عن الدائرة العربية ، والدائرة الإسلامية ، والدائرة الإفريقية ، وكان حديثه عن الدائرة العربية ينتهى باقتناعه أن العالم العربى وحدةٌ واحدة ، ولعل هذا كان مطلع الاتجاه لما يسمى الوحدة العربية ، وأصبحت الوحدة بعد ذلك ركناً من أركان شعار الثورة : حرية ، اشتراكية ، وحدة .

ويتحدث هذا الكتاب أيضاً عن الدائرة الإسلامية وأن هناك رباطاً متيناً يربط بين أقطار هذه الدائرة .

وعن الدائرة الإفريقية يقرر عبد الناصر أن مصر تقع فى قارة إفريقيا ويجرى بها نهر النيل الذى ينبع من قلب القارة ، وبحكم النيل والحضارة والتاريخ ترتبط مصر ارتباطاً عميقاً بالقارة الإفريقية .

---

(١) محمد حسنين هيكل : لمصر لا لعبد الناصر ص ٦١ - ٦٢

وعلى كل حال فقد كان واضعو هذا الكتاب فيهم قدرة على الإنشاء ومعرفة بالبلاغة العربية ، ولكن ما ورد فى الكتاب كان مثار الخوف أكثر من أن يكون مثار الأمل ، لأن بعض الدول هنا وهناك أحست بالأطماع الناصرية تتجه نحوها ، فبدأت تنكمش عن مصر وتحتاط لنفسها ، والحق يقال إننا فى كثير من الأحوال فى العهد الحاضر لانزال نعانى من هذا الوضع ، وإن كان العهد الحاضر قد تخلى عن أى اتجاه نحو النفوذ ، واتّخذ من التعاون شعاره ودستوره .

ولى بهذا الكتاب صلة خاصة ، فقد ورد بالطبعة الأولى منه اسم « على النشار » كصديق لعبد الناصر ، وأنا أعرف على النشار معرفة زمالة فى الداخل والخارج . . . وقد رُفِع اسمه من الطبعات التالية ، وأثار وضع هذا الاسم ورفعه أقاويل وأحاديث واسعة ، لا أرانى فى حلّ من ذكرها :

هيئة التحرير

يرتبط قيام هيئة التحرير بالقضاء على الأحزاب السياسية التى كانت موجودة بمصر قبل الثورة ، وقد ذكرنا عند حديثنا عن الأحزاب أن الثورة تنكرت لها بعد أيام من ٢٣ يوليو ، واتخذ هذا التنكر مراحل هى التطهير ثم التنظيم ثم الحل ؛ وذلك لأن الأحزاب وبخاصة حزب الوفد الذى يمثل تجمعاً حقيقياً شعبياً كان يرى أن الثورة أدت مهمتها بعزل الملك ، وأنه ينبغى أن تسلم الأمور للشعب ليمارسها بالديمقراطية الصحيحة ، وكان هذا الاتجاه من حزب الوفد مصدر الصراع الذى قام بين الحزب وبين الثورة ، واتخذت الثورة طريقها لتشويه سمعة زعماء الوفد من جانب ، كما عمدت من جانب آخر إلى اعتقالهم ومحاكمتهم أمام محكمة الثورة كما ذكرنا من قبل ، واتجهت فى نفس الوقت إلى تكوين حزب بديل كانت تعتقد أنه سيكون سندها الشعبى ليضمن لها البقاء فى السلطة :

وترجع أول فكرة لقيام هيئة التحرير إلى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٢ وعن ذلك يتحدث الصاغ إبراهيم الطحاوى فيقول : فى يوم من أيام أكتوبر سنة ١٩٥٢ استدعانى الأخ جمال عبد الناصر وقال لى لقد يئست من أن تصلح الأحزاب نفسها وتسير فى ركاب الأحرار ، ولذا فلابد من إيجـــاد هيئة جديدة تضم العناصر الصالحة ، وسألنى ما رأيك فى ذلك ؟ فوعدته بدراسة القضية ، وذهبت أبحث عن المخلصين لمعاونتى فى هذه المهمة ، فبرز لى اسم الأخ عبدالله طعيمه ، وبدأنا اتصالاتنا بالمواطنين وبأهل الرأى والفكر ورجال الصحافة والسياسة الذين لم تلوثهم الحزبية ، ووضعنا لقيام الهيئة مراحل أربعة : هى مرحلة الدراسة ، ومرحلة الدعوة ، ومرحلة التنظيم ، ومرحلة التنفيذ ، وذهبت لأعرض على الأخ جمال هذا التخطيط ، ولـكنه

قال لى : إن هذه الخطة ضعيفة ، وطلب أن أمهله بعض الوقت للدراسة ، وفى الصباح التالى استدعانى ووضع أمامى خطوط قيام الهيئة ابتداء من تسميتها واستمراراً إلى أهدافها وطريقة عملها ، وكان من الأهداف التى ذكرها عبد الناصر هى إجلاء القوات الأجنبية عن وادى النيل ، وتمكين السودان من أجل أن يقرر مصيره ، وحرية الشعب فى إقامة مجتمعه كما يريده وفقاً للدستور ، وتعزيز ميثاق جامعة الدول العربية ، والتمسك بميثاق الأمم المتحدة ...

وهكذا قامت الهيئة الجديدة إملاءً من فكر الزعيم ، على أن يبدأ بها أخلص تلاميذه إليه ممثلين فى الطحاوى وطعيمة ، وأذاعت أول بيان لها فى ١٥ يناير سنة ١٩٥٣ ثم أعلن عن تكوينها فى ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ بمناسبة الاحتفال بمرور ستة شهور على قيام الثورة .

ويصف الأستاذ كرم شلبى نوع التنظيم الذى يلائم فكر عبد الناصر بقوله(١) : إن عبد الناصر لم يكن مؤمناً إلا بنوع واحد من التنظيم ، ذلك هو التنظيم « السلطوى » الذى يُشكِّل جماعة تؤمن بالحاكم ، وتنفذ ما يشير به وتسعى جهدها لتقود الجماهير إلى حيث يشير ، على ألا يكون لهذه الجماهير هدف آخر أو عقيدة أو نظرية تختلف مع اتجاه الحاكم ، ولقد كان ذلك واضحاً كل الوضوح فيما يُسمى هيئة التحرير .

ويلاحظ أن هيئة التحرير أعلنت أول بيان لها قبل إلغاء الأحزاب بيوم واحد ، وذلك على أمل أن تستقبل الهيئة أتباع الأحزاب التى سينفرط عقدها فى اليوم التالى .

وإذا رجعنا إلى صحافة ذلك العهد وجدنا جريدة الأهرام تعلن فى أول يناير عن قيام الهيئة ، وتذكر أن أغراض الهيئة هى :

---

(١) بصراحة عن هيكل ص ٨٠ - ٨١

أولا : بناء المجتمع المصرى على أسس من الإيمان بالله والوطن ، والثقة بالنفس ، والتحرر من كل استعمار سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى .

ثانيا : كفالة الحقوق والحريات الأساسية للإنسان ، فى مجتمع شعاره الاتحاد والنظام والعمل .

ثالثا : تهيئة الشعب ، وإعداده ثقافياً وخلقياً ورياضياً ، للقيام بتبعات الوثبة التحررية والنهضة الجديدة .

وذكرت الصحيفة أن الهيئة تدعو المواطنين للانضمام إليها .

وما كاد إعلان الهيئة يتم يوم ٢٣ يناير حتى سُخِّرَتْ الصحف المصرية للدعاية لها ، وفى أهرام ٢٤ يناير سنة ١٩٥٣ وهو اليوم التالى لإعلانها برزت العناوين الكبيرة « المانشتات » الآتية :

هيئة التحرير تعمر كل شبر فى أرض البلد الطيب .

المصريون جميعا ينضوون تحت لوائها، لأنها تدعو إلى الخير وتغرس مبادئه.

مراسلو الأهرام فى أنحاء الأقاليم يكتبون عن إيمان الشعب برسالة الهيئة .

وتحت هذه العناوين الكبرى تجىء كلمات طنانة كاذبة ساذجة ، ننقل فيما يلى سطوراً منها :

مصر قد آمنت بهيئة التحرير ورسالتها ، لأن مصر أرادت أن تتحرر من القيود والأغلال التى قيدتها فى الماضى ، وتتحرر من فساد الأحزاب وانحرافاتها ، وهاهى ذى هيئة التحرير تغزو كل شبر فى أرض الوطن ، وتغرس فيه مبدأ الخير ، وقد فتح المواطنون لها قلوبهم قبل بيوتهم .

ثم تجىء بعد ذلك أحاديث فياضة عن مهرجانات واحتفالات شعبية فى حى الباطنية ، وحى الأزهر ، وفى شياخة الحمزاوى ، وفى القنطرة ، وفى الفؤادية ، وفى المطرية دقهلية ، وفى مدينة دمنهور ، وأحاديث متتالية عن

مراكز شملت القطر كله فُتحت لهيئة التحرير ، كأنها عملية سَحَرَتْ الجميع بين عشية وضحاها ! .

ومع قيام هيئة التحرير أعلن أن عبد الناصر هو السكرتير العام لها ، ووقف محمد نجيب يتحدث عن الهيئة ويثنى عليها ، ويدعو الناس للانضمام إليها لتحقق آمالهم السياسية والاقتصادية ، ولم يكن محمد نجيب يدرى أن أهم عمل ستقوم به الهيئة هو القضاء عليه ، أما جمال عبد الناصر فقد مهَّدت الهيئة له ليلتقى بالشعب فى مقارها ليتحدث عن النغمة التى لم تفارقه طيلة عمره وهى الرجعية والانتهازية المتعاونة مع الاستعمار ومع الملك السابق ، وكان دائماً يعلن أن الرجعية متحفزة ، ويتخذ ذلك وسيلة لضرب الأبرياء(١)

هل نجحت هيئة التحرير فى سد الفراغ وفى جذب الناس ؟ .

فى الإجابة عن هذا السؤال نقرر أن تاريخ هذه الهيئة كان حافلاً بالمخازى على الرغم من قصر عهدها ، فهذه الهيئة هى التى نفذت الإضراب العام فى ٢٦ مارس سنة ١٩٥٤؛ ذلك الإضراب الشهير الذى نسب ظلماً إلى العمال ولم يكن منظموه غير أعضاء هذا التنظيم الساطوى بالاشتراك مع جنود البوليس الحربى الذين ارتدُوا ملابس العمال(٢) .

وقام المنتسبون لهذه الهيئة مع جنود البوليس الحربى بالاعتداء على مجلس الدولة ، وضرب رئيسه ضرباً مبرحاً مما أتاح الفرصة لإلغاء القرارات الديمقراطية ، ولتهيئة الجو لعبد الناصر ليتربع فى دست الحكم .

وهيئة التحرير هى التى أحرق أتباعها المركز العام للإخوان المسلمين ، واستولوا على المقار المختلفة لهذه الجماعة(٣) .

---

(١) انظر خطابه فى هيئة التحرير المنشور بجريدة المصرى فى ١٩٦٣/٨/٢٦

(٢) كرم شلبى : بصراحة عن هيكل ص ٨٢

(٣) كلمات إبراهيم الطحاوى فى شهود ثورة يوليو ص ١٩

ومن جوانب الفشل التى أحاطت بهيئة التحرير أنها ولدت من فكر الحاكم ، وكان هدفها الرئيسى أن تنقل فكره إلى الجماهير ، وتلزمهم باعتناق هذا الفكر والتصفيق له ، وهذا عكس ما عُرف عن الأحزاب السياسية التى تنبع من الشعب وتختار رئيسها ، وتكون شديدة التأثير على سير الأحداث بنقل رغبات المحكومين إلى الحكام.

وفشلت هيئة التحرير عند ما بدأ أعضاء مجلس القيادة ينفضّون على الهيئة ، ويسيئون إلى سمعتها ، ويهاجمونها ، ويروى إبراهيم الطحاوى أن صلاح سالم قال له : كنت أهاجمك وأشنع عليك[1] .

وهناك أسباب فشل أخرى يرويها زعماء الانقلاب ، فإن هيئة التحرير عُيِّن لها حسن إبراهيم مراقباً عاماً ، ولكن الطحاوى وطعيمة استبدا بالأمر ، ولم يكونا يتصلان به ، فشكا حسن إبراهيم ذلك إلى جمال عبد الناصر فأجابه هذا قائلا كما يروى أحمد حمروش : « فى بساطة صريحة إنهما يقومان بأعمال غير نظيفة ؛ لا تستطيع أنت القيام بها »[2] .

ويقول محمد نجيب عنها إنها تكونت فى ظروف لا تسمح بخلق تنظيم سياسى قوى لأنها اعتمدت على العسكريين الذين لا يحسنون فهم العقلية الشعبية ، ولا يجيدون المرونة السياسية ، وانتشر هؤلاء الضباط فى تنظيمات الهيئة على امتداد الجمهورية ، وكانت الحساسية قد بدأت تظهر بين المدنيين والعسكريين بعد أن أساء عدد من العسكريين التصرف فى مجالات مختلفة ، ومن هنا خلت تنظيمات هيئة التحرير من الشخصيات السياسية النظيفة ، وعفّت عن الانتساب إليها العناصر الطيبة ، ولم يعد يتهافت عليها إلا نوع جديد من المتسلقين والانتهازيين[3] .

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ١٨

(٢) مجتمع جمال عبد الناصر ص ١٦٠

(٣) كلمتى للتاريخ ص ٨٩

ويقول أنور السادات : إنه بعد حل الأحزاب نشأ فراغ ، وكان علينا أن نملأ الفراغ ، فأنشأنا ما يسمى بهيئة التحرير ، ثم الاتحاد القومى ، ثم الاتحاد الاشتراكى ، وهى صيغ مستعارة من يوغسلافيا ، بعد أن توطدت علاقة عبد الناصر الشخصية بتيتو ، وكان عبد الناصر يمضى وقتاً طويلاً معه فى المناقشة ، ويُعجب بآرائه(٢) .

وطبيعى أن استعارة هذه النظم من شعب إلى شعب مع الاختلاف العميق بين الشعبين وبين الرئيسين ، عمل يحمل جذور الفشل .

لكل هذه الأسباب أسرع الوقت لزوال هذا الكائن الهزيل ، فتقرر حلها سنة ١٩٥٧ ، وزالت دون أن تترك إلا أمرَّ الذكريات أما الكائن الهزيل الآخر الذى سيحل محلها ، فلنا حديث معه فى حينه .

اتفاقية الجلاء

وُقِّعت اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا بالأحرف الأولى فى ١٩٥٤/٧/٢٧ ثم وقِّع النص النهائى فى ١٩٥٤/١٠/١١ ، وكان ذلك تتويجاً لجهود بدأت منذ الاحتلال ، واستمرت طيلة عهده البغيض . ومن الحق أن نقرر أن الخديوى توفيق كان من أسباب الاحتلال ، وأن سلوك فاروق كان من أسباب إطالته ؛ فقد كان من الممكن أن تنجح المفاوضات فى الأربعينات ، وبخاصة عقب الحرب العالمية الثانية ، ولكن الملك كان يرى فى وجود الانجليز حماية له ، ولهذا كان يستبعد حزب الأغلبية كلما خطا هذا الحزب خطوات حاسمة ضد الإنجليز ، ومن أجل هذا كان القضاء على الملكية مؤذنا بنجاح المفاوضات وخروج المحتل الأجنبى .

ويلزم أن يكون واضحاً أن اتفاقية الجلاء سالفة الذكر كانت خطوة نهائية على طريق طويل خطت فيه مصر عدة خطوات قبل هذه الخطوة ؛ فمن الثابت أنه منذ بدأ الاحتلال سنة ١٨٨٢ لم يهدأ للمصريين بال ، وتوالت حركاتهم من حين إلى آخر ، واشتركت فى مصارعة الاستعمار أجيال وأجيال ، وواجه الانجليز مجموعة من الثورات الهادرة ، كما واجهوا مجموعة من الزعماء كانت صرخاتهم قوية وأصواتهم مدوية ضد الاحتلال ، ومن هؤلاء مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ورفاقه ومصطفى النحاس وأحمد ماهر والنقراشى واسماعيل صدقى ومحمد محمود ، وقد كسبت مصر الجولة إثر الجولة حسب الظروف العالمية والامكانات الداخلية ، وهناك معالم واضحة لهذا الكسب ، تحدثنا عنها فى مطلع هذا الكتاب ، وهى بإيجاز :

١ — تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وقد جاء هذا التصريح من جانب واحد ، وكان نتيجة للجهود الوفيرة التى سبقته ، وبخاصة ثورة ١٩١٩ ، وفيه اعترفت بريطانيا باستقلال مصر ، واحتفظت بنقاط أربع يتم التفاهم عنها

فيما بعد وهى : تأمين مواصلاتها ، وحماية مصالح الأجانب فى مصر ، وقضية السودان ، والدفاع عن مصر ضد الاعتداء الخارجى ، وبناء على إعلان استقلال مصر الذى نص عليه هذا التصريح ، خطت مصر خطوات مهمة فى المجال السياسى والاجتماعى والاقتصادى تحدثنا عنها فى الباب الأول من هذا الكتاب :

٢ ــ معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وقد استطاعت هذه المعاهدة أن تحل بعض الموضوعات المعلقة ، بأن جعلت الرابطة بين مصر وبريطانيا رابطة تحالف أى أن القوات البريطانية أصبحت قوات تحالف لاقوات احتلال ؛ وتُركت حماية مصالح الأجانب إلى مصر ، ونتج عن هذا إلغاء الامتيازات وتحديد أمكنة معينة للقوات البريطانية ، والعودة لقضية السودان إلى اتفاقيتى سنة ١٨٩٩ . . .

٣ ــ إلغاء هذه المعاهدة فى أكتوبر سنة ١٩٥١ على يد النحاس باشا ، الذى وقعها ، وكما أعلنت بريطانيا تصريح ٢٨ فبراير من جانبها ، فإن النحاس باشا قد استطاع باسم مصر إنهاء باقى المشكلات التى كانت لا تزال معلقة بين مصر وبريطانيا ، فأعلن استرداد علاقات مصر التامة بالسودان ؛ وأن يسمى الملك ملك مصر والسودان ، وأعلن ضرورة جلاء الجيش المحتل دون قيد ولا شرط ، واتخذت الوزارة الوفدية الوسائل لذلك ؛ فمنعت العمال المصريين من العمل مع القوات البريطانية ، ومنعت وصول الزاد والماء إلى قوات الاحتلال ، وحرمت هذه القوات مما ألفته من ترف بهذه المنطقة ، وأحلت مكان ذلك ذعراً بدأ الفدائيون القيام به .

ولاشك أن هذه الأشياء بالإضافة إلى الاتجاه العالمى للتحرر بعد الحرب العالمية الثانية ، جعل إمكان توقيع اتفاقية مع بريطانيا أمراً سهل المنال .

وجاءت ثورة ٢٣ يوليو ، وكان من نقاطها الست التى أعلنها بيانها الأول القضاء على الاستعمار وأعوانه ، ولكن هذه الثورة انشغلت بتوطيد أقدامها ، وبذلت جهداً مضنياً فى هذا المجال للقضاء على الأحزاب ، ولإلغاء الدستور

ولما سمى الإصلاح الزراعى ، ولاعتقال أعدائها ومنافسيها ، ثم إنها فصلت قضية السودان عن قضية الجلاء ، فوقعت اتفاقية السودان فى ١٢ / ٢ / ١٩٥٣ كما ذكرنا من قبل ، وآن الأوان بعد ذلك لبدء المفاوضات مع بريطانيا .

ولعل أول خبر نشر حول هذه المفاوضات هوما أذاعته صحيفة المصرى فى ١٥ / ٤ / ١٩٥٣ عن أن محادثات الجلاء ستبدأ بين الجانبين المصرى والبريطانى فى هذا الأسبوع ، وذكرت أن الرئيس اللواء محمد نجيب سيجتمع بسير رالف ستيفنسون السفير البريطانى لبدء المباحثات ، وقد بدأت الاجتماعات فعلا فى ٢٧ إبريل ، ولكنها سرعان ما تعثرت وأعلن الجانب المصرى إيقافها فى ٨ مايو ١٩٥٣ ، وحدثت بعد ذلك أحداث خطيرة على الصعيد المصرى أهمها أحداث فبراير ومارس التى اتضح فيها الصراع بين جمال عبد الناصر ومحمد نجيب ، ثم إنضمام الاخوان المسلمين إلى بقية الأحزاب فى الصراع ضد الثورة ، ويبدو أن الجانب المصرى تساهل فى وقفته وقلل من طموحه ، حتى لايواجه مشكلات بالداخل والخارج ، ويوضح خالد محيي الدين هذه النقطة بقوله : عندما اشتدت المعركة بين المجلس ونجيب قابلت الصحفى الفرنسى (روجيه استيفانو) مراسل (نوفيل أوبزرفاتور) فقال لى : إن جمال عبد الناصر سيكسب المعركة لأنه (الصحفى الفرنسى) علم ذلك خلال صلاته بالسفارتين الانجليزية والأمريكية ، بسبب أن جمال عبد الناصر وأعضاء المجلس قد أبلغوهم الموافقة على اتفاقية الجلاء وإدخال تركيا أيضاً مبرراً لعودة القوات البريطانية إلى القاهرة »[1].

ومن ألوان التساهل كذلك ما ذكره أيضاً خالد محيي الدين من أن الثورة أرادت أن ترضى إسرائيل بألا تجعلها تعمل على عرقلة الاتفاقية ، فأجرت اتصالات سرية مع بعض المسئولين فى إسرائيل مؤداها تطمين

---

(١) كلمات خالد محيي الدين فى شهود ثورة يوليو ص ١٥٧

إسرائيل بأنه عند جلاء الإنجليز يمكن حل المشكلة ، ويقول خالد محيي الدين إن هذه الاتصالات مع إسرائيل قام بها عبد الرحمن صادق المستشار الصحفي(١) .

وكل هذا يسر المشكلات التي كانت قائمة بين الطرفين ، فعن طريق المباحثات غير الرسمية تم حل ما كان متعثراً في المفاوضات السابقة ، ولاشك أن العمل الفدائي الذي قام به الفدائيون بقيادة كمال الدين حسين كان له أثر عند الإنجليز في ضرورة حل هذه المشكلة ، وعلى هذا أعيدت المباحثات في يوليو ١٩٥٤ ، وسرعان ما تم الاتفاق على بنود المعاهدة ، ووقعت بالأحرف الأولى في ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٤ ، ثم وقع النص النهائي في ١١ أكتوبر من نفس العام ، كما ذكرنا من قبل ، وقد تم التوقيع في البهو الفرعوني بالبرلمان ، وصدر عقب ذلك البلاغ المشترك الثاني(٢) :

وقع اليوم في القاهرة رئيس وزراء جمهورية مصر وزملاؤه أعضاء الجانب المصري ، ومستر ناتنج وزير الدولة بوزارة الخارجية البريطانية والسفير البريطاني ، وميجور جنرال بنسون اتفاقاً بشأن منطقة قاعدة السويس ، الغرض منه إقامة العلاقات المصرية الإنجليزية على أساس جديد من التعاون ، ولقد بذل الجانبان جهداً كبيراً للوصول إلى اتفاق واضح شامل ، يكون أداة بناءة لقضية السلام .

ملخص الاتفاقية :

أبرز ما تنص عليه هذه الاتفاقية النقاط التالية :

— انقضاء معاهدة سنة ١٩٣٦ التي كانت مصر قد ألغتها كما ذكرنا آنفاً .

---

(١) كلماته في المرجع السابق ص ١٦٠

(٢) صحف القاهرة في ١٢/١٠/١٩٥٤

— جلاء القوات البريطانية جلاء تاماً عن الأراضى المصرية فى مدة أقصاها عشرون شهراً من توقيع الاتفاقية .

— حق القوات البريطانية فى العودة لهذه القاعدة فى حالة تعرُّض مصر أو إحدى الدول العربية المنضمة إلى معاهدة الضمان الجماعى أو تركيا إلى هجوم مسلح من الخارج ، ومن أجل هذا تبقى القاعدة فى حالة صالحة للاستعمال ومعدة للاستخدام فوراً ، ويقوم بالإشراف عليها خبراء مدنيون بريطانيون لا يتجاوز عددهم ألف خبير .

— إذا حدث ما يستدعى العودة للقاعدة فإن الجيوش البريطانية تجلو عنها بمجرد وقف القتال الذى استدعى عودتها لها .

— فى حالة التهديد بحرب بالمنطقة السابقة تجرى اتصالات بين مصر وبريطانيا لتقرير ما يلزم :

— مدة هذه الاتفاقية سبع سنوات ، ويتشاور الطرفان خلال السنة الأخيرة منها لتقرير ما يلزم من تدابير .

وكان عبد الناصر هو رئيس الجانب المصرى الذى وقع الاتفاقية بعد أن استُبعد محمد نجيب من المجموعة المصرية عقب أحداث مارس :

وبناء على هذه الاتفاقية تمَّ جلاء القوات البريطانية عن مصر فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ .

خطاب عبد الناصر عقب الاتفاقية :

ألقى عبد الناصر خطاباً أذيع بالراديو عقب توقيع هذه الاتفاقية ، وهذا الخطاب يحمل عبارات جميلة المعنى ، ولو كان صادراً من قلب مخلص لأصبح فاتحة عهد جديد ، وفيما يلى نص هذا الخطاب :

أيها المواطنون ، إن مرحلة من كفاحنا قد انتهت ، ومرحلة جديدة

توشك أن تبدأ ، هاتوا أيديكم وخذوا أيدينا ، وتعالوا نبنى وطننا من جديد بالحب والتسامح والفهم المتبادل ، اللهم أعطنا الأمل الذى يجعلنا نحلم بما سوف نحققه فى الغد أكثر مما يجعلنا نفاخر بما حققناه فى الأمس واليوم ، اللهم أعطنا الشجاعة لنستطيع أن نتحمل المسئوليات التى لا بد أن نتحملها فلا نستهين ولا نهرب منها ، اللهم أعطنا القدرة على أن نواجه أنفسنا ونتقبل أن يواجهنا الآخرون بالحق والعدل ، اللهم أعطنا القوة بقدرتك فإن الخائفين لا يصنعون الحرية ، والضعفاء لا يخلقون الكرامة ، والمترددين لن تقوى أيديهم المرتعشة على البناء . . .

نقد الاتفاقية :

قامت عاصفة نقد عقب إذاعة نصوص هذه الاتفاقية ، وكانت العاصفة مكتومة أحياناً بسبب الأحكام العرفية التى كانت معلنة على الشعب وعلى الصحف ، وكانت العاصفة واضحة أحياناً فى صفوف بعض المثقفين ، ونقاط النقد تتلخص فى التصريح لبريطانيا بأن تبقى لها قاعدة فى بلادنا ، وفى إمكان عودة بريطانيا عند حدوث هجوم مسلح على مصر وبعض الدول العربية أو على تركيا ، وكان إدخال تركيا فى هذا الأمر من الأمور المثيرة للخوف بسبب التزامات تركيا وموقعها . .

والحق أننى كنت آنذاك أحس باقتناع بصلاحية الاتفاقية ، ولست ممن يتوقعون من الاتفاقيات أن تحقق كل الآمال ، فالاتفاقية صراع بين جانبين ، ولا بد من التسليم ببعض المطالب لنحصل على أكثر ما نريد ، ولهذا فإننى أثبت هنا موافقتى آنذاك وموافقتى الآن على هذه الاتفاقية مع ما بها من قصور فى بعض النقاط ، لقد وَضَعَتْ هذه الاتفاقية نهاية لاحتلال امتد أكثر من سبعين عاماً ، وتطهرت البلاد من أقدام المحتلين ، وهذا يدفعنا لتقديم التحية لكل الزعماء وكل المناضلين الذين أسهموا فى الوصول لهذه الغاية مهما اختلفت أزمانهم أو مواقعهم .

عبد الناصر والجلاء :

أترى يُعَدُّ من مكاسب مصر على يد عبد الناصر أن الاحتلال البريطانى انتهى فى عهده ؟

لقد كان يطيب لنا أن نصفّق لهذا المكسب ، ولكن حقائق مرة تمسك الأيدى عن التصفيق ، فإن سياسة عبد الناصر جابت لمصر اوناً من الاحتلال أقسى من الاحتلال الأوربى ، ذلك هو الاحتلال الصهيونى بقسوته وجبروته ، الاحتلال الذى قضى على عشرات الآلاف من شبابنا فى حرب بدون استعداد وبدون قيادة حكيمة ، الاحتلال الذى دمَّر عدداً كبيراً من مدننا وسلب معدات حربية بمئات الملايين من الجنيهات ، واستولى على بترول سيناء وحطم اقتصادنا ، ثم إن هذا الاحتلال يعتبر سيناء أرضه ، ولا يعد نفسه دخيلاً عليها ، وعلى هذا فإخراجه منها أشق بكثير من إخراج المحتل الأوربى .

وقد شمل الاحتلال الصهيونى شبه جزيرة سيناء ، ومد نفوذه وجبروته إلى مدن القناة ، فأخلاها من السكان ، ثم إن هذا العدو الأثيم جعلها ركاما وخرائب ينعق فيها البوم وتعيش فى فراغ مرير ، حتّى أنقذها من هذا الدمار زحفُ العاشر من رمضان المجيد (٦ أكتوبر ١٩٧٣) .

وسياسة عبد الناصر لم تجلب فقط الاحتلال اليهودى إلى سيناء ، والنفوذ اليهودى إلى مدن القناة ، بل إن هذه السياسة العرجاء تعدَّت ذلك بالنسبة للقطر كله ، وفى ذلك يقول الأستاذ أحمد أبو الفتح ، « إن سياسة العهد الماضى حطمت استقلال مصر ، عندما أعطت تفويضاً تاماً للاتحاد السوفيتّى ليتصرف بمقتضاه كيفما شاء فى قضايانا » .

وكان الرئيس أنور السادات قد كشف القناع عن ذلك فى حديثه لمجلة الحوادث اللبنانية الذى نشرته الأخبار فى ١٩٧٥/٣/٢٠ وفيه يقول : « عام ١٩٦٧ بعد الهزيمة الأليمة المريرة التى نعرف كلنا أبعادها ، فوَّضت

مصر السوفييت فى الاتصال بالأمريكان والتحدث باسمنا ، وكان هذا التفويض بلا تحفظ ، فقد قالت السلطة لهم اتفقوا مع الأمريكان وما تتفقون عليه فنحن سلفاً نرتضيه ، بل خطت هذه السلطة أكثر من ذلك فطلبت قائداً سوفيتياً للطيران ليتولى قيادة سلاح الطيران المصرى ، وقائداً ليتسلم الدفاع الجوى المصرى .

ويستمر أنور السادات فيقول : لقد أحسستُ أن الاتحاد السوفيتى أصبح ولى أمرنا ، وهذا هو ما أدى إلى أن أتخذ قرارى بإخراج الخبراء السوفييت فى يوليو ١٩٧٢ وكنت بذلك أقول للسوفييت إننا أولياء أمر أنفسنا ، ولسنا فى حاجة إلى تفويض أحد بعد اليوم ، وأنهيت بذلك الوكالة لنعود بعلاقتنا إلى ما قبلها ، ولنثبت أنه لا ولاية لأحد علينا ، وأننا أحرار فى إرادتنا وفى قرارنا[١] .

وهكذا يتضح أن سياسة عبد الناصر جلبت الاحتلال اليهودى إلى سيناء ، وجلبت النفوذ اليهودى إلى منطقة القناة ، كما جلبت النفوذ السوفيتى إلى باقى البلاد . والعجيب أن عبد الناصر كان يتحدث من حين إلى آخر عن « الاستعمار الروسى » فلم تكن رغبة السوفييت فى النفوذ والتوغل غائبة عن فكره[٢] ومع هذا فقد فتح لهم الطريق ، ولم يقفله إلا أنور السادات فى عهد النور والعبور .

فإذا جئنا للحديث عن جلاء البريطانين عن مصر ، فإننا ينبغى أن نقرر أن حدوثه كان غاية عظمى بذلت الأجيال من أجله أعظم الجهد وأغلى الدماء ، ولا يمكن أن نقلل من أهمية وقوع هذا الحدث على يد عبد الناصر مهما كان خلافنا مع سياسته ، ولكن لا بد أن نهتم بما ذكرناه من قبل من تقدير لكل خطوات الأجيال السابقة من أجل هذا الهدف ،

---

(١) صحيفة الأخبار الصادرة فى ١٩٧٥/٣/٢٠

(٢) هيكل : بصراحة عن عبد الناصر ص ٦٩ و ٧٠

ولا بد أن نذكر كذلك أن عبد الناصر قبل الشرطين اللذين كانا دائماً عقبة تتحطم عليها المفاوضات بين مصر وبريطانيا ، والشرط الأول هو قبول عودة بريطانيا لاحتلال القناة إذا تعرضت مصر لخطر ، والشرط الثانى عزل مشكلة السودان عن مشكلة مصر ، وقد علق الزعيم مصطفى النحاس على المعاهدة بقوله : « إن الصخرة التى كانت تتحطم عليها المفاوضات المصرية دائماً من أجل إجلاء الإنجليز هى السودان ، ولو طرحنا مسألة السودان جانباً لتم الجلاء منذ عشرينات هذا القرن(١) » .

بقى أن نذكر نقطة مهمة ترتبط بجلاء انجلترا عن مصر ، تلك النقطة هى أن العصر عصر جلاء ، وأن الدول الأوربية جلت عن كل الأقطار التى كانت محتلة تقريبا ، سواء كانت بعيدة فى أقصى آسيا ، أو كانت تعيش معنا فى إفريقيا .

ولعل من الخير أن نمنح هذه النقطة مزيداً من الشرح بأن نتدارس العصرين جميعا : عصر الاحتلال وعصر الجلاء ، لنرى كيف كانت الدول الكبرى تختلق الوسائل وتصطنع السبل لاحتلال الدول الصغرى فى العصر الماضى ، وكيف جلت فى العصر الحاضر شاءت أو لم تشأ عن كل الدول المستعمرة ، وفيما يلى نعطى بعض النماذج لخلق الوسائل فى الماضى للاحتلال :

١ — فى يونيو سنة ١٨٣٠ احتلت فرنسا بلاد الجزائر العربية ، لأن الداى سأل قنصل فرنسا عن السبب فى عدم رد ملك فرنسا على رسالته ، فأساء القنصل الجواب ، فصرخ الداى فى وجهه ملوحاً بمروحته ليخرج من حضرته ، وعدت فرنسا ذلك إهانة لها وللشعب الفرنسى وجرت الأحداث المتلاحقة التى انتهت باحتلال الجزائر .

٢ — فى ابريل سنة ١٨٨١ كانت جيوش فرنسا تقف على الحدود

---

(١) نقلا عن عودة الوعى للأستاذ توفيق الحكيم ص ٥٠

الجزائرية التونسية ؛ وأشيع أن بعض القبائل التونسية اعتدت على دورية فرنسية فأمرت فرنسا جيشها بالزحف على تونس لمجرد هذه الإشاعة .

٣ - فى يوليو سنة ١٨٨٢ حدث بالاسكندرية شجار بين رجل مالطى ورجل مصرى ، وكان عرابى يقوم بتحصين قلاع المدينة ، فاتخذ ذلك وسيلة لاحتلال بريطانيا لمصر .

تلك هى نماذج سريعة من مظاهر عصر الاحتلال ؛ اختلاق للأسباب ليعتدى القوى على الضعيف .

فماذا نرى لو ذهبنا إلى عصر الجلاء ؟

فى خلال الحرب العالمية الثانية تغيرت الأوضاع فى العالم ؛ فالدول الأوربية سقطت تحت أقدام النازى ، ودمَّرت قنابل هتلر مدن بريطانيا ، ونجت أوربا من النهاية الأليمة على يد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وانتهت هذه الحرب تاركة جراحاً غائرة فى أوربا ، وواضعة فى القمة الدولتين العظيمتين ، وإذا كانت دول أوربا لَعبتْ فى الماضى دور الأسد ، فقد أصبحت الآن تمثل الذئاب فحسب ، واحتلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى عرش الأسود ، ومن الطبيعى أن الأُسود لاتسمح للذئاب بأن تمرح فى الغابة وتستبدّ بها ، ويضاف إلى ذلك ظهور أسلحة جديدة فتاكة تقلل من قيمة الاحتلال العسكرى ، كل ذلك جعل العصر الحاضر عصر جلاء ، فقد جلت بريطانيا عن دول صغيرة وضعيفة جداً أحيانا ، وجلت عن دول كانت - لظروف خاصة - ترى من صالحها أن يستمر الاحتلال ، وعندما حاولت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل احتلال منطقة القناة سنة ١٩٥٦ زمجرت أمريكا وأرغمت المعتدين على الانسحاب السريع .

مرة أخرى إن هذا العصر عصر جلاء ، وقد نجحت فيه القوى الوطنية التى طالما هُزِمت أمام قوات الاحتلال فى العصور الماضية ، وهذا التفكير يجب أن يوضع فى الميزان عند الكلام عن اتفاقية الجلاء وقيمتها .

فصل بعض أساتذة الجامعات

اشتركت الجامعات اشتراكاً تاماً فى أحداث فبراير ومارس مطالبة بالدستور والديمقراطية وعودة الجيش إلى الثكنات ، وأن تحكُمَ البلادَ حكومةٌ مدنيةٌ ، ووقفت الجامعات فى هذا الشأن وقفة صارمة وشاملة ، فلم يكن هناك تردد فى هذه المطالب ولا مساومة فيها ، ولم يتخلف عنها أستاذ أو طالب ، وقد شهدت جامعة القاهرة اجتماعاً حافلا أشرنا له عند الكلام عن أحداث فبراير ومارس ، وفى هذا الاجتماع الذى حضره الألوف من الأساتذة والطلاب تحدث نخبة من الحاضرين يعلنون مطالب مصر ، وكان كاتب هذه السطور أحد المتحدثين كما أشرنا من قبل ، وكانت هناك اجتماعات مماثلة فى الجامعات الأخرى .

وقامت المؤامرة التى دمَّرت الآمال واعتدت على خيرة رجالات مصر ، كما اعتدت على حقوق الشعب وطموحه ، وكانت هذه المؤامرة بتدبير جمال عبد الناصر ، وأشرف على التنفيذ صلاح سالم وحسين عرفه وإبراهيم الطحاوى وأحمد طعيمه ، وصاوى اللعين وآخرون ، وانتصر الزحف الأسود للأسف الشديد .

ومرت الأيام . . . وأوشك العام الدراسى الجديد أن يبدأ ، وكان عبد الناصر لايقبل معارضة ، ولا يحتمل أن يسمع رأيا غير رأيه ، كما كان يعتبر ذلك معارضة ، ويحرص كل الحرص على الثأر من خالفه ، ولذلك أصدر قراراً باسم مجلس قيادة الثورة فى ٢١ / ٩ / ١٩٥٤ بفصل ١٨ من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات كان بعضهم من جامعة القاهرة والبعض الآخر من جامعة عين شمس وجامعة الاسكندرية ، وكنت واحداً من هؤلاء ، وكانت هذه القائمة تشمل الأستاذ الدكتور عبد المنعم الشرقاوى والأستاذ الدكتور

توفيق الشاوى والأستاذ الدكتور لويس عوض والأستاذ الدكتور عبد العظيم أنيس .

ورفعنا شكوى إلى مجلس الدولة لطلب بطلان هذا القرار الظالم ، فأصدر عبد الناصر قراراً بأن مجلس الدولة لايجوز له النظر فى قرارات مجلس قيادة الثورة .

واتجهنا للعمل بالداخل كل فى مجال تخصصه ، ولكن راعنا أن وجدنا الرعب يملأ النفوس ، فليست هناك مؤسسة أو شركة أو مدرسة تقبل أن تفتح أبوابها لمن فصله مجلس قيادة الثورة ، وأجمع الكل أن هذا نوع من التحدى لايطيقونه ، وخافوا أن يتعرضوا لسخط مجلس الثورة الذى كان لايعدل ولايرحم .

وظهر شعاع من النور إذ أوفدت جامعة العراق مندوباً من جامعتها ليعرض حاجة الجامعة إلى جميع الذين استغنت عنهم حكومة مصر ، وذكر هذا أن بالعراق جامعة وطلاباً وأنهم فى أمس الحاجة إلى الأساتذة من مختلف التخصصات ، وأنها تتعهد أن تمنع هؤلاء الأساتذة من الاشتغال بالسياسة ؛ وفرحنا بهذا الخبر الذى يضمن لنا العيش ويبعدنا عن حياة القلق فى مصر ، واتصلنا بالأستاذ المرحوم محمد فريد أبو حديد وكان يومها مستشاراً فنياً لوزارة التربية والتعليم ليؤيد هذا الطلب لدى الوزير المصرى ، فحمل سيادته — رحمه الله وأثابه — هذا الخبر إلى وزير التربية والتعليم وكان جمال سالم قائماً بعمل تلك الوزارة آنذاك ، وأيد الأستاذ فريد أبو حديد هذا الطلب وزكاه ، وسأله القائم بعمل الوزير عن المرتبات التى ستصرف لنا ، فنقل له رأى حكومة العراق بأنها تعطى المعارين حوالى أربعة أمثال مرتباتهم فى مصر ، فصاح جمال سالم فيه قائلا : هل كان فصلهم عقوبة أو مكافأة ؟ ورفض السماح لنا بالسفر ، وخبا هذا الشعاع .

ربما تسألنى كيف استطعنا أن نعيش نحن وأسرنا فى هذه الفترة ؟

وأجيب عن نفسى بأن المدخرات القليلة التى كانت معى سرعان ما نفدت ، وأن جميع أبواب العمل قد سدها الذعر من مجلس القيادة المرعب ، وانكمش عنا أصدقاؤنا وأقاربنا خوفاً من أن ينالهم مكروه إذا قربوا منا ، فقد كان الذعر يصوِّر للناس أن المفصول مغضوب عليه ، وأن التعاون معه قد يجرُّ مزيداً من المصائب ، واتجهت لبيع قطعة من الأرض الزراعية القليلة التى ورثتها عن أبى ، ولكن الشائعات ملأت الجو صدقاً أو خوفاً بأن من يشترى أرضنا سوف ينزل به ما نزل بنا .

وأحسست أنها مؤامرة محبوكة لتجويعنا ، فاستسلمت أنا وأسرتى لها ، ورضينا بشظف العيش أو قل رضينا بالجوع ، وكنت أمسك بقوة على أحاسيسى وعواطفى وأرسم على شفتىّ ابتسامة رضا أقابل بها الناس حتى لا يتألم صديق أو يشمت عدو (١) .

---

(١) راجع دراسات تفصيلية حول هذا الحادث فى كتابنا « رحلة حياة » ص ١٤٧ وما بعدها .

حادث المنشية

أسجل هنا أن الحيرة لازمتنى فترة طويلة وأنا أفكر فى هذا الموضوع وفى طريقة كتابته ، هل سأكتبه كما سمعته فى حينه وكما قرأت عنه آنذاك ؟ أى أنه مؤامرة مدبرة لاغتيال جمال عبد الناصر ؟ وهذه الصورة عاشت فى ذهنى طيلة عهد عبد الناصر ، وكنت أستنكرها لأنى أمقت الاغتيال وأكره الحياة فى الظلام ، وعلى الرغم من وجود شبهات فى نفسى عما أذيع عن خطوات القضية ، فإنه لم تتضح لى فكرة أخرى حول هذا الحادث لأن الأقلام كانت قد جفت ، والنشر كان محرما .

هذا وجه للحادث ، ووجه آخر ظهر بعد عهد عبد الناصر يؤكد أن الحادث مفتعل ، وأنه مسرحية أريد بها القضاء على الإخوان المسلمين ، وبالتالى على محمد نجيب فى نفس الحزمة ، فهل أكتب هذا الحادث من هذه المصادر ؟

وهناك محاولاتى وفكرى ودراساتى حول هذا الموضوع طيلة عدة سنوات ، فهل أكتب هذا الموضوع من وحى عقيدتى ؟

وسر الحيرة أن الموضوع يتصل بأحكام إعدام صدرت ونفذت ، وأرواح أزهقت ، بل ربما كان الموت أيسر من صور التعذيب التى وقعت على الألوف من الرجال والنساء الذين جمعوا دون دليل ، وربما دون شبهة ، وسيقوا إلى الجحيم فى أعداد هائلة ، وكثيرون منهم لم يعودوا إلى ذويهم ، وآخرون عادوا بعد أن انتهكت أعراضهم أو كادت ، وبعد عاهات تعيش معهم مادام أحياء .

إذاً فالكتابة عن هذا الموضوع شائكة ، ولكنى مع هذا أحزم أمرى ولا أفر من الميدان ، وأرى أن أدونه بصوره المتعددة ؛ فأكتبه كما سمعته

وقرأت عنه فى حينه ، ثم أدونه من المراجع التى ترى أنه حادث مصنوع مزيف ، وأخيراً أدون فكرى مبرزاً الدعائم التى أقمت عليها هذا الفكر ، ولعل ذلك أسلم طريق لنرضى الله ونرضى التاريخ :

فى مساء ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤ أقيم لعبد الناصر ولرفاقه حفل تكريم فى حى المنشية بالإسكندرية بمناسبة توقيع المعاهدة مع بريطانيا ، وأقيم الاحتفال فى سرادق ضخم ، ودُعيتْ للاحتفال طوائف معينة ، ونظم استعمال السرادق أدق تنظيم بحيث تجلس كل جماعة من جماعات المدعوين فى مكان محدد ، ذلك هو كلام إبراهيم الطحاوى ونصه : « وأثناء خطاب جمال عبد الناصر فى المنشية فى أكتوبر كانت هناك ثلاث هيئات بارزة مكلفة باحتلال مقاعد السرادق هى هيئة التحرير ، ومديرية التحرير ، والحرس الوطنى . . . ويومها ضرب محمود عبد اللطيف ضربته وأطلق ثمانى رصاصات على جمال عبد الناصر(١)

وكنت أستمع للخطاب بالمذياع ، وسمعت طلقات الرصاص وما حدث من هرج خفيف ، ثم استمعت لجمال عبد الناصر يستأنف الكلام ، وخرجت صحف القاهرة فى اليوم التالى تتحدث عن الحادث وتدينه طبعاً ، وفيما يلى ما كتبته صحيفة الأهرام فى ٢٧ / ١٠ / ١٩٥٤ :

محاولة أثيمة لاغتيال الرئيس عبد الناصر

« أطلق عامل ينتمى إلى جماعة الإخوان ثمانى رصاصات على الرئيس جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالإسكندرية أمس . وكان الرئيس قد بدأ يخطب فى الحفل الذى أقامته هيئة التحرير لتكريم الرئيس وزملائه من قادة الثورة . ولم يبلغ الجانى مأربه ، إذ نجا الرئيس من الرصاصات الغادرة ، وقد أصيب وزير المعارف بالسودان والسكرتير المساعد لهيئة التحرير بعدة جراح من شظايا ألواح من الزجاج تناثرت على أثر إطلاق الرصاص ».

---

(١) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ١٨ — ١٩

« وعقّب الرئيس عبد الناصر على الفور على محاولة اغتياله ، وكان تعقيبه هائلا رائعاً فذاً ، أقوى من الرصاص الذى أطلق عليه ، إذ صاح وصوته يدوّى كالرعد فى الميدان الفسيح » :

دمى فداؤكم وفداء مصر ، سأعيش من أجلكم وسأموت من أجل حريتكم وكرامتكم ، فليقتلونى ، لست أبالى ما دمت قد غرست فيكم العزة والكرامة والحرية ، وإذا مات جمال عبد الناصر ، فليكن كل منكم جمال عبد الناصر .

وجاء فى نفس العدد : « الجماهير تقبض على الجانى وتكاد تفتك به ، ويخلصه البوليس منهم — اسم الجانى محمود عبد اللطيف محمد ، يعمل سباكاً فى شارع السلام بإمبابة وهو فى الثلاثين من عمره متزوج وله ثلاثة بنين وأخت ووالداه أحياء ، وقد اعتقلهم البوليس جميعا فى مركز إمبابة للتحقيق . وكان المتهم ينتمى إلى الإخوان ، ولكنه فى المدة الأخيرة كان يذيع أنه تركهم » .

وجاء فى صحيفة الأهرام الصادرة فى ٢٩/١٠ الخبر التالى :

محمود عبد اللطيف يعترف بأن الجهاز السرى لجماعة الإخوان المسلمين سلّمه المسدس الذى استخدمه فى ارتكاب الجريمة ، وأعطاه جنيهين للإنفاق على أسرته أثناء غيابه لارتكاب الحادث فى الإسكندرية ، وأن الأستاذ هنداوى دوير المحامى فى إمبابه هو الذى حرضه وأعطاه المسدس .

ونشرت الصحف المصرية عقب الحادث أن نوبياً اسمه آدم خديوى عثر على المسدس الذى استُعمل فى الجريمة وذهب به سيراً على الأقدام من الإسكندرية إلى القاهرة .

وقامت عقب ذلك حملة اعتقالات واسعة شملت آلافاً أو عشرات الآلاف من الإخوان المسلمين الذين أسلموا للهتك والعناء كما رأينا عند الكلام عن

التعذيب وأحرقت هيئةُ التحرير المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة ، واستولت الهيئة على المراكز الأخرى بالأقاليم ، ثم ألفت « محكمة الشعب » وفروعها لمحاكمتهم ، وحكمت محكمة الشعب الرئيسية التى كان يرأسها جمال سالم ويقوم بالعضوية فيها أنور السادات وحسين الشافعى بالإعدام على المرشد العام وستة آخرين من الإخوان المسلمين ذكرنا أسماءهم عن الحديث عن محكمة الشعب ، وقد خُفِّف الحكم على المرشد العام لكبر سنه ومرضه ، ونُفذ الحكم فى الستة الآخرين ، وحكمت محاكم الشعب الأخرى بأحكام مختلفة على ٨٦٧ شخصاً ، أما من اعتقلوا ولم يقدموا للمحاكمة وتركوا للجلادين فكان عددهم يربو على الإحصاء .

وأرسل محمد نجيب برقية لجمال عبد الناصر يستنكر فيها الحادث ويتمنى لجمال الصحة والسلامة ، ثم أرسل له مندوباً للاطمئنان عليه ولتبليغه تحياته وتمنياته ، ولكن الصحف لم تنشر لهذا ولا لذاك ، فذهب لزيارته عقب عودته وسأل : لماذا لم تنشر الصحف إلى برقيتى ومندوبى ؟ وأجيب بأنها كثرة الأعمال والمسئوليات (١) .

وبعد قليل أشيع أن لمحمد نجيب صلةً بالحادث وتدبيره ، فتقرر تقديمه للمحاكمة ، ولكنْ تدخل بعض زعماء السودان فقنع الثوار بعزل محمد نجيب وتحديد إقامته وإعفائه من المحاكمة مع حرمانه من الحقوق السياسية مدة عشر سنوات (٢) .

ذلك هو الحادث كما وصفته الصحافة والإذاعة ، أو قل إن ذلك هو وصف الحادث من الزاوية الحكومية التى كانت وحدها تتكلم آنذاك : فلننتقل إلى وصف آخر من مراجع كتبها الإخوان المسلمين .

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ١٤٧ - ١٤٨

(٢) أجاريشيف : ناصر ١٨٣ ومذكرات البغدادى ص ١٩١ والأهرام فى ١٩٥٤/١١/٢١

يقول أ. ا. الكتاب من الأخوان : « إن المرشد العام قال لجمال عبدالناصر عندما تأزمت الأمور بين الإخوان وبين الثورة : يا جمال فى الوقت الذى تشعر فيه بضيق من الإخوان أبلغنى وأنا أُسلمُ لك مفتاح المركز العام ونقفلها حتى لا تقع فتنة ، وكان رأى الأستاذ الهضيبى واضحا فى أن أى عنف داخلى سينعكس على الإخوان بالضرر . . . ذلك هو موقف الإخوان ضد العنف ، ولو فرض وأراد الإخوان اغتيال جمال عبد الناصر لكان من الإيسر إطلاق الرصاص عليه وهو يركب عربة مكشوفة بشارع سعد ، وقد أعلن من قبل عن خط سير الموكب . . . ومن أجل هذا ينبغى ألا تنطلى على الشعب تلك المسرحية المكشوفة ، ولكن هل تُرِك للشعب أن يفكر ؟ الجواب لا ، فقد انطلقت الإذاعة والصحافة وزبانية السجون ومرتزقة كل عهد فسدّوا على الناس أبواب التفكير (١) » .

ويقول الأستاذ حسن عشماوى إنه فوجىء بالحادث ، وفوجىء بإسناده إلى الإخوان ، وقد سأل فى ذلك يوسف طلعت رئيس الجهاز السرى ، فأكد أنه لا يعرف شيئاً عن ذلك ، والمفروض أنه المسئول عن الحركات السرية ، ووضح يوسف طلعت أن الخطة الموضوعة كانت تقتضى أن تجتمع الهيئة التأسيسية بعد غد ، وأنه ستعقبها مظاهرة لإعلان قراراتها ، كما أكد يوسف طلعت أنه أيقن أن الأستاذ إبراهيم الطيب المسئول عن الجهاز السرى فى القاهرة لم يكلف الأستاذ هنداوى دوير بأن يعمل لاغتيال جمال عبدالناصر ويستنتج الأستاذ حسن عشماوى من ذلك كله أن الحادث على هذا النحو فردى يحاسب عليه فاعله .

ثم يعود الأستاذ حسن عشماوى ليذكر أنه يؤيد اتجاه الأستاذ يوسف طلعت الذى كان إيمانه يصل إلى أن الحادث ملفق . . . لأن المسافة بين مُطلِق النار وموقف عبد الناصر ٣٠٠ متر ، وللميل الشديد فى الاتجاه ،

---

(١) دكتور جابر الحاج : الفراعنه الصغار ص ٧٨ - ٧٩

إذ كان عبد الناصر يقف على منصة عالية ، ثم لوقوف عبد الناصر وراء حاجز من البشر، وذهابُ المتهم وحده دون شريك يسنده، واستعمال مسدس وهو أداة ضعيفة فى مثل هذه الحال ، وعدم إصابة الهدف من شخص معروف جيداً بالمهارة الفائقة ، ومعروف كذلك بأنه لا يطلق النار بغير تأكد من الإصابة . . . كل ذلك يوحى أن الحادث غير معقول .

ويوسف طلعت كان دائماً يتساءل : أمن الممكن أن يرسل هنداوى دوير شخصاً واحداً لهذا الحادث مع أنه يستطيع أن يرسل عدة أشخاص؟ وهل يمكن أن يُرسل مسدساً واحداً بدلا من عدة مسدسات وعدة قنابل ؟

ويذكر الأستاذ حسن العشماوى أنه سمع من موظف عاين مكان الحادث رسمياً أن الحائط المواجه لإطلاق النار ليس به أى أثر لرصاص ، وأنه يعتقدأن المسدس الذى سُمعت طلقاته كان محشواً بالبارود فقط دون رصاص ، وأن عبد الناصر كان يعلم سلفاً لحظة الإطلاق(١) .

ذلك هو الحادث كما يراه الإخوان المسلمون ، أما رأيى الذى أدين به والذى كوّنته من دراسات وتفكير خلال ربع قرن منذ وقع الحادث حتى كتابة هذه السطور ، هذا الرأى يتخذ دعاماته من الأحداث والأقوال التالية :

أولا : الدقة الشاملة فى إعداد السرادق وتنظيم الذين يحتلون مقاعده ، وقد سبق أن اقتبسنا كلمات إبراهيم الطحاوى الذى يقرر أن هيئات ثلاثا كانت مكلفة باحتلال مقاعد السرادق ، هى هيئة التحرير، وعمال مديرية التحرير ، والحرس الوطنى ، وهذا يوضح أنه لم يكن هناك متعمد يمكن أن يتسلل

---

(١) الاخوان والثورة ص ٧٤ – ٧٦ باختصار

إليه مغامر ليعتدى على جمال عبد الناصر ، فما كان الوصول إلى المقاعد أمراً ميسوراً ، ولم يترك للجماهير ألا المقاعد الخلفية النائية .

ثانياً : قصة الجنيهين اللذين تحدثت عنهما الصحف المصرية وقالت إنها أعطيا لمحمود عبد اللطيف لينفق منهما على أولاده وأسرته هى فى تقديرى أسطورة لم يُجَدْ حبكها ، فالمبلغ الذى يقدم لمن هو فقير ويُطلب منه أن يُقدِم على هذه المغامرة لا بد أن يكون مبلغاً ضخماً ، يغرى بالإقدام على هذا الجرم .

ثالثاً : ثمانى رصاصات تنطلق من مسدس يمسك به رجل مشهود له بالدقة فى إصابة الهدف ، ولا تنجح واحدة من هذه الرصاصات فى إصابة الهدف أو إصابة أى شخص من الذين يحيطون بجمال عبد الناصر ، أو إصابة أى إنسان على الإطلاق . هذا فى تقديرى مستحيل .

ثم إن المشرفين على السرادق سرعان ماطمأنوا الناس ودفعوهم للهدوء ، ولو كانت هناك مؤامرة فعلا لانفضّ الحفل مخافة أن يكون هناك مزيد من الرصاص .

ومما يتصل بالإصابات نذكر أن الاصابات القليلة التى حدثت كانت من زجاج انكسر ، ربما من الزحام والجموع التى تحركت عقب الحادث ، ولم تكن هناك إصابات من المسدس على الإطلاق :

رابعاً : كانت المسافة بين المكان الذى قيل إن محمود عبد اللطيف أطلق منه النار وبين جمال عبد الناصر ٣٠٠ متر ، وكان عبد الناصر على منصة عالية ، وهذه المسافة وارتفاع الهدف يجعلان من المستحيل نجاح الخطة وإصابة الهدف ، وبالتالى لا يقدم على هذا العمل جماعة لهم خبرات بالتخطيط والأمور العسكرية .

خامساً : من المعروف أن الإخوان المسلمين كانت عندهم ذخائر ومدمرات هائلة ، ولو اتجهوا للاغتيال لكان هناك وسائل أخرى لتحقيق هدفهم ، ومن المستحيل أن يقدموا على هذا العمل بمسدس لايستعمل عادة إلا عند المسافات التى لا تتجاوز أصابع اليدين من الأمتار ،

وقد تحدثت الصحف آنذاك عن أسلحة ومفرقعات ضبطت لدى بعض الإخوان بالاسكندرية كانت تكفى لنسف المدينة كلها(١) .

سادساً : حكاية النوبى الذى حمل المسدس سيراً على الأقدام من الاسكندرية إلى القاهرة حكاية ساذجة ننقدها من النقاط التالية :

١ - كيف اتُّهم محمود عبد اللطيف قبل العثور على هذا المسدس ؟ مع ملاحظة أن المسدس الذى قيل إنه وجد معه لم يستعمل ذاك المساء ؟

٢ - كيف أفلت المسدس المستعمل من الذين قبضوا على محمود عبد اللطيف ؟

٣ - لماذا لم يسلم النوبى المسدس لنيابة الاسكندرية ؟

٤ - لماذا جاء هذا الرجل سيراً على الأقدام طيلة هذه المسافة التى لا تقطع عادة سيراً على الأقدام .

سابعاً : يروى صلاح الشاهد(٢) أنه كان يقود سيارته مساء يوم ٢٦ وسمع جزءاً من خطاب الرئيس من مذياع بالسيارة ثم سمع الطلقات ، فأسرع نحو بيت الرئيس ليكون مع أولاده فى هذه الأزمة ، ولم يجد صلاح الشاهد بالبيت اضطراباً أو ذعراً وأخذ يداعب أولاد الرئيس الذين كانوا يلعبون ، وهذا يوحى لى أن أسرة الرئيس كان تعلم سلفاً بما سيجرى ، وقد شاهد هذا الاطمئنان قبل أن يتصل بهم عبد الناصر من الاسكندرية .

---

(١) الأهرام فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٥٤

(٢) ذكرياتى فى عهدين ص ٢٨٣

ثامناً : يروى فتحى رضوان(٣) أن عبد الناصر كان أكبر المتحمسين لإقالة محمد نجيب فى أكتوبرسنة ١٩٥٤ ، وكان يقول : فى فبراير كان نجيب أقوى منا فكان فى إقالته ضرر للثورة ، أما الآن فقد أصبحنا أقوى منه ، وفى تأخير إقالته نفس الضرر .

وتعليقنا على ذلك أن العبارة توضح أن إقالة محمد نجيب لم تكن لاتهامه بالمشاركة فى محاولة الاغتيال ، بل للرغبة فى إقالته لأن عبد الناصر أصبح أقوى منه ، ولو كانت هناك « محاولة للاغتيال ومشاركة » من محمد نجيب فيها للزمت إقالته دون هذا التعليل الذى ذكره عبد الناصر ، وقد أشرنا لذلك من قبل .

وبناء على هذه الأشياء أعتقد أن الحادث مختلق ، وأسطورة مصنوعة ، لم يستطع مؤلفوها أن يجيدوا حبكها ، فجاءت بها هذه الثغرات التى كشفت عن حقيقتها ، ولكن ذلك كان بعد إراقة الدماء البريئة ، وبعد تعذيب عدد هائل من أصفياء المسلمين ، وإذا كان الظلام قد أحاط بهذا الحادث فى حينه فنرجو أن تكون أشعة الضوء التى دوناها كافية لإبراز الحقيقة ولإنصاف المظلومين ومعاقبة الآثمين .

واختلاق هذا الحادث يقرره محمد نجيب فى مقال له بمجلة الرأى الكويتية ، وفيه يقول : إن فكرة إطلاق الرصاص على عبد الناصر فى الاسكندرية تتحدث عن مؤامرة وهمية من أولها إلى آخرها ، وكانت مرتبة بواسطة رجل من أجهزة المباحث العامة ، وقد كوفىء هذا بمنصب كبير أسند إليه ، وقد استطاع هذا الرجل استئجار شاب مصاب بجنون العظمة ، وأغراه بأنه لو اعترف بأنه حاول قتل عبد الناصر فسينال مكافأة ضخمة ويسمح له بالهجرة خارج البلاد . . . . فلما وقع هذا فى الفخ

---

(١) أسرار حكومة يوليو ص ٩٢

واعترف ، صدر الحكم بإعدامه حتى يموت ويموت معه السر(1) .

بقيت كلمة عن حادث المنشية هي أن هذا الحادث كان ضمن مجموعة من الأحداث تغلب بها عبد الناصر على ما كان يعانيه من كراهية الشعب ، وكانت هذه المجموعة من الأحداث وسائل استغلت أوسع استغلال لخلق مايمكن أن يسمى شعبية لعبد الناصر ، وسنتحدث فيما بعد عن هذه الأحداث وطريقة استغلالها .

لقد كان تدبير حادث المنشية عملا بشعا مملوءا بالظلم والقسوة والاستبداد ، وبه فصمت العلاقات بين الإخوان وبين الثورة ، أما الحديث عن سلسلة العلاقات كلها ، وتتبعها في مراحلها المختلفة فسنعالجه في الموضوع التالي :

---

(1) مجلة الرأى الكويتية الصادرة فى ٢٤ أغسطس سنة ١٩٧٥

الإخوان المسلمون والثورة

لا يكاد الإنسان يعرف علاقات تأرجحت من أعمق الود إلى أقسى العداء ، ومن روابط التعاون إلى القطيعة والتنكيل والقتل ، كالذى حدث بين الثورة وبين الإخوان المسلمين . لقد كان للإخوان المسلمين الحظوة لدى قادة الثورة ، ويوماً بعد يوم تبدلت الأحوال وأصبحت زفرات الضباط ضد الإخوان لهيبا ونارآمتأججة ، وأصبح قادة الثورة يرون الإخوان ألد أعدائهم ، ولِنبدأ قصة هذه العلاقات ينبغى أن نذكر كلمة عن الإخوان المسلمين ، نتعرّف فيها على جهود هـذه الجماعة فى الميادين الدينية والاجتماعية ، ولتكن هذه الكلمة سطوراً نقتبسها من كتابى « رحلة حياة » فنى هذا الكتاب وصفتهم أدق وصف حينما قلت الكلمات التالية :

لعبتْ هذه الجماعة دوراً إسلامياً رائعاً فى حياة الصبيان والشباب والرجال ، وغرست أخلاق الإسلام فى الملايين ، وجعلت الانتساب للإسلام مفخرة يعتزّ بها الكثيرون ، وربطت بين جماعات المسلمين فى مختلف الأنحاء ، وكوّنت من المسلمين قوة هائلة هزت غطرسة الاستعمار وقوى الغرب ، وطلائع الصهيونية ، ودفعت إلى المكاتب والمصانع والوظائف جماعات تعرف الله وتخافه ، وبالتالى تنتج بجدٍّ ، وتعمل بدون رقيب من الناس ، ولا تمتد لها الشبهات ، ولا يمسها الانحراف ، وكانت كلمة من « الإخوان المسلمين » طابعاً للتنزّه عن الصغائر والبعد عن الرشوة وعن الإهمال ، ومؤشراً للحرص على أداء الواجب ، وحينما رأيت الآن رجلاً يبرز فيه هذا الطابع ، فاعرف أنه غالباً كان منتسباً لهذه الجماعة .

لو سارت جماعة الإخوان المسلمين فى طريقها الإسلامى ونهجها التربوى ، لكان للمسلمين الآن شأن آخر ، ولما استطاعت قوى الشر أن تنال من المسلمين أو تعتدى عليهم ، فكم من لسان أخرسته هذه الجماعة ، وكم من

عدو توارى خوفاً من الإخوان المسلمين ، فلما اختفت هذه الجماعة ، ظهرت أنياب الأعداء ، وأخذت تهاجم المسلمين بشراسة ، وكانت هذه الأنياب من قبل كليلة هزيلة(١).

والنهج التربوى الذى ذكرناه آنفاً هو النهج الذى دعا إليه الإمام محمد عبده ، والذى كان أملَه لإنشاء جيل جديد فيه خلق الإسلام وروح الوطنية . وقد ملأ الإخوان المسلمون هذا الاتجاه كما يتمناه الإمام .

ولكن ، هل يخطر بالبال أن الإخوان المسلمين كان عليهم أن يبعدوا عن السياسة ؟

الإجابة عن هذا السؤال تقرر أن السياسة جزء من الدين ، وأن الرجل الذى يربَّى تربية دينية يعرف حق الوطن والمواطن وحق الحاكم وواجباته ، وحق المحكوم على الحاكم ، ومن هنا دخل الإخوان المسلمون ميدان السياسة ، ثم إنهم دخلوا ميدان الصراع ضد القوى البريطانية التى كانت تحتل بلادنا ، ولهذا كانت لهم خبرات عسكرية ، وكان لديهم كثير من أدوات الحرب والتدمير .

ومع ما فى هذا من خير ، فإن السيطرة على جماعة كبرت ، وأصبح لها تطلعات سياسية وقدرات عسكرية لم تكن يسيرة ، فانفلت الزمام بعض الشيء واتُّهم بعض الإخوان باغتيالات سياسية واشتراك فى بعض أعمال العنف والتدمير(٢) .

وقد قابلت الأستاذ حسن البنا أكثر من مرة ، وتحادثت إليه ، وفى حياته وبعده قابلت كثيرين من أعضاء هذه الجماعة ، والحق أن الكثيرين ممن

---

(١) رحلة حياة المؤلف ص ١٣٧

(١) اقرأ عن ذلك كتاب « لماذا اغتيل الشهيد حسن البنا » للاستاذ عبد المتعال الجبرى ص ٥٩ — ٦١

قابلت كان لم نهج لا يرقى لنهج المرشد العام ، فلم يكن لهم اتساع أفقه ، ولا عمق ثقافته ، ومن أبرز الأمور التى استوقفتنى أن بعض أعضاء الجماعة الذين لم يتشربوا فكر المرشد العام كان الواحد منهم لا يرى فى الدنيا سوى الإخوان المسلمين ، ولا يتعلم من سواهم ، ويعدُّ غيرهم فراغاً أو ضلالا ، لدرجة أن بعض شبابهم قاطعونا وحسبوا أن الحديث مع غير أبناء جماعتهم خروج عما يجب أن يكون . قد يكون ذلك انحرافا من بعضهم ، ولكن ذلك كان شائعاً على كل حال ، ويدخل فى نطاق ذلك صحفهم ومجلاتهم التى كثيراً ما كانت سلسلة متصلة من النقد اللاذع للمسلمين ، وكان ينبغى أن يكون الإخوان معلّمين يأخذون بيد المسلمين بالحكمة لجذبهم للطريق الصواب كما كان المرشد العام يفعل ، بدلاً من أن يقفوا وحدهم فى جانب وبقية المسلمين فى جانب آخر .

تلك لمحة من الدراسة العامة عن الإخوان المسلمين لم يكن منها بد ، وبعدها نعود لدراسة مراحل العلاقات بين الإخوان وقادة الثورة :

قبل الثورة :

ترجع العلاقة بين الإخوان المسلمين وبين قادة الثورة إلى فترة ما قبل الثورة ، ولعل هذه العلاقة بدأت فى حرب ١٩٤٨ على رمال فلسطين حيث صارع الجيش المصرى ومعه أبطال من الإخوان المسلمين ضد الصهيونية الزاحفة ، وبعد هذه الحرب اجتمع الفريقان ضد الإنجليز فى القناة سنة ١٩٥١ عقب إلغاء المعاهدة ، ويتحدث الأستاذ حسن العشماوى عن هذه الصلة فيقول :

عرفت جمال عبد الناصر بحكم صلتى بالإخوان حين كان يعتبر نفسه واحداً منهم ؛ يدرِّب شبابهم على إطلاق النار وأعمال النسف فى مركز الصف ، ويشترك مع جهازهم السرى القديم فى تخطيط بعض الحوادث ، وعرفته سنة ١٩٥١ عقب أن ألغى الرئيس مصطفى النحاس معاهدة ١٩٣٦ وكان

الإخوان يشاركون فى معارك السويس ، وأراد جماعة الضباط الأحرار أن يتعاونوا مع الإخوان فى المعركة ، وعرفت عن عبد الناصر الشيء الكثير ، وتوثقت بيننا العلاقات بسرعة ، وشكا لى كثيراً من جهالة زملائه وضيق أفقهم ، وطلب منا العون فى تعليم هؤلاء الزملاء ، وكانت جماعة الضباط الأحرار أصلا مجموعة من مجموعات الإخوان المسلمين فى الجيش ، ولكنها انفصلت بفعل جمال عبد الناصر بحجة أن الشروط الخلقية المطلوبة للانضمام للإخوان تعوق أغلب الضباط عن الانضمام ، وقد ورّد لنا جمال عبد الناصر وبعض رفاقه أسلحة ومعدات حربية يغلب أنها كانت مسروقة من الجيش المصرى ، وطلبوا منا ثمناً رأيناه مناسباً ، وكان ما وردوه لنا بضع مدافع رشاشة ثمنها مائة وعشرة جنيهات ، أضيفت إليها خمسة جنيهات للتاجر الذى نقلها ، وخمسة أخرى كأتعاب للصاغ صلاح سالم ، وبقى عند عبد الناصر إلى اليوم ٣٨٠ جنيهاً من الخمسمائة جنيه التى سلمتها له لحساب تلك الصفقة(١) .

ويتحدث أنور السادات حديثاً طويلاً عن الإمام حسن البنا وعن الإخوان المسلمين، ويصف الإمام بأنه كان ممتازاً فى اختياره موضوعات أحاديثه ، وفى فهمه للدين ، وأنه كان مؤهلاً للزعامة الدينية ، ويقرر أنه كان يتكلم عن الدين والدنيا معاً بأسلوب جديد لم يعرفه رجال الدين ، ويقرر أنور السادات ، أنه أعجب به أيما إعجاب ، وكان يداوم على حضور درس الثلاثاء معه ، وأنه ذكر له أن هناك تدبيراً فى الجيش لقلب نظام الحكم ، [وأن تعاوناً قام بين الإخوان المسلمين وجماعة الضباط لهذا الهدف ، وانضم عبد المنعم عبد الرءوف لتنظيم الضباط ممثلاً للإخوان المسلمين(١).

---

(١) حسن العشماوى : الإخوان والثورة ص ١٣ - ١٤ باختصار
(٢) البحث عن الذات ص ٣٥ وما بعدها

ويذكر أنور السادات أن الشيخ البنا اتصل بشقيقه طلعت وأخبره أن جماعة الإخوان المسلمين خصصت عشرة جنيهات شهرياً لأسرة أنور السادات طيلة سجنه(١).

ويقرر عبد اللطيف البغدادى أن تنظيم الضباط الأحرار اتصل بالإخوان المسلمين ، وبطلاب الجامعات للتنسيق بين هذه الجماعات ضد الوجود الإنجليزى بالبلاد ، وأن الشيخ حسن البنا رحّب بالفكرة قائلاً : نحن ندعو إلى الدين لغرض سياسى نأمل تحقيقه ، ولسنا مشايخ طرق ... وتم تعاون بين هذه الجماعات لنفس الهدف(٢).

ويتضح من هذا أنه كانت هناك علاقة وثيقة بين الإخوان المسلمين وبين الذين أصبحوا قادة للثورة ، فلا عجب إذن إذا ظهر التعاون بين الجماعتين بعد الثورة ، ولكن كان هناك سببان مهمان باعدا بين الجماعتين وبين الوفاق التام ، وهذان السببان هما .

١ ـ كان الإخوان المسلمين قاعدة عسكرية مدرّبة مستعدة للتضحية ، وهذا أخاف قادة الثورة منهم وبخاصة عبد الناصر .

٢ ـ أحس ضباط الجيش أن الإخوان المسلمين يعملون لاستيعاب الضباط ، وجعل نتائج الثورة تتبع مبادئهم وتنظيماتهم ، وقد سبب هذا حساسية كانت تختفى وتظهر ثم أعلنت عن نفسها بالعداء السافر المريع ، كما سنرى فى الخطوات التالية :

فى مطلع الثورة :

قلنا آنفا إنه كان هناك سببان يباعدان بين الإخوان المسلمين وبين الثوار ،

---

(١) البحث عن الذات ص ٩٩

(٢) مذكرات البغدادى ص ١٣ — ١٤

ولكن كانت هناك أسباب أخرى تدفع لضرورة التعاون بين الجماعتين ؛ كان عبد الناصر يُظهر التقرب منهم ليضرب بهم الأحزاب ، ومن أجل هذا اتصل بالأستاذ حسن الهضيبي طالباً ترشيح اثنين من الإخوان للوزارة ، فرشح الشيخَ أحمد الباقوري وأحدَ اثنين من أصدقاء الإخوان هما الأستاذ أحمد حسني أو محمد كمال الدين ، وبعد قليل حضر الأستاذ حسن العشماوي ومنير الدلة وذكرا أنهما مرشحا الإخوان للوزارة ؛ كان الترشيح الأول من الأستاذ الهضيبي شخصياً ، وكان الترشيح الثاني من مكتب الإرشاد ، وقد رجّح الثوار الترشيح الأول إذ كان قد تمّ اتصال بين الثوار وبين مرشحَيْ الأستاذ الهضيبي ، ولهذا اعتذر مكتب الإرشاد باسم الإخوان المسلمين عن الاشتراك في الوزارة ، مما دعا الشيخ الباقوري إلى الاستقالة من مكتب الإرشاد ليصبح وزيراً للأوقاف (١)

ومن مظاهر التقرب للإخوان ما نشرته صحف القاهرة حول إعادة النظر في قضية اغتيال المغفور له الشيخ حسن البنا ، وكانت هذه القضية قد حفظت لعدم ثبوت الاتهام ضد أحد(٢) .

ومن جهة الإخوان المسلمين كانت هناك دوافع تضطرهم للتعاون مع الثوار ؛ إذ كان الإخوان المسلمون كما يصفهم الأستاذ كرم شلبي ، قوة غير انتخابية ، أي أنهم قوة مرموقة في حقل المظاهرات والاجتماعات وتنظيم الصفوف ، ولكن جماهيرهم لا تكوّن نسبة من الناخبين تعطيهم الأغلبية أو ما يقرب منها ، وهم لا يرتبطون في أذهان الناخبين ببرنامج واقعي واضح ، ولا أقصد بالبرامج البرامج المكتوبة ، بل السلوك الفعال ، وكان طابع دعوتهم العام في ذهن الناخبين أنها دعوة أخلاقية يُعجَبُ بها الناخب ،

---

(١) محمد نجيب : كلمتي للتاريخ ص ٥٣

(٢) صحيفة المصري في ٢٦/٣/٥٣

ولكنه لا يعطيها صوته . . . تماما كما يقبّل المسلمُ يدَ إمام المسجد لكنه لا يختاره وزيراً ، فالناخب قد يذكر الإخوان عندما يفكر فى الصلاة والصيام، ولكنه لا يذكرهم عندما يفكر فى أسعار القطن والمساحة المزروعة قمحاً ، وفى الكساد والرواج (١) .

ونتيجة لهذا الإحساس اتجه الإخوان المسلمون ليحكموا عن طريق الثورة ، إذ إنهم فقدوا الأمل فى أن يحكموا عن طريق برلمان حر يضمن لهم الأغلبية ، ونتيجة لهذا أيضا أغرى الإخوان المسلمون حكومة على ماهر بما يسمى (التطهير) لكل من أعان الملك وأفسد الحياة السياسية ، وقد بكروا بهذا الموقف إذ أعلنوه فى أول أغسطس سنة ١٩٥٢ وكانوا بذلك يحاولون القضاء على الأحزاب ليخلو لهم الجو . وفى هذا النطاق يعترف إبراهيم الطيب أن الإخوان طالبوا رجال الثورة باستمرار الحكم العسكرى عشر سنوات تحت وصايتهم(٢) .

وهكذا كانت هناك منافع متبادلة بين الإخوان المسلمين من جانب وبين قادة الثورة من جانب آخر ، لتتعاون المجموعتان ضد جميع المتطلعين للحياة الديمقراطية الحقيقية ، والمنادين باحترام رأى الأغلبية ، ونتيجة لاتجاه التعاون شمل المرسومُ بقانون رقم ١٧٩ لسنة ١٩٥٢ الخاص بتنظيم الأحزاب السياسية بمصر عبارة تعفى الإخوان المسلمين من أن ينطبق عليهم هذا المرسوم بقانون ، وتلك العبارة هى : «ولا يعتبر حزباً سياسياً الجماعة التى تقوم على محض أغراض علمية أو اجتماعية أو ثقافية أو دينية» .

وسارت الأمور سيرتها فى مظهر تعاونى ، فكانت الاجتماعات تعقد بين أعضاء مجلس الثورة وبين الإخوان المسلمين من حين إلى آخر ، وقد

---

(١) عشرون يوما هزت مصر ص ١٠٢
(٢) الأهرام فى ١٩٥٤/١١/١٥

نشرت الأهرام ان صلاح سالم سئل عن موقف رجال الثورة من الإخوان وعن الاجتماعات التى تعقد بين الإخوان وزعماء الثورة فقال إن اجتماعاتنا بقيادة الإخوان المسلمين تقع ضمن سلسلة الاتصالات التى نقوم بها مع ذوى الرأى من السياسيين القدامى الذين لم تشبهم شائبة لنتدارس معهم القضايا المتصلة بحاضر البلاد ومستقبلها (١) .

وفى صحف القاهرة الصادرة فى ٥٣/١١/٢٤ نشر أن أعضاء مجلس الثورة تناولوا العشاء مع المرشد العام للإخوان المسلمين وظلوا يتحدثون بعد العشاء حتى منتصف الليل ، ونشرت الصحف مع هذا الخبر صوراً للزعماء من الجانبين .

ويبدو أنه بينما كانت العلاقات على هذا النحو كان الإخوان المسلمون يحاولون احتواء الثورة ، ويقول الأستاذ صلاح الشاهد إن الإخوان حاولوا احتواء الثورة منذ بدئها(٢) ويقرر محمد حسنين هيكل نفس هذا المعنى(٣) ولعله بسبب هذا الإحساس كان هناك حَذَرٌ من قادة الثورة تجاه الإخوان ، ولم يتوقف الحال عند الحذر ، بل ظهرت شائعات فى سبتمبر سنة ١٩٥٣ عن حل جماعة الإخوان المسلمين ، وكان مصدر هذه الإشاعات راديو إسرائيل الذى ذكر أن الجهات المسئولة بمصر قررت حل جماعة الإخوان المسلمين ، وقد سئل جمال عبد الناصر عن ذلك فأدلى بالتصريح التالى : إن هذا النبأ ليس له أى نصيب من الصحة ؛ فلم يحدث لأحد من المسئولين أن فكر فى اتخاذ مثل هذا الإجراء مع هذه الجماعة ، وقال : إن جماعة الإخوان

---

(٢) صحيفة الأهرام فى ١٩٥٣/١٠/٢٨

(٢) ذكرياتى فى عهدين ص ٢٤٧

(٣) بصراحة عن عبد الناصر ص ١١٩

المسلمين تقوم بنشاطها العادى فى نشر رسالتها فى خدمة البلاد وخدمة الدين، ولم يتعرض أحد لهذا النشاط[١] .

إعلان الخلاف وحل جماعة الاخوان :

اتضح لنا مما سبق أن التعاون بين الإخوان والثورة لم يكن عميق الأسس، ولم يكن صادراً عن حب بل عن منفعة ، ومن هنا لم يكن من الممكن أن يدوم ، وقد بدأت الخلافات تظهر خلال عام ١٩٥٣ ، ولكن الطرفين حاولا إخفاء هوة الخلافات والتظاهر باستمرار التعاون ، بيد أن حل الأحزاب والتخلص منها من جانب ، وقيام هيئة التحرير من جانب آخر كان مؤشراً لإعلان الخلافات ،إذ أراد عبد الناصر أن يوجه كل جهوده لبناء هيئة التحرير ليبنى عليها أطماعه وآماله ؛ ولم يعد فى حاجة إلى جماعة الإخوان المسلمين التى لا يمكن أن تكون أساساً سليما لطموحه ، ويقول الأستاذ حسن العشماوى[٢] إن هيئة التحرير كانت منذ إنشائها نقطة خلاف بين عبدالناصر والإخوان ، ذلك لأن الإخوان المسلمين حاولوا عقب حل الأحزاب فى يناير ١٩٥٣ أن يوسعوا دائرة نفوذهم على حساب هذه الأحزاب ، ولكن هيئة التحرير كانت قد ظهرت قبل حل الأحزاب مباشرة لنفس الغرض .

واحتدم النزاع يوماً بعد يوم حتى ظهر على سطح الأحداث، وكان ماأذاعته الإذاعة الإسرائيلية له جذور من الحقيقة ، ومر عام ١٩٥٣ والصراع يبرز ويختفى ، فلما أهل عام ١٩٥٤ كان السيل قد بلغ الزُّبى كما يقولون ، فصدر فى ١٩٥٤/١/١٢ قرار بحل الجماعة وكان ذلك كما يقول عبداللطيف البغدادى على أثر الصدام الذى حدث فى الجامعة بين طلبة الإخوان والطلبة المنتمين لهيئة التحرير أى المنظمة السياسية التابعة للثورة ، وكان قرار الحل يشتمل أيضاً على اعتقال الهضيبى وابنه وعدد آخر من أعضاء الجماعة ،وكذلك أفراد القسم

---

(١) الأهرام فى ٥٣/٩/١٣

(٢) الإخوان والثورة ص ٣٢

الخاص بالجمعية ، وكان عدد المعتقلين يربو على ٤٥٠ معتقلا بالإضافة إلى فصل بعض الطلبة والموظفين المنضمين للجمعية ، وإحالة ضباط البوليس المنتسبين إليها إلى المعاش والقبض عليهم(١) .

ولم تشأ الثورة أن تذكر السبب الحقيقى لحل الجماعة ، بل أصدر مجلس قيادة الثورة بياناً طويلا يتهم الإخوان بأن لهم اتصالا بالانجليز عن طريق الدكتور محمد سالم الموظف فى شركة النقل والهندسة ، والذى هيأ فرصة لقاء فى شهر إبريل سنة ١٩٥٣ بين المستر إيفانز المستشار الشرقى بالسفارة البريطانية وبين منير الدلة وصالح أبو رفيق من الإخوان ، كما اتهم البيان المرشد حسن الهضيبى بأنه يعد جهازاً سرياً جديداً لمقاومة الثورة ومهاجمة نظام الحكم(٢) .

إعادة الجماعة فى مارس سنة ١٩٥٤ :

وفى حركة فبراير وأوائل مارس سنة ١٩٥٤ كان الإخوان المسلمون منضمين إلى الجماعات المصرية المختلفة فى الاحتجاج على إبعاد محمد نجيب كما ذكرنا من قبل ، وقد رأى عبد الناصر أن يبعد الإخوان عن الجموع الهادرة ضده ، فأصدر قراراً بإعادتهم قبل إصدار قرارات ٢٥ مارس التى كان قد أعد العدة للإثارة بها ، وأعد حركات إضراب ضدها كما ذكرنا من قبل ، ونشرت صحيفة الجمهورية ، وهى جريدة الثورة ، خبراً جاء فيه أنه تقرر إعادة جماعة الاخوان المسلمين وأن كل أثر لقرار حل الجماعة الصادر فى يناير قد زال .

وانطلت الخديعة على الإخوان ، فحسبوا أن الرضا قد عاد لهم ، وتخلوا عن مقاومة الديكتاتورية العسكرية ، واتجهت جهودهم من جديد

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٩٢

(٢) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٢١٩

لمقاومة الأحزاب السياسية والهجوم عليها ، فكانوا بذلك يسيرون فى فلك الثورة ، وصدر لهم تصريح فى ٢٧ مارس يقول : فيما يختص بعودة الأحزاب السياسية أملنا ألا يعود الفساد أدراجه مرة أخرى ، فإننا لن نسكت على هذا الفساد ، بل نؤيد بقوة حرية الشعب كاملة ، ولن نطلب تأليف أحزاب سياسية لسبب بسيط هو أننا ندعو المصريين جميعاً لأن يسيروا وراءنا ويقتفوا أثرنا فى قضية الاسلام[1]

وصرح الأستاذ الهضيبى بأن الجماعة قائمة وأنها أقوى مما كانت .

وقيل إنه كان للملك سعود الذى كان يزور القاهرة من يوم ٢١ مارس دور كبير فى التسوية ، ففى حديث لعبد الرحمن عزام لجريدة المصرى فى يوم ٢٥ مارس صرح بأن الملك سعود هو الذى تكلم مع البكباشى جمال عبد الناصر شخصياً وقال له : إن مصر وهى زعيمة الدول العربية والإسلامية لا يجدر أن يكون الإخوان المسلمون فيها فى المعتقلات وألا يباشروا نشاطهم (٢) .

واعتقادى الذى تؤيده كل البراهين أن جمال عبد الناصر هو الذى أوعز بوسيلة من وسائله للملك سعود ليتوسط فى الإفراج عن الإخوان المسلمين فى هذه الفترة ، بدليل أن الملك سعود نفسه رفض فى نوفمبر طلباً تقدم به مصطفى السباعى مراقب الإخوان فى سوريا للتوسط لدى السلطات المصرية لتخفيف قبضتها على الإخوان ، وعلل الملك سعود ذلك بأنه قد يُفهم منه أنه يتدخل فى شئون مصر الداخلية (٣) .

وهكذا عاد الإخوان المسلمون إلى الوجود على كل حال قبل إعلان قرارات ٢٥ مارس ، ومن أجل هذا تخلوا عن الحركات الشعبية الديمقراطية وتركوا الحركات المفتعلة تنجح وتؤيد النظام الديكتاتورى :

---

(١) صحف ٢٧ مارس وأحمد حمروش : شهود ثورة يوليو ص ٤٤٣

(٢) المصرى فى ٢٦ / ٣ / ١٩٥٤

(٣) الأهرام فى ٥/١١/١٩٢٤

ولكن عمر هذه الفترة كان قصيرا ؛ فما كاد عبد الناصر يتخطّى العاصفة حتى عاد للإخوان يواجههم ويطحنهم ، وكان تاريخه معهم فى هذه الفترة منقسما قسمين : أحدهما قبل « حادث المنشية » والثانى بعد هذا الحادث ، وسنتحدث عن هذين القسمين فيما يلى :

قبل المنشية :

نجح عبد الناصر فى فرض النظام الديكتاتورى بواسطة الذين سُخّروا لأغراضه من عمال مديرية التحرير ، والحرس الوطنى ؛ وضاوى أحمد صاوى لعنه الله ، كما ذكرنا من قبل ، وخرج عبد الناصر من الأزمة التى كان من الممكن أن تطيح به ، وبذلك لم يعد فى حاجة إلى مسالمة الإخوان المسلمين ، ورأى ضرورة القضاء عليهم ليخلو له الجو تماماً ، ولتُقطع كل ألسنة المعارضة ، ومن هنا بدأ يهاجم الإخوان المسلمين ، وقد أصبح الهجوم علناً ابتداء من شهر يوليو سنة ١٩٥٤ ، ولنعد إلى صحف القاهرة لنقتبس منها صوراً قليلة من هذا الهجوم .

ـ نشرت صحيفة الأهرام الصادرة فى ٢٢ / ٨ / ٥٤ أن عبد الناصر ألقى خطاباً خطيراً فى بعض الوفود التى كانت تزوره ، هاجم فيه المعارضين للثورة وحددهم بأنهم الشيوعيون والإخوان المسلمون .

ـ ونشرت صحيفة الأهرام الصادرة فى ٦ / ٩ / ٥٤ نص خطاب جمال عبد الناصر لألوف العمال الذين التقى بهم فى هيئة التحرير ، وقد حدثهم عبد الناصر فى هذا الخطاب عن أعداء الوطن وطالب الشعب بأن يؤدى واجبه ضدهم ، وروى فى حديث وصفه بأنه أخوى ما بيّته الإخوان المسلمون للثورة من تنظيمات سرية مسلحة .

ـ ونشرت الأهرام فى ٢١ / ٩ / ٥٤ حديثاً لجمال عبد الناصر أعلن فيه أن الثورة ما قامت إلا لتحقيق حياه دمقراطية على أساس متين بدون جمعيات سرية أو إرهاب أو استبداد ، وذكر أنه لن يقف أمام الثورة أى مخادع

أو مضلل من جماعة الإخوان المسلمين ، وقال إنه أبلغ زعماء سوريا بعد اجتماعه بهم أول أمس أن الإخوان يتبعون سياسة ظاهرها الارتكاز على الدين ليستغلوا البسطاء والسذج بذلك ، أما سياستهم الخفية فهدفها تحقيق السيطرة على القوات المسلحة وقوات البوليس ، ليحققوا مصلحتهم الشخصية وهى الوصول إلى الحكم :

وانتقلت العلاقة من الهجوم بالكلمة إلى الصراع والاشتباك بين أنصار جمال عبد الناصر وبين جماعة الإخوان المسلمين ، فقد نشرت الأهرام فى ٥٤/٩/١١ أن اشتباكا حصل بجامع عزيز فهمى بطنطا بين الإخوان المسلمين وبين فريق من الحرس الوطنى وأن إصابات حدثت ونقل المصابون إلى المستشفى .

ونشرت الأهرام فى ١٥ / ٩ / ٥٤ أن عبد الحكيم عابدين والسعيد رمضان اشتركا فى مؤتمر الإخوان المسلمين الذى عقد فى دمشق فى نفس الوقت والذى اتخذ قرارات ضد جمال عبد الناصر تتحدث عن انحرافاته فى الداخل والخارج .

وفى نفس العدد هاجم صلاح سالم الإخوان المسلمين هجوماً عنيفاً .

نشرت صحيفة الأهرام فى ٥٤/٩/١٩ أن الإخوان المسلمين فى مصر قرروا نقل مقرهم الرئيسى من القاهرة إلى دمشق .

وانتقلت العلاقات مرحلة أخرى من الهجوم إلى العقوبة القاسية ، فقد نشرت الأهرام فى ٥٤/٩/٢٤ أن مجلس قيادة الثورة قرر حرمان بعض المواطنين وأكثرهم من الإخوان من شرف المواطن وإسقاط الجنسية المصرية عنهم وهم :

- عبد الحكيم عابدين
- السعيد رمضان
- سعد الدين الوليلى
- محمد نجيب جويفل
- كامل إسماعيل الشريف
- محمود أبو الفتح

المنشية والقضاء على الاخوان المسلمين نهائياً :

وجاء حادث المنشية فى ٥٤/١٩/٢٦ الذى تحدثنا عنه من قبل ، وكان تدبيرا للقضاء على الإخوان المسلمين نهائياً ، فقد شكلت محكمة الشعب لمحاكمة الإخوان المسلمين الذين اتهموا بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر ، وكانت نتيجة هذا الاتهام أن حكمت هذه المحكمة على بعص هؤلاء الإخوان بالإعدام وأعدموا فعلا ، وحكمت على مئات منهم بالسجن مدداً مختلفة . ومن نتائج حادث المنشية كذلك أن اعتقل جمال عبد الناصر آلافاً تربو على الحصر من الإخوان المسلمين وعائلاتهم، وأنزل بهم صوراً من التعذيب بعيدة كل البعد عن الإنسانية ؛ حتى كانوا يتمنون الموت ، وقد تحدثنا عن التعذيب من قبل .

وأصدرت محكمة الشعب — كما ذكرنا من قبل — قراراً يوصى بحل جماعة الاخوان المسلمين ، فحلت هذه الجماعة منذ ذلك التاريخ .

بقى معنا نقطتان جديرتان بالتسجيل هنا :

النقطة الأولى : أن بعض المنتمين لحزب الوفد اقترح على الزعيم مصطفى النحاس أن يثور الوفديون على حركة ٢٣ يوليو عندما اتضح انحرافها وبعدها عن الدستور والديمقراطية ، ولكن الزعيم بخبرته ونضجه رفض هذا الاقتراح وقال قولته المشهورة : إن الجيش مثل وابور الزلط لا يقف أمامه إلا شعب مؤمن بالديمقراطية ، وقد اهتز هذا الشعب بسبب حكومات القصر والأقليات التى حكمت مصر مدداً طويلة ، ولا أوافق أبداً أن أعرض الوفديين لصدام مع جيش مصر .

ولكن الإخوان المسلمين صارعوا الجيش ، وكانت نتيجة الصراع ما رأيناه من أرواح أزهقت ، ودماء أريقت ، وأجساد عذبت ، وأعراض هتكت ، وعقائد اهتزت .

النقطة الثانية : أن الضربة الأولى التى نزلت بالإخوان المسلمين من جمال عبد الناصر وقعت كما ذكرنا آنفا سنة ١٩٥٤ ، وبالقضاء على الإخوان المسلمين اكتمل لعبد الناصر السيطرة الكاملة على البلاد دون معارضة ، فقد كانت الأحزاب السياسية قد قُضِيَ عليها من قبل ، وخلا لعبد الناصر الجو ، ومر الزمن وأمضى المسجونون من الإخوان المسلمين مدة العقوبة ، وبدأ أكثرهم يخرجون من السجن فى النصف الثانى من سنة ١٩٦٤ ، ولم تطل لهم الحرية ، فسرعان مادبر عبد الناصرضربة قاصمة أخرى للإخوان المسلمين فى منتصف عام ١٩٦٥ ولنا مع هذه الضربة حديث فى حينها .

ونختم كلامنا عن الإخوان المسلمين بما بدأنا به من أن الدور الذى قام به الإخوان المسلمين دور عظيم ، خلق جيلاً من المسلمين الحقيقيين ، وباختفاء الإخوان المسلمين خسرت مصر جنوداً أبطالاً فى كل ميدان ، وخسر الفكر الإسلامى دعاة من أمهر وأطهر الدعاة .

حوادث سنة ١٩٥٥

عام التحوُّل

يعتبر عام ١٩٥٥ عام تحوُّلٍ خطير فى تفكير الناس تجاه عبد الناصر ؛ كان الناس جميعاً فى الداخل وربما فى الخارج أيضاً يكرهونه ويرونه سالباً للسلطة ، شديد العدوان على الناس ، لا يعرف الوفاء للصديق ، ولا العدالة مع العدو . . . .

وشهد عام ١٩٥٥ تحولاً خطيراً فى هذا الموضوع اختفت فيه كراهية الكثيرين ، وأخذ حب الناس له يغمر الجماهير وبخاصة جيل الصبيان آنذاك ، الذى شبَّ لا يرى غيره زعيما ولم يسمع بغيره قائداً :

ماذا حدث حتى حصل هذا التحول الخطير ؟

إن الذى يدرس بوعى تاريخ هذا العام يدرك أن التحول كان طبيعياً ، بل كان ضروريا . لماذا ؟

لقد قضى عبد الناصر بشدة على كل القوى التى كانت تعوقه ، وتعرف حقيقته ، وبالتالى تحول بينه وبين الانفراد بالسلطة :

قضى على الأحزاب وبخاصة حزب الوفد، ووضع زعماءه خلف القضبان ، وألقى القبض على الشيوعيين ونفاهم بعيداً فى الواحات ونكلّ بهم، وتخلص من محمد نجيب ومن كل أعوانه كما تخلّص من أعوان الديمقراطية بالجيش، وأصبح هؤلاء بين معتقل ، وبين أسير مال ،أو أسير وظيفة، وتعرض بعنف إلى الإخوان المسلمين أصدقاء الأمس، فقتل منهم، وعذب، وسجن، واعتقل، حتى أسكت أصواتهم تماماً ، واتجه للصحافة الوطنية التى لعبت أعظم دور فى خدمة مصر وخدمة العروبة والإسلام فأغلقها، وسحب رخصها، وصادر ممتلكاتها ، وشتت محرريها ، فأصبحوا بين سجين ، ومحروم من الجنسية ، وبين هارب

هائم على وجهه ، وبين عامل فى المطاحن أو فى مصانع باتا للأحذية ، وأغرى بعضهم بالمال ، فانضم هؤلاء إلى صحف الثورة ، ومن الصحف التى أغلقها صحيفة المصرى ، وصحيفة «الإخوان المسلمون» ، وصحيفة الجمهور المصرى وغيرها ، هذا بالإضافة إلى صحف ومجلات أخرى توقفت عن الظهور لعدة أسباب أهمها أن الجو لم يعد ملائما لحرية الكلمة ، ويدخل فى هذا النطاق صحيفة البلاغ التى كانت تصدر من سنة ١٩٢٣ وتوقفت فى ديسمبر سنة ١٩٥٣ ، وصحيفة الأساس ، والوفد المصرى ، والكتلة الوفدية , وغيرها كثير .

وأسكت صوت الجامعات بأن فصل عدداً من خيرة الأساتذة ، وفصل وسجن عدداً من الطلاب ، وهدد الكثيرين من الأساتذة والطلاب بالفصل والتعذيب .

وأخفت صوت القضاة والمحامين عند ما أرسل زبانيته فضربوا رئيس مجلس الدولة وأعضاء المجلس وعند ما سجن وهدّد سواهم من رجال العدالة .

وطغى صوته واتجاهه على أصوات أعضاء مجلس القيادة واتجاهاتهم ، منذ قطع الصلة بينهم وبين وحداتهم ، وشتت أصدقاءهم ، وعاب عليهم فى خطاب مكتوب ما ينشر عنهم بالصحف كما ذكرنا من قبل ، فاستكان هؤلاء ولم يعد بقاؤهم إلا ظلاً له ؛ يعينهم قضاة لمحاكمة ليحكموا بما يشاء حتى يكوث سيرتهم ، أو يأمرهم بأى شيء فيأتمرون .

ووثق صلته بمجموعة من ضباط الصف الثانى ، ووضعهم فى مراكز خطيرة بالدولة على أن يسبحوا بحمده ويحاربوا أعداءه ، وعلى أن تكون العلاقة علاقة عداء سافر وخفى معاً بالنسبة لبعضهم البعض ، وهذا يتمثل فى مجدى حسنين بمديرية التحرير ، والطحاوى بهيئة التحرير ، وحسين عرفة فى البوليس الحربى ، وحاتم وأمين شاكر فى قطاع الصحافة . . . .

وهكذا خفت كل صوت ينتقد عبد الناصر أو حتى يناقشه ، فلم يعد الناس يعرفون عنه أى شىء يقلل من قدره أو يسىء لاسمه .

* * *

ذلك جانب من الجانبين اللذين سببا التحول الخطير حول عبد الناصر وهو جانب أسكت أصوات الحق ، أما الجانب الثانى فجانب أنطق الباطل فراح يصرخ دون هوادة باسم ناصر ، وأمجاد ناصر ، وطموح ناصر ، ويحوّل هزائمه إلى أغنية بالنصر ، والجوع الذى ينشره إلى الثراء المأمول ، والسرقات إلى تقدمية ، ماذا شمل هذا الجانب الإيجابى من عوامل ضللت الناس ، وجعلتهم لا يرون النور ولا الحق ، بل لا يستطيعون أن يفتحوا قلوبهم للنور أو الحق ؟ .

أول شىء عمله هو الانفراد بالظهور ، فلم يعد فى الأفق غيره ، ولا فى الهالة سواه .

وخلق هيئة التحرير ، فكانت مراكزها المختلفة تسبح دائماً بتمجيد ناصر وبطولة ناصر والآمال التى تعقد عليه .

وأخرج صحافة لا عمل لها إلا الحديث عنه والإجلال له ، ومنها جريدة الجمهورية ، ومجلة بناء الوطن ، وأخذت الإذاعة دورها كاملاً فى هذا المجال .

وألزم المعلمين بالمدارس أن يجعلوا اسمه مركز الدائرة فى كل نشاط مدرسى ، وأن يقودوا جحافل التلاميذ لترتفع أصواتهم من حين إلى حين كل يوم بالأغنية المشهورة :

كلنا بنحبك ناصر وحنفضل جنبك ناصر
ونعيش ونقولك ناصر يا حبيب الكل يا ناصر

وفى المرحلة الإعدادية يجد التلاميذ تاريخاً مزيّفاً يملأ عليهم حياتهم ، ويقرر لهم مجد عبد الناصر فى كل علم يطرقونه ، ففى مواد اللغة العربية أصبح عبد الناصر موضوع المحادثة والمطالعة والإنشاء ، وفى التاريخ ظهر عبد الناصر الخالق الأوحد لتاريخ مصر ، وفى العلوم ظهر عبد الناصر مصنّع البلاد ، وازدانت المدارس بتماثيله وصوره فى كل مكان وكل اتجاه ، فإذا وصل هؤلاء إلى المدارس الثانوية وإلى الجامعة وجدوا أمامهم المواد التى توثّق بنفوسهم حب عبد الناصر ، ومن هذه المواد :

— المجتمع العربى الذى كان يُدرس بالفرقة الأولى ، ويُبنى كله على أن عبد الناصر هو بانى هذا المجتمع .

— ثورة يوليو وأمجادها ، وهو رائدها وعمادها ، وتدرس فى الصف الثانى .

— الاشتراكية كطريق وحيد للخير منحه عبد الناصر للناس ، وتدرس بالصف الثالث .

وأمضى عبد الناصر معاهدة الجلاء ، وركز فضل ذلك عليه متناسيا الجهود الجبارة والخطوات الكبيرة التى حققتها الأجيال السابقة .

ثم جاء حادث المنشية وهو حادث صُوِّر على أنه عدوان على حياته ، فاندفع الكثيرون للتعاطف معه والإقبال عليه ، ربما لكراهيـــة الناس للاغتيال ، وربما تشفياً فى الإخوان المسلمين الذين انضموا للثورة ضد الأحزاب وضد الاتجاهات الديمقراطية ، ثم راحوا يطعنون رئيسها من الخلف ، ورجّعت أم كلثوم عن هذا الحادث أغنيتها التى مطلعها : يا جمال يا مثال الوطنية .

تلك الأغنية التي كانت « ورداً » يردده المسجونون والمعتقلون إن أرادوا أن يخفف عنهم العذاب .

وكان صوت حادث المنشية من جانب واحد : صحف عبد الناصر والإذاعة ومحاكم عبد الناصر تتحدث كلها وباستمرار وتكرار عن جماعة الإخوان المسلمين وتصفهم بأنهم متآمرون ، خونة ، سفاكون للدماء ، متعاونون مع الاستعمار ، وتتحدث عن أسلحة عثروا عليها ولقاءات تمت للتدمير والعدوان ، ولم يكن للإخوان المسلمين صوت يدافعون به عن أنفسهم أو يرددون ما ينسب إليهم ، ومن هنا فللناس العذر إن صدقوا ما تقوله أجهزة عبد الناصر .

وأنشأ المؤتمرَ الإسلامي وعلى أنقاضه أنشأ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية موهماً أنه يخدم الإسلام ويرعى المسلمين .

وفي سنة ١٩٥٥ جاء مؤتمر باندونج ، وموضوع كسر احتكار السلاح ، ومعركة عبد الناصر ضد الأحلاف ، وما استلزمه ذلك من هجوم على الغرب وعلى الاستعمار ، وثأر الغرب من عبد الناصر ، فسحبت أمريكا عرضها لتمويل السد العالي ، فانفعل عبد الناصر وأمَّم القناة ، وأعلن صراعاً ضد الغرب المستعمر الذي يعادي الاستقلال والدول الحديثة الاستقلال ، وكل ذلك أسعد الشبان الذين يكرهون الاستعمار والمستعمرين ، وسنتكلم عن هذه القضايا في حينها ، ولكنا هنا نقول إنها كانت دعامات بُني عليها ذلك التحول الكبير من كراهية لعبد الناصر ، إلى حبه والولاء له .

وانطلقت المؤسسات تحمل اسمه ، فبنك ناصر ، ومدينة ناصر ، وشركة النصر للسيارات . . .

وهناك وسيلة أخرى مهمة في هذا الجانب يتحدث عنها الأستاذ إبراهيم

سعده بقوله : كان عبد الناصر مكروهاً من الصحف العالمية الكبيرة ، فتولى محمد حسنين هيكل تقديمه إلى كبار الكتاب بهذه الصحف ، وكان تحت يد محمد حسنين هيكل ميزانية حددها بعضهم بمليونين من الجنيهات الاسترلينية لينفق منها على عالمية عبد الناصر ، فهو الذى يختار الكتّاب الأجانب ويوجه إليهم الدعوة لزيارة مصر ، وإجراء مقابلة مع عبد الناصر ؛ وهو الذى يعطى الخبر الجيد لهذه الصحيفة ، والرأى الموجّه لتلك المجلة ، والخط السياسى القادم لهذا الكاتب أو ذاك[1].

ووقع الناس فى الفخ وبخاصة صبيان ذلك العهد وشبابه ؛ واتجهت هذه القلوب البريئة إلى حب عبد الناصر ، وأصحاب هذه القلوب هم الذين يعانون الآن مشاكل الاسكان والمواصلات والتعليم والطعام وغيرها من المرافق التى دمرها الرجل الذى سبّحوا بحمده حيناً وهم لايفقهون ، وهم الذين احتُلت بلادهم فى عهده ، وانهزم جيشهم أكثر من مرة فى عهده وقتل ذووهم ، وقبض عليهم ، وعذبوا فى عهده ، واختُلست الأموال سراً وعلانية فى عهده .

إن عام ١٩٥٥هو عام خطير شهد هذا التحول العجيب ، وجاءت الأعوام بعده تضيف خدعة إلى خدعة ، وأكذوبة إلى أكذوبة حتى صدق الناس هذا الوهم الذى يبذل المؤرخون أقصى الجهد لإزالته .

ربما تسألنى عن دور البيت فى إرشاد التلاميذ والطلاب ، وأقول لك والألم يملأ نفسى إن الآباء كانوا يخافون إن تكلموا لأولادهم ضد عبدالناصر أن ينقل الأولاد لزملائهم فى سذاجة هذا الاتجاه ، فيكون فى ذلك تدمير

---

(١) الروس قادمون ص ٢١٩

الأسرة وتعذيب عائلها ، وقد حدثت نماذج من ذلك جعلت الآباء يكفون عن الحديث عن عبد الناصر أمام أولادهم مسلمين أمرهم وأمر أولادهم لله .

وهكذا أصبح على المؤرخين الآن عبء إحقاق الحق وإزالة الوهم عن القلوب البريئة ، وهو ما نحاوله فى هذه الدراسة :

ولنعد لرصد أحداث هذا العام .

المؤتمر الاسلامى

سبق أن ذكرنا أن كتاب فلسفة الثورة يتحدث عن دوائر ثلاث يتجه لها اهتمام « مفجِّر الثورة » وهى الدائرة العربية ، والدائرة الإفريقيــة ، والدائرة الإسلامية .

وذكرنا كذلك كلمة حسين الشافعى التى تذكر أن للثورة دوراً ستقوم به خارج الحدود فى البلاد العربية والإفريقية والإسلامية ، وهى كلمة يرجِّع فيها حسين الشافعى كلام عبد الناصر ، فما كان له أن يبتكر هذا الـكلام من عنده .

ووضحنا آنفاً أن عبد الناصر بعد أن قضى على كل أعدائه وعلى كل المطالبين بالدستور والديمقراطية بدأ يخطو ليقيم صرحاً من الدعاية ، مهما كلفت هذه الدعاية مصر من تكاليف ، وحرمت شعب مصر من ضرورات الحياة ، فالمهم أن يصبح الزعيم نجماً عالمياً لامعاً ، وليتحملْ الشعبُ الجوعَ والهوانَ ليصل الزعيم إلى هذا الهدف .

ومن أعمال الدعاية إنشاء « المؤتمر الإسلامى » ويتحدث عنه أنور السادات فيقول فى يناير سنة ١٩٥٥ تمّ إعلان قيام المؤتمر الإسلامى ، وتوليت منصب السكرتير العام له ، وقد أتاح هذا لى زيارة بلاد المنطقة . . . .(١) .

وكان أمين شاكر يشغل منصب السكرتير العام المساعد ، وكان — مع آخرين — يرافقون أنور السادات فى رحلاته ، وكان مقر المجلس فى أحد القصور المصادرة بشارع حسن صبرى بالزمالك ، واجتمع به حشد من

---

(١) البحث عن الذات ص ١٧٩

الموظفين المصريين ، وكنت واحداً منهم فترة قصيرة من أولهم كما ذكرت ذلك مفصلا فى كتابى « رحلة حياة »(١) .

وبسبب عملى بالمؤتمر الإسلامى ثم رحلتى إلى إندونيسا عقب ذلك أرانى أستطيع أن أسجل بعض الحقائق التى شاهدتها بنفسى :

أولاً : لم تكن العلاقة طيبة بين أنور السادات وبين أمين شاكر ، ولم تكن طبيعتهما متماثلة ، وكان الاختلاف واضحاً فى كثير من الأمور ، وأرجو أن يقنع القارئ بذلك القول الإجمالى . فإنى لا أستطيع أن أذكر الأسباب التى قادتنى لهذه الحقيقة ، وكان يذاع أن أمين شاكر « عين » لعبد الناصر فى المؤتمر وصدّقتُ ذلك عندما رأيت بنفسى أمين شاكر وهو يوقّع على بعض الأوراق باسم جمال عبد الناصر نفسه ، وسألته وأنا مذعور عن ذلك ، فتكلم بما يفيد أنه مخوَّل هذا التصرف .

ثانياً : طلب أمين شاكر – وكان أيضاً يشرف على مجلة بناء الوطن – أن يندب معه بعض أساتذة الجامعات ، وأجيب إلى طلبه ، ولكن هؤلاء لاقوا العناء فى عملهم معه ، وكانت صرخاتهم مكتومة بعد ما حلّ بالجامعة من هوان ، فكانوا يعملون ساعات طويلة بالليل والنهار ولم تصرف لهم إلا مكافأة لا تتجاوز ١٠٪ شهرياً من مرتباتهم ، وهو مبلغ كان حوالى خمسة جنيهات لأكثرهم .

ثالثاً : كنت أعمل غير بعيد من رجال الصف الأول للثورة ، وجنباً إلى جنب ، مع رجال الصف الثانى ، وقد لاحظت ملاحظة كانت تؤكد ضرورة فشل الثوار ، ولشرح ذلك أذكر أن معرفتى بالأحزاب السياسية كانت تفيد أن الحزب يتكوّن من قوة متماسكة متعاونة ، قد يحصل خلاف فى داخلها ، ولكن سرعان ما يزول هذا الخلاف بالفهم أو ببتر المجموعة

---

(٢) ص ١٥٦ وما بعدها

المتمردة ليعود التماسك والتعاون إلى جماعة الحزب ورجاله ، ولكن الحال بالنسبة لرجال الصف الثانى كانت غير ذلك . كانت ما أشرنا إليه آنفاً من تكوين مراكز متجافية ، يكره بعضها بعضاً ، ويحقد بعضها على بعض ، ويتمنى كل فريق للفريق الآخر كل جوانب الويل والفشل ، ومع هذا فان أستطرد بذكر شيء من الحشد الزاخر الذى امتلأت به الذاكرة من أحداث هذه الفترة[١] .

رابعا : كانت هناك بطبيعة الحال تكاليف باهظة للرحلات التى تكلم عنها أنور السادات والتى امتدت إلى أقصى الأرض ، وأستطيع أن أقرر أنه لم توجد أبداً أية فائدة لهذا المؤتمر ، ولم تكن المسألة إلا دعاية ودعوة أو تألقاً يزدهى به اسم جمال عبد الناصر بدون أية فائدة لمصر أو للعالم الإسلامى .

خامساً : عندما ذهبتُ إلى إندونيسيا معاراً للجامعة الإسلامية تنفيذاً لقرار صدر من جامعة القاهرة قبل أن أفصل منها ، وجدت من آثار رحلة أنور السادات وأمين شاكر مجموعة ضخمة من أوراق الطباعة (لفات كبيرة) أرسلت هدية من المؤتمر لإندونيسيا ، وتلقتها السفارة المصرية بجاكرتا ، وألقيت فى فنائها ، ولم نكن نعرف كيف نتصرف فى هذه الهدية ؟ وإلى من تصرف ؟ ولماذا الورق بوجه خاص ؟ وطبيعى أن هذه الهدية لم تتكرر لما اتضح عنها من جوانب الفشل .

وهناك هدية أخرى أرسلت لى بإندونيسيا لأوزعها هناك ، وهى عبارة عن بقايا مطبوعات كانت تزدحم بها مخازن وزارة التربية والتعليم ، ولم يكن سهلاً أن تجد من يأخذ هذه الهدية .

أما حاجات إندونيسيا الحقيقية ، فلم تعرف الطريق لهذا البلد الإسلامى

---

(١) يراجع كتابنا « رحلة حياة » ففيه بعض التفاصيل .

الكبير . كانت إندونيسيا تطلب المدرسين، والدعاة ، والكتب الإسلامية ، والصحف ، والمجلات ، وزيارات العلماء فى كل مجال ، وكانت إندونيسيا تطالب بمنح دراسية لبعض الطلاب الإندونيسيين طبقاً للمعاهدة الثقافية التى وقعت مبكرة بين مصر وإندونيسيا ، ولكن شيئاً من ذلك لم يتم ، ولولا الأزهر الشريف الذى واصل رسالته فى فتح أبوابه لطلاب العالم ، لكانت العلاقة الثقافية بين البلدين صفراً ، ولكن الأزهر لم يكن وحده ما يتطلع له الإندونيسيون .

ولم يكن المؤتمر الإسلامى طويل العمر ، فقد أغلقت أبوابه فى مطلع الستينات ، وحل محله « المجلس الأعلى للشئون الإسلامية » وكان الأمين العام له السيد محمد توفيق عويضة ، وسنتحدث عنه فى حينه :

مؤتمر باندونج

عُقد مؤتمر باندونج فى المدة من ١٨ إلى ٢٤ إبريل سنة ١٩٥٥ واشترك فيه ٢٩ دولة هى الدول المستقلة فى آسيا وأفريقيا آنذاك ، مما أكسب المؤتمر صفة رسمية .

وكان من بين هذه الدول تسع دول عربية هى مصر وسوريا ولبنان والسودان والعراق والأردن والسعودية وليبيا واليمن ، وقد استُبعدت إسرائيل لرفض الدول العربية حضور المؤتمر إذا حضرته إسرائيل ، كما استُبعدت دولة اتحاد جنوب إفريقيا لاتجاهاتها العنصرية ضد الأفارقة ، ودُعيت الصين الشعبية ، ولم تدع فرموزا ، ومن هنا كان جو المؤتمر يوحى بالعداء للغرب .

ومدينة باندونج هى عاصمة جاوة الغربية ، وهى مدينة رائعة الجمال ، كستها الطبيعة مظهراً خلاباً فجعلتها تفوق أجمل مناظر سويسرا .

ورحلة جمال عبد الناصر إلى مؤتمر باندونج كانت أول رحلة له خارج البلاد ، وقد سبق هذه الرحلة عدة لقاءات بين عبد الناصر ونهرو ، ثم بين عبد الناصر وتيتو ، مما دفع عبد الناصر إلى الانغماس فى السياسية العالمية .

وكان وفد مصر برياسة عبد الناصر ، ومعه صلاح سالم ومحمود فوزى وعلى صبرى مدير مكتب جمال عبد الناصر والشيخ الباقورى ، ومن الواضح أن أعضاء الوفد لم يكوِّنوا ثقلا يُذكر . وكان عبد الناصر هو كل شىء وقد تحدثنا من قبل عن شكوى صلاح سالم من عبد الناصر الذى أهمله خلال هذه الرحلة ولم يستشره فى شىء ، ولم يعينه فى اللجان المختلفة فى المؤتمر ، أما الباقورى فلم يكن إلا دلالاً دينياً يظهر إذا ظهرت الحاجة الدينية إليه ، وكان محمود فوزى مشتركا بحكم عمله وزيراً للخارجية ، أما على صبرى فكان تكئة أو ظلاً لعبد الناصر .

واستغل عبد الناصر الرحلة لنفسه أحسن استغلال ، فقد غادر مصر قبل انعقاد المؤتمر بعشرة أيام زار خلالها الباكستان ، ثم زار الهند ، وأمضى بالهند عدة أيام ، وأحسن نهرو استقباله لينتفع به ضد الباكستان ، وأتاح له نهرو أن يلقى خطاباً أمام البرلمان الهندى .

ووصل عبد الناصر إلى إندونيسيا ، وكانت أخبار استقباله فى الهند قد وصلت إلى سوكارنو ، فأعدّ هذا استقبالاً حافلاً لزعيم مصر لمنافسة الهند ، وللاعتراف بجميل مصر التى كانت أول دولة اعترفت باستقلال إندونيسيا ؛ وأرسلت إليها مندوباً يحمل هذا الاعتراف ، وكان ذلك قبل ثورة ٢٣ يوليو .

وفى إندونيسيا مئات الألوف من العرب الحضارمة الذين كان أجدادهم قد هاجروا إلى إندونيسيا من حضر موت ، ويشتهر هؤلاء بالكرم الرفيع وبالحفاوة البالغة بأى عربى ينزل إندونيسيا ، وقد طوقونى أنا شخصياً عندما نزلت إندونيسيا معاراً للجامعة الإسلامية ، طوقونى بكل وسائل الإكرام والإجلال ؛ وساعدونى فى مهمتى أكمل مساعدة ، فمن الطبيعى أن يحتفلوا بالزعماء العرب وبخاصة الزعيم الشاب الذى حرر بلاده ووقع معاهدة الاستقلال وصرخ ضد المستعمرين ، وقد بدأت إعارتى لاندونيسيا بعد شهرين من مؤتمر باندونج ، فسمعت هناك أقاصيص حية عن تكريم العرب لعبد الناصر ذلك التكريم الذى كان جارفاً وهادراً .

وتحدث المؤتمر عن التعاون الضرورى بين الدول المشتركة فيه فى المجالات المختلفة ، كما أبرز سياسة عدم الانحياز لأى من المعسكرين الكبيرين ؛ ويقول محمد حسنين هيكل : إن دالاس كان يعتبر كلمة عدم الانحياز كلمة قذرة[1] .

---

(١) عبد الناصر والعالم ص ٦٨

ولما كان مؤتمر باندونج متجهاً فى روحه لعداء الغرب ولمناهضة الاستعمار ، فإن روسيا رحبت به باعتباره حركة ضد الإمبريالية ، ومن نتائج مؤتمر باندونج أن الاستعمار فقد قدرته على دعم أحلافه العسكرية بالوطن العربى ، وعندما انضمت العراق للأحلاف العسكرية الغربية أصبحت تعانى عزلة داخل الوطن العربى .

وفى طريق العودة من إندونيسيا زار جمال عبد الناصر أفغانستان ولقى هناك ترحيباً حاراً كان خطوة أخرى فى السمعة العالمية لعبد الناصر ، ووصل عبد الناصر إلى القاهرة فى ٢ مايو ،وقد تحدثنا من قبل عن رفض جمال سالم الذى كان بمصر رئيساً بالنيابة أن يعد استقبال شعبى لعبد الناصر عندعودته ولكن القوى الأخرى عارضت هذا الاتجاه وأعدت استقبالا شعبياً حافلا فوجىء به جمال سالم عند وصوله إلى المطار ، وفى هذا الاستقبال حشدت الجماهير ، وأقيمت أقواس النصر ، وكان خطوة مهمة من الخطوات التى أكسبت عبد الناصر شعبية واسعة .

ويقول أنور السادات :إن هذا المؤتمر أضاف الكثير إلىشعبية عبدالناصر الذى استطاع أن يقف جنبا إلى جنب مع بعض الشخصيات العالمية أمثال نهرو وشو إن لاى(١) .

وقد سبق أن قلنا إن الروس أرضاهم هـذا المؤتمر لاتجاهه لمقاومة الغرب ومقاومة الأحلاف العسكرية التى يشترك فيها الغرب ، ومن أجل ذلك أرسل خالد محيى الدين عقب هذا المؤتمر خطاباً لعبد الناصر يقول له فيه : إن شقة الخلاف بيننا تضيق ، وإحساساً بضيق الشقة أرسل عبد الناصر لخالد محيى الدين فى نوفمبر سنة ١٩٥٥ يقول له : إنه يستطيع العودة لمصر ، فعاد خالد محيى الدين فى ٤ ديسمبر ١٩٥٥ وكان قد أبعد عن مصر فى إبريل

---

(١) البحث عن الذات ص ١٧٨

سنة ١٩٥٤ ، وعندما عاد قابل جمال عبدالناصر ، وبدأ التعاون بين عبدالناصر وبين اليساريين .

باندونج مؤتمر المخاطر بالنسبة لمصر :

يقول محمد حسنين هيكل : إن عبد الناصر اتجه إلى اليسار بعد حرب السويس(١) ، ولسنا نوافق على هذا القول ، واعتقادى أن مؤتمر باندونج هو الذى يمثل المنحنى الخطير فى حياة عبد الناصر وفى حياة مصر فى عهده ، وأن هذا المؤتمر كان مطلع متاعب ومخاطر عانتها مصر ، وعانتها إندونيسيا أيضاً ، وسنبدأ القصة من أولها :

نهرو رئيس وزراء الهند والزعيم العالمى العظيم ، الذى يقود دولة تعتبر الثانية من ناحية العدد بين دول العالم ، والرجل ذو الماضى الطويل العريق فى الصراع ضد الاستعمار ، هذا الرجل كان مركز الدائرة فى التحول الذى حدث لعبد الناصر ولمصر ، واتخذ مؤتمر باندونج وسيلة لتحقيق هذا الهدف .

وينبغى أن نتذكر أن الباكستان كانت قد اقتطعت من الهند قبل باندونج بسنوات لا تتجاوز كثيراً أصابع اليد الواحدة ، وأن الباكستان كانت تتجه للأحلاف العسكرية التى تشترك فيها دول الغرب ، فكانت عضواً فى حلف بغداد ، وكان نهرو حريصاً على مقاومة هذا الحلف لصالح بلاده .

وقبل أن نسير مع الموكب المعادى للأحلاف ، ومع دور نهرو فى ذلك نذكر عن هذا الزعيم أنه زار مصر فى مطلع الثورة ، ولكنه كان قد اشترط قبل الزيارة أن يكون ضمن برنامج الزيارة التقاؤه بالزعيم مصطفى النحاس وحقق له ما أراد ، واعتقادى أن نهرو كان مخدوعاً بما يقوله رجال الثورة آنذاك عن الدستور والديمقراطية والانتخابات الحرة ، وكان يدرك تماماً أن

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١١٩

معنى هذا هو عودة النحاس باشا للحكم ، فأراد نهرو أن يجامله لتكون هذه يداً يحفظها النحاس باشا لنهرو عند ما تضعه الأغلبية فى دست الحكم ، ولكن الأيام مرت واتضح أن الثوار يريدون أن يحكموا ، وأنه ليست هناك عودة للنحاس باشا ، ومن هنا اتجه نهرو إلى عبد الناصر ليحقق آماله عن طريقه فى محاربة الأحلاف وفى جعل العلاقة بين مصر وباكستان فاترة .

ولنتتبع خطوات نهرو فى التأثير على عبد الناصر فنجده يقف بجوار عبدالناصر معارضاً دعوة إسرائيل إلى المؤتمر مع أنها إحدى الدول الآسيوية ، وقد استطاعت إسرائيل أن تقنع مجموعة دول كولومبو الخمس ، ولكن نهرو أيد موقف جمال عبد الناصر فى ضرورة التخلى عن دعوة إسرائيل .

وخطوة ثانية خطاها نهرو للتأثير على عبد الناصر هى أنه دعاه لزيارة الهند وهو فى طريقه إلى المؤتمر ، وأعد نهرو خطة استقبال لعبد الناصر تتفق مع رغبات عبد الناصر فى الاهتمام بالمظاهر الشعبية ، وفى الهند هيأ نهرو – كما ذكرنا من قبل – الفرصة لعبد الناصر ليلقى خطاباً أمام برلمان الهند .

وحذا سوكارنو حذو نهرو فى استقبال عبد الناصر – من بين الضيوف – استقبالا شعبياً حافلا بالحماسة والقوة .

واتجه المؤتمر بكل قوته إلى دعم سياسة الحياد بين المعسكرين ، وكانت هذه النقطة أبرز النقاط التى عنى بها المؤتمر ، وعاشت بعده أما ما قيل عن تعاون اقتصادى أو ثقافى أو سياسى فلم يكد إلا طلاء غير مقصود ولم يظهر للوجود .

وسياسة الحياد بين المعسكرين ومعارضة الأحلاف العسكرية التى يشترك فيها الغرب سياسة ترضى الاتحاد السوفيتى وتغضب دول الغرب كما ذكرنا آنفاً ، وهذا جعل روسيا ترحب بالمؤتمر ، كما جعل دول الغرب تعارضه

مما جعل السفير الأمريكي بالقاهرة يعمل على ألا يشترك سفراء دول الغرب في استقبال عبد الناصر عند عودته من المؤتمر . ومما دفع دالاس إلى اعتبار أن كلمة عدم الانحياز كلمة « قذرة » .

وهكذا تحقق لنهرو ما أراد من هذا المؤتمر حتى يتخذ من مصر سهماً يطعن به الباكستان ، ولم يضيع نهرو هذه الفرصة ؛ بل واظب على استخدامها ، ولذلك حضر إلى القاهرة في ١٢ يوليو من نفس العام ليصدر مع عبد الناصر وثيقة خطيرة جاء فيها نص على أن الاشتراك في مواثيق وأحلاف عسكرية مع الدول الكبرى يخلق جواً يؤدى إلى الحرب ولايخدم قضية السلام .

وانسياقاً في هذا الاتجاه بدأت مصر جولة عنيفة في محاربة حلف بغداد ، وفي الهجوم على الاستعمار والمستعمرين . وجلب ذلك لعبد الناصر مزيداً من الشهرة في البلاد المستعمرة والتي تصارع الاستعمار . فاندفع عبد الناصر خطوات أخرى في هذا المجال حتى كسب شهرة عالمية بالإضافة إلى الشعبية المصرية التي بدأت تتسع وتتعمق كما ذكرنا من قبل .

ويعبر الأستاذ أحمد حروش عن تحول عبد الناصر السياسي والاقتصادي بسبب مؤتمر باندونج بقوله : وبعد أن دخل جمال عبد الناصر نادي رؤساء الدول المؤثرة في السياسة الدولية بعد مؤتمر باندونج أخذ يستخدم تعبيرات جديدة لم تكن في قاموسه من قبل ، فاستخدم كلمة « الاشتراكية » وأعلن أن سياسة مصر لا شرقية ولا غربية بل مصرية صميمة ، وهي الألفاظ التي اعترض على يوسف صديق لأنه نادى بها في خطاب بمدينة بني سويف عام ١٩٥٢ — كما ذكرنا من قبل — وهو تغير كبير حدث في سياسة مصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء وعقد مؤتمر باندونج[١] .

---

(١) أحمد حروش : مجتمع جمال عبد الناصر ص ٥٦ — ٥٧

وهكذا بدأ الاتجاه لليسار وانسقنا فى هذا الاتجاه ، إذ تبعه سحب أمريكا لمساعداتها فى بناء السد العالى ، فتأميم قناة السويس . . . . ووصل الأمر إلى جلب الخبراء الروس ، وإلى كثير من التصرفات التى دفعتنا إلى تبعية كاملة لإحدى الدول الكبرى ، وتنوسى تعبير « عدم الانحياز » ولكن بعد خسارة كبيرة فى الأرواح والعتاد والأرض والزمن كما سنرى فى دراستنا القـــادمة .

لقد سعد عبد الناصر بالجاه والصيت والاستقبالات ؛ ولكن مصر دفعت ثمن ذلك غالياً ، ويمكن القول إن إندونيسيا أيضاً خُـدعت وسارت فى نفس الطريق فعانت نفس الخسائر ، وأضاعت – كما أضعنا – جيلاً من الحياة ، حتى أذن الله للدولتين بالعودة إلى الطريق الصواب بعد جهد جهيد .

نتائج رشوة السودانيين

سبق أن تحدثنا عن قضية السودان ، وأبرزنا الدور المخجل الذى قام به الصاغ الراقص صلاح سالم ، والذى قضى على أمل الوحدة بين مصر والسودان ، وبقيت كلمة قصيرة سبق أن أوردناها ، ولكنا نعيدها هنا لأنها من أحداث هذا العام ، وهى كلمة نقتبسها مما كتبه البغدادى ، ونصها :

فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٥٥ انعقد مجلس قيادة الثورة ليعرض عليه صلاح سالم موقف مصر من الاتحاد مع السودان ، ودعى لهذا الاجتماع اللواء صالح حرب ، والأستاذ خليل إبراهيم ، لإعطائنا صورة عن الموقف بالسودان ، ولقد قاما بشرح الموقف موضحين أن قيام مصر برشوة كثير من السياسيين كان له أثر سيئ على أغلبية أفراد الشعب السودانى ، حتى أصبح الشك يتناول كل شخص يتعاون مع مصر لاعتقادهم أن وراء هذا التعاون رشوة حصل عليها . ثم إن مهاجمة صلاح سالم لإسماعيل الأزهرى ، والاعتماد على نور الدين أضعف موقف مصر أيضاً ، لأن نور الدين رجل ضعيف ، وليس له شخصية ، والملتفون حوله قلة لا تذكر ، وقد خلصا إلى القول بأن الأمل فى اتحاد مصر مع السودان أصبح ضعيفاً للغاية ، وليس هناك من حل غير إعلان استقلال السودان .

ثم بدأ صلاح سالم يتكلم ، فأعطانا صورة سوداء عما يجرى بالسودان وعن الدم الذى أريق بين السودانيين الشماليين والسودانيين الجنوبيين ، وبيـّن أن ما حدث من إراقة للدماء قد التصق به على أنه هو المتسبب فيه ، وهو يخشى أن يقوم السودانيون الشماليون بالانتقام من المصريين الموجودين بالسودان لهذا السبب .....[1] .

وهذه هى النتيجة الطبيعية إذا اشتغل بالسياسة من لا يعرف السياسة .

(١) مذكرات البغدادى ص ٢٧٣ - ٢٨٤

كسر احتكار السلاح

كسر احتكار السلاح أغنية من أغانى عبد الناصر كان يطرب لها ويذيعها لأنه حصل على السلاح من المعسكر الشرقى ، وقد عاش عبد الناصر حتى أغلق المعسكر الشرقى باب السلاح فى وجهه فى أحرج الأوقات ، وتبدل كسر احتكار السلاح قُـفِـلـتْ كل مصادر السلاح حتى جاء أنور السادات فأعادنا إلى المعسكر الذى كنا نتعامل معه من قبل .

عشرون عاماً ضاعت من حياتنا ثم عدنا أدراجنا كما كنا ، من المسئول عن هذا التخطيط؟ وهذه الخسارة ؟ .

ثم إن هذا التعبير غير صحيح ، فلم تكن المسألة « كسراً لاحتكار السلاح » وإنما كانت تحولاً من معسكر نشترى منه السلاح إلى معسكر آخر .

وكانت الحجة فى جلب السلاح هى أن نستطيع مواجهة إسرائيل ، وإسرائيل مرض مرير غرسه الغرب أولا والشرق ثانياً فى قلب العالم العربى ، ولكن جلب السلاح من روسيا دفع الولايات المتحدة إلى أن تقدم لإسرائيل حشداً هائلا ومتطوراً من السلاح ، وأن تكون معها فى موقفها ، وعلى هذا فجلب السلاح لم يجلب النصر وبخاصة فى عهد عبد الناصر الذى كان الجيش فى عهده بعيداً عن العسكرية والتفوق ، مما جعل جلب السلاح ليس إلا وسيلة لتحصل إسرائيل على السلاح الروسى عن طريق هزائم أوقعتها بعبد الناصر دون حرب فى سنتى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ بالإضافة إلى السلاح الغربى الذى كانت تحصل عليه أمريكا .

ثم إن الاتجاه لكسر احتكار السلاح لم يكن من ابتكار الثوار ، فإن وزارة الوفد الأخيرة أرسلت بعثة إلى أوربا فى سبتمبر سنة ١٩٥١ لمحاولة التعاقد مع شركات أسلحة فرنسية وبلجيكية وهولاندية وألمانية لتسليح الجيش المصرى ، وقد كتب مصطفى نصرت وزير الحربية ورئيس البعثة

عدة تقارير عن إنجازات البعثة فى هذه البلدان . وإذ تمكنت البعثة من إتمام عقد بعض الصفقات مع الشركات السويسرية والسويدية والفرنسية ، كما حصلت على عروض لتوريد عربات وجرارات للمدافع من شركات ألمانية وفرنسية وإيطالية ، كما تقدمت لها عروض من الحكومة التشيكوسلوفاكية بتوريد معدات حربية أخرى(١).

ذلك هو كسر احتكار السلاح الحقيقى ، أما ما عرفناه فى عهد عبد الناصر فلم يكن إلا تحولاً من مكان إلى مكان كما ذكرنا .

وإذا عدنا إلى صفقة الأسلحة التى عقدتها مصر فى عهد عبد الناصر مع تشيكوسلوفاكيا نجد أنها كانت متصلة بصراع عبد الناصر ضد الأحلاف الذى شرحناه من قبل ، يقول أنور السادات :

لم تقتصر مقاومتنا لحلف بغداد على رفض الانضمام إليه ، بل شملت جهوداً مكثفة من جانبنا لمنع بعض بلاد المنطقة العربية من دخوله كالأردن ولبنان ، وفعلا نجحنا فى ذلك مما أوغر صدر بريطانيا وأمريكا فأوعزتا إلى إسرائيل بالانتقام منا ، وكانت النتيجة غارة مفاجئة على غزة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ ، وهو تاريخ يمكن اعتباره نقطة تحول فى تاريخ مصر والثورة والمنطقة ، لأننا شعرنا بحاجتنا إلى السلاح مما أدى فى النهاية إلى عقد أول صفقة أسلحة مع السوفييت بعد تدخل نهرو وشواين لاى لإقناع روسيا بذلك(٢) .

وتفاقمت نتائج هذه الصفقة يوماً بعد يوم ، فقطع عبد الناصر علاقاته بأمريكا والغرب والعرب وإيران ، ولم يبق له إلا السوفيت ، وانتهز هؤلاء فرصة انفرادهم به فعاملوه معاملة أبعد ما تكون عن الكرم والكرامة لدرجة أن

---

(١) صلاح الشاهد : ذكرياتى فى عهدين ص ٢٦٠
(٢) البحث عن الذات ١٧٨

شواين لاى يرى أن السوفيت هم الذين قتلوا عبد الناصر كمداً ، ويوافقه على ذلك أنور السادات[١] .

وهكذا جاءت نتيجة هذه الصفقة المشئومة أو قل إن سلسلة الشؤم بدأت من مؤتمر باندونج الذى سخره نهرو ليحقق غرضه فى عزل الباكستان عن مصر وعن العرب وليقضى على عبد الناصر الذى ظن أن فى إمكانه أن يقف على قدم المساواة بين زعماء العصر .

وكسب عبد الناصر هالة عالمية ذات بريق لامع ، ولكن مصر خسرت الكثير من وراء هذا البريق .

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٠

حوادث سنة ١٩٥٦

شهدت سنة ١٩٥٦ أحداثاً خطيرة جداً تركت آثارها على مصر طيلة عهد طويل وأهم هذه الأحداث مايلى :

١ ـ تحول عبد الناصر إلى اليسار .

٢ ـ ظهور دستور عبد الناصر واتجاهات عبد الناصر فى الانتخابات والاستفتاءات .

٣ ـ العدوان الثلاثى .

وسنتكلم فيما يلى عن أحداث هذا العام :

عبد الناصر والشيوعية

ذكرنا من قبل أن عبد الناصر اندفع وراء نهرو لمهاجمة الأحلاف ، وبالتالى لمهاجمة الغرب ، ووضحنا أن هدف نهرو من ذلك كان خدمة بلاده ضد الباكستان التى كانت عضواً فى الأحلاف الغربية ، ولكن عبد الناصر لم يدرك هذه السياسة وسقط ضحية أطماعه فى أن يكون له شعبية عربية ، ومكانة عالمية بين أساطين العصر ، وطبيعى أن الغرب بدأ يصارع عبد الناصر ، وهذا دفع عبد الناصر إلى خطوات أخرى فى مصارعة الغرب ، وبالتالى إلى مزيد من التقرب من الشيوعيين والماركسيين .

« وبين أيدينا كتاب كتبه باحثان من الاتحاد السوفيتى يوضحان به تطور الاتجاه الناصرى نحو الشيوعية ، يقول هذان الكاتبان :

« استقبل الشيوعيون بمصر باهتمام وأمل عظيمين خطوات عبد الناصر على المسرح الدولى ، وبخاصة توقيع المعاهدات مع الاتحاد السوفيتى لتوريد الأسلحة ، وعقد كثير منهم الأمل على أن هذا سيعطى دفعة جديدة للتقدم المستمر ،

والتطور الواسع لحركة التحرر الوطنى المناوئة للامبريالية فى سائر البلدان العربية ؛ واشتد داخل البلاد الإيمان بأن النظام سوف يطمح باطراد لا للتصادم مع الشيوعيين والماركسيين بل للتعاون معهم ، ومنذ أواسط الخمسينات كف الشيوعيون عن نقد السياسة الخارجية والداخلية للسلطات الحاكمة .

« وبعد مؤتمر باندونج أخذ دور مصر فى حركة مناوئة للامبريالية — وبخاصة فى السنوات العاصفة للنضال ضد حلف بغداد — يحظى بالامتنان الواسع ، وتحول الشيوعيون إلى القوة السياسية المرموقة فى البلاد التى تدافع عن مصالح وطنها ، وعن البلدان العربية الأخرى بصلابة ، وبصورة مستمرة ، ورفعت مصر شعار الحياد الايجابى ، وترتب على ذلك أن أيد الاتحاد السوفيتى هذا الاتجاه ، وبالتالى نشأت إمكانية قوية لتوحيد كل القوى الحقيقية المناوئة للاستعمار[1] » .

وقبل أن نستطرد فى الاقتباس من هذين الكاتبين نقف هنا وقفة لنعلق على الفقرة الأخيرة التى تعترف بأن شعار الحياد الايجابى كان معناه توحيد دول عدم الانحياز مع الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية الأخرى ، فكأن موقف دول آسيا وأفريقيا لم يكن حياداً ، وإنما كان انتقالا وتعاوناً مع الاتجاه الشرقى الشيوعى .

ويستمر الكاتبان الروسيان فى وصف اتجاه عبد الناصر نحو الشيوعية فيقولان : فى سنة ١٩٥٦ حصل الشيوعيون المصريون على كل فرص تنشيط عملهم ، فقد نشطوا فى النقابات والمنظمات الطلابية والفلاحين ، ووفقاً لتوجيهات عبد الناصر ظهر الشيوعيون وذوو الميول التقدمية فى إدارات

---

(١) دكتور إيفوربيلياف ودكتور افقينى بريماكوف : مصر فى عهد عبد الناصر ص ٢٢٦ - ٢٢٧

تحرير الصحف المصرية ابتداء من عام ٥٦ . وهُيئت لهم إمكانيات طيبة في جريدة المساء القاهرية ، وجدّد المجلس الوطني لأنصار السلام نشاطه في مصر ، ودخل الماركسيون ومشاهير الشخصيات التقدمية في البلاد إلى وحداته التقدمية ، وأتيحت الظروف الحقيقية لأعمال النضال السياسي الفعال للعناصر الماركسية (١) .

بين القومية والشيوعية :

وإذا أردنا أن نستطرد لنتعرف على سير الحركة الماركسية بمصر بعد ذلك فإننا نقرر أن هذه الحركة استمرت في تقدمها وسيطرتها على مؤسسات كثيرة بالدولة وبخاصة وسائل الإعلام فقد غزا الشيوعيون جهاز الإذاعة والتليفزيون وغيرهما ، ثم حدثت فترة تراجع للفكر الماركسي بمصر خلال الوحدة بين مصر وسوريا إذ اتجه عبد الناصر إلى شعار جديد هو شعار (القومية العربية) وكان يطمع عن طريق هذا الشعار أن يوسع سلطانه في بلاد عربية متعددة ؛ ومن المعروف أن النظام الشيوعي يتعارض مع فكرة القومية : فكل اتجاه للناحية القومية ضربة إلى الشيوعية التي تهدف إلى القضاء على القوميات والأديان والوطنية ليبقى شعار واحد هو الشيوعية .

وبينما كانت (القومية العربية) تحدث حركة تباعد بين عبد الناصر والشيوعيين كان العرض السوفيتي لإنشاء السد العالي يقرّب بين عبد الناصر والشيوعية ، وعاش هذا التأرجح حتى سنة ١٩٦٤ حيث اتخذ جمال عبد الناصر قراراً بالإفراج عن كل الشيوعيين الذين كانوا قد اعتقلوا في الفترة السابقة ، فكان لهذا القرار تأثير بالغ على تطور الوضع السياسي الداخلي بمصر ، ويقول الكاتبان الروسيان إن هذا القرار كان شاهداً على التطور الكبير الذي حدث لعبدالناصر نفسه ، ولبعض المحيطين به من الشخصيات السياسية ورجالات الدولة ،

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٧

إذ تبنّت الهيئات الحاكمة بمصر شعارات الشيوعيين ونفّذت الكثير منها ، وقد مهد هذا التعاون بين السلطة الحاكمة بمصر وبين الشيوعيين لقرار حاسم اتخذته الجماعات الشيوعية بمصر فى صيف ١٩٦٤ هو أن اجتمع ممثلو هذه الجماعات واتخذوا قراراً بحلها إذ لم يعد هناك سبب للازدواج بعد أن أصبح عبد الناصر وحكومته يتبنون الشعارات الشيوعية وينفذونها (١) .

وبسط الماركسيون بذلك مزيداً من النفوذ للتأثير على الجماهير بواسطة المجلات النظرية للاتحاد الاشتراكى العربى (الطليعة) و (الكاتب) وكذلك بواسطة معهد البحوث الاشتراكية الذى كانت له شبكة واسعة من الفروع الدراسية فى أنحاء البلاد ، وكذلك فى البرامج المعدة للدورات المختلفة لمنفذى وظائف الاتحاد الاشتراكى العربى ، ومنظمة الشباب ، وكان هناك انطباع واضح بأن نفوذ الشيوعيين كان من سياسة عبد الناصر نفسه ، بل إنه طالما لجأ إلى معونة العناصر الماركسية لإعداد وتنفيذ العمليات المختلفة الموجهة ضد الرجعية المصرية والعربية ، وكان عبد الناصر يقتبس فى خطبه كثيراً مما تنشره المجلات الشيوعية (٢) .

واتجه عبد الناصر وهو يبنى نظامه الاشتراكى بمصر إلى الانتفاع بالبناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى ، وبالماركسية اللينينية بوجه عام ، وهكذا كان إطلاق سراح جميع الشيوعيين المصريين من معتقلاتهم عام ١٩٦٤ خطوة محسوبة من جانب السلطات المصرية ، وقد ضمنت هذه الخطوة لعبد الناصر أن أصبح له مناصرون ومؤيدون فى كل البلدان العربية من الشيوعيين والشخصيات التقدمية ، وبهذا أصبح على صلة بالأحزاب الشيوعية والمنظمات

---

(١) مصرع عهد عبد الناصر ص ٢٣٠
(٢) المرجع السابق ص ٢٣١

الديمقراطية بالسودان والأردن ولبنان والبلدان العربية الأخرى [١] .

وإذا كان عبد الناصر قد ارتبط بالشيوعيين بالبلاد العربية فإن علاقته قد انفصمت مع الغالبية العظمى بمصر وبالبلاد العربية ، فقد كانت هذه الغالبية تكره الشيوعية ، وترى فيها خطراً على القيم والأديان والأوطان . وجاءت حرب ١٩٦٧ وهزائمها المدمرة والبلاد تعانى من هذا الاضطراب الذى ظل حتى اختفى عبد الناصر .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٤

إتمام الجلاء

سبق أن تحدثنا عن اتفاقية الجلاء ، ووضحت أنني أؤيد هذه الاتفاقية ولا أوافق على الهجوم الذى حصل سراً أو علانية عليها ، وكل ما أذكره مرتبطاً بها أنها كانت الحلقة الأخيرة من حلقات السير بالعلاقات المصرية البريطانية كما أوضحتُ ذلك عند شرح العلاقات المصرية البريطانية بالجزء الخامس من هذه الموسوعة ، وأنه عند الحديث عنها يتحتم أن نذكر بالثناء والإجلال كل القوى التى سبقتها وساعدت على الوصول لها .

وبناء على هذه المعاهدة تمّ سحب القوات البريطانية من مصر فى يوم ١٣ يونيو سنة ١٩٥٦ ، وفى يوم ١٨ يونيو أقيم حفل فى بورسعيد لرفع العلم المصرى على سارية مبنى البحرية الذى كانت تشغله القيادة البريطانية ، وقد رفع جمال عبد الناصر هذا العلم بعد أن قبّله هو وأعضاء مجلس القيادة ، وانتهى بذلك الاحتلال المقيت الذى دام أربعة وسبعين عاماً ، واعتبر ذلك اليوم عيداً قومياً لمصر منذ ذلك التاريخ .

الدستور ونهاية فترة الانتقال

قلنا من قبل إن عبد الناصر قرر قيام فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات تبدأ من ١٧ يناير ١٩٥٣ ، ولهذا تأجلت الانتخابات وتأجل الكلام عن الدستور والديمقراطية .

وأوشكت السنوات الثلاث على الانقضاء ، وكان جمال عبد الناصر قد تخلص خلالها من كل أعدائه ، وبدأ يطلق الأبواق لمدحة ، ووثق صلته بالشيوعيين ، فلما حلَّ يناير سنة ١٩٥٦ بدأ عبد الناصر يُعِدُّ لرحلة جديدة من استبداده حتى على أقرب الناس إليه ، وفى هذا المجال نلجأ إلى صديقه عبد اللطيف البغدادى لننقل ألفاظه حول هذه المرحلة(١) .

— لم يَدْعُ جمال عبد الناصر مجلس الثورة للانعقاد من ٧ أغسطس ١٩٥٥ حتى أول يناير سنة ١٩٥٦ حينما دعى المجلس لمناقشة مشروع الدستور الجديد الذى سيحل محل الإعلان الدستورى الذى أعلن بعد إلغاء دستور ١٩٢٣ (ويلاحظ من هذا الكلام أن عبد الناصر استبد بالأمر قبل انتهاء فترة الانتقال مع أن مجلس قيادة الثورة كان هو الحاكم من الناحية الدستورية) .

— كان عبد الناصر قد شكل لجنة قانونية من عدد محدود من بعض القانونيين لاعداد هذا الدستور ، وكان يرأسهم مستشاره القانونى الأستاذ محمد فهمى السيد (معنى هذا إهمال لجنة الدستور التى ألفت من قبل برياسة على ماهر) .

— أهم مالوحظ على المشروع المقترح هو أن الجمهورية المصرية لا هى

---

(١) مذكرات البغدادى ص ٢٦٧ – ٢٦٨

جمهورية رياسية . ولا هى برلمانيه ، ورئيس الجمهورية هو رئيس السلطة التنفيذية ، وقد تركت له سلطات واسعة .

– يرشح مجلس الثورة جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية فى الفترة الأولى ، وذلك لضمان استمرار النظام والثورة (يلاحظ الحرص على أن يفرض جمال عبد الناصر نفسه على الشعب) .

– أعطى الحق لمجلس الأمة فى أن يقوم بانتخاب رئيس الجمهورية بأغلبية الأصوات ثم يقوم بترشيحه إلى الشعب للاستفتاء عليه (يلاحظ الرغبة فى الاستمرار فى الحكم عن طريق مجلس الأمة الذى سنرى أن عبد الناصر سيعينه تقريباً ، ومعنى هذا تبادل التعيين) .

– انتظام الأمة فى اتحاد قومى كتنظيم سياسى ، وهذا الاتحاد هو الذى يتولى الترشيح لعضوية مجلس الأمة ، ورئيس الجمهورية هو رئيس الاتحاد القومى (يلاحظ ما ذكرناه آنفاً عن تبادل التعيين ، وسيجىء مزيد من الايضاح عندما نتكلم عن انتخابات مجلس الأمة) .

– لا يسمح بقيام الأحزاب إلا بعد أن يصدر القانون المنظم لها (ولم يُصدر عبد الناصر هذا القانون أبداً) .

– فى الاستفتاء على هذا الدستور وعلى ترشيح جمال عبد الناصر الذى تم فى ٢٥ يونيو سنة ٥٦ نال جمال عبد الناصر أكثر من ٩٨ ٪ من أصوات الناخبين (كانت هذه النسبة هى طابع الانتخابات بعد ذلك طيلة عهد الثورة ، فكل استفتاء أو انتخابات يعلن عن موافقة إجماعية تقريباً ، وكان هذا الإجماع يمثل إرادة المشرفين على الانتخاب وليس إرادة جمهور الناخبين) .

– انتهى بذلك عهد مجلس قيادة الثورة ، وبدأ عهد جمال عبد الناصر

الذى أصبح يحكم رياسته للسلطة التنفيذية له حرية اختيار معاونيه . وأصبحت مسئوليته مسئولية فردية وليست تضامنية كما كان الوضع فى أثناء وجود مجلس قيادة الثورة (من الواضح أن عبد الناصر فرض قيادته على مجلس قيادة الثورة منذ جلسته الأولى ، وفى كثير من الحالات كان لا يدعو المجلس للانعقاد كما ذكرنا من قبل ، وكان يحكم بطريق مباشر) .

العدوان الثلاثى

إن معركة ١٩٥٦ التى ضاعت فيها سيناء ، وتوقفت قناة السويس ، وسقط فيها عدد كبير من المصريين قتلى وجرحى ، وضاعت أسلحة بمئات الملايين من الجنيهات ، والتى دمرت أحياء واسعة بمدن القناة ، هذه المعركة ترتبط بالسد العالى وبقصة تمويله ، أو قل إنها امتداد للخديعة الكبرى التى وقع فيها عبد الناصر فى اتباعه لسياسة نهرو ، وتحمسه لهذه السياسة التى تهاجم الأحلاف ليكسب مزيداً من الشعبية التى كان يهواها وينفعل بها ، وسنتحدث عن السد العالى فى حينه ، ولكنا هنا نكتفى بأن نذكر أن انسحاب أمريكا من مشروع تمويل السد ، ومهاجمة دالاس للاقتصاد المصرى ، دفعا عبد الناصر لتأميم القناة .

وقبل أن نسير فى حديث التأميم ونتائجه يجدر بنا أن نخصص بعض الفراغ للحديث عن تاريخ القناة :

كلمة عن تاريخ القناة :

كانت هناك محاولات طويلة للربط بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ، وكان من هذه المحاولات أن يتخذ نهر النيل وسيلة لذلك ، ولعل أقدم محاولة هى تلك التى تمت فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد حينما حفرت قناة تربط النيل ببحيرة التمساح التى كانت تمثل الطرف الشمالى للبحر الأحمر ، وسميت تلك القناة ؛ (قناة سيزوستريس) ، وقد حرص حكام مصر على استمرار هذه القناة فكلما كان البحر الأحمر يتراجع كان هؤلاء الحكام يمدون القناة من بحيرة التمساح إلى البحر الأحمر ، وقد ردمت هذه القناة قبل دخول الاسلام مصر ، ولذلك عمل عمرو بن العاص على إعادة حفرها ، فتمكن من ذلك ، وسميت القناة (خليج أمير المؤمنين) ولا يزال شارع

الخليج (بورسعيد الآن) يرمز لهذه القناة . وقد رأى الخليفة أبو جعفر المنصور أن هذه القناة قد تستعمل ضد الدولة العباسيـــة التى أنشأها هو وأخوه أبو العباس السفاح فردمها .

وفى العصر الحديث اتجهت الجهود للربط المباشر بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ، دون اتخاذ نهر النيل وسيلة لذلك ؛ وقد أخطأ العلماء الفرنسيون الذين صحبوا الحملة الفرنسية ؛ فاعتقدوا أن مستوى المياه فى البحر الأبيض والبحر الأحمر ليس متساوياً ، وأن هناك ارتفاعا قدره تسعة أمتار بين المستويين ، فلم يعملوا على حفر قناة للربط بين البحرين . وكان تصحيح هذا الخطأ عملاً سهلا إذ أنه قد سبق الربط بين البحرين بواسطة نهر النيل ، مما يدل على أن مستوى المياه فى البحرين متقارب بحيث لا يشكل خطراً على محاولة الربط بينهما . وقد ظهر هذا التصحيح فى عهد محمد على . ولكنه رفض حفر القناة قائلاً إنه لا يريد بمصر « بسفوراً جديداً » . ثم نفذه سعيد ، وافتتح إسماعيل باشا هذه القناة سنة ١٨٦٩ . وكان امتيازها ٩٩ سنة تنتهى سنة ١٩٦٨ .

ومن الواضح أن الشروط التى منحها سعيد لشق القناة كانت شروطاً مجحفة بمصر ، وكان يُقال دائماً إن قناة السويس سلاح ذو حدين ، فإذا استطاعت مصر حمايتها واستغلالها كانت لمصر خيراً وبركة . أما إذا لم تستطع مصر حمايتها واستغلالها فإنها تصبح وسيلة للاستعمار وللسيطرة على مصر ، وقد أعطت مصر للقناة كل شىء : الأرض والمال والرجال نظير ١٥٪ من الأرباح ، ولكن سرعان ما فقدت مصر هذه الأرباح أيضا بسبب الديون . كما أن مصر باعت الأسهم التى كانت تملكها منها لبريطانيا . فأصبحت القناة شرًّا كلها تقريبا ، وكانت القناة باباً فتحه ديليسبس لبريطانيا لتحتل مصر ، ثم تمسكت بريطانيا بالقناة إذ كانت الطريق بينها وبين ممتلكات التاج بشبه القارة الهندية ، ومن أجل هذا دفع بطرس غالى

رئيس وزراء مصر رأسه سنه ١٩١٠ ثمناً لمبدأ قبوله مد امتياز شركة قناة السويس ، وأصبح هناك شعور عام فى مصر ضد هذه القناة ، وكان المصريون يعدّون الليالى والأيام ليصلوا إلى سنة ١٩٦٨ ليطردوا الأجانب من القناة ، وليستعيدوا لصالحهم هذا الجزء المهم من أرض الوطن .

اتضح مما سبق أن المصريين كانوا يتطلعون بلهفة إلى استعادة قناة السويس ، ولكن الحكماء منهم لم يكونوا يريدون أن تصبح عملية استرداد القناة ثغرة جديدة تجلب الخسائر على مصر أكثر مما تجلب المنافع ، فلنخطُ للأمام لنرى كيف أمم عبد الناصر القناة ، وقبل أن نشرح خطوات عبدالناصر نذكر أن محمد حسنين هيكل يلفت نظرنا إلى شخص آخر اشترك مع نهرو فى جذب عبد الناصر إلى المعسكر الشرقى ، ذلك هو « تيتو » زعيم يوغسلافيا ، ويذكر هيكل أن نهرو وعبد الناصر كانا عائدين معاً فى طائرة عبد الناصر من بريونى بيوغسلافيا إلى القاهرة حيث كان نهرو سينزل ضيفاً على عبد الناصر مدة أربعة أيام ، وفى الطائرة جاء الخبر بأن أمريكا سحبت عرض المساهمة فى تمويل السد العالى ، وخيّم القلق على ركاب الطائرة(١) .

التأميم حركة عناد وانفعالية :

فى ١٩ يوليو سنة ١٩٥٦ أشهر دالاس وزير خارجية أمريكا إفلاس الاقتصاد المصرى(٢) وتراجَع أمريكا والبنك الدولى عن تمويل السد العالى ، وفى ٢٣ يوليو أى بعد ذلك بأربعة أيام حضر وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ليشترك فى أعياد الثورة ، وأعلن استعداد الاتحاد السوفيتى لتنفيذ السد العالى ، وأثّرت هذه الأحداث على جمال عبد الناصر ، فأعلن فى ٢٦ يوليو تأميم قناة السويس(٣) .

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٢٥

(٢) قبل الثورة كان الاقتصاد المصرى دائنا ، وكان الجنيه الاسترلينى أقل من الجنيه المصرى ، ولكن سوء التصرف فى الأموال فى عهد الثورة هو الذى أفلس الاقتصاد المصرى (اقرأ « التحدى » للأستاذ أحمد أبو الفتح) .

(٣) أنور السادات : البحث عن الذات ص ١٨٧

واستعادة مصر لقناة السويس أمل يتمناه كل مصرى ، ولكن على أن يكون ذلك عن دراسة وبحث ، وليس عن انفعال . وعلى أن تكون المكاسب من استعادة مصر للقناة أكثر من المضار التى تترتب على الانتظار حتى استعادتها سنة ١٩٦٨ ، والذى يدرس أحداث تأميم القناة يدرك أن التأميم كان نتيجة تحرك انفعالى عاطفى لم يتحكم فيه العقل . ويروى البغدادى أن عبد الناصر ألقى خطاباً فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٦ قال فيه : إننا سنقوم ببناء السد وسنعتمد على أنفسنا فى ذلك ، وقال كلمته المشهورة «موتوابغيظكم»، وقد أخذت محطة صوت العرب تردد هذه الكلمة فى حملتها الإذاعية على دول الغرب (١) .

ولم يستشر عبد الناصر زملاءه فى مسألة التأميم ، ويحكى أنور السادات أنه لم يصحب عبد الناصر إلى الاسكندرية فى ذلك اليوم بسبب نزلة معوية ألمت به ، فطلب عبد الناصر منه أن يستمع للخطاب الذى سيلقيه هناك ، واستمع أنور السادات فإذا عبد الناصر يعلن تأميم قناة السويس رداً على جون فوستر دالاس . . . وعندما التقى أنور السادات بعبد الناصر فى اليوم التالى قال له : لو سألتنى لقلت لك : حاسب لأن هذه الخطوة معناها الحرب ، ونحن غير مستعدين . . . (٢)

وليس أنور السادات فقط هو الذى تجاهله عبد الناصر بل إن عبد الناصر تجاهل عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ، ولم يخبره بأمر التأميم إلا وهما فى طريقهما إلى الاسكندرية بالقطار يوم ٢٥ يوليو ؛ فقال له عبد الحكيم : إننى القائد العام للقوات المسلحة . وكان ينبغى قبل اتخاذ هذا القرار أن تستشيرنى لتعرف مدى قدرة القوات المسلحة على حماية هذا القرار (٣)

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٣٢١

(٢) البحث عن الذات ص ١٨٨

(٣) رواية صلاح نصر فى شهود ثورة يوليو ص ١٨٨

وتجاهل عبد الناصر كذلك وزراءه ، فلم يعرفوا خبر التأميم إلا قبل إلقاء الخطاب بقليل ، فقد جمعهم عبد الناصر بالإسكندرية مدة ساعتين قبل إلقاء الخطاب ، وذكر لهم ما ينوى عمله ، فأبدى البعض تخوفه ، ولكن عبد الناصر أعلن أنه يتحمل مسئولية التأميم ، وانتهى الاجتماع بدون اتخاذ قرار رسمى (١) .

المسئول :

ونقف قليلا عند جملة «يتحمل مسئولية هذا العمل» ، وقد قال عبد الناصر عقب هزيمة ١٩٦٧ إنه مسئول عن نتيجة هذه الهزيمة ، وأنا هنا أسأل كل الناس : ما معنى « مسئول » ؟

إذا ذهبتَ تقترض مائة جنيه من رجل ، وتقدمتُ أنا لصاحب المال أقول له : أعطه هذا المبلغ وأنا مسئول ، فالمعنى واضح ؛ إننى أدفع الدين إذا لم يدفعه المدين .

وخسائر حرب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ كثيرة جداً ، تفوق التصور ، إنها ضياع الأرض بثرواتها ، وتوقف القناة عدة سنوات . وقتل عشرات الآلاف من المصريين ، وتدمير مدن القناة وتشريد سكانها ، وضياع أسلحة وأموال تقدر بآلاف الملايين من الجنيهات ، وقبل ذلك ضياع هيبة مصر ، وكسر شوكتها ، ووضعها فى مكان الهوان بسبب هذه الهزائم الساحقة ، والرجل يقول إنه مسئول ، ولا بد أن يجيء يوم نسائله ونلزمه بالمسئولية إن لم تكن مادية فلتكن أدبية ترتبط بسيرته ما بقى التاريخ .

والعجيب أن عبد الناصر أجرى التأميم وهو يعلم أن ذلك سيجر للحرب ، ولم يأخذ فيه رأى عبد الحكيم عامر باعتباره المسئول عن مواجهة القوات التى ستعتدى على مصر ، وهذا التصرف فى غاية الاستهانة بالمسئولية .

---

(١) أجاريشيف : ناصر ص ٢٢١

والعجيب كذلك أن الثورة حاكمت فؤاد سراج الدين بسبب معركة السويس التى هاجم فيها الجيش البريطانى مجموعة من رجال الشرطة المصريين . وطلب قائد الجيش البريطانى منهم الاستسلام فرفضوا ودافعوا عن أنفسهم حتى آخر طاقة ، وقتلوا ٤٠ جنديا بريطانياً ، وقتل من المصريين ٧٠ جندياً ، فمن الذى يحاكم عبد الناصر على أرواح الآلاف الذين دفع بهم إلى الموت دون استعداد ودون نظام ؟

ويروى الأستاذ أحمد حروش (١) أن عبد الناصر استدعى الدكتور مصطفى الحفناوى الذى كان متحمساً لتأميم القناة ، وأخبره عبد الناصر أنه سيحقق فكرته ويؤمم القناة ، ولكن الدكتور الحفناوى أصابه الهلع ، وطلب تأجيل التنفيذ عدة شهور ، وقال : إنى أكاد أسمع أزيز الطائرات التى ستهجم علينا ! ! ولم يعتدّ عبد الناصر بكلامه ، وأمم القناة فوراً .

بعد التأميم :

كان لتأميم القناة صدى عالمى قوى جداً ؛ بعض الناس أشفقوا على مصر ، وآخرون فرحوا إذ رأوا دولة لم يمض على تخلصها من الاستعمار إلا حوالى شهر تُقْدِم على هذه الخطوة الجبارة ، ولكن القناة أممت فعلا واستولى المصريون عليها وبدءوا إدارتها ، والشىء المؤكد أن شعبية عبد الناصر ارتفعت ارتفاعاً عظيما بهذا الحدث الجليل ، وقد ظهرت هذه الشعبية فى الاستقبال الجارف الذى استقبلت به الجماهيرُ عبدَ الناصر فى طريقه من الاسكندرية إلى القاهرة ثم فى شوارع القاهرة ، وقد مرت ثلاثة شهور بين قرار التأميم وبين الحرب ، وحدثت فى هذه الشهور أحداث نجملها فيما يلى :

– بذلت الإدارة المصرية لقناة السويس جهوداً جبارة لإدارة القناة ،

---

(١) مجتمع جمال عبد الناصر ص ٩٢

وقد واجهت الإدارة الجديدة تحدياً كبيراً من الإدارة القديمة ، فقد كان بالقناة ٢٠٥ مرشدين كان من بينهم أربعون مرشداً مصرياً ، والباقى من الأجانب ، وقد أرسل المدير السابق للقناة خطابات إلى المرشدين الأجانب يطلب منهم عدم العمل مع الإدارة المصرية الجديدة ، ويهددهم إن فعلوا ، ويعدهم إن استجابوا له ، وقد استجاب هؤلاء له ، فانسحبوا جميعاً عدا سبعة من اليونانيين أمرتهم حكومتهم بالبقاء ، وسرعان ما ملأت الإدارة الجديدة الفراغ بمرشدين مصريين ، وبمرشدين من الهند ويوغوسلافيا ، بل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وأديرت القناة بكفاءة عظيمة .

— وضعت مصر يدها على أموال الشركة التى كانت مودعة فى البنك العثمانى وقدرها خمسة ملايين جنيه .

— قابلت بريطانيا وفرنسا موضوع تأميم القناة والاستيلاء على أموال الشركة المودعة فى البنك العثمانى بثورة اقتصادية عارمة ، فقد جمدت بريطانيا الحساب الجارى لمصر من العملة الاسترلينية ، وكانت جملة هذا الحساب ١١٢ مليون جنيه ، وفرضت بريطانيا الحماية على أموال وممتلكات شركة قناة السويس فى لندن ، وكذلك جمدت فرنسا أرصدة مصر التى كانت مودعة فى بنوكها ، وتبعتهما أمريكا فجمدت ٦٠ مليون دولار كانت لمصر فى بنوكها .

— رفضت السفن البريطانية والفرنسية التى تعبر القناة أن تدفع الرسوم المستحقة على مرورها للهيئة الجديدة ، وكانت تقوم بدفع الرسوم للشركة القديمة بلندن وباريس .

— قررت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا عقد مؤتمر للدول البحرية فى ١٦ أغسطس ويتكون هذا المؤتمر من الدول الثمانى التى وقعت معاهدة القسطنطينية ، ومن ست عشرة دولة أخرى من الدول المنتفعة بالقناة ،

وقد اختيرت هذه الدول بحيث تكون هناك أغلبية مع اتجاهات الغرب ؛ وقد اجتمع هذا المؤتمر فى لندن ، وقرر إنشاء هيئة دولية لإدارة القناة مع مصر تسمى « هيئة المنتفعين » مع الاعتراف بحق السيادة المصرية عليها ، وضمان دخل عادل لمصر منها ، وأرسل لجنة إلى مصر برياسة روبرت منزيس رئيس وزراء استراليا ، ومعه ممثلون للقارات الأربع الباقية (مندوبو إيران والسعودية واثيوبيا والولايات المتحدة) وقد رفضت مصر هذا القرار.

— عدلت أمريكا موقفها المتشدد فى أوائل سبتمبر ، فقد أعان دالاس أن قناة السويس لا تمثل مركزاً رئيسياً من اهتمام الولايات المتحدة ، وذكر إيدن رئيس وزراء بريطانيا أن دالاس قد غير رأيه عقب عودته من عطلة نهاية الأسبوع .

— عرضت بريطانيا وفرنسا المشكلة على مجلس الأمن فى ٥ أكتوبر وتقرر بعد المناقشة السرية والعلنية ما يلى :

١ — أن تكون الملاحة فى القناة حرة ومفتوحة للجميع دون تمييز .

٢ — أن تحترم سيادة مصر عليها .

٣ — أن تكون إدارة القناة منفصلة عن سياسات كل الدول .

٤ — أن تحدد رسوم القناة بالاتفاق بين مصر وبين المنتفعين :

٥ — أن تخصص نسبة عادلة للتحسينات والتطوير .

٦ — فى حالات النزاع يسوى الأمر بالتحكيم .

وقد وافقت مصر على هذه القرارات التى سميت (المبادئ الستة) ولكن بريطانيا وفرنسا لم تقنعا بها،وظلتا تصران على قرارت(هيئة المنتفعين).

— فى هذه الأثناء كانت بريطانيا وفرنسا تقومان بتحركات عسكرية

توحى بشيء . ولكن الجانب المصرى لم يفطن لما توحى به هذه التحركات ، ووقع القادة المصريون فى الفخ حينما تم الاتفاق على أن يجتمع الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية آنذاك مع سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا ، وبينو وزير خارجية فرنسا يوم ٢٩ أكتوبر ليضعوا الحل السلمى بناء على المبادئ الستة ، ولينظموا دفع التعويضات . وقد فرح الجانب المصرى آنذاك واعتقد أن المسألة قد انتهت ، ولكن ذلك كانت خديعة أعلى من مستوى قادة مصر ، فاستكانوا لها ، وكان هذا اليوم هو الموعد الذى حددته انجلترا وفرنسا وإسرائيل لبدء الزحف العسكرى .

النذر العسكرية وتفكير قادة الثورة :

يقول الأستاذ أحمد حمروش إن كل المعلومات كانت تشير إلى استعدادات عسكرية تدبر لمهاجمة مصر ، ولكن هذا كان مستبعداً فى تفكير عبد الناصر (١) .

وتعليقنا على هذا هو الحسرة البالغة من ألا يجيد العسكريون الأمور العسكرية ، ولو كانت قيادة مصر آنذاك فى أيد مدنية لكان من المحتمل أن نلتمس لها العذر ، ولكن أى عذر لأولئك العسكريين ؟ وقد كان مريدو عبد الناصر يصفونه بالملهم ، وسنعيش فيما يلى مع هذا الملهم لنرى كيف أن أفكاره وأفكار رفاقه جلبت العار والدمار لمصر :

— فى اجتماع جمال عبد الناصر بوزرائه قبيل إلقاء خطابه يوم ٢٦ يوليو قال عبد الناصر للوزراء : إن نجاح التأميم وسيطرة مصر على القناة تتأكد إذا مضى شهر دون تدخل من البريطانيين ، وكان عبد الناصر يضع خططه كأنها التنزيل ، ويصفق له رجاله ، ثم يقع الخطر على مصر والمصريين ، كان يقول : الأسبوع الثانى من أغسطس الخطورة ٦٠٪ ، والأسبوع الثالث ٥٠٪ ،

---

(١) مجتمع جمال عبد الناصر ص ٩٩

والرابع ٤٠ ./. ونهاية سبتمبر ٢٠ ./. ، ثم بالتالى تختفى الخطورة فى آخر أكتوبر(١) .

ــ سأل أحد الوزراء عبد الناصر عن احتمال التعاون بين إسرائيل وبين بريطانيا وفرنسا فى حرب مصر ، فاستبعد عبد الناصر ذلك .

ــ أرسل ثروت عكاشة الملحق العسكرى بفرنسا خطاباً شخصياً إلى جمال عبد الناصر يحمله الملحق الصحفى عبد الرحمن صادق ذكر فيه ثروت عكاشة أنه وصلته خطة تحركات القوات الفرنسية للهجوم على مصر .

ــ عرف زكريا العادلى الملحق العسكرى بتركيا أسرار الحشد العسكرى فى قبرص وإسرائيل عن طريق بعض المندوبين الأتراك الذين يتعاطفون مع مصر ، وأرسل بذلك برقية إلى مصر نصها : ستوجّه إنجلترا وفرنسا إنذاراً نهائياً إلى مصر يعقبه عدوان منهما بالتعاون مع إسرائيل ، وكل الظواهر تدل على أن العدوان سيكون قبل آخر أكتوبر ، ولكن زكريا العادلى أحسّ بالاستهانة بهذه المعلومات ، فدفعه إخلاصه لبلاده إلى أن يحضر شخصياً لمصر ، وطلب أن يلتقى بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وتمت المقابلة مع عبد الحكيم عامر ، ولم يجد منه صدى شافياً ، ولم تتح له مقابلة عبد الناصر ، رغم إصراره على ذلك .

ــ سرّب الأمريكيون معلومات إلى سفيرنا فى واشنطون تؤكد أن الجنرال كيتلى قد اختير لقيادة غزو مصر ، وأنه يُدرب رجاله فى قبرص(٢) .

ويعترف عبد اللطيف البغدادى بخطل رأيه ورأى زملائه قادة الثورة فى تقديرهم للأمور ، استمع إليه يقول :

---

(١) أجاريشف : ناصر ص ٢٢٠

(٢) انظر عن هذه المعلومات كتاب مجتمع عبد الناصر للاستاذ أحمد حمروش ص ٩٨ — ١٠٠

- كان تقديرنا أن الوقت لابد سيكون فى صالحنا إذا اقتنع الرأى العام الدولى بحقنا فى التأميم .

- كنا نرى أن بريطانيا ستحتاج إلى فترة من الوقت حتى يمكنها تعبئة القوات التى ستكون فى حاجة لاستخدامها .

- لم يكن يخطر بذهننا أن بريطانيا يمكن أن تتعاون مع إسرائيل فى الاعتداء علينا .

- كانت القيادة العسكرية المصرية ترى أن بريطانيا فى حالة استخدامها القوة العسكرية ستتقدم من ناحية الاسكندرية ورشيد، ولذلك بنت القيادة الخطة على أساس هذا الاحتمال ، وعند ما نقل خالد محيى الدين لجمال عبد الناصر معلومات سمعها من أصدقائه بباريس عن التعاون بين فرنسا وإسرائيل لمهاجمتنا ، لم يأخذ عبد الناصر هذه المعلومات مأخذ الجد[١] .

وهكذا كانت قدرات العسكريين الذين حكموا مصر فى فهم الأمور العسكرية ، ولا بد أن يجئ يوم يحاسب فيه هؤلاء الناس ، لا على جهلهم بأمور السياسة والاقتصاد والإدارة فحسب ، بل على جهلهم بالأمور العسكرية التى أوهمونا أنهم فيها متخصصون .

الحرب :

هل نسميها حرباً ؟ أو صراعاً ؟ أو زحفاً ؟ .

فى الحق ينبغى أن تسمى زحفاً ، لأن العملية كانت من جانب واحد هو إسرائيل متعاونة مع بريطانيا وفرنسا ، أما القوة المصرية فكانت للأسف لاشيء ؛ لاشيء فى فكرها، ولا فى قدرتها على تحليل المقدمات، ولا فى التعاون بين أجهزتها ، ولا فى إدارتها للمعركة ، ومن هنا كانت المسألة

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٣٢٧ - ٣٢٨

زجا بجيشنا دون إعداد ، ودون رعاية ، ودون توجيهات سليمة . فأصبح بذلك جيشنا وأرضنا وأموالنا نهباً للقوات المعتدية بسبب جهل القوات الحاكمة بمصر ، والأسف مرَّ أكثر من عقدين من الزمن دون أن يحاسَبَ أحدٌ على هذا التهاون الذى تسبب فى إراقة الدم ، وضياع الأرض ، وفقدان المال ، وسقوط الكرامة .

إن دراسة هذا الزحف شديدة التأثير على الكاتب عند ما يرى أقدار بلاده وشرف وطنه ، وأمجاد جيشه توضع فى أيدٍ مهتزة وعقول فجة ، وأخلاق منهارة .

ذلك هو حكم التاريخ نسجله إذا توانى حكم القضاء على هذه العصابة التى حكمت مصر آنذاك فظلمت البلاد والعباد ؛

لقد رأينا آنفاً قصور فهم القادة للأحداث ، وأخطاءهم الفادحة فى التصور لكل الأمور التى سبقت الزحف ، وسنرى الآن أخطاءهم الأكثر فداحة عند ما بدأ هذا الزحف الذى نسجله يوما بعد يوم فيما يلى :

مساء الاثنين ٢٩ أكتوبر :

قامت إسرائيل بالهجوم على سيناء وأسقطت بعض جنود المظلات عند ممر متلا ، واتضح لقادة مصر أن إنزال قوات المظلات عند هذا الممر يدل على أن العملية أكبر من أن تكون غارة من قوات عسكرية إسرائيلية على موقع من مواقعنا ، كما كانت العادة قد جرت من قبل . واستُدْعِى صدقى محمود رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية ، وصدرت له الأوامر بأن يضرب هذه القوات الإسرائيلية ، ولكنه أجاب بصعوبة ذلك بحجة عدم توافر الوقود اللازم لها عنده !!! وأدرك جمال عبد الناصر أن صدقى محمود ليس كفئاً لمواجهة هذه الحالة ، فطلب من عبد اللطيف البغدادى أن يساعد عبد الحكيم عامر فى الإشراف على التحركات الجوية ، ولكن

عامر لم يسترح لذلك ، وقال للبغدادى « اعمل على أنك رأيت أن تمر بالقوات الجوية كزيارة لهم عند ذهابك إلى منزلك » ويقول البغدادى : فضلت ألا أحرج نفسى ، وبخاصه أنه ليس هناك قرار بتكليفى بشىء[1] .

ويقول صلاح نصر رئيس هيئة المخابرات العامة : إن المعركة كانت تدار بطريقة بعيدة عن الأسلوب العسكرى العلمى الصحيح ، فقد احتشد أعضاء مجلس الثورة فى مكتب عبد الحكيم عامر الذى كان مفروضاً أنه يدير المعركة ، وكان تعدد وجهات النظر يسبب ارتباكاً للقائد الذى كان مفروضاً أن يستلهم قراره من الدراسة وتقديرات موقف هيئة عمليات المعركة ، ومن الاضطراب أن القيادة انتقلت من كوبرى القبة إلى نادى مصر بالجزيرة المجاورة لفندق عمر الخيام ، ثم عادت إلى كوبرى القبة[2] .

الثلاثاء ٣٠ أكتوبر والإنذار :

وفى مساء ٣٠ أكتوبر قدمت بريطانيا وفرنسا إنذاراً إلى كل من مصر وإسرائيل بإيقاف القتال براً وبحراً وجواً ، وسحب كل منهما قواته بعيداً عن قناة السويس بمسافة لا تقل عن عشرة أميال عن كلا الجانبين ، أى أنه على مصر أن توقف قواتها على مسافة عشرة أميال غرب القناة ، وإسرائيل أيضاً نفس المسافة شرق القناة ، وتحتل القوات البريطانية والفرنسية النقط الرئيسية فى كل من بورسعيد والإسماعيلية والسويس لضمان حرية الملاحة بالقناة لجميع سفن العالم ، وذكر الإنذار أن هذا إذا لم ينفذ خلال ١٢ ساعة فإن بريطانيا وفرنسا ستضطران للتدخل العسكرى .

ويقول البغدادى إن عبد الناصر لم يأخذ الإنذار مأخذ الجد ، ثم إنه استبعد إنزال الإنجليز والفرنسيين لقواتهما فى منطقة القناة[3] ، وهو

---

(١) مذكرات البغدادى ص ٣٣٦ - ٣٣٧

(٢) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ١٨٧ - ١٨٩

(٣) مذكرات البغدادى ص ٣٣٧ - ٣٣٩ بايجاز

تصرف جديد يفيد بُعد عبد الناصر تماماً عن الموهبة السياسية والموهبة العسكرية ، لقد كان فكره فى وادٍ ، وكان كل شيء فى واد آخر .

الأربعاء ٣١ أكتوبر والانسحاب المصرى :

ولم يستطع هؤلاء العسكريون الدفاع عن البلاد ولا لمدة يوم واحد ، وانهاروا جميعاً كالثلوج تحت أشعة الشمس المحرقة ، وصدرت الأوامر بالانسحاب الشامل مساء ٣١ أكتوبر من كل سيناء ومن غزة ورفح والعريش وشرم الشيخ ، وظهر القادة على حقيقتهم كالفئران تختفى فى الجحور ، وليس تعبير الاختفاء من عندنا ، وإنما هو تعبير عبد الحكيم عامر الذى قال لهم : اختفوا جميعاً واتركونى مع الجيش . . . . واضطرب جمال عبد الناصر ، ولم يبد رأياً ، وكثرت الغارات على القاهرة ، ولم تقابل بأى دفاع .

الخميس أول نوفمبر :

الغارات مستمرة ، وجمال عبد الناصر يلقى بياناً يخدع الشعب ويذكر الأسباب التى يبرر بها الانسحاب السريع من سيناء دون دفاع ، وأسرة عبد الناصر نقلت من منزله إلى مكان أمين فقد كان كل أهتمام عبد الناصر بأسرته ، وعبد الناصر يستبقى البغدادى ليبيت معه فى منزله ، وفى حجرة واحدة ، كالطفل الذى يخاف الوحدة (١) .

الجمعة ٢ نوفمبر :

أصوات انفجارات تملأ الجو فى القاهرة ، وغارات متصلة ، وبعض أصوات المدافع المضادة للطائرات ، أما طائراتنا فيقول أنور السادات إنها كانت قد دمرت بضربة واحدة وهى ما تزال على الأرض ، وكنا قد اشتريناها منذ أقل من سنة(٢) .

(١) مذكرات البغدادى ص ٣٤٠ وما بعدها
(٢) أنور السادات البحث عن الذات ص ١٩٠

ويقول البغدادى إن جمال طلب من عامر فى هذا اليوم أن يذهب إلى الاسماعيلية لرفع الروح المعنوية للجنود الذين انسحبوا من سيناء ، فوعد بأنه سيقوم بهذه الزيارة بعد يومين ،وسأله عن رأيه فى أن يذهب كمال الدين حسين ليقود الدفاع عن الإسماعيلية فوافق فوراً ، وسافر كمال الدين فى الحال . ولكن عندما توقفت المعركة تعرض كمال الدين حسين لمضايقات من عامر حتى اضطر لترك الإسماعيلية مع أنه هو الذى غامر وقت الشدة وأقدم على مالم يستطعه قائد الجيش .

انهيار القائد :

وشهد هذا اليوم عملية انهيار تامة أصيب بها عبد الناصر ورفاقه ، وأكبر مظهر لذلك هو حديث عبد الحكيم عامر المسئول الأول عن الجانب العسكرى إلى قادة الثورة ، ونصه كما رواه البغدادى : إن الاستمرار فى المعركة سيترتب عليه تدمير البلاد ، وقتل الكثيرين من المدنيين ، والشعب سيكره النظام والقائمين عليه ، وأنه يفضل أن نطلب إيقاف القتال وردّ البغدادى بأن هذا الاستسلام سينتج عنه احتقار الشعب لنا ، ولم يشترك جمال فى النقاش ، وكان صامتاً مقطب الجبين ، ودخل القاعة صلاح سالم الذى ذكر أنه يقترح أن يعلنوا وقف القتال والاستسلام ، واستمر يقول : ونقوم ونسلم أنفسنا للسفير الانجليزى ، وردّ البغدادى عليه بأن الانتحار أحسن من هذا ، واستحسن جمال عبد الناصر فكرة الانتحار فطلب من زكريا محيى الدين إحضار زجاجات من السم تكفى الجميع (١) .

ويقول المثل الإنجليزى « الأقوياء فقط هم الذين يتحملون المسئولية

---

(١) مذكرات البغدادى ص ٣٤٣

وكانوا ظهيراً طيباً لأهالى بورسعيد ، ويقول الضابط محمد أبو نار إن عدداً كبيراً من الشيوعيين واليساريين اشتركوا فى المقاومة الشعبية ببور سعيد مثل عبد المنعم شاتيلا ، وأحمد الرفاعى ، وإبراهيم أجوج ، وسعد رحمى ، ويوسف ادريس ، وأحمد عباس صالح ، وحسن فؤاد ، وأحمد مجاهد ، وعلى الشلقامى وزوجته نانا ، ومحسن لطفى ، ومنير موافى ، وقد لعب الشيوعيون دوراً بارزاً فى المقاومة فى الوقت الذى هرب فيه مدير المباحث العامة حسين رشدى من المدينة ، وسلم البوليس أسلحته ، وأعطى البريطانيين كشوف الشيوعيين والإخوان لاعتقالهم فى أثناء فترة منع التجول التى كانت تبدأ من الساعة الخامسة مساء (١) .

ومع تقديرنا للدور الذى قام به الشيوعيون فى هذا الصراع نذكر أن الشيوعيون ما كانوا يشتركون فى الصراع لو كان الصراع يدور ضد الاتحاد السوفيتى ، أو ضد رغبته ، فحماستهم كانت غالباً لتنفيذ مخطط الاتحاد السوفيتى أكثر منها لخدمة مصر .

ولم يكن للإخوان المسلمين دور كبير فى هذا الصراع لأن الأغلبية العظمى منهم كانت آنذاك خلف القضبان منذ حادث المنشية .

دور أمريكا وروسيا فى وقف القتال :

يوضح أنور السادات دور أمريكا وروسيا فى وقف القتال فيقول(٢) : إن شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا كان خلال المعركة فى زيارة للاتحاد السوفيتى ، وطلب من الزعماء هناك مدّ يد المساعدة لمصر فلم يستجيبوا ، فطلب منهم مساعدة معنوية لمصر ولو بإصدار بيان ، فكان جوابهم الرفض أيضاً ، وعلى هذا أرسل شكرى القوتلى ينصحنا ألا نعتمد بتاتاً على الاتحاد السوفييتى ،

---

(١) شهود ثورة يوليو ص ٣٨٤

(٢) البحث عن الذات ص ١٩١

وفى مساء هذا اليوم تم لقاء عسكرى اتضح فيه أن القاهرة خارج منطقة الدفاع ، وأن خطة الدفاع عن منطقة القناة ضعيفة . وأن الحالة بوجه عام هى — كما وصفها البغدادى — شلل تام[1] .

الأحد ٤ نوفمبر :

أصبح الموقف عصيباً فى هذا اليوم ، وقد سجَّل البغدادى أدق وصف لعبد الناصر من كلام عبد الناصر نفسه ، فقد سأل البغدادى عبد الناصر : كيف الحال اليوم ؟ فأجاب : إنى لم أنم طوال الليل ، وقد بكيت كثيراً ، ويبدو أننى قد أضعت البلد ، وقد هزمنى جيشى [2] .

وفى هذا اليوم اقترح عبد الناصر أن يذهب إلى بورسعيد هو وعبد اللطيف البغدادى لرفع الروح المعنوية لسكانها ، وبدأت الرحلة ، وعلى الطريق شاهد جمال عبد الناصر عربات عسكرية كثيرة مدمرة أو مقلوبة ، ودبابات متروكة ،منها المحروق ، ومنها المعطل ، ومنها السليم ، وكان جمال عبد الناصر طوال الرحلة كأنه فى عالم آخر غارقاً فى التفكير ، وكان يتحدث عن الدبابات والعربات المحطمة على جانبى الطريق بقوله : إنها بقايا جيش محطم ، وأخذ يتحسر على المبالغ التى أنفقت على تسليح الجيش قائلاً : إن مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء ، ويصفه البغدادى آنذاك بأنه انهار وانتهى ، وأصبح ضعيفاً لا حول له ولا قوة ، وفى حالة يأس شديد ، وبتنا معاً فى غرفة واحدة بالإسماعيلية ، وعندما انفردنا فى الغرفة قال لى وهو يتقلب فى فراشة : « أنا تعبان »[3]

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥١ (مقتطفات)
(٢) المرجع السابق ٣٥٢
(٣) المرجع السابق ٣٥٣ وما بعدها (مقتطفات) .

الأثنين ٥ نوفمبر والانسحاب من بورسعيد :

أخذ العدو ينزل جنود المظلات فى بورسعيد بتدفق هائل . وعرف عبد الناصر ذلك فقرر العودة إلى القاهرة دون مواصلة الرحلة إلى بورسعيد، بل إنه عاد دون أن يمر على القوات المصرية بالإسماعيلية إذ كان متسرعا يتعجل النجاة لنفسه ، وفى الطريق قال للبغدادى : إنها كانت غلطة كبيرة أن نحاول الذهاب إلى بورسعيد . وقد بلغ عدد الطلعات الجوية التى قامت بها بريطانيا وفرنسا فى هذا اليوم فوق بورسعيد ٤٧٣ طلعة ، وأعطى عبد الناصر أمراً للقوات المصرية بالانسحاب من بورسعيد دون معركة .

الرئيس إيزنهاور يتدخل :

وفى هذا اليوم تدخل الرئيس إيزنهاور ، وأمر بوقف القتال فوراً ، فالضرب فى الميت حرام كما قالوا آنذاك ، واضطرت القوات المعتدية للرضوخ لهذا الأمر .

الثلاثاء ٦ نوفمبر :

أعلن همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة أن بريطانيا وفرنسا قد وافقتا على وقف القتال بمصر ابتداء من منتصف الليل حسب توقيت جرينتش (الثانية صباح الأربعاء ٧ نوفمبر) .

المقاومة الشعبية المجيدة :

أدرك أهالى بور سعيد أنهم يتحتم عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم وعن بلدتهم . وقد قاموا بدور مجيد فى هذا المجال ، وتصدوا بأسلحتهم البسيطة للقوى المهاجمة ، وأنزلوا بها ألواناً من الخسائر ، كما حاولت القوات المعتدية أن تحصن نفسها وألا توقف القتال إلا بعد ضمان الأمن لقواتها ، ولكن ذلك لم يتحقق لها مع أنها أنزلت عن طريق الأسطول بعض الجنود بمنطقة البلاح ، وتقدم عدد كبير من الشيوعيين للاشتراك فى الصراع ضد المعتدين ،

وقت الأزمات ، ويتضح مما أوردناه آنفاً أنه لم يكن هناك بين هؤلاء الزعماء شخص واحد مسئول يوضع نطاق الأقوياء .

موقف المصريين من القيادة العسكرية المصرية :

أدرك بعض المفكرين بمصر ، وبخاصة أولئك الذين كانت لهم صلة بقادة الثورة فى مطلع الثورة أن من الخطر ترك البلاد تحت هذه القيادة الفاشلة ، فطلب سليمان حافظ أن يلتقى بقادة الثورة ، والتقى بهم وسألهم ماذا تنوون بعد هذه الهزائم ؟ فتلقى الجواب التالى : المقاومة الشعبية ، فقال سليمان حافظ : إن المقاومة الشعبية تحتاج إلى تنظيم ، والتنظيم يحتاج إلى وقت طويل ، وأنتم لم تقوموا بعمل هذا التنظيم ، ومعنويات الشعب تحتاج إلى قائد محبوب ، وأنا أقول لكم الحقيقة التى لايصارحكم بها الناس وهى إن جمال عبد الناصر مكروه وغير محبوب ، وإن عليه أن يعود حيث كان بالجيش بالكتيبة السادسة مشاه(١) .

السبت ٣ نوفمبر :

صحا سكان القاهرة مبكرين على أصوات هائلة من الطائرات المهاجمة ، وهى تقوم بضرب مطار ألماظة وقشلاقاتها العسكرية بالقنابل والمدافع الرشاشة ، وكانت الغارات الجوية فى هذا اليوم شديدة ومركزة ، ويقول البغدادى إنه ذهب لجمال عبد الناصر عقب ذلك وذكر له أن مدفعيتنا تصدت لهذه الطائرات وأسقطت إحداها ، وكان البغدادى – كما يقرر هو – يكذب فى روايته لعبد الناصر لرفع معنوياته ، وقد سُرَّ جمال عبد الناصر بهذا الخبر الكاذب ، وقبَّل وجه عبد اللطيف البغدادى(٢) .

---

(١) كررنا هنا بعض ماسبق أن ذكرناه فى الباب الثالث لتوضيح سير الأحداث ، ورغبة فى إزالة الغشاوة عن أولئك الذين صفقوا لهذا العصر المظلم .

(٢) مذكرات البغدادى ص ٣٤٩ .

ويعلق أنور السادات على ذلك بقوله إن من يتخطى بالاتحاد السوفيتى . فهو دائماً مكشوف . وعندما تدخل إيزنهاور وأمر بإيقاف القتال فوراً ، واستجاب المعتدون مضطرين للاستجابة ، أرسل خروشوف وبلجانين الإنذار المعروف والذى لم يكن إلا مجرد استعراض عضلات ، ومحاولة الظهور بمظهر المنقذ .

ويقول الدكتور هنرى كيسنجر فى مذكراته « سنوات البيت الأبيض » التى نشرت ترجمة أجزاء منها بجريدة الأخبار (١) إن السوفييت فى عام ١٩٥٦ تطفلوا بصورة هامشية على دبلوماسية أزمة السويس ، ووجهوا تهديدات غامضة بالتدخل العسكرى بعد أن أدى الضغط الذى مارسناه على بريطانيا وفرنسا إلى جعل هذه التهديدات السوفيتية لا تعنى أية مخاطرة .

صلاح سالم قهوجى ،

كان بين قادة الثورة رجل واسع النفوذ ، كثير الكلام ، حتى كان لسان الثورة ، وأسندت إليه أخطر المناصب ، فكان وزير الإرشاد ، وكان وزير شئون السودان ، وكان المهاجم الأعظم ضد محمد نجيب ، وكان رفيق عبد الناصر فى رحلته لمؤتمر باندونج ، وكان كثير التهديد والتعذيب للمصريين ؟

ولكن كان داخل إهاب هذا الرجل أسطورة خالية من الفكر ومن القيم ، وقد رأيناه مرة يلجأ إلى السجن الحربى ويقول لأحمد أنور اعتبرنى مقبوضاً علىّ ، ونراه مرة يهاجم زملاءه فى مجلس الثورة ويحرجهم ، وهو أعلم الناس بهم قائلاً : هاتوا جمعية تأسيسية تحكم البلد ، وأخيراً أضاع السودان بخطله ، واستقال ، ثم وجد فى العدوان الثلاثى وسيلة ليعود إلى الضوء فعاد ، وأخذ يقدم مشورته ويتعصب لها حتى فكر عبد الناصر وصلاح

---

(١) الأخبار فى ١٩٧٦/١١/٢

دسوقى فى القبض عليه (١) ، وأخيراً حدّد صلاح سالم بنفسه مكانه الحقيقى فى المجتمع عندما قام ولبس ملابس جندى المراسلة الذى يقدم « القهوة » (٢) .

أسد علىَّ وفى الحروب نعامـــة :

لقد نقلنا فيما سبق مجموعة من الأوصاف التى أطلقها عبد الناصر على نفسه ، أو اتضحت عليه وقت الشدة ، وهذه الأوصاف هى فى كلمات : بقايا جيش محطم — بكاء — ضيّع البلد — لم يواصل رحلته لبورسيعد ليقوّى الروح المعنوية للجنود — انتهى — انهار — لاحول ولا قوة — فى حالة يأس شديد —

وكانت هذه هى صفات عبد الناصر عندما تصدى لقوى من الخارج ، ولكنه عندما أحس بأن هناك تحركاً ضده قام به بعض المصريين لصالح مصر أسرع فأرسل فى طلب كتيبة ضرب نار من الحرس الجمهورى ، ووقف فى ساحة مجلس الوزراء ، وأقسم أن يُعْدم رمياً بالرصاص أى إنسان يهدد مركزه .

وهكذا كتيبة ضرب نار لتطلق الرصاص على المصريين ، أما غير المصريين فكانوا فى مأمن من جنوده ومن رصاصه ، يا لله ! ! !

خسائر الحـــرب :

سبق أن ذكرنا نماذج من خسائر هذه الحرب ، ويقول أحمد لطفى واكد : بعد العدوان مباشرة زرت جمال عبد الناصر فى القناطر الخيرية ، وكان عنده ثروت عكاشة ، وأطلعنى على كشف بخسائر قواتنا المسلحة فى سيناء التى تركتها بغير حرب وكان شديد الاســتياء من كثرة الخسائر ، كما كان يتحدث عن عبد الحكيم عامر وصلاح سالم ، وصلاح نصر ، وصلاح دسوقى ، على أنهم كانوا من دعاة الهزيمة والاستسلام(٣) .

---

(١) مذكرات البغدادى ص ٢٥٠

(٢) أحمد حمروش : مجتمع جمال عبد الناصر ص ١٠٦

(٣) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ٧٨ — ٧٨

وقد سبق أن نقلنا عن عبد الناصر أنه قال عند ما شاهد العربات والدبابات المحطمة على جنبي الطريق إلى الإسماعيلية : إن مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء(١) .

ويقول أنور السادات : إن الانسحاب من سيناء كلفنا ! قواتنا المسلحة وإن جميع طائراتنا قد دمرتها فرنسا وانجلترا بضربة واحدة وهي ما تزال رابضة على الأرض ، وكنا قد اشتريناها من الاتحاد السوفيتي منذ أقل من سنة ، ونعتز بها غاية الاعتزاز(٢) . ويستمر أنور السادات قائلاً كلاماً لا نوافقه عليه وهو :

— إن عبد الناصر أو غيره لم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً .

— باغتتنا انجلترا وفرنسا بالعدوان .

واعتقادنا أن أي قائد ناجح كان يستطيع أن يفعل الكثير والكثير ، وقد استطاع جنود الشرطة المصريون بالسويس أن يسجلوا أمجاداً وهم يواجهون جيشاً بأسره ، ثم إنه ليست هناك مباغتة على الإطلاق ، فقد أوردنا سابقاً صوراً من الأدلة المتتابعة التي كانت تشير إلى أن العدوان في طريقه إلى مصر ، ولكن عبد الناصر لم يفعل شيئاً لمواجهته .

انسحاب المعتدين ، وما بعد الانسحاب :

قلنا فيما سبق إن الرئيس ايزنهاور أصدر أوامره بوقف القتال وبالانسحاب فوراً ، وقد أوقف القتال بناء على هذا الأمر ، وبخاصة أن الحرب لم تكن ضد جيش ، فالجيش قد أصابه الشلل كما ذكرنا ، وإنما كانت ضد شعب أعزل يستميت في الدفاع عن بلاده .

---

(١) مذكرات البغدادي : ٣٥٣

(٢) البحث عن الذات ص ١٩٠

وبدأت إجراءات الانسحاب فوراً ، وتم الانسحاب الإنجليزى والفرنسى فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ ، وتم انسحاب إسرائيل فى مارس ١٩٥٧ بعد أن كانت جولدا مائير وزيرة خارجية إسرائيل ، فى ذلك الوقت قد أعلنت رسمياً فى الكنيست ضم سيناء لإسرائيل ، وإعطاء اسم جديد لشرم الشيخ . وعلق بن جوريون على أوامر أيزنهاور التى لم يكن بد من تنفيذها فقال « لابد من الخوف مما يتحتم الخوف منه » أى من أمريكا ، فلم يكن فى استطاعة إسرائيل أن تتجاهل أمريكا(١) .

ومع أن الانسحاب قد تمَّ ، فقد بقيت فى شرم الشيخ قوة دولية حتى تستطيع إسرائيل أن تستعمل خليج العقبة ، وقد كانت هذه القوة الدولية من أسباب حرب ١٩٦٧ ، فإن عبد الناصر أخرجها وأغلق المضايق فبدأت حرب ٦٧ ، ومعنى هذا هو أن لحرب ١٩٥٦ وخسائرها امتداداً حدث سنة ١٩٦٧ كما سنرى ذلك مفصلاً فى حينه .

وبعد أن تم الانسحاب لبس عبد الناصر ثوب الأسود مرة أخرى وسمى يوم ١٢/٢٣ عيد النصر ، وغمس نفسه فيما أسماه أنور السادات : « خرافة كبيرة جداً تصوره البطل الذى حقق النصر على امبراطوريتين هما بريطانيا وفرنسا وعلى إسرائيل أيضاً ، وللأسف صدق عبد الناصر نفسه فى هذا الادعاء »(٢)

وبرزت أسطورة جديدة ترتبط بهذا النصر المزعوم ، فأخذ هيكل يذكر تعابير حديثه فى مجال اللغة ، مثل إن مصر ضربت ولم تهزم ، واستجاب عبد الناصر لهذا الوضع ، فأخذ يتحدث عنه فى خطبه وفى لقاءاته ، ثم ألهم به مغنِّى مصر آنذاك « عبد الحليم حافظ » فراح يشدو بأغنية يردد فيها

---

(١) البحث عن الذات ص ١٩١

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤

« وانتصرنا . . وانتصرنا » وهكذا ذاب الفرق بين الهزيمة والنصر عند هؤلاء الذين ذابت عندهم كل القيم وكل الآمال .

وكان من الضرورى لعبد الناصر بعد أن نسب الانسحاب إلى انتصاراته المزعومة أن يُغْفِل دور الرئيس ايزنهاور ، لأنه تخيل أن إبراز هذا الدور سيسلب منه الضجة الكبرى عن انتصاراته المزعومة ، ثم إن عبد الناصر لم يغفل مثل ذلك بالنسبة للإنذار الروسى ، بل راح يشيد به ، وينسب إلى السوفييت كل شىء ، ويهمل الإشارة إلى موقف ايزنهاور ، ولو اعترف عبد الناصر بالواقع ، وانتهز فرصة مساعدة أمريكا ليعيد توطيد علاقات مصر بها لضرب استراتيجية إسرائيل فى مقتل ، ولكن جهل عبد الناصر بالسياسة لم يكن أقل من جهله بالأمور العسكرية والاجتماعية .

وكانت إسرائيل قد أسَرَتْ مجموعة من الضباط المصريين ، ولما عاد هؤلاء من الأسر صرح لهم عبد الناصر بتقديم أسئلة والتقدم بطلبات خاصة ، ويقول اليزير بيرى فى كتابه : « ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع » : إن أغلبية الضباط طالبت بتحسين ظروفهم المعيشية ، وتساءل الضباط عن زملائهم وماذا حدث لهم فى هذه المعارك ، ولكن أحداً من الضباط لم يسأل عن جنوده ، وعلى كل حال فإن حرب ١٩٥٦ لم تغير الواقع العسكرى إلا فى أضيق الحدود ، وغطى النصر السياسى على العيوب التى آثرت القيادة السياسية تغطيتها حتى لا تشوه صورة النصر المفتعل[١] .

وكان من نتائج حرب ١٩٥٦ أن انحسرت علاقة الود بين ناصر وعامر ، وبدأت الكراهية تدب بين الاثنين ، وفى هذه الحرب اتّضح لعبد الناصر أنه ليس مسموع الكلمة فى الجيش ، فاتجه للحد من سلطات عامر ، ولعل عامر كان هو الشخص الذى كانت له سلطة يحسب حسابها

---

(١) نقلا عن مجتمع جمال عبد الناصر ص ١٤٧

بعد وضع نهاية لمجلس قيادة الثورة ، ولما أحس عامر بمحاولات ناصر زاد تشبثه بموقعه . وبدأ يحيط نفسه بالأنصار ووقف حائلاً دون امتداد سلطة عبد الناصر للجيش ؛ وأغدق على الضباط ، فكان ذلك أساس الصراع الذى سيشتد من يوم إلى يوم كما سنرى فيما بعد :

إحصائيات :

استكمالاً لحديث خسائر الحرب التى ترتبت على تأميم القناة نورد فيما يلى دراسة تعتمد على الأرقام لنرى خسائر أخرى تضاف إلى الخسائر التى أوردناها ، فقد كان امتياز القناة سينتهى سنة ١٩٦٨ ، فأممها عبد الناصر سنة ١٩٥٦ ليكسب لمصر ١٢ سنة ، ولكن الدراسات الإحصائية توضح لنا أن حركة الملاحة فى القناة أوقفت مرتين بسبب عملية التأميم ، المرة الأولى عقب حرب ١٩٥٦ ، مدة عام تقريباً ، والمرة الثانية عقب حرب ١٩٦٧ التى ترتبت على حرب ١٩٥٦ وكانت مدة توقف الملاحة بالقناة هذه المرة ثمانى سنوات من يونيو ١٩٦٧ إلى يونيو ١٩٧٥ وعند ما أعيد فتحها فى الحالتين كانت الملاحة تسير فيها ببطء حوالى سنة فى كل مرة ، ومعنى هذا أن المدة التى اعتقد عبد الناصر أنه قد كسبها قد ضاعت تماماً فى الحربين ، بالإضافة إلى ما أوردناه من خسائر فى الأرواح والعتاد والكرامة ، وقد ذكر الرئيس أنور السادات أننا صرفنا حتى عام ٧٣ مبلغ عشرة آلاف مليون جنيه ، وأننا سنصرف فى هذا العام (١٩٧٥) ألف مليون أخرى[1] وتلك أرقام تفوق بمراحل أى تقدير لإيراد القناة . فإذا أضيف إلى ذلك خسائرنا من نزيف البترول الذى أخذته إسرائيل من سيناء منذ سنة ١٩٦٧ حتى كتابة هذه السطور فى اكتوبر سنة ١٩٧٩ أدركنا الخسارة الفادحة التى خسرناها من تأميم القناة دون استعداد كامل لهذا التأميم .

---

(١) الأخبار فى ٧٥/٣/١٣

وربما جاز لنا أن نقول : إن سياسة عبد الناصر كانت ستقضى نهائياً على القناة . فإن إغلاق القناة مدة ثمانى سنوات عقب حرب ١٩٦٧ جعل العالم يتجه لبناء عابرات المحيطات العملاقة ، وقد أخذت هذه فعلا تملأ الفراغ أو أكثره ، ومن أجل هذا اتجهت مصر بعد إعادة فتح القناة سنة ١٩٧٥ إلى مزيد من التعميق والتحسين فيها لتجلب لها هذه العابرات أو أكثرها حتى تستعيد القناة حالتها الطبيعية .

وعند الحديث عن عودة الملاحة فى القناة يتحتم علينا أن نثنى أعمق الثناء على الجهود التى أعادت الحياة إلى هذا المرفق العظيم ،ولكن ثناء خاصاً يتحتم أن نوجهه لأنور السادات الذى اختار يوم الخامس من يونيو لإعادة فتح القناة فوضع ابتسامة على كل فم فى هذا اليوم الذى كان يمر ثقيلا مريراً ، فحوله أنور السادات إلى يوم بهيج .

ولا ننسى أن نذكر من الخسائر تلك التعويضات الباهظة التى دفعتها مصر بسبب التأميم لحملة أسهم شركة قناة السويس ، فقد تمّ فى ١٣ يولية ١٩٥٨ توقيع اتفاقية بين مصر وبين حملة الأسهم ، دفعت لهم مصر بمقتضاها تعويضاً قدره ٣٤ر٥ مليون جنيه ، ولو انتظرنا إلى موعد نهاية الامتياز لما كان علينا أن ندفع شيئا .

وهكذا كان تأميم القناة على هذا النمط الذى تمّ به عملا جلب الخسارة فى كل اتجاه .

بقيت كلمة أخيرة تتصل بأحداث القناة . فإن إيدن فى إنجلترا وجى موليه فى فرنسا لم يستطيعا البقاء فى منصبيهما لدخولهما معركة دون التأكد من نجاحها سياسياً كما تأكدا من نجاحها عسكرياً ، وقد اتخذ جمال عبدالناصر من سقوط رئيسى الوزارة بانجلترا وفرنسا وسيلة للدعاية ، فظهر على أنه زعيم عالمى انتصر على أعظم قوى أوربا و . . . . . ونجحت الدعاية المصرية فى تغطية الهزيمة العسكرية أمام الانتصار السياسى الذى جاء عفواً وبدون أى إعداد من عبد الناصر(١) .

---

(١) انظر وثائق ١٥ مايو ص ٣١٩

حوادث سنة ١٩٥٧

مقدمـــة :

فى مطلع الحديث عن أحداث سنة ١٩٥٧ هناك مقدمات ضرورية أسجلها فيما يلى :

أولا : لاحظ القارىء فى ذكر حوادث سنة ١٩٥٦ أن مذكرات عبد اللطيف البغدادى كانت ضمن مراجعى المهمة لأنها كانت تشمل حديثَ شخصٍ رافق عبد الناصر فى محنة هذا العام ، وسجل أحداث هذه المحنة ، ووصف شخصية عبد الناصر أدق وصف ، وقد انتهى الجزء الأول من هذه المذكرات مع نهاية سنة ١٩٥٦ .

وحرصتُ على الحصول على الجزء الثانى من مذكرات البغدادى الذى يبدأ بأحداث سنة ١٩٦٧ ، وكنت أعتقد أنه سيكون رفيقاً مهماً لدراستى عن هذا العام وما بعده ، وحصلت على الكتاب ، ولكن سرعان ما قابلتنى به أخطاء لغوية ونحوية تنتشر فى أكثر سطوره ، وفى كثير من الأحوال كادت الفكرة تصبح غامضة بسبب هذه الأخطاء، ويبدو لى أن الجزء الأول نال شيئاً من العناية، وأن بعض المثقفين قرأه قبل أن يطبع بخلاف الجزء الثانى .

ثم إن الجزء الثانى يكاد يكون تكراراً مملا للحديث عن العلاقة السيئة التى كانت بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، والتى استمرت من سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٦٧ ، حتى إن أكثر من نصف الكتاب قد خصص لهذه العـــلاقة المريرة التى تتبّعتْ التفاصيل الدقيقة والمريرة بأسلوب غير طلى ولا مستساغ .

وبينما أطال البغدادى فى ذلك إطالة مملة لم يذكر شيئاً عن أحداث اليمن ، وقد حدثت وهو لا يزال فى السلطة ، ولم يحلل محاكمات الثورة ، ولا تحدث عن القوانين الاشتراكية ، ولا عن التنكيل الظالم بالإخوان المسلمين .

ويُختم هذا الجزء بصورٍ بغدادية لا بد أن عبد اللطيف البغدادى سعيد

بها وبنشرها . ولكنها أثارت عندى لواعج الألم ، إنها صورة مع قمم العالم ، وبخاصة قادة ألمانيا الغربية ، أولئك الذين بنوا بلادهم بعد خرابها الشامل إبان الحرب العالمية الثانية ، فصارعوا حتى رفعوها إلى أعلى المستويات ، فشتان بين قيادة وقيادة .

ثانياً : فى الحديث عن سوء العلاقة بين عبد الناصر وبين عامر يتحتم أن أبدى دهشتى بل عجزى عن التعرف على الأسباب الحقيقية التى أرغمت عبد الناصر على احتمال عامر احتمالا يصل إلى حد التدليل ، على الرغم من صور العجز والهزائم التى صاحبت عبد الحكيم عامر ، قد يظن بعض الناس أن عامر مكّن لنفسه فى الجيش فلم يقو عبد الناصر على مواجهته ، ومن الواضح أن عامر مكّن لنفسه فعلا ، ولكن المواجهة كانت ممكنة بالتأكيد، بدليل أنها تمت فعلا عقب هزيمة ١٩٦٧ ، وكان يمكن أن تتم عقب هزيمة ١٩٥٦ ، أو عقب الانفصال السورى ، أو هزائم اليمن ، وكلها من أسباب فشل النظام كله بوجه عام ، وفشل عامر بوجه خاص ، وكلها كانت من أسباب النفور والكراهية بين الاثنين ، وعندما أراد ناصر أن يقضى على عامر قضى عليه ، دعاه إلى بيته ، وعندما دخل مجلس عبد الناصر سُحب السلاح من أتباعه الذين رافقوه إلى ساحة القصر ، وذهبت قوة إلى منزل عامر فقبضت على أتباعه الذين كانوا هناك، وانتهى عامر منتحراً أو مقتولا .

والسؤال هو : لماذا لم يحصل ذلك من قبل مع كثرة تمرد عامر ؟ وعصيانه ؟ واختفائه ؟ ومع وجود وسائل للقضاء عليه ؟

إنه لغز عجزت عن فهمه ،فلعل غيرى أقدر أو أعرف بما غاب عنى ، وقد عبّر موسى صبرى عن هذه العلاقة بأنها علاقة غريبة كما جاء فى مكان آخر بهذا الكتاب .

والآن نتابع أحداث هذا العام .

تمصير البنوك

فى أول يناير سنة ١٩٥٧ أعلن عبد الناصر قراراً بتمصير الاقتصاد المصرى ، ويصف أنور السادات هذا القرار بأنه كان ضربة كبرى ؛ إذ كانت جميع شركات التأمين والبنوك والبيوت التجارية الكبرى بصورة أو بأخرى إما فرنسية أو إنجليزية أو بلجيكية أو أوربية بوجه عام(١) .

والعجيب أن أنور السادات الذى يمتدح هذا القرار ، ويصفه بأنه ضربة كبرى ، عاد فسمح للبنوك الأجنبية أن تفتح أبوابها من جديد ، وسمح لها أن تزاول نشاطاً ربما كان أوسع من النشاط الذى كانت تزاوله من قبل .

ولست فى مكانى ضليعا فى الاقتصاد ، ولا أعرف بالضبط أى النظامين أمثل ، ولكنى أعرف أن أغلب دول العالم تسمح لبنوك مختلفة الجنسيات بمزاولة النشاط الاقتصادى بها ؛ وعلى كل حال فقد أضعنا عشرين عاماً فى التجربة بين قفل البنوك ثم العودة إلى فتحها ، بل وفتح بنوك بأسماء جديدة لم تكن موجودة من قبل ، وما أكثر ما عانينا من تجارب ثبت فسادها فى عدة مجالات .

---

(١) البحث عن الذات ص ١٩٣

الاتحاد القومى

الاتحاد القومى هيئة سياسية شعبية قامت بمصر على أنقاض هيئة التحرير التى سبق الكلام عنها ، وقد ورد النص فى دستور سنة ١٩٥٦ على أن هذا الاتحاد يعمل على تحقيق الأهداف التى قامت من أجلها ثورة ١٩٥٢ ، ثم أعيد هذا النص فى دستور الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٨ ، ومن أبرز مانص عليه دستور الاتحاد القومى أن يتولى رئيس الجمهورية رياسة هذا الاتحاد ، ومن هنا كان الفشل الذى صاحب هذه المؤسسة لأنها بدل أن تبدأ من القاع بدأت من القمة ، فعبد الناصر كان حريصاً على الرياستين جميعاً ، فوضع بذلك نهاية المؤسسات الشعبية التى ابتكرها ، لأن الحاكم إذا استطاع أن يصل إلى الحكم بالقوة ، فإنه لايستطيع أن يجمع بالقوة قلوب الناس حوله ، ومن هنا كانت المؤسسات الحزبية الحقيقية تبدأ من حركة جماهيرية ، وتختار رئيسها بمعرفتها .

وفكرة الاتحاد القومى استوردها عبد الناصر من البرتغال حيث كان سالازار الدكتاتور الذى حكم البرتغال ٣٤ عاماً حكماً مطلقاً ، معتمداً على تنظيمه (الاتحاد القومى) ، وقد أرسل على صبرى لدراسة التنظيمات هناك ، وعاد ليطبقه عبد الناصر فى مصر ، ولم يكن الاتحاد القومى تنظيماً مستقلاً عن الدولة ، إذ كانت نفقاته من الخزانة العامة ، ولم يكن مفتوحاً للجميع ، إذ منع من دخوله الشيوعيون والإخوان المسلمون ، والكثيرون من أتباع الأحزاب التى كانت موجودة قبل الثورة ، واتجه عبد الناصر بالاتحاد القومى اتجاهاً يجعله حركة بين يديه وحده لا يشاركه فى إدارته غيره(١) .

وقد أعلن قيام الاتحاد القومى فى ٢٨ مايو سنة ١٩٥٧ ، وتولى

---

(١) أحمد حمروش : مجتمع جمال عبد الناصر ص ١٥٨ – ١٥٩ .

أنور السادات منصب السكرتير العام له . ثم أصدر جمال عبد الناصر قرارا بتعين كمال الدين حسين مشرفاً عاماً يمارس أعمال السكرتير العام ، وقد وقف هذا فى مؤتمر الاتحاد القومى ليعلن قوله « اشتراكيتنا اشتراكية تمليك، وليست اشتراكية مصادرة » ، وكانت كلمة الاشتراكية جديدة على القاموس السياسى بمصر ، برزت به بعد مؤتمر باندونج كما ذكرنا من قبل . ولذلك لم يعترض عليها جمال عبد الناصر ، ولكنه اعترض على وصفها بأنها اشتراكية تمليك لا مصادرة ، وعاتب كمال الدين حسين قائلاً : إننا لا نعرف ظروف المستقبل . وما قد تدفعنا إليه هذه الظروف لتطبيق قد يقتضى المصادرة [1] » .

وعجز الاتحاد القومى عن أن يملأ الفراغ السياسى فى مصر وفى سوريا، وارتبطت ببعض القائمين عليه ألوان من الانحرافات ، وصور من الاستغلال، فزاد انفضاض الجماهير عنه ، وبخاصة أن العسكريين كان لهم السلطان الأكبر عليه وعلى قياداته ، وكان الشعب دائماً يحس بفجوة واسعة بينه وبين العسكريين ، فهو قد يخضع لهم تحت تأثير القوة ، ولكنه لا يتعاون معهم ، ويوماً بعد يوم أصبح الاتحاد القومى جسداً بدون روح ، وأصبح من المحتم أن يلاقى نفس المصير الذى لاقته هيئة التحرير من قبل ، إنهما هيكل واحد بأسماء مختلفة ، ولا يُجدى تعدد الأسماء إذا كان الهيكل مريضاً لا أمل فيه .

---

(١) مجتمع جمال عبد الناصر ص ١٥٥

أول برلمان للثورة

نتحدث هنا عن أول برلمان للثورة ، وفى حوادث سنة ١٩٦٠ سنتحدث عن البرلمان الثانى للثورة ، ويقول الأستاذ سامى جوهر متهكماً بديمقراطية عبد الناصر ما يلى : صدر الدستور عام ١٩٥٦ ليعود الحكم إلى الشعب ، وقيل إن الشعب سينتخب ممثليه فى أول مجلس للأمة بعد قيام الثورة ، ليكون هذا المجلس مسئولاً عن حماية الشعب ، وستكون الانتخابات حرة مائة فى المائة ؛ وسيستطيع كل مواطن أن يدلى بصوته دون خوف أو إرهاب ، فقد حررت الثورة الفلاح من الإقطاع ، فأصبح صوته حراً يعطيه لمن يشاء ، ورفعت الثورة مستوى معيشة الفرد فأصبح ليس فى حاجة لأن يبيع صوته لمن يدفع الثمن .

تلك كانت الآمال العريضة التى سمع الشعب عنها ، فلما جاء وقت تحقيقها ظهر أنها هباء فى هباء[1] .

وكانت انتخابات مجلس الشعب قد تأجلت بسبب حركة تأميم القناة وما تسبب عن ذلك من حرب وعدوان ، فلما جلا المعتدون عن مصر ، واحتفلت مصر بما سموه « عيد النصر » بدأ الاستعداد لانتخاب مجلس الأمة ، وقد خُدِع كثير من المواطنين بعبارات الحرية التى سبق الكلام عنها ، فتقدموا لترشيح أنفسهم ، ولكن الثورة سرعان ما أسفرت عن نياتها تجاه هذه الانتخابات ، فاستباحت لنفسها إبعاد العناصر التى تريدها الأمة ويُقبِل عليها الناخب المصرى ، وذلك بالاعتراض على ترشيح هؤلاء ، وكذلك بإغلاق بعض الدوائر على الضباط الأحرار ، وكان هذا دليل فشل الثورة ، فلو أنها كانت ثورة ناجحة لاستطاعت خلال السنوات الخمس التى انفردت

---

(١) سامى جوهر : الصامتون يتكلمون ص ٢٩ - ٣٠

فيها بالسلطة أن تجمع حولها الشعب ، ولكنها بدلاً من ذلك نفّرت الناس وأبعدتهم عن رحابها ، ويذكر أنور السادات تدخل الثورة فى الانتخابات بقوله : راعينا فى انتخابات مجلس الأمة شيئين ، أولها حق اعتراض مجلس الثورة على الترشيح . وفعلاً بعد أن تمت الترشيحات اعترضنا على أعداد كبيرة ، أما الإجراء الثانى فكان إغلاق بعض الدوائر على الضباط الأحرار الذين تركوا الجيش وخرجوا إلى الحياة السياسية والمدنية ، وفعلاً أغلقنا ستين دائرة(١) .

ويزيد مجدى حسنين هذا الموضوع وضوحاً ، فقد سأله الأستاذ أحمد حروش السؤال التالى :

هل تدخلت الثورة فى تشكيل مجلس الأمة عام ١٩٥٧ ؟

ويجيب مجدى حسنين بقوله : نعم تدخلت الثورة ،فقدكانت هناك لجنة سرية لتحديد أسماء الأعضاء الذين تسمح ببقائهم كمرشحين بناء على لائحة الاتحاد القومى ،تلك اللائحة التى تـقرر أن الاتحاد هو الذى يرشح لمجلس الأمة ، وكانت اللجنة السرية مشكلة تحت إشراف زكريا محيى الدين،وكانت مكونة منّى ومن على صبرى وأحمد طعيمة ، وإبراهيم الطحاوى ، وصلاح دسوقى وكمال الحناوى وعباس رضوان ومصطفى المستكاوى ، وهى التى قدمت اقتراحات الاعتراض على بعض الأسماء ، وأخلت الدوائر لمرشحين محدّدين ، وفرضت على بعض الضباط أن يرشحوا أنفسهم(٢) .

والعجيب أن هذا التدخل كان يجيزه الدستور المريض الذى أعلن سنة ١٩٥٦ إذ نصت المادة ١٩٢ منه على أن يتولى الاتحاد القومى الترشيح لعضوية مجلس الأمة .

---

(١) البحث عن الذات ص ١٩٥

(٢) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ٣٦٥

وجاء مجلس الأمة على نسق لا يربط بين أعضائه رباط سياسى ، ولم تكن هناك وحدة فكر متوافرة بين الأعضاء ، ثم جاء دور اختيار رئيس المجلس ، وكان عبد الناصر قد طلب من أنور السادات أن يستعد لرئاسة المجلس ، ولكنه قبل بدء المجلس بيوم واحد رشح عبد اللطيف البغدادى لهذا المنصب ، ويقول أنور السادات إنه لم يدرك السبب الذى جعل عبد الناصر يغير رأيه ، وإن كان تغيير عبد الناصر لرأيه شيئاً كان متوقعاً دائماً ، واعتقادى أن ارتباط عبد الناصر بعبد اللطيف البغدادى زاد زيادة كبيرة خلال هزيمة ١٩٥٦ ، فقد رافق البغدادى عبد الناصر فى كثير من ليالى هذه المحنة ، وبات معه فى حجرة واحدة أكثر من مرة ، وأشفق عليه وهو يعانى الانهيار ، مما جعل عبد الناصر يقول له — كما ذكرنا من قبل — لم أعرفك على حقيقتك إلا الآن ، ومن أجل هذا أراد عبد الناصر أن يكافئ البغدادى على هذا التصرف ، وعلى كل حال فإننا نثبت هنا أن عبد الناصر ، وليس مجلس الأمة ، هو الذى اختار رئيس مجلس الأمة ، وهذا يساعدنا على فهم الموضوع التالى :

عبد الناصر هو البرلمان :

إن الذى يطالع الباب الأول من الجزء الثانى من مذكرات عبد اللطيف البغدادى يدرك أن عبد الناصر كان هو وحده البرلمان ، فهو الذى يختار أعضاءه باسم الاتحاد القومى ، وهو الذى يختار رئيسه ، وهو الذى يسير الأمور فيه ، ويورد البغدادى قضية مجدى حسنين الذى أساء سلطاته فى مديرية التحرير ، والذى عين أربعة من أعضاء مجلس الأمة موظفين عنده بالمديرية ، مع أن القانون يمنع الجمع بين عضوية مجلس الأمة وبين الوظائف بالدولة ، وهؤلاء هم : الدكتور محمود القاضى ، وإسماعيل نجم ، وأحمد أبو عوف ، وحيرم الغمراوى ، وقد إثار أعضاء مجلس الأمة لذلك ، وشبهوا الصلة بين مجدى حسنين وبين هؤلاء الأعضاء كالصلة بين الراشى والمرتشى ، وضرورة محاسبة كليهما باعتبار أن مجدى هو الراشى بغرض دفع هؤلاء الأعضاء إلى الدفاع عن موضوع مديرية التحرير بالمجلس .

ويقول البغدادى إنه لما رأى ثورة الأعضاء على مجدى وموظفيه ، واتجاههم إلى إسقاط العضوية عنهم اتصل بجمال عبد الناصر وأبلغه اتجاه المجلس ، فوافق جمال على هذا الاتجاه ، وضرورة التخلص من هؤلاء الأعضاء ومن مجدى أيضاً ، لأنه على حد قوله قد أثر عليه الشيوعيون ، وأصبح ينفذ سياستهم . وكان ذلك فى يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٧ ، ولكن فى يوم ٤ نوفمبر اتصل عبد الناصر بالبغدادى ، وأبلغه أن مجدى حسنين ذهب إليه وأخذ يبكى ويقول : لماذا تعمل هذا فىَّ ؟ لماذا تقتلنى ؟ كما أبلغه أن زوجته ووالده فى حالة انهيار عصبى ، ولما رأى جمال ذلك قام بالاتصال بهما وطمأنهما ، ولهذا فإنه (جمال عبد الناصر) يطلب من البغدادى إسقاط عضوية الأعضاء الآخرين دون إسقاط عضوية مجدى حسنين ، وأجاب البغدادى بأن الأمر للمجلس يفعل ما يشاء .

ويبدو أن عدم استجابة البغدادى لتعليمات عبد الناصر أثارت الزعيم الذى كان يرى أن رغباته أوامر لابد من الاستجابة لها ، فالتفَّ من خلف البغدادى يستدعى بعض الأعضاء إلى منزله ويوحى للأعضاء أنه لا يريد أن يُفصل أحد ، وأن البغدادى تصرف بدون رأيه ، وأن مديرية التحرير مؤسسة خاصة ، وصوَّت المجلس ، لصـالح اتجاهات الزعيم ، وقُهر عبد اللطيف البغدادى ، وحاول أن يستقيل من رياسة المجلس ، كما استقال فعلاً كمال الدين حسين ، ولكن عبد الناصر كان يحب أن يُقيل ، ولا يرضى أن يستقيل أحد باختياره ، فرفض الاستقالة وأرضاهما مؤقتاً ، ولكنه أسرها فى نفسه ، فانتهز فرصة تكوين مجلس جديد بمناسبة الوحدة وعين أنور السادات رئيساً له .

نهاية مجلس الأمة :

كان مجلس الأمة الأول قصير العمر ، فقد انعقد فى ١٩٥٧/٧/٢٢ ، وحلَّ فى فبراير سنة ١٩٥٨ بمناسبة الوحدة كما سنرى فيما بعد ، فلم يتجاوز عمره بضعة شهور ليعود الحكم إلى الدكتاتورية الصريحة .

حديث عن مؤامرة ضد نظام الحكم

لمع فى سنة ١٩٥٧ إنسان عجيب هو محمد فؤاد الدجوى ، الذى ارتبط اسمه بمحاكمات عسكرية أكثر من عشر سنوات كان فيها القاضى الذى يعترف بأنه لا يعرف القانون ، وإنما يعمل لحماية النظام ، وأن مهمته هى أن ينطق بالحكم الذى يضعه له قصر الرئيس .

وينبغى أن نتعرف على هذا الدجوى لندرك المواهب التى رشحته ليكون القاضى الذى جلس على منصة القضاء عدة مرات ووزع أحكام الإعدام والسجن على أطيب الناس وأطهر الناس .

كان اللواء فؤاد الدجوى حاكم غزة عند العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ، وعندما دخلت القوات الإسرائيلية غزة أسرع فؤاد الدجوى فسلم المدينة للغزاة ، وكانت زوجة اللواء الدجوى عندها كيس دهن يحتاج إلى عملية بسيطة ، وكان فى غزة مستشفى مصرى به استعدادات طبية هائلة ، وأطباء مصريون مهرة ، وقد عرضوا استعدادهم لإجراء العملية الجراحية لها ، ولكن اللواء الدجوى رفض ذلك ، فلما استسلم للجيش الإسرائيلى طلب من ضابط إسرائيلى أن تجرى العملية الجراحية لزوجته فى تل أبيب ، ووجدها الإسرائيليون فرصة لهم فاستجابوا ، ونقلوا زوجة اللواء الدجوى إلى مستشفياتهم وأجروا لها العملية الجراحية ، وكافأهم اللواء الدجوى على ذلك بأن وقف أمام عدسات التليفزيون الإسرائيلى يعلن ثناءه على الجيش الإسرائيلى وعلى شجاعته ومروءته ، ويسجل شكره على ما قدمه الإسرائيليون لزوجته .

وانتهزت إسرائيل هذه الفرصة فأرسلت الفيلم إلى تليفزيونات العالم وإذاعاته ، وكان الناس يعجبون لقائد يقف هذه الوقفة المهينة ويثنى على قاتلى أهله ومحتلى أرضه ، وقد سمع جمال عبد الناصر كلمات فؤاد الدجوى

من الإذعات المختلفة ، وقرر أن الدجوى سيحاكم عقب عودته من الأسْر من إسرائيل ، وأنه سيعدم رمياً بالرصاص على هذه الخيانة .

ولكن شيئاً آخر حدث للدجوى ، فبدلاً من أن يعدم كُرِّم ، فلم يكد يعود من إسرائيل حتى اختير فى يوليو سنة ١٩٥٧ ليكون رئيساً للمحكمة العسكرية العليا التى شكلت لمحاكمة الدكتور محمد صلاح الدين وزير خارجية مصر قبل الثورة ، والأستاذ عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية فى نفس الوزارة ، ويقول الأستاذ مصطفى أمين إنه ذعر لهذا الاختيار لأنه يضع رَجَلاً خائناً جباناً فى منصب القاضى الذى يحاكم رجلين قاما بدور وطنى مشهورسنة ١٩٥١ على أثر إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ فقد حرَّضا العمال المصريين على الانسحاب من المعسكرات البريطانية ، وعينهم عبد الفتاح حسن فى وظائف بديلة ، واشتركا فى دفع قوات الفدائيين لتؤرق القوات البريطانية المحتلة ، وخاف مصطفى أمين من المقارنة التى ستَبْرُز أمام عقول الناس عندما تضع الثورة خائناً ليحاكم صفوة من المواطنين ، وكانت هناك صلة بين مصطفى أمين وعبد الناصر آنذاك أتاحت له أن يذكر له وجهة نظره تلك ؛ فوعده عبد الناصر بأنه سيفكر فى الموضوع ، ولكن مصطفى أمين فوجىء بإعلان الدجوى رئيساً لهذه المحكمة .

وقد شرح زكريا محيى الدين سبب هذا الاختيار ، فقال إن القضية ملفقة ، وأى قاض آخر سوف يحكم فيها بالبراءة ، واللواء الدجوى هو الضابط الوحيد فى الجيش الذى كان مستعداً أن يتلقى دائماً الأحكام على المتهمين ، وأن ينطق بها كالببغاء ، وكان يفخر دائماً بأنه قادر على إدانة الأبرياء .

وأصبح الدجوى بسبب هذه الموهبة قاضياً فى أية محاكمة يرى عبدالناصر أن أدلتها ضعيفة ، أو لا أساس لها .

وكان الدجوى يعتقد أن هناك ميكرفوناً بين قاعة المحكمة وبين مكتب

رئيس الجمهورية ، وقيل له أن الرئيس يستمع إلى محاكماته . ولهذا كان يتعمد أن يشتم كل محام يفضح التعذيب أو يتحدث عن الإرهاب ، ويهين المتهمين ، ويقاطع الشهود ، ويهدد بالحبس والسجن ، حتى يسمع الرئيس ما يقوله ويعتقد أن الدجوى رجل مخلص للنظام .

وكان عبد الحكيم عامر يقول : إن الدجوى لا يصلح إلا أن يكون جزاراً .

وقد اختير الدجوى لمحاكمة مصطفى أمين ، ويقول مصطفى أمين : إن هذا الاختيار وضّح لى أن جمال عبد الناصر يعتقد براءتى ، وأنه لذلك اختار الدجوى ليحاكمنى ويدينني ، فلم يكن هناك قاض آخر يستطيع إدانتى إذ لم أرتكب جريمة أعاقب عليها .

وكان الدوجى – كما ذكرنا من قبل – يفخر بأنه لا يحمل شهادة الليسانس ، وأنه لم يدرس الحقوق ولا يعرف القانون ، ولكنه فقط محل ثقة النظام وكان لا يهمه ما فى أوراق القضية ، وإنما يهمه ما يريده ولاة الأمور فيها ، وكان من رأيه أن ولى الأمر هو كل شيء ، هو الدولة والوطن والدين ، ومن يخرج عليه أو يغضبه ، فقد خرج على الدولة ، وخان الوطن ، وكفر بالله(١) .

ذلك هو الدجوى ، الرجل الحقير الذى حكم على أعظم الرجال بالإعدام والسجن ، ولكنه ليس المسئول ، وإنما المسئول مَنْ وضعه فى هذا المكان وأوحى له أو كتب له العقوبات ثم صدق عليها ونفذها .

وعندما عفا عبد الناصر عن الدجوى ولم يحاكمه لخيانته كان يدرك أنه ثروة هائلة فى مجال الباطل ، إذ كان هذا رئيساً لمحكمة عسكرية خاصة سنة

(١) مقدمة الأستاذ مصطفى أمين لكتاب محاكمات الدجوى للاستاذ شوكت التونى .

١٩٥٤ نظرت « قضية الجبهة الوطنية الديمقراطية » وكانت هذه المحكمة تحاكم مجموعة من المصريين لعدم تأييدهم اتفاقية الجلاء ، وكان الدجوى يطلب من المتهمين أن يعلنوا تأييدهم للاتفاقية ليحكم لهم بالبراءة ، فكانوا يرفضون ، ولهذا حكم عليهم بالسجن عدة سنوات (١) ، وقد شفع له هذا الموقف ، فلم يحاكمه جمال عبد الناصر وهيأه ليحاكم الأشراف في سنة ١٩٥٧ وما بعدها .

وقضية سنة ١٩٥٧ اتهم فيها عاطف نصار الملحق العسكري بالهند بالتعاون مع خمسة من المدنيين منهم الدكتور محمد صلاح الدين والأستاذ عبد الفتاح حسن وستة من ضباط الجيش بالاسكندرية ، وقد حكم الدجوى على عاطف نصار بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وحكم على الدكتور محمد صلاح الدين بالسجن ١٥ سنة ، وعلى عبد الفتاح حسن بالسجن ١٢ سنة ، وبأحكام مختلفة على الباقين .

وسنقابل الدجوى مرات أخرى وهو يقضى بالباطل ، ليرضى عبد الناصر وإن أغضب الله :

---

(١) الأهرام في ١٩٥٤/٩/٣٠

حوادث سنة ١٩٥٨

الوحدة بين مصر وسوريا

قامت الوحدة بين مصر وسوريا فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ ، وانفصمت هذه الوحدة فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦١ ، وفيما بين هذين التاريخين اتجه كل النشاط لدعم هذه الوحدة ، ولإغراء الدول العربية الأخرى لتنضم لهذا الكائن الجديد الذى سمى « الجمهورية العربية المتحدة » وقد كان واضحاً من التسمية شدة الرغبة فى أن تستقبل هذه الجمهورية دولة عربية إثر دولة ، وصُمّم عَلَمُ الجمهورية على هذا الأساس ، فقد جُعل وسطه مستطيلٌ أبيض رسمت فيه نجمتان إشارة لدولتى الوحدة وترك به فراغ كبير لمزيد من النجوم تمثل الدول المرتقبة (١) .

والعجيب أن الصحف المصرية نشرت آنذاك تعليق بن جوريون على الجمهورية الجديدة ، إذ قال : إنها ليست جمهورية ، وليست عربية ، وليست متحدة ، واندهشنا ونحن نقرأ هذا التعليق بالصحف فكيف أجاز الرقيب هذا التعليق ؟

ويكاد يدور تاريخ عبد الناصر طيلة هذه السنوات الثلاث فى فلك هذه الوحدة وفى أطماع التوسع ، وسُخِّرت موارد مصر بل وديونها لهذا الغرض ، وأهمل تماماً كل إصلاح بها ، ويلاحظ أن أمور الوحدة خلال هذه السنوات كانت تدور بعيداً عن المصريين ، فلم نكن نعرف ما يتم فى سوريا من حركات وقلق ، ومن أجل هذا يتجه المؤرخون إلى أن تاريخ هذه السنوات تاريخ غامض ، وسيتضح لنا بعد قليل إن هذه الوحدة ولدت ولادة غير صحيحة ، فكانت بذلك مولوداً عليلاً ، وظلت الوحدة تعانى العلة والآلام حتى ماتت : ولنبدأ القصة من أولها :

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٤٥

جهل عبد الناصر بشئون العرب :

يعترف محمد حسنين هيكل أن معرفة عبد الناصر بأوضاع الدول العربية كانت قليلة ، وأن الأوضاع المصرية شغلته ، ولما بدأ يطل على العالم العربى بعد مقاومة حلف بغداد ، كانت إطلالته متواضعة ، ومن هنا كانت الصورة الحقيقية عن الأوضاع الداخلية فى سوريا لم تكن واضحة بالنسبة إليه [1] :

وسوريا بوجه خاص لغز صعب من ناحية تركيب المجتمع السورى ، وقد اقتبست فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة فقرات من دراسة قام بها عالم سورى عن « تركيب المجتمع السورى » ذكر فيها أن سوريا من ناحية الجنس تتكون من عرب وأكراد وجركس وتركمان وأرمن وسوريان وكلدان وآشوريين

ومن ناحية اللغة توجد لغة لكل جنس من هذه الأجناس ، وقد تعرف اللغة العربية بجانبها ، ولكنها شبه رطانة غالباً ؛ ولغته الأصيلة عنده هى اللغة القومية ؛ ولبعضهم صحافة خاصة كالأرمن .

ومن ناحية الأديان والمذاهب نجد فى سوريا عدداً كبيراً منها له أثر عميق فى المجتمع ، والتوزيع الطائفى حسب إحصائية ١٩٥٦ يدل على أن المسلمين هناك ينقسمون إلى سنيين وعلويين (فرقة يكثر فيها الغلو فى التشيع وتنتشر الخرافات) وإسماعيليين وجعفريين ودروز ، وأن المسيحيين فيهم الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت بالإضافة إلى الكلدان والنسطوريين ، وفيها كذلك عدد من اليهود وعدد من اليزيدية الذين يقدسون الشيطان .

وأقاليم سوريا تكاد كل منها تمتاز باتجاه استقلالى ، فدمشق لها اتجاه فكرى ، ولحلب اتجاه فكرى آخر ، ومثل ذلك يقال عن اللاذقية ،

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٣٧

وقد تعمقت الفروق بين هذه الأقاليم لأن التاريخ شهد بعضها وهو يتبع دولة غير الدولة التى يتبعها إقليم آخر ، كما أن المسافات الشاسعة التى تفصل بين حلب ودمشق مثلاً تؤثر على العلاقات بين البلدين .

ولو كان عبد الناصر يعرف هذه المشكلات فى سوريا ما أقدم بسهولة على الوحدة معها ، فسوريا محتاجة إلى وحدة داخلية قبل أن تتحد مع غيرها من الدول العربية ، وليتها تستطيع أن تصل إلى هذه الوحدة الداخلية .

القلق فى سوريا :

تعرضت سوريا لاضطرابات شبه متصلة منذ استقلالها عقب الحرب العالمية الثانية فقد قامت بها عدة انقلابات عسكرية ، بدأت بانقلاب حسنى الزعيم فى مارس سنة ١٩٤٦ ثم انقلاب سامى الحناوى فى أغسطس من نفس العام ، فانقلاب أديب الشيشيكلى فى ديسمبر من نفس العام أيضاً ، وقد طال عهد الشيشيكلى بعض الشىء حتى سنة ١٩٥٤ وأخيراً ثار عليه الجيش فغادر البلاد ، وظهر نوع من الديمقراطية انتخب فيه شكرى القوتلى رئيساً للجمهورية سنة ١٩٥٥ .

وتعرضت سوريا — بجانب هذا الاضطراب الداخلى — إلى هجوم إسرائيلى على بعض مواقعها ، فاتجه قادة البلاد إلى شراء الأسلحة من المعسكر الشرقى مقلدين اتجاه مصر ، وفتح هذا الباب مشكلات جديدة على سوريا ، فاعتقدت أمريكا وحلفاؤها أن سوريا متجهة للشيوعية ، فتعرضت سوريا بذلك إلى ضغط تركيا والعراق ، وغضب عبد الناصر لذلك فأرسل إلى سوريا فى أغسطس سنة ١٩٥٧ وحدات عسكرية نزلت فجأة بميناء اللاذقية ليرد عن سوريا أى عدوان ، وكان للتحرك المصرى نتائجه ، فانسحبت القوات التركية من الأماكن التى كانت تعسكر بها على الحدود مع سوريا ، وغمرت السوريين موجة فرح بتدخل مصر السريع لصالح بلادهم ، وبدأ فى الجو أن أمن سوريا الداخلى والخارجى مرتبط بمصر .

الاتصالات وقيام الوحدة :

فى نوفمبر سنة ١٩٥٧ زار وفد برلمانى مصرى سوريا ، واستقبل هناك استقبالاً شعبياً هائلاً وكان برأسه أنور السادات وكيل مجلس الأمة آنذاك ، وقد عقد الوفد المصرى جلسة مشتركة مع النواب السوريين فى مبنى البرلمان ، وأصدر المجتمعون بياناً مشتركاً دعيا فيه إلى قيام اتحاد بين مصر وسوريا ، وسرعان ما استجاب البرلمان المصرى لهذه الرغبة ، فأصدر بالتالى بياناً يؤيد هذا الإتجاه .

واتجه العسكريون بسوريا نفس الاتجاه . فقد وَفَدَ وَفْدٌ عسكرى سورى إلى مصر فى يناير سنة ١٩٥٨ ، وقابلوا عبد الحكيم عامر ، وأبلغوه قرارهم بضرورة قيام وحدة بين مصر وسوريا ، وقد اضطرت الحكومة السورية إلى الخضوع إلى الاتجاه العسكرى الذى كان صارماً وحاسماً ، وتقول كل المصادر الرسمية إن عبد الناصر كان يريد اتحاداً فيدرالياً وليس وحدة اندماجية ، وأن عفيف البزرى رئيس الأركان السورى طالب بالوحدة الاندماجية وهو يعلم أن عبد الناصر لا يريدها ، وكان يرمى بذلك إلى أن يرفضها عبد الناصر فيتخذ البزرى ذلك حجة ضد عبد الناصر ، وأدرك عبد الناصر ذلك ، فقبل الوحدة الاندماجية دون إيمان بها ، ومع المعرفة الكاملة بصعوبتها ومشكلاتها(١) .

وكلمات هيكل هى : قبل عبد الناصر الوحدة ، وهو مقتنع بأنه مقدم على مغامرة ، قبلها وهو منتبه لمصاعبها .

وكلمات أنور السادات هى : حاول عبد الناصر أن يثنى الوفد السورى عن عزمه ، إذ لا يمكن أن تتم الوحدة فجأة وبدون تمهيد ، وبخاصة أن البلدين مختلفان فى أوجه كثيرة . . . ولكنه فى النهاية وافق عليها كارهاً (٢) .

---

(١) محمد حسنين هيكل : بصراحة عن عبد الناصر ص ١٣٩

(٢) أنور السادات : البحث عن الذات ص ١٩٨

وكلمات البغدادى هى : لما علم جمال باتجاه عفيف البزرى أراد أن يفوّت على الشيوعيين غرضهم ، فقام بتغيير اتجاهه،وأعلن موافقته على قيام الوحدة الاندماجية ، وفوجئ البزرى بذلك فتراجع ، واقترح أن يُكتفى باتحاد فيدرالى إلى حين ، ولكن جمال أصر على رأيه بقيام الوحدة الاندماجية(١) .

وتعليقنا على ذلك أن من الخطأ الكبير ،ومن الخيانة أن ينساق رئيس خلف العناد إلى ما يعتقد فساده ، ولم تجن مصر من هذه المغامرة التى قام بها عبد الناصر إلا الخسارة الهائلة كما سنرى فيما بعد .

ويذكر أمين هويدى أن المستشارين المصريين قدموا لعبد الناصر تقريراً ضد إتمام الوحدة بعد جس نبض الموقف فى كافة أنحاء سوريا،وعلى مختلف المستويات ، ولكن عبد الناصر لم يهتم بهذا التقرير(٢) .

وقد حذّر الملك فيصل ، وكان آنذاك ولياً للعهد،حذّر من قيام الوحدة، وذكر لأنور السادات أن سوريا عشائر ، وأن الوحدة لن تستمر ، وأنها ستكون ضربة لمصر(٣) ، ولكن كل ذلك لم يجدْ اهتماما من عبد الناصر .

إعلان الوحدة :

أُعلن أول بيان عن الوحدة فى أول فبراير سنة ١٩٥٨ ثم أجرى استفتاء على الوحدة وعلى رياسة جمال عبد الناصر للجمهورية الجديدة ، فجاءت النتيجة على النمط الذى فرضه عبد الناصر فى استفتاءات عصره ، وعقب الاستفتاء أعلنت الوحدة يوم ٢٢ فبراير ، وهكذا تمت الوحدة فى عجلة شديدة ، وبدأ بذلك عهد من المتاعب كان يدور فى الخفاء عن جماهير مصر

---

(١) مذكرات البغدادى ج ٢ ، ص ٣٦
(٢) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ٨٨
(٣) البحث عن الذات ص ١٩٨

وسوريا ، بالضبط كأحداث السودان التى أبعدت المواطن السودانى عن مصر دون أن يعرف المصريون ما كان يجرى .

وأطلق على دولة الوحدة « الجمهورية العربية المتحدة» وأصبحت مصر تسمى « الإقليم الجنوبى » وفقدت اسمها الحبيب « مصر » الذى ملأ الدنيا ؛ ورعى الحضارة وهى فى مهدها ؛ وَشرُفَ بأن ورد ذكره فى القرآن الكريم عدة مرات .

عبد الناصر تلميذ البعث :

من العجيب أن يصبح عبد الناصر تلميذاً لحزب البعث ، ينفِّذ اتجاهاته ويدور فى فلكه تماماً أو بتغيير بسيط لا يخفى حقيقة التبعية ، وهذه القضية مقتبسة من هيكل نفسه الذى يقول : طرح حزب البعث فكرة الوحدة فجاء عبد الناصر وطبقها ، ووضع حزب البعث شعاره (الوحدة والحرية والاشتراكية) وجاء عبد الناصر فتبنى هذا الشعار وكل ما عمله فيه إعادة ترتيبه فأصبح (حرية – اشتراكية – وحدة) واقترح حزب البعث صيغة التنظيم الواحد الذى يجرى الحوار داخله ، وأسماه تحالف قوى الشعب ، فالتقط عبد الناصر هذه الفكرة ، وأصبح تنظيمه يسمى تحالف قوى الشعب العاملة ، وكان حزب البعث قد طرح الاشتراكية ، ولكنه لم يطبقها ، وجاء عبد الناصر فطبقها عن طريق إقامة القطاع العام الذى صادر به كثيراً من ممتلكات الأفراد(١).

بعد قيام الوحدة :

لقد كان قيام الوحدة يعتبر بمثابة بدء دوامة من الصراع فى الداخل والخارج ، فقد تعرضت هذه الوحدة لهجوم من معظم البلاد العربية ، إذ بدأ الخوف يتزايد خشية أن يقضى عبد الناصر على العناصر الحاكمة فى البلاد

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر : ١٥٤ – ١٥٥

الأخرى؛ فاتجهت السعودية والعراق والأردن ولبنان إلى مناهضة هذه الوحدة بكل الوسائل ، ووصل الأمر إلى أن يخصِّص الملك سعود مليونين من الجنيهات حتى لا تنجح هذه الوحدة، ولكن أقسى ماعانته الوحدة كان نابعاً من الداخل ، والمادة العلمية وفيرة جداً فى هذا المجال ، ولكنا نلتقط لقطات قصيرة تشرح هذا الموضـــوع ، وسنحاول توزيع هذه اللقطات مع تواريخها على أعوام الوحدة .

— تكونت أول وزارة للوحدة فى ٦ مارس ١٩٥٨ وضمت أربعة نواب لرئيس الجمهورية اثنان مصريان هما البغدادى وعامر ، واثنان سوريان هما أكرم الحورانى وصبرى العسلى وكان عدد الوزراء ٣٤ منهم ١٤ سورياً ، ويلاحظ فى هذه الوزارة أن العسكريين السوريين قد وجدوا طريقهم إلى الوزارة ، وهو الاتجاه الذى كان موجوداً بمصر قبل ذلك ، وهو كذلك الاتجاه الذى يجلب الفشل دائماً ، ويقول أحمد حمروش . إن الموقف فى سوريا أصبح امتداداً للموقف فى مصر ، فاختير العسكريون لممارسة أعمال سياسية وإدارية ليسوا مؤهلين لها[1] ومن أجل هذا كانت هذه الوزارة قصيرة العمر ، وتعدلت فى ٧ أكتوبر من نفس العام مشتملة على ثلاثة نواب لرئيس الجمهورية بإبعاد صبرى العسلى الذى اتهم بتقاضى أموال من مصدر غير سليم ، وضمَّت هذه الوزارة ثلاث وزارات هى :

١ — الحكومة المركزية فى القاهرة وعدد أعضائها ٢٤ عضواً من بينهم ١٢ ضابطاً .

٢ — المجلس التنفيذى فى مصر وعدد وزرائه ١٥ وزيراً منهم خمسة ضباط .

٣ — المجلس التنفيذى فى سوريا وعدد وزرائه ١٤ وزيراً منهم ستة ضباط.

ويلاحظ الاتجاه الخطير لكثرة الوزراء مما لا يعرفه أى قطر من الأقطار ، فإذا أضيف لهؤلاء نواب الوزراء ، ووكلاء الوزارات ، أوشك أن يوجد فى كل بيت واحد من هؤلاء .

---

(١) عبد الناصر والعرب ص ٥٩

ثم أعيد تشكيل الوزارة مرة أخرى فى ٦ أغسطس سنة ١٩٦١ فأصبح هناك سبعة نواب لرئيس الجمهورية من بينهم عبد الحميد السراج الذى استدعى من دمشق ليشغل منصبه بالقاهرة، أو بلغةٍ أوضح لِيُبْتَعد عن سوريا وكانت العناصر العسكرية واضحة فى هــذه الوزارة ، مما أدى إلى فشلها أيضاً .

— حاول فتحى رضوان أن يعتذر عن عدم دخول وزارة الوحدة ولكن المشير عامر أطلق ضحكة عالية وقال له : لقد اخترناك حتى (تعكنن) على صلاح البيطار ، ومن الذى يعكنن عليه سواك(١) ؟

— اتجه جمال عبد الناصر فى سوريا الاتجاه الذى عاشه فى مصر ، فأصدر نشرة إثر نشرة يفصل بها بعض الضباط السوريين ، وكان تسريحهم بدوافع من اتجاهات الوزراء القريبين من عبد الناصر ، فحزب البعث كان يتجه للتخلص من الضباط غير البعثيين ، وقد اتجه مصطفى حمدون بوجه خاص إلى تقسيم الضباط إلى بعثيين وشيوعيين وإخوان مسلمين وشوام (دمشقيين) وحلبيين وعلويين ، ولم يكن تسريح الضباط فى سوريا باليسر الذى كان به فى مصر لانتماء الضباط إلى أقاليم وعشائر وهيئات كانت تعد نفسها مسئولة عن ضباطها وممثليها .

— عفيف البزرى الذى كان قائداً للجيش السورى أصدر نشرة بحركة تنقلات فاعترض عليها المشير ، وحصل صدام انتهى بخروج البزرى من سوريا واتجاهه إلى العراق .

— اتجهت سياسة عبد الناصر إلى اعتقالات بعض السوريين على النمط الذى كان يتبعه فى مصر ، ولم يكن ذلك فى سوريا باليسر الذى كان به فى مصر

— أصدر عبد الناصر قراراً بحل الأحزاب فى سوريا امتداداً لسياسته التى

---

(١) فتحى رضوان ؛ أسرار حكومة يوليو ص ٢١

اتبعها فى مصر ، ولكن حل الأحزاب هناك كان عملاً قاسياً على الشعب السورى .

-- كان عبد الحميد السراج فى سوريا عدواً للبعثيين ، وله سلطات واسعة باشرها باستبداد عنيد ، حتى أطلقوا عليه « السلطان عبد الحميد » ، تشبيهاً بالسلطان عبد الحميد العثمانى الذى عرف باستبداده وقسوته . ويحكى أحمد حمروش إحدى تصرفاته الوحشية ، فيذكر أن بعض رجاله قتلوا رجلا شيوعياً اسمه فرج الله الحلو ، ثم أخرجوه من قبره ، وأذابوا جثته فى حامض حتى لا يبقى له أثر (١) .

وبعد ، فتلك هى أعظم الملامح التى عرفها عام ١٩٥٨ والتى لعبت دورها فى التأثير على هذا الكائن الهزيل ، وسنعود لعرض ملامح أخرى فى الأعوام التالية

حديث عن مؤامرة ضد النظام

شهد عام ١٩٥٨ حدثاً ليس مرتبطاً بالوحدة مع سوريا ، وهذا الحدث هو اتهام ضابط سابق اسمه حسين خيرى بأنه اتصل بأحد ضباط الطيران واسمه عصام خليل ، وقدم له مبالغ كبيرة ليقوم بثورة على الحكم ، واتهم فى هذه القضية مرتضى المراغى وآخرون ، وقد ألفت محكمة عسكرية لمحاكمة هؤلاء وأصدرت هذه المحكمة حكمها فى ٢٨ إبريل سنة ١٩٥٨ وهو يقضى بالأشغال الشاقة المؤيدة على مرتضى المراغى وحسين خيرى ، والأشغال الشاقة مدة ١٥ سنة على محمود ناموق :

---

(١) عبد الناصر والعرب : ص ٧٣

حوادث سنة ١٩٥٩

مشكلات الوحدة

يكاد يكون هذا العام كسابقة حافلاً بالأحداث التى ترتبط بالوحدة بين مصر وسوريا ، تلك الأحداث التى غطت على كل شىء وسلبت نشاط الزعيم ونشاط رجاله .

ومن هذه الأحداث تبرز المشكلات الآتية :

- حصلت سوريا على مميزات تجارية لم تحصل عليها مصر ، فقد أعطيت تسهيلات كبيرة للسوريين ليعملوا بمصر ، وانتهز التجار السوريون فرصة إلغاء الجمارك فغزوا أسواق القاهرة وقد وصل الأمر فى ذلك إلى أن اشتكى أصحاب المصانع المصريون مطالبين بتكافؤ الفرص فى التعامل بأن يحصلوا على التسهيلات الممنوحة للسوريين . وبينما غزا السوريون القاهرة ببضائعهم نجد السوريين يشكون للمشير عبد الحكيم عامر وجود بعض المصريين الذين يزاولون بعض التجارات على أرصفة الشوارع بدمشق ، وقد استجاب عامر لرغبة هؤلاء ، وألقى القبض على المصريين فى سوريا وشحنهم إلى القاهرة .

- كان من سوء الحظ أن الطبيعة حاربت الوحدة ، فانقطع المطر أكثر سنوات الوحدة ، فلم تخصب الأرض ، ولم ينبت الحب ، وكان السوريون قد تعودوا من عبد الناصر أن يلبى كل رغباتهم ، وكان الزعيم يسرع بالاستجابة لهم حتى توقفت المشروعات بمصر ، ونشطت المشروعات بسوريا ، وقد طلب السوريون شيئاً عجز عبد الناصر عن الاستجابة له ، إذ قالوا له : نريد المطر ياجمال ويحكى شاهد عيان(1) أن عبد الناصر تنهد تنهيدة طويلة ، وقال : حتى الطبيعة ذاتها تحاربنا ؟ تحارب الوحدة ، وهل بيدى أن أسقط المطر ؟

---

(1) زهير الشايب : مقال فى مجلة أكتوبر عدد ١١٢ (١٩٧٨/١٢/١٧)

ويضيف شاهد العيان قائلاً : لقد طالبوا الرجل بما يريدون فأبرأوا بذلك ذمتهم ، ولكنه لم يستجب لهم ، وهذا عندهم تقصير كبير ، واتجهت الوحدة بذلك لتعانى من حشرجة الموت ، فإن الذين فرضوها بدأوا يملّونها ، وبدت الوحدة وقد استنفدت أغراضها .

- حدثت حركة انتقالات بين الضباط بالجيش انتُدب فيها عدد من الضباط المصريين للعمل بسوريا ، ولكن اتضح ان الانتداب لم يكن يهتم بالكفاءات ولكنه اتجه لأن يكون مساعدة مالية لبعض الضباط ، وقد شرح أحمد كامل ذلك ، فذكر أن الرائد المصرى بسوريا كان يأخذ ١٥٠٠ ليرة شهرياً ، والرائد السورى بمصر كان يتقاضى ٢٠٠ جنيه ، وذلك مرتب كبير كلّف الميزانيات شططاً ولم يتجه لكفاءات يُستفاد منها ، ووُضعت علامات خاصة على سيارات الضباط المصريين مما جعل حركتهم مرصودة من المجتمع .

- عُيِّن المشير عامر حاكماً لسوريا فى أكتوبر سنة ١٩٥٩ ويصفه أحمد حمروش فى منصبه هذا فيقول : إنه لم يكن عسكرياً من الطراز القادر على إحداث تغييرٍ ثورى فى صفوف الجيش ، وقد أحاط نفسه بعدد من الضباط الذين استمرأوا الفساد فوغلوا فى الأموال العامة بلا حساب ، وانجرفوا فى الحياة الناعمة اللاهية التى يسهل توافرها فى سوريا(١) .

- من أعمال على شفيق الضابط الحظى لدى المشير أن كل شىء كان متوافراً عنده من لهو ومتع ومن عربات تنقل كل شىء مطلوب وغير مطلوب من بيروت . . . ومن طائرات حربية تحمل شحنات خاصة من الثلاجات والسخانات وغيرها إلى حيث يريد . . .(٢)

---

(١) عبد الناصر والعرب ص ٦٦ ، ٦٧

(٢) المرجع السابق ص ٨٠

— ويتحدث البغدادى عن انتشار الخوف وعدم الأمان بسوريا ، وأن الناس هناك كانوا يعيشون فى قلق ، ويذكر أن تذمراً انتشر فى الجيش السورى(١) .

ـ كان عبد الناصر قد أصدر فى سبتمبر سنة ١٩٥٨ قانوناً للإصلاح الزراعى ليطبق فيما يسمى « الإقليم الشمالى » وكان هذا القانون كبير الشبه بقانون الإصلاح الزراعى الذى طبق بالإقليم الجنوبى من سنة ١٩٥٢ ولم يلاحظ عبد الناصر اختلاف الأوضاع والظروف الزراعية بين الإقليمين ، وصمم على ضرورة ألا تكون هناك تفرقة فى المعاملة ، ويقول البغدادى إنه لاحظ التذمر من هذا القانون الذى كان يؤذى العائلات الكبيرة ، ولايفيد أحداً ، وعندما ظهر تذمر من هذا القانون سنة ١٩٥٩ قابله السراج بقسوة واعتقل عدداً من أفراد الأسر الكبيرة(٢).

• • •

هذه بعض مشكلات الوحدة التى ظهرت عام ١٩٥٩ ، وسنواصل عرض مشكلات أخرى عندما نعرض أحداث سنة ١٩٦٠ .

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٥٩ ، ٦١

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ج ٢ ص ٥٧ — ٥٩

وقفة بين الخمسينات والستينات

نحن الآن نطوى عام ١٩٥٩ونوشك أن نبدأ حديثاً عن ما يسمى الستينات ، وللرئيس أنور السادات دراسة مقارنة عن الخمسينات والستينات نقتبسها فيما يلى ثم نعلق عليها :

يقول فى حديث له نشر بصحيفة الأخبار يوم ١٩٧٧/٧/٢٦ ما يلى :

ازدهار الثورة هو الخمسينات بأكملها ، وانحسار الثورة هو الستينات بأكملها ، ولم يكن انحسارا فقط ، بل انحسار ، وهزائم ، ومرارة ، وألم ، وتمزق ، وعصف بكيان المواطن ، وإهدار لكرامة الإنسان . . . . لقد كانت ثورة ٢٣ يوليو عملاقة فى انتصاراتها وإنجازاتها ، وعملاقة فى انحرافاتها وأخطائها للأسف .

ويعود أنور السادات لتكرار نفس الكلمات تقريباً فى كتابه البحث عن الذات فيقول : بإنتهاء الخمسينات ودخول الستينات بدأت الثورة فترة المعاناة والآلام والهزائم والنكبات والأخطاء البشعة من جانبنا . . . وكما أقول دائماً : كما كانت ثورة ٢٣ يوليو عملاقة فى إنجازاتها فى الخمسينات ، فإنها كانت عملاقة فى أخطائها فى الستينات[1] .

ولسنا نرى وصفاً لهذه الثورة والنكبات التى نزلت بالبلاد بسببها أدق من هذا الوصف فيما يتعلق بالستينات ، لأن أنور السادات وضع أشنع الأوصاف لهذه الثورة حينما قال : انحسار ، وهزائم ، ومرارة ، وألم ، وتمزق ، وعصف بكيان المواطن ، وإهدار لكرامة الإنسان ، ولا يوجد

---

(١) البحث عن الذات ص ٢٠٢

وصف أبشع لثورة من هذه الأوصاف التى يسردها أحد أبنائها ، فإذا عدنا إلى الخمسينات نتحسس أمجاد الثورة ، فإننا نرى أنور السادات لا يذكر من هذه الأمجاد إلا تأميم قناة السويس ، وقد ناقشنا هذا التصرف فى دراستنا السابقة وللقارىء أن يحكم هل كان تصرفاً عملاقاً ؟ أو حركة انفعالية ضررها أعظم بكثير من فوائدها ، وليت أنور السادات ذكرلنا أشياء أخرى تستحق أن توصف لنا هذه الثورة بسببها بأنها عملاقة ، وقد تدارسنا أحداث الخمسينات فيما سبق ، ورأيناها مجموعة من الآلام ، والدماء ، والقهر ، والمحاكمات الظالمة ، وذعراً من القادة إبان الهجوم الثلاثى ، وألواناً أخرى من المخازى أوردناها فيما سبق ، ولم نجد من عمل نثنى عليه إلا الخطوة الخاصة بمعاهدة الجلاء ، وقد أثنينا عليها بإفاضة لأننا نتحسس مواقف تستحق الثناء ، ولو قد وجدنا هذه المواقف لطال عليها ثناؤنا وتقديرنا ، ولكن هيهات .

وإنا نخطو لدراسة الحوادث فى الستينات ، ونحن لانتوقع إلا مواجهة هذه القضايا التى وصفها أنور السادات فيما سبق أدق وصف . ومن أجل هذا فإننا نقرر أننا نقدم على عِقْدٍ حافل بالآلام ، تَرَكَ آثاره على كل النفوس الوطنية المخلصة بمصر ، وبالعالم العربى وبالعالم الإسلامى .

وعلى كل حال فإننا نحمد الله أن هذا العصر الكئيب لم يسطر فواجع أخرى فى العقد التالى ، وتوقف سنة ١٩٧٠ ليفسح الطريق إلى الأمل .

حوادث سنة ١٩٦٠

مرة أخرى نسرد فى هذا العام والأعوام التالية صوراً عن الستينات التى يصفها أنور السادات بأنها فترة المعاناة ، والآلام ، والهزائم ، والنكسات ، والأخطاء البشعة من جانبنا ، ونكرر أن هذه الأوصاف تنسحب فى رأينا على الخمسينات أيضاً ، ثم إنها أوصاف تغنى عن التفاصيل الواسعة فى الستينات ، وكان يمكن أن تغنينا عن دراسة الأحداث فى هذه الستينات لولا أننا نحتاج إلى رسم صورة لهذه الفترة عاماً بعد عام .

الوحدة فى الطريق إلى الانهيار

شهدت سنة ١٩٦٠ الوحدة وهى تتجه للانهيار ، فقد استقال من الحكومة الأعضاء المنتمون لحزب البعث ، وأطلقت يد عبد الحميد السراج فى سوريا ، فأخذ يضرب فى قسوة ، وزاد هناك عدد المعتقلين ، وفى اجتماع الحكومة المركزية صرخ جمال عبد الناصر قائلاً إنه هو وحده المسئول أمام الشعب وأنه هو الذى يختار الوزراء ليتعاونوا معه فى حدود السلطة التى يمنحها هو لهم وختم كلامه قائلاً بلغته العامية « اللى مش عاجبه يمشى » (١) وكان هذا نذيراً لانهيار طبيعى ، وقد توالت الاستقالات عقب ذلك من السوريين ، فليس هناك وزير يحترم نفسه يقبل أن يعمل فى هذه الحدود التى تجعل منصب الوزير بعيداً عن احترام النفس والكرامة .

واتجهت الوحدة بذلك نحو الأفول ، كما سنرى فى العام التالى .

---

(١) مذكرات البغدادى جـ ٢ ص ٦٧

البرلمـــان الثانى للثـــورة

سبق أن تحدثنا عن البرلمان الأول للثورة الذى عُـقد فى منتصف سنة ١٩٥٧ ووضحنا أن عبد الناصر اختار أعضاءه وعاقبهم ووجّههم ، ومع هذا لم يطل صبره على هذا البرلمان ، فأصدر قراراً بحله بعد ثمانى شهور من انعقاده . ونجىء الآن للحديث عن البرلمان الثانى للثورة ، وهو أكثر بُـعْـداً عن الديمقراطية من سابقه ؛ لأن البرلمان الأول كان فيه نوع من الانتخاب ، وقد حدث هذا الانتخاب بعد قفل بعض الدوائر على بعض الضباط ، وبعد منع كثير من المواطنين من ترشيح أنفسهم . أما البرلمان الثانى فلم يكن فيه ترشيح ولا انتخابات على الإطلاق ، وإنما أصدر عبد الناصر قراراً بتعيين أعضائه سنة ١٩٦٠ ، وللأسف سُـمى مجلس الأمة ، وهو ليس من الأمة فى شىء ، ورفع عبد الناصر عدد أعضائه ليُـرْضى الطامعين ، فأصبح مكوناً من ٦٠٠ عضو ٤٠٠ عضو من المصريين ، و ٢٠٠ من السوريين ، وانتُـخِب أنور السادات رئيساً له ، وقد عُـقد هذا المجلس فى يونيو سنة ١٩٦٠ ، أى بعد أكثر من سنتين على قيام الوحدة ، وهذا يدل بوضوح على أن الرغبة فى إيجاد برلمان لم تـكن موجودة مع توافر كل الظروف لدى عبد الناصر ليجعل البرلمان امتداداً لصوته ومنادياً بأفكاره ، ولـكنه على كل حال كان يخشى أن يوجد فيه صوت واحد يتجه إلى الحرية ، وهذا ما كان يمقته الزعيم ، ومن أجل هــذا كان التجاوب لهذا النوع من السلطة ضعيفاً وبطيئاً .

وكان عمر هذا البرلمان قصيراً أيضاً ، فقد حُـلّ عقب الانفصال فى العام التالى ، وتحدد موعد لقيام البرلمان الثالث للثورة فى مايو سنة ١٩٦٢ عقب أن أقر المؤتمر العام للاتحـــاد الوطنى « الميثاق » ، ولـكن انتخاب ذلك المجلس أُجِّل عدة مرات حتى يتم تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى الذى حل محـــل تنظيم الاتحاد القومى ، وقد أجل لذلك إلى يناير سنة

١٩٦٣ ، ثم إلى يوليو من نفس العام التالى ، ولم ينعقد البرلمان الثالث إلا فى ٢٦ مارس سنة ١٩٦٤ .

ويتحدث عبد اللطيف البغدادى عن مجلس الأمة الأول والثانى فيذكر أنه كان أضحوكة الجميع ، ولم يكن يباشر صلاحياته ، ولم يكن صوته مسموعاً على الإطلاق ، ويستمر عبد اللطيف البغدادى فيذكر أن مجلس الأمة لم يكن وحده الكم المهمل ، بل إن الشعب كله لم يكن له دور فى السياسة التى يعيشها ؛ فتنظيم الاتحاد القومى كان تنظيما فاشلاً ، ولا يشارك فى وضع السياسة للبلاد ، ولم تكن قراراته ملزمة لأحد ، والصحافة لم تكن تقوم بدورها الطبيعى فى إبداء الرأى الحر ، ومناقشة ما كان يجرى من أخطاء ، واقتصر دورها فى الغالب على التمجيد للحاكم ، وكانت هناك محاباة زائدة لضباط الجيش الذين تركوا خدمته ، فقد أصبح لهم الأولوية فى شغل المناصب الرئيسية فى الشركات أو التعيين فى السفارات فى الخارج[1] .

ومن أسف أن يقول البغدادى هذا القول تجاه عصر اشترك فى كل مساوئه ومحاكماته ، ولم يقل هذا القول إلا بعد أن توقف الغنم الذى نعم به اثنى عشر عاماً .

---

(١) مذكرات البغدادى جـ٢ ص ١٢١ - ١٢٢

السـد العالى

السد العالى حدث من الأحداث التى بدأت فى هذا العام ، فقد وضع جمال عبد الناصر الحجر الأساسى للمشروع فى ١٩٦٠/١/٩ وانتهت المرحلة الأولى منه فى سنة ١٩٦٤ والثانية فى سنة ١٩٧١ .

وطالما تغنى عبد الناصر بالسد العالى وجعله أسطورة الزمان ، حتى توقع الناس أن النيل سيسيل ذهباً وفضة ، وتوقف العمران فى البلاد لأن كل الحديد والأسمنت والعمال والمهندسين اتجهوا للسد العالى الذى بلغت نفقاته ٣٢٠ مليوناً من الجنيهات :

وقد قيل لنا يومها إن السد العالى سيحقق الأهداف التالية :

١ — إضافة مليون فدان من الأرض ، إلى الأرض الزراعية ؛

٢ — تعميم الرى المستديم لأرض الحياض ، وقدرها ٧٠٠ ألف فدان

٣ — ضمان زراعة الأرز سنوياً فى مساحة لاتقل عن ٧٠٠ ألف فدان

٤ — توليد طاقة كهربائية مقدارها ١٠ مليارات كيلووات سنوياً تستخدم فى الأغراض الصناعية .

٥ — خفض منسوب المياه الجوفية ، وخاصة فى الوجه البحرى ، مما يحسن وسائل الصرف فى الأراضى الزراعية ، ويضاعف انتاجها .

٦ — زيادة الثروة السمكية نتيجة تكوين بحيرة ناصر .

ويحق لنا أن نتسائل : ماذا تحقق من هذه الأهداف ؟

وما الأضرار الجانبية التى أصابت بلادنا بسبب السد العالى ؟

فى الحق أن الدولة لاتزال تبخل علينا بوثائق رسمية تُظهر الحق حول

ما يذاع عن السد العالى ، وإحقاقاً للحق الذى نسعى للوصول إليه سأنقل وجهتى النظر حول هذا الموضوع تاركاً القول الفصل للمستقبل :

ينسب الذين يدافعون عن السد العالى إليه أنه الذى حمى بلادنا من الفيضان العالى سنة ١٩٦٨ ، وأنه الذى ادخر المياه خلفه فحمانا من القحط سنة ١٩٧٢(١) وأنه هيأ أو يهيء لإضافة أرض جديدة للأرض المزروعة ، وزراعة بعض الأرض بالوجه القبلى أكثر من مرة فى العام بعد أن كانت تزرع مرة واحدة ، ولا يسلم هؤلاء تسليماً مطلقاً بالعيوب التى تنسب لهذه المؤسسة ، وإن كانوا يعترفون ببعض الأضرار الجانبية ، ويدعون لعلاجها كإنتاج البدائل التى تعوض الأرض الزراعية عما فقدته من الطمى ، وكتنشيط تكاثر السمك فى بحيرة ناصر ، وتوفير سبل صيده ونقله ، ومواجهة مشاكل النحر ، وإقامة المزارع حول بحيرة ناصر ، وتعمير المنطقة بمشروعات للسياحة والتشجير(٢) :

وإذا كنا قد ذكرنا رأى من يدافعون عن السد العالى ، فإن باحثين آخرين يبدون منه تخوفاً واسعاً ، وهم يتساءلون :

— لماذا لم تقم عمليات إصلاح الأرض يوماً بيوم مع العمل فى السد العالى ؟

— وأين أسماك بحيرة ناصر ؟

— وماذا عن الأرض التى « طبّلت » بسبب كثرة المياه الجوفية ورداءة الصرف ؟

— أما عن كهربة السد العالى ، فإن أدق تعليق نورده هو قول وزير مسئول نشرته صحيفة أخبار اليوم الصادرة فى ١٩٧٤/٧/٢٧ ؛ ونصه :

إن البيانات والأرقام التى كانت تعطى للناس وتقدّم لأجهزة الإعلام عن نتائج السد العالى فيما يتعلق بالكهرباء غير سليمة ، بل وخيالية .

---

(١) فى حديث الرئيس أنور السادات للمصريين فى ندوة مصر حتى سنة ٢٠٠٠ لم يذكر سيادته من فوائد السد العالى غير هذه الحسنة .

(٢) هذا موجز واف لبحث نشرته الأهرام فى ١٩٧٤/١٢/٢٠ للدفاع عن السد العالى .

وقد كثرت التصريحات الرسمية خلال شهر يوليو ١٩٧٤ بأن رصيد الكهرباء بمصر ينتهى فى سنة ١٩٧٥ ، وعلينا أن نسرع فى تدبير مصادر جديدة للكهرباء ، وإلا توقفت مصانعنا وتراجعت خطا بلادنا ، وعلى هذا نتساءل : أين المصانع التى نشأت على كهرباء السد ؟

— وحُرمت بسبب السد العالى أرض مصر من الغرين الذى كان سماداً لا ثمن له ، وحرمت مصر الطوب الأحمر الذى كان يصنع من الغرين ، وزحف الماء على الشواطىء فتآكلت ، وانبثقت المستنقعات بسبب إرتفاع منسوب المياه ، ويقرر بعض الأطباء أن السد العالى من الأسباب التى أدت إلى تلوث مياه الشرب لأن تجمُّع المياه فى البحيرة خلف السد وركودها مدة طويلة يؤثر فيها تأثيراً ضاراً .

— ويسخر العقلاء من الدعاية الواسعة للسد العالى ، كأن النيل لم يعرف السدود والقناطر على مر التاريخ ، مع أن القناطر الخيرية وخزان أسوان وجبل الأولياء ، نماذج للجهود الهادئة التى نفعت ولم تضر ، والتى تنوسيت كأنها لم ترتفع شاهقة .

وقد نشرت أخبار اليوم صباح ١٩٧٤/١١/٢٣ أنباء عن ندوة علمية عقدتها هيئة التدريس بجامعة الإسكندرية عن الآثار الجانبية للسد العالى ، وقد تحدث فى هذه الندوة ١٩ متخصصاً فى أعمال الرى ، والاستثمارات ، والصرف ، والكهرباء ، والصحة العامة والهندسة الصحية ، وأصدر المجتمعون قرارات هامة بالنسبة لهذا الموضوع ، وقررت الندوة تشكيل لجنة من المختصصين لمقابلة رئيس الوزراء ، وشرح وجهة نظر المجتمعين وتوصياتهم دون النظر إلا للنتائج القومية المترتبة على السد العالى .

ولم تُنشر بعد هذه البحوث ، وإن كان هذا الذى نشر عنها يشير إلى خطورة هذه الأسطورة التى سموها السد العالى .

وقد قام المجلس القومى للإنتاج بدراسة عن السد العالى ولم ينشرها بعدُ مما دفع

رئيس مجلس الشعب (الأخبار فى ١٨/٣/١٩٧٥) إلى طلب هذه الوثيقة ليستفيد بها المجلس فى الرقابة على متابعة الآثار الجانبية للسد .

ومن الطبيعى أنه لو كانت الشكوك ضد السد باطلة لأسرع المجلس القومى للإنتاج بنشر هذه الوثيقة على الجماهير المتشككة

وإذا كانت هذه الوثائق قد حُجِبَتْ عنا لسبب أو لآخر فإن بعض المقالات قد نشرت فعلاً ، وأشاع ما نُشِرَ هلعاً فى النفوس للخسارة الكبيرة التى لحقت أو ستلحق بمصر بسبب السد العالى ، ونقتطف فيما يلى بعض ما جاء فى هذه الوثائق :

جاء فى مقال نشرته مجلة أكتوبر فى ٢٨/١/٧٩ تصوير لبعض الخسائر التى نجمت عن السد العالى وهى خسائر تتصل بمنطقة النوبة ، وقد جاء فى هذا المقال أن بحيرة السد العالى ابتلعت البيوت والمقابر والأرض والزرع والأمل ، وأصبح السد العالى عند النوبيين بمثابة اللعنة التى حلت بهم وحكمت عليهم بالضياع وعدم الاستقرار ، وقد تشبث أهل النوبة بأرضهم وديارهم ، ولكنهم أجبروا على تركها بالقوة الغاشمة ، وكان مع القوة الغاشمة وعدٌ يقول لهم : اتركوا بيوتكم وسوف نعطيكم فى كوم امبو خمسة أفدنة لكل أسرة ومعها بقرة وجاموسة ، وأذاعت الميكروفونات فى القرى هذه الوعود والآمال فصدق الأهالى ما سمعوه ، وذهبوا إلى كوم امبو ، ولكنهم لم يجدوا إلا بيوتاً رفضوا أن يسكنوها ، وستة قراريط لكل أسرة ، وهى غير صالحة للزراعة .

ثم إن منطقة النوبة القديمة قبل غرقها فى بحيرة السد كانت مصدراً لإنتاج البلح فى مصر كلها ، وكانت مليون نخلة فى المنطقة كافية لكى تفى بحاجة مصر من البلح ، وأن ارتفاع سعر البلح قد زاد بصورة ملحوظة عقب قيام السد بسبب الحرمان من غابة النخيل بالنوبة .

وجاء فى مقال نشره الدكتور على فتحى الأستاذ بجامعة الإسكندرية بصحيفة الأخبار فى ٤/٧/٧٧ ما يلى :

« وقد كان من ضمن الآثار الجانبية المتوقعه للسد ، النحر فى مجرى النيل والذى ينشأ عن مرور المياه به بصفة دائمة وهى مجردة من حملها الطبيعى من الطمى ، وقد سبق أن وجَّهت هيئة الخبراء العالمية التى استُدعيت عام ١٩٥٤ لفحص مشروع السد تحذيراً قوى اللهجة للحكومة المصرية بشأن خطر النحر ، ولكن مضى نيف وعشرون عاماً من ذلك الحين قضيناها بين الجمود والتردد إلى أن أصبح الخطر الآن وشيك الوقوع » .

« وهناك أثر آخر هو التدهور فى خصوبة الأرض الزراعية التى أصبحت محرومة الآن من عملية الغسيل السنوية التى كانت تجرى لها أيام الفيضان » .

«وانتشرت أعراض التشبع بالمياه وتزايد الملوحة فى الطبقة العليا من الأرض الزراعية ، كما انتشرت ظواهر الطفح فى بيارات صرف المجارى ، وسقوط المنازل فى القرى ، وكل هذا يشير بوضوح إلى أن طبقة صماء قد أخذت تتكون فى باطن الأرض » .

« وقد نتج عن هذه العملية تدهور كبير فى الإنتاج الزراعى ربما كان هو السبب فيما أصاب بنيان البلاد الاقتصادى من تصدع فى الآونة الأخيرة . »

« ولو استمرت هـــذه العملية فإنها قد تؤدى فى النهاية إلى بوار أراضى القطر كلها » .

وجاء فى تحقيق أجراه محرر بصحيفة الأخبار ونشر فى العدد السابق حديث خطير عن مشكلة النحر بسبب السد العالى وعنوانه :

٢٠ سنة وبعدها تغرق القناطر فى النيل

ومما ورد فى هذا الحديث قوله :

والنحر هو عملية الحفر التى تقوم بها المياه فى قاع النهر وجوانبه أثناء اندفاعها ، وقد زادت عملية النحر بعد إقامة السد العالى ، ذلك أن خزان المياه

فى بحيرة ناصر أمام السد قد أدى إلى ترسيب ما تحمله من طمى ، ونتج عن ذلك أن أصبحت المياه رائقة فزادت سرعتها عند اندفاعها فى مجرى النهر .

وبزيادة سرعة المياه وقلة ما تحمله من طمى زادت قدرتها على الحفر فى قاع النهر وجوانبه ، وأصبح النحر مشكلة تهدد القناطر المقامة على نهر النيل ، حيث زادت عمليات الحفر فى قواعد هذه القناطر مما يشكل خطراً عليها . وقد كانت زيادة النحر كنتيجة لبناء السد العالى معلومة للمسئولين فى وزارة الرى حتى قبل إقامته .

وقد ظهرت أخيراً بحوث تتحدث عن خطر أصاب واحداً من أعظم الآثار المصرية مثل « أبو الهول » وأعادت البحوث إلى السد العالى مسئولية هذه الأخطار .

وبعد ، فإن من حقنا أن نقلق على التربة المصرية التى كانت معروفة بالخصب والخير والتى غمرها النيل بفيضه عبر مئات القرون ، قبل أن تسعى لتعظيم الفرد على حساب الشعب الذى أصبح مهدداً فى أغلى ما يمتلك .

نهاية الوحـــدة

ذكرنا من قبل أن الوحدة كانت عملاً ارتجالياً أساسه العناد والانفعالية، ومن أجل هذا جاءت نهاية الوحدةسريعة كما كان يتوقع المفكرون .

وقد ذكرنا مجموعة من العيوب التى أسرعت بنهاية الوحدة ، وهناك عيوب أخرى ينبغى أن نشير لها لأنها كانت أسباباًمباشرة لهذهالنهاية، ومن أهم هذه الأسباب كثرة الضباط المصريين فى سوريا مما اتخذه البعض وسيلة لتصوير هذه الكثرة على أنها نوع من الاحتلال ، وفى نفس الوقت كان هناك ضباط سوريون كثيرون فى مصر ، وكان هذا يصوَّر على أنه إبعاد لهؤلاء الضباط عن سوريا ، لأن قرارات إرسالهم لمصر كانت تصدر من السلطة المصرية .

وقد سبق أن ذكرنا أن عبد الحميد السراج كان يمثِّل سلطة مطلقة فى سوريا معادية لحزب البعث ، وقد كثرت الشكوى منه حتى أصبح يسمى «السلطان عبد الحميد» وحينئذ استدعاه جمال عبد الناصر إلى القاهرة ، وعينه نائباً لرئيس الجمهورية ، وعيَّن رئيسُ الجمهورية عبدَ الحكيم عامر للإشراف على سوريا بسلطات رئيس الجمهورية ، وهذا فتح الباب لصراع مرير بين عبد الحميد السراج وبين عبد الحكيم عامر ، فإن أعوان السراج لم يدينوا بالولاء للمشير :

وصدرت القوانين المسماة بالقوانين الاشتراكية فى المدة من ١٩ إلى ٢٣ يوليو سنة ١٩٦١ وأريدلها أو لبعضها أن تطبق فى سوريا كما تطبق فى مصر، ولكن ظروف سوريا كانت مختلفة ، فكانت هذه القوانين من أسباب الثورة على الوحدة ، ومن الأسباب التى قادت إلى الانفصال .

وبدأت النذر تتتابع بأن تمرداً سيقع ، ولكن القيادة المصرية لم تعبأ

بهذه النذر وسخرت منها ، ويقول أحمد كامل رئيس المخابرات العامة آنذاك إنه صارح عبد الحكيم عامر بأن فى الجو علامات تنذر بالخطر ، ولكن المشير قال له : يبدو أن أعصابك مرهقة وتحتاج لراحة ، وعينه ملحقاً عسكرياً فى الباكستان(١) .

ويقول أمين شاكر إنه كان فى سوريا بصفته رئيساً لجمعية الأمن القومى ، وهناك سمع ما يثير السوريين ضد مصر والمصريين ، فأبلغ ذلك للمشير عامر فى دمشق ، فهاج عليه المشير ، وهدده بالضرب ، وأخرجه من مكتبه ، فاستدعاه جمال عبد الناصر وسمع منه ما قاله للمشير ، وكان الصمت هو التعليق الوحيد .

واستشعر مكتب الاتصال المصرى فى دمشق الخطر قبل وقوعه ، فقد سمع ضابط مصرى من ضابط سورى متحمس للوحدة أن هناك مؤامرة تدبّر للانفصال بتحريك القوات من معسكر (قطنة) واعتقال المشير كرهينة لفرض إرادتهم وتنفيذ أغراضهم ، وقد حمل العقيد محمود الحمزاوى والرائد أحمد رشدى هذه الأخبار إلى المشير فى استراحته حوالى منتصف الليل ، وقابلهما على شفيق وأحمد علوى ، وتسلما المعلومات منهما ، فأظهرا استخفافاً بها ، وسألاهما عن المصدر الذى تُنْسَب له هذه المعلومات ، ولم يكن الضباط المصريون فى حلٍّ من ذكر المصدر لأنهما وعداه بعدم ذكر اسمه حماية له ، وعندما انتقلت المعلومات إلى المشير ، عادت وعليها تأشيرة نصّها « من هو المصدر ؟ » وهى تأشيرة تدل على مكانة على شفيق من نفس المشير(٢) .

ونقفُ وقفة قصيرة قبل أن نتابع حديثنا لنقول إن حال القادة لم يتغير

---

(١) كلمات أحمد كامل فى شهود ثورة يوليو ص ٦٧

(٢) أحمد حمروش : مجتمع جمال عبد الناصر ص ٨٠ - ٨١

تطوير الأزهر أو تدميره ؟

فى أحداث سنة ١٩٦٠ تكلمنا عن البرلمان الثانى للثورة الذى صدر قرار عبد الناصر بتعيين أعضائه ، ونريد هنا أن نتكلم عن حدث خطير جرى فى هذا البرلمان ، وهو ما يُسمَّى تطوير الأزهر ، أو كما اصطلح المفكرون على تسميته « تدمير الأزهر » ومن العجيب أن برلمان الوحدة لم ينتج شيئاً غير هذه المأساة .

والأزهر كما هو معروف أبو المعاهد الإسلامية كلها ، وهو مشعل النور الذى حافظ على الدراسات الإسلامية أكثر من ألف عام ، وفى أروقة الأزهر وقاعاته عاش الطلاب وتعلموا من جميع أقطاب الأرض ، وعاد الغرباء إلى بلادهم يحملون معهم مشاعل الهدى ، ولولا الأزهر وجهوده لكان من الممكن أن يضعف شأن الإسلام والمسلمين .

وقد عمد عبد الناصر فى برلمانه المعيَّن إلى استصدار قانون سُمى بتطوير الأزهر وهو القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ وهو أشبه بكفن أسود أعدَّه عبد الناصر بليل ليلف به معهدنا الحبيب ويدفنه إلى غير رجعة .

ماذا قال الأزهريون وغير الأزهريين عن هذا القانون ؟

قال الدكتور **محمد البهى** عن هذا القانون :

إن قانون تطوير الأزهر كان يقضى بإغلاق كلياته الثلاثة (اللغة العربية وأصول الدين والشريعة) وأن يحلَّ محل هذه الكليات كائنٌ ميت هو « كلية الدراسات الإسلامية » التى أنشئت فعلاً لهذا الغرض ، ولتعود للدرس على حصير المسجد ، ولكن ولى الأمر لم يستطع تنفيذ خططه إلى النهاية خوفاً من الجماهير المسلمة بمصر وبالعالم[1] .

---

(١) حديث بندوة العلماء سمعته بنفسى مع جماهير السامعين وهو لايزال مسجلا

وقال فضيلة الأستاذ **محمد متولى الشعراوى** وزير الأوقاف وشئون الأزهر السابق فى مجلس الشعب[١] : إن قانون تطوير الأزهر لم يكن لرجال الأزهر رأى فيه ، وقد نزل هذا القانون على الأزهر بالبراشوت ، وإننا مسوقون إلى المحاذير نتيجة لهذا التطوير ، ولولا العناية الإلهية لما بقى الأزهر بعد هذا التطوير حتى الآن .

وقال الأستاذ الشيخ **صلاح أبو اسماعيل** رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب : إن قانون تطوير الأزهر الصادر فى يونيو سنة ١٩٦١ صدر فى ليلة ظلماء ، ناقشه المجلس وأقره فى ليلة واحدة ، والقانون ليس تطويراً ، ولكنه تدمير ، وهو جناية فى حق الأزهر[٢] .

ويقول المستشار أنور أبو سحلى وزير العدل عند طبع هذا الكتاب مايلى عن تطوير الأزهر : عندما صدر قانون تطوير الأزهر فى مطلع الستينات ، كان صدمة لكل من عرف قدر الأزهر وقيمته العلمية ، . . . وإن هذا القانون أريد به شل حركة الأزهر ووضع القيود فى قدميه ويديه[٣] .

ويقول الأستاذ **فتحى رضوان** أحد وزراء ذلك العهد فى مقال عنوانه « الأزهر بين التطور والمسخ » : « إن الكثيرين حاولوا أن يحولوا دون صدور هذا القانون الذى فاجأهم وكأنه البلاء النازل ، فلما لم ينجحوا بقوا مؤمنين أن الزمن سيثبت أن مصلحة الأزهر وماضيه الطويل واسمه المضىء ومصلحة المسلمين . . . . تقضى كلها بإلغاء هذا القانون .

« وقد كان أول الحوافز على معارضة هذا القانون أنه لم يكن ثمة وقت

---

(١) الأخبار فى ١٩٧٧/٣/١٥
(٢) الأخبار فى ١٩٧٧/٣/١٥
(٣) الأهرام فى ٧٩/١٢/٧

متاح لمناقشته ، وقد كان هذا شيئاً يدعو للعجب ، ثم كيف يُعدُّ مشروع يتصل بهذا المعهد العريق دون أن يُرْجع بشأنه إلى علماء الأزهر ورجال الفكر؟ وكيف تحدد لمناقشته خمس ساعات أوست فقط؟ ويختار لمناقشته اليوم الأخير فى دورة مجلس الأمة ، مما جعل من المستحيل مدارسة القانون ، وأن تقال فيه كلمة الحق ؟ بل لم يكن هناك وقت لقراءة النصوص ، وأخذ الرأى فيها ، فكان يُكتفى بتلاوة أرقامها فقط للموافقة على المادة دون معرفة نصها[1] .

والعجيب أن هذا القانون اللعين الذى اشترك فى الهجوم عليه أربعة وزراء ورئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب لم تمتد يدٌ لإصلاحه ، كأن الناس لا يزالون يخافون جبروت عبد الناصر الذى أصدر هذا القانون دون أن يرعى الله أو العلم أو التاريخ ، وعلى هذا فإن اللوم لا يتجه لعبد الناصر وحده ، وإنما يشمل كل من رضى عنه ولم يعمل على القضاء على هذا القانون الجائر .

والآن نجد من حق القارىء أن نبرز له بعض مثالب هذا القانون الظالم على الأزهر وعلى الإسلام ، فربما لم تتح قراءته للكثيرين :

١ ــ أنشأ هذا القانونُ كليات طب وهندسة وزراعة وتجارة . . . وألصقها بالأزهر ، وأخذ طلابها أو أكثرهم من الحاصلين على الثانوية العامة دون اعتبار لمقدار ثقافتهم الإسلامية أو حفظ القرآن الكريم أو أجزاء منه ، أو قدراتهم فى اللغة العربية ،ولهذا فهم غرباء فى الأزهر لا تربطهم به رابطة ذات بال .

---

(١) صحيفة الأهرام .

٢ - يمضى الحاصلون على الثانوية العامة سنة تمهيدية قبل أن يلتحقوا بالكليات العملية التى سبق ذكرها ، وهذه السنة الضائعة كانت سبباً فى أن الطلاب الذين حصلوا على مجاميع كبيرة فى الثانوية العامة أحجموا عن الالتحاق بكليات الأزهر حتى لا يضيعوا عاماً من أعمارهم ، وبهذا قضى هذا القانون بأن يكون مستوى كلية طب الأزهر أقل بكثير من مستوى كلية طب القاهرة مثلا ، لأنه لا يذهب لطب الأزهر إلا الطالب الذى لم يمكّنه مجموعه من الالتحاق بكليات الطب الأخرى .

٣ - ليست هناك دراسة إسلامية ذات بال بهذه السنة التمهيدية ، ولا يحضر الطلاب محاضرات ، وإنما هناك مذكرات يشتريها الطلاب ليمتحنوا فيها وهم ينجحون غالباً بعد ضياع عام فى بيوتهم ، وأشهد الله أن المغفور له الدكتور عبد الحليم محمود طلب منى أن أشترك معه فى إلقاء محاضرات مبكرة فى السابعة من صباح كل يوم لطلاب السنة التمهيدية إحساساً منه بأن الدراسة فى هذه السنة التمهيدية فاشلة ، وقد وافقت على المبدأ ، واقترحت موعداً مناسباً (التاسعة صباحا مثلا) حتى يستطيع الطلاب أن يحضروا إلينا ، ولم يتم الأمر على كل حال .

٤ - الدراسات الإسلامية التى تدرس بالكليات العملية لا تستهوى الطلاب أبداً ، وهى بعيدة كل البعد عن مطالبهم الفكرية والدينية وليست فيها علم مقارنة الأديان ، أو الحضارة الإسلامية ، أو الفقه المقارن ، تلك العلوم التى تستهوى الطلاب فى هذه المرحلة من العمر ، وتقدّم لهم ما يربطهم بالدراسات الإسلامية ويحببهم فيها .

٥ - كان هذا القانون على وشك أن يقضى قضاء تاماً على كليات الأزهر الأصيلة ، ولكن الله سلم كما قال الدكتور محمد البهى .

٦ - لم يمس التطوير أو الإصلاح علوم الكليات الأزهرية الأصيلة ، بل - فى ظله - قسمت كلية اللغة العربية أقساماً للصحافة والتاريخ . . .

وتقاصت بها علوم اللغة العربية ، وازدحمت كلية الشريعة والقانون بمنهاجَىْ كلية الشريعة وكلية الحقوق ، فناء الطلاب بهذا العبء ، وعجزوا عن إجادة هذا المنهج أو ذاك .

٧ — قضى هذا القانون اللعين بإحداث ازدواجية فى مناهج المعاهد الإعدادية والثانوية ، والمنهاجُ الواحد يعيي الطلاب فكيف بمنهاجين ؟ وكانت النتيجة أن الطلاب لم يجيدوا هذا المنهج ولا ذاك .

٨ — عند خلق الازدواجية فى التعلـيم لم يضمن هذا القانون لمعاهد الأزهر ما يلزم من وسائل لتدريس علوم المدارس الإعدادية والثانوية ، فلا توجد بالمعاهد معامل كافية ، ولا مدرسون للغات أو العلوم أو الرياضة من مستوى مناسب ، ثم إن المعاهد الثانوية الأزهرية تفتح أبوابها لكثيرين من التلاميذ والتلميذات الذين حصلوا على الشهادة الإعدادية من المدارس الحكومية ولم تؤهلهم درجاتهم للالتحاق بالمدارس الثانوية العامة ، وعلى هذا فهناك فَرْقٌ كبير فى مستوى الطلاب إذا قورن طلاب المدارس الثانوية الحكوميه بطلاب المعاهد الأزهرية ، ويدخل الحاصلون على ثانوية الأزهر الكليات العملية بالأزهر وهم فى مستوى أقل من زملائهم فى المدارس الثانوية الحكومية ، وكل هذا أضْعف الأزهر وحطَّ من قيمته .

٩ — أصبحت الدراسة فى المعاهد الأزهرية الثانوية تنقسم قسمين : علمية وأدبية ، و فتح الباب لطلاب القسم العلمى ليدخلوا كلية طب الأزهر ، أو الهندسة أو الصيدلة . . . وانهـال أحسن الطلاب الأزهريين على هذه الكليات ، وحُرمت منهم الكليات الأزهرية الحقيقية ، ولم يبق لهذه الكليات إلا الفتات مما قضى على مستوى هذه الكليات بالتخلف الفكرى ، وهذه جريمة كبرى فى حق الإسلام والمسلمين ، ونتيجتها أننا لن نجد إنساناً ممتازاً يتخصص فى علوم الإسلام ، لأن الممتازين تستهويهم الكليات العملية

بريقها ليصبحوا أطباء أو مهندسين ، وطالما كنتُ أقول إن جيلنا لو وجد وسيلة لكلية طب أو هندسة لاندفعنا لها، ولَمَّا وُجِد الآن بين المفكرين المسلمين تلك الأسماء اللامعة في مجال الدراسات الإسلامية .

١٠ - على أن الأزهريين الذين التحقوا بالكليات العملية بالأزهر لاقوا عنتاً شديداً ، لأنهم ضعاف فى اللغة الإنجليزية ، وهذه الكليات تدرس بهذه اللغة ، وقد كانت نتيجة كلية الصيدلة لذلك صفراً فى المائة فى بعض الأعوام .

وهناك عيوب أخرى كثيرة جداً فى هذا القانون ، ومن أجل هذا ، فإننا نصرخ بأن بقاء هذا القانون جريمة فى حق الإسلام والأزهر ، وأن اليد التى خلقته ، واليد التى تُبقى عليه ، تشتركان فى هذا الإثم ، ونطمع أن تمتد يد الإصلاح لهذا القانون لتُزيل منه ما يعوق هذا المعهد التليد عن أداء رسالته على خير وجه .

مسئوليه الأزهر خارج مصر :

احتذت المعاهد الإسلامية بالعالم حذو الأزهر فى أكثر خطواته ؛ فمناهج الأزهر تُقتبس لجميع المعاهد الإسلامية ، بل اقتبست أسماء كلياته ، وأُعير شيوخه للتدريس فى كل مكان ، وعلى هذا فالأزهر يحمل عبء الدراسات الإسلامية بالعالم كله ، ومن هنا كانت سلامة المناهج الإسلامية بالأزهر سلامة للإسلام والمسلمين ، وكان انحراف هذه المناهج ضربة للفكر الإسلامى وعائقاً دون الانتفاع بالإسلام .

التطوير كما ينبغى أن يكون :

وليست صرختنا ضد قانون عبد الناصر تفيد أن الأزهر غير محتاج إلى تطوير ، لا ، فإن الأزهر فى حاجة ماسة إلى التطوير ، ولكنه التطوير الذى ينفع ولا يضر ، التطوير الذى يقترحه المتخصصون ويدرس بعمق ؛ ويمكن أن يكون هذا التطوير من عدة نواحٍ ، بأن تضاف علوم جديدة للمناهج

الإسلامية كمقارنة الأديان ذلك العلم الذى يبرز جلال الإسلام وروعته باعتباره الدين الأخير الذى حوى أجمل مافى الأديان السماوية وأضاف لها ما تحتاجه البشرية إلى يوم الدين ، وكالحضارة الإسلامية التى تشرح وجهة الإسلام فى مجال السياسة ، والاقتصاد ،والتربية ،والسلم والحرب،والحياة الاجتماعية، وغيرها،وكالفقه المقارن الذى يبرز مكانة التشريع الإسلامى بالنسبة للتشريعات الأخرى ، وكملاحظة الصورة الشعرية فى الأدب ، ودراسة قضية الالتزام فى الأدب والتاريخ ...

ويمكن أن يكون التجديد من ناحية إضافة أسباب الفكرة وأهدافها ، فلا يدرس الفكر الإسلامى وحده ، وإنما تدرس أهدافه .

ويمكن أن يكون التطوير بحذف بعض الفروع التى لم يعد الفكر الحديث يتطلبها كالفروض المبالغ فيها التى أوردتها كتب الفقه فى باب الطلاق أو الطهارة، وكذلك بحذف ما ازدحمت به كتب التفسير من إسرائيليات .

ويمكن أن يكون التطوير بأن تعاد كتابة الدراسات الإسلامية بأسلوب العصر وصفاته مع روعة فى الطباعة والإخراج .

وهناك وسائل أخرى كثيرة للتطوير يمكن أن يقدمها المتخصصون .

ولسنا نرى مانعاً من أن توجد فى جامعة الأزهر كليات للطب والهندسة والصيدلة وغيرها ، ولكن على أن يختار لها طلاب ينافسون زملاءهم فى الجامعات الأخرى من حيث المجموع ،وعلى أن تكون لهم رغبة فى الدراسات الإسلامية يبرهنون عليها بحفظهم القرآن الكريم أو أجزاء منه، وبالتعرف على الفكر الإسلامى ، وتعقد لهم امتحانات للاستدلال بها على ذلك ، كعلوم المستوى الرفيع المعمول بها فى الثانوية العامة ، وعندما يقبلون فى هذه الكليات الأزهرية تقدم لهم دراسات إسلامية تستهويهم ويفخرون بها.

إن الأزهر أمانة أسلمتها لنا الأجيال الكثيرة السابقة ؛ ومن العيب أن يمسه السوء فى جيلنا ، ولهذا فنحن ندعو أن تتجه الجهود لتخليص الأزهر من « قانون التدمير » والاتجاه إلى التطوير الحقيقى الذى يراد به الخير للإسلام والمسلمين .

واللهم قد بلغت فاشهد .

شيء كان يراد بالإسلام :

فى صفحة ١٤١ من هذا الكتاب رأينا عبد الناصر يطرب لمن يقارنه بالرسول صلوات الله عليه ويكافىء على ذلك ، وبخاصة إذا كانت المقارنة فى صالح عبد الناصر .

وفى صفحة ٢٨٧ حديث عن إقالة شيخ الأزهر ، بحجة أن اختيار شيخ الأزهر سيكون بالانتخاب من بين كبار العلماء ، ولم يتم اختيار شيخ الأزهر بالانتخاب حتى الآن مما جعل الإقالة عدواناً سافراً .

وفى نفس الصفحة رأينا قراراً يصدر بحل هيئة كبار العلماء .

وفى سنة ١٩٥٤ و ١٩٦٥ نكّل عبد الناصر بالإخوان المسلمين أبشع تنكيل ؛ سجنهم طيلة عهده تقريباً ؛ وأخفت صوت هؤلاء الدعاة ، وعذبهم ؛ وصادر أموالهم ، وحاول أن يدفع أولادهم ونساءهم إلى الانحراف ، وقتل صفوة من زعمائهم .

ثم جاء تدمير الأزهر الذى أسلفنا الحديث عنه .

وتسلسل هذه الأمور يجعلنا نعتقد أن شيئاً كان يراد بالإسلام وبشيوخ الفكر الإسلامى ، وإذا كان المسلمون قد تغلبوا على المساوئ الأخرى فإن مشكلة الأزهر لا تزال باقية ، وقد سكت قادة الأزهر خلال السنوات السابقة عن التعرض للقانون الذى يعترف الجميع بخطره على الأزهر وعلى الدراسات الإسلامية ، فما موقف الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر والأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف من هذا القانون ؟

إننا نطمع أن يبدأ هذان العالمان فوراً فى تصحيح الوضع دون تأخير ، وبخاصة أن عهد محاربة الإسلام والمسلمين قد اختفى إلى غير رجعة ، وبودى كمؤرخ ألا أضم اسمى هذين العالمين الصديقين إلى الأسماء التى انشغلت عن الباقى بالفانى .

ونحن فى الانتظار .

حوادث سنة ١٩٦١

عما كان عليه من قبل ، فقد جاءتهم النذر قبيل العدوان الثلاثى بأن عدواناً فى الطريق فلم يكترثوا بهذه النذر وسخروا منها، وعاشوا مع إلهاماتهم الخاصة حتى جاء الزحف الذى لم يستعدوا أى استعداد له ، ومرت السنون وجاءتهم النذر بأن حركة انفصالية تُدبَّر ، ولكنهم سخروا منها أيضاً ولم يستعدوا لمواجهتها ، ويبدو أن قادتنا لم يكونوا مستعدين للتطور الفكرى أو للتعلم من أحداث الزمن .

الحركة الانفصالية :

من العجيب أن ضباط الانقلاب كان بينهم عبد الكريم النحلاوى مدير مكتب المشير وموضع ثقته ، ومثل هذا حدث فى مصر فوزير الدولة لشئون رياسة الجمهورية « سامى شرف » كان جاسوساً على عبد الناصر ومن أشد النكبات ألا يحسن الزعماء اختيار معاونيهم وموضع أسرارهم ، وأن يتكرر ذلك ، وكان فى قياده الانفصال كذلك حيدر الكزبرى وهو شاويش سابق فى الجيش الفرنسى ترقى من غير طريق الكلية الحربية ، وكان فيها كذلك عبدالغنى الدهمان وموفق عصاصة من القوات الجوية ، وقد استغل عبد الكريم النحلاوى مكانه من المشير فأَبْعَدَ عن دمشق كل الضباط المخلصين للوحدة ، واستدعى إلى دمشق أعداء الوحدة ، والمشير يغط فى نومه كالعادة ، ثم ضرب النحلاوى ضربته .

ويلخص أنور السادات أسباب الانفصال وخطواته تلخيصاً دقيقاً فيقول: « كان إرسال عبد الحكيم عامر حاكماً لسوريا خطأ فاحشاً ، لأن السراج كان يعتبر نفسه أحق من عامر بحكم سوريا ، وفى سوريا برزت أخطاء عبد الحكيم عامر ، ولكن الأهم من ذلك أنه كان يسىء اختيار معاونيه بشكل فاضح ، وكان من أبرز ملامح شخصيته روح القبيلة ، فهو يساند هؤلاء المعاونين سواء كانوا على حق أو باطل .

« وتصاعدت مساوئ عامر فى سوريا، وأصبحت معروفة لرجل الشارع ،

وكان عبد الناصر كعادته يؤيد عامر فى كل تصرفاته ظالماً أو مظلوماً ، فإذا أضفنا إلى هذا أن الملك سعود دفع سبعة ملايين من الجنيهات أوصلها الملك حسين ملك الأردن للمتذمرين والمتآمرين فى سوريا ، وإذا أضفنا القوانين الاشتراكية التى أصدرها عبد الناصر فى يوليو سنة ١٩٦١ ، وكيف كانت سيئة الأثر على المجتمع السورى لأدركنا مدى سخط الشعب السورى على عبد الناصر وعلى الوحدة وهو سخط حقق ثماره عند ما صحا الناس فى دمشق يوم ٢٦سبتمبر١٩٦٢ على وحدات من الجيش السورى وهى تحاصر القيادة العسكرية هناك ، وكان عبد الحكيم عامر يعيش فى فيلا ملاصقة للقيادة ، فلما عرف أنباء الحركة أسرع إلى القيادة ولكن الجيش السورى ضيق الحصـــار عليه ، وبدءوا يكلمونه عن طريق الميكرفون مهددين متوعدين ، ثم بدءوا فى إصدار بلاغات حربية كأن البلاد فى حالة حرب وألقى الجيش السورى القبض على عامر وشحنوه فى طائرة إلى مصر ، وتم بذلك الانفصال ، وذهبت الوحدة بين مصر وسوريا كأنها لم تكن[١] » .

ويضيف أحمد حمروش على هذا الوصف أن المشير استنجد بأكرم ديرى وهو من مؤيدى الوحدة ، وقد تصدى هذا لضباط الانفصال ذاكراً أنه ليس من حق هؤلاء الضباط فَصْم الوحدة بالدبابات ، فرد المتمردون عليه بأنهم ضد ضغط الضباط المصريين وتسلطهم فى سوريا ، وفى هذه الأثناء كان عبد الحكيم عامر فى مكتبه كالأسد الحبيس لا يتوقف عن التدخين ، ولا عن الحركة ، وسرعان ما وصل حيدر الكزبرى ، وأوقف المناقشة بإطلاق نيران مدفعه،فجرح رِجْل أكرم ديرى ، ولم يبق مكان للكلام[٢].

محاولة القضاء على الحركة الانفصالية :

اتجه جمال عبد الناصر فور علمه بالحركة الانفصالية إلى مقاومتها وبخاصة

---

(١) البحث عن الذات ص ٢٠٥

(٢) عبد الناصر والعرب ص ٨٧

أن أخباراً جاءته بأن الوحدات باللاذقية تتمسك بالوحدة ، ولذلك سرعان ما أرسل حشداً من قوات الصاعقة ، كما أعدت قوات البحرية للتوجه إلى اللاذقية ، ولكن حدث شيء مهم هو أن صدقى محمود — صاحب الهزائم فى سنة ١٩٥٦ — لم يكن بقادر على مواجهة الموقف فتأخر فى إرسال القوات اللازمة ، وكان الزمن يحسب بالثوانى لا بالدقائق فقط . وفى أثناء هذا التأخر استطاع ضباط الانفصال أن يتغلبوا على مخالفيهم ،وأن ينشروا أفكارهم ، فلما وصلت قوات الصاعقة إلى سوريا لحقتها أوامر عبد الناصر بأن تستسلم إلى أى قوات سورية تصادفها ، وهكذا كانت كلمة الاستسلام هيّنة على عبد الناصر فى كل حرب عاصرها وقد قبض عبد الكريم النحلاوى على هؤلاء الرجال واعتبرهم أسرى حرب .

ومما جعل عبد الناصر يتجه للتراجع ، أن عبد الحكيم تمّ شحنه إلى مصر وعاد فعلا ، ويقول المطلعون إن حماس عبد الناصر لمقاومة الانفصال لم يكن إلا لإنقاذ عبد الحكيم عامر ، فلما وصل هذا رجحت فكرة عدم المقاومة(١) .

ويذكر أحمد حمروش رأيه فى قادة الضعف والهزيمة فيقول : إن قيادة صدقى محمود للقوات الجوية أدت إلى تعطيل وصول قوات الصاعقة عدة ساعات حتى نزل فوج وأعيد الباقى بعد انتهاء المقاومة وانتصار القوات ، وكان مفروضاً أن يخرج صدقى محمود وأن يحاسَب المشير ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث(٢) .

الانفصال فى رأى قادة الانفصال

لم يعد لراديو دمشق من عمل بعد الانفصال إلا أن يسبّ عبدالناصر الذى

(١) انظر بصراحة عن عبد الناصر ص ١٤٠ - ١٤٧

(٢) شهود ثورة يوليو ص ٣٢٨

قال فيه مزقبل مالم يقله بشر عن بشر ، ثم جاء مؤتمر شتورة محاصره فذه في فن الشتائم ، ولفترة طويلة حفل قاموس النضال السياسى العربى بكلمات يقشعر البدن من مجرد سماعها .

وكان الانفصال عند قادة الانفصال وعند الذين أضيروا من الوحدة عملية تصحيح ، وإعادة بناء ، وكانوا يرون الوحدة فى ظل فكر عبد الناصر وانحراف المشير عملاً شائناً كفاهم الله شره بعد أن عانوا منه شر عناء (١) .

خسائر مصر فى الوحدة :

أعلن عبد الناصر عقب الانفصال أنه عطّل مشروعات كثيرة فى مصر لتحظى بها سوريا ، وأن مصر قدمت لسوريا فور الوحدة ٥ و١٣ مليون ليرة سورية لمواجهة عجز الميزانية السورية ، وأنها كانت تقدم لسوريا ثلاثة ملايين جنيه سنوياً ، كما قدمت تحويلات نقدية قيمتها ٩ ملايين جنيه استرلينى ، واعترف أن قوات المظلات التى هبطت فى اللاذقية كانت تحمل آلاف الليرات وليس كما أشيع ملايين الليرات المزيفة .

ونحن نتساءل : من المسئول عن ثروات مصر التى كان الزعيم يبعثرها لأمجاده الخاصة ؟ ومن المسئول عن توقف مشروعات التنمية بمصر ؟ ومن المسئول عن ديون استدانتها مصر وأنفقت فى سوريا ؟ لابد يوماً من حساب على هذا العبث .

ويقول الأستاذ سيد نوفل : إن سنوات الوحدة أثقلت كاهل مصر ، وعطلت مسيرة التنمية فيها ، بسبب الأزمات السورية المتلاحقة والابتزازت التى كانت تتصاعد ، وقد بنت مصر الحى الجديد بدمشق الذى لم تشهد العاصمة السورية مثله لاقبل الوحدة ولا بعدها ، كما شيدت مصر مبنى القيادة

---

(١) زهير الشايب : مقالات فى مجلة أكتوبر لسنة ١٩٧٨ = ١٩٧٩

العسكرية الذى جرت فيه أحداث الانفصال ، وأقامت المؤسسات العامة التى خلقت سوريا خلقاً جديداً (١) .

بعـــد الانفصال :

بعد نجاح الانفصال مرت بمصر أحداث خطيرة تتعلق بالانفصال ، وهى أحداث تدعو للحسرة والدهشة ، وسنلم بها فيما يلى :

١ — تحدثنا من قبل عن عبد الكريم النحلاوى مدير مكتب المشير وموضع ثقته الذى خطط للانقلاب ، ونتحدث هنا عن ضابط مصرى كان أقرب الضباط إلى قلب المشير وهو الرائد جلال هريدى الذى عينه المشير قائداً لفرقة الصاعقة ، فقد كان هذا أول المتهجمين على عبد الناصر فى الإذاعة السورية ، وقد سجلوا له أحاديث فى جلسات خاصة فيها إساءة لعبد الناصر شخصياً ، وهذا مثل من المساوىء التى لم يكن الشعب يعرفها ، وانطلق بالحديث عنها بعض العارفين فى ظروف خاصة دفعتهم لعرض هذا النقد .

وقد طلب المشير من الأستاذ سيد نوفل الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية أن يبذل جهده لاستعادة جلال هريدى ، وأصر على أن يذهب عبد القادر عيد مع سيد نوفل إلى دمشق لهذا الغرض ، وقد ناقشة سيد نوفل فى صعوبة هذا الوضع لأن عبد القادر عيد لا صلة له بالجامعة العربية ، ويقول الأستاذ سيد نوفل : إن عبد المجيد فريد عجب من موقفى لأنى أناقش أمراً أصدره المشير ، والعهد بالمشير ألا يناقشه أحد فيما يرى (١) .

٢ — اتجه عبد الناصر إلى مزيد من تركيز السلطة فى يده ، فأسند رياسة

---

(١) مجلة أكتوبر فى ١٣ مايو سنة ١٩٧٩
(٢) مجلة أكتوبر العدد ١٣٣

الوزارة إلى على صبرى وعلل ذلك بقوله لزكريا محيي الدين إن زملاءه السابقين فى مجلس الثورة يسيئون التصرف ، ولذلك فقد رأى تركيز السلطة فى يده عن طريق على صبرى .

٣ — أراد جمال عبد الناصر أن يقلل من نفوذ عبد الحكيم عامر بالجيش على أن يكون ذلك من طرف خفى حتى لا يغضب المشير ، فكوّن مجلس رياسة يتولى القيادة الجماعية ، واتجه ليجعل من حقوق هذا المجلس أن يصبح المسئول عن التعيينات فى الوظائف الكبرى بالقوات المسلحة ، وقد ثار عبد الحكيم عامر على هذا ، فعنده أن الهزائم لا يمكن أن تقلل من مكانته ، وسافر عامر إلى مرسى مطروح غاضباً ، وانهالت البرقيات تؤيده ، ورضخ عبد الناصر لإرادة عامر .

٤ — أراد عبد الناصر أن يصرف الشعب المصرى عن السخط ، فملأ السوق بالحاجات التى كان الشعب محروماً منها عدة سنوات ، والتى لم تكن تعرف طريقها إلا للقصور ، وما أن فرح الشعب بهذه التوسعة حتى بدأت مشكلة اليمن — كما سنرى فيما بعد — فتحولت كل السلع التى بها نوع من الترف إلى اليمن السعيد ، وعادت حياة الشظف للجمهور المصرى .

وبهذه المناسبة نذكر أن شعب مصر عاش على الخبز الأسود طيلة عهد عبد الناصر ، وعانى الحرمان وشظف العيش ، وكان المصريون الذين يعملون بالخارج أو يسافرون سفراً مؤقتاً يحرصون على شراء ما يستطيعون شراءه من ملابس وأدوية بل من الشاى والفاكهة وأنواع الطعام الأخرى .... لقد كان بالقاهرة أعظم الأطباء ولكن صيدليات القاهرة كانت خالية من أكثر الأدوية الضرورية ، وكان بالقاهرة أعظم الخياطين ولكن القماش الجيد لم يكن موجوداً ، وكان فى القاهرة أعظم المدرسين ولكن المدارس كانت قليلة وضيقة وتتهاوى أحياناً لقلة الترميمات ، وقُلْ مثل هذا فى مختلف الشئون .

إن الحديث عن المجتمع المصرى فى عهد عبد الناصر حديث يدعو للحسرة، ولا بد يوماً من حساب من ظلموا الشعب وسرقوا أمواله .

٥ — (أسد علىّ وفى الحروب نعامة) اقتبسنا هذا الشطر من قبل، ونعود فنقتبسه الآن، ويمكن أن نقتبسه عدة مرات ، فإنه ينطبق تماماً على عبدالناصر، فقد كان كلما ضرب من الخارج وعجز عن مواجهة من يضربه يعود إلى المصريين العزّل فينكل بهم ، فعل ذلك عقب انهياره سنة ١٩٥٦ ، وفعله بعد أن انتصرت عليه القوات الانفصالية، وسخرت منه وهاجمته أشنع هجوم ،وفعله عقب هزائمه فى اليمن وكذلك بعد هزيمة سنة١٩٦٧ ، فعبد الناصر لم يكن درعاً يحمى مصر والمصريين كما تعود الزعماء أن يفعلوا ، ولكنه كان وبالا ودماراً لكل القيم بالداخل ، ويقول أحمد حمروش إنه لما كان الانفصال قد انطلق من معقل رحب فى سوريا فإن وزارة الداخلية فى مصر بادرت باعتقال ٤٥ من السياسيين القدامى مثل فؤاد سراج الدين وإبراهيم فرج وسليمان غنام(١) ...

٦ — يعترف عبد الناصر بأنه المسئول عن هذه الكارثة كما اعترف بأنه مسئول عن الكوارث الأخرى ، وهو يقول للبغدادى إنه يعلم كل العيوب ، وأن هناك أخطاء كثيرة ، وأنه هو المسئول الأول عنها ، وأنه قد فكر فى أن يتنحى عن الرياسة ولكنه رأى أن هذا سيعتبر تخلياً عن المسئولية ، وهو لا يرضى لنفسه هذه الصورة(٢) .

والحق أنه ما كان يتنازل عن أمجاده لحظة ، فالرياسة تحقق له الأمجاد على الرغم من كل الخسائر .

٧ — يقابلنا الدجوى هنا مرة أخرى؛ وهو فى هذه الحالة يحاكم مجموعة

---

(١) عبد الناصر والعرب ص ٩٧ .

(٢) مذكرات البغدادى ص ١٢٤

من العسكريين (وحيد رمضان سفير مصر في الجبر ، وأحمد لطفي واكد الذي كان مدير مكتب جمال عبد الناصر في مطلع الثورة ، وداود عويس أحد الضباط العاملين في مكتب المشير) وقد كتب هؤلاء عقب الانفصال بياناً يهاجم سطوة المخابرات والإرهاب والاعتقالات وأخلاقيات النظام ، وقد حكم الدجوى على كل منهم بالسجن ١٥ عاماً مع الأشغال الشاقة بعد محاكمة بلا محام ولا دفاع(١) .

٨ ــ أنزل عبد الناصر سخطه على الشعب المصرى كله أو أكثره عن طريق ما يعرف بالتأميم . فبعد قوانين يوليو سنة ١٩٦١ اتجه بعد الانفصال للاتساع فى نطاق التأميمات ، كما سنرى فيما بعد .

٩ ــ بعد الانفصال انطلق عبد الناصر بشدة يهاجم الدول العربية ، فقد اعتقد أنها فرحت لنجاح هذه الحركة الانفصالية ، وعلت صرخته التى قال فيها : « لن نهادن الرجعية بعد اليوم » وقد تسبب عن ذلك قطيعة بين مصر وبين العرب جميعاً .

١٠ ــ وأكبر المشكلات التى نجمت عن الانفصال كانت معركة اليمن ، وهى مَوْجَةٌ جديدة من موجات الانفعالية عند عبد الناصر ، فقد اعتقد عبد الناصر ــ كما يقول هيكل ــ أن ضرب ثورة السلال يعنى إعطاء الملك سعود فرصــة لتحقيق انتصار آخر بعد الانتصار الذى حققه فى عملية الانفصال ، ولم يكن عبد الناصر مستعداً لإعطاء الملك سعود مثل هذه الفرصة ، وقرر أن يساعد ثورة اليمن(٢) .

وهكذا للعناد فقط وللرغبة فى الثأر الشخصى من الملك سعود أدخل عبد الناصر مصر فى هذه الدوامة العنيفة الجديدة التى سنشرحها فيما بعد .

وتنتهى بذلك الوحدة التى كانت حماقة فى أولها وخسارة جسيمة فى كل خطواتها .

---

(١) عبد الناصر والعرب ص ٩٩

(٢) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٥٨

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

ذكرنا فيما سبق أن عبد النـاصر عيَّن فى منتصف سنة ١٩٦٠ أعضاء البرلـمان الثانى للثورة واختير أنور السادات رئيساً لهذا المجلس ، ومن هنا قلّ نشاطه فى المؤتمر الإسلامى الذى سبق أن تحدثنـا عنه ، واتجه المؤتمر الإسلامى للأفول .

وعلى أثر أفول المؤتمر الإسلامى ظهر كائن جديد انتسب أيضاً إلى الإسلام وكان اسمه « المجلس الأعلى للشئون الإسلامية » ، وأصدر جمال عبد الناصر قراراً بتعيين محمد توفيق عويضه سكرتيراً عاماً لهذا المجلس ، وكان هذا آنذاك فى مطلع الشباب إذ كان فى حوالى الثلاثين من العمر ، كما كان فى أوائل درجات السلم بالنسبة لرتب الضباط .

وعندما أريد أن أكتب عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أرى أمامى مصدرين مهمين يمدّانى بالكثير من المعلومات ، وهذان المصدران هما :

١ - كتابى « رحلة حيـاة »

٢ - كتاب « سنوات عصيبة » للمستشار محمد عبد السلام ، الذى كان نائباً عاماً ، وباشر بعض القضايا ومن ضمنها قضية عن هذا المجلس .

وقبل أن اقتبس من هذين المصدرين أقرر أن لدى معلومات أخرى لا أستطيع ذكرها ، وأرجو ألا يلومنى القارئ ، ويكفى أن أذكر أن القـارئ لو كان مكانى لاتجه اتجاهى فى الغالب ، فطالمـا قهرتنا الظروف التى لا مناص من الخضوع لهـا طوعاً أو كرها ، ويكفى أن أقول إن ما كتبته عن المجلس فى كتابى « رحلة حياة » سبَّب لى كثيراً من المتاعب مع أن ما كتبتـه كان خفيفاً جداً وكنت فيه فى أقصى درجات التحفظ ،

وحتى أبرهن على أن ما كتبته هناك كان نقداً خفيفاً ، فإنى أسيلء هنا تلك الكلمات ، وهى فى الوقت نفسه شرح وتعريف بهذا المجلس نورده هنا :

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لا شك أن هذا العنوان يهزك هزاً ، ولا شك أن الصورة التى ترسمها له كبيرة ومثيرة ، ومن أجل هذا كنت سعيداً كل السعادة عند ما تلقيت خطاباً فى مطلع حياة المجلس (سنة ١٩٦١) باختيارى عضواً فى « لجنة التعريف بالإسلام » وهى لجنة مهمة من لجان المجلس كما ينبيء بذلك اسمها ، ولكن يبدو أن الأسماء بهذا المجلس ليس لها مدلول دقيق ، ولهذا فإنى أريد أن أعرفك بهذا المجلس .

سلطات هذا المجلس فى يد السيد الأستاذ محمد توفيق عويضة ، وهو شاب مهذب رقيق ، كان من قبل أحد الضباط بالجيش ، وهو يتولى السلطات الكاملة بالمجلس كسكرتير عام له يعاونه بعض الإداريين .

وبالمجلس لجان تحمل عدة أسماء : الخبراء — الحديث — التعريف بالإسلام . . . ويُختار الأعضاء لهذه اللجان بمعرفة السكرتير العام نفسه أو من وزراء الأوقاف ، وفى لجنة التعريف بالإسلام التى أتشرف بالانتساب إليها مجموعة من صفوة الأساتذة والمفكرين ، وقد هزنى اسمها عندما وقع علىّ الاختيار لعضويتها ، وكنت من أسبق الأعضاء بها ، وكان عددنا لا يتجاوز أصابع اليدين ، وطلب الأعضاء منى أن أعِدّ تقريراً لتسير عليه اللجنة فى عملها ، فرحت أبحث وأدرس ، ووضعت تقريراً حافلاً ، فقد أخذتُ الأمر مأخذ الجد ، وقلت إن التعريف بالإسلام يكون بالكلمة المقولة والكلمة المكتوبة ، واقترحتُ اللغات التى تكتب بها الكلمة أو تقال ، والأشخاص الذين يكتبون عن الإسلام أو يتحدثون عنه ، كما اقترحت

الموضوعات والأماكن التى ينبغى أن تغمرها هـذه الأحاديث والكتب بالداخل والخارج . . وعُـرِض هذا التقرير الحافل على اللجنة ، فتدارسته فى عدة جلسات ؛ حذفت منه وأضافت إليه ، ثم أقرته .

تسألنى : ماذا حدث له بعد ذلك ؟ فأقول فى إيجاز : غمره النسيان ، ولم نعرف عنه أى شىء ، كأنه كان هدفاً وصلنا إليه ، وآثرنا السلامة بعد ذلك ، وأصبح هذا النسق هو خط العمل بهذه اللجنة ، فموضوعات تثار ، وتقارير توضع ، ومناقشات تدور ، وقرارات — أو لتكن تسميتها اقتراحات — تُـحَـدَّد ، وترفع للسكرتير العام ويطويها النسيان بعد ذلك تماماً . لامتابعة ، ولامراجعة ، ولا نتائج ، وقد أصبح عدد أعضاء هذه اللجنة بعد حوالى عشر سنوات خمسين عضـواً تقريباً ؛ وأصبحت تضيق بهم الحجرة الرحبة غنية الأثاث التى يجتمعون بها ، ومع هذا فالعمل هو العمل ، أو قل إن عدم العمل المنتج ، هو طبيعة العمل بها .

ومن أعمـال هذه اللجنة فحص بعض الكتب التى يتقدم بها أصحـابها لتطبع على حساب المجلس ، ويحوَّل كل كتاب (والأجدر أن نسميه مشروع كتاب) إلى لجنة لفحصه وكتابة تقارير عنه ، وتُـتلى التقـارير فى اجتماع اللجنـة ، ويدور نقاش طويل قد يستغرق جلسة أو جلستين ، وتَقـْبَـل اللجنة الكتاب بعد ذلك أو ترفضه ، ولو قارنا الجهد الذى يبذل والمكافآت التى تصرف للأعضـاء عن هذه الجلسات لأدركنا أن ذلك يفوق الكتاب بكثير ، ثم إن الكتاب الذى يُقبل يأخذ دوره بين قائمـة الكتب التى يطبعها المجلس تبعاً لإمـكانياته ، وتجربتى فى الكتاب الوحيد الذى طبعه المجلس لى باللغة الفرنسية أنه صدر بعد خمس سنوات من إقراره ، وكنت خلالها غيرّت رأيى فى كثير مما كتبت به منذ سنوات .

ومن أجل إحساسى هذا نحو المجلس وأعماله ، ترفّـفتُ عن حضور الجلسات ، فلم أجد جدوى فى مواصلة الجهد لغير طائل ، ولـكن أملى فى مستقبل أنضر

لهذا المجلس ، وحرصى على لقاء رفاق العمل فى لجنة التعريف بالإسلام جعلنى أحضر الجلسات مرة كل شهر أو كل شهرين بدل الحضور كل أسبوع ، فالجهد الضائع عمل لايرضى الله ولا يرضى الضمير .

وهناك مؤتمرات إسلامية يدعى لها المجلس الأعلى، ويمثل السيد السكرتير العام وَفْدَ مصر فى هذه المؤتمرات ومعه بعض الإداريين ، وقلما صحب معه بعض العلماء ، ولا شك أنه من الأجدر أن يكوّن وفد مصر من الباحثين المسلمين الذين يستطيعون أن يتكلموا بعمق فى الدراسات الإسلامية ، ولا بأس أن يكون معهم الأستاذ محمد توفيق عويضة رئيساً للوفد ليباشر بعض المهام السياسية أو التنظيمية .

ويصدر المجلس مجلة « منبر الإسلام » كل شهر ، ومن الممكن أن تصبح أكثر عمقاً وأصالة ، ويقدم مجموعات مما يطبعه من كتب لبعض البلاد الإسلامية وبعض المكتبات الإسلامية ، وليست هذه هى البضاعة التى ترجى من المجلس ، ولو رأى المجلس صناديق الكتب التى يرسلها ثم لم تفتح فترة طويلة ؛ واسطوانات الصلاة التى لايصلى أحد تبعاً لها ، لو رأى المجلس ما يعمل وما يمكن أن يعمل لوقف وقفة تصحيح ووقفة إصلاح ، ولو قارن المجلس أعماله بأعمال المجالس المماثلة التابعة للأديان الأخرى لأحدث حركة تغيير شاملة ، وليته يفعل .

تلك هى كلماتى عن المجلس فى كتابى « رحلة حياة » ومن الواضح أننى عُنيت فيها بالجانب الفكرى فهو ما أهتم به ، وأنا هنا أكتفى بها أما كلمة المستشار محمد عبد السلام فاتجهت للجوانب الإدارية والمالية والقضائية . وفيما يلى لقطات قصيرة مما كتبه الأستاذ محمد عبد السلام .

– تقدم مراقب شعبة الجهاز المركزى للمحاسبات بوزارة الأوقاف بتقرير إلى رئيس الجهاز جاء فيه أن مبالغ كبيرة صُرفت من وزارة الأوقاف للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ليُصرف منها على مدينة ناصر للبعوث

الإسلامية ومضى على صرفها زمن طويل دون تسوية ، وأنه طَلَبَ مستندات صرف هذه المبالغ فلم تُقدَّم إليه ، ولما أصر على طلبها فوجىء بنقله إلى محافظة أسيوط .

– شكل رئيس الجهاز المركزى لجنة قامت بفحص الموضوع وانتهت بوضع تقرير رجَّحت فيه وقوع تزويرات واختلاسات قدرتها مبدئياً بما يزيد عن ٢٠ ألف جنيه (١) .

– تقدم السكرتير العام وهو فى الدرجة السادسة من سلم العاملين بالدولة إلى وزير الأوقاف بمذكرتين مؤرختين ٢٠ / ٨ / و ٢٠ / ١٢ سنة ١٩٦٤ لتفويضه فى إجراء التعيينات ومنح الأجور الإضافية والمكافآت بأنواعها بالنسبة إلى موظفى المجلس الأعلى ومدينة ناصر للبعوث الإسلامية ؛ وهو أمر من اختصاص الوزير ، ولا يجوز التفويض فيه إلا لوكيل الوزارة أو الوكيل المساعد طبقاً للقانون ، وقد وافق وزير الأوقاف على هاتين المذكرتين ، وإذ تمّ له أمر التفويض على النحو المخالف للقانون ، أخذ يغترف من أموال الدولة ، ويغدقها على مرءوسيه (٢) . .

واستطرد المستشار يورد قضايا كثيرة مماثلة ، وعلق عليها بالآتى :

أولاً – من العجيب والغفلة أن يُسمح بمثل هذه الانحرافات فى مؤسسة إسلامية ، كان يتحتم أن تظهر أمام الرأى العالمى الإسلامى بعيـــدة عن الانحرافات ، وكان على مراكز النفوذ أن تختار مكاناً آخر لمثليها غير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ثانياً – كيف يوضع شاب فى مثل هذه السن وتلك الثقافة بحيث يتحكم

---

(١) المستشار محمد عبد السلام : سنوات عصيبة ص ٩٠
(٢) المرجع السابق ص ٩٢

فى رجال الدين عن طريق اختيارهم أعضاء بالمجلس بمكافآت تصرف لهم نظير حضور الجلسات ، ولا شك أن الكثيرين بلعوا ألسنتهم لذلك .

ثالثاً — كان هذا الشاب يسيطر على الوزراء الذين يُفْتَرَض أنه يعمل تحت رياستهم ، وعندما رفض أحد وزراء الأوقاف أن يوافق على رغباته أعفى من منصبه بعد بضعة أشهر .

ولا عجب فى ذلك ، فإن ذلك كان دستور العصر ، وهذا مثال من أمثلة مراكز النفوذ ، وهو تنفيذ للسياسة التى شرحناها من قبل عن إيثار أهل الثقة على أهل الكفاءة .

القوانين الاشتراكية والقطاع العام

تحدثنا فى حوادث سنة ١٩٥٢ عما سمى الإصلاح الزراعى الذى حدد ملكية الأرض الزراعية بحيث لاتتجاوز ملكية الزوج والزوجة ٢٠٠ فدان يضاف لها مائة للأولاد .

وقد سمى هذا التصرف آنذاك « الإصلاح الزراعى » لأن كلمة « الاشتراكية » لم تكن قد ظهرت فى قاموس عبد الناصر ، وذكرنا أن كلمة الاشتراكية ظهرت بعد علاقاتنا بالاتحاد السوفييتى ، وبعد ما سُمِّى بكسر احتكار السلاح ، كما ذكرنا أن كمال الدين حسين وصف هذه الاشتراكية بأنها لاتعرف المصادرة ، وأن جمال عبد الناصر لامه على ذلك ذاكراً أنه قد يحدث ما يدفع إلى المصادرة والتأميم .

وبعد حرب السويس أمِّمت البنوك الأجنبية كما ذكرنا من قبل ، وكل ذلك مَّهد لما يسمى القوانين الاشتراكية التى صدرت فى يوليو سنة ١٩٦١ ، وأصبحت الاشتراكية عقب ذلك مادة تدرس فى المدارس والجامعات ؛ وأغنية يتغنى بها الناس ، وفتحت لها معاهد فى نواحى القطر كانت لها امتيازات ليست لغيرها من المعاهد ، وقد اندفع عبد الناصر فى التأميمات فى الأعوام التالية حتى شملت التأميمات ٨٥٪ من المصانع والمتاجر والأسهم والسندات والأموال .

وأهم القوانين الاشتراكية ما يلى :

— قانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٦١ بتأميم ١٤٩ شركة تشمل جميع البنوك وشركات التأمين .

— قانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٦١ باشتراك القطاع العام فى ٩١ شركة .

— قانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦١ بتحديد ملكية الفرد فى ١٥٩ شركة .

- قانون رقم ١٢٠ لسنة ١٩٦١ بتنظيم منشآت تصدير القطن .

-- قانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٦١ بنقل ملكيات منشآت مكابس القطن للدولة .

- قانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٦١ بإسقاط الالتزام عن شركة ليبون بالاسكندرية .

- قانون رقم ١٢٣ لسنة ١٩٦١ بإسقاط الالتزام عن مرفق مياه القاهرة.

- قانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١ بجعل الحد الأقصى للملكية الزارعية مائة فدان :

وفى يناير سنة ١٩٦٢ أمم عبد الناصر ٧٧ مشروعاً خاصاً للمخابز ، كما أصدر قوانين تجعل الحكومة شريكة بنسبة ٥٠٪ فى ٢٤٣ مشروعاً خاصاً لطحن الغلال وضرب الأرز . . . . وهكذا اتسعت عمليات التأميم حتى تناولت المشروعات المتوسطة للصناعة المصرية ، وانتقل بمقتضى هذه التأميمات إلى أيدى الدولة ٨٥٪ من الوسائل الرئيسية للإنتاج فى الصناعة ، وكل وسائل النقل بالكامل(١) :

وخلق تبعاً لذلك ما سمى « القطاع العام » لإدارة وسائل الإنتاج المؤممة ، وسنعود للقطاع العام بعد قليل ، ولكننا هنا نستمر فى الحديث عن اشتراكية عبد الناصر :

اشتراكية عبد الناصر فى رأى المفكرين المصريين :

وصف أنور السادات اشتراكية عبد الناصر أبلغ وصف حينما قال : إنها اشتراكية الصنم ؛ واشتراكية توزيع الفقر ، وقد اقتبسنا ذلك من قبل .

---

(١) ايغور بيلياييف وبريماكوف : مصر فى عهد عبد الناصر ص ١٣١ ، ١٣٧

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم إن اشتراكية ذلك العهد كانت مجرد التأميم والاستيلاء على أموال وقصور ، لتحل فيها طبقة أخرى باسم آخر ، تماثلها فى الثراء وتتشبه بها فى الترف(1) .

ويقول الأستاذ إحسان عبد القدوس : إنه لم يحدث شىء فى المجتمع المصرى بعد الثورة ، وكل ما حدث أن أشخاص وأسماء وعائلات الطبقة الراقية وأولاد الذوات قد تغيرت(2) .

ويتحدث الأستاذ صالح جودت عن اشتراكية عبد الناصر فيقول إنه نظام ظاهره العدالة الاجتماعية ، ولكنه انتهى إلى إفقار الأغنياء وتجويع الفقراء(3).

وما بالك باشتراكية يتزعمها على صبرى بعد جمال عبد الناصر ، وألف فيها على صبرى كتابا عرض فيه نظريات شيوعية تفرض حياة التقشف ، وتدعو لربط الأحزمة على البطون ، وتوجب القضاء على التطلعات الرأسمالية التى تبيح القصور ومتاع القصور ، ولكن هذا الزعيم الاشتراكى كان له قصران أحدهما بالقاهرة والثانى بالاسكندرية ، وقد ازدحما بالرياش الفاخر وبأحدث الأجهزة مما لا يوجد إلا فى قصور أصحاب الملايين من الأمريكان ، وكانت ملابسه [و]ملابس آله تجلب من لندن وباريس ، كما تجلب له الفاكهة النادرة والعطور الفاخرة(4) .

---

(1) عودة الوعى ص ٧٢

(2) جريدة الأهرام فى ١٩٧٤/٨/٢

(3) مجلة المصور فى ١٩٧٤/٣/٧

(4) رسائل من نفاقستان ص ٥٦

ويذكر الدكتور إبراهيم عبده[1] عن رئيس جهاز الاشتراكية أنه كان عندما يصل إلى مقر جهازه ، يسرع موظف خاص إلى المصعد فيطلق فيه نوعاً ممتازاً من العطور الزكية ، وينطلق سعاة آخرون يطلقون العطور فى حجرة مكتبه ، وهو بذلك يفعل ما يفعله الأباطرة والملوك فى العصور الوسطى .

وإذا كانت الثورة قد حددت الملكية الزراعية ، فإن ملكيات كبرى قد امتلكها أناس لم يكن لهم عهد بالثراء من قبل ، كالعمائر الشاهقة ، والحدائق الغناء ، وملايين الجنيهات بالداخل والخارج ، وشئون الاستيراد والتصدير التى تُخيل أرقاماً خيالية من الثراء ، بل وصلت ممتلكات بعضهم إلى مئات الأفدنة عن طريق صور متعددة من التهريب .

وهل يعد من الاشتراكية أن يوجد فى القصر الجمهورى مئات من الأفراد فى درجة وزير يتقاضون مرتب الوزراء ومخصصاتهم دون أن تكون لهم وزارات أو أعباء الوزراء ؟

ويقال إن عدد وزراء هذا النوع فاق كل مبالغة ، وطالما قابلت بعض الناس ورأيت من يناديهم « معالى الوزير » فإذا سألت عن وزارته قيل لى إنه وزير بالقصر .

ويقول الدكتور محمود القاضى فى مناقشات مجلس الشعب فى ٧٤/١٢/١١ إن عدد هؤلاء فى القصر وخارجه بلغ سبعمائة وزير ونائب وزير ، وتلك مخالفة دستورية ، وعبء ثقيل على الميزانية .

وهل يعد من الاشتراكية أن تزدحم وزارة الخارجية بسفراء مقعدين ينالون حظ السفراء ولا يعرفون معارفهم ؟

---

(١) الوسواس الخناس ص ٦٧

وهل يعد من الاشتراكية أن تُخلق للأقارب والأصهار حديثى التخرج وظائف رفيعة فى صحيفة الأهرام وأمثالها من المؤسسات بمرتبات تعد بمئات الجنيهات بينما يعانى زملاؤهم البطالة حيناً ، حتى تُلْقَى بهم القوى العاملة بمكان ما ، بمرتب لا يفى بأجر السكن أو القوت الضرورى ؟

وهل يعد من الاشتراكية أن تقدم المنح بالآلاف للمرتزقة من المؤلفين الأجانب ليكتبوا كتباً يمجدون فيها عبد الناصر ؟ أوللصحفيين فى لبنان وغيره ليكتبوا عن زعيم الشرق بعض المقالات .

وهل يعد من الاشتراكية ما ورد فى ص ٢٠٧ من التحقيق الذى أجرى بعد تصحيح مايو مع أحد وزراء القصر فى عهد جمال عبد الناصر من أنه اشترى لزوجته وبنته ملابس من الخارج بعملة أجنبية بلغت أثنى عشر ألف جنيه فى عام واحد ، دفعت من المصروفات السرية ، فى نفس الوقت الذى تقف فيه طوابير طويلة من المصريين أمام المحال التجارية فى انتظار القليل من الكستور والدمور .

إن اشتراكية عبد الناصر كانت نمطا وحدها ، ولذلك قُدِّر لها أن تكون قصيرة العمر ، وأن تعود الدولة إلى سياسة تقضى بها على استعمال الكلمات بدون مدلول .

القطاع العام :

تبعاً لحركة التأميم الواسعة التى ذكرنا أنها وَضَعَت فى يد الدولة ٨٥/ من المؤسسات أقام عبد الناصر ما سمى « القطاع العام » وقال عنه : « إن القطاع العام سيقود التقدم فى جميع المجالات ، ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية[١] » ، وعين عبد الناصر موظفى القطاع العام من أهل الثقة

---

(١) الباب السادس من الميثاق الذى يتحدث عن « حتمية الحل الاشتراكى » .

لا من أهل الكفاءة ، فقد كانت الثقة عنده هى كل شىء ، ولم تكن الكفاءة شيئاً ، ومما ينبغى إيضاحه أن أهل الكفاءة كانوا فى الغالب بعيدين عن السلطة ، إذ برز لهم ما فى الحياة السياسية من انحراف ، فاعتمدوا على أنفسهم وكفاءتهم فى صراع الحياة،وآثروا البعد عن معترك السياسة ، وهكذا لم يوجد فى محيط عبد الناصر مواطن يجمع بين الثقة والكفاءة إلا القليلون جداً .

وعانى القطاع العام أشد المعاناة من أهل الثقة الذين كانوا يتصفون بالجهل وسوء السيرة ، وسنورد فيما يلى نماذج من انحراف هؤلاء ، وسنقتبسها من رجل مسئول هو المستشار محمد عبد السلام الذى كان نائباً عاماً من أغسطس ١٩٦٣ إلى أغسطس ١٩٦٩ وقد كتب كتاباً عنوانه « سنوات عصيبة » يقول فى مقدمته « ظللت خلال هذه السنوات أقوم بالمحاولة بعد الأخرى لمقاومة الانحرافات التى كان يتزعمها الكبار من أصحاب السلطان سواء فى الجهاز الحكومى أو فى جهاز القطاع العام ، كما حاولت قدر استطاعتى أن أرسى مبادىء العدالة وسيادة القانون ، وأن أقلل ما أمكن من طغيان السلطات على العدالة والقانون ، وعلى الحريات ، وكنت فى خلال هذه المحاولات أصطدم بالمنحرفين من أصحاب مراكز النفوذ ، وأخذ الصدام يتصاعد المرة بعد المرة حتى وصل إلى ذروته عندما أطيح بى مع الخيرة من زملائى فيما أصطلح الرأى العام على تسميته « مذبحة القضاء[1] » .

وفيما يلى بعض اقتباسات من هذا الكتاب :

١ — وقائع اختلاس ورشوة واستغلال نفوذ فى الشركة العقارية المصرية وهى شركة من شركات القطاع العام وشمل الاتهام فيها رئيس

---

(١) المستشار محمد عبد السلام : سنوات عصيبة ص ٥

مجلس إدارة الشركة ومديرها العام وعدداً من المهندسين والمديرين الماليين والإداريين ، وقد تواطأ هؤلاء مع عصابة من المقاولين على اختلاس أموال الشعب معتمدين على صفاتهم السياسية وانتمائهم إلى الاتحاد الاشتراكى وصلاتهم بالحكام ، وقد اختلس أفراد هذه العصابة من الموظفين والمقاولين من أموال الشركة مبالغ مختلفة على دفعات تصل إلى مئات الألوف (حدد المؤلف أرقامها) وقد حققت هذه القضية وأخذت رقم ٢٦٠٣ لسنة ١٩٦٥ قضية جنائية باب شرق(١) .

٢ — شركة النصر لصناعة الزجاج والبللور ، وكان يملكها عصامى مصرى اسمه سيد ياسين وأممها جمال عبد الناصر ، فسُلمت — كما يقول المؤلف — إلى عصابة من الموظفين لاغتيال أموالها بالاتفاق مع أحد التجار ، وشمل قرار الاتهام رئيس مجلس إدارة الشركة ورئيس حساباتها ومدير مبيعاتها ورئيس خزانتها ومديرها المالى ، وحققت النيابة هذه القضية وكانت تحقيقاتها رقم ٤٨٨٠ لسنة ١٩٦٥(٢) .

٣ — شركة النصر للهندسة والتبريد : فى يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٥ شبت النار فى حجرة الأرشيف الخاصة بحفظ مستندات الشركة واتضح من التحقيق أن النار مصطنعة لإخفاء وثائق تدل على اختلاسات واسعة وانحراف كبير . ورقم التحقيق ٧٢٩ لسنة ١٩٦٥ ، وشمل تسليم آلاف الكيلوجرامات من الألومونيوم إلى بعض التجار دون مقابل ، وبيع بضاعة بأثمان زهيدة دون ممارسة أو مزايدة ، وشراء بضائع بأسعار مرتفعة بدون مناقصة ، مع وجود عروض بأسعار أقل ، وغير ذلك من الانحرافات(٣) .

---

(١) المستشار محمد عبد السلام : سنوات عصيبة ص ٤٧ - ٤٨

(٢) المرجع السابق ص ٥٥

(٣) المرجع السابق ص ٥٦ — ٥٧

وقد أصبحت هناك مواسم للحريق تجىء كل عام فى الموعد الذى يسمى موعد الجرد تخلصاً من الوثائق ومن السلع أيضاً .

٤ — شركة المحلات الصناعية للحرير والقطن (إسكو) أثبت التحقيق رقم ٧ لسنة ١٩٦٦ أن ٢٩ شخصاً من المقاولين والعمال وكبار الموظفين بالشركة، قد كونوا عصابة اختلست عشرات الآلاف من أموالها(١) .

٥ — أثبت التحقيق رقم ٣٣٨٨ لسنة ١٩٦٤ أن العمل فى هيئة النقل العام كان طابعه الاختلاس والرشوة، كما كان يتسم بالإهمال الجسيم ؛ فقطع الغيار تُشترَى بأسعار خيالية دون أن تكون مطابقة للمواصفات الفنية ، ودون حاجة إليها ، ثم تدخل المخازن وتخرج منها دون قيد مما يسَّر عملية الاختلاسات(٢) .

٦ — مدير إحدى الشركات قُدم إلى محكمة الجنايات فى ٦ جنايات عن وقائع انحراف واختلاس وإهمال جسيم ، وعلى الرغم من هذا الاتهام فقد رؤى إسناد منصب وكيل وزارة الصناعة إليه(٣) .

٧ — سرت عدوى الفساد إلى الهيئات الخيرية فقد تبين أن المشرف على هيئة معونة الشتاء قد اختلس من أموالها مايربو على المائة ألف جنيه .

٨ — وفى مصلحة الجمارك تبين من تحقيق الجناية رقم ١٥٥ لسنة ١٩٦٦ أن عصابة من موظفى المصلحة دأبت على تزوير شهادات بدفع رسوم الجمارك على السيارات المستوردة وتزوير خطابات لإدارات المرور للحصول على الرخص اللازمة(٤) .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٨
(٢) المرجع السابق ص ٥٩
(٣) المستشار محمد عبد السلام : سنوات عصيبة ص ٦٠
(٤) المرجع السابق ص ٦١

٩ — وامتد الاختلاس إلى التبرعات التى قدمها المواطنون للمجهود الحربى ، فقد تبين أن أحد أبناء الاتحاد الاشتراكى ، محافظة المنوفية ، وهو فى الوقت نفسه عضو فى مجلس الأمة قد استولى على جانب من هذه التبرعات .

١٠ — أثبتت التحقيقات فى الجناية رقم ١٧٠٧٨ لسنة ١٩٦٦ أن عصابة تضم عدداً من موظفى الشركة العامة للتجارة والكيماويات وشركة مصر للاستيراد والتصدير قد تواطأ أفرادها على اختلاس أموال هاتين الشركتين ، وهما من شركات القطاع العام ، وقد قدرت الأموال التى اختلست بمئات الألوف من الجنيهات[١] .

وهكذا كان القطاع العام مجالاً خصباً للصوص والمحتالين ، وكانت العيون لا تتجه لهم لأن حماية ضخمة كانت تسدل عليهم ، ولم تفضح حوادث كتلك التى أوردناها إلا لظرف خاص ، كالمبالغة فى الاختلاس ، أو وقوع خلاف بين المختلسين ، أو غضبة تقع على واحد منهم من السلطات العليا التى تحميهم وتُغريهم .

الصناعة والتصنيع :

وهناك مؤسسات أخرى جرى عليها ماجرى على القطاع العام ففسدت ، وتلك هى المؤسسات الصناعية ، ولا شك أن كل مصرى يتمنى أن تصبح بلاده بلاداً صناعية ، ولكننا كنا نتمنى كذلك أن يكون التصنيع مبنياً على أسس علمية دقيقة ، كصناعة النسيج التى قام بها طلعت حرب فحقق معجزة ومفخرة ، أما أن نصنع من الإبرة إلى الصاروخ فهذا هو الخطأ الفادح ، فلا الإبرة المصرية نجحت ، ولا يستطيع أحد أن يخيط بها شبراً واحداً ، وهى والدبابيس ترتد لليد التى تستعملها بدل أن تخترق القماش أو الورق ،

(١) المرجع السابق ص ٦٢

أما الصاروخ المصرى فقد ظل فى حرب ١٩٦٧ صامتا هادئاً بدون حركة أو نشاط .

قالوا لنا إن عندنا مصانع للتليفزيون والراديو ، ولكن الأمر انكشف عند ما قطع عبد الناصر علاقاتنا بألمانيا الغربية ، فإن هذا المصنع قد توقف تماماً ، واتضح أن كل ما كنا نقوم به هو تركيب الأجزاء التى نستوردها من ألمانيا ، فلما توقفت العلاقات وانقطع استيراد الأجزاء توقف المصنع ، وكان الموظفون يحضرون أول الشهر لقبض مرتبهم ثم يذهبون إلى حيث يريدون ؟

وقالوا لنا إن عندنا صناعة سيارات ، ولكنا جميعا نرى لوريات ضخمة تحمل سيارات (فيات) قادمة من إيطاليا عن طريق الإسكندرية ، وتحملها اللوريات من الإسكندرية إلى المصانع المزعومة بحلوان ، لتخرج هـــذه السيارات بعد قليل وقد كتب عليها « سيارة نصر » والمسألة ليست إلا خداعاً فى خداع ، ويقولون إن كلمة « نصر » التى تكتب على هذه السيارات مستوردة أيضاً من إيطاليا .

بل إنى أرى ويرى معى الناس سيارات كبيرة كتب عليها « مصانع الطائرات » ولا بد أن فى هذه المصانع مهندسين ومجلس إدارة ورئيساً لهذا المجلس ، ولكنا لم نر طائرات مصرية ، وربما لن نراها فى المستقبل القريب ، وعلى هذا فأغلب ما يقال عن الصناعة زيف فى زيف .

وكانت عندنا بعض الصناعات فعلاً ، ولكن الإنسان المصرى غنياً أو فقيراً كان يبحث عن « الساعة المستوردة » فى كل شىء ؟

ما السبب فى هذا مع ما عرف عنا من عمق فى الوطنية وحب فى السير ببلادنا إلى مستوى أرفع ؟ .

الإجابة هى سوء إنتاج هذه المصانع بسبب سوء الإدارة وسوء التنظيم ، ومن هذا وذاك كان يشكو المهندس والعامل والمستهلك .

إنه عصر ظلام فى كل شىء ، وقلّ أن تجد فيه شعاعاً من الضوء .

النفاق

لعب النفاق دوراً خطيراً فى تدمير حياتنا خلال الخمسينات والستينات . فقد كان جمال عبد الناصر يستطيب المدح ، وربما جاز القول بأنه كان يصدّقه ويُثيب عليه ، وتبعاً لذلك وُجدت حوله جماعات تخطّط للنفاق ، وتنظم لاصطناع الإكبار له والإجلال ، ولى تجربة فى هذا المجال ؛ ففى سنة ١٩٦١ كنت مديراً مساعداً للإدارة العامة للوافدين والمبعوثين ، وتُشْرِف هذه الإدارة على الوافدين لطلب العلم من مختلف الأقطار ، وكانوا فى ذلك العهد عدداً كبيراً قبل أن تنتشر المدارس والجامعات بالأقطار التى استقلّت حوالى ذلك التاريخ ، وكان معى موظف دهشت عندما عرفت الوظيفة المخصصة له ، كانت وظيفته قيادة فيلق المنافقين ، فكان إذا استضاف عبد الناصر ضيفا كبيرا ، أو إذا كان عبد الناصر مسافراً أو عائداً تحرك فيلق المنافقين من هنا وهناك ليردد الهتافات للرجل الملهم ، قائد العروبة ، وزعيم إفريقية . . . . ، وكان موظف إدارتنا يأخذ عدداً من السيارات ليشحنها بالطلاب الوافدين الذين كانت تُقَدَّم لهم المنح بشرط أن تكون حناجرهم قوية ، وإخلاصهم للذات الناصرية إخلاصاً مطلقاً وعميقاً .

وراح النفاق يتسع نطاقه ويتطور ، فشمل الرسم والتصوير والنحت ، وأصبحت رســوم جمال عبد الناصر توضع مع صور أحمس وتحتمس وصلاح الدين ، وكان النعت المحبب للمنافقين أن يوصف بأنه رسول السلام .

ومن صور النفاق أن ملأ أعوان عبد الناصر البلاد بتماثيله ، فأنى تسير تجد تمثالاً له فى الوزارات والإدارات والمحافظات ومراكز البوليس والمدارس ومفارق الطرق ، بل دخلت تماثيله القرى الصغيرة فى الجمعيات التعاونية الصغيرة بأوامر إدارتها العامة كما سبق القول .

وقد ظهرت فكرة إقامة تمثال كبير لعبد الناصر ، ويقول توفيق الحكيم: إنه تلقى خطاباً فى هذا الشأن يقول فيه صاحبه إنه موافق على إقامة التمثال ، ولكنه يرى أن يكون مكانه فى تل أبيب ، لأن إسرائيل لم تحلم يوماً بأن تبلغ ما بلغته من النصر ، ولا تظهر أمام العالم بهذا التفوق الحضارى إلا بفضل عبد الناصر(١).

والعجيب أن النفاق استمر مرتبطاً بعبد الناصر حتى عندما كان جثمانه يحمل إلى مقره الأخير بعد موته ، فقد كان المنافقون يحملون رسم الحرم النبوى الشريف ، ومن وراء قبة الحرم تظهر صورة الفقيد ، وتحتها الآية الكريمة « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »(٢).

بل يمكن القول بأن النفاق لا يزال موجوداً حتى كتابة هذه السطور بعد عدة سنوات من موت عبد الناصر ، فهؤلاء الذين تعودوا مدحه خوفاً أو نفاقاً لا يستطيعون أن يعودوا للحق ، كأن الباطل أصبح طبيعة الحياة ، فلا تزال صورته فى كثير من الإدارات والمكاتب ، ولا يقوى أحد على إنزالها ، واكتفى هؤلاء الناس بأن وضعوا صورة الرئيس محمد أنور السادات بجوار صورة جمال عبد الناصر ، مع أن صورة الرئيس رمز للبلاد ، ولا يمكن أن يكون هناك إلا رمز واحد ، وعلى هذا فليس بقاء صورة جمال عبد الناصر إلا استمراراً لنفاق تعوده الناس .

ولعل الدراسة العلمية الصادقة التى ظهرت بعد عصر النفاق والهزائم ، توحى للمخلصين أن ينزلوا هذه الصور ، وأن يزيلوا هذه التماثيل ، فلا يستحق هذا الإجلال إلا من عاش لوطنه وأدى واجبه على أحسن وجه .

---

(١) عودة الوعى ص ٦٠

(٢) رسائل من نفاقستان للدكتور ابراهيم عبده ص ٤٤ و ١٢٥

حوادث سنة ١٩٦٢

هناك أحداثاً كثيرة حدثت سنة ١٩٦٢ ، وكان لها خطر عظيم على الحياة في مصر ، وسنتناول هذه الأحداث بالدراسة فيما يلي :

الميثـــاق

ما الميثاق بوجه عام ؟

فى المراجع الوثيقة يَـرِد النص التـالى فى تعريف الميثاق : « هو وثيقة يصدرها ملك إلى الشعب يمنحهم حقوقاً إدارية أو قضائية أو تشريعية ، ويستخدم هذا الاصطلاح على نحو عام للمنح التى كان يصدرها الملوك فى العصور الوسطى بشأن بعض الحقوق ، وأشهر المواثيق التاريخية الميثاق الأعظم ـــ أو ماجنا كارتا ـــ الذى أصدره الملك يوحنا سنة ١٢١٥ ، وكان هذا معروفاً بابتّزازه المتـكرر للمـــال العام ومخالفته للتقاليد ، فتصدى له البارونات ، وأرغم على إصدار هذا الميثاق »[١] .

ويبدو أن جمال عبد الناصر أراد أن يعيد مصر إلى العصور الوسطى ، ففـكر فى إصدار ميثـاق على نحو ما كان يفعل مـــلوك تلك العصور ، ومع هذا ، فليت عبد الناصر خضع للميثاق كما خضع له الملك السارق المستبد يوحنا فى مطلع القرن الثالث عشر .

وهناك فرق كبير يلحظه الدارسون بين الميثـاق الأعظم وميثاق جمال عبد الناصر ، فالميثاق الأعظم من عمل البارونات وأعوانهم ، وأرغم الملك يوحنا على إصداره ، ولكن ميثاق عبد الناصر من عمله هو ، وكان زوبعة فى فنجان ، فلم يعرف التطبيق .

---

(١) انظر الموسوعة العربية ص ١٦٠٩ ، ١٧٩٦.

وإذا رجعنا إلى زملاء عبد الناصر نجد البغدادى ينقل كلمات عبد الناصر عن الميثاق ، وهى : لابد أن ندفع الجماهير إلى التحمس والتسابق فى الاشتراك فيما نحن مقدمون عليه ، حتى نقضى على هذه السلبية ، والحل هو أن نعلن أننا سنعمل من أجل قوى الشعب الوطنية وسنعزل الرجعيين ، وسأعمل منشوراً أو ميثاقاً أحدد فيه أهدافنا وبرنامجنا ، ويُدعى مؤتمر لمناقشة هذا المنشور وإصدار قرار فيه[1] .

وهكذا أعلن عبد الناصر فى هذه العبارة الحقائق التالية :

١ – يريد دفع الجماهير لما هو مقدم عليه ، فالهدف الدفع وليس الوصول للاعتقاد والاندفاع .

٢ – اعتراف عبد الناصر بسلبية الشعب تجاه أغراضه .

٣ – يعلن أنه سيعمل من أجل الجماهير ، مجرد إعلان ولو بدون عمل .

٤ – تكرار الهجوم على من أسماهم الرجعيين ، وهو اتهام يرمى به من يشاء .

٥ – أعلن أنه سيعمل هو هذا الميثاق .

وعمل عبد الناصر المنشور أو الميثاق وعرضه للمناقشة ، وقد كنت أحد الذين اشتركوا فى المناقشة ، واقترحنا تعديلات معينة ، ولكن صدر الميثاق كما أعده عبد الناصر دون أى تغيير ولو فى جملة واحدة ، وقيل إن ملاحظات الهيئات تراعى عند التطبيق ، ولكن كلام الزعيم لا يُغيَّر ، وبالتأكيد لم تراع هذه الملاحظات ، بل لم يراع الميثاق نفسه فى قليل أو كثير ، ولعل هذا هو الذى جعل أنور السادات يتحدث عن الميثاق بصيغة

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ١٥٩

التهكم أو الاستخفاف حين يقول . . . وبعد الانفصال ، والنكسة التي سببها في مصر والتي حفزت الشعب على النقد العلني العنيف ، عدّل عبد الناصر الاتحاد القومي بجعله الاتحاد الاشتراكي الذي يقوم على تحالف قوى الشعب العامل ، وكان ذلك عن طريق المؤتمر عندما تقدم له عبد الناصر بما سمي الميثاق(١) .

وقد قدم عبد الناصر الميثاق إلى المؤتمر يوم ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ ، وصودق عليه في الرابع من الشهر التالي (٤/٦/١٩٦٢) .

وفي مقدمة هذا الميثاق يهاجم جمال عبد الناصر ثورة ١٩١٩ ويذكر أنها فشلت في الحصول على نتائج ملموسة لعدم إدراك قياداتها أهمية الإصلاح الاجتماعي في البلاد . . . ولذلك حصل المصريون على دستور يعتبر « مجرد مظهر » . وليت جمال عبد الناصر فهم ما لم يفهمه السابقون وحقق ما عجزوا عن تحقيقه ، ولكن هيهات . . .

وقد شمل الميثاق بعد المقدمة التاريخية عشرة أبواب هي :

١ – ضرورة الثورة

٢ – جذور النضال المصري

٣ – الديمقراطية السليمة

٤ – حتمية الحل الاشتراكي

٥ – الإنتاج والمجتمع .

٦ – مفهوم الوحدة العربية

---

(١) البحث عن الذات ص ١٧٣

٧ — توحيد الهــدف فى أثناء مرحلة الثورة السياسية إلى مرحلة الثورة الاجتماعية .

٨ — السياسة الخارجية التى تعتمد على الحرب ضد الاستعمار .

٩ — العمل من أجل السلام .

١٠ — التعاون الدولى من أجل الرخاء .

وما إن صدر الميثاق حتى ألزم الجميع بالحديث عنه ، وأصبح ضمن المقررات العلمية فى المدارس والجامعات ، « وأعلن بعض فقهاء القانون الدستورى الذين كانوا يسيرون فى الركب أن الميثاق أسمى رتبة من الدساتير (١) » وراح بعض الناس يحفظون الكثير من نصوصه ويرتلونها عن ظهر قلب ، فكان ذلك مفخرة لهم نالوا من أجلها أسمى الوظائف ، وقد سمعت الأستاذ حافظ بدوى الذى شغل منصب الوزارة عدة مرات ، وَرَأَسَ مجلس الشعب ، يلقى من الذاكرة عبارات كثيرة من نصوص الميثاق . ولعل ذلك كان من الأمجاد التى ساعدت على علو مكانته .

وفى معرض للكتب بدار المعارض بالجزيرة دخلت مرة ، فواجهنى فى مدخل المعرض كتاب ضخم مفتوح ، اتساع صفحاته يزيد عن المتر ارتفاعاً ٣/٤ المتر عرضاً وأوراقه مصقوله جداً ، وقد كتب بخط يدٍ بارعة فى تحسين الخطوط ، وحسبتُ من بُعْدٍ أنه القرآن الكريم ، فلما اقتربت منه وجدته ذلك الشيء الذى سمى الميثاق :

وعمر الميثاق كان قصيراً ؛ إذ لم تكن له جذور عميقة ، وإنما كان خداعاً فى خداع ، فسرعان ما نسى عندما جاء شيء آخر مماثل اسمه « بيان ٣٠ مارس » (سنة ١٩٦٨) ، وهذا وذاك كان هباء وضياعاً .

---

(١) دكتور وحيد رافت : فصول من ثورة يوليو ص ٩٤

الاتحاد الاشتراكى

جاء فى الموسوعة العربية عن الاتحاد الاشتراكى ما يلى : هو تنظيم سياسى أعلنه الرئيس جمال عبد الناصر فى ٤ يوليو سنة ١٩٦٢ ، ويعتبر خلفاً لهيئة التحرير وللاتحاد القومى ، يقوم أساساً على الالتزام بمبادىء الميثاق ، والغرض منه أن يجعل المواطنين جميعاً وبخاصة العامل والفلاح كتلة قوية . . . ويُطلب من عضو الاتحاد الاشتراكى أن يكون ثورياً مؤمناً بالميثاق ، ولهذا فأهم شروط العضوية كانت :

١ — أن يدرس العضو الميثاق ويشرحه باستمرار .

٢ — يحافظ العضو على وحدة الاتحاد الاشتراكى .

٣ — يطبق قانونه الأساسى .

٤ — يتصرف كقدوة فلا يطالب بمميزات أو استثناء .

٥ — يعمل بقوة حتى لا يترك فرصة لأعداء الاشتراكية وأعداء الثورة (١) .

ويعتبر الاتحاد الاشتراكى مرحلة من المراحل التى كانت تتظاهر بربط الثورة بالجماهير ، وكان واضحاً للشعب كله أن هذا التظاهر لون من الخداع ، فإن الثورة اتخذت الجيش والمحاسيب أعمدة لها ، وكان ارتباطها بالشعب ارتباطاً صورياً فقط ، كما ذكرنا من قبل .

معلومات عن الاتحاد الاشتراكى :

شغل الاتحاد الاشتراكى مئات المراكز فى المناطق المختلفة بالعواصم

---

(١) الموسوعة العربية ص ٤٥

والأقاليم ، وكان المبنى الرئيسى أضخم هذه المراكز بطبيعة الحال ، فهذا المبنى الذى خصص للجنة المركزية أقامه محافظ القاهرة صلاح دسوقى على مساحة قدرها ١٠ آلاف متر على كورنيش النيل ، وبلغت تكاليف البناء حوالى ٢ مليون جنيه ، والمبنى مكون من ١٣ طابقاً ، بكل طابق ٣٦ حجرة ومبنى اللجنة المركزية به ٣٠٠ خط تليفونى مباشر بجانب مئات الخطوط المخصصة للاتصال الداخلى ، وبه غرفة عمليات ضخمة يتم عن طريقها الاتصال الفورى بجميع المحافظات ، وبه جهازان أحدهما للتلكس والثانى للتليبرنتر ، وبالمبنى تكييف مركزى للمكاتب الرئيسية والقاعات ، وعدد من أجهزة التكييف فى المكاتب الأخرى .

وفى اكتوبر سنة ١٩٦٥ جُدد هذا البناء ، وقام الاتحاد الاشتراكى بإعادة تجهيزه باعتباره المركز الرئيسى للتنظيم السياسى الوحيد فى الدولة ، وقد تكلف ذلك مبالغ طائلة ، وعلى سبيل المثال ، بلغت تكاليف تأثيث الدور الثانى عشر ½ مليون جنيه ، وبلغت مصاريف إصلاح دورات المياه ١٦ ألف جنيه ، وبلغت مصاريف طلاء الجدران بالزيت ٣٠ ألف جنيه .

وكانت مراكز الاتحاد الاشتراكى تتبارى فى الترف على حساب الدولة ، إذ لم يكن هناك ميزانية خاصة له ، وإنما كان يُنفق من خزانة الدولة بواسطة شيكات يصدرها جمال عبد الناصر من حين إلى آخر ؛ وتفرّغ عدد كبير من الشخصيات للعمل فى الاتحاد الاشتراكى بالمركز العام ، وبالمراكز الأخرى المختلفة ، وكان لهؤلاء امتيازات إدارية ومالية واسعة ، وحتى نعطى نموذجاً بسيطاً لتكاليف مراكز الاتحاد الاشتراكى نذكر أن المكالمات التليفونية بمقر الاتحاد الاشتراكى بسوهاج فى عام واحد كانت تكاليفها ١٥ ألف جنيه (١) . فما بالك بغير سوهاج من العواصم ؟ وما بالك بغير التليفونات من التكاليف والنفقات ؟

---

(١) هذه المعلومات مستقاة من قصة الاتحاد الاشتراكى كما نشرتها صحيفة الأخبار فى ٧٧/٩/٢٢ وشهود ثورة يوليو ص ٣٣٢ وجريدة الأخبار فى ٧٦/١٠/٥ بالتوالى

الاتحاد الاشتراكي فى الطريق للنهاية :

كان فشل الاتحاد الاشتراكى أكيداً ، لأنه امتداد لهيئة التحرير فالاتحاد القومى ، ولم تكن المسألة إلا مسألة تغيير الأسماء مع ثبات المقر والأعضاء والاتجاه ، وفى مقال نشرته لى الصحف ذكرت أن ضاحيتنا (المعادى) بها مقر فى مكان بارز (عمارة الزينى) رأيت فى مطلع الثورة لافتة ضخمة تعلو مدخل المقر كُتبَ عليها «هيئة التحرير» ثم أنزلت هذه اللافتة لترتفع مكانها لافتة أخرى رأيتها أيضا وكان مكتوباً عليها « الاتحاد القومى » ثم نزلت تلك لتحل محلها لافتة تحمل « الاتحاد الاشتراكى العربى» فحزب مصر العربى الاشتراكى . . . . ، وذكرت أن هذا التغيير كان صورياً لأن الذين بداخل المقر . هم هم لم يتغيروا فى شىء ، ومن هنا فإن نهاية الاتحاد الاشتراكى كانت أكيدة وسريعة .

ويذكر الأستاذ أحمد حمروش أن من أسباب ضعف الاتحاد الاشتراكى سيطرة العسكريين عليه ، وشيوع المبادىء الشيوعية فيه ، والإغراءات المالية التى جلبت إليه مجموعة من الرجال يسعون للمال ، ولايهتمون بالقيم ، وفيما يلى كلماته :

بقى الاتحاد الاشتراكى هيكلا بعيداً عن القدرة على تحريك الجماهير أو إقناعها بوجوده ، وكان العسكريون فيه بطبيعتهم التى لا تتفاعل مع الجماهير ، وكان كل حرصها يتجه إلى امتصاص النشاط العام أو إسكاته ، وكانت المجموعة العسكرية تقع دائماً فى تناقض شديد بين الرغبة فى اكتساب ثقة الجماهير ، وبين إضعاف الجماهير وشل فاعليتهم ، إنها معضلة لم تجد حلا : الحرص على سلطة الدكتاتورية مع الرغبة فى لبس ثياب الديمقراطية(١) .

وكان انتقال على صبرى من منصب رئيس الوزراء إلى منصب الأمين

(١) مجتمع جمال عبد الناصر ص ٢١٩

العام للاتحاد الاشتراكى عاملا يؤكد أهمية الجهاز السياسى ، ومحاولة لبعث الحياة فيه ،وقد بدأ على صبرى عمله فى الاتحاد الاشتراكى بإقرار مبدأ التفرغ للعمل السياسى ، وتكوين المكاتب التنفيذية التى كان معظم أعضائها من طليعة الاشتراكيين ، كما قرر مرتب نائب وزير للأمين العام فى كل محافظة ، وانتدب مجموعة من الموظفين للعمل فى الاتحاد الاشتراكى بإضافات واسعة على مرتباتهم ، وقد عمل على صبرى على اختيار عناصر قيادية بالاتحاد الاشتراكى من الذين يتبعونه ويرتبطون بشخصه مما جعله صاحب نفوذ خاص عند هذه الطبقة ، ولكن نفوذه لم يصبح نفوذاً جماهيرياً لأن طبيعة شخصيته المنطوية كانت تتنافر مع ذلك(١) .

وعن طريق الاتحاد الاشتراكى فتحت الأبواب للماركسيين ، وتولى عدد منهم أجهزة الإعلام ، فأصبح خالد محيي الدين صاحب السلطة فى أخبار اليوم ، وسعد كامل وصلاح حافظ فى آخر ساعة ، وأحمد فؤاد فى روز اليوسف ، ولطفى الخولى فى الطليعة(٢) .

ملاحظات عن الاتحاد الاشتراكى :

وقبل أن نترك الاتحاد الاشتراكى ينبغى أن ندون بعض ملاحظات كانت دائماً تخطر ببالى كلما استدعت ظروف قاهرة أن أدخل هذا البناء ، أو أمر قريباً منه .

وأولى هذه الملاحظات هى أن رجال المباحث والمخابرات يطوفون حوله دون انقطاع ، ولا يسمحون لأحد بالوقوف بجواره أو بارتياده دون صك للمرور ، وكنت دائماً أسائل نفسى : هل يمكن أن يكون هذا البناء يمثل قوى الشعب العامل مع أن قوى الشعب العامل لا تقرب منه ولا تدخله ؟

---

(١) مجتمع جمال عبد الناصر ص ٢٥٦ – ٢٥٧

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٨

ومن يخاف أولئك الذين يعيشــون به حتى أحاطوه بهذا السياج من المباحث والحرس مع أنهم يدّعون أنهم يمثّلون هذا الشعب ؟

وملاحظة أخرى كانت تراودنى كلما دخلت هذا البناء ، هى أن صمتاً رهيباً يعيش فيه ، وأنه نظيف جداً ، وليست به ذبابة واحدة ، والسجاد الفاخر الملقى بطرقه وممراته وحجراته لم تَخْطُ فوقه قدم ، وكنت كلما رأيت ذلك انطلقت صرخة فى جوانحى تقول : إن هذا البناء غريب فى بلادنا ، ولا يعكس حياة قوى الشعب العامل ، وكيف يقال إنه يمثّل الشعب العامل مع أنه بعيد فى جميع سماته عن هذا الشعب وعن حياته ؟!

ولو قارنا هذا بأبنية الأحزاب كما رأيناها لكان الفرق شاسعاً ؛ فمراكز الأحزاب كانت مفتوحة للجميع ، وكانت منتدى وملتقى للشباب والشيوخ والمتعلمين والعمال والفلاحين .

وفى مطلع حياتى كنت أرتاد هذه المراكز فأجدها تعج بالزائرين والوافدين حتى كانت كأنها معاهد للسياسة والوطنية .

فى اعتقادى أن الاتحاد الاشتراكى عاش عمره فى عزلة ، ومات دون أن يجد شخصاً واحداً يؤبّنه إلا أولئك الذين استغلوه أو استغلوا الشعب عن طريقه .

حرب اليمن

شمل الجزء السابع من هذه الموسوعة حديثاً طويلا عن اليمن ممتداً من قبل الإسلام حتى العهد الحاضر ،وشاملا الدول التى قامت فى أقاليم اليمن الرئيسية وهى زبيد وصنعاء وصعدة وعدن ، ثم الدول التى امتد نفوذها فشمل أكثر أقاليم اليمن وهى دولة الأيوبيين وبنى رسول وبنى طاهر والمماليك المصريين ، كما تحدثنا عن محاولات العثمانيين لضم اليمن،تلك المحاولات التى باءت بالفشل وكانت دائماً قصيرة العمر .

وبعد العثمانيين استقل الأئمة الزيديون باليمن الشمالية ، وبرزت القبلية فالاستعمار باليمن الجنوبية ، وقد ظلت الإمامة الزيدية باليمن حتى ثورة اليمن التى حدثت فى ١٩٦٢/٩/٢٦ وكان اليمن فى عصر الإمامة يعانى كثيراً من التخلف والبدائية(١) .

ونعود بعد ذلك لشىء من التفصيل تمهيداً للمعركة التى خاضتها مصر فى اليمن .

عقب قيام الوحدة بين مصر وسوريا فى فبراير سنة ١٩٥٨ كانت الدول العربية تعيش فى قلق معتقدةً أن هذه الوحدة سوف تبتلعها طوعاً أو كرهاً ، وقد رأى الإمام أحمد إمام اليمن آنذاك بدهائه أن يتغلب على هذا القلق ، فعقد ميثاق اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة،وأصبح هناك اتحاد بين الجمهورية وبين اليمن ، وتبعاً لذلك ظهر كائن اسمه « حكومة الاتحاد » ولكنه كان كائناً هامداً لا حقيقة له ، ولم يكن إلا خدعة احتمى بها الإمام حتى لا يكون هدفاً لعبد الناصر .

---

(١) انظر الجزء السابع من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف ص ٣٧١ - ٥٣٠

وعندما أصدر عبد الناصر ما يسمى القوانين الاشتراكية فى يوليو سنة ١٩٦٠ تغلبت عاطفة الإمام على عقله ، فنظم قصيدة شعرية يهاجم فيها مصر والاشتراكية .

ولما حدث الانفصال بين مصر وسوريا عقب ذلك ، أدرك عبد الناصر الخديعة التى أوقعه فيها الإمام الذكى ،فأعلن حل الاتحاد فى خطاب ببورسعيد فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦١ فكان هذا الإعلان تحصيل حاصل كما يقولون ، ولكن إعلان حل الاتحاد كان معناه أن مصر تخلت عن الإمام،وكان فى اليمن مجموعة من الأحرار الذين يتوقون للثورة ضد الإمام، ولكنهم كانوا يخشون مواجهة مصر المتحالفة مع راعى اليمن ، فلما انفصمت عرى التحالف بين مصر وبين اليمن هيأ ذلك لجماعة الأحرار باليمن أن يخططوا لتنفيذ ثورتهم .

والعجيب أن عبد الناصر الذى حمى الإمام وتعاون معه وأصدر معه ميثاق الاتحاد اتجه بعد شهور قلائل لمحاربة الإمام ، وقد اتخذت هذه الحرب وسائل مختلفة بدأت بإذاعات يقوم بها أعداء الإمام وبخاصة الدكتور عبدالرحمن البيضانى عبر إذاعة «صوت العرب» ثم بمقالات تنشر فى الصحف والمجلات المصرية، وكان من نتائج ذلك أن تحرك الطلبة اليمنيون وتحرك العسكريون والمدنيون ضد الإمام ، ويذكر الأستاذ أحمد حمروش(١) أن الأسلحة المصرية الصغيرة تدفقت سراً إلى اليمن لتساعد الحركات الثورية ضد الإمام ، وهكذا أصبح حليف الأمس عدو اليوم وهو سلوك تكرر من عبد الناصر فى عدة أحوال .

ولم يمتد العمر بالإمام ليشهد الثورة التى كانت على وشك أن تندلع ضده فمات فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٦٢ وأصبح ابنه وولى عهده « البدر » إماماً بعد أبيه ، وكان هذا التحول من عوامل الإسراع بالثورة ، فقبل أن يمهد الإمام البدر لنفسه فى الحكم اشتعلت الثورة بعد أسبوع من قيام إمامته(أى فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢) .

---

(١) عبد الناصر والعرب ص ٢٠٨

الثـــورة :

بدأت الثورة فى منتصف ليلة ٢٥ – ٢٦ سبتمبر ، واتجه الهجوم لقصر البدر ، وقد دافع البدر عن قصره دفاعاً مجيداً ،ولكن قوة الثورة كانت أعتى وأشد ، فهرب البدر ونجحت الثورة ، وصدر بيان الثورة الأول ونصه :

باسم الله ، وباسم الشعب ، تعلن قيادة الجيش سقوط الملكية فى اليمن وقيام الجمهورية العربية اليمنية ابتداء من الساعة الخامسة صباح يوم ٢٦ سبتمبر (١٩٦٢) .

وعقب نجاح الثورة عين عبد الله السلال قائداً لها ، وتوالت الأحداث على النحو الآتى :

– فى صباح ٢٧ سبتمبر أصدرت مصر بيانا تؤيد الثورة وتحذّر من تدخل أية قوات أجنبية .

– فى ٢٨ سبتمبر وصل البيضانى من مصر إلى اليمن وأعلن أن مصر لن تساعد اليمن إلا إذا عين نائباً لرئيس مجلس الثورة ، ووافق ثوار اليمن على ذلك طائعين أو كارهين .

– فى ٥ أكتوبر وصلت طلائع القوى المصرية إلى اليمن، وكانت مكونة من طائرات حربية ومن قوات من الصاعقة .

– بعد ذلك بأيام وصل أنور السادات إلى اليمن وعقد باسم مصر معاهدة دفاع مشترك مع اليمن .

وأصبح واضحاً أن ثورة اليمن قامت بعون مصر ، وستسمر بتأييد مصر ، وأن مصر سيكون لها وجود كبير باليمن ، ومن الواضح أن وجود عبدالناصر وأفكاره باليمن كان تهديداً للسعودية ، ومن هنا واجهت ثورةُ اليمن عداءَ السعودية ، وواجهت كذلك عداءَ بريطانيا فى الجنوب العربى ، وبدأت

دوامة جديدة دارت فيها مصر ، وفقدت مصر فى هذه الدوّامة توازنها ، ومالها ، ورجالها ، لتقاوم السعودية ، وبريطانيا ، والأردن ، وأنصار الإمام ، بل وأنصار الثورة الذين استغفلوا مصر واستغلوها .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن العراق تدخلت بدهاء لتزيد خسارة مصر ، وخُدع عبد الناصر بحيلة العراق ، فاندفع فى مجال هذه الخسائر ، وقصة ذلك أن أحمد المرونى وزير الإعلام اليمنى زار العراق وأعلن عقب عودته أن عبد الكريم قاسم مستعد لإرسال ٠٠٠ و١٠ جندى عراقى بالذخيرة والسلاح للدفاع عن الجمهورية ، وسافر وفد يمنى إلى مصر برياسة البيضانى يحمل هذه الأنباء ، وتورط عبد الناصر وانفعل معلنـا أن مصر ستحمل المسئولية ، وبدأت الجيوش المصرية فى التدفق على اليمن .

ولم يعد البيضانى إلى اليمن فقد وردت برقية من السلال إلى عبد الناصر تطلب إبقاء البيضانى بمصر كمطلب قومى يطالب به اليمنيون .

الصراع والدماء باليمن أكثر من خمس سنوات :

لدراسة هذا الموضوع نبدأ بالأسئلة التالية :

١ — لماذا أرسلت مصر قوات عسكرية إلى اليمن ؟

٢ — وهل كانت كل الآراء تؤيد الذهاب إلى اليمن ؟

٣ — وما تعداد القوات التى أرسلتها مصر إلى اليمن ؟

٤ — وما الأخطاء التى ارتكبها العسكريون باليمن ؟

٥ — وما حجم الخسائر التى وقعت على مصر بسبب هذه الحرب ؟

والإجابة عن هذه الأسئلة لن تقف عند أحداث سنة ١٩٦٢ بل ستشمل أحداثاً وقعت طيلة سنى الحرب فى اليمن التى امتدت من مطلع ثورة اليمن سنة ١٩٦٢ إلى ما بعد الهزيمة التى أوقعها بنا الصهاينة سنة ١٩٦٧ ، ونحن

فى هذا نحقق المبدأ الذى أبرزناه من قبل من أن الدراسة فى هذا الكتاب ستجمع بين نظام الحوليات ونظام الدراسة الموضوعية .

وسنعتمد فى الإجابة على الأسئلة السابقة على أدق الباحثين وأقربهم من الأحداث ومراكز التفكير بمصر .

١ – لماذا أرسلت مصر قوات عسكرية لليمن ؟ :

فى الإجابة عن هذا السؤال نعتمد أساساً على وحى عبد الناصر وصفيه محمد حسنين هيكل الذى يرينا أن إرسال القوات العسكرية لليمن لم يكن إلا عناداً شخصياً ضد الملك سعود ، وأن التسيب كان هائلا مما جعل الخسارة المالية والبشرية فوق الاحتمال ، وفيما يلى كلماته :

لم يُرد عبد الناصر أن يعطى للملك سعود فرصة لضرب ثورة اليمن لأن ذلك سيكون انتصاراً آخر بعد الانتصار الذى حققه الملك فى عملية الانفصال ، ولم يكن عبد الناصر مستعداً لإعطاء الملك سعود مثل هذه الفرصة ، وقرَّر أن يساعد ثورة اليمن ، وفى البداية أرسل مستشارين وكتيبة ، ثم أرسل فرقتين لمساندة الكتيبة ، فأصبح لمصر فى اليمن ٥٠٠٠ عسكرى ، وأماعن السلبيات فى اليمن فتبرُز فى أن مصر أبعدت الثوار وحلَّت محلهم ، ومن هنا طالت إقامة المصريين باليمن ، ثم كانت سلبيات كثيرة أخرى فى استعمال الأسلحة وفى مصارعة اليمنيين(١) .

ويشرح الفريق صلاح الدين الحديدى سبب دخول مصر فى اليمن بقوله :

عقب الانفصال قدمت سوريا شكوى للجامعة العربية ضد مصر ، وعقد مجلس الجامعة جلسة فى « شتورة » بلبنان للنظر فى هذه الشكوى ، وكانت جلسة ساخنة ، وصاخبة ، حافلة بالسباب والاتهامات ، وزاد الطين بلة ، أنه فى أعقاب هذه الاجتماعات هرب المقدم زغلول عبد الرحمن ، وهو أصلاً

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٥٥ – ١٥٦

من الضباط الأحرار هرب من سفارة مصر بلبنان حيث كان يعمل ملحقاً عسكرياً ولجأ إلى سوريا ، ووقف موقفاً عدائياً ضد الحاكمين فى مصر ، وضد أعمالهم ، وعَقَدَ مؤتمرات صحفية فى دمشق هاجم فيها الأوضاع فى مصر والسياسة المصرية تجاه الدول العربية . . . . ولهذه الأسباب اتجهت مصر إلى اليمن ليسترد عبد الناصر مكانته التى هزّها الانفصال ، وهزها ما يقوله زغلول عبد الرحمن عنه ، وكان يقصد بذلك أن يثبّت الأرض التى تميد تحت رجليه(١) .

ويتحدث حسن إبراهيم عن ظروف دخول مصر فى اليمن فيذكر أن عبد الناصر وقع فى خديعة ، فقد بلغه أن البدر قد قُتِل ، وأن القبائل كلها تؤيد الثورة ، وأن السلال يسيطر تماماً على الموقف ، وليس المطلوب من مصر إلا تأييداً عسكرياً رمزياً ، وخدع عبد الناصر بهذه المعلومات وكانت كلها كاذبة ، ولكن عبد الناصر لم يتراجع ، فقد بدأ يرسل الجيوش إلى اليمن ، واتجهت السعودية لمساعدة البدر ، وأحس عبد الناصر أن زعامته ستهتز لو تراجع ، وأن ذلك يمسّ كرامته الشخصية ، فأصدر أوامره بنقل جيش بأكمله إلى اليمن ، وسقط آلاف الضحايا وخسرت مصر مئات الملايين ، ورفض عبد الناصر وساطة كيندى بالانسحاب التام من اليمن على أن تتوقف السعودية عن معاونة البدر ، فأضاع كل الفرص للحفاظ على مال مصر وشباب مصر(٢) .

٢ — آراء ضد دخول اليمن :

كانت هناك آراء جريئة صرخت بخطورة دخول مصر فى اليمن ، ومن هذه الآراء رأى أمين هويدى رئيس المخابرات العامة ، وقد أعلن أنه

(١) شاهد على حرب ١٩٦٧ ص ٣٩ — ٤٠

(٢) الصامتون يتكلمون ص ٥٩ — ٦١

رى ألا تتدخل مصر فى مشاكل اليمن سواء بقى الإمام أو خلع أو قتل ، فليس من مصلحة مصر أن تقوم بهذا التدخل [١] .

وكان كمال الدين حسين ضد التدخل فى اليمن ، وفى اجتماع مجلس الوزراء المصرى آنذاك كان جمال عبد الناصر يتحدث بنشوة عن التدخل العسكرى باليمن ، وكان كمال الدين حسين ينظر فى الأوراق التى أمامه دون أن يعيرانتباها لما يقوله عبد الناصر ، فاتجه له عبد الناصر ، وقال له : تكلم ياكمال ،سمعتُ أنك تعارض دخولنا فى اليمن . فأجاب كمال الدين حسين : أيوه يا ريس أنا رأيى . . . . ولم يتركه عبد الناصر ليكمل حديثه ، فقاطعه قائلا : ومتى كان لك رأى ؟

فقال كمال الدين حسين بصبر : « أنا شايف إن البلد بتغرق ، وأنا محسوب ممن يقودون هذا البلد » .

فصرخ عبد الناصر قائلاً : اسمع يا كمال روح شوف إنت عملت إيه فى التعليم وبعدين تعال اعترض . إنت يظهر تعبان . . . أنا رأيى إنك تستريح شوية .

فقال كمال الدين حسين أنا فعلاً تعبان ، فقد أعددنا الجيش لنحارب اليهود وليس اليمن ، وصرفنا دم قلبنا فى سوريا وسرعان ما جاء الانفصال ، ولا يجوز أن نهدر دم أبنائنا على جبال اليمن .

فقال عبد الناصر أنت أصبحت تعرف فى السياسة ، وأصبحت زعيماً واتجه إلى عامر يقول له : الرجل ده تعب ، ومن حقه يستريح شوية ، وأنهى عبد الناصر الاجتماع ، وصدرت الأوامر لكمال الدين حسين للسفر إلى الاسكندرية وحددت إقامته هناك ، وانتهت كل معارضة للزعيم [٢] .

---

(١) كلماته فى شهود ثورة يوليو ص ٨٩

(٢) انظر الحوار كله فى كتاب « الزهور تدفن فى اليمن » للاستاذ وجيه أبو ذكرى ص ٧١ وما بعدها .

ومع تدخل مصر السافر فى اليمن ، أصبحت هناك مواجهة صريحة مع السعودية فقُطعت العلاقات الديبلوماسية معها فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٦٢ .

٣ ـ حجم القوات المصرية باليمن :

يقول الرئيس أنور السادات أصبحت حرب اليمن تجارة ومنفعة ،وتورطنا فى المعونة العسكرية من لواء إلى لواءين إلى أن أصبح لنا هناك ٧٠٫٠٠٠ جندى لم يتم سحبهم إلا بعد هزيمة سنة ١٩٦٧[١] :

ويقول جمال عبد الناصر : يوم ٥ أكتوبر كان لنا فى اليمن مائة صف ضابط وعسكرى ، ويوم ٩ أكتوبر أصبحوا ٥٠٠ جندى ، ويوم ١٦ أكتوبر أصبحوا ٢٠٠٠ وبعد ذلك وصل العدد إلى ٧٠٫٠٠٠ جندى .

وبين الشتائم والتاريخ يقرر عبد الناصر فى ديسمبر سنة ١٩٦٢ أن القوات المصرية خسرت حتى ذلك الوقت ٢١ ضابطاً و ١١٥ جندياً كل منهم جزمته أشرف من تاج الملك سعود والملك حسين[٢] .

وتوالت بعد ذلك الخسائر وبخاصةأنه لم تكن هناك خرائط طبوغرافية لطبيعة الأرض ، ولم تكن هناك مطارات ولا طرق،ولا معلومات يمكن الاسترشاد بها مما جعل اليمن أرضاً غريبة تماماً على المصريين ، وكل هذا يدل على أن دخول اليمن ارتبط بعوامل لم تكن محسوبة ولا مدروسة ، وكان من نتائج ذلك مثلاً أن وحدة من قوات المظلات أسقطت فى صرواح ، ثم اختفت تماماً ولم يعثر لها على أثر[٣] .

وتدخل الرئيس الأمريكى كينيدى كما أشرنا من قبل فأرسل فى

---

(١) البحث عن الذات ص ٢١١
(٢) عبد الناصر والعرب للاستاذ أحمد حمروش ص ٢٢٩ ، ٢٣٤
(٣) المرجع السابق ص ٢٢٨ ، ٢٢٩

١٧/١٠/١٩٦٢ رسائل إلى عبد الناصر والملك حسين والأمير فيصل ، واقترح ما يلى :

١ - الإجلاء المرحلى السريع للقوات الأجنبية عن اليمن .

٢ - إنهاء العون الخارجى للملكيين .

ولكن عبد الناصر أساء النيّة بالرئيس كيندى فرفض أن تخرج القوات المصرية كلها من اليمن ، وضاعت هذه الفرصة المبكرة التى كان يمكن أن تحمى مصر وتحمى دماء المصريين وأموالهم ، ومما يدل على حسن نية كيندى أن الولايات المتحدة اعترفت بالثورة اليمنية فى ١٩/١٢/١٩٦٢ وكانت ألمانيا الغربية قد اعترفت بها من قبل فى ٢٢/١٠/١٩٦٢ ولابد أن يكون للولايات المتحدة دور فى اعتراف ألمانيا المبكر ، ولكن كل ذلك لم يوقف رغبة جمال عبد الناصر فى الاستمرار فى مسيرة الدماء والدمار .

ويقول وجيه أبو ذكرى إن وساطة كيندى فشلت بسبب أطراف ثلاثة : الطرف الأول الجمهوريون فى اليمن ، الطرف الثانى أتباع الإمام البدر ، الطرف الثالث القيادات المصرية باليمن ، وذلك لأن حرب اليمن كانت كنزاً للجميع ، وكانت هذه الأطراف الثلاثة تبتلع بطرق مختلفة مال مصر باسم هذه الحرب ، ويضرب وجيه أبو ذكرى مثلا لضابط مصرى فى رتبة لواء سمع بمحاولة الاتفاق ، فضرب كفاً على كف وقال : وكيف أكمل بناء الفيلا ؟ لقد كانت الحرب فى اليمن وسيلة لسيل من الذهب والفضة يفيضان من السعودية ومن مصر(١) .

ويقال إن اغتيال كيندى ليلة ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٣ كان مؤامرة صهيونية ترمى إلى القضاء على محاولة إيقاف القتال ، لينضب معين الثراء

---

(١) الزهور تذبح فى اليمن ص ٥٧

المصرى فى اليمن ، ولتسيل دماء الآلاف من الضباط والجنود المصريين هناك ، ولتعرف الخيانة طريقها إلى صفوف بعض الضباط المصريين :

٤ - التسيب فى اليمن :

وعن الأخطاء التى ارتكبها العسكريون باليمن يقول محمد حسنين هيكل: إن بعض القيادات العسكرية تسيَّبت فى اليمن ، واتخذت من الحرب هناك وسيلة للاستفادة(١) .

ويقول أنور السادات : إن الجيش فى حرب اليمن لم يتجه للانتفاع بهذه الحرب كوسيلة للتدريب وتجهيز قواتنا المسلحة ، بل أصبحت هذه الحرب عملية انتفاع واستغلال(٢) .

ويذكر أحمد حمروش أن عبد الناصر لاحظ أن عملية اليمن أصبحت عملية استنزاف ، فقد زادت المرتبات والعلاوات والبدلات والمعاشات ، وقلت العمليات الحربية ، وأصبح الضباط يرغبون فى الذهاب إلى اليمن للفوائد المادية التى يحصلون عليها ، واتجه الضباط إلى حياة الترف هناك لدرجة أن طعامهم كان يُستَورد لهم من محلات جروبى بالقاهرة ، فى حين كان الجنود يعانون ظروفاً شديدة القسوة (٣) .

ويشرح الفريق صلاح الدين الحديدى الامتيازات التى منحت للعاملين فى اليمن بقوله(٤) :

أصبح الذهاب إلى اليمن يخضع للوساطة لدى القيادات والرياسات ،

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٠٢

(٢) البحث عن الذات ص ٢٠٩

(٣) عبد الناصر والعرب ص ٢٤١ ، ٢٤٢

(٤) شاهد على حرب ١٩٦٧ ص ٤٧ - ٤٨

واستجابت الرياسات للوساطات ، فقبلت معظم الرغبات حتى أصبح حجم القوات المشتركة فى القتال فى وقت من الأوقات أكثر من حجم القوات الموجودة داخل الجمهورية ،ومنحت لهؤلاء امتيازات ضخمة كانت مغرية إلى حد بعيد لجميع الرتب ، فنشطت أسواق صنعاء وتعز وعدن فى بيع البضائع الأمريكية والأوربية الصنع للعاملين بالجيش المصرى ؛ وكانت هذه البضائع ترسل إلى مصر معفاة من الرسوم الجمركية ، بل معفاة من أجر شحنها ، إذ قد تكفلت وسائل النقل العسكرية من طائرات وسفن بنقل هذه الأطنان من البضائع ، وإلى جانب هذه الامتيازات كانت هناك مزايا أخرى مغرية ، كأولوية استئجار الشقق،وتركيب التليفونات ، وشراء سيارات نصر ، ونقل الأقارب الموظفين إلى الأماكن التى يرغبون فيها ، وما إلى ذلك من الامتيازات التى تشعر الجندى فى اليمن بتفوقه على باقى زملائه من المواطنين .

تآمر يمنى ضد مصر :

كان وجود السلال فى قمة السلطة باليمن يسىء إلى بعض اليمنيين الذين يربطون الولاء بالوضع الاجتماعى ،وكان هؤلاء يتجهون إلى عداء مصر باعتبارها تحمى السلال ، ويحاولون التشهير بها على الرغم من ولائهم للجمهورية وثورتهم ضد الإمامة ، وكان بعض حكام اليمن من أنصار الثورة يتآمرون ضد مصر مع السعوديين ، حتى وصل بهم الحال إلى الاستعداد للسفر إلى مقر الأمم المتحدة ليطالبوا بخروج القوات المصرية من اليمن ، أما العداء الذى واجهته مصر من أنصار الإمامة ، فكان عداء قاسياً مدبراً ، وأما اليمنيون الذين لم يكونوا فى هذا الجانب أو ذاك ، فقد اتجهوا إلى أخذ أكياس الذهب من ممثلى مصر لمساعدة القوات المصرية ، ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يأخذون ذهب البدر والسعودية لنفس الغرض(١) .

---

(١) أحمد حمروش : عبد الناصر والعرب ص ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٦

حرب اليمن فاتحة فساد كبير :

قلنا آنفاً إن مصر كانت تقـدم أكياس الذهب لبعض القبائل لتنال عونها ، ولكن كثيرين من الضباط المصريين الذين كانوا يقدّمون هذه الأكياس طمعوا فى بعضها فاحتجزوها لأنفسهم ،وبدأ بذلك ثراء عريض غير مشروع ، فتح نطاقاً من الانحراف الأدبى والاقتصادى بمصر لم يكن من السهل القضاء عليه .

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم عن أكياس الذهب : إن غطاء الذهب الذى نملكه ضاع بأكمله فى هذه الحرب الضائعة ،وأن كثيراً من القبائل كانت تأخذ ذهبنا بالنهار وتترصد لضباطنا وجنودنا بالليل ، فتصطادهم وتقطع رءوسهم ، أو تسلمهم للطرف الآخر . وانتهى الأمر باليمن إلى أن صارت مخالفة لمصر فى كل اتجاه (١) .

٥ - خسائر مصر فى اليمن :

أشرنا من قبل إلى بعض خسائر مصر فى حرب اليمن طيلة أكثر من خمس سنوات هناك ، وفيما يلى دراسات وإحصائيات عن هذه الخسائر :.

يقول الكاتبان الروسيان بيليايف وبريماكوف : تحولت الحرب فى اليمن إلى ملحمة عسيرة لا نهاية لها ،وكلفت هذه الحرب مصر ثمناً باهظاً دمر الاقتصاد المصرى ، فقد كانت نفقات الجنود والضباط المصريين على حساب الخزانة المصرية ، وكذلك مرتباتهم وبدلاتهم والدّيات والمعاشات ، وقد تكلّف الجسر الجوى بين القاهرة وصنعاء عشرات الملايين من الجنيهات (٢).

ويورد الأستاذ أحمد حمروش معلومات عن هذه الخسائر ، فيذكر أن ميزانية القبائل وصلت وحدها إلى ٦٠ مليون جنيه استرلينى فى العام ،

---

(١) توفيق الحكيم : عودة الوعى ص ٥٨

(٢) مصر فى عهد عبد الناصر ص ٣٠٤

وبلغت التكاليف اليومية أرقاماً باهظة ، وسقط فى اليمن حوالى ١٠,٠٠٠ جندى مصرى ، وكانت ميزانية بدل السفر تحمّل الميزانية المصرية عبئاً كبيراً ...[١] ومن أجل هذا توقف كل إصلاح للمرافق بمصر وبدأت الحياة الاجتماعية يزيد انتكاسها .

وقد أدرك زكريا محيي الدين هذه الخسارة ، فذكر سنة ١٩٦٥ أن المحافظة على حكومة صنعاء وعلى جمهورية اليمن سوف يجىء على حساب حكومة القاهرة وشعب مصر بسبب الاستنزاف المستمر لموارد مصر الذى يقود فى النهاية لتحقيق أهداف العدو فى إضعاف مصر[٢] .

وقد وزعت القوات المصرية ١٠٠,٠٠٠ جهاز راديو ترانزستور على رجال القبائل باليمن ، وقام الكثيرون منهم ببيع هذا الجهاز بالتالى للمصريين العاملين هناك [٣] .

ومن أخطر الخسائر التى نتجت عن حرب اليمن أن هذه الحرب كانت من أسباب هزيمة ١٩٦٧ ، فقد أصبحت مصر بسبب جهل قادتها تحارب فى ميدانين : ميدان سيناء وميدان اليمن ، وفَتْحُ ميدانين فى عُرْف العسكريين بدءٌ للهزيمة .

وهناك نقطة أخرى تتصل كذلك بهزيمة حرب ١٩٦٧ يحكيها المشير أحمد اسماعيل بقوله : كنت قائداً لجبهة سيناء فى أثناء حرب اليمن ، وكانت فرقتى (الثامنة مشاة) هى المسئولة عن تأمين سيناء ، ولكن سحبت منها لليمن بعض القوات التى كانت مدربة تدريباً عالياً ، فضعفت بذلك الجبهة التى كنت أتولى قيادتها فى سيناء .

---

(١) عبد الناصر والعرب ص ٢٢٩ ، ٢٦١

(٢) أحمد حروش : المرجع السابق ص ١ ٢٦٢

(٣) أحمد حروش : عبد الناصر والعرب ص ٢٣٩

هل كانت هناك نتائج طيبة لحرب اليمن ؟

يرى أنور السادات ذلك فيذكر أن عدن نالت استقلالها كنتيجة لمعركتنا باليمن ، وأن التدخل فى اليمن كان من العوامل التى كبحت جماح الملك سعود وهزت مكانته . . . (١)

هل نوافق أنور السادات فى ذلك ؟ الإجابة : لا ، فإن مصر ضعفت وأنهكت قواها ، وليس هناك شىء يسبق مصر عند المصريين ، فمصر يجب أن تكون أولا كما هو الحال عند جميع الدول ، فكل دولة تهتم بساحتها قبل كل شىء ، ويمكن أن تساعد فى نطاق الفائض بعد حاجتها ، ولكن مصر أعطت طعامها وجاعت ، عمرّت فى اليمن ولكن الخراب شملها ، وفى نفس الصفحة التى يعدّد أنور السادات فيها ما ذكره من النتائج الطيبة يقرر أن هذه الحرب استنفدت جزءاً كبيراً من رصيدنا من العملات الصعبة ، وأنها عاقت فرقتين من أكفأ الفرق العسكرية عندنا عن الاشتراك فى حرب ١٩٦٧ ، ونضيف أن « عدن » قد استقلت وخرج منها الانجليز ، ولكن الشيوعيين الحمر بها ، سرعان ما فتحوا أبواب عدن للروس ، فاتخذ هؤلاء من عدن مركزاً لضرب العرب والمسلمين والأفارقة أكثر خطراً مما كان فى عهد البريطانيين .

خـــداع :

صوّر قادتنا لنا هذه الحرب على أنها حققت أعظم الأمجاد لمصر والمصريين ، ولا زلت أذكر «فيلماً» مثّل فيه أمين الهنيدى ومها صبرى ، وكان يروى بطولات عن جندى عاد من اليمن ليتزوج على أن يسرع بالعودة لليمن ، وغنّت فيه مها صبرى أشهر أغنياتها ، ربما لأن حرب اليمن كانت من وسائل زوجها على شفيق الضابط بمكتب المشير عامر لينمّى ثراءه وماله على حساب الإنسان المصرى الذى غمرته هذه الحرب بأقسى الأضرار .

---

(١) البحث عن الذات ص ٢١٢

ومن صور الخداع كذلك أن دعت وسائل الإعلام جمهور المصريين أن يرسلوا رسائل للضباط والجنود المصريين في اليمن يباركون خطواتهم، ويعلنون تأييدهم لهم، وكانت هذه الرسائل ترسل بدون طوابع بريد تشجيعاً للناس .

الجزائر واليمن فى وقت واحد :

فى أواخر سنة ١٩٦٢ ومطلع سنة ١٩٦٣ كانت الأسلحة والمعدات والرجال تتدفق من مصر إلى اليمن ، وتصادف فى نفس الوقت وقوع خلاف بين المغرب والجزائر حول الحدود فى الصحراء ، وأرسل أحمد بن بيلا يطلب المساعدة من جمال عبد الناصر ، فبادر هذا بإرسال كتيبة من المدرعات الثقيلة وصلت إليه فى الوقت المناسب ، فكانت القوات المصرية آنذاك منتشرة بين الجزائر واليمن وسيناء .

وفى نفس الوقت احتاجت الجزائر إلى سكر ، ولم يكن السكر متوافراً فى مصر ،وعلى الرغم من ذلك أمر عبد الناصر بإرسال سكر فوراً إلى الجزائر فأرسلنا حوالى ٢٠٠٠٠ طن إلى جانب تقديم الإنتاج المصرى من أحذية وبطاطين وملابس (١) .

ألست معى أيها القارىء فى أنه من العجب أن وجد المصريون الخبز الأسود آنذاك ، مع البذخ الهائل الذى قدمه الزعيم إلى جميع الأرجاء ؟

شاهـد عيـان :

فى ختام حديثنا عن اليمن نلتقى بكتاب مهم عنوانه «الزهور تدفن فى اليمن» ألفه الأستاذ وجيه أبو ذكرى ، وقد اقتبسنا من هذا الكتاب آنفاً ؛ ومؤلفه من الذين أوفدوا إلى اليمن على أول طائرة قامت من مصر لنجدة

---

(١) كلمات أمين هويدى فى شهود ثورة يوليو ص ٨٩

الثورة اليمنية ، وقد كتب الأستاذ وجيه أبو ذكرى كتابه فى صورة رسائل يبعث بها من اليمن إلى زوجته بالقاهرة ، وإجابات من زوجته بالقاهرة إليه فى اليمن .

ونقتبس من هذا الكتاب لقطات قصيرة تطلعنا على بعض الحقائق من جانب ، وترينا من جانب آخر مقارنة عن الأحوال فى مصر واليمن .

— وأول ما نقتبسه من هذا الكتاب سطور إهدائه ، ونصها: إلى عشرين ألف زهرة مصرية دفنت فى سهول وجبال ورمال اليمن ، إلى عشرين ألف أرملة مصرية عشن وما زلن يعشن بقسوة فى سبيل اليمن ، إلى الملايين من الشعب الصبور الذى يأكل الخبز الأسود ، ويشرب ماء ممزوجاً بالبهارسيا ، ويعيش فى نهاية القرن العشرين على لمبات الغاز ، إلى هؤلاء أهدى هذه الرسائل .

— كان رأى كمال الدين حسين وبعض أعضاء مجلس الثورة عدم التدخل عسكرياً فى اليمن ، لأن جراح الانفصال كانت مازالت تدمى فى جسد الشعب المصرى ، ولأن التدخل فى اليمن لا تحمد عقباه ، وسوف يُفسد كل خطط التنمية فى الداخل ، ولكن الاتحاد السوفيتى كان يرى ضرورة التدخل ، فرجح رأيه(١).

— أقلتنا إلى اليمن طائرة سوفييتية غريبة الشكل عبارة عن كراسى حديدية بجانب جدار الطائرة ، وفى الوسط مستودع البنزين ، ومن السقف تدلت أنابيب الأكسجين ، شكل خشن جداً ، وعندما ركبنا الطائرة ، وقف رجل روسى يعلمنا طريقة استخدام أنابيب الأوكسجين ، ثم طلب وضع كمامات الأوكسجين على الأنوف طوال الرحلة ، وهكذا أصبحنا كالسجناء طيلة خمس ساعات ؛ لا حركة ولا حديث لأننا نضع هذه الكمامات فوق وجوهنا

---

(١) الزهور تدفن فى اليمن ص ١٠.

أما كابينة القيادة ، فكانت مجهزة بشكل يختلف تماماً عن بقية الطائرة ، وهكذا بدأت أول رحلة سوداء إلى اليمن(١) .

— وبعد ذلك أقيم جسر جوى وجسر بحرى بين مصر واليمن ، وكان هذا الجسر يحمل الجنود ، والبنزين ، والمأكولات ، والمعدات العسكرية ، ويبدو من نشاط هذا الجسر أن شركة الملاحة البحرية قد توقفت تماماً عن الأعمال المدنية وسُخِّرت سفنها كلها للجسر البحرى بين القاهرة وصنعاء ، ومثل ذلك ما فعلته الطائرات العسكرية المصرية(٢) .

— وفى اليمن بدأنا صراعاً لم نتعوده ضد القبائل المعادية للثورة ، وفى أرض لا نعرفها ، وظروف حرب لا مواجهة فيها ، فكثرت فيها خسائرنا من أول يوم .

ونضيف إلى ذلك ما يذكره الفريق صلاح الحديدى من أن اليمن كانت تموج بخلافات طائفية وقبلية وإقليمية لم تكن معلوماتنا عنها واضحة على الإطلاق ، فلم ندرك أن الهوة سحيقة بين الشافعية والزيدية ، وكذلك بين حاشد وبكيل ، ثم بين الشماليين والجنوبيين ، وقد خلقت هذه الخلافات متاهات عشنا فيها أكثر من خمس سنوات ، فكان دخولنا اليمن كمن دخل اختباراً لم يستعد له أو كمن صعد إلى حلقة الملاكمة وهو لا يعرف خصمه(٣) .

— ويكتب وجيه أبو ذكرى على لسان زوجته التى تقول له متعجبة : كيف تذكر أن هناك حرباً فى اليمن بينما صحف القاهرة حافلة بأنباء انتصارات الزعيم والبهجة لحراسة ثورة كان من الممكن أن تموت ، وتهمس الزوجة فى أذن زوجها قائلة : إن من يقول « ما لنا ومال اليمن » يزار فى الفجر ، ويؤخذ من بيته

---

(١) المرجع السابق ص ١١

(٢) المرجع السابق ص ١٥ – ١٦

(٣) شاهد على حرب ١٩٦٧ ص ٤١

ولا أحد يعرف طريقه بعد ذلك ، وإن أحد أقربائك قد اعترض فى جلسة خاصة على إرسال قوات إلى اليمن ،وجاء رجال المخابرات فى الصباح وأخذوه . إلى أين ؟ لا أحد يدرى .

ووردت لى معلومات من أحد أقربائى فى القصر الجمهورى يذكر أن نفقات حرب اليمن تصل إلى عدة ملايين من الجنيهات كل يوم ، أتدرك يا زوجى العزيز معنى هذا ؟ وهل فى إمكانية شعبنا أن يقدم كل شىء حتى الدم من أجل بهجة الزعيم[1] .

— أصبح لنا يا زوجتى العزيزة ثلاث قيادات فى اليمن : قيادة للطيران، وقيادة للجيش ، وقيادة للبحرية ، ولا أخفيك سراً فقد أمضيت ليالى سوداء فى مدينة صنعاء ، كنا خلالها نتوقع الموت بين لحظة وأخرى ، فقد دخلت مجموعات من العدو هذه المدينة متخفية فى ملابس البدو ، واكتشفنا فى صباح يوم تعيس أن عدداً كبيراً من رجالنا أصبحوا بلا رءوس ، لقد ذبحهم العدو بالخناجر وأخذ رءوسهم[2] .

— إن شبكة الاتصالات التى نعتمد عليها رديئة مما جعل بعض قواتنا منعزلة لا ندرى عنها شيئاً ، وذلك بسبب أن أجهزة اللاسلكى التى اشتريناها من الاتحاد السوفييتى أجهزة رديئة كثيرة العطل ، فهل حوصرت هذه القوات أو دُفنت فى أرض اليمن ؟ لا أحد يدرى[3] .

ومن ناحية الرخاء فقد حمل العائدون من اليمن أنباء متواترة تفيد أن أسواق اليمن حافلة بخيرات مصر ،وإنتاج مصر من المأكولات والمصنوعات

---

(١) الزهور تدفن فى اليمن ص ٢١
(٢) المرجع السابق ص ٢٦
(٣) المرجع السابق ص ٣١

وهى تُقدم إلى الناس بأرخص الأسعار ، بل توجد فى الأسواق سلع كثيرة اشترتها مصر من دول العالم وقدمتها لأسواق اليمن لتباع بأسعار شبه رمزية لتجذب السكان لتأييد الثورة .

كيف كانت حال السوق فى مصر آنذاك ؟ الإجابة نأخذها من رد الزوجة على زوجها فيما يلى:

— الخبز اشتد سواداً فى مصر كأيامنا ، والأرز لا نجده فى الأسواق حتى لو كنت تملك ثمنه . وقد قال الرئيس جمال عبد الناصر حلا لهذه المشكلة أن سكان الصعيد عليهم أن يأكلوا الفريك ، وسكان وجه بحرى يأكلون المكرونة ، ويباع لنا « تراب الشاى » فى أكياس قذرة وبأسعار خيالية(١).

خيانة بعض زعماء اليمن للقضية :

هل كان قادة اليمن أمناء فى حراسة الثورة والبلاد ؟

الإجابة نأخذها من خطاب أرسله الأستاذ وجيه إلى زوجته فى أول إبريل سنة ١٩٦٣ ، وفيه يقول :

— أرسلت إحدى الدول الإشتراكية مستشفى هدية منها لحكومة الجمهورية اليمنية ، ووصل المستشفى إلى ميناء عدن ، وحضر الوزير المسئول ليتسلم المستشفى ، وما إن تسلمه حتى جمع تجار عدن وأعلن عن بيعه فى المزاد العلنى ، وتمّ البيع ، وقبض الوزير ثمن المستشفى ، وعاد إلى صنعاء قائلاً : إنها كانت هدية خاصة له(٢)

— فى مأدبة حضرها السلال فى القاعدة الجوية المصرية أعطى السلال

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤

(٢) الزهور تدفن فى اليمن ص ٤٣

أوامره للطيارين المصريين بمسح بعض القرى اليمنية من الوجود ، واقشعر الطيارون من هذه الأوامر ورفضوا التنفيذ ، ولكن بعد يومين أصدر الفريق صدقى محمود أمراً بتنفيذ أوامر السلال دون مناقشة ، ومما يذكر عن الطعام بهذه القاعدة أنه كان يرد يومياً من محلات جروبى بالقاهرة ، وكان يشمل أعظم ما يصل له الخيال وأرقى ما تنتجه هذه المحلات (١) .

ـ جلست مع أحد خبراء السد العالى الذى انتهى العمل فيه واسمه الدكتور أحمد كمال وهو خبير الكهرباء فى السد العالى وأخبرنى بخبر هزنى بعنف ، قال إن الكهرباء التى تستخرج من السد تضيع هباء لأن حرب اليمن أوقفت إقامة المصانع التى كنا قررنا إقامتها لتعمل بالطاقة الكهربائية ، وخطة بناء المدارس الجديدة تعطلت بسبب إنفاقات حرب اليمن ، وكهربة الريف المصرى توقفت بسبب هذه الإنفاقات ، وفى كل بيت مأتم لأن أكثر بيوت مصر قدمت قرابين لحرب اليمن (٢) .

ـ كانت الفضة المصرية معبأة فى أكياس ثقيلة حجمها كحجم أكياس الأسمنت وكانت تحمل هذه الأكياس لتقدم إلى شيوخ القبائل باليمن ، وفى قمتهم شيخ شهير اسمه الغادر ، وكانت أكياس الفضة تحمل فى سيارة كبيرة تحرسها مدرعة ويسير بها ضابط مصرى اسمه اللواء عثمان نصار ليسلمها إلى شيوخ القبائل ، ويبدو أن مصر قدمت ما عندها من الفضة بعد ما نضب معين الذهب الذى تحدثنا عنه من قبل (٣) .

ـ وصلت إلى اليمن قوات الطوارىء الدولية ، وتحملت مصر نفقات هذه القوات بالإضافة إلى الإنفاق على القوات المصرية ، وبالإضافة إلى الإنفاق على

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦
(٢) المرجع السابق ص ٥٣
(٣) انظر كتاب الزهور تدفن فى اليمن ص ٧٦ وما بعدها

القوات اليمنية ، وكان إحساس العالم كله ألا تُحَل مشكلة اليمن، فالكل يريد أن تستمر مصر فى التورط حتى تنتهى تماماً (١) ؟

ما أتعس البلاد التى يقودها الجهلة المخدوعون ؟

خروجنا من اليمـــن :

لم تخرج مصر من اليمن إلا بعد الهزيمة المدمرة فى حرب ١٩٦٧ عندما تم الاتفاق على ذلك فى مؤتمر الخرطوم بين الملك فيصل و جمال عبد الناصر (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٦٥

(٢) البحث عن الذات ص ٢٤١

مجلس الرياسة

بعد هزيمة الجيش المصرى فى حرب ١٩٥٦ ،وبعد فضيحة الانفصال وما أبرزته من ضعف وتهاون فى قيادة الجيش ، اتجه عبد الناصر لى إحداث تغيير كبير فى هذه القيادة ، وكان يرمى إلى عزل المشير نفسه ، ولكن سرعان ماضعف ناصر أمام عامر ، وظهر له أن أنصار عامر فى الجيش لن يسمحوا بالقضاء عليه ، فاتجه لإخراج بعض القادة من الجيش وبخاصة صدقى محمود ، ولكن عامر أعلن قوله : «صدقى مش مسئول وحده ، أنا المسئول الأول ، وأنا كمان أمشى[1]» وكان هذا تهديداً لايقوى عبد الناصر على مواجهته ، فتراجع .

واتخذ عبد الناصر طريقاً آخر ليحُدَّ من سلطات عامر ؛ فاقترح أن يشكَّل مجلس للرياسة تكون فى يده السلطة العليا فى البلاد ، يرسم السياسة العامة ، ويصدر القرارات ، ويراقب التنفيذ ، واقترح أن يشكل هذا المجلس من الباقين على قيد الحياة من أعضاء مجلس الثورة ، ومن الدكتور نور الدين طراف ، والمهندس أحمد عبده الشرباصى ، وعلى صبرى ، وكمال الدين رفعت ، وصدر الإعلان الدستورى فى ١٩٦٢/٩/٢٧ بتشكيل هذا المجلس ، وبأن تكون له السلطة العليا فى البلاد ، واستبشر الناس بهذا الاتجاه ، وبدأ المجلس جلساته .

ولكن هدف عبد الناصر من هذا المجلس لم يكن أبداً أن يتنازل عن سلطاته أو عن بعضها ، وإنما كان هدفه أن يتخذه وسيلة للحد من سلطات المشير عامر ، وتبعاً لذلك سرعان ما تقدم عبد الناصر بمشروع قرار

---

(١) سامى جوهر : الصامتون يتكلمون ص ٥٤

للمجلس لجعل تعيين قادة الأسلحة وعزلهم من اختصاصات مجلس الرياسة بصفتهم السلطة العليا للبلاد ، ولم يحضر عبد الناصر الجلسة التى نوقش فيها مشروع هذا القرار ، ورأس البغدادى الجلسة ، وعارض المشير مشروع القرار معارضة شديدة ، وكانت حرب اليمن قد ابتدأت فقوى جانب المشير ، واتجه عبد الناصر لمصانعته ، فأهمل التحمس لهذا المشروع .

وبفشل عبد الناصر فى اتخاذ قرار لتحديد سلطة المشير عامر أصبح مجلس الرياسة عبئاً على عبد الناصر وتحديداً لسلطاته هو ، ومن هنا بدأ عبد الناصر يضيق بالمناقشات فى المجلس لإحساسه بأنه قيد عليه ، فعمد إلى ألا يدعوه للانعقاد إلا على فترات متباعدة ، وكان لايعرض عليه إلاتوافه الأمور ، ووجد أعضاءُ المجلس أنفسهم قيادة جماعية من ناحية الشكل فقط دون أن يكون لهم أى نفوذ فى واقع الأمر ،ومن هنا بدأت الاستقالات تتوالى منهم . كما أخذ يذوى عوده ، وتنتهى فاعليته ، وسنرى عبد الناصر فيما بعد يتخذ بنفسه قرارات خطيرة باسم هذا المجلس دون أن يعرضها عليه(١).

ويقول أحمد حمروش إن مجلس الرياسة كان قيادة شكلية بعد التراجع عن اتخاذ القرار الذى أراده جمال عبد الناصر للحد من سلطة المشير ، وينقل أحمد حمروش عن زكريا محيي الدين قوله : إن مجلس الرياسة كان تشكيلا يرمى إلى إبعادهم عن السلطة التنفيذية الفعلية ، فإن كل أعضائه تفرغوا للعمل به ، وتركوا وظائفهم الأخرى ، ولم يعد فى يدهم أى سلطان، ويضيف زكريا محيي الدين إلى هذا قوله إن المجلس لم يتحول أبداً إلى قيادة جماعية(٢).

---

(١) سامى جوهر : الصامتون يتكلمون ص ٥٦

(٢) مجتمع جمال عبد الناصر ص ٢٢٠

نشأة مراكــــز القوى

ما هى مراكز القوى ؟ ومتى نشأت ؟

فى اعتقادى أن الأستاذ حسين الريحانى المحافظ السابق كان يتحدث عن خبرة بالأمور فى مصر عندما حدد مراكز القوى بقوله (١) :

« مراكز القوى ما هم إلا أشخاص شغلوا مناصب فى الدولة ذات تأثير كبير ، وتجاوزت سلطاتهم الفعلية حدود واختصاصات مناصبهم الأصلية ، ولم يخضعوا لأى رقابة وحساب ، حتى أصبح فى مقدورهم إرغام السلطة العليا الشرعية على السكوت عن أعمالهم وتصرفاتهم ، وبحيث لا يمكنها إبعادهم أو زحزحتهم عن مناصبهم التى يمارسون من خلالها أبشع أنواع القهر والطغيان.

« أما الانحراف والفساد ، واستغلال النفوذ فهى رذائل أخرى قد يقع فى براثنها أصحاب المناصب وأقاربهم وأصهارهم وكل من يلوذ بهم ، ولكن هذه الرذائل رغم جسامتها لا تبلغ بمن هـوى فى دركها الأسفل درجة مراكز القوى . . ويمكن أن نسمى هؤلاء لصوصاً ومرتشين ونصابين وسماسرة، أما اسم مراكز قوى فهو لا ينطبق عليهم .

«ولا تنشأ مراكز القوى ويشتد ساعدها ويستفحل شرها إلا فى ظل حكم ديكتاتورى فردى مطلق، ولا تقوم لها أية قائمة فى ظل الحرية والديمقراطية، ذلك لأن الديكتاتور يجمع عادة بين يديه جميع السلطات ، وهو مضطر فى جميع الأحوال لأن يحشد حوله عدداً وافراً من كلاب الحراسة الشرسة كى يحمى نفسه ويمد فى أجل حكمه وسيطرته ، وبعد مدة يجد نفسه وقد تثاقلت عليه الأعباء وازدادت تبعاته وتراكمت أمامه المهام والمشكلات ، فيشعر بأنه

---

(٢) صحيفة الأخبار فى ١٩٧٧/٥/٢٥

غير قادر على البت فى كل الأمور ، فيمنح بعضاً من هذه الكلاب تفويضاً للتصرف فى عدد من المسائل والأمور فيقوى تدريجياً نفوذ هؤلاء وسلطانهم .

« تلك هى مراكز القوى ، أما زمان نشأتها ، فإنه يرتبط — فى تقديرى — بمطلع الثورة ، لأن مراكز القوى تنشأ مع الدكتاتورية ، والثورة كانت دكتاتورية من أول يوم كما اتضح من دراساتنا السابقة ، ويمكن فقط أن نقول إن مراكز القوى ظهر خطرها بعد حرب ١٩٥٦ وزاد خطرها بعد الانفصال ثم بعد هزائم اليمن ، ووصلت إلى قمة مجدها بعد حرب ١٩٦٧ لأن مراكز القوى تتخذ من هزائم الدكتاتور فرصاً لتضاعف نفوذها وسلطانها » .

وقريب من هذا ما يذكره محمد حسنين هيكل بقوله : مراكز القوى بمصر كانت دائماً موجودة ، إذ إن الثورة اعتمدت على التنظيم الواحد ، فأتيحت بذلك الفرصة لعناصر معينة أن تحتل مراكز قوة لهدف شخصى ، فى غيبة من مراقبة القيادة ، وفى غيبة من مشاركة الجماهير (١) .

ويتجه هيكل بعد هذا لبيان أن مراكز القوى استفحل أمرها بعد حرب ١٩٦٧ لأن عبد الناصر تفرغ لثلاث قضايا أساسية هى :

١ — تصحيح آثار الهزيمة وإعادة بناء الجيش المصرى .
٢ — تنظيم العلاقات مع الاتحاد السوفييتى .
٣ — موضوع الموقف العربى .

وترك عبد الناصر باقى الأمور لأتباعه فاستفحل نفوذهم (٢) .

أما أنور السادات ، فيرى أن نشأة مراكز القوى بدأت بسبب الصراع بين عبد الناصر وعامر ، الذى اتضح بعد الانفصال ، وفى هذا الصراع

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٠٢
(٢) المرجع السابق ص ١٠٣

حاول عبد الناصر إبعاد عامر أو تقليل سلطاته ، وأدرك عامر هـذا فعمل على أن يمـكّـن لنفسه بزرع أعوان كثيرين له ، ليس فى الجيش وحده ، بل فى الاتحاد الاشتراكى ، والمؤسسات المدنيـة ،وجميـع المراكز الحساسة فى البـلد ، ونشأت بذلك مراكز القوى التى نسب لهـا الـكثير من المساوىء والآلام التى أصابت مصر فى هذا العهد البغيض .

وفى مجال الحديث عن مراكز القوى ، وعن المسئول عـن الـكوارث التى نزلت بمصر يتحتّم أن أرفض الرأى الذى نادى به عبد الناصر والذى يلقى المسئولية على عاتق أشخاص آخرين غيره ، فالتفـكير الإسلامى لا يتيح لى نسبة ما وقعنا فيه من كوارث إلى تعبير مبهم مثل « مراكز نفوذ » أو « مراكز قوى » ، ولعل من الخير أن نورد رأى النهج الإسلامى فى تحمل المسئولية .

يضع الإسلام المسئولية على ولى الأمر ، فهو المسئول عما يقوم به مباشرة ، وعما يقوم به معاونوه ، لأنه الذى يختارهم وعليه مراقبتهم ، ومتابعتهم بعد الاختيار ، وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : من وَلِىَ من أمر المسلمين شيئاً ، فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه للمسلمين ، فقد خان الله ورسوله . وروى عنه كذلك : من قلد رجلاً عملاً على جماعة ، وهو يجد فى تلك الجماعة من هو أفضل منه ، فقد خان الله ، وخان رسوله ، وخان جماعة المسلمين[1] .

وبناء على ذلك كان الخلفاء الراشدون يَعُـدُّون أنفسهم مسئولين عن أخطاء مساعديهم ، حتى بعد أن يحسنوا اختيارهم ، وكان عمر رضى الله عنه إذا أراد أن يختار والياً ذكر الشروط التى يراها ضرورية فيه ، ثم يترك للحاضرين مساعدته فى تحديد من تنطبق عليه هذه الشروط[2] .

---

(١) الشوكانى : نيل الأوطار

(٢) عباس العقاد : الديمقراطية فى الإسلام ص ٧٩

وعن مسئولية الرئيس فى اختيار ولاته ، ومسئوليته فى تتبع أحوالهم بعد الاختيار يقول الإمام علىّ كرم الله وجهه: على ولىّ الأمر أن يختار للحكم أفضل الرعية ممن لا تضيق به الأمور ، ولا يتمادى فى الزلة ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه ، وينبغى أن يكون اختيارهم بالاختبار لابالمحاباة والأثرة ،وعليه أن يتفقد أعمالهم ، ويبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تتبعه لأمورهم حثٌّ لهم على استعمال الأمانة والعدل مع الرعية(١) .

وتنفيذاً لهذا الاتجاه الإسلامى نذكر أن الخليفة طيب الذكر عمر بن الخطاب عزل القائد الذى أبلى فى خدمة الإسلام أعظم البلاء ، خالد بن الوليد ، عندما أحس بافتتان الناس به مما يوشك أن يكوّن مركز قوة(٢) .

وفى القصة الشهيرة التى حدثت بين عمر وامرأة ، تقول الرواية : إن عمر خرج فى ليلة شديدة البرد كثيرة العواصف فرأى من بُعْدٍ ناراً ، فهرول لها ليتعرف خبر أصحاب النار ، فوجد امرأة ومعها أطفال ، ورأى قِدْراً منصوبة على النار ، وسمع الأطفال يبكون ، فتقدم عمر نحو المرأة ، ودار حوار بينهما وضّحت فيه المرأة ما يعانيه أطفالها من جوع ، وكيف أنها تخدعهم بِقِدْرٍ بها ماء حتى يناموا ، وصرخت فى وجه عمر : الله بيننا وبين عمر ، فاهتز عمر لهذه الصرخة ، وقال لها : وما يدرى عمر بكم ؟ فأجابت المرأة : يتولى أمورنا ويغفل عنا . وهكذا شكت المرأة ما اعتقدته غفلة من عمر ، وعمر لم يكن غافلاً عنها وإنما كان بجوارها .

وتستمر القصة لتروى أن عمر أسرع لبيت المال وأحضر الدقيق واشترك فى الطهو وإطعام الأطفال . . . . .

---

(١) نهج البلاغة ص ٣٣٩ - ٣٤٠

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ٢٧٦

وقد وضّح عمر بن عبد العزيز مدى مسئولية الحاكم ؛ فيروى أنه عقب توليّه الخلافة رآه مولاه « مزاحم مغتما كئيباً ، فسأله : ما لى أراك مغتماً ؟ فأجاب عمر : لمثل ما أنا فيه يُغتَمُّ ، ليس أحد من الأمة إلا وأنا ملزم أن أوصّل إليه حقه ؛ غيرَ كاتب إلىّ فيه ولا طالبه منى(١) .

فانظر مدى إدراك عمر بن عبد العزيز للمسئولية منذ اللحظة الأولى .

ويروى أن زوجته دخلت عليه عقب توليته الخلافة ، فوجدته يبكى ، فقالت له : ألشىء حدث ؟ قال : لقد توليت أمر أمة محمد ، ففكرت فى الفقير ، والمريض ، والمقهور ، والمظلوم ، والغريب ، والأسير ، والشيخ الكبير ، وعرفت أن ربى سائلى عنهم جميعاً ، فخشيت ألا تثبت لى حجة فبكيت(٢) .

واستكمالا لعرض الفكر الإسلامى فى هذا الموضوع ، نسأل سؤالا قد يخطر بالبال ، وهو : ماذا لو عظم مركز من مراكز القوى بحيث أحس ولى الأمر أنه لا يستطيع عزله ؟

والإجابة قوية واضحة هى أن الرئيس إذا لم يكن كامل السيطرة على مساعديه ، التزم أن يخلى مكانه فى الحال ، ويرد الأمانة إلى الشعب الذى اختاره ، وإلا تحمل المسئولية كاملة ، لكل ما يرتكبه هؤلاء المساعدون .

وبناء على التفكير الإسلامى الذى أوردنا عناصره ، نقرر أننا كما تنسب للرئيس السابق جمال عبد الناصر حسين مفاخر عهده مثل جعل سياسة

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٣١

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٩

مصر تُرسم فى مصر ولا تفد لها أو تفرض عليها من الخارج(١) فإننا ننسب له أخطاء عهده كلها لأنه الشخص المسئول عن أحداث عصره وأخطاء معاونيه .

ومن ناحية أخرى لا يمكن أن نعترف أن الأحداث الكبرى خلال هذه الفترة كانت تجرى من خلف جمال عبد الناصر حسين ، فقد كان شخصياً واضحاً فى فرض الحراسة ، وفى فصل القضاة ، وفى القبض على بعض الجماعات ، وفى المحاكمات والعقوبات ، وفى الخلاف بيننا وبين الدول العربية ؛ وفى الخلافات بيننا وبين أمريكا وألمانيا وغيرهما . وفى التحرك إلى اليمن ، وفى التحركات التى ارتبطت بمعركة يونيو الخاسرة .

ويقول الأستاذ حلمى سلام أحد الصحفيين الذين كانوا قريبين من عبد الناصر ما يلى : عبد الناصر هو الذى يملك ، ويحكم ، لا أحد فوقه ، ولا أحد معه ، ولا أحد بجانبه(٢) .

ويروى الأستاذ حسين الريحانى المحافظ السابق مايلى : كنت يوماً مع شعراوى جمعه بوزارة الداخلية ، فدقّ جرس تليفونه ، فرد شعراوى ، وسرعان ماظهر فى كلامه الاحترام الكبير والأدب الجم مع المتحدث على الطرف

---

(١) كانت هذه هى سياسة مصر فترة ، ثم فوض عبد الناصر الاتحاد السوفييتى فى أن يتكلم باسم مصر ، وقرر أن مصر تعطى هذا التفويض بدون حدود ، وقد شرحنا ذلك بافاضة عند كلامنا عن نهاية الاحتلال البريطانى ، وكان من نتائج الوجود السوفييتى فى مصر الذى تكلم عنه الرئيس السادات فى ١٩٧٥/٩/٢٨ هذه الحقيقة المرة التى نشرتها الأهرام فى ١٩٧٥/١٠/٣ وهى أن الاتحاد السوفيتى استغل وجوده على الأرض المصرية وسيطرته على المطارات المصرية وأخذ ينقل الأسلحة والمعدات عبر هذه المطارات إلى الهند ، فى حربها ضد الباكستان ، ورغم أن الاتحاد السوفييتى يعلم أن ليس لمصر صالح فى هذه العملية ، ويعلم أنها لايمكن أن تسهم فى الإضرار بالشعوب الإسلامية ، ثم رغم أن تحركات الاتحاد السوفييتى تعتبر مساساً باستقلال مصر أو على الأصح اعتداء على هذا الاستقلال .

(٢) مجلة الفجر القطرية عدد ١٩٧٥/٦/٢٢

الآخر . ولذا لم أكن فى حاجة لأن أدرك أن المتحدث هو رئيس الجمهوريه فهممت بأن أبارح المكتب ، لأن ذلك هو الشيء الطبيعى فى مثل ذلك الموقف ، ولكنه أشار لى بأن أبقى فى مقعدى فبقيت وسمعت . .

أملى عليه الرئيس الراحل أسماء ثلاثة أشخاص وصناعتهم فكتبها فى ورقة أمامه ، ولما انتهت المحادثة عاد فرفع سماعة تليفونه من جديد وتكلم مع مدير المباحث العامة وأملى عليه ذات الأسماء وطلب منه سرعة القبض عليهم وزجهم فى معتقل القلعة على أن يتم ذلك فوراً ، وأن يحيطه علماً بالنتيجة حتى يطمئنَّ ويقوم بدوره بإعطاء « تمام » للآمر بالاعتقال ليطمئن أيضاً ويرتاح باله(١) .

ونقطة أخرى وقع فيها أكثر الكتاب سيراً وراء جمال عبد الناصر حسين ، فقد كان هو أول من نسب الأخطاء والخطايا التى نزلت بمصر إلى مصدر أسماه « مراكز القوى » أو « مراكز النفوذ » ولم يحدد شخصاً أو أشخاصاً ينطبق عليهم هذا التعبير ، ونحن نسأل : لمصلحة من ننسب ماعانيناه من كوارث إلى مصدر مبهم ؟ ونقرر أننا نستنكر أن نتستر على مجرم فى حق الوطن ، وندعو الكتاب إلى الكف عن هذا التعبير الزائف .

وسؤال آخر هو : أين نضع جمال عبد الناصر إذا تصورنا خاتمه فى يد غيره ؟ وأن الدنيا تدار من حوله بدون رأيه ؟ فى اعتقادى أن من يقول بذلك ينتقص الرجل من حيث لا يدرى .

وسؤال ثالث هو : أين مراكز القوى الآن أى بعد جمال عبدالناصر ؟

والإجابة أنها انهارت أو على الأقل ضعفت فى عهد أنور السادات : ومعنى هذه الإجابة أن مراكز القوى كانت معروفة ، وأن القضاء عليها أو

---

(١) صحيفة الأخبار فى ١٩٧٧/٥/٢٥ .

تقليم أظافرها كان ممكناً ، ولذلك نسأل . لماذا لم يفعل جمال عبد الناصر ما فعله أنور السادات ليتخلص من أعوان السوء ؟

ولا يبقى بعد هـذا إلا الاعتقاد بأنها كانت تعبيراً عن هواه ، وامتداداً لنفوذه .

وقد أوردنا من قبل معلومات محددة وصلت مباشرة إلى أذن جمال عبد الناصر حسين وبطريق محافظ من المحافظين الذين عينهم جمال عبدالناصر وهو إبراهيم بغدادى ولكن هذا الرئيس بدل أن يكشف الغمة عن المظلومين فى كمشيش صاح فى المحافظ قائلا : إنك لا تعرف ما يجرى فى محافظتك .

وقد أعلن جمال عبد الناصر بوضوح أنه المسئول عن هزيمة يونيو ١٩٦٧ وعن غيرها من المشكلات ،ولست أدرى بعد ذلك لماذا يلف بعض الباحثين ويدورون دون أن يسيروا فى الطريق الواضح المستقيم ؛ ودون أن يحددوا المسئول عن الخير وعن الشر ، وهو واضح لكل عين ترى وعقل يفكر ، أما مراكز القوى التى يتحدثون عنها فقد كانت تدور فى فلكه ، وتعمل بتوجيه ، وعندما أراد كشف مفاسد بعضهم كشف ذلك ، ولم تستطع هذه المراكز أن تفعل شيئاً .

فلنقلها كلمة صريحة لوجه الله والتاريخ : إن جمال عبد الناصر حسين هو المسئول عن أحداث عهده، وهذه الفكرة هى التى تحمى حاضرنا ومستقبلنا، وهى التى نضعها أمام كل رئيس فى كل زمان وفى كل مكان، دون أن نخلق تعبيرات زائفة تعطى فرصة للانحراف ، وبالتالى للرزايا والكوارث ، وإنه لمن العجب أن يعيش هذا الشعب فى فقر ، وفى قلق ، وأن يعانى الهزيمة فى كل حرب خاضها عبد الناصر ، ومع هذا يقف مدافعاً عنه ، إنها أبواق الدعاية ، وصور الخوف التى قلبت الحق باطلا ردحاً من الزمن .

رعى الله بلادنا ، وعاون قادتها فيما يبذلون من جهد لتصحيح مسار الحياة.

مراكز القوى كانت متصارعة :

بقيت كلمة عن مراكز القوى هي أن هذه المراكز كانت متشعبة ومتطاحنة وكان يدور بينها صراع مرير ، وقد كشفت مذكرات الرئيس أنور السادات عن صور من هذا التطاحن ، وقد بلغ المدى بأحد هذه المراكز أن حاول إطلاق الرصاص على مركز آخر ، فكل منهم كان يرى البلاد غنيمة ، ويريد أن ينال منها لنفسه وأشياعه أكبر نصيب .

إهمال المرافق

فى الحقيقة إن مرافق البلاد أهملت منذ مطلع الثورة ، بسبب الاتجاه إلى مشروعات وهمية مثل مديرية التحرير وهيئة التحرير ، وبسبب الصراع بين قادة الثورة بعضهم والبعض، ثم بسبب الحروب والنكبات التى حلّت بالبلاد، ولكن إهمال المرافق زاد سوءاً امتداداً من سنة ١٩٦٢ ، ويقول أنور السادات أن مشاكل الخدمات بدءاً من التليفونات والمواصلات والإسكان وغيرها أخذت تؤجل ابتداء من سنة ١٩٦٢ مما جعل هذه المشاكل تزداد وتتراكم سنة بعد أخرى ، بحيث أصبح من العسير حلها (١) .

وبجانب إهمال المرافق الموجودة لم تنشأ مرافق جديدة ، فلم تمهد طرق، ولا أقيمت قناطر ، ولا شيدت مستشفيات ، ولا مساكن ولا مدارس ، وكيف نشيّد الجديد مع أننا عجزنا عن المحافظة على القديم .

إنه عهد دمار ، عانينا منه فى الماضى ، ولا نزال نعانى منه أشد عناء .

الهجرة من الريف للمدن وأسطورة الاصلاح

لقد قالوا إن هناك إصلاحاً زراعياً وإنصافاً للقرية والريف ، وتلك أسطورة ينقضها زحف الريفيين إلى المدن ، حتى أوشك الريف أن يخلو من الأيادي العاملة ، واتجهت جحافل الريفيين إلى المدن لعلها تجد بها وسائل للرزق ؛ لقد ترك عبد الناصر الريف يسبح فى الظلام ، واتجه إلى سوريا واليمن ؛ فهُرِع الريفيون إلى المدن وإلى القاهرة بوجه خاص ، لعل عبد الناصر يراهم فيداوى جراحهم ، ويهتم بالريف الذى كان من قبل يسكنه أكثر من ٧٥٪ ، فلما شمله الظلام والإهمال لم يبق به إلا حوالى نصف سكانه ، وتكدس النصف الباقى فى المدن المصرية القليلة(٢) إنها نتيجة طبيعية ، ولكن عبد الناصر كان دائماً فى شغل عن الفلاحين وعن سواهم ، ومتجهاً فقط إلى نفسه وذويه .

---

(١) البحث عن الذات ص ٢١٣ (٢) أنظر كتاب مصر فى عهد عبد الناصر ص ١٩٨

حوادث سنة ١٩٦٣

اليمن تشغل أيام العام

ماذا فى سنة ١٩٦٣ من أحداث ؟ .

لقد خلت مذكراتى فى هذا العام من الأحداث المهمة ، لأن الدولة كلها كانت تدور فى أحداث اليمن ؛ نزيف هائل منيت به البلاد ، شمل الدم والمال والعرق والجهد ، دون أن يقنع . صحافة العهد تتحدث عن اليمن ، وإذاعة الدولة ، المسموعة والمرئية ، تعرض مفخرة التدخل فى اليمن ، ودورُ العلم تتحدث عن حماية اليمن من الأعداء ، وعن تحضير اليمن ، وحتى الأفلام يتجه إنتاجها لتضليل الشعب حول قضية اليمن ، والخسائر تتوالى ، والأمور تتعقد ، والعدو الأصيل الذى بنينا له جيشنا يمرح فى إسرائيل لأن جيش مصر ومال مصر وجهد مصر ينضب على جبال اليمن ، والوحدة العربية التى كانت واقعاً وأملاً حل محلها فرقةٌ وحرب بين للدول العربية بعضها والبعض .

وفى هذا العام امتدت حرب اليمن إلى المناطق السعودية المجاورة لليمن ، ويقول الدكتور صلاح الدين المنجد فى كتاب ألفه عن الملك فيصل : فى أول يناير سنة ١٩٦٣ صدر بيان رسمى سعودى يعلن أن قاذفات قنابل من طراز « اليوشن » تابعة لمصر ، تعمل فى اليمن ، قامت بغارتين على مدينة نجران السعودية فى ١٩٦٢/١٢/٣١[1] .

تلك هى أحداث سنة ١٩٦٣ ، وهى أيضاً الأحداث التى امتدت خلال بعض السنوات التالية ، وليس من جديد إلا السعار فى الاعتقالات والتعذيب لكل من يعارض رغبة الزعيم الاندفاعة اليمنية .

إضافة قليلة عشتها متصلة بحرب اليمن ، هى أن أحد معارفى وهو

---

(١) دكتور صلاح الدين المنجد : الملك فيصل ص ٥٩

ضابط بالجيش ، كان ينوى الزواج ، ووجد اليمن فرصة ليحصل على المال ، فأعد عدته للسفر ، وتحدد موعد الرحلة ، وذهبت لأودعه ، وجاءت سيارة الجيش لتنقله إلى المطار ، وصافحناه وقبّلناه ودعونا له بالسلامة ، ومن المطار حادث أهله تليفونياً وهو على وشـك أن يركب الطائرة .

وفى اليوم التالى اتصل بى تليفونياً فصرخت فيه : من أين تتكلم ؟ من صنعاء ؟ فأجاب لا ، إن الطائرة لم تستطع أن تنزل فى اليمن لسوء الأحوال الجوية ، فعادت أدراجها إلى القاهرة ، فسألته : ومتى ستسافر ؟ فقال غداً .

وودعناه مرة أخرى ، وعرفنا بعد بضعة أيام أن الطائرة عادت مرة أخرى ، ولـكنه هو وزملاؤه خجلوا من أن يعودوا لمنازلهم مرة ثانية ، فبقوا ضيوفاً على الجيش حتى تحسنت الأحوال الجوية فسافروا .

هذا نموذج عشته من الاستهتار بمال مصر ، فرحلة الطائرة من مصر إلى اليمن تتكلف آلاف الجنيهات أو عشرات الآلاف ، وتقوم الرحلات كل يوم إلى مختلف بلدان العالم بما فى ذلك بلاد الشمال والشرق الأقصى حيث الأمطار المتصلة وسوء الأحوال الجوية دائم تقريبا ، ولاتعود الطائرات بحمولتها أبداً مثل هذه المسافة ، لقد كان الاستهتار والاستهانة بمال الشعب من أسباب تفاقم الزيادة فى الخسائر باليمن .

أزمة المثقفين

حفلت صحافة هذا العام بوجه خاص والأعوام السابقة له بوجه عام بمقالات تحمل هذا العنوان : « أزمة المثقفين » ومن عجب أن يصبح المثقفون أزمة ، ولاشك أن محمد حسنين هيكل يظلم جماعات المثقفين حين يصفهم فى هذه المقالات بأنهم كانوا نوعين : النوع الأول ينتمى إلى الطبقة القديمة ، وهؤلاء اتخذوا موقفاً من الثورة إن لم يكن عدائياً فقد كان موقفاً يتّسم بالتحفظ ، والنوع الثانى يضم المثقفين الماركسيين ، وهؤلاء كانوا ينظرون إلى الثورة على أنها حركة فاشيستية واعتبروا ما حدث انقلاباً وليس ثورة[1].

هذا كلام كله ظلم وافتراء ، والحقيقة أن المثقفين جميعاً مهّدوا بجهود كثيرة لقيام الثورة ، فلما قامت أحسنوا استقبالها ، وصفقوا لها ، وأعلنوا عن تأييدهم الشامل بكل الطرق ، ولانزال نذكر برقية جامعة الإسكندرية التى عبرت عن اتجاهات هيئة التدريس وترحيبهم بالثورة ، والتى كانت أولى البرقيات التى تلقاها الثوار ، وتلتها برقيات مماثلة من الجامعات الأخرى ومن هيئات القضـــاء والصحافة والمحامين والمهندسين والمعلمين وغيرهم مما مكّن للثورة ووضّح أنها تعبير عن كل طبقات المجتمع المصرى وتهيّأ لها بذلك سبيل النجاح .

ولـكن المثقفين كانوا يتطلعون إلى ثورة تصحح الأوضاع وتزيل عسف القصر ، وتقـضى عـلى موقف الاستعمار والملك مـن الدستور ومن الحـرية ومن حـق الشعب ، ولـكن سرعان ما اتضح للمثقفـين أن الثورة أزالت القصر لتخلق قصوراً أكثر من أن تُـعَـدّ ، لها شراسة وأنياب أعنف جداً من قصور فاروق ، واتضح للمثقفين أن الحرب

---

(٢) بصراحة عن عبد الناصر ص ١١٢

ضد الدستور وضد الحياة البرلمانية وضد الحريات هى نهج الثوار ، وبرز لكل الناس أن هؤلاء الفتية قاموا بالثورة ليستولوا على كل شيء ، وليحكموا بأهوائهم وأطماعهم ، وصرخ المثقفون فى وجه الثوار وأعلنوا اعتراضهم على هذا المسلك المشين ،وكان من نتيجة ذلك أن تصدى الثوار للمثقفين بقسوة ؛ فصلوا عدداً كبيراً منهم من الوظائف ، واعتقلوا آخرين، وأطلقوا زبانيتهم على القمم الفكرية بين المثقفين تضربهم ،وتوقع بهم،وتسخر منهم ، وكانت نتيجة هذا التصرف أن انكمش الباقون من المثقفين حتى لا يقع بهم ما وقع للدكتور السنهورى ولأساتذة الجامعات الذين فصلوا واعتقلوا ، وقام حاجز حصين بين الثورة وبين المثقفين ، وظهر ذلك الاصطلاح الذى سبق أن تكلمنا عنه ، وهو الاعتماد على أهل الثقة وعدم الاهتمام بأهل الكفاءة أو الخبرة .

واتجهت الثورة لتغزو كل مجال بالضباط كما ذكرنا من قبل ، فأصبح منهم أكثر المحافظين ، وأكثر الوزراء،وأكثر السفراء ، فكان العسكريون يشغلون ٧٢./. من الوظائف الكبرى بوزارة الخارجية سنة ١٩٦٢ ، وكان جميع سفراء أوربا ذلك العام من العسكريين ،فيما عدا ثلاثة كانوا من المدنيين ، وتطلع العسكريون حتى إلى المناصب الرياضية ،بل إلى الطرق الصوفية ،فأصبح عبد الحكيم عامر مشرفاً على الطرق الصوفية ، ورئيساً لاتحاد كرة القدم، وعين حسين الشافعى رئيساً لاتحاد الفروسية ، وعلى صبرى رئيساً لاتحاد السباحة ، ومجدى حسنين رئيساً لاتحاد التنس ، وعلى شفيق رئيساً لاتحاد الملاكمة ؛ وأصبح رؤساء الأندية من الضباط ، وأكثر أمناء الجامعات منهم ، وأصبح منهم الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، والمشرف على مديرية التحرير ، وأصبح منهم المشرفون على الصحافة والإعلام ، وبعبارة قصيرة : أصبحت المناصب الكبرى فى أيديهم سواء عرفوا التزاماتها وتخصصاتها أولم يعرفوا .

وأحس المثقفون أنهم أغراب فى بلادهم وفى الهيئات التى يعملون بها ،

فهاجر منهم من هاجر ، وانكمش الآخرون يؤدون عملهم فى جو من اليأس والحسرة .

تلك هى حقيقة المشكلة بين الثورة وبين المثقفين ، أما كلام محمد حسنين هيكل فكلام وَحْشِي فاسد اشترك فى الجريمة ويحاول أن يدافع عن نفسه أمام الجماهير .

وجاءت نتائج إبعاد المثقفين ، وكانت نتائج تدعو للحسرة والألم ، كانت فشلاً فى كل ميدان ، وهزائم فى كل معركة ، وتراجعاً فى كل مجال ، وكان الثوار يحسون أحياناً بفراغ هائل بسبب بُعْدِ المثقفين عنهم ، وكان المثقفون دائماً مستعدين للعودة للمشاركة فى الجهد ، ولكن بشروط بسيطة طبيعية هى :

١ — المطالبة بعودة الجيش إلى الثكنات ، وأن يرتبط الجيش بمهمته العسكرية قبل كل شىء .

٢ — المطالبة بعودة الحياة النيابية والأحزاب السياسية التى تعبر عن اتجاهات الجماهير .

٣ — الاعتماد على أهل الكفاءة فى كل الأمور التى تحتاج لكفاءة ، وإيضاح أن تسمية « أهل الثقة » تسمية باطلة فكل المصريين ينبغى أن يكون موثوقاً بهم ، وأن يوضع كل منهم فى المجال الذى يناسبه .

وقد وضع محمد حسنين هيكل هذه الشروط بصيغة ملتوية فى مقالاته التى نشرها فى صحيفة الأهرام بعنوان « أزمة المثقفين » وكان يشير إلى هذه الشروط على أنها رجعية من المثقفين ، وتطاول منهم ، وقد انضم له فى هذه الحملة على المثقفين ضابط اسمه صلاح دسوقى كان يرى أن المثقفين عبء على الحياة المصرية ، وأن دولاب الحياة يمكن أن يسير بدونهم ، دون أدنى حرج .

وإذا أردنا أن نتعرف على صلاح دسوقي الذى هاجم المثقفين ، فإننا نعود إلى محمد نجيب الذى يقول عنه : كان صلاح دسوقي ضابط شرطة مقرباً من جمال عبد الناصر ، وقد عينه فى وزارة الداخلية أركان حرب الوزارة ، وأعطاه صلاحيات الوزير لكى لايترك زكريا محيي الدين ينفرد بوزارة الداخلية ، وظل صلاح دسوقي مقرباً من جمال عبد الناصر حتى أصبح محافظاً للقاهرة ثم سفيراً ، وفجأة فصله جمال عبد الناصر من وظيفته ، وقال إنه تأكد من أنه من عملاء الأمريكان ، وأن المخابرات المركزية الأمريكية جندته عميلا لها ، وقد رفض صلاح دسوقي العودة إلى مصر بعد فصله من وظيفة السفير ، ثم تمّ تعيينه فى منصب كبير بالأمم المتحدة دون موافقة مصر وبمساعدة أمريكا ، وما زال صلاح دسوقي مقيما خارج مصر حتى الآن(١).

ما أجهل النظام الذى يعتبر المثقفين أزمة ، وهم أشعة الضوء التى تحمل للدول الهداية والرشاد .

---

(١) كلمتى التاريخ ص ٧٠

قضية الاستيراد الكبرى

يتحدث المستشار محمد عبد السلام عن قضية انحراف مالى خطيرة ، عرفها هذا العام (١٩٦٣) وتسمى قضية الاستيراد (الجناية ١٩٦٣/٣٨١) وفيما يلى كلماته عنها :

اتُّهم فى هذه القضية عشرون شخصاً من كبار العاملين فى إدارتى التصدير والاستيراد ، وشركات القطاع العام ، ومن كبار التجار المسيطرين على السوق الداخلية والخارجية ؛ وقد اتُّهم هؤلاء بتهمة الرشوة والتربُّح واستغلال النفوذ ، ووصل رقم المبالغ موضوع الاتهام إلى عشرات الألوف من الجنيهات ، وكان من بين المتهمين جمال فؤاد صهر على صبرى رئيس الوزراء آنذاك ، وكان هذا المتهم يشغل منصب رئيس مجلس إدارة شركة من شركات القطاع العام ، وكان من بين التهم المسندة إليه حصوله من أحد كبار التجار على رشوة قدرها ١٣٫٠٠٠ جنيه فى مقابل استعمال نفوذه للحصول لهذا التاجر على تنازل عن تراخيص استيراد قيمتها ١٠٠٫٠٠٠ جنيه ، وذلك على الرغم من حظر مباشرة عمليات الاستيراد بواسطة القطاع الخاص .

وبحْثُ هذه القضية مع وجود رئيس الوزراء فى منصبه حاميا لصهره كان مشكلة كبرى ، ولعل هذا هو السبب فى أن الحكم صدر بإدانة ثلاثة من المتهمين وببراءة الباقين ومنهم صهر رئيس الوزراء .

ويقول المستشار محمد عبد السلام إنه اتجه إلى الطعن فى الحكم إذ ظهر له بعد دراسته عدم سلامته ، ولم يخبر وزير العدل باتجاهه فى الطعن فى الحكم ، إذ لم يتوقع من الوزير أن يقف ضد رغبة رئيس الوزراء ، ولهذا سار النائب العام على مسئوليته ليطعن فى الحكم ، وكانت الأدلة قوية عنده ، ويقول إنه كان يتجه إلى ضرب كبار المنحرفين والقضاء على موجة الفساد ، وقد نَشَرَ أسباب الطعن فى الصحف فجأة ، مما أثار الوزير عليه ، ولكن

مكتب رئيس الوزراء حرص بطبيعة الحال على تحرير ردّ على أسباب الطعن ثم فوجيء النائب العام برئيس الجمهورية يصدّق على الحكم الذى طَعَن النائب العام فيه ، وكان معنى هذا بطبيعة الحال إلغاء الطعن (١) .

وتعليقنا على هذه القضية يبرز عدة وجوه :

١ – نُظرت هذه القضية ، ورئيس الوزراء فى منصبه ، وصهره كذلك فى منصبه .

٢ – أجمعت النيابة العامة على أن الحكم ليس عادلاً ، وأنه يجب الطعن فيه .

٣ – عمد مكتب رئيس الوزراء بتحرير رد مسهب يعارض عناصر الطعن.

٤ – وقف رئيس الجمهورية مؤيداً جانب المنحرفين ، وكان ينبغى أن يؤيد جانب النائب العام .

ذلك نموذج قصير لقضايا الانحراف التى كانت شديدة الانتشار ، وكانت تجد عوناً من أصحاب السلطان .

(١) المستشار محمد عبد السلام : سنوات عصيبة ص ٩ وما بعدها .

حوادث سنة ١٩٦٤

اليمـــن

ما تزال اليمن هى الشغل الشاغل للدولة ، وما تزال الصحافة مسخرة للحديث عن قضية اليمن ، والانتصارات هناك، وذِكْرُ المعارك التى حققت النصر ، وما زالت تروى قصص بطولة قام بها المصريون ضد رجال اليمن ! ! ولا تزال تحقيقـات صحفية تنشر للقادة عن البطولات الخارقة التى حققهـا أبطالنا هناك .

أما فى مصر فكل إصلاح تأجل ، وقد بدأت نتائج إهمال المرافق تظهر فى شكل طفح للمجارى يغمر الشوارع حتى فى أرقى الأحياء ، وفى شكل مطبات فى الطرق حتى فى شوارع الدرجة الأولى ، وفى شكل قلة سيارات الأتوبيس وكـثرة العطب فيها ، ثم فى شكل الخبز الـذى ازداد سواداً ، والأسواق التى ازدادت اختناقاً ، والسلع التى ازدادت اختفاء ، وأصبح مصدر نعيمنا أن يعود جندى من اليمن يحمل معه بعض الشاى وبعض الهدايا وراديو ترانزستور ،ويقول إن هذه الخيرات تـكتظ بها أسواق اليمن وشوارعه ، فـكانت وحدها التى تخفف آلام الشعب الصبور .

مؤتمرات قمة

بين المجاعة التى كانت تعانيها مصر ، وبين إهمال المرافق الذى تحدث عنه أنور السادات كما روينا من قبل ، بين هذا وذاك شهدت مصر أربعة مؤتمرات قمة خلال عام ١٩٦٤ ومن الواضح أن مؤتمرات القمة نوع رفيع من البذخ والترف ، وقد قدم عبد الناصر هذا البذخ لضيوفه ربما ليرد على الشماته التى كانت شائعة عن الأزمة الاقتصادية المصرية ، وربما ليظهر بمظهر المضيف العظيم معتمداً على ما حباه الله مصر من طبيعة ممتازة وشعب أصيل ، وهذه المؤتمرات هى :

١ – مؤتمر القمة العربى الأول وقد عقد فى القاهرة فى يناير سنة ١٩٦٤

٢ – مؤتمر قمة للدول الإفريقية وقد عقد فى مايو ١٩٦٤ ويفخر محمد حسنين هيكل بهذا المؤتمر ونتائجه فيذكر أن إفريقيا كلها اجتمعت فى مصر واتخذت قراراً خطيراً إذ اعتبرت إسرائيل مثل روديسيا استعماراً استيطانياً[١].

٣ – مؤتمر القمة العربى الثانى ، وقد عقد فى الإسكندرية فى سبتمبر سنة ١٩٦٤ ؛

٤ – مؤتمر قمة لدول عدم الانحياز ، وقد عقد بالقاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٦٤ .

ويقول محمد حسنين هيكل[٢] إن مؤتمر القمة العربى الأول والثانى لم يحلا المتناقضات العربية . . . وهذا اعتراف واضح بفشلهما ، ومن المؤكد أن أهم القضايا العربية آنذاك كان إيقاف الحرب فى اليمن ، وسحب الجيوش الأجنبية من اليمن ، وترك اليمنيين ليقرروا مستقبلهم كما يريدون ، بعد

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٧٤

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة .

إبعاد الإمام الذى كان فى الحق حارساً للتخلف والبدائية ، ولكن المؤتمرين لم يحققا للناس شيئاً ،فظل جيشنا باليمن كوسيلة لاستنفاد الجهد والدم والمال، بل سحب من سيناء مزيد من الجيوش لدعم الجيش فى اليمن .

وكانت جلسات مؤتمر القمة العربى بالقاهرة تعقد فى مقر جامعة الدول العربية على كورنيش النيل ، وكانت الوفود العربية تقيم بفندق هيلتون على النيل أيضاً ، وقد استدعى المظهر الناصرى أن يُشيَّد معبرٌ فاخر يربط بين الفندق ومقر الجلسات حتى لا ينزل الضيوف إلى الشارع ليصلوا إلى هذا المقر ، إنها مظاهر السيادة التى لا تتطلع إلا إلى المجد الشخصى مُشيحةً الوجه عن الشعب البائس .

وإذا كانت مؤتمرات القمة العربية لم تأت بطائل ، فإن مؤتمر قمة عدم الانحياز كان أجدر بالبعد عن الفائدة ، وقد ظلت مؤتمرات عدم الانحياز تتدحرج حتى هوت إلى أحضان كاسترو فى كوبا ، واتخذت قرارات ضد مصر فى اجتماعها بهافانا سنة ١٩٧٩ .

إن هذه المؤتمرات بتكاليفها ومظاهرها تؤكد أن الرئيس الجليل ، كان يعيش فى عالم غير العالم الذى يعيش فيه شعبه .

الدستور المؤقت

تحدثنا من قبل عن الدستور ، وأوردنا « مطالعات » فى الدساتير المصرية ، وأمامى الآن نص الدستور المؤقت الذى نشرته الصحف المصرية فى ١٩٦٤/٣/٢٤ ، ومن الخير أن نقتبس منه بضعة سطور :

فى مقدمة الدستور حديث عن ثورة ٢٣ يوليو المجيدة ، وحديث عن الميثاق الذى تم استخلاصه من قلب معارك النضال ليكون دليلاً فكرياً يقود خطا المستقبل .... وحديث عن التقدم المأمول إلى مرحلة الانطلاق العظيم التى بدأت مصر الزحف نحوه ، وحديث عن الاتحاد الاشتراكى وعن تنظيماته العظيمة .

ويتكون هذا الدستور من ١٦٩ مادة تجىء بعد هذه المقدمة نقتبس فيما يلى بعض المواد :

مادة ١ — الجمهورية العربية المتحدة دولة ديمقراطية اشتراكية تقوم على تحالف قوى الشعب العاملة .

مادة ٣ — الوحدة الوطنية يصنعها تحالف قوى الشعب من فلاحين ، وعمال ، وجنود ، ومثقفين ، ورأسمالية وطنية ، ومن هذه القوى يتكون الاتحاد الاشتراكى .

مادة ٢٣ — القوات المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة ملك للشعب ومهمتها حماية مكاسب النضال الشعبى فى الاشتراكية ، وحماية البلاد ، وسلامة أراضيها وسلامة أمنها .

مادة ٢٥ — لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون .

مادة ٢٧ — لا يجوز القبض على أحد أو حبسه إلا وفق أحكام القانون .

مادة ٢٨ – حق الدفاع أصالة أو بالوكالة يكفله القانون .

مادة ٢٩ – كل متهم فى جناية يجب أن يكون له من يدافع عنه .

مادة ٣٠ – لا يجوز إبعاد مصرى عن البلاد أو منعه من العودة إليها .

مادة ٣١ – لا يجوز أن يحظر على أى مصرى أن يقيم حيث يريد ، ولا يُلزَم الإقامة فى مكان معين إلا فى الأحوال المبينة فى القانون .

مادة ٣٣ – للمنازل حرمة ، فلا يجوز دخولها إلا فى الأحوال المبينة فى القانون ، وبالكيفية المنصوص عليها فيه .

مادة ٣٥ – حرية الرأى والبحث العلمى مكفولة ، ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو بالكتابة أو بالتصوير أو غير ذلك فى حدود القانون .

مادة ٣٦ – حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة فى حدود القانون .

مادة ٣٧ – للمصريين حق الاجتماع فى هدوء غير حاملين سلاحاً ، ودون حاجة إلى إخطار سابق ، والاجتماعات العامة والمواكب والتجمعات مباحة فى حدود القانون .

مادة ٤٨ – يتولى مجلس الأمة مراقبة أعمال السلطة التنفيذية .

مادة ٤٩ – يتألف مجلس الأمة من أعضاء يُختارون بطريق الانتخاب السرى العام ويكون نصف أعضاء المجلس على الأقل من العمال والفلاحين .

مادة ٨٣ – يراقب مجلس الأمة الحكومة وأعمالها ، وتعتبر الحكومة مسئولة أمام مجلس الأمة .

مادة – ٨٤ – لمجلس الأمة حق سحب الثقة من الحكومة أو من بعض أعضائها .

مادة ٩٦ – لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الأمة وتولى الوظائف العامة فى الحكومة ووحدات الإدارة المحلية .

مادة ٩٧ – لا يجوز لأى عضو من أعضاء مجلس الأمة أن يُعيَّن فى مؤسسة أو شركة خلال مدة عضويته .

مادة ٩٨ – لا يجوز لأى عضو من أعضاء مجلس الأمة فى أثناء عضويته أن يشترى أو يستأجر من أموال الدولة ، أو يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أملاكه أو أن يقايضها عليها .

مادة ١٠٠ – يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ويمارسها على الوجه المبين فى الدستور .

مادة ١٠٢ – يرشح مجلس الأمة رئيس الجمهورية ويعرض الترشيح على المواطنين لاستفتائهم عليه .

مادة ١١٩ – إذا حدث فيما بين أدوار انعقاد مجلس الأمة أو فترة حله ما يوجب الإسراع فى اتخاذ تدابير لا تحتمل التأخير ، جاز لرئيس الجمهورية أن يصدر فى شأنها قرارات لها قوة القانون .

مادة ١٢٠ – لرئيس الجمهورية فى الأحـــوال الاستثنائية بناء على تفويض من مجلس الأمة أن يصدر قرارات لها قوة القانون .

مادة ١٣٤ – رئيس الجمهورية هو الذى يُعلن الحرب بعد موافقة مجلس الأمة .

مادة ١٢٥ – رئيس الجمهورية يُبرم المعاهدات ويبلغها مجلس الأمة .

تلك هى أهم المواد التى احتواها دستور ١٩٦٤ ، وقد سبق لنا عند الحديث عن الدستور أن تكلمنا عن عنوان فرعى هو « النصوص والواقع » ونحن هنا نوجه النظر إلى ما فى هذا الدستور من نصوص لتقارن بالحياة الواقعية ، وستبدو بعض النصوص وهى حبر على ورق ، وستبدو نصوص أخرى وهى تعطى سلطاناً واسع المدى لرئيس الجمهورية ، والشعب هو الضحية فى الحالين .

برلمان ما بعد الوحدة

تحدثنا فيما سبق عن برلمان الوحدة الذى تم دون انتخاب بل قام عبدالناصر بتعيين أعضائه ، واجتمع لأول مرة فى يونيو سنة ١٩٦٠ ؛ أى بعد بدء الوحدة بأكثر من عامين ، وقد انتهى هذا المجلس بانتهاء الوحدة فى سبتمبر سنة ١٩٦١ .

وبعملية حسابية بسيطة نجد أن المدة التى حظيت فيها مصر ببرلمان من أول الثورة حتى سنة ١٩٦٤ لا تصل عامين ،وهذا يدل على أن الثورات العسكرية لا ترغب فى البرلمانات ولا تطيق النقد ، ومع أن برلمانات عبد الناصر كانت صامتة ولا تجيد إلا التصفيق فإن عبد الناصر كان لا يريدها على أى حال .

وكان نصف البرلمان الذى انعقد فى سنة ١٩٦٤ من العمال والفلاحين لأول مرة ، ويعترف عبد الناصر بأنه « ما زالت الحكومة تضع نفسها فوق مساءلة الشعب »(١) .

---

(١) أجاريبشيف : ناصر ص ٢٨٦

مجلس الرياسة وقرار مزيف

فى حوادث سنة ١٩٦٢ تحدثنا عن مجلس الرياسة الذى كان ظاهره جعل القيادة جماعية وباطنه الحد من سلطات المشير ، وقلنا إن المجلس فشل فى تحديد سلطات المشير ، فاتجه عبد الناصر إلى إهمال هذا المجلس وعدم دعوته إلا بعد فترات طويلة ولأمور تافهة .

وفى هذا العام (١٩٦٤) حدث شيء خطير يرتبط بهذا المجلس، وقد كُشِفَ الستار عن هذا الشيء الخطير بعد عشر سنوات ، فقد أصدر جمال عبد الناصر قراراً بقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ بشأن تدابير أمن الدولة العليا ، ويخوِّل هذا القرار بقانون لرئيس الجمهورية –بدون إبداء الأسباب –أن يقبض على المواطنين ، وأن يحتجزهم ، وأن يفرض الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم ... كما يخوِّل هذا القرار بقانون لرئيس الجمهورية الحق فى أن يأمر بتشكيل محاكم استثنائية من العنصر العسكرى الخالص لمحاكمة المواطنين عما هو منسوب إليهم من إجراءات ، وجاء فى مقدمة هذا القرار بقانون أنه صدر بموافقة مجلس الرياسة ، وقد قرر البغدادى وكمال الدين حسين بالمحكمة أن هذا القرار بقانون لم يعرض على مجلس الرياسة ، وأن هذا القول تزوير للواقع والتاريخ وقرر ذلك أيضاً نور الدين طراف .

وقد أصدر جمال عبد الناصر قراراً رقم ١ سنة ١٩٧٥ بتشكيل محكمة عسكرية خاصة برياسة الدجوى لمحاكمة الإخوان المسلمين ؛ وذكر فى قرار تشكيلها أنها شكلت بناء على القرار بقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ ، ولما كان هذا القرار بقانون غير سليم من الناحية الدستورية لأنه لم يصدر عن

مجلس الرياسة، فإن القرار بتشكيل محكمة عسكرية يصبح غير دستورى كذلك وبالتالى تصبح الأحكام الصادرة من هذه المحكمة غير دستورية، وليت شعرى ماذا يجدى هذا القول بعد أن حكمت هذه المحكمة بإعدام بعض الناس، ونُفِّذ الإعدام فيهم، وبعد أن سُجِن آخرون وضودرت أموالهم ؟

وهذه المعلومات التى أوردناها مستقاة من شهادة عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين ونور الدين طراف، وقد أدلى هؤلاء بشهاداتهم فى غرفة المشورة بمحكمة جنوب القاهرة يوم ١٩٧٥/٦/٢٦ وظهر ذلك بصحف القاهرة فى اليوم التالى، ولا بد أن نقتبس بعض العبارات مما دار حول هذا الموضوع لنرى كيف كان عبد الناصر يستهين بأرواح الناس وحقوقهم.

قالت صحيفة الجمهورية فى ١٩٧٥/٦/٣٠ :

إن القرار بقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ بشأن تدابير أمن الدولة الذى استند إليه جمال عبد الناصر فى تشكيل المحكمة العسكرية لم يسبق إصداره موافقةٌ عليه من مجلس الرياسة، عملا بما كان يوجبه الإعلان الدستورى فى ١٩٦٢/٩/٢٧، ومن ثم فهو قانون معدوم من الوجهة الدستورية؛ فضلا عن أنه مزوَّر، إذ أثبت عبد الناصر فى ديباجته أنه صدر بناء على موافقة مجلس الرياسة، خلافاً للحقيقة.

وقرر عبد اللطيف البغدادى النقاط التالية :

– إنه كان عضواً بهذا المجلس منذ إنشائه حتى ٢٦ مارس ١٩٦٢ وهذا القرار بقانون صدر يوم ٢٤ مارس ١٩٦٤ وهو لم يعرض على مجلس الرياسة خلال وجودى به.

– مجلس الرياسة باشر أعماله فى الشهور الثلاثة الأولى سنة ٦٢، ثم بدأ عبد الناصر يعمل على تجميد نشاط المجلس بعدم دعوته للانعقاد، أو أن تعرض

عليه مسائل فرعية بالتمرير ، ولم يتم تنفيذ تكوين الجهاز الفنى الخاص به ، وكان من أسباب ذلك أن اعتزلت الحياة السياسية ، وقد صدرت عدة قرارات ، وأعلنت فى الصحف دون عرضها على المجلس .

– عند ما كان المجلس يباشر اختصاصاته فى فترة الشهور الثلاثة الأول أحس جمال عبد الناصر بفقده لقوته ، فألغى انعقاد المجلس ، ووصل الوضع به إلى أكثر مما وصل إليه فرعون فى زمانه أو اللورد كرومر فى عصره .

وقال كمال الدين حسين ما يلى :

– خلال الوحدة مع سوريا وبعد انفصام الوحدة انتشرت القرارات الفردية التى سببت كثيراً من الكوارث ، فتم الاتفاق على تعيين مجلس رياسة ليكون وسيلة للقيادة الجماعية التى تحل محل القيادة الفردية ، ولم يعرض القرار رقم ١١٩ سنة ١٩٦٤ على مجلس الرياسة طيلة وجودى به وكانت تقطع يدى لو وقعت عليه ، لأنى أعلم الآثار التى تترتب على إطلاق السلطة لعبد الناصر .

– إن فرعون نفسه وفى عصره لم يكن يتمتع بمثل السلطة التى ذكرها هذا القانون .

– أرسلت خطاباً إلى عبد الناصر قلت له فيه « اتق الله » فكان جزائى أن اعتقلت مدة ثلاثة أشهر .

– فى الفترة الأولى عند ما كان مجلس الرياسة يباشر مسئولياته حدثت مشادات كثيرة بشأن الحريات والأوضاع الاقتصادية ، ولكن جمال عبدالناصر بصفته رئيس المجلس كان يفض الاجتماع ، وينصرف ، ولا يعبأ بشىء .

وعند ما سئل كمال الدين حسين باحتمال عرض هذا القرار بقانون على مجلس الرياسة بعد استقالته ، روى أنه كان حديثاً فى زيارة حسين الشافعى الذى ظل فى عمله بمجلس الرياسة حتى انتهت مدة هذا المجلس ، وسأله عن

عرض هذا القرار بقانون على مجلس الرياسة ، فقال حسين الشافعى إنه لم يعلم بالقرار ، ولم يسبق عرضه عليه ، كما أنه لم يوافق على إصداره .

أقوال نور الدين طراف بالمحكمة :

وسئل نور الدين طراف عما إذا كان هذا القرار بقانون قد عرض على المجلس فأجاب بأنه "يرجح أنه لم يعرض، لأن مثل هذا القانون كان سيثير نقاشاً لخطورة ما يتضمنه من قواعد كانت ستعلق قطعاً بذاكرتى ، وكونى لا أذكر شيئاً من هذا القانون يجعلنى أرجح أنه لم يعرض .

وسئل نور الدين طراف : ألم يصدر تفويض لجمال عبد الناصر ببعض اختصاصات المجلس ، فأجاب بالنفى .

وسئل عما إذا كان جمال عبد الناصر عرض على المجلس استقالتى كمال الدين حسين والبغدادى ، فأجاب بالنفى كذلك ، وذكر أن المجلس هو صاحب الاختصاص فى قبول الاستقالات أو عدم قبولها .

وبعد، لقد اتضح أن هذا القانون الذى أصدره عبدالناصر غير دستورى وأنه تزوير ، وقد ترتب عليه إزهاق الأرواح وتشريد المواطنين ، ومصادرة الأموال ، ومن حق كل مظلوم أن يطالب بالتعويض اللازم ولكن يتحتم أن تؤخذ التعويضات من مال المسئول عن هذا التزوير وذلك الحيف ، حتى ينضب ذلك المال[1] ...

إن السكوت عن فرعون قد يبعث فراعين آخرين ، فيجب أن يحس كل واحد أنه مسئول إن لم يكن اليوم فغـداً ، وبذلك فقط نحمى حاضرنا ومستقبلنا ...

---

(١) كان من توافق الخواطر أن اتجه المظلومون هذا الاتجاه فقد نشرت أخبار اليوم فى ٥/٧/١٩٧٥ الخبر التالى :

رفع محمد شمس الدين الشناوى ، المحامى ، دعوى تعويض ضد ورثة المسئولين السابقين عن حكم مصر ، طلب تعويضا قدره مليون جنيه مقابل الأضرار المادية والأدبية التى أصابته هو وأسرته نتيجة لاعتقاله وتعذيبه مدة ٦ سنوات بدون سبب قانونى .

إنشاء التنظيم الطليعى

التنظيم الطليعى واحد من المنشآت الخطيرة التى كوّنها جناح من مراكز القوى لمواجهة جناح آخر منها ، وقد كُوِّن هذا التنظيم سراً سنة ١٩٦٤ وله أمانة عامة أعضاؤها هم : شعراوى جمعة ، وسعد زايد ، وحلمى السعيد ، ومحمد فايق ، وسامى شرف ، وأحمد كامل ، ويوسف غزولى ، ومحمود عروق ، ومحمود أمين العالم ، وعُيِّن أسعد خليل سكرتير للتنظيم(١) .

وارتبط التنظيم الطليعى الذى يمثل حكومة عبد الناصر بالهيئات اليسارية ، وقام تحالف بين الجماعتين أعقبه إعلان الهيئات اليسارية حل منظماتها والاندماج فى التنظيم الجديد والعمل من خلاله — وقد أشرنا لذلك من قبل — وارتبط هذا التنظيم بجماعات الشباب ، ودرِّب هؤلاء تدريباً دقيقاً ليكونوا مع التنظيم أداة للسيطرة على مراكز الإنتاج ، ومراكز الإعلام ، ثم الانتقال إلى مرحلة أخرى هى حكم الفرد والحزب الواحد والطبقة الواحدة ، وهى كلها اتجاهات يسارية كما هو واضح ، ثم محاربة الشرفاء تحت ستار « محاربة الثورة المضادة » .

ويقول أنور السادات(٢) فى ذلك : وكالعادة كان عبد الناصر يعتبر أى احتجاج أو اعتراض أو نقد أو حتى محاولة تقصِّى الحقائق ومناقشتها أو مجرد التنفيس عما بالصدور ، ثورة مضادة ، ولا بد من إجراءات لمواجهتها .

وعنى التنظيم الطليعى بوسائل الإعلام ، فأشرف كثير من أعضائه على

---

(١) موسى صبرى وثائق ١٥ مايو ص ٢٠٩

(٢) البحث عن الذات ص ٢١٥

الصحافة والإذاعة ، وصدرت له مجلات خاصة أهمها مجلة الطليعة ، وقد جاء في باكورة أعدادها ما يلي :

« حجر الزاوية في نجاح هذه المرحلة ، هو جهاز سياسي قائد وواع بقوانين الاشتراكية العلمية ، وبوحدته الفكرية ، وصلابته التنظيمية ، ثم تنظيم من كادر ثوري قيادي ، منبثٌ في كل مجالات النشاط السياسي والاجتماعي والثقافي ، ونوايات صلبة منتشرة في كافة مجالات الإنتاج(١) ».

ثم صدرت نشرة « الاشتراكي » ، وظهر المعهد العالي للدراسات الاشتراكية الذي جُنِّد فيه مجموعة من الأساتذة اليساريين أو الطامعين .

واتجه التنظيم الطليعي إلى أن يعمل بالتجسس ليصبح مصدراً للمعلومات ومنفذاً للتوجيهات(٢) . والعجيب أن هيئة من أعظم الهيئات وجد منها من يقع في الشرك فيعمل جاسوساً على زملائه بل جاسوساً عاماً ، تلك الهيئة هي للأسف هيئة القضاء ، فإنها مع ترفعها عن الدنايا ، زل بعض أعضائها فعملوا في خدمة هذا التنظيم ، ويقول المستشار مختار نصار :

« بعض أفراد التنظيم السري من القضاة لم يكتف بمراقبة القضاة من زملائهم وإعداد التقارير عنهم ، بل راحوا يتلمسون الحصول على تقارير عن المواطنين من أفراد الشعب ، فقد حدث أن ارتدى أحد أفراد التنظيم السري في القضاء جلباباً وتعقب مواطنين أبرياء كانوا يتحدثون في شئون عامة لا علاقة لها بالقضاء ، وسجل أحاديثهم ورفعها إلى ذوي الشأن(٣) .

ويذكر الأستاذ موسى صبري أن على صبري أراد أن يثبت ولاءه

---

(١) مجلة الطليعة عدد فبراير ١٩٦٥

(٢) موسى صبري : وثائق ١٥ مايو ص ٢٠٧

(٣) المستشار مختار : نصار معركة العدالة في مصر ص٩٠ . ٩١ وانظر مقالا للاستاذ لمعي المطيعي في صحيفة الأخبار (١٩٧٨/٧/٢٧) .

لجمال عبد الناصر ، فعمل على أن يكون مركز قوة مضاداً لعبد الحكيم عامر ، وابتكر فى هذا أسلوباً خطيراً هو إنشاء منظمات الشباب وربطها بالتنظيم الطليعى ، وفى وقت ما أصدر تعليمات إلى هذه المنظمات بأن تكون جاهزة ، وأن تعد نفسها لمواجهة القوات المسلحة إذا ما قامت هذه القوات مؤيدة عامر ضد عبد الناصر(١) .

وهكذا كان مظهر الحكام ، كلٌ يحاول تدمير الآخر وإن تظاهروا بالوفاق والوئام .

وفى الجزء العاشر من هذه الموسوعة سنرى — إن شاء الله — محاولة هذا التنظيم الوقوف ضد الرئيس محمد أنور السادات والقيام ببعض المظاهرات ، ولكن الرئيس قضى على هذه العصابة بمهارة فى حركة ١٥ مايو سنة ١٩٧١ .

---

(١) موسى صبرى : وثائق ١٥ مايو ص ١٨

الحـــراسة

لعبت الحراسة دوراً مهماً فى تمزيق الوطن المصرى وتهديده ، وإضعاف الجبهة الداخلية ، وزوال الثقة بين الحاكم والمحكوم .

والحراسة كلمة أبرزها قاموس السياسة المصرية فى الستينات ، ومدلولها الواقعى يختلف تماماً عن مدلولها اللغوى ، فإذا كانت فى اللغة تفيد أن تحرس شيئاً وترعاه ، فإن مدلولها الواقعى كان مختلفاً ، فقد كانت تقريباً تفيد المصادرة ، وحرمان الملاك من أملاكهم بدون أسباب عادلة ، وكانت تفرض بقرارات من رئيس الجمهورية .

وقد وافق مجلس الشعب فى أوائل يوليو سنة ١٩٧٤ على قانون بتصفية الحراسات وإعادة الأموال إلى أصحابها ، وحدد تعويضات عادلة للذين بيعت ممتلكاتهم ، وأتاح الفرصة لمن كانوا تحت الحراسة ولم يقنعوا بالتعويضات أن يتظلموا أمام المحاكم .

وبهذه المناسبة نشرت « أخبار اليوم » الصادرة فى ١٩٧٤/٧/٦ تحقيقاً تحدّث فيه بعض المسئولين عن صور من المآسى والعنت التى كانت طابع ذلك النظام الجائر ، ونحن نقتبس بتصرف من هذا التحقيق بعض الفقرات :

أنواع الحراسة :

الحراسة التى فرضت على بعض المواطنين المصريين والتى كان موضوعها مثار مناقشات طويلة ، وصدرت بشأنها قوانين فى المدة الأخيرة كانت ثلاثة أنواع :

١ — الحراسة التى فرضت فى أعقاب القوانين الاشتراكية فى أكتوبر سنة ١٩٦١ وانتهت بعد دستور مارس ١٩٦٤ وصدور القانون ١٥٠ الذى

قرر أيلولة الأموال التى خضعت للحراسة إلى الدولة وتعويض أصحابها بما لا يجاوز ٣٠ ألف جنيه من قيمة المال ، وأن يكون التعويض على شكل سندات ومن الواضح أن ذلك قمة الظلم .

٢ ـ هناك الحراسات التى وقعت طبقاً لقانون أمن الدولة وهو القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ ، وكان يجيز فرض الحراسة فى حالة وجود دلائل على قيام الشخص بأى نشاط ضار ، وكانت بذلك أشبه بالعقوبة . وللولى الأمر وحده أن يصف أى إنسان بأن نشاطه ضار بدون أى مقياس آخر ، ويصادر أملاكه بناء على ذلك .

والقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ هو القانون المزور الذى أشرنا إليه منذ قليل .

٣ ـ الحراسة التى عرفت بحراسة تصفية الإقطاع بعد حوادث كمشيش فى مايو ١٩٦٦ . وصدرت على بعض الأشخاص باعتبارهم من أصحاب النفوذ والسيطرة .

لا ضابط للحراسة :

ويعلق الدكتور جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب ورئيس اللجنة التشريعية على قانون الحراسات بقوله :

نلاحظ أنه بمراجعة حالات الحراسة التى فرضها النظام الماضى لا نجد ضابطاً أو معياراً لفرضها أو رفعها أو الاستثناء منها ؛ فالحراسات التى فرضت عام ١٩٦١ بحجة أنها وسيلة للحد من الثروات الكبيرة لم تشمل أفراداً كثيرين كانوا يمتلكون ثروات طائلة ، كما أنها لم تشمل الثروات الجديدة الهائلة التى نشأت ما دام أصحابها ممن يتمتعون بالرضا ، ولم تمتد لهذه الثروات الرقابة أو المحاسبة ، وشملت أناساً لا يملك الواحد منهم سوى بضع مئات من الجنيهات وأحياناً لا يملك شيئاً على الإطلاق .

وفى بعض الحالات كان يُستثنى شخص وتُرَدُّ إليه أمواله بالكامل وأحيانا تفسخ عقود البيع التى عقدتها الدولة مع المشترين . . وفى أحوال أخرى ترفع الحراسة دون رد الأملاك . وقد استسهلت السلطة فى الماضى إجراء الحراسة ، فكانت تفرضها فى حالات اعتقالات أحد المواطنين حتى أنها فرضت الحراسة مرة على خفير إحدى الشركات لاتهامه فى إحدى القضايا الجنائية . وكل هذا فتح الباب للتحكم والانحراف .

ويضيف الدكتور العطيفى : لذلك تمَّ وضع قانون لتصفية الحراسات باعتبارها إجراء انحرف عن الطريق السليم .

وبعد الآن لن تفرض حراسات إلا عن طريق المدعى العام الاشتراكى ، ومحكمة الحراسات وبضمانات حددها القانون كما ورد فى دستور ١٩٧١ — وأهمها أن يواجَه الخاضع للحراسة بما هو منسوب إليه ويُسْمَع دفاعه ، ثم يحقق فيه ، وهذه الضمانات الأساسية لم تكن موجودة من قبل ، وعلى هذا فإن رئيس الجمهورية ليس له الحق بعد الآن فى فرض الحراسة ، وإنما يفرضها المدعى العام الاشتراكى عند الضرورة . . والمدعى العام يمكن مساءلته أمام مجلس الشعب وأمام الرأى العام . . أما رئيس الجمهورية فإنه بحكم الدستور لايسأل سياسياً أمام مجلس الشعب ، وقد احتمت مراكز القوى السابقة خلف هذا الوضع الدستورى . كما أن الحراسة لايفرضها قرار المدعى العام الاشتراكى بل يقتصر قراره على التحفظ على الأموال تحفظاً مؤقتاً ويحيل الموضوع إلى محكمة الحراسة وهى التى تفرض الحراسة أو لاتفرضها.

ومن هنا فإن الحراسة أصبحت تُفرض بحكم قضائى بعد ضمانات أكيدة فى حالات محددة .

من فضائح الحراسة :

وقد حدثت فضائح ومهازل فى أعقاب فرض الحراسة بأنواعها فى عهد

عبد الناصر ويعلق على هذا الدكتور يوسف أمين والى المستشار السابق للإصلاح الزراعى ورئيس قسم البساتين بزراعة عين شمس حالياً فيقول : إن فرض الحراسة كان إجراء قصدت به السلطة أحياناً التنكيل ببعض العناصر التى افتُرِض فيها عدم الولاء للسلطة ، وكانت الحراسة خسارة على الدولة أكثر منها مكسباً . . فقد أدت إلى ضعف الإنتاج بصورة مخجلة فى أثناء إدارة الحراسة مقارَناً بالإنتاج قبلها ، كما شَابَ تصرفاتِ الحراسة عيوبٌ من حيث الإدارة ، ومن حيث الاستغلال . وفيما يلى مثال لذلك :

عائلة فرضت عليها الحراسة فى الفترة من سبتمبر ١٩٦٦ إلى يوليو ١٩٦٧ على مائة فدان كانت تعطى إيراداً سنوياً قدره ١٥ ألف جنيه بالإضافة إلى أربع ماكينات للطحن تعطى إيراداً قدره ثلاثة آلاف جنيه سنوياً وماشية تقدر قيمتها بحوالى خمسة آلاف جنيه . . وبعد رفع الحراسة قدَّمت الحراسة لأصحاب الأرض كشوفاً بديون ومصروفات على الأرض قدرها ١٥ ألف جنيه . . أما الماشية فقد باعوها . . وأصبح على أصحاب الأرض أن يدفعوا ديوناً بدلاً من أن يحصلوا على إيراد . .

وبعد ، هذه لمحة عن الحراسة التى عانى الجوعَ بسببها كثيرٌ من الأسر بدون ذنب ارتكبته هذه الأسر وكان الدافع الوحيد لفرض الحراسة هو التشفى ، وبسبب هذا التشفى جاع أطفال ونساء أبرياء ، ومسهم الضر ، وقد نشرت أخبار اليوم صورة زنكوغرافية لشيك بمبلغ ١٩٠ قرشاً ، كان المرتب الشهرى لسيدة من سيدات هذه الأسر هى سعدية مصطفى الشلقانى ، وكانت الحراسة تدفع هذا الشيك لسيدة مصرية فى نفس الوقت الذى تقدَّر لنفقات حمار — تمتلكه هذه الأسرة — مبلغاً يزيد عن عشرين جنيهاً شهرياً

وكان المبلغ الذى يصرف إلى أحمد عبد الغفار (باشا) وزير الزراعة سابقاً هو ١٤٥ قرشاً شهرياً .

إنها الحق فترة مريرة بالنسبة لبلادنا ، فترة الستينات نذكرها لاجئين إلى الله أن ينتقم ممن أنزلوا بأهلينا الضر ، وممن كانوا حرباً شرسة على المواطنين ، وقُـوّى تجيد التخطيط للنيل منهم ، وفى نفس الوقت كانوا ينهارون أما خطط أعداء الله اليهود .

التلاعب بالناس وإجاعتهم :

كانت الحراسة وسيلة جديدة لجأ لها هؤلاء الزبانية لإجاعة الناس وتعذيبهم ، وقد سبقتها فى هذا المجال « محكمة الثورة » التى حكمت بمصادرة أموال كثيرين ممن مثلوا أمامها ، ومن هؤلاء الدكتور أحمد النقيب وأولاده ثم صدر قرار جمهورى فى عام ١٩٦٠ بإلغاء هذه الأحكام بالنسبة لبعض الذين حكم عليهم ، ورد الأموال لأصحابها ، ولـكن من عجب أن هذا القرار اختفى ، فالزبانية كانوا ينفذون قرارات زعيمهم إذا كانت تُـنْـزل الضرر بالناس ، ويخفُـونها إذا كان فيها بعض الإنصاف .

وقد نشرت أخبار اليوم نص هذا القرار الذى اختفى ورفع المحكوم عليهم قضايا يطلبون تنفيذ هذا القرار فقضى لهم مجلس الدولة بذلك .

كم من المـآسى حدثت للعائلات المصرية نتيجة قانون الحراسة الذى كان بعيداً كل البعد عن كل القيم والأديان ، وسيجئ مزيد من الحديث عن الحراسة عند الـكلام عن « تصفية الإقطاع » ضمن حوادث سنة ١٩٦٥ .

حوادث سنة ١٩٦٥

إطلاق يد الشيوعيين فى البلاد

قلنا فيما سبق إن وفاقاً تم بين الأحزاب الشيوعية وبين نظام الحكم الذى كان قائماً فى مصر ، وقد شهد عام ١٩٦٥ نتائج هذا الوفاق ، ففى أبريل سنة ١٩٦٥ صـدر القرار الجمهورى بالعفو الشامل عن جميع العقوبات الأصلية والتبعية ضد الشيوعيين ، وعقب ذلك فرضت القيادة السياسية جماعات الماركسيين على المجتمع فى جميع المجالات ؛ فى أمانة الاتحاد الاشتراكى وبخاصة (أمانة الدعوة والفكر) ومعهد الدراسات الاشتراكية ، ورئاسة مجالس إدارات مؤسسات الكتاب ، والمسرح ، والسينما ، والمؤسسات الصحفية ، ونقابات الصحفيين ، والمحامين ، والنقابات العمالية ، واللجنة المركزية ، والبرامج الإذاعية ، وبخاصة صوت العرب ، والتليفزيون ، وجعلت لهم السيطرة تحريرياً وإدارياً على أخبار اليوم ، ودار الهلال ، وروز اليوسف ، وصحفات الرأى والفكر فى الجمهورية والمساء والأهرام ، هذا بالإضافة إلى ثلاث دور للنشر منحت للماركسيين واستغل الماركسيون هذه الفرص أسوأ استغلال ضد الأديان ، وضد الحريات ، وضد القيم .

لجنة تصفية الإقطاع

عجيب أن تظهر هذه التسمية سنة ١٩٦٥ فإن ما يسمى الإصلاح الزراعى قد قضى على الإقطاع قبل ذلك بثلاث عشرة سنة ، ولـكن يبدو أن الأسماء التى استعملت للعسف كانت قد استُنفِدت كلها ، فلم يجد الطغاة إلا اسما كان قد اختفى تماماً ليصبح أداة للتنكيل بالشرفاء ، وبالذين لا يسيرون فى الركاب ، وهذا المعنى يقرره أنور السادات حين يقول : وقد صفينا الإقطاع ، ووزعت الأرض على الفلاحين قبل هذا التاريخ بسنوات طويلة[1] .

ونستمر مع أنور السادات فنذكر أنه وصف هذه اللجنة أدق وصف وأحكمه حين قال : إنها أقسى وأعنف ما شهدته مصر فى تاريخها ، وإنها كانت تمثل قمة الإرهاب والـكبت والإذلال ، وامتهان الـكرامة[2] وإنها اتجهت بشراسة ضد السياسيين القدامى باعتبارهم يقومون بثورة مضادة[3] .

ووصفها موسى صبرى بقوله : كانت أعمال هذه اللجنة قمة السيطرة بلا حدود ، وبلا قانون وبالتحدى الكامل المستهتر لكل القيم والتقاليد ، ولم يجر عملها على أية أسس ديمقراطية ، ومع هذا فقد كانت قراراتها لها قوة القانون ، وقد استباحت أبشع الآثام ، كطرد السيدات من بيوت الأسر ليلاً وبملابس النوم ، فأصبحت بذلك جرحاً دامياً لأبسط التقاليد[4].

وكانت هذه اللجنة برئاسة عبد الحـكيم عامر ، وكان له الحـكم المطلق فيها دون بحث عن أسباب الحكم ، فهو بخياله المريض ، و بأعوان السوء

---

(١) البحث عن الذات ص ٢٢٢
(٢) البحث عن الذات ص ٢١٦
(٣) المرجع السابق ص ٢١٠
(٤) وثائق مايو ص ٧٩ ، ٨١

ينكل بالناس ، ويحقق فيهم مدلول الكلمات التي اقتبسناها آنفاً من أنور السادات وهي القسوة ، والعنف ، والإرهاب ، والإذلال ، بدون رادع من خلق أو دين ، وبدون إحساس بأية مسئولية عما يرتكب من آثام .

ولنقتبس الآن صوراً من الهوى الذى كان يحكّم فى الناس ، وأول من نقتبس منه أنور السادات الذى يورد نماذج محددّة من أعمال هذه اللجنة الدنيئة ، يقول سيادته :

فى يوم وأنا فى زيارة لقريتى « ميت أبو الكوم » التقيت بأحد أبناء القرية ، وهو مهندس زراعى فسألنى عما إذا كنت قد اطلعت على قرار لجنة الإقطاع لمركز تلا ، فقلت : لا لم أقرأ ، فأطلعنى على إحدى الصحف اليومية فرأيت عدداً من العمد ومن أهالى المنطقة وُضِعوا تحتَ الحراسة وعُزِلوا من مراكزهم ، وكنت أعرفهم واحداً واحداً ، وكنت أعلم علم اليقين أنهم من خيرة الناس ، وأنهم جميعاً يؤيدون الثورة ما فى ذلك شك ، فعدت بسيارتى للقاهرة ، وأنا غاضب وبحثت عن عبد الحكيم عامر حتى عرفت مكان وجوده ، فاتصلت به تليفونياً ، وسألته وأنا غاضب : كيف يحدث هذا ؟ إنه عبث بمقادير الناس ... فردّ فى هدوء قائلا : وفيم الغضب ؟ نلغى القرار . وألغى القرار فعلا ؛ وكان هذا هو القرار الوحيد الذى ألغى فى نفس اليوم ، وبقى سواه من القرارات نافذة المفعول ، وهذه هى تجربتى الوحيدة مع لجنة تصفية الإقطاع ولكننى سمعت بعد ذلك قصصاً رهيبة تدل على مدى امتهان السلطة للإنسان المصرى ، والقيم التى نشأ عليها ، فقد كانوا يقتحمون البيوت بالليل ، ويطردون النساء فيخرجن مع أطفالهن فى الطرقات والأزقة يبحثن عن مأوى يسترهن(١) .

ويستمر أنور السادات فيقول :

تطورت الأمور فى لجنة الإقطاع فبلغت أقصى الضراوة فى مارس وإبريل

---

(١) البحث عن الذات ص ٢١٦

ومايو سنة ١٩٦٧ ، وكانت اللجنة متجهة فى تلك الفترة بالذات إلى تصفية العائلات ، وفى تقديرى كان مستشارو جمال عبد الناصر يغذون فى نفسه هذا الاتجاه ، وبخاصة مستشاره الصحفى الذى كان يمقت العائلات ويتحين الفرصة للشماتة فيها ، ولذلك كان يطيب له ضرب العائلات وإذلال وامتهان كرامة الإنسان ، وقد استمر الحال على ذلك النمط إلى منتصف مايو حيث كان من المقرر أن يتم القضاء على العائلات جميعاً ، ولكن دخلت علينا السحابة الرهيبة القاتمة فى أواخر مايو ، وأوائل يونيو فأوقفت تلك الإجراءات ، فكل كارثة لها جانب آخر ، ويقول المثل الإنجليزى : « كل سحابة داكنة لها شريط فضى يبرق وسط العتمة » ولم تنعقد لجنة الإقطاع بعد ١٥ مايو إذ ابتداء من ٢٠ و ٢١ و٢٢ مايو دخلنا معركة التمهيد لكارثة ٥ يونيو(١) .

ومثال آخر نأخذه من رجل قريب الصلة بالأحداث هو الأستاذ حسين الريحانى المحافظ السابق ، ولنستمع إلى كلامه(٢) :

« كان من حظى وقد خدمت سنوات طويلة بجهاز الأمن فى وزارة الداخلية أن أرى وأرقب بعض المشاهد المثيرة لمراكز القوى السابقة فى المجموعتين : مجموعة عبد الحكيم عامر التى نشأت فى عام ١٩٦٢ وسقطت بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، ومجموعة على صبرى التى قامت بعدها مباشرة وأسقطها الرئيس أنور السادات فى ١٥ مايو ١٩٧١ م

« فى عام ١٩٦٦ كنت حكمداراً لبوليس بور سعيد ، وحضرت نيابة عن المحافظ جلسة للجنة تصفية الإقطاع التى يرأسها المشير عبد الحكيم عامر لأعرض على اللجنة المعلومات عن الثروات التى جمعها أصحاب مكاتب وبنوك تغيير العملات الأجنبية ، فقد اعتبرت اللجنة هؤلاء الأشخاص من عتاة المجرمين وأعداء الثورة لأنهم كونوا ثروات كبيرة عن طريق تغيير العملات للسياح وقباطنة السفن وبحارتها والمسافرين فى البحر .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٢ - ٢٢٣ (٢) الأخبار فى ١٩٧٧/٥/٢٠ م .

«كان تاريخ انعقاد اللجنة فى اليوم التالى لإجازة عيد الفطر، وحضرها مندوبون عن المخابرات، والمباحث العامة، والرقابة الإدارية، والمباحث الجنائية العسكرية، والاتحاد الاشتراكى.. وهى الأجهزة المركزية التى تبدى رأيها ومعلوماتها أيضاً فى نفس الموضوعات المعروضة على اللجنة التى يقدمها مندوبو المحافظات، وبدأت الجلسة بالاستماع إلى معلومات مندوب محافظة الدقهلية عن أحد الأثرياء من أبناء محافظته، وقال المندوب عن هذا الرجل: إنه حسن السمعة، وتقى، وصالح؛ ومحبوب من الأهالى، لأنه محسن وكريم، ويعاون الفقراء والمحتاجين، وأقام ببلده مسجداً كبيراً، وأنه لم يعارض الثورة بل تعاون معها تعاوناً وثيقاً، وقدم تبرعات سخية فى عدة مناسبات عند ما طُلب إليه ذلك.

«ولما انتهى من كلامه زمَّ عبد الحكيم عامر شفتيه فى استياء وأشار برأسه إلى مندوب المخابرات دون أن يتكلم فأيد المندوبُ هذه المعلومات، وبعد ذلك أدار رأسه وأشار بها إلى مندوب المباحث العامة ثم الرقابة الإدارية، والشرطة العسكرية، والاتحاد الاشتراكى، واحداً بعد الآخر فأكد كل منهم صحتها، وأنها تتطابق تماماً مع معلوماتهم».

وهنا كان صبر المشير قد نفد وبدأ يتكلم بسخرية وغضب بلكنته المعروفة، فقد خيل إلىَّ أنه «يعضُّ» الكلمات أثناء حديثه عضاً، ويمضغها قبل أن يلفظ بها. قال:

«الظاهر أنكم كلكم مغفلين والرجل ده ضحك عليكم، ولازم شهر رمضان أثَّر فيكم.. صمتم وصليتم، والرحمة والتساهل تغلبوا عليكم فقفلد تفكيركم وتلف رأيكم!!»

ثم رفع صوته عالياً وهو يدور ببصره فى وجوه جميع المندوبين، وأكمل حديثه وهو يقول: هذا الرجل ثرى جداً كما تقولون فهل من المعقول أن يتصور أحدكم أنه مؤمن بالاشتراكية والعدالة الاجتماعية وتحديد الملكية وتذويب الفوارق بين الطبقات؟؟ الراجل ده منافق كبير وضحك عليكم كلكم.

ثم ارتفع صوته أكثر وأكثر وهو يسأل الجميع : معقول الراجل ده يبقى اشتراكى ، ويمشى معنا بإخلاص فى خطتنا الاشتراكى ؟ ؟

فأجاب الجميع وكأنهم ثابوا إلى رشدهم ، وندموا على هذا الخطأ الجسيم الذى وقعوا فيه : مش معقول ! إنه منافق كبير ! !

وأسرع المشير بإصدار حكم اللجنة دون أن يسأل أحداً من أعضائها الجالسين حوله ، وكأنهم أصنام لا رأى لهم ولا مشاركة ، وقال : توضع أموال وممتلكات هذا الثرى وجميع أفراد عائلته تحت الحراسة ، ويبعدون عن الريف ، ويصرح لهم معاش قدره خمسون جنيهاً فى الشهر .

وهكذا تعلمت فى الجلسة الوحيدة التى حضرتها مع المشير مدلول العبادة عنده ، ولم تمض سوى أشهر معدودات حتى وقعت الهزيمة المروِّعة ، وكان ماكان ، وأُبعد المشير عن كل مناصبه ، ثم مالبث أن أبعد عن الدنيا كلها (اهـ) .

والعجيب أن هذه الحراسة القاسية التى تحكم على الناس بالجوع ، وبالطرد من المنزل ، وبالحرمان من الأمتعة والملابس . . . . كانت تفرض أحياناً بالكتابة على ظهر علبة سجائر كما حدث بالنسبة للأستاذ محمد شوكت التونى ولأسرته وأشقائه شىء ، ويقول الأستاذ محمد شوكت التونى : إن الحراسة بعد أن فُرضت على هذا النحو استكتبنى أتباع المشير إيصالا يقرر أن المفارش والشوك والملاعق الموجودة فى البيت هى وللاستعمال الداخلى بحيث لو فقد شىء منها أقدَّم إلى محكمة الجنايات بتهمة التبديد(١) .

وفى الوقت الذى كان المشير يصفى الإقطاع ، ويفرض الحراسات على هذا النحو كان أفراد من عائلته يستغلون مركزه ومنهم من استولى على ثروة بأكملها لأجنبى اسمه « براملى »(٢) .

---

(١) قصة التعذيب الكبرى ص ٣٤

(٢) شوكت التونى : محاكمات الدجوى ص ٢٤٦

وهكذا كانت تصفية الإقطاع جرحاً دامياً لا يعرف العدالة ولكنه يجيد التنكيل بالناس والإيقاع بهم .

سباق ومنافسة :

شهد عام ١٩٦٥ والعام الذى يليه قوى ثلاثاً كانت تتسابق وتتنافس فى الإيقاع بالشعب المصرى ، والنيل منه ، وإذلاله ؛ كان على صبرى وجماعته يمثلون القوة الأولى ، وقد تكفلت هذه القوة بالقيم والمبادىء إذ كان « التنظيم الطليعى » مصدر إضرار بالكثيرين من الأبرياء .

أما القوة الثانية فكان يتزعمها عبد الحكيم عامر الذى لقب بالمشير وعن طريق « لجنة تصفية الإقطاع » كم أجاع وشوّه وسجن وعسف ، وقد تكلمنا عن هذين القوتين من قبل .

أما القوة الثالثة فكانت قوة عبد الناصر وقد اتجه هذا بكل القسوة والعنف ضد الإخوان المسلمين ، اعتقلهم جميعاً وعذبهم جميعا ، وبأمره هُتكت أعراض النساء ، وديست كرامة الرجال . كما سنرى بعد قليل .

ويبدو أن التنكيل بالناس كان هواية هؤلاء الثلاثة ، فاقتسموا المجتمع المصرى لتحقيق هواياتهم ، وترك كُلٌ منهم الآخرين لممارسة هذا الباطل نظير أن يسكتوا عنه وهو أيضاً يمارس باطله .

ولم يُنْقَذ الشعب المصرى من هذه العصابة إلا بالهزيمة الساحقة التى نزلت بالبلاد سنة ١٩٦٧ ، وقد ضحى الشعب المصرى بالدم والجهد فى حرب ١٩٦٧ ولكن الذين بقوا على قيد الحياة بعدها عاشوا إلى حد كبير بمأمن من عصابات السوء .

مزيد من القطيعة بيننا وبين الغرب

شهد عام ١٩٦٥ اكتمال القطيعة بيننا وبين الدول الغربية ، والمتتبع لتاريخ العلاقات بين مصر وبين الغرب يرى أن عدوان ١٩٥٦ خلق بطبيعة الحال حدة عنيفة فى العلاقات بين مصر وبين إنجلترا وفرنسا ، ومع أن العلاقات ساءت مع المعتدين فقد ساءت كذلك مع أمريكا وهى الدولة التى انتصر رئيسها إيزنهاور لمصر وأمر المعتدين بالجلاء العاجل ، ولكن عبد الناصر راح يشيد بالإنذار الروسى وينسب إلى السوفيت كل شيء ، ويهمل الإشارة إلى موقف أيزنهاور رغم مافى ذلك من مجافاة للحقيقة(١) .

والعجيب أن عبد الناصر كان يعرف الحق ويقول الباطل ، وقد أعلن هو نفسه فى ٢٢ مارس ١٩٥٩ فى خطاب له من دمشق أن السوفييت لم يتدخلوا فى معركة ١٩٥٦ وأن إنذارهم جاء بعد أن اتضح أن القتال توقف بعد تدخل الأمريكان(٢) .

وهكذا دخل الروس أيضاً فى نطاق الدول التى هاجمها عبد الناصر ، وعندما وصل الجيش المصرى إلى جنوب الجزيرة العربية باليمن وقَرُبَ من منابع البترول بدأت قوى عالميه ضخمة تعمل بهدف تحويل التفاعلات الاجتماعية العربية إلى حرب أهلية عربية ، وقام الأمريكان والفرنسيون والألمان والإنجليز بدفع مبالغ كبيرة لمحاربة الجيش المصرى(٣) .

وفى سنة ١٩٦٥ قطع جونسون رئيس الولايات المتحدة المعونة عن مصر ، فوضعنا فى موقف حرج ، إذ كشف بهذا خططنا فقد كنا معتمدين على أمريكا فى القمح الذى نستورده منها بالجنيه المصرى فنوفر

---

(١) أنور السادات البحث عن الذات ١٩٢

(٢) مذكرات البغدادى ج ٢ ص ٩٩

(٣) هيكل : بصراحة عن عبد الناصر ص ١٧٣

حوالى ٨٠ مليون جنيه إسترليني نستفيد بها فى مشاريعنا (١) .

ودخلت سنة ١٩٦٦ وقد أصبحنا فى حالة مواجهة كاملة مع أمريكا ، وكان عبد الناصر عنيفا فى خصوماته فاندفع فى هذه الخصومة إلى نقطة اللاعودة ، وقال قولته الشهيرة : فلتشرب أمريكا من البحر الأبيض وإذا كان هذا لايكفيها فهناك البحر الأحمر (٢) .

وقطعنا علاقاتنا مع ألمانيا الغربية فتوقفت مصانع عديدة ببلادنا ، فكان موظفوها يذهبون فى أول الشهر ليتسلموا مرتباتهم ثم يعودون للضياع والفراغ باقى أيام الشهر .

ويذكر الأستاذ صالح جودت رئيس تحرير مجلة المصور أنه حدث فى إحدى الحفلات الديبلوماسية فى الخارج أن التفت أحد الديبلوماسيين الأجانب إلى السفير المصرى وقال له : لم تبق إلا دولة واحدة لكم معها علاقات طيبة بعد أن توقفت علاقاتكم مع سائر الدول، فمتى ستصفعونها كما صفعتم الآخرين ؟ (٣) .

وفى الخطاب الذى ألقاه عبد الناصر فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٦٧ يقول عبد الناصر : « اللى يضغط علينا ضغط اقتصادى ما ندفعش له الديون اللى علينا ونخليه يجرى ورانا ، وعملنا كده وسيبناهم ولم نسأل عنهم » (٤) وتلك هى قمـة الجهل والخيانة التى لا تليق بأى مسئول .

أما عن علاقاتنا بالعرب والمسلمين فقد كانت أشد سوءا — كما سنرى فيما بعد — والمهم أننا أصبحنا وحدنا فى عصر يُعَدّ التجمع فيه أساس النصر ، وأصبح عدم دفع الديون مفخرة نباهى بها دون وعى بما يتبع ذلك من نتائج .

---

(١) أنور السادات : البحث عن الذات ص ٢١٣

(٢) المرجع السابق ص ٢١٧

(٣) مجلة المصور فى ١٩٧٤/٨/٣ م

(٤) نشرة الوثائق العدد الثانى من السنة الخامسة (يناير - يونيو سنة ١٩٦٧ م

قصة مصطفى أمين

يستحق الأستاذ مصطفى أمين أن نخصه بكلمة بمناسبة اعتقاله سنة ١٩٦٥ ثم الحكم بإدانته . . . . ومصطفى أمين جدير بهذه الكلمة فهو الصحفى الذى كان يحظى بالمقام الأول لدى عبد الناصر ، وكان وثيق الصلة به ، وهو الذى أخذ بصحفه جانب عبد الناصر فى كل المشكلات التى خاضها ضد الأحزاب والانتخابات والحياة الدستورية ، وهو الذى أبرز مكانة عبدالناصر قمةً بين الثوار ، كما سنرى بعد قليل .

ومصطفى أمين مع أخيه على أمين مدرسة صحفية عالية المستوى ، جاءت بنمط جديد فى التحرير الصحفى والإخراج الصحفى ، وله موضوعاته المختارة وأسلوبه المنساب ، وكان الأستاذ على أمين ينشر «فكرة» كل صباح واستمر فى نشرها وهو فى المنفى فى الصحف التى عمل بها فى الخارج ، فلما توفى أخذ مصطفى مسئولية كتابة « فكرة » بالإضافة إلى أعماله ، وربما أشفقت شخصيا عليه آنذاك ، ولكنه سرعان ما شملت مواهبه هذا الموضوع كما شملت سواه ويمكن القول إنها من أروع الأركان التى ينشرها الصحفيون كل يوم .

وقد أتيح لى أن أقابل الأستاذ مصطفى أمين سنة ١٩٧٥ عقب العرض الرائع الذى خصّصت له « أخبار اليوم » صفحة من صفحاتها لكتابى « مصر فى حربين » وفى هذا اللقاء ذكرت بصراحة للأستاذ مصطفى أمين أننا فى الجامعة غالبا أعرضنا عن الثورة مبكرين عندما تبين لنا أن قادة الثورة اتجهوا للبقاء فى الحكم ، وأنهم ضد الدستور والحياة البرلمانية ، فهم فى ذلك يسيرون فى خط فاروق أو أسوأ منه ، وأن جمال عبد الناصر بعيد عن الزعامة الوطنية الشعبية الشريفة ، وأضفت أن هذا الموقف لم يكن موقف الأستاذ مصطفى أمين الذى اتجه للتأييد على طول الخط . . . . فأعلن لى مصطفى أمين أنه خدع . . . وكان هذا الرد كافيا لقفل الموضوع .

ما هى بإيجاز قصة مصطفى أمين ؟

وكيف انتقل مصطفى أمين من صفوف الأصدقاء والمقربين إلى صفوف الأعداء الذين ينكَّل بهم ؟ .

الإجابة عن السؤال الثانى سهلة فإن طبيعة الغدر بالأصدقاء كانت واضحة عند عبد الناصر ، وكم من أصدقائه انتهى بهم المطاف إلى الزنزانة وإلى التشرد ، وقد رأينا نماذج من هؤلاء فيما سبق .

أما قصة مصطفى أمين فهى كما يرويها المستشار محمد عبد السلام[1] والأستاذ موسى صبرى[2] تتلخص فيما يلى :

— كان مصطفى أمين يحب جمال عبد الناصر ويصارحه برأيه ، وكان عبد الناصر يعتمد عليه فى مهام كثيرة ، ويستريح للحديث معه ساعات طويلة ، وكان عبد الناصر متأثراً بالمقال الذى كتبه مصطفى أمين قبل الثورة بعنوان « البحث عن زعيم » وقد دخل مصطفى كل معارك جمال عبد الناصر ضد البعث ، وضد حلف بغداد ، ووقف معه فى أزمة ١٩٥٤ وسافر على طائرة خاصة بتكليف من جمال عبد الناصر بعد عدوان سنة ١٩٥٦ ليتصل بالبيت الأبيض ، ويتفاوض مع أمريكا باسم جمال عبد الناصر[3] .

— وبينما كان مصطفى أمين يتمتع بهذه المكانة عند عبد الناصر كان هناك شخص آخر يرى أن مصطفى أمين يقف حاجزاً بينه وبين قلب الزعيم ، هذا الشخص هو محمد حسنين هيكل ، ثم إن هيكل كانت فى نفسه حفيظة ضد مصطفى أمين لأنه فصله من أخبار اليوم مرتين قبل الثورة ، ولم يعد هيكل إلى عمله إلا بوساطة على أمين ، ومن أجل هذا كان هيكل يتحين الفرص للإيقاع بمصطفى أمين ، ليثأر منه ، ثم ليخلو له الجو بعد إبعاد هذه الشخصية الكبيرة عن مجال الصحافة مما يتيح الفرصة إلى هيكل ليصبح إمبراطور الصحافة[4] .

ولفقت تهمة لمصطفى أمين بواسطة رجال المخابرات فحواها أنه أمدّ ملحق السفارة الأمريكية سنة ١٩٦٥ بمعلومات فيها إضرار بمركز البلاد الحربى

---

(١) سنوات عصيبة ص ٤٠ – ٤١ (٢) وثائق ١٥ مايو ص ٣٧٩ وما بعدها
(٣) موسى صبرى : وثائق ١٥ مايو ص ٣٨١
(٤) شوكت التونى : قضية التعذيب الكبرى ص ٤٨

والسياسي والاقتصادي ، وقبض على مصطفى أمين بالإسكندرية لهذا السبب وأشيع أنه قبض عليه وهو يتسلم آلاف الدولارات من رجل المخابرات الأمريكية ، وأنه اعترف اعترافاً كاملا بأنه عميل أمريكي ، وتولت النيابة التحقيق في هذه التهم ، ويقول الأستاذ محمد عبد السلام إنه بعد انتهاء التحقيق ظهر له أن المعلومات التي نُسِبَت إلى مصطفى أمين أنه ذكرها لرجال المخابرات الأمريكية بعيدة كل البعد عن السرية ، وأنها لا تنطوى على أى إضرار بالبلاد ، ويقول الأستاذ محمد عبد السلام ، إنه صارح بذلك صلاح نصر مدير المخابرات العامة وبدوى حموده وزير العدل ، وأكد أن عرض هذه القضية على القضاء سينتهى الأمر فيها بالبراءة ، وتبعاً لذلك قرر رئيس الجمهورية ألا تقدم الدعوى إلى القضاء العادى ، وأن تقدم إلى محكمة عسكرية ، وأنه إذا صدر فيها حكم سيكون حكماً رمزياً (١) .

ونقلت القضية بذلك إلى محاكم الدجوى وكان الحكم فيها بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وأسلم مصطفى أمين وهو فى العقد السادس من عمره إلى الزبانية الذين عذبوه عذاباً يجل عن الوصف ، وقد وصفه الأستاذ مصطفى أمين وصفاً يدعو للحسرة والألم فى كتبه عن سنى السجن وشهد بذلك شهود كثيرون حتى لجنة تقصى الحقائق التى ألفها مجلس الشعب ، وقد سبق أن أوردنا بعض صور تعذيبه عند حديثنا عن التعذيب فى الصفحات السابقة .

وتُقرر الحقائق الواضحة فى الوثائق التى أمامنا أن جمال عبد الناصر كان يعرف جيداً أن الاتهام ظلم فى ظلم ، وأن اتصال مصطفى أمين بالأمريكان كان بناء على طلب الرئيس ، وقد اعترف جمال عبد الناصر بذلك للأستاذ محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان سابقاً فقال له : لقد كلفت مصطفى أمين بأن يتصل بالمخابرات الأمريكية ليعرف لنا أخبارهم . فقال له

---

(١) سنوات عصيبة ص ٤٠ – ٤١ .

محجوب : ولكنك تعلم ياسيدى الرئيس أنه لا يمكن أن يعرف أخبار الأمريكان إلا إذا قدم بعض أخبار مصر ، فقال جمال عبد الناصر : إننى أعلم ذلك جيداً ، ولكن مصطفى « زودها حبتين » . فسأله محجوب : وهل لذلك يُعتَبر مصطفى جاسوساً ؟ فقال جمال عبد الناصر : كان بودى أن أطلق سراحه الآن ، وأن تراه اليوم فى منزله ، ولكن أخشى أن يقال إن الأمريكان طلبوا منى ذلك فى الوقت الذى أحاكم فيه الإخوان المسلمين ، وإذا أفرجت عنه قد يقتضى ذلك أن أفرج عن الإخوان المسلمين ولكنى مُصر على محاكمتهم ، وأعدك أننى سأفرج عنه بعد وقت قصير(١) .

ولم يفرَج عن مصطفى أمين طيلة عهد عبد الناصر ، ولم يتم الإفراج عنه إلا بعد حوالى أربع سنوات من قيام حكم السادات بالضبط فى ١٨ مايو سنة ١٩٧٤ ، ويورد موسى صبرى تعليلا لتأخر صدور أمر العفو عن مصطفى أمين ، وهذا التعليل يتصل بمؤامرة جديدة ضد مصطفى أمين ، فقد أبلغ هيكل الجهات الرسمية فى عهد السادات أنه تلقى معلومات مؤكدة تفيد أن مصطفى أمين يجتمع بعلى صبرى وسامى شرف بطريقة ما فى السجن ، وأنه يكتب كتاباً ضد أنور السادات ، ويقول موسى صبرى : إن الجهات الرسمية صدقت إلى حين هذه المعلومات الكاذبة من أساسها(٢) .

أما على أمين فقد كتب فى « فكرة » عقب صدور عفو الرئيس أنور السادات عن مصطفى أمين يُعلل تأخر الإفراج عن أخيه بأن أنور السادات كان مشغولا بكل جهده للإعداد لمعركة أكتوبر سنة ١٩٧٣ ولما أنجزها بنجاح عاد للمشكلات الفردية بالبحث والإنصاف

وهكذا حوكم مصطفى أمين لمجرد العناد والمقارنة بالإخوان المسلمين ، ولو كانت هناك بقية من عدالة لما حوكم الجميع .

---

(١) أقوال الأستاذ محجوب فى وثائق ١٥ مايو ص ٢٩٩

(٢) وثائق ١٥ مايو ص ٣٨٨

حسين توفيق

يعترف أنه حاول قتل عبد الناصر

اتهم حسين توفيق فى مايو سنة ١٩٦٥م بأنه حاول قتل جمال عبد الناصر وأحيل إلى محكمة الدجوى ، وفى المحكمة حاول حسين توفيق أن يسأل المحكمة : لماذا لاتكشف المحكمة علينا وتحاول التعرف عما حلّ بنا من تعذيب ؟ ولكن الفريق الدجوى أجاب قائلاً :

إحنا هنا بنسألك مش أنت اللى تسألنا . . . أنت حاولت قلب نظام الحكم وعقدت اتفاقاً جنائياً ، وشرعت فى قتل رئيس الجمهورية ؟

فأجاب حسين توفيق فى هدوء قائلاً : نعم أنا فكرت فى قتل جمال عبد الناصر ، لقد كان جمال عبد الناصر أكثر الناس فضلا علىّ ، فقد حُكِم على بالإعدام فى قضية الشيشكلى فتوسط عبد الناصر حتى عُدّل الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة ، ثم عمل على نقلى من سجن المزة بعد أن اضمحلت صحتى ، ثم ساعد على تهريبى إلى مصر ، وأمر بتعيينى فى وظيفة بشركة مصر للبترول بمرتب قدره مائة وخمسون جنيهاً .

وقد استمع الدجوى لكل هذا المدح برضا وسعادة ، ولكن حسين توفيق واصل كلامه فقال : ولكننى إن كنت قد أحببته لأنه طوّق عنقى بهذه الأفعال فإننى وجدت أننى أحب مصر أكثر منه وأكثر من أهلى وأكثر من نفسى ، وقد أضاع البلد ، وأفقدنا جزءاً من بلادنا هو السودان ، وراح ؟ ؟ . .

وهنا تدخل الدجوى ليحول دون ذكر مثالب عبد الناصر فقال لحسين توفيق : هل لك فى الموضوع كلام غير الإقرار ؟

وأجاب حسين توفيق أريد أن أبين للرأى العام سبب إقدامى على محاولة قتل جمال عبد الناصر . فأجاب الدجوى : أنت هنا لكى تخاطب المحكمة لا الرأى العام[1] .

وحكمت المحكمة على حسين توفيق بالأشغال الشاقة وخرج من السجن بعفو أنور السادات .

---

(١) شوكت التونى : محاكمات الدجوى ص ٢١٤ وما بعدها .

المذبحة الثانية للإخوان المسلمين

شرحنا في « حوادث سنة ١٩٥٤ » الجولة الأولى لعبد الناصر ضد الإخوان المسلمين ، ووضحنا أنها ارتبطت بحادث المنشية الذي كان ملفقاً مائة في المائة، وقد أقيمت « محكمة الشعب » لمحاكمة الإخوان التي صال فيها جمال سالم وجال وهو لا يدري أن الدائرة ستدور عليه قريباً ، وقد حكمت هذه المحكمة بإعدام ستة فيهم العالم الشهيد عبد القادر عودة ، وحكمت بالسجن على عدد كبير من الإخوان .

وجاء عام ١٩٦٥ وقد وفّى أكثر هؤلاء السجناء المدد المقدرة عليهم ، وبدأت وفودهم تخرج من السجون ، فخافهم عبد الناصر على نفسه أن يتآمروا للانتقام منه .

وفي نفس الوقت كان هناك وئام بين عبد الناصر وبين الشيوعيين ، والإخوانُ المسلمون من ألدّ الأعداء للشيوعيين ، ثم إن الوقت كان ملائماً ليضرب عبد الناصر الإخوان المسلمين لأن عبد الحكيم عامر كان متسلطا بحماقة على العائلات باسم تصفية الإقطاع ، فماذا يمنع عبد الناصر من انتهاز هذه الفرصة ليتخلص من أعدائه الذين يعرف أنه ظلمهم وأنهم يكرهون الضيم ؟

وبالإضافة إلى هذا فإن إحدى المجلات الأمريكية نشرت تحليلا لكتاب « جاهلية القرن العشرين » الذي ألّفه الأستاذ محمد قطب وكتاب « معالم في الطريق » الذي ألفه الشهيد سيد قطب وقد كتبت المجلة الأمريكية تحذّر من الكتابين والكاتبين ووصفتهما بالتعصب(١) .

---

(١) جابر رزق : مذابح الإخوان في سجون ناصر ص ٣٢ .

لكل هذا كان عام ١٩٦٥ عاماً مناسباً عند عبد الناصر ليجول جولته الثانية ضد الإخوان المسلمين ، وقد بدأت هذه الجولة بالقبض على الأستاذ محمد قطب يوم ٣٠ يوليو سنة ١٩٦٥ ثم القبض على الأستاذ سيد قطب فى ٩ أغسطس التالى ، وانطلقت بعد ذلك جحافل عبد الناصر تلقى القبض على آلاف الإخوان ، وافتخر عبد الناصر فيما بعد بأنه قبض على ثلاثين ألفاً فى نصف ساعة

وكان القبض على الإخوان المسلمين بتهمة أنهم يدبرون مؤامرة للعدوان على عبد الناصر وقتله ، ويذكر الأستاذ موسى صبرى — وهو كمسيحى لا يمكن أن يكون ضالعاً مع الإخوان — أن كل الثقات يؤكدون أن قضية الإخوان التى أعدم فيها سيد قطب كانت من اختراع شمس بدران وزبانية البوليس الحربى ، وأنها مؤامرة وهمية ، وأن التعذيب فى هذه القضية هو قمة المأساة(١) .

ويقرر محمد حسنين هيكل أن المعتقلين فى هذه القضية وصلوا إلى عدة آلاف ، وأن زوار الفجر كانوا يجمعونهم بغير رحمة ، وقد تعرض الكثيرون منهم للتعذيب ، وكان عبد الناصر يعرف ذلك ، وقد أشرتُ إلى ما كتبتُ فى الأهرام آنذاك إلى زوار الفجر ، وانتقدت أعمالهم ، فاستاء عبد الناصر مما كتبته فى هذا الشأن، واتصل بى ليذكر أننى كنت قاسياً فيما كتبت ، وأن شمس الدين بدران الذى كان يشرف على تحقيقات الإخوان المسلمين وقتها غضب وقدم استقالته(٢) .

ويتحدث أنور السادات عما أصاب الإخوان المسلمين فى هذا العام فيقول : هُيِّىء للسلطة الحاكمة فى ذلك الوقت أن الإخوان يتآمرون ليقوموا بثورة مضاده ، وقد ذهب ضحية هذا التصور الكثيرون ممن يحصون

(١) وثائق ١٥ مايو ص ٣٢١

(٢) لمصر لا لعبد الناصر ص ٤٣

بالألوف ، وصدرت ضد الكثيرين منهم أحكام ، وظل الجميع فى المعتقلات أو السجون إلى أن صفيتُ العملية كلها فأغلقتُ المعتقلات مباشرة بعد القضاء على مراكز القوى فى سنة ١٩٧١ أما المحكوم عليهم سواء من الإخوان أو أية قضية سياسية أخرى فقد أطلقتُ سراحهم مباشرة بعد معركة اكتوبر سنة ١٩٧٣(١).

ويورد سامى جوهر تفاصيل أوسع عن هذه الحركة الوهمية وعن التعذيب الذى ارتبط بها فيقول : فى سبتمبر سنة ١٩٦٥ كانت أجهزة المباحث الجنائية العسكرية التابعة للمشير عامر وعلى رأسها أحد أعوان شمس الدين بدران وهو العقيد حسين خليل ادعت أنها كشفت مؤامرة يدبرها الإخوان المسلمين برئاسة المرحوم الشهيد سيد قطب لقلب نظام الحكم بعد القيام بعمليات تخريب وتدمير فى مختلف أنحاء البلاد ، وتم القبض على الآلاف وزُج بهم فى السجون ، وبدأت عمليات تعذيب بشع لهم ليعترفوا بكل مايملى عليهم(٢)

ويعلل موسى صبرى تلك المظاهر التى دفعت مخابرات المشير إلى الاهتمام بعبد الناصر بأنها كانت ترمى إلى أن توحى لعبد الناصر بمدى اهتمامهم به ، وبالتالى تفرض حمايتها عليه ، وتبرز له أن حياته تساوى حياة الملايين ، وأنه أمل العالم العربى كله ، وأن التآمر ضده تآمر ضد مستقبل الأمة العربية جمعاء ، فإذا عذب بعض المتآمرين حتى الموت فذلك ليس إلا شيئاً لاحساب له فى سبيل الحفاظ على كيان الأمة العربية متمثلة فى عبد الناصر(٣) واستطاب عبد الناصر هذا التصرف فقد كان شديد الحفيظة على الإخوان المسلمين وشديد الحب لنفسه

---

(١) البحث عن الذات ص ١٧٩

(٢) الصامتون يتكلمون ص ٧٧

(٣) وثائق ١٥ مايو ص ٣٢١ — ٣٢٢

وتأكيداً لما نقلناه عن هيكل بأن عبد الناصر كان يعرف ما يجرى من صور التعذيب ، يؤكد موسى صبرى أن عبد الناصر كان يعلم بصور التعذيب قبل وقوعها وبعد وقوعها ، وكان يحاط علماً بأن البعض مات فى خلال التعذيب ، وينقل موسى صبرى عن صلاح الشاهد واقعة نقلها صلاح الشاهد إلى جمال عبد الناصر . وخلاصتها أن سيدة فاضلة وقع عليها تعذيب مرير ، وجىء لها بوحش فى صورة إنسان ليهتك عرضها ... ويقول صلاح الشاهد إن عبد الناصر لما سمع منه تلك الشكوى نظر إليه بضيق شديد وقال له : مالكش دعوة بالحاجات دى . هو حد من أقاربك اتعذب . الحاجات دى يشوفها سامى شرف(١) .

وأمام الضعف الذى ينتاب الكثيرين وقت الشدائد العنيفة والطويلة اهتزت عقيدة بعض الإخوان المسلمين اهتزازاً حقيقياً ، أو على الأقل تظاهروا بذلك ، وأعرف شخصياً أسرة فاضلة من سكان المعادى كانت مآثرهم تفوق الوصف ، وكان المحتاجون يجدون عندهم ملجأ حصيناً ينالون منهم الكساء والطعام والدواء ونفقات المدارس وحاجات أبنائهم التلاميذ ، وفى كلمة موجزة كانت أفضالهم سيلا لا ينقطع وأبوابهم مفتوحة لا تغلق ... ونزل بهؤلاء ضرٌّ إثر ضرٍّ ، وكانوا يتوقعون الشر من آن إلى آخر بسبب أنهم فى يوم من الأيام انتموا إلى الإخوان المسلمين أو أنهم قدموا بعض العون للأسر التى قبض على عائليها ، وفى قسوة المعاناة والخوف والألم أحرق هؤلاء كتاب الله والتفاسير المختلفة وكتب الصحاح التى كانت فى دارهم ، وكانوا بذلك يحاولون أن يتقوا صولة الحاكم الغاشم ، ولكن الحاكم الغاشم لم تتوقف صولته عليهم .

---

(١) وثائق ١٥ مايو ص ٣١٧ - ٣١٨

محاكمة الاخوان :

أعدت أربع دوائر عسكرية لمحاكمة الإخوان المسلمين فى هذا العام ، وكان للدجوى الدائرة الرئيسية فيها وكانت الدوائر الأخرى يرأسها لواءات من الجيش ، وقد تعددت الدوائر بسبب كثرة المتهمين ، وأحيلت إلى الدجوى أسماء الذين كان يراد لهم مزيد من التنكيل والعسف ، لأنه كان دائماً مستعداً أن يُصْدِر الحكم الذى يُطلَب منه إصداره .

تمثيلية لإعدام الشهيد سيد قطب :

وهناك أمر عجيب فى محكمة الدجوى ، ذلك أن شمس بدران وحسن خليل مدير المباحث الجنائية عرضا على عبد الناصر خلال محاكمة الشهيد سيد قطب الأحكام التى سيصدرها الدجوى ومن بينها حكم الإعدام على سيد قطب ، واتفقوا مع عبد الناصر على تخفيف حكم الإعدام عليه إلى السجن، أو العفو مع تحديد إقامة، أو نحو ذلك لينال عبد الناصر كسبا شعبيا يغطى كل ماقيل عن التعذيب وما سيُقال عن العقوبات التى ستفرض على الآخرين . ولكنهم فوجئوا بعبدالناصر يصدق على حكم الإعدام وينفذه(١).

وأعدم المفكر الإسلامى سيد قطب شنقاً كالقتلة وقطاع الطرق ، وهو الذى أغنى المكتبة العربية والإسلامية بثروة هائلة من إنتاجه ومؤلفاته ، وفى قمتها « فى ظلال القرآن » الذى أخرجه فى ثلاثين جزءاً ، جمع فيه أروع ما دوّنه من سبقوه ، وأضاف لذلك فيضا هائلا من فكره .

والعجيب أن الأوامر صدرت بمصادرة كل كتبه وإخراجها من كل المكتبات ، بل صدرت بأن تُقْطع ورقات من كتب المطالعة المقررة على التلاميذ.

---

(١) عبد الصمد محمد عبد الصمد : العشاء الأخير المشير ص ١٥٠

فى المدارس الابتدائية أو الإعدادية ، لأن بها قصائد للاستاذ سيد قطب يتحدث فيها عن فكرة خلقية أو وطنية ، أو تحمل وصفاً لنيل أو الطبيعة ، وكأن هؤلاء أرادوا أن يزيلوا اسمه من الوجود ، ولكن ذلك كان جهلاً بأقدار العلماء ، لأن العالم الإسلامى اعتبره شهيداً ، وتنافست دور النشر فى فى عدة أقطار فى طبع مؤلفاته ، وأصبحت كتبه مبعث نور وهداية فى كل بيت بالعالم الإسلامى إلا بيوت مصر التى كان يمكن أن تتعرض للدمار لو وُجِدت بها هذه المؤلفات .

ولا يمكن أن يمر موضوع شنق مفكر مسلم ممتاز دون وقفة عادلة ، ولهذا فإننا نطالب بإعادة المحاكمة فى ظل العدالة والنور لنرى إدانته أو براءته حتى نحمِّل قاتليه مسئولية هذا الجرم إذا ثبتت براءته للناس ، وبراءته لا بد ستثبت .

إن سيد قطب قمة فكرية وإن الخسارة فيه كبيرة ، وقد ترك لنا الكثير من نتاج عقلة وجهده ، ولكنه غاب قبل أن يُفْرغ كلَّ ما عنده فمن المسئول عن هذه الخساره ؟؟ .

والعجيب أن شخصيات عالمية وهيئات كبيرة تقدمت بالرجاء أن يُحْقَن دمه ، ولكن روح الغِلّ عجَّلت بتنفيذ الإعدام . يالله !! .

مطاردة الزوجات والأولاد :

بعد قتل العائل أو سجنه اتجهت العصابة الأثيمة إلى الزوجات والأولاد تجمع وتهدد ، وتمنع كل عون من المحسنين ، وبالتالى تجر إلى الانحراف إلا من عصم الله ، وبين يدىّ مثال من آلاف الأمثلة على ذلك . مدرس اسمه محمد على عبد الله قبضوا عليه فى ١٩٥٤/١١/٢٣ لانتمائه إلى الإخوان المسلمين ، وصدر قرار بفصله من عمله بعد أسبوع، وخرج من الاعتقال فى

٥٦/١١/٢٣ وظل مفصولا حتى سنة ١٩٦٠، وخلال هذه المدة عانت أسرته في غيبته كما عانى هو بعد إطلاق سراحه كل ألوان الجوع والسؤال و الحرمان، وما إن استقر في عمله سنة ١٩٦٠ حتى عادوا للقبض عليه سنة ١٩٦٥ بتهمة محاولة قلب نظام الحكم بالقوة والعدوان على رئيس الدولة، وتعرض منزله لتفتيش يصفه كاتب القصة بأنه «حملة بربرية مغولية» ولم تعرف أسرته بعد ذلك مكانه ولا شيئاً عنه سوى قرار فصله الذى صدر فى ١٩٦٥/١٠/١ ولما قرص الجوع الزوجة (فتحية عيد إبراهيم حمودة) وقرص أولادها اتجهت إلى محافظ القليوبية (محمد كمال أبو الفتوح) تستجديه، وتسأله ماذا تفعل، وكان المحافظ رحيما فقرر لها معاشاً، ولكن العصابة الأثيمة لم تنفذ القرار ولامت المحافظ . . . وتفاصيل أخرى مريرة ومماثلة توردها جميع المصادر[1].

وثيقة التخلص من الإخوان ومن أفكارهم :

قدم المستشار على جريشة لمحكمة جنوب القاهرة الابتدائية (الدائرة ٦ مدنى كلى) صورة وثيقة خطيرة عن تقرير عنوانه :

«تقرير اللجنة المؤلفة برئاسة السيد زكريا محيي الدين رئيس الوزراء بشأن القضاء على تفكير الإخوان المسلمين» .

وخلاصة هذا التقرير ما يلى :

— شكلت لجنة عليا بأمر جمال عبد الناصر لمكافحة الإخوان المسلمين، والقضاء عليهم وعلى أفكارهم، حتى لا تنتقل عدوى أفكارهم إلى غيرهم :

— تدارست اللجنة الموضوع ورأت أن الداء يكمن فى :

١ — تدريس التاريخ الإسلامى على حالته الراهنة بالمدارس بربط الدين بالسياسة مما ينمى الشعور بالمبادئ الإخوانية .

---

(١) انظر كتاب شهداء وقتلة للاستاذين عادل سليمان وعصام سليمان ص ١١٢ وما بعدها .

٢ — أكثر الإخوان المسلمين « خام » عاشوا على طهارة

٣ — لهم تفوق علمى وخلقى .

٤ — تأثيرهم شديد على من يرتبطون به .

٥ — لم تفلح محاولات إبعادهم عن الناس .

٦ — مكانتهم فى حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥١ خلقت لهم مكانة طيبة فى نفوس الناس .

٧ — نفورهم من المبادئ المخالفة لاتجاههم يوحى بأنهم ليسوا عملاء لأحد.

واقترحت اللجنة ما يلى :

أولا : محو فكرة ارتباط السياسة بالدين فى تدريس التاريخ .

ثانياً : إبادة تدريجية بطيئة مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم فعلا الذى يعتنق هذه المبادئ ، وللوصول إلى ذلك وضعت اللجنة النظام التالى :

١ — ربط دراسة التاريخ الإسلامى بالمعتقدات الاشتراكية .

٢ — مصادرة كل كتب الإخوان ورسائلهم ، وتوجيههم وتوجيه الناس إلى كتابات إسلامية أخرى .

٣ — عدم قبول أولادهم فى الكليات العسكرية .

٤ — منع فرص العمل أمام المتدينين عموماً ، وعزل هؤلاء من جميع التنظيمات الحكومية .

٥ — عدم إرسالهم فى بعثات للخارج .

٦ — محاولة إشاعة ربط الهضيبى بالإنجليز والادعاء أن الإخوان عملاء للقوى الخارجية .

٧ — القضاء التام مادياً عليهم بوضعهم تحت الحراسة وفصلهم من الوظائف ، وهذا سيجعل الأبناء يبعدون عن مذاهب آبائهم ، كما أن الجوع سيدفع الأبناء إلى العمل اليدوى أو إلى الانحراف فيبعدون عن الاتجاهات الدينية

٨ — إعدام من تظهر فيه صفة الصلابة منهم .

وقد وقع على هذا التقرير أعضاء اللجنة ، ووقعه بعدهم جمال عبد الناصر قائلا : أوافق على اقتراحات اللجنة(١) .

ذلك موجز التقرير وأرجو ألا يكون إيجاز مخلا ، ولكنا للأمانة العلمية نذكر أن المحكمة ذكرت فى حكمها أن هذا التقرير صورة عرفية لادليل على وجود أصلها أو صدوره بالفعل

ولكن التاريخ يؤكد أن المقترحات أو أكثرها عُمِل بها فعلا ، وقد أوردنا نماذج كثيرة لذلك مما يوحي بوجود دستورسارعليه ولاة الأمرآنذاك .

أخوان الشيطان :

أصدرت مجلة منبر الاسلام التى كان يصدرها « المجلس الأعلى للشئون الاسلامية » ويقوم الضابط محمد توفيق عويضة برئاسة تحريرها ملحقا خاصا لعدد من أعدادها عام ١٩٦٥ أسمته « رأى الدين فى إخوان الشيطان » وربما كان ذلك تنفيذاً للتقرير السابق فى محاربة الإخوان المسلمين بواسطة رجال الدين أنفسهم ، وغلاف هذا الملحق عليه صورة دموية شيطانية تناسب الموضوع الذى خصص له الملحق ، وختم بمجموعات من الصور الكاريكاتيرية البذيئة التى تصوّر الإخوان فى صور شيطانية .

وفى هذا الملحق كتب مجموعة من الكتّاب يهاجمون الإخوان المسلمين ، وربما يكون هناك بعض العذر لهؤلاء ، فما كان أحد يستطيع أن يرفض طلب توفيق عويضة فى الكتابة ، فإن من يفعل ذلك سيُلقى به فى المجهول ، ثم إن وسائل الإعلام كلها كانت قد صوّرت الإخوان المسلمين للناس فى

---

(١) انظر التقرير كله فى كتاب « فى الزنزانة » المستشار على جريشة ص ١٣١—١٣٩

صورة المتآمرين القتلة السفاكين ، ونَشرَتْ صوراً لحشود من الأسلحة قيل إنه عثر عليها فى مكامن إخوانيه كما نَشرَتْ اعترافاتٍ نسبتها إليهم ،ولم يكن هناك رد أو تعليق من أى جانب آخر ، فوقع الكثيرون فى الفخ ، وصدقوا الادعاء ، وعارضوا الإخوان أو هاجموهم ، وعلى هذا فيمكن التماس العذر بشكل ما لمن كتبوا تحت العناوين الآتية :

الإخوان المفسدون—احذروا إخوان الشياطين- الإخوان المسلمون يفسدون فى الأرض— رسل الخيانة — الباغون المارقون — خروج الإخوان على الاسلام — مؤامرة عصابة الإخوان الإرهابيين . . . وأمثال هذه الموضوعات .

ومع أننى قد التمست العذر لهؤلاء فإنى كنت أطمع فى المفكرين المسلمين أن يتثبتوا قبل الهجوم ، وبخاصة إذا كان منهم من تطوع بالكتابة دون أن يطلب منه ذلك ، فإثم هؤلاء أكبر وأعظم .

ماذا كان موقفى من هذا الموضوع ؟

لقد كتبت موضوعا استُدعيت بعده للتحقيق أمام أحد الضباط بوزارة الداخلية ، كان موضوعى بعنوان « الإسلام وحركات الارهاب » (١) وابتدأته بقولى « عرف التاريخ الإسلامى جماعة دأبت على التشكيك وإثارة الفتن ، وعاشت حياتها ولا تزال تعيش فى ظلام وخفاء تلك هى جماعة بنى إسرائيل . . . . » وذهبت أتحدث عن حركات الإرهاب التى قام بها بنو اسرائيل فى تاريخهم الطويل ، ثم اتجهت لرأى الإسلام فى المفسدين فى الأرض الذين يقتلون الناس ظلما ويغتالون الآمنين ، وأوردت مجموعة كبيرة من الآيات والأحاديث التى تهاجم هؤلاء وتتوعدهم بأبشع عقاب فى الدنيا والآخرة ، وكان موضوعا علميا لطيفا فيما أعتقد، وظننت أنى خرجت بذلك من المأزق ؛ فأنا لم أرفض الكتابة من جانب ، ومن جانب آخر لم أتعرض للإخوان المسلمين ولا بكلمة واحدة .

---

(١) ملحق مجلة منبر الإسلام ص ٢٨ — ٣١

ولكنى استدعيت للتحقيق عقب ذلك وجرى بينى وبين المحقق الحديث التالى :

— هل كتبتَ هذا الموضوع ؟

— نعم .

— أنت فيه لم تتعرض للإخوان المسلمين ولا بكلمة مع أنك لست من الإخوان المسلمين وكان من الطبيعى أن تهاجمهم كما فعل باقى كتّاب العدد ؟

— تعرضتُ بدراسة وافية وقوية للمفسدين فى الأرض والمعتدين على الناس، فإذا كان الإخوان المسلمون منهم فإن الموضوع يكون منصبًّا عليهم .

وانتهزت فرصة أن الضابط كان مهذباً جداً ، وكان من قرائى فأخذت أنا حق الاستجواب وسألته :

— كم موضوعاً فى هذا العدد قرأتَ أنت ؟

— بصدق ، قرأت سطوراً قليلة فى كل موضوع وكنت أدرك اتجاه الكاتب لتجريح الإخوان من أول سطر فأكتفى بذلك وأدع الموضوع إلى سواه، ولكنى قرأت موضوعك كله ، وقرأناه جميعاً ، ثم تقرر أن نسألك .

فقلت : كل الناس أو أكثرهم فعلوا مثلك، وجدوا فيما كتبت فكرة تخدم الإسلام والمسلمين فقرأوه ، وتركوا الموضوعات الأخرى لأن أكثرها دار فى نطاق السباب ، والقارىء لا يحب هذا النوع من الكتابة .

ثم عاد الضابط يسألنى :

— لو أردنا أن نكتب من جديد عدداً آخر ماموقفك بعد هذا التساؤل ؟

— نفس الموقف لخدمة الدين والوطن ، ولو عرف الكتاب هذا التساؤل لاتجه أكثرهم أو كلهم إلى رأيى .

كرداسة :

حادثة كرداسة وثيقة الارتباط بدراستنا هنا عن الإخوان المسلمين ، وتتميز بنقطة مهمة هى الانتقال فى تدمير الإخوان من الهجوم على الفرد والإسرة إلى الهجوم على قرية بأكملها ، وحادثة كرداسة شديدة الشبه بحادثة دنشواى ، بيد أن العسف فى دنشواى اتجه ضد أفراد ولكن العسف فى كرداسة اتجه ضد القرية بأكملها ، ولو كان الهجوم على كرداسة حدث من الاحتلال البريطانى لهاجت الدنيا كلها وماجت ، ولكن الهجوم كان مصرياً ، وكانت الصحافة وجميع وسائل الإعلام الأخرى فى يد المهاجم فرسم للناس صوراً غريبة كاذبة استحل بها دماء الأبرياء .

ولى مع كرداسة موقف خاص ؛ فبعض طلابى من الجامعة كانوا من كرداسة وجاءنى هؤلاء ومعهم بعض أهليهم يدعوننى ؛لزيارة القرية المنكوبة والتعرف على المشكلة فى مكانها ، وأشهد لقد كنت شديد الرغبة فى تلبية هذه الدعوة ، وكان جزءاً من واجبى أن ألبيها ، ولكننى أحجمت باسم بقايا الخوف التى كانت راسبة فى نفسى ونفوس أمثالى ، بيد أنى جلست مع هؤلاء ، وأخذت المعلومات الدقيقة التى تصور هذه القضية أوضح تصوير وهو ما سأنقله فيما يلى :

شاب من البلدة اسمه سيد عويضة ، وظيفته إخصائى اجتماعى كان اسمه ضمن كشوف الإخوان المسلمين ، وفى موجة القبض على الإخوان توجهت سيارة « جيب » بها بعض رجال المباحث فى ملابس مدنية للقبض عليه فى منتصف ليلة ١٩٦٥/٨/٢١ وترك رجال المباحث السيارة خارج القرية وذهبوا إلى البيت ودقوا بابه ، ففتحت زوجته ، فاندفع رجال المباحث داخل البيت ، وحسبت المرأة أن لصوصاً دهموا البيت فصرخت مستغيثة ، وعلى صوت الصراخ حضر الجيران ، وقامت معركة بالأيدى بين رجال

المباحث وبين الأهالى ، وهدأت المعركة حينما علم الأهالى أن المشكلة مع رجال المباحث ، ولم يقتل أحد فى هذه المعركة .

تلك هى الخطوط الأولى لمشكلة كرداسة ، وشهد صباح اليوم التالى أمراً عجيباً ، فقد صُوِّرت المسألة على أنها محاولة انقلاب يقوم بها حشد من الإخوان المسلمين اتخذوا من كرداسة مركزاً لهم ، ومعهم فيض من الأسلحة مختلفة الأنواع ، وتبعاً لذلك تمّ حصار سريع للقرية المسكينة ، ومُنع التجول فيها ثلاثة أيام ، وأبيحت القرية وجميع أنواع الخير فيها للقوة المهاجمة التى لم تترك شيئاً له قيمة إلا سلبته .

وأُلقى القبض على عدد كبير من أهالى البلدة ، وأودعوا فى وحدة كرداسة الصحية ، وفى المدرسة الإعدادية ، وفى نقطة البوليس ، دون رعاية ودون طعام .

وأسرة مكاوى من أهم الأسر فى القرية أُلقى القبض على أفرادها وعلى زوجاتهم وأولادهم وحشروا فى سيارة جيب إلى السجن الحربى ، وبقوا فيه عدة أيام لاقوا خلالها ألواناً من الإهانة والعدوان ، وبقيت القرية تطوف بها سيارات مصفحة حوالى عام .

ونزلت العقوبات على هؤلاء المساكين :

بسطامى السيد بسطامى حجز ست سنوات دون أن يسأل . وكذلك الدكتور إبراهيم عزاز ، وسجن عدد كبير لمدد مختلفة ، أما سيد عويضة فحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ولم يخرج من السجن إلا بعفو السادات .

ولا تزال كرداسة تتناقل هذه الأخبار جيلا عن جيل .

وشهد شاهد من أهلها :

وهذا الشاهد هنا هو كمال الدين حسين الذى كان فى يوم من الأيام يشغل أخطر المناصب فى رحاب الثورة ، ثم أخذ نفوذه يضعف شيئاً

فشيئاً وعلاقته بالثورة تنكمش كما ذكرنا عند التعريف به ، والمهم هنا أنه فى أثناء فترة اعتقال الإخوان ومحاكمتهم أرسل فى ١٢/١٠/١٩٦٥ خطاباً طويلا إلى عبد الناصر يقول له فيه : اتق الله . . . . . كما أرسل إلى المشير خطاباً مماثلا ، وكانت النتيجة قاسية بالنسبة لكمال الدين حسين ، فقد اعتـقل وأوذى بسبب هذين الخطابين كما ذكرنا من قبل .

وتعليقنا على موقف كمال الدين حسين تعليق بسيط هو أن صحوة الضمير التى ظهرت فيه جاءت متأخرة جداً ، أو قل جاءت بعد فوات الأوان ، فأين كان كمال الدين حسين فى أثناء المجازر التى نزلت بالإخوان المسلمين فى الجولة الأولى ، وفى أثناء العسف الذى أنزلته الثورة بالسياسيين القدامى، وأنزله عبد الحكيم عامر بالعائلات . . . . ليت ضمير كمال الدين حسين وضمائر زملائه صحت فى الوقت المناسب ، ولو قد حدث هذا لكان من الممكن ضمان الأمان للشعب قبل فوات الأوان .

حوادث سنة ١٩٦٦

استمرار الجور والإذلال

كان عام ١٩٦٦ م استمرارا لتعاون الشيوعيين وعبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر ضد الشعب ، فالقبض على الأبرياء ، وصور التعـذيب ، والمحاكمات العسكرية ، لا تزال تسير على النمط الذى كان متبعا فى العام الماضى ، ومن أجل هذا يعتبر عام ١٩٦٦ والشهور الأولى مـن عام ١٩٦٧ امتـدادا للإذلال الذى عاناه الشعب من الشيوعيين ، ومن لجنة تصفية الإقطاع ، ومن المتآمرين ضد الإخوان المسلمين .

ومن الخطوات التى اتخذها جمال عبد الناصر آنذاك لتقوية جماعة « طليعة الاشتراكيين » أن عيّـن شعراوى جمعة وزيرا للداخلية وهو أمين التنظيم بالاتحـاد الاشتراكى ، وأمين أمانة طليعة الاشتراكيين ، فكان ذلك تقوية للاتجاه الشيوعى ، إذ أصبحت الوزارة الخطيرة منفّـذة لهذا الاتجاه . وانطلق شعراوى جمعة يحقق رغبة العناصر الشيوعية التى اتّهمت الإخوان المسلمين آنذاك باتهامات باطلة ، ومن أهم أدلة بطلانها أن عبد العظيم فهمى وزير الداخلية السابق — وكان من قبل مديرا للمباحث العامة — أنـكر مرتين وجود حركات مضادة للحكومة ، مؤكدا أن أعضاء طليعة الاشتراكيين ليسوا على حق فى هذا الاتهام (١) وقد أبعد عبد العظيم فهمى عن الوزارة لموقفه هذا ، وجيء بشعراوى جمعة ليسير على هوى طليعة الاشتراكيين ضد الإخوان المسلمين.

---

(١) أحمد حروش : مجتمع جمال عبد الناصر ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

مأساة كمشيش

مأساة كمشيش مأساة موغلة فى الظلم والقهر والإجرام ، وقد سماها أحمد حمروش « زلزال كمشيش » (١) تصويراً لمدى الظلم فيها الذى هز الشعب كله هزاً عنيفاً ، وقد وصف أنور السادات الجماعة التى دفعت عبد الناصر لهذا التصرف بقوله : « إنهم كانوا شيوعيين ماركسيين يريدون أن يتوصلوا عن هذا الطريق إلى تطبيق الماركسية ، وفى هذا السبيل لم يتورعوا عن امتهان كرامة المواطنين بأسوأ مما كانت تفعله لجنة تصفية الإقطاع »(٢) .

وكلام أنور السادات دقيق جدا فى تصوير أصل المسألة ، فإن القضية الحقيقية كانت نشاطاً شيوعياً جارفاً أدّى إلى مشاجرة قُتِل فيها مؤجِّج هذا النشاط واسمه صلاح حسين ، وكان هذا أمين لجنة الدعوة والفكر بقرية كمشيش مركز تلا محافظة المنوفية ، وهو ماركسى فاقع اللون كما يصفه الأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر (٣) ، وبتاريخ ١٩٦٦/٣/٢١ أرسل هذا تقريراً إلى السيد/عبد الفتاح أبو الفضل أمين أمانة شئون الأعضاء بالاتحاد الاشتراكى جاء فيه الفقرات التالية :

١ – أسرعوا باعتقال كل الإقطاعيين والرأسماليين السابقين الذين أضيروا بقوانين الثورة ، وإلا فانقلاب رجعى فى الطريق ؟

٢ – الحكومات الرجعية تحاول إضفاء الشرعية على الجيب الاستعمارى فى إسرائيل كما تحاول إقامة حلف رجعى تحت ستار من الزيف الدينى .

---

١) مجمع جمال عبد الناصر ص ٢٦٠

(١) البحث عن الذات ص ٢٢٣

(٣) محاكمات جمال عبد الناصر ج١ ص ٥٩

٣ - باسم الثقة التى منحكم إياها شعبنا أطالبكم باعتقال كل الإقطاعيين والرأسماليين المضروبين وأتباعهم فى معسكرات خاصة للعمل كعمال وفلاحين عاديين .

وواضح من هذه الفقرات عدوانية هذا الرجل للقيم الدينية ، وللأُسر التى كان لها ثراء ، بل ولأتباع هذه الأُسر كما سماهم هو فى تقريره ؟

وواضح أيضاً أن هذا الإنسان الصغير وضع نفسه موضع المشرّع والآمر الذى يأمر بالقبض على الناس وإذلالهم ، وذلك كان جائزاً دائماً فى دولة عبد الناصر ، فكل إنسان كان يستطيع أن يذل الشعب ويقترح الإيذاء ويستجاب له ، ولكن الإحسان إلى الناس ، ورفع المعاناة عنهم لم تكن تشغل أحداً من أعوان عبد الناصر ، ولا كان هذا مستعداً لاستماع النصح فيها .

وواضح كذلك أن هذا الرجل كان كثير الشغب ، ويثير المشاكل والخلافات فى البلدة التى يعيش فيها ، وفى إحدى مرات الخلاف قامت بينه وبين أعدائه مشاجرة قتل فيها هذا الرجل الذى كان مصدر شغب مستمر ، وكان شقيق القتيل زميلا وصديقاً لحسين عبد الناصر (وحسين عبد الناصر هذا هو شقيق جمال عبد الناصر ، وزوج بنت المشير عبد الحكيم عامر) واستعمل حسين عبد الناصر نفوذه لدى أخيه الرئيس وصهره المشير للانتقام لصديقه ، وصوّر المشاجرة العادية فى صورة حركة من أسرة الفقى ضد القانون وضد الدولة ، ولُفّقت الأحداث ضد أسرة كبيرة بالمنوفية هى أسرة « الفقى » وعانت الأسرة رجالا ونساء وأطفالا أشق ما يعانيه بشر ، ولنرفع القلم لنورد سلسلة من الوثائق فى هذا الموضوع :

رأى محافظ المنوفية فى مأساة كمشيش :

نشر إبراهيم بغدادى الذى كان محافظاً للمنوفية إبّان هذه المأساة فى صحيفة أخبار اليوم الصادرة فى ١٩٧٤/١١/١٦ بياناً مهما هذا نصه :

تعليقاً على ما نشر بجريدة أخبار اليوم عن قضية كمشيش ، أود أن أوضح للتاريخ بعض الوقائع المتعلقة بهذه القضية ، التى عاصرتُ أحداثها خلال عملى كمحافظ للمنوفية من نوفمبر ١٩٦٥ إلى أغسطس سنة ١٩٦٧م:

١ — قضية مقتل صلاح حسين فى كمشيش كانت أصلا مشاجرة عادية يحدث مثلها كل يوم فى مصر ، وانتهت بمقتله ، وليس لها أى خلفية سياسية ، وكل ما قيل غير ذلك مخالف للحقيقة ، وقد اتخذتها السلطات ذريعة ومبرراً لما استتبعها من إجراءات بدعوى تصفية الإقطاع .

٢ — تدخُّل المباحث الجنائية العسكرية فى التحقيق كان بناء على تعليمات من المرحوم المشير عبد الحكيم عامر ، الذى كان زوجُ ابنته الطيار حسين عبد الناصر شقيقُ الرئيس جمال عبد الناصر ، زميلا لشقيق القتيل فى القوات الجوية ، وتربطه به صداقة قوية .

٣ — المباحث الجنائية العسكرية كانت تتولى توجيه التحقيق ، حتى أن الطبيب الشرعى أثبت فى تقريره على غير الحقيقة — أن الطلقات التى قُدمت له من ضباط المباحث الجنائية العسكرية هى نفس عيار المسدس الذى أطلق منه النار على القتيل .

وكان أفراد المباحث الجنائية العسكرية ومعاونوهم يتولون جمع الأدلة والقبض على بعض الناس والتنكيل بهم فى شوارع القرية ، حتى قبل أن يوجَّه إليهم الاتهام .

٤ — أسهمت أجهزة الإعلام ومختلف وسائل الاتصال فى الحملة التى وُجهت ضد أعداد كثيرة من المواطنين الأبرياء الذين حكم القضاء العادى ببراءتهم بعد أن أهينت كرامتهم واغتصبت أموالهم وانتهكت أعراضهم ، وشوهت سمعتهم على صفحات الجرائد .

٥ — تحت ستار تصفية الإقطاع نهبت منازل ، واختفت أموال ، وسلِبَ الحلى ، وكانت السلطة العليا هى المباحث الجنائية العسكرية التى كانت تتولى عمليات القبض والتفتيش .

٦ — قمتُ بإثارة هذه الموضوعات وغيرها فى اجتماع برئاسة المرحوم المشير عبد الحكيم عامر ١٩٦٦ حضره أعضاء اللجنة العليا لتصفية الإقطاع والمحافظون ، وأمناء الاتحاد الاشتراكى ، ورفض المشير أن تثار مثل هذه الموضوعات فى اجتماع عام ، وطلب منى أن أشرحها له فى مقابلة خاصة خارج الاجتماع ، ولم تتم هذه المقابلة .

٧ — كتبت تقريراً عن حقيقة ما حدث ورفعته للمرحوم الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً ، ولم يقتنع بما جاء فيه مما أثبتَه بعد ذلك القضاء المصرى النزيه ، وكان تعليقه وقتها : يظهر أنك مش عارف اللى بيجرى فى محافظتك .

٨ — صنَّفت الدولةُ المواطنين الذين يجوزاعتبارهم إقطاعيين إلى فئات؛ منها الإقطاعى الزراعى ، والإقطاعى الإجرامى ، وإقطاع النفوذ ، وتدخلت الحزازت الشخصية فى وضع مواطنين تحت الحراسة وهم لا يملكون شيئاً، وتركت مواطنين كانوا يستغلون آلاف الأفدنة لصلاتهم ببعض ذوى النفوذ .

٩ — استغلَّت جهات أجنبية حادث كمشيش ، وعرفت سيارات السلك السياسى طريقها إلى القرية ، ولم يقتنع المسئولون بتحذيرى لهم من عواقب ذلك .

١٠ — تطورت الأحداث كما كنت أتوقع حتى احتلت بعض العناصر نقطة البوليس فى القرية ، وأخذوا أفرادها رهائن ، وضاعت هيبة الحكومة ، وبعد اتصالات على أعلى المستويات ، ومع الرئيس عبد الناصر

شخصياً ، حضر وزير الداخلية ومعه ثلاثة آلاف من قوات الأمن المركزى بسياراتهم المصفحة لتحرير نقطة الشرطة واعتقال الذين احتلوها .

١١ — نتيجة لتصرفات المباحث الجنائية العسكرية وإهانتهم للمواطنين ورجال الدين ، شكا المرحوم الإمام حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر للرئيس من إهدار كرامة الدين ممثلا فى أحد رجال الأزهر — الذى لا يربطه بالإقطاع صلة — مما أدى إلى تشكيل مجلس عسكرى عال برئاسة الفريق أول عبد المحسن مرتجى عقد فى مكتب محافظ المنوفية بعد منتصف الليل ، وحكم بإدانة ثلاثة من أفراد المباحث الجنائية العسكرية فى عملية الإرهاب والبطش التى قاموا بها ضد مواطنين أبرياء .

١٢ — حضرت مع آخرين — فى مكتب السيد/محمد أبو نصير وكان وقتها وزيراً للعدل — مناقشة حول إبعاد أحد المحامين العامين عند التحقيق فى قضية معينة ، وكان تفسير الوزير لإبعاده أن هذا المحامى قانونى « ودغرى » أكثر من اللازم ، والمطلوب فى بعض القضايا السياسية شىء من المرونة ، وكان هذا المحامى العام من بين ضحايا مذبحة القضاة .

١٣ — أثبت القضاء العادل — بتبرئته للمتهمين فى قضية كمشيس رغم كل الضغوط — صحة هذه الوقائع ، وصدّق الرئيس محمد أنور السادات على رفع الحراسات بصورة عامة — بعد ثورة التصحيح — وأمر بإعادة الحقوق إلى أصحابها وإعادة رجال القضاء إلى مناصبهم .

إبراهيم بغدادى

حيثيات الحكم بالبراءة بعد الإدانة :

وننشر فيما يلي وثيقة خطيرة هي حيثيات الحكم بالبراءة فى قضية كمشيش، وقد نشرت هذه الحيثيات فى ١٩٧٤/١١/٩ وتوضح هذه الحيثيات أن الزبانية من رجال التنظيم السرى والمباحث ارتكبوا أقسى الإجراءات ضد المتهمين لينتزعوا منهم اعترافات عن أحداث لم تقع منهم ، ولعل ذلك كان تنفيذاً لتدخل حسين عبد الناصر – شقيق الرئيس ، وصهر المشير – الذى كان له هوى فى هذا الموضوع ، وفيما يلى هذه الوثيقة :

إن جميع المتهمين وجميع الشهود قد لحقهم من التعذيب ما لا يطيقه أحد من البشر ، بعضه تعذيب مادى جسمانى ، وبعضه تعذيب نفسى أشد إيلاماً من التعذيب الجسمانى ، وقد أجمعوا على أن ضباط المباحث الجنائية العسكرية ، وجنودها هم الذين ألحقوا بهم تلك الوسائل من التعذيب ، وأن التعذيب وصل ببعضهم فعــلا إلى الموت ، ولقد قرروا جميعاً أنهم اعترفوا بهذه الأقوال التى انْتُزِعت منهم خوفاً وإجباراً لا طوعاً واختياراً تحت تأثير هذا التعذيب ، بل إنهم بعد نقلهم إلى السجن الحربى وفى أثناء تولى نيابة أمن الدولة العليا للتحقيق معهم كان التعذيب مستمراً ومتوالياً ، لأنهم كانوا فى السجن الحربى بين أيدى ضباط المباحث الجنائية العسكرية وضباط السجن الحربى .

ومن صنوف التعذيب النفسى ما قرره محمود عيسى أنهم أحضروا زوجته وبناته وأمروا زوجته بخلع ملابسها وسروالها وهددوه بهتك عرضها . ثم أحرقوا شاربه وأوسعوه ضرباً بالكرابيج فاضطر إلى الاعتراف على نفسه وعلى عائلة الفقى بأنهم حرضوه على القتل .

ومن صنوف التعذيب ما قرره صــلاح الفقى أنهم أوسعوه ضرباً بالكرابيج والأحذية ، وكانوا يسمحون للكلاب المتوحشة أن تنام معه

فى الزنزانة رقم ٨ بالسجن الحربى ، وكان الكلب يسبقه إلى الأكل والشرب ووصل التعذيب به وبأهله إلى أنهم كانوا يشربون بولهم .

ولقد ثَبَتَ التعذيبُ من تقارير الطبيب الشرعى الذى كشف على كافة المتهمين والشهود .

فبالنسبة لمحمود عيسى قد خلعت بعض أسنانه ، وبه ٢٣ إصابة من ضرب الكرابيج وتخلّفت لديه عاهة مستديمة بيده وبأذنه .

وثبت من الكشف الطبى على عبد الوهاب الهادى من الطبيب الشرعى أنه علق بالفلقة ؛ ووجدت به ١٤ إصابة من الكرابيج .

وأن صلاح الفقى أضحى مريضاً هزيلا من التعذيب حيث كان ينام معه الكلب المتوحش فى زنزانته وكشف عليه الطبيب الشرعى فوجد أن سنّتين قد خُلِعتامن فه ، وكذلك به ٢٠ إصابة من ضرب الكرابيج !! .

والمتهم بسيونى الفقى أثبت الكشف عليه الضرب بالكرابيج ، ونزع بعض أظافره ، ومثله المتهم محمد عرفة عمارة .

وقد أثبت كشف الطبيب الشرعى على السيد عبد الله رمضان الفقى وجود كسر بالأسنان ، وخلع ضرسين وكسر بالناب العلوى ، وكذلك ٢٥ إصابة على الساقين ، والفخذين ،والركبتين ،والمعدة، وجميعها من الكرابيج والضرب . . وكذلك الحال بالنسبة للسيد فراج . . . وهاشم مكاوى الذى فقد أسنانه وضروسه جميعها وضرب بالكرابيج .

وكذلك الحال بالنسبة لعبد القادر حافظ الوكيل ومحمد عبد الرازق العربى اللذين وُجِد بهما نزع بالأظافر .. ،وإصابات عديدة من الضرب بالكرابيج ، وكذلك الحال بالنسبة لأحمد عبد الرحمن رزق . وأما السيد إبراهيم صالح قد ثبت وجود ورم بخصيته وخمس إصابات من الضرب بالكرابيج . . . وأما محمود غازى فقد ثبت ضربه بالكرابيج ووجود كسر بيده .

وقبل أن نثبت الفقرة التالية من فقرات هذه الوثيقة نهتف بضرورة

معاقبة من ارتكبوا هذه الأعمال الوحشية ، ومن تسببوا فيها . أما الفقرة التالية من الوثيقة فتقول :

وحيث أن جميع المتهمين وجميع الشهود قد عدلوا — فى التحقيقات التى أجرتها المحكمة — عن أقوالهم الأولى التى ذكروها من قبل أمام المباحث الجنائية العسكرية ونيابة أمن الدولة ، والتى تتضمن اعترافاً بارتكاب تلك الحوادث بتحريض عائلة الفقى ، ونسبوا هذه الاعترافات إلى صنوف التعذيب سالفة الذكر ، فهى التى دفعتهم إلى أن يعترفوا طلباً للنجاة من الموت والتعذيب . . ذلك التعذيب الذى أودى بحياة آخرين غيرهم .

وليس أدل على كذب الاعترافات وعدم صدقها من أن المحكمة أمرت بضم اعتقال المتهم عبد الجليل شحاته العربى الذى نُسِبَ له مقابلة صلاح الفقى فى منزله ، وأن صلاح الفقى سلمه سلاحاً ليرتكب به حادث القتل ، ثم اتضح أنه يوم الحادث كان معتقلا وفى صميم المعتقل ، وكان من المستحيل أن يرتكب القتل .

وحيث أن الدفاع عن المتهمين جميعاً ممثلا فى السيد الأستاذ عبد العزيز الشوربجى نقيب المحامين السابق وانضم معه كل من السادة : على منصور والطاهر حسن ، ومحمد مسعود وآخرون . . . قد طلبوا من المحكمة عدة مطالب أساسية هى :

١ — الحكم ببطلان إجراءات المباحث الجنائية وتحقيقاتها لأن كل تصرفاتها تصرفات باطلة .

٢ — طلب الحكم ببراءة المتهمين استناداً إلى ما ثبت من تحقق التعذيب الذى وقع عليهم .

٣ — محاكمة من أجروا هذا التعذيب من ضباط المباحث العسكرية وسؤال وكلاء نيابة أمن الدولة عن موقفهم من هذا التعذيب .

وحيث أنه ثبت لدى هذه المحكمة أن ما لحق المتهمين والشهود من التعذيب

مع استثناء المتهم الأول كفيل بأن يؤكد عدم الأخذ بأى أقوال صدرت منهم، ولقد أكد ذلك واقعة ضم اعتقال المتهم عبد الجليل شحاته العربى ، والذى شمله الاعتراف بارتكاب حادث قتل وقع فى ١٩٦٢/١٢/٤ بينما ظهر أن المتهم كان فى المعتقل من ١٩٦١/١١/٢٨ حتى ١٩٦٣/٣/٢٢ .

ومن ثم فإن كافة الأقوال التى أبديت قد جاءت نتيجة إكراه أعدم إرادتهم تماماً، فجاءت أقوالهم لتروى قصة ملفقة إرضاء للقائمين على التعذيب .. الذين ظنوا خاطئين أن الأدلة يمكن أن تأتى عن هذا الطريق فضلوا وضل معهم محققو نيابة أمن الدولة العليا فتاهوا فى متاهات اعترافات خيالية ، وظهرت محاولة اصطناع الدليل الذى كشفته تحقيقات المحكمة والأوراق الرسمية التى أمرت بضمها .

— يضاف لما تقدم ما ثبت فى القضايا المضمومة أن السلاح المستعمل والموصوف على لسان المتهمين والشهود لا ينطبق على الطلقات المستخرجة من الجثث ، ومن أن تقارير الأطباء الشرعيين فى القضايا المضمومة تؤكد أن اتجاه الأعيرة يخالف ما قرره المتهمون والشهود .

لكل هذا وافقت المحكمة على طلبات الدفاع .

بقى عن هذه القضية أن ننقل كلمات للمستشار محمد عبد السلام تلقى مزيداً من الضوء على هذه القضية ، يقول سيادته :

اتصل بى المشير عبد الحكيم عامر بمنزلى وأبلغنى بقتل صلاح محمد حسين ، مبدياً اهتمامه بالموضوع وذكر من أسباب اهتمامه أن القتيل كان صديقاً شخصياً لأحد أصهار المشير ، وأن قاتليه هم إقطاعيون من عائلة الفقى، وانتقلت بنفسى لأشرف على التحقيق . وتبينت أن القتل وقع لدوافع شخصية بحتة . وأنه لا صلة له بالإقطاع(١) .

وهكذا كان قتل شخص منحرف ، شيوعى متطرف ، عدوانى ، سبباً فى إحداث هذا الزلزال العنيف الذى أصاب عشرات الرجال والنساء والأطفال .

---

(١) سنوات عصيبة ص ١٤٥

مستشفى الأمراض العقلية للمخالفين

شهد عام ١٩٦٦ نوعاً جديداً من جور نظام عبد الناصر فقد وصلت القسوة والوحشية مداها حين اتجهت القلوب الجاحدة إلى اتخاذ مستشفى الأمراض العقلية مكانا يلقى فيه الأبرياء عندما يحتجون على شيء أو يعترضون على تصرف ، وعندما أثارت مجلة آخر ساعة هذا الموضوع فى مطلع عام ١٩٧٤ اتجهت العدالة إلى هذا المستشفى وأخرجت منه مجموعة من الأبرياء بعد أن مسهم الضيم الشديد ، وبعد أن عدوا مجانين عدة سنوات ، وقد تألفت لجنة من أعضاء مجلس الشعب لبحث هذه المأساة ، وتقول صحيفة الأخبار الصادرة فى ١٩٧٤/٤/١٨ أن موسيقيا بهيئة السينما والمسرح تقدم عام ١٩٦٦ بشكوى يطلب تثبيت زملائه العاملين بعقود مؤقته ففصلته الهيئة ، وعندما تظلم أدخلته مراكز القوى مستشفى الأمراض العقلية حيث أمضى خمس سنوات.

(١) انظر عدد آخر ساعة ، وعام صحيفة الأخبار .

الإنسان بضاعة فى طرد

وشهد عام ١٩٦٦ شيئا عجبا ، فإن عصابة السوء بمصر لم تكن تستطيع أن تحتمل أى نقد أو اعتراض ، وكانت مستعدة أن ترتكب أقسى الجرائم للتغلب على المعارضين ، ولكن ما العمل إذا كان المعارض قد استطاع أن يفلت من قبضتهم ويترك مصر ليعيش فى قطر آخر ؟

إن ولاة الأمر فى مصر آنذاك كدحوا فكريا ، واستعملوا كل مواهبهم للقبض على هذا الذى خدعته نفسه فظن أنه بمنجى من قبضة الأشرار أعداء الإنسانية .

وللقبض على مصرى بإيطاليا مثلا بهذه التهمة يتحتم إنفاق أموال الشعب المصرى بسخاء وبذخ ، فالزبانية يُـرْسَلون إن ايطاليا ، ويتنكرون أو يتصلون بوسيلة ما بأصدقاء هذا المصرى ، ويرتكبون حماقات متعددة ، وحيلا كثيرة يستطيعون بها أخيرا أن يلتقوا بهذا الإنسان بمنأى من الناس ، وهناك يَسْقونه دواء مخدرا أو يعطونه بعض الحقن المخدرة طويلة المفعول ، فإذا تم لهم ذلك وضعوه فى صندوق على أنه بضاعة ديبلوماسية تابعة للسفارة يراد إرسالها إلى مصر بطريق السرعة ويدفعون أغلى الأجور لأسرع طائرة تقوم من هناك أو يسخِّرون لذلك طائرة مصرية ، وتقول الأنباء إنه حدث مرة أن زال تأثير المخدر قبل الوصول إلى الهدف فتحركت البضاعة وكانت فضيحة .

إننا باسم الانسانية نطالب بالتحقيق فى هذه الأمور ، ولا يمكن أن يكون كل الذين ارتكبوا كل هذه الجرائم قد ماتوا جميعا ، فلابد من مساءلة الأحياء ؛ ولابد أن ينسب للأموات ما ارتكبوه من خير أو شر فذلك هو دستور السماء «كل نفس بما كسبت رهينة » صدق الله العظيم .

وبعد ، إن مؤلفى الأفلام والمسرحيات التى تصف ماعانته الشعوب من ظلم المستعمرين والمستبدين سيجدون فى هذه الفترة مادة خصبة قلَّ أن وُجدت فى عهد من العهود .

حوادث سنة ١٩٦٧

عام ١٩٦٧ عام الخسارة الفادحة التى حلت بمصر بسبب جهل الحكام وانصرافهم عن الواجب إلى الباطل ، وبسبب أنهم بدل أن يستعدوا لمقابلة العدو الرابض على الحدود وجهوا كل جهودهم لقتل الشعب الآمن الأعزل داخل البلاد :

صحيح أن حرب ١٩٦٧ أنقذت البلاد من حكم الطغيان الذى انهار فى دقائق أمام زحف العدو ، ولكن الشعب هزته الهزيمة وأحزنته ، فبلادنا عندنا أغلى من أشخاصنا ، ولهذا كنا نرجو أن ينتصر أعداء الشعب على أعداء الوطن ، ولكن ساعة هؤلاء الطغاة كانت قد حانت فدمرهم الله فى هذه الحرب وكتب انتصارنا على يد أخرى بعيدة عن أن تدنسها دماء المواطنين الأبرياء .

على أن هناك بعض موضوعات ارتبطت بعام ١٩٦٧ وسبقت فى حدوثها تلك الغارة الإسرائيلية التى حرقت القش الذى كان يسمى نفسه نظاما ، وسنلم أولا بهذه الموضوعات ثم نتجه للحديث عن حرب سنة ١٩٦٧ .

عبد الناصر وملوك العرب

لا نجد أوضح من كلام عبد الناصر نفسه دليلا على موقفه من ملوك العرب ورؤسائهم ، ولا نجد وثيقة أدق فى تسجيل هذا الكلام من « نشرة الوثائق» وهى نشرة رسمية يصدرها مركز الوثائق والبحوث بمصلحة الاستعلامات بالقاهرة ، وبين يدىّ عددٌ من هذه النشرة وهو العدد الثانى من السنة الخامسة عشرة ، ويحمل وثائق الفترة من يناير إلى يونيو سنة ١٩٦٧ وعلى هذا شمل هذا العدد خطاب جمال عبد الناصر الذى ألقاه فى عيد الوحدة (٢٢ فبراير سنة ١٩٦٧) ونُـشِر بهذه النشرة (صفحة ٢٢ – ٣٧) ولست أستطيع أن أنقل ما جاء فى هذا الخطاب ضد الزعامات العربية ورؤساء العرب وملوكهم لقسوة الكلمات التى استعملها عبد الناصر ضد هؤلاء الملوك والرؤساء، ولخروجها تماما عن المألوف وعن الآداب العامة ، ليس فقط بالنسبة للملوك والرؤساء ، وإنما أيضاً بالنسبة للطبقات الأخرى فى الجماهير ، وكل ما أستطيع أن أورده هنا هو لقطات سريعة مقتبسة من هذا الخطاب فصّلها جمال عبد الناصر تفصيلا واسعا :

– رجعية فى الأردن ورجعية فى العراق .

– الوحدة التى تمت بين العراق والأردن كانت زيفاً خلقها الاستعمار.

– ثورة اليمن هزت الرجعية السعودية ولخبطت كيانها .

– الحكم الأردنى العميل والحكم السعودى الرجعى .

– العملاء يحاولون ضرب المبادىء الثورية التقدمية التحررية .

– الخواجة بورقيبة عميل استعمارى ، وهو ملحـوس ، وساعات تجىء له لحسة .

– شتمنا عملاء أمريكا فقطعت أمريكا عنا معونة القمح التى كانت تقدمها لنا كل عام بما قيمته ستون مليون جنيه .

— غضب الأمريكان علينا لأننا شتمنا أبو ذقن (فيصل) .

— فيصل وحسين خدمٌ لأمريكا وانجلترا ، وخدمٌ للاستعمار .

— الملك حسين لايخدم الإسلام ولا المسلمين ولا العرب ولكن بيخدم أمريكا ويناسب انجلترا .

— سلاطين المحميات رضوا بالخضوع والاستسلام .

— ملك الأردن وملك السعوديه والخواجة بورقيبة ماشيين لتحقيق أهداف الاستعمار ، والمخابرات الأمريكية بتشتغل معاهم همه الثلاثة .

— القوى الرجعية والانجليز محروقين علشان هايسيبوا عدن ، وهايسيبوا الجنوب العربى واحنا وراهم لغاية ما نطلعهم .

— الملك حسين فاجر غادر خائن بالوراثة .

— الملك فيصل يدفع الملايين لوكالات الأنباء لتدافع عنه ، هو بيدافع عن رقبته ، حايخسر المعركة ، حايخسر رقبته ، حايخسر كل حاجة .

— بيقولوا إن عبد الناصر أعطى قاعدة السلوم للروس . . يتفلقوا مابيهمناش كلامهم .

— إذاعة السعودية بتقول إن المصريين جاعوا فى عهد الاشتراكية وهو كذب .

الظروف التى ضلَّلت بعض الإخوة العرب

هناك موضوع مهم يرتبط بموقف عبدالناصر من ملوك العرب ورؤسائهم وذلك الموضوع هو إعجاب الكثيرين من العرب بعبد الناصر ، وقد زرت كثيراً من البلادِ العربية ، واستقبلت فى القاهرة أعداداً وفيرة من العرب الوافدين على العاصمة المصرية ، ورأيت وسمعت هنا وهناك تصفيقاً وتقديراً وإعجاباً بعبد الناصر ؛ مع أنهم كانوا يرون ما نعانى ، ويرون تهافت شبابنا

على الهجرة الدائمة أو الهجرة للعمل فى بلادهم ، ويرون الفارق الكبير بين حياة الحرمان التى نعيشها وحياة الترف التى تشمل كل البلاد العربية تقريباً ، حتى كان بعضهم يعيّرنا بأننا أكلةُ الفول والطعمية ، وهم أكلة مالذ وطاب ، ومع أنهم سمعوا عن كبت الحريات ، وعن السجون والمعتقلات .

ما الظروف التى ضلّلت هؤلاء الأخوة العرب ؟

ولماذا تخلّوا عنا فى محنتنا الداخلية وصفقوا لمن عذبنا ؟

هذا ما سنجيب عليه فيما يلى :

أولا : الهجوم على الملوك والرؤساء العرب :

من الأسباب التى كانت شديدة التأثير على الإخوة العرب أن عبد الناصر هاجم أكثر الملوك ، والرؤساء العرب كما رأينا آنفا ، وطبيعى أن كثيرين من الناس فى البلاد العربية ارتاحوا لهذا الهجوم لأنه كان تنفيساً عن أشياء فى نفوسهم ضد هؤلاء الملوك والرؤساء .

وتعليقنا على موقف عبد الناصر أنه أضعف الجبهة العربية ، وكان من أسباب الهزيمة ، وقد تخلى عنه عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وبعد تقديم الدعم الذى تطوعت بعض الدول العربية بدفعه ؛ ومعنى هذا أن الهجوم على الملوك والرؤساء العرب لم يكن له أساس صحيح ، وأنه كان من الممكن أن يُشْتَرى بالمال .

ثانياً : الهجوم على الاستعمار ودراسة حوله :

وهناك سبب آخر كان شديد التأثير فى الإخوة العرب كذلك ، ووثّق الصلة بينهم وبين جمال عبد الناصر ، وهو أن عبد الناصر أطلق لسانه بحدة ضد الدول الغربية وكان هناك خوف وكَبْتٌ لدى الجماهير العربية فى هذا المجال فلما انطلق عبد الناصر يسخر من أمريكا ، ويلعن إنجلترا ، ويقلل من شأن ألمانيا ، ولما انطلق يدعو هؤلاء وأولئك ليشربوا من البحر الأبيض أو الأحمر ،

كان عبد الناصر بذلك ينفس عن الجماهير ، ويعبر عما فى نفوسهم ، فأصبح بذلك لسانهم الناطق وكلمتهم المعلنة .

وفى هذا المجال نذكّر الذين أعجِبوا بهذا الموقف من عبد الناصر بحقيقتين هامتين :

أولاهما : أن كثيرين من الزعماء المصريين سبقوا عبد الناصر فى الهجوم على الاستعمار ، ولكنه كان هجوماً منظماً مهذباً ، ومن هؤلاء المرحوم محمود فهمى النقراشى الذى صرخ فى مجلس الأمن فى الأربعينات قائلا عن الإنجليز إنهم قراصنة ، ومن هؤلاء الزعيم مصطفى النحاس الذى ألغى معاهدة سنة ١٩٣٦ قائلا « لقد أمضيت هذه المعاهدة ويقتضينى واجبى أن ألغيها » وأوقف كل عون وكل يد عاملة عن الجيش الإنجليزى ، ووظّف كل عمال القناة ليجدوا لهم بديلا عن العمل لدى قوات بريطانيا ، وأطلق الفدائيين يهاجمون جنود الاحتلال ، فزعزع وجود الإنجليز فى القناة .

ثانيهما : أننا دفعنا الثمن غالياً لموقف عبد الناصر وهجومه الهجمى على الدول الكبيرة ، وكان من ذلك تلك الحروب التى دمرت حياتنا ، وكان منها توقف كثير من المصانع لعدم ورود أجهزتها من ألمانيا وغيرها .

ثالثاً : قسوة عبد الناصر كانت على الشعب المصرى :

ومن الأسباب التى كانت شديدة التأثير على الإخوة العرب أنهم لم يمسسهم سوء من عبد الناصر ، وربما مسّ الخيرُ بعضهم ، فلقد كان عبد الناصر قاسياً على المصريين ومدمراً لحياتهم ، ولكن نفوذه فى هذا المجال لم يتخط حدود مصر ، وفى نفس الوقت أنفقت مصر بسخاء على كثيرين من الوافدين العرب وبخاصة أولئك الذين لهم صلة بالإعلام والدعاية لتشترى للرئيس بعض الأقلام .

ولا شـــك أن الإخوة العرب سيعودون إلى الحق يوم يتعرفون على عبد الناصر بفكر محايد وبصيرة نافذة .

كارثة يونيو

كارثة يونيو سماها عبد الناصر نكسة، ثم شاع هذا الاسم بعد ذلك، ولكن الحق إنها كارثة وفجيعة ومأساة لم نعرف لها فى تاريخ الحروب مثيلا ، وأنا كباحث فى التاريخ أعرف أن الهزيمة والنصر محتملان، ولكنى لاأعرف أبدا زعيما دفع جيشه إلى معركة لتستمر ثلاث دقائق بالضبط ثم ينتهى جيشه ، ويصبح الطريق إلى العاصمة مفتوحا دون جندى واحد يزود عنها كما اعترف هو بنفسه! ، هذا ما لم يعرفه التاريخ على الاطلاق .

لماذا اندفع عبد الناصر إلى المعركة ودفع جيشه لها ؟

لماذا ضحى بكل شىء بدون استعداد ومقدرة على إدارة المعركة ؟

لماذا كرر الاندفاع ثم الانسحاب كما حدث سنة ١٩٥٦ ؟

لقد اعترف عبد الناصر أنه المسئول ، ولكنه اعتراف بالكلمة فقط فهو لم يقم بمسئولياته على الإطلاق .

وهناك نقطة أخرى نعجل بها هى أن الدعاية التى أشاعها عبد الناصر قبل يونيو عن مقدرته على ضرب إسرائيل والثأر لهجماتها السابقة علينا، هذه الدعاية كانت شديدة التأثير على المصريين ، مما جعل جميع المواطنين بلااستثناء تقريبا يلتفون حول عبد الناصر حتى أولئك الذين مسهم الضر منه ، إنه شعور نبيل من هذا الشعب أن ينسى جراحه وآلامه من أجل بلاده ، ولنعد لهذه الحرب لنروى أحداثها كما سجلتها دقيقة إثر دقيقة .

يوميات حرب يونيو ١٩٦٧

فى شهر مايو سنة ١٩٦٧ وخلال الأيام التالية له من شهر يونيو الحزين، حدثت تلك الكارثة الكبرى ، وتلك الهزيمة القاسية ، التى لاتزال حديث الناس ، وفى يوميات محددة يمكن أن نستعرض أبرز هذه الأحداث :

الجمعة ٧ إبريل :

قامت إسرائيل بغارة على سوريا انتقاماً لما أنزله بها الفدائيون العرب القادمون من الأرض السورية ، ثم أبلغ السوفييت عبد الناصر أن إسرائيل حشدت عشر لواءات على حدود سوريا لغزوها وكان الاتحاد السوفيتي يقصد من ذلك توريط جمال عبد الناصر ودفعه إلى المصير الأسود ، وقد وقع عبد الناصر فى الفخ وتورط كما سنرى، كأنما كان ينتظر ذلك العمل الأحمق من إسرائيل ليقضى عليها قضاء تاماً كما فهم من تصرفاته وتصريحاته آنذاك .

الاحد ١٤ مايو :

أصدر جمال عبد الناصر أوامره لقوات مصر أن تزحف لسيناء ؛ وكانت سيناء منزوعة السلاح تقريباً منذ ١٩٥٦ كما يقول الدكتور هنرى كيسنجر فى مذكراته « سنوات البيت الأبيض » التى نشرتها صحيفة الأخبار فى نوفمبر سنة ١٩٧٩ ، ومن العجيب أن عبد الناصر سمح لأجهزة التليفزيون أن تصوّر الجيش ومعداته عند الزحف ، وأن هذا « الفيلم » بيع لدول كثيرة ، وهذا منتهى الجهل ، الزحف كان ينبغى أن يكون خفية بقدر الإمكان .

الاثنين ١٥ مايو :

طلب عبد الناصر من السكرتير العام للأمم المتحدة إنهاء عمل قوات الطوارئ الدولية فى الأرض المصرية ؛ تلك القوات التى اتخذت أمكنتها منذ سنة ١٩٥٦ ، ولم يكن أكثر المصريين يعرفون أن قواتٍ دولية تعيش على أرضهم ، وقد استجاب السكرتير العام للأمم المتحدة لهذا الطلب ، وسحب قوات الطوارئ الدولية ، إذ أن قبول الدولة المضيفة شرطٌ لبقاء هذه القوات .

- وما أن سُحبت هذه القوات حتى أخذت القوات المصرية تحتل مواقعها، ومن ضمنها موقع شرم الشيخ الذى يشرف على مضيق تيران، ويسيطر على الملاحة فى خليج العقبة وتأزمت الأمور بذلك تأزماً شديداً .

السبت ٢٠ مايو :

أعلن يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة أنه سيحضر للقاهرة لمحاولة الوصول بالأزمة إلى تسوية .

الثلاثاء ٢٣ مايو :

قطع جمال عبد الناصر خيط الأمل ، ولم ينتظر وصول السكرتير العام ، وأصدر قراراً بإغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية ، وأمام البضائع الاستراتيجية المتجهة إلى إسرائيل ، حتى لو كانت على ظهر بواخر غير إسرائيلية ، وأعلن أن ذلك عودة لما كانت عليه الأمور قبل عدوان ١٩٥٦ .

— أحدثت هذه التصرفات هلعاً فى العالم، وتمّ اجتماع عاجل بين ويلسون رئيس وزراء بريطانيا وجونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، واتضح من الاجتماع إصرارهما على مناصرة إسرائيل علناً، وفتح خليج العقبة ولو بالقوة أمام الملاحة الإسرائيلية ، وقد علق جمال عبد الناصر على موقف أمريكا وبريطانيا بقوله : أمريكا هى إسرائيل ، وإسرائيل هى أمريكا ، وبريطانيا تابعة لأمريكا .

وفى تعليق موجز على هذه النقطة نقرر الدهشة لمن يدرك هذه الحقيقة ثم يتصدى لصراع ضد هذه الدول ، وليس من يفعل ذلك إلا كمن يرى أن من الشجاعة أن يتصدى لأسد هصور فيفتك به الأسد .

ونذكّر القارىء بأن الاتحاد السوفيتى بمكانته وقوته وجبروته تراجع أمام أمريكا فى قضية الصواريخ فى كوبا ، ولم يقبل مواجهة أمريكا ، وفكّ الصواريخ بإشراف أمريكا وعاد بها أدراجه ، ولكن جمال عبد الناصر لم يشأ أن يتراجع ولم يعط فرصة للوساطة ، مما جعلنا نظن أن فى يده عصا سحرية يحقق بها ما يشاء دون تردد أو خوف .

الاربعاء ٢٤ مايو :

وصل يوثانت إلى القاهرة ، والتقى بجمال عبد الناصر التقاء طويلا مساء ذلك اليوم ،حيث شرح الرئيس للسكرتير العام أسباب ما قام به من تصرف ، ولـكن اللقاء لم يكن مثمراً لأن الرئيس لم يدع فرصة لتحقيق حل وسط .

ثم أذاع يوثانت تقريره ، وهو تقرير عادل إلى حـد كبير ، وردّ بوضوح على الذين اعتقدوا أنه تسرّع فى الاستجابة لمصر عند ما سحب قوات الطوارىء ، وأعاد جذور الخلاف إلى مدى أبعد من سحب قوة الطوارىء وقفل خليج العقبة ، فتحدث عن أعمال التخريب وحقوق الزراعة فى المناطق المتنازع عليها فى المنطقة المنزوعة السلاح بين سوريا وإسرائيل ، وذكر أن جذور الخلاف أبعد جداً من هذا المدى أيضاً، إنها ترجع إلى قيام إسرائيل ، وطرد العرب ، وعدم الاستماع لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين ، وكثرة الاعتداءات الإسرائيلية على كل جيرانها العرب .

الخميس ٢٥ مايو :

وصل شمس بدران وزير الحربية المصرى إلى موسكو فى مهمة سرية، أشعلت الاتجاه للحرب ، فأذاعت إسرائيل أن الحرب أصبحت وشيكة الوقوع ، وأمرت أمريكا رعاياها بالرحيل عن مصر وإسرائيل فوراً ، وفى الاتحاد السوفييتى سئل شمس بدران عن موقف مصر من الاسطول السادس الأمريكى ، فأجاب لدينا مايدمره !!!

الجمعة ٢٦ مايو :

أعلن عبد الناصر فى خطاب له أمام قادة العمال العرب قوله « إننا سندمر إسرائيل إذا بدأتِ بالعدوان » وأضاف « إننا كنا نستعد بحيث إذا دخلنا معركة نكون واثقين من النصر ، ونحن نشعر الآن بأن قوتنا كافية ، وأننا إذا خضنا معركة مع إسرائيل فإننا نستطيع أن ننتصر ، وأعلن أن عنده تفويضاً من اللجنة التنفيذية العليا بتنفيذ هذه الخطة حسب الوقت المناسب » .

الاحد ٢٨ مايو والمؤتمر الصحفى :

— فى هذا اليوم عقد الرئيس جمال عبد الناصر مؤتمراً صحفياً حضره عدد كبير من الصحفيين من مختلف بقاع العالم ، وقد استهله الرئيس ببيان تمهيدى وضّح فيه أن المشكلة التى يعيشها العالم ليست مشكلة مضايق تيران ، وليست مشكلة سحب قوات الطوارىء الدولية ، فهذه عوارض طارئة لمشكلة أكبر وأخطر ، هى مشكلة العدوان الذى وقع ولايزال واقعاً على وطن من أوطان شعوب الأمة العربية فى فلسطين ، وما يعنيه ذلك من تهديد قائم باستمرار ضد أوطانها جميعاً ، وذكر الرئيس أن الاستعمار خلق إسرائيل ودعمها وشجع عدوانها حتى ضــد مبادىء وقرارات الأمم المتحدة ، واستعملها أداة للعدوان فى عدة مناسبات ، وأضاف أنه الآن مستعد لاسترداد حقوق العرب .

وبعد البيان التمهيدى سئل الرئيس عن احتمال مساعدة الولايات المتحدة لإسرائيل بسبب إغلاق مصر للمضايق ، فكانت إجاباته مثيرة وبعيدة عن الديبلوماسية ، وفيما يلى خلاصتها :

— إذا قامت حرب بين إسرائيل وحدها وبيننا وحدنا فإنها يمكن أن تكون مقصورة على الشرق الأوسط وحده .

— الدول الكبرى لا تقرر لنا مصيرنا ولسنا تحت وصاية أحد .

— إن أمريكا انحازت انحيازاً كاملا لإسرائيل ضد العرب ، ولقد قرأتُ اليوم تصريح نائب الرئيس الأمريكى الذى يتحدث فيه عن إسرائيل « كمنارة للدنيا » وكل ذلك فى سبيل الأصوات وعلى حساب المبادىء .

— كنا نتصور يوماً أن أمريكا سوف تكون سنداً لحركات التحرير ، ولكنها تحولت إلى قوة راغبة فى السيطرة والحكم ، وتتصور أنها تستطيع أن تخط أقدار الشعوب ، وهى تقف ضد الأمة العربية مائة فى المائة .

— إن الضجة التى تثار الآن حول سحب قوات الطوارىء وإغلاق خليج

العقبة أمام إسرائيل ضجة مصطنعة تثيرها الولايات المتحدة الأمريكية تشجيعاً ودعماً للعدوان الإسرائيلي . . . وهذه الأشياء كلها من آثار مؤامرة السويس صححناها وأعدناها إلى وضعها السليم ونحن نستطيع ذلك اليوم .

— إن مضيق تيران عرضه ثلاثة أميال أو أربعة ، والقسم الصالح للملاحة فى عرضه ميل واحد ، ومصر على جانبى مضيق (تيران — شرم الشيخ) فمياهه مصرية مائة فى المائة :

— لا يمكن أن يبقى العدوان الصهيونى على أرضنا ، لقد ذهب الاستعمار الصليبى ، ولم يبق منه إلا أطلال أثرية يزورها السياح .

— إننا لا نقيم حساباتنا على احتمال التدخل الأمريكى عسكرياً ، وإذا وقع ذلك فإننا سنقاوم وندافع عن حقوقنا وسيادتنا ، ونحن لانخاف جنرالات أمريكا ، ولا نخضع لتهديد أمريكا ، لأن ذلك معناه التخلى عن حقوقنا .

— نحن لا نريد أن تحدث مواجهة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ، فإن مثل هذه المواجهة سوف تكون حرباً نووية وذلك أمر لا نتصوره ولا نتمناه .

وتعليق قصير هنا يتحتم علينا أن نثبته وهو أن هذا الكلام يمكن أن يصدر عن إنسان يملك إحداث هذه المواجهة ، فإذا لم يملك ذلك فإن هذا الكلام يصبح لا مدلول له ، وقد هاجمتنا إسرائيل وأيدتها أمريكا ولم يتحرك الاتحاد السوفيتى مما يدل على أن هذا الفكر كان لغوا .

— نحن متأثرون من موقف كندا وموقف رئيس وزرائها الذى حصل على جائزة نوبل للسلام ، وهو الآن يؤيد العدوان ويتحيز ضدنا ، ويتواطأ مع السياسة الأمريكية .

— إذا كانت الحرب مع إسرائيل وحدها فسوف تظل قناة السويس مفتوحة ، وأما إذا كانت الحرب مع غير إسرائيل فلن يستطيع المعتدون أن يمروا من قناة السويس .

— لا أوافق على تدمير المصالح والمنشآت الأمريكية بالبلاد العربية فى حالة العدوان ، ولقد رحبت باقتراح وزير خارجية الكويت الذى أكد فيه أن الكويت سوف توقف تدفق البترول إذا حدث شىء ، ونحن فى انتظار موقف السعودية ، وعلى أية حال فإن أى بلد عربى تتأخر حكومته عن أداء دورها فإن المسئولية تنقل إلى الشعب فتتصرف جماهيره بوحى ضميرها القومى .

وهنا أيضاً مكان لتعليق ضرورى هو :

هل كان عبد الناصر يملك تدمير المصالح والمنشآت الأمريكية بالبلاد العربية ؟

وهل كانت الشعوب العربية تتخطى حكامها لتأتمر بأمره ؟

وأليس فى هذا الكلام ما يفيد إثارة الشعوب العربية ضد حكامها ؟

وبعد ذلك سُئل جمال عبد الناصر عما إذا كانت صحته تحتمل خوض معركة جديدة بالإضافة إلى ماعاناة من معارك ؟ فأجاب بأنه يستطيع ذلك ، وأنه ليس « خرع » مثل إيدن رئيس وزراء بريطانيا أيام العدوان الثلاثى الذى لم يحتمل نتيجة الحرب التى أعلنها .

وسُئِل عما إذا كان الاقتصاد المصرى يحتمل الصمود لمعركة ؟ فأجاب : إن اقتصادنا متين ، والصحفيون الأجانب يمكن أن يشاهدوا آثار ذلك فى حياتنا اليومية ، وقال : ألا يأكل هؤلاء الكباب والكفتة فى بلادنا ؟

الاثنين ٢٩ مايو :

بدأت جلسات مجلس الأمن بعد تقرير أوثانت ، وقد طلبت مصر من المجلس ألا يقصر بحثه على مضيق تيران ، وأن يبحث المشكلات الأخرى حول فلسطين وأن يبحث كذلك اعتداءات إسرائيل المتعددة .

الثلاثاء ٣٠ مايو :

حضر الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية إلى القاهرة ، ووقع مع الرئيس جمال عبد الناصر اتفاقية للدفاع المشترك .

الاحد ٤ يونيو :

انضمت جمهورية العراق لاتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والأردن .

مشاعر الناس حتى الرابع من يونيو :

وقبل أن أصل إلى الخامس من يونيو لا بد أن أقف وقفة أصور فيها مشاعرى ومشاعر الناس حتى الرابع من هذا الشهر .

والحق أن وسائل الإعلام هوّنت علينا كل شىء ، وكان تأثرنا باتجاهاتها شديداً ، حتى أننا أحسسنا أن جمال عبد الناصر فى يده أقدار الأرض ، فقد استهان بجنرالات أمريكا وبقوة بريطانيا ، وسَخِر من كندا ، فلا بد أنه واثق من قوته وكان هو يعلن هذه الثقة بنفسه ، وكانت « تل أبيب » على كل لسان كهدف يسعى له الثائرون ، ويلتقى فيه المناضلون ، وقد أطمعنا فى ذلك أن الرئيسَ رجل عسكرى ومعه نائبه ومشيره وهو عسكرى كذلك ، وكانت القوة المصرية تُستعرض فى المناسبات فيمتلىء الجو بأزيز الطائرات وجلجلة الدبابات ، وكان قادتنا يكررون أننا نملك الصواريخ ، وأن لدينا أعظم قوة ضاربة فى الشرق .

وحتى أولئك الذين مسّهم الضر من حكم عبد الناصر صّفقوا له قبل الخامس من يونيو ، فإذا كان عبد الناصر سيثأر لنا من إسرائيل ، وسيهدُ جبروت إسرائيل ، فإن كل خطيئة له تُغفر ، وكل ذلة تنسى .

وأشهد لقد رأيت الشبان يتهافتون على السفر إلى سيناء ليكون لهم شرف الزحف إلى تل أبيب ، ورأيت الكهول والشيوخ وقد تجدد فيهم الشباب ، وراحوا يصفقون للرجل الذى بعثته الأقدار ليقود نضال العرب ، وارتبط فى أذهان المثقفين اسم الناصر صلاح الدين باسم ناصر الجديد ، ولم يكن الشعب وحده هو الذى خُدِع بالضجيج ووسائل الإعلام ، بل إن كثيراً من الدول وقعت فى هذه الهوة كذلك ، فلم يكن الملك حسين ليغامر بدولته وجيشه لولا أنه خُدِع فى قوتنا الضاربة كما خُدِعت الجماهير .

الخامس الحزين والمعركة الخاسرة :

ومرت الأيام قبل الخامس من يونيو ونحن فى فرح وبهجة وأمل عميق ، ليطلع علينا يوم الاثنين الخامس الحزين بتحول مرير ، ففى صبيحة ذلك اليوم ، استيقظ الناس على أنباء ببدء الحرب ، وكانت إسرائيل قد قامت فى الصباح الباكر بهجوم سريع بالطائرات ، واتخذت المطارات المصرية هدفاً لها ، ويقال إن رجال الطيران كانوا فى حفل راقص مساء هذا اليوم بإنشاص امتد بهم حتى خيوط الفجر ، فلما أووا الفراش انطلقت إسرائيل فدمرت المطارات والطائرات وهى رابضة فى أمكنتها ، وقد تم ذلك فى سرعة مدهشة ، وكان نذير سوء ترك البلاد تحت رحمة العدو .

وعندما تعطل سلاح الطيران المصرى أصبح الزحف الإسرائيلى على مصر آمناً فاجتاحت جيوش العدو سيناء ، وكان من الممكن أن تدور معارك رهيبة بين الجيش المصرى بسيناء وبين المهاجمين ، ومن المعروف أن قوة الطيران تضعف فى حالة الاشتباك ، ولكن جمال عبد الناصر لم يكلف جيش

إسرائيل مئونة الاشتباك ونتائجه ، إذ أصدر أمراً لجيوشنا فى سيناء بالانسحاب فكان ذلك فرصة انتهزها العدو ، فراح يضرب المنسحبين دون رحمة ، وانهارت الجبهة المصرية فى سرعة عجيبة وحُسبت تلك هزيمة على جيشنا مع أن هذا الجيش لم يدخل معركة حقيقية ولم يقابل العدو فى صراع ، ولكنه كان ضحية القيادة التى جانبها التوفيق تماماً ، وقد قال موشى ديان تعليقاً على النصر الذى أحرزه دون قتال : إن ما حققناه من نصر كان أكثر جداً مما تمنيناه ، ولو أن أكثر أعداء مصر قد وضع تخطيطاً لسحق جيش مصر ما استطاع أن يحقق ما حققته سياسة جمال عبد الناصر .

ويتسائل الناس : هل كان زحفنا إلى سيناء تخطيطاً مدروساً أو كان مجرد مظاهرة ؟

إن تصرف جمال عبد الناصر عقب تأميم القناة فى سنة ١٩٥٦ يشبه تصرفه فى مايو ١٩٦٧ ، فكلاهما اندفاع بدون خطة ، ودفع للجنود والمعدات بدون نظام ، وبشكل يسميه الأستاذ توفيق الحكيم « التهويش [١] » وفى كلتا الحالتين لم يُجْد التهويش شيئاً ، وأسرع جمال عبد الناصر يصدر أوامره بانسحاب الجيش ، ولكن الانسحاب سنة ١٩٥٦ حماه الأمر الذى أصدرته أمريكا ضد المعتدين ، فسرعان ما أصدرت أوامر لانجلترا وفرنسا وإسرائيل بالانسحاب العاجل ، واستسلمت القوى المعتدية أمام زمجرة أمريكا ، وما إن انسحب المعتدون تحت ضغط أمريكا حتى انطلقت أبواق الدعاية عندنا تهتف بانتصار مزعوم حققناه ، ويبدو أن قادتنا وقعوا فى شبكة الخديعة التى نصبوها للجماهير فاعتقدوا فعلا أنهم انتصروا ، وحاولوا تكرار التهويش سنة ١٩٦٧

ولكن الحال هنا كان مختلفاً ، فإن سخرية جمال عبد الناصر بأمريكا

---

(١) عودة الوعى ص ٥٥

وجنرالات أمريكا جعل هذه الدولة تتمادى فى تأييد إسرائيل وبالتالى يطول بقاء إسرائيل فى بلادنا الحبيبة .

لقد كان قرار عبد الناصر بالانسحاب قراراً بالهزيمة، وقراراً كذلك بتسليم الأسلحة الضخمة إلى العدو ، وبسبب الزحف بدون نظام والانسحاب بدون نظام ضاعت أسلحتنا وسقط رجالنا بعامل الجوع والجهد والعطش ، كما سقطوا برشاش العدو والمواد الحارقة التى ألقاها العدو على المنسحبين والعائدين.

والعجيب أن الهزائم فى سيناء كانت تتم ، وإذاعات مصر سادرة فى ضلالها ، بناء على تعليمات القيادة الخداعة ، وفى مرة قال عبدالناصر لعامر: اذكر أىّ شىء للشعب لأنه متلهف على الاخبار فقال عامر : قولوا للصحافة إننا أسقطنا ٢٠٠ طائرة إسرائيلية. فقال عبد الناصر : خليهم ١٠٠ ، وهكذا كانت القوة المصرية تنهار بينما تذيع الإذاعة أننا أسقطنا المئات من طائرات إسرائيل وأن انتصارنا حق لاشك فيه ، ويقول الرئيس أنور السادات فى مذكراته بلاغاتنا العسكرية سنة ١٩٧٣ كانت فى غاية الدقة ، ولم تكن مثل بلاغات سنة ١٩٦٧ التى لم تكن سوى ادعاءات باطلة تشغل الرأى العام عن الحقيقة المرة أطول فترة ممكنة .

ويقولون عن هذه الحرب إنها حرب الأيام الستة ، والواقع أن الجبهة المصرية انهارت فى ساعات ، وسرعان ما احتل العدو سيناء وغزة، ثم راح بعد ذلك يزحف على الضفة الغربية للأردن فاستولى عليها ، كما استولى على مرتفعات الجولان جنوبى سوريا ، وكان انهيار مصر من أهم ما قضى على جبهة الأردن والجولان .

ويتحدث كيسنجر فى مذكراته (سنوات البيت الأبيض) عن هذه الحرب ودور السوفييت فى إشعالها ، وظن عبد الناصر أنه يستطيع أن يحقق دوراً بطولياً بالكلمات لا بالحرب ، وفيما يلى كلمات كيسنجر :

« تحذير كاذب : فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، تمددت إسرائيل عبر حدودها فى ذروة من سلسلة أحداث متعاقبة ضاعت فيها الأهـداف العربية على مذبح اللغة الطنانة البلاغية العربية .

« فى شهر مايو عام ١٩٦٧ قام الاتحاد السوفيتى بتحذير مصر من هجوم إسرائيلى يوشك أن يقع على سوريا ؛ وكان الزعم السوفيتى غير صحيح ، وبصرف النظر عما إذا كان ذلك التحذير كاذباً عن قصد وتعمد بهدف إثارة التوتر وإحراز مكسب رخيص أوكان ذلك التحذير ناتجاً عن سوء فهم مجرد عن الغرض . . فقد دفع الأحداثَ فى مسارٍ مشئوم ، فقد أمر الرئيس جمال عبد الناصر بطريقة متهورة بأن يتحرك جيشه إلى سيناء التى كانت من الناحية العملية منزوعة السلاح منذ عام١٩٥٦ وأعلن إغلاق مضيق تيران الذى يتحكم فى طريق الوصول إلى ميناء إيلات الإسرائيلى من البحر الأحمر . وطلب من أوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة سحب قوات الطوارئ الدولية التى كانت تفصل بين القوات الإسرائيلية والمصرية على طول الحدود الدولية .

« ومن المشكوك فيه أن عبد الناصر كان يسعى وراء صدام عسكرى بل يحتمل أن يكون قد أصيب بدهشة من السرعة التى استجاب لها أوثانت لطلبه وربما لم يكن عبد الناصر أن يفعل شيئاً يتجاوز إطار اتخاذ موقف بطولى[1] . »

صدى الهزيمة :

وقد وقفت الدول العربية وقفة موحدة أمام هذه النتيجة المريرة ، فقد أصدرت كل الدول المنتجة للبترول قرارات بوقف ضخ البترول ، ووقف تصديره إلى أمريكا وبريطانيا ، وقطعت أكثر الدول العربية علاقاتهما مع أمريكا وبريطانيا ، وتعطلت قناة السويس،وقررت حكومة السودان الدخول

---

(١) دكتور هنرى كيسنجر : سنوات البيت الأبيض (الترجمة العربية)

فى معاهدة للدفاع المشترك مع مصر ، وأقفلت كل المطارات والموانى العربية فى وجه وسائل المواصلات الأمريكية والبريطانية .

وفى أثناء المعركة قرر مجلس الأمن وقف الحرب ، ولكن المعركة كانت تُحدَّد فى الميدان ، وقد أعلنت أكثر الدول العربية وإسرائيل قبولها لهذا القرار ، ولكن إسرائيل ظلت تعتدى وتزحف ، ولم يتوقف عدوانها حتى يوم السبت العاشر من يونيو حين تم لها احتلال المناطق التى أشرنا إليها .

وفى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ اتخذ مجلس الأمن قراراً بضرورة انسحاب إسرائيل إلى حدود الرابع من يونيو ، ولكن إسرائيل لم تنفذ هذا القرار .

لقد كانت الدول العربية تتطلع إلى انتصار أكيد ، ولذلك كانت الهزيمة قاسية إلى أبلغ حدود القسوة وزاد من قسوتها هذا الانهيار السريع الذى أصابنا ، فنزلت علينا الضربات دون أن نقاوم بطريق أو بآخر ، حتى أخذ العالم فى الشرق والغرب يعلن – كما ذكر ذلك الرئيس أنور السادات بعد ذلك – أننا شعب غير مقاتل .

الضابط البطل الذى كوفئ ثم عوقب :

وهناك ضابط مصرى وحيد لم ينسحب واستطاع أن يخترق حدود إسرائيل ، وأن يصمد فترة طويلة ويوقع الذعر هناك ، وقد كافأه عبد الناصر على ذلك بأن أعطاه وساماً وترقية استثنائية ، ونشرت الصحف صورته وعبد الناصر يصافحه ، وبعد شهر من هذا الحادث كان هذا الضابط يجلس مع زملائه فقال : « ان الجماعة فشلت تجربتهم فى الحكم والحرب ، وينبغى أن يتركوا القيادة لسواهم » ، وسرعان ما قُبض عليه واعتبر قائد مؤامرة ، ونزل به تعذيب أليم وكان ضمن الذين دافع عنهم الأستاذ محمد شوكت التونى(١)

(١) محمد شوكت التونى : قضية التعذيب الكبرى ص ٢٦ ويذكر عبد الصمد محمد الصمد أن ضابطين قاما بعمليات تخريب وتدمير فى إسرائيل آنذاك وهما جلال هريدى وآخر اسمه حمدى ولعل الضابط البطل الذى تحدث عنه الأستاذ شوكت التونى ولم يذكر اسمه هو أحد هذين الضابطين (انظر المشاء الأخير للمشير ص ١٢١ وما بعدها) .

خسارة مصر الفادحة فى هذه الحرب :

فى نوفمبر ١٩٦٧ أعلن عبد الناصر أن الطريق إلى القاهرة كان مفتوحاً أمام إسرائيل، ولم يكن هناك جندى مصرى واحد يعرقل أى تقدم لإسرائيل، وأنه هو المسئول عن النتيجة .

كما أعلن أرقاماً فادحة عن خسارة مصر فى هذه المعركة المشئومة ، فذكر أن مصر خسرت فى هذه الحرب ٨٠٪ من سلاحها و١٠٫٠٠٠ جندى و١٥٠٠ ضابط ، وأسر ٥٠٠٠ جندى و٥٠٠ ضابط لم يعد أكثرهم ، وتذكر المراجع أن ضحايا هذه الحرب يبلغون ٣٥٫٠٠٠ جندى قتل أكثرهم[1] فى ساعات ، وبخاصة فى الممرات لأن شارون مجرم الحرب الإسرائيلى كان يسحقهم بالدبابات فى الممرات[2] .

إما التدمير الذى حل بمدن القناة فخسارته أعظم من التقدير .

وعند ما نرى هذه الأرقام الهائلة مع أنها أقل من الواقع بكثير ، ونربطها بقول عبد الناصر إنه المسئول، يحق لنا أن نتساءل : ما معنى المسئولية ؟ وكيف وفّى بها هذا المسئول ؟ .

أسباب الهزيمة

ونجئ الآن إلى عرض سريع للأسباب التى كتبت على جيشنا هذه الهزيمة المريرة ، وأراقت الدماء البريئة ، ولا شك أن هناك أسبابا متعددة لهذا العار ونحن نوجز ذلك فيما يلى :

الأسباب الاجتماعيه والادارية :

من أهم أسباب الهزيمة أن عبد الناصر والمشير عامر وجّها كل اهتمامهما

(١) حديث عبد الناصر سمعناه جميعا .

(٢) محمد شوكت التونى : قضية التعذيب الكبرى ص ٧٠

فى السنوات السابقة للحرب إلى تدمير الشعب وتحطيم الجبهة الداخلية كما رأينا آنفا ، وأهملا العناية بالجيش ؛ وتركا الإشراف عليه إلى الجهل والنزق والقسوة متمثلة فى شمس بدران الذى نقلنا عنه قــوله إن لديه ما يدمِّر الأسطول السادس الأمريكى ، فمثل هذا القول لايصدر إلا من مكابر جاهل قليل الخبرة بالاستعدادات الحربية .

الاسباب السياسية :

وهناك أسباب سياسية مهمة أدَّت إلى هذه الهزيمة النكراء، وفى مقدمتها الثقة بالاتحاد السوفيتى الذى كان يبذل أقصى الجهد للقضاء علينا ، وهــو يتظاهر بالتعاون معنا ، فقد ثبت بوضوح أن الاتحاد السوفيتى هو الذى نقل لمصر أن إسرائيل تحشد جيوشها لحرب سوريا ، ولم يكن ذلك صحيحا كما ذكر كسينجر فيما نقلناه عنه آنفا ، وهوالذى قدم بعض السلاح ليدفع مصر لدخول حرب به ، ثم توقف عن الاستمرار فى الإمداد أو العون .

ومن هذه الأسباب أن المخابرات المصرية كانت شديدة الجهل بتطور جيش إسرائيل ، وبالعلاقة الخاصة آنذاك بين إسرائيل والولايات المتحدة ، علاقه الاهتمام بضرب عبد الناصر فى مصر ، وليس جهل المخابرات المصرية بدعا ، لأنها قد تورطت مع المشير والرئيس فى أمور الداخل ، ووجهت كل نشاطها للإيقاع ظلما بالناس ، وقد ظلت طيلة سنوات عديدة تتبع كشوفا خاصة عن الإخوان المسلمين والشيوعيين ، غير محيطة بالأعداء الجدد ، أو بمن تخلَّى عن اتجاهاته من الذين كانت أسماؤهم مدرجة بالكشوف .

الأسباب العسكرية :

ونجىء الآن إلى الأسباب العسكرية ، ونستمد الحديث عنها من أعلى الخبرات العسكرية ؛ من الرئيس أنور السادات ، ومن المشير أحمد اسماعيل، ومن المشير محمد عبد الغنى الجمسى .

أنور السادات يحكى أسباب الهزيمة :

يقول الرئيس أنور السادات لقد سبقت الأمة العربية إلى الحرب مع إسرائيل عدة مرات خلال ربع قرن من الزمان دون أن يكون هناك إلمام بعشرات من العناصر العسكرية والاقتصادية والسياسية والنفسية المحلّى منها والدّولى على السواء ، ودون تحديد سابق لهدف الحرب وغايتها ، وكل الاحتمالات التى تصاحبها (١) .

ونحن نصرخ : كيف يستبدُّ بأمر هذه الأمة مَنْ يجهل أساليب السياسة والقيادة ؟

ويقول سيادته فى مذكراته التى نشرها سنة ١٩٧٥ إن سلاح الطيران المصرى استرد فى ٦ اكتوبر كرامته التى جرحت فى معركتى عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ نتيجة لإهمال القيادة فى المعركتين ، وهكذا حُسِبت هذه المعركة هزيمة على الجيش ، وهى فى الحق هزيمة للقيادة وليست هزيمة للجيش .

المشير أحمد إسماعيل يروى أسباب النكسة :

— كنت قائدا لجبهة سيناء فى أثناء حرب اليمن ، وكانت فرقتى (الثانية مشاة) هى المسئولة عن تأمين سيناء ، ولكن سحبت منها لليمن بعض القوات التى كانت مدرّبة تدريبا عاليا ، فضعفت بذلك الجبهة التى كنت أتولى قيادتها فى سيناء .

— ولم يكن التنسيق بين مصر وسوريا فى حرب ١٩٦٧ صادقاً من الطرفين : فقد كانت سوريا تخفى عن مصر خططها الحقيقية ، وكانت مصر تخفى عن سوريا خططها الحقيقية كذلك ، وكان الشك متبادلا ، ولا يمكن أن يتعاون جانبان فى معركة واحدة بغير مكاشفة كاملة بكل الأسرار والخطط ، وبغير التنسيق الكامل لكل تحرك من الجانبين .

---

(١) ورقة أكتوبر

ونستمر مع المشير أحمد إسماعيل الذى يروى النتائج المريرة للانسحاب الذى صدرت به أوامر القيادة العليا وهو فى ذلك يقول :

كان الانسحاب قاسياً . . فالقوات كثيرة العدد والعتاد ، وخاصه أعداد الدبابات ، وكان عليها أن تنسحب غرب القناة على ثلاثة محاور رئيسية فى منطقة المضايق ، تحت السيطرة الجوية الكاملة للعدو . . لقد كان الانسحاب مخاطرة ومجازفة غير محسوبة النتائج ضاعفت من حجم الخسائر .

وبعد الهزيمة يصف المشير أحمد إسماعيل الموقف على الجبهة بأنه كان رهيباً ومثيراً للذعر ، وهو فى ذلك يقول : كانت الجبهة عبارة عن جنود متفرقين على الشاطىء الغربى بلا وحدات تجمعهم ، وكان هناك عدد من الدبابات من مختلف الأنواع ، بدون قيادات ، كانت مبعثرة هنا وهناك ، المعنويات هابطة بعد الانسحاب ، وبعد تفوق العدو الرابض على الضفة الشرقية بزهو الانتصار ، ولا يفصلنا عنه أكثر من مائتى متر[١] .

حسنى مبارك يشير للمسئول :

فى حديث نشر فى ١٩٧٥/٩/٢٧ لنائب رئيس الجمهورية حسنى مبارك سأله الصحفيون : ماذا أفدنا من دروس ٦٧ فى الإعداد لقتال ٦ أكتوبر ؟ قال : باختصار فى ٦٧ . . لا تخطيط . . . لا إعداد . . . لا تدريب . . . لا تنسيق بين العمل السياسى والعمل العسكرى .

الجمسى يبرز أسباب الهزيمة :

وإذا ذهبنا إلى المشير محمد عبد الغنى الجمسى فإنه يعطينا معلومات مهمة عن أسباب هزيمة ٦٧ النكراء ، وبالتالى يعطينا مؤشراً عن المسئول عن هذه الهزيمة ، يقول سيادته[٢] :

---

(١) الأهرام فى ١٩٧٤/١٢/٢٧

(٢) لقطات من حديث له مع الأستاذ موسى صبرى نشر فى ١٩٧٥/٥/٢٩

– إن القيادة السياسية حين تضع استراتيجيتها يجب أن تربط وتوازن بين القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والعمل السياسى . وهذا لم يحدث فى سنة ١٩٦٧ ، ووجود هذه الاستراتيجية هو سبب انتصار أكتوبر .

– يوم الخامس من يونيو كان يسمى فى القوات المسلحة «اليوم الحزين» وكانت تصدر الأوامر فيه للقوات المسلحة بعدم الحركة أو النزول إلى شوارع المدن .

– وفى رأيى أن اليوم الحزين بدأ يوم ١٤ مايو سنة ١٩٦٧ ففى ذلك اليوم فوجئت القوات المسلحة بالأمر برفع استعدادها إلى الحالة الكاملة للقتال ، وتنفيذ التعبئة ، وبدء حشد القوات فى سيناء فجأة دون سابق إخطار ، ولهذا وقعت الكارثة فى ٥ يونيو .

– كنا نمثل القيادة العامة فى سيناء ، ولكننا فى الحق لم نكن قيادة لأن العملية كانت تدار مباشرة من القاهرة .

– وفى يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ فوجئت القوات المسلحة بقرار سياسى آخر وهو سحب القوات الدولية . . . ، ثم صدر قرار سياسى آخر مفاجىء بقفل مضيق تيران وكان على القوات المسلحة إرسال قوات لتأمين شرم الشيخ لمنع العدو من السيطرة عليها .

– لقد كانت القوات المسلحة المصرية ضحية الخامس من يونيو ولم تكن أحد أسبابها ، وهذه شهادة الرئيس أنور السادات فى خطابه بمجلس الشعب فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

من المسئول ؟

تلك كلمات الذين قادوا النصر فى أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وهى كلمات تبين بوضوح أن الهزيمة لم تكن مصادفة وإنما كانت لسوء التخطيط وإضعاف الجبهة بوسائل متعددة وسوء العلاقة بين الرئيس والمشير ، واتخاذ قرارات تتصل بالجبهة العسكرية دون إشراك قادة هذه الجبهة ، ودون التنسيق بين الأهداف السياسية والقوى العسكرية .. وراح ضحية ذلك عشرات الآلاف

من الجنود والضباط ، وحلت بنا هزيمة قاسية ، وفقدنا جزءاً عزيزاً من أرضنا لا نزال نصارع لاستعادته ، وهوى اقتصادنا إلى القاع .

ولم يستطع جمال عبد الناصر أن يخفى مسئوليته عن هذه النكبات فأعلن فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ أنه المسئول عن هذه النتائج .

فهل يمر كل ذلك بدون حساب ؟؟

جماهير ٩و١٠ يونيو :

وفى أثناء الساعات الحالكة استقال المشير عبد الحكيم عامر المسئول عن القوات المسلحة ، ثم أعلن جمال عبد الناصر مساء الجمعة التاسع من يونيو صورة لنتائج المعركة ، وتلمس عبد الناصر الوسائل للدفاع عن هزيمته ، فأعلن أنه كان ينتظر العدو من الشمال فجاء من الغرب ، ويعلق الزعيم الحبيب بورقيبه على هذا التعليل بقوله : الزعيم الذى يقول إنه كان ينتظر أعداءه من الشمال فإذا بهم يجيئون من الغرب لا يصح أن يكون زعيماً ، ولا يصح أن يبقى فى مكانه لحظة واحدة(١) .

وختم عبد الناصر حديثه بأن أعلن قراره بأن يتخلى عن السلطة .

ولكن سيارات نقل كانت قد أعدت ليركبها بعض العمال من المصانع الحكومية ، وبعض الفلاحين من أتباع الاتحاد الاشتراكى ومن مديرية التحرير ، وأخذت هذه اللوريات تطوف شوارع القاهرة فى التاسع والعاشر من يونيو لتزعق بتمسكها بالرئيس المنهزم ليكمل الشوط !!!(٢)

وتعبير « يكمل الشوط » تعبير خداع لأن عبد الناصر فى الحق لم يسير فى الشوط خطوة ، وإنما تراجع بالجيش والبلاد أشواطاً ، ولكن أبواقه كانت دائماً تحاول أن تجعل الباطل حقاً ، وترغم الناس على السير فى الباطل .

ويقول الأستاذ الدكتور إبراهيم عبده(٣) . « لقد حشر المأجورون

---

(١) مجلة الفجر القطرية الصادرة فى ١٩٧٥/٦/٢١

(٢) سنرى بعد قليل شهادات صدق عن تمثيلية ٩ و ١٠ يونيو

(٣) رسائل من نفاقستان ص ١٧٥

فى القطر والسيارات ليزحموا العاصمة مقبلين من كل فج عميق ليحيوا المزيمة صائحين صارخين ...

وقد نـقـلـت الأنباء أنه عندما كانت جماهير التاسع والعاشر من يونيو تهتف ويدوّى هتافها فى العاصمة الجريحة كان جنود إسرائيل المنتصرة يقبّلون تراب سيناء فى جلال مهيب !!!

يالله لقد ظل أكثر المصريين مخدوعين حتى فى هذه الأوقات العصيبة وبعد هذه الضربات الأليمة .

واستجاب عبد الناصر لهذه الهتافات المصنوعة ، وقرر أن يبقى فى منصبه ليعمل على القضاء على آثار العدوان وإعادة بناء الحياة العسكرية والسياسية !!

وموضوع ٩و١٠ يونيو يحتاج إلى مزيد من الإيضاح ، وقد سألنى بعض طلابى عنه وقالوا إنهم انضموا إلى هذه المسيرة من تلقاء أنفسهم . وأجبت هؤلاء : بأن مظهر حشر العمال آنفاً رأيته بعينى ورآه معى الكثيرون ، فقد رأينا — ونحن نسكن فى المعادى — سيارات نقل قادمة من حلوان تحمل حشوداً من عمال المصانع ، متجهة إلى القاهرة لهذا الغرض ، وسمعنا العمال بها يصرخون .

وعندما كنت أجيب هؤلاء بتلك الإجابة طلب طلاب آخرون الكلمة وأقسموا فى جمع حاشد من زملائهم أنهم كانوا ضمن من دُفع بهم لسيارات النقل من قراهم ليقوموا بهذه المهمة .

والذى أعتقده أن هناك جماعات دُفِعوا لهذه المسيرة وأعدّت لهم سيارات لهذا الغرض ، وجماعات أخرى اندفعت من تلقاء نفسها بوحى من الرهبة التى كانت تشمل الجميع ، أو بحكم أنهم من الجيل المضلّل الذى صوروا له الباطل حقاً والهزيمة انتصاراً .

ويذكر عبد اللطيف البغدادى أنه ذهب إلى منزل حسن إبراهيم مساء ٩ يونيو ، وسرعان ماحضر إلى هناك الدكتور رشوان فهمى ،وقال البغدادى لهما إنه يتوقع أن يتنحى عبد الناصر عن رياسة الجمهورية ، ويقوم رئيس

مجلس الأمة بسلطة رئيس الجمهورية مؤقتاً طبقاً للدستور ، ولكن رشوان فهمي أكّد أن عبد الناصر لن يتنحى بصفة جديّة مخافة الخطر الذي سوف يُحدق به لو تنحى فعلاً عن السلطة ، ويذكر البغدادي أنه ومعه حسن إبراهيم والدكتور رشوان ركبوا سيارة حسن إبراهيم عقب إعلان التنحى مباشرة ليروا ردّ الفعل ، ومروا بمنزل جمال عبد الناصر وهو قريب من منزل حسن إبراهيم فوجدوا عدداً ضخماً من شباب الاتحاد الاشتراكي يركبون أوتوبيسات متجمعة حول منزل عبد الناصر على الرغم من حظر التجول ، مما يدل على أن استعداداً هائلاً بُذل لجمع هؤلاء قبل إعلان التنحى (١).

وهذا هو المظهر الحقيقي للأكذوبة التي سميت « بجماهير ٩و١٠ يونيو » والتي بمقتضاها عاش هذا النظام فترة أخرى .

عبد الناصر ومولد الرسول صلوات الله عليه

فى ١٩ يونيو سنة ١٩٦٧ حلّ موعد مولد الرسول صلوات الله عليه ، وكالعادة أقيم احتفال بهذه المناسبة بمسجد سيدنا الحسين ، وحضر عبد الناصر هذا الاحتفال ، ويعلق البغدادي على ذلك بقوله « لم يسبق لعبد الناصر أن حضر هذا الاحتفال من قبل(١) » .

مؤتمر القمة بالخرطوم

وفى أغسطس سنة ١٩٦٧ اجتمع مجلس قمة للملوك والرؤساء العرب فى الخرطوم ، وعمل على تصفية المشكلات الداخلية بين الدول العربية لتتّحد فى مواجهة العدو المشترك ، وفى هذا الاجتماع أعلنت المملكة العربية السعودية وليبيا والكويت استعدادها لتعويض بعض الخسائر المادية لمصر والأردن ، فتقرّر أن تدفع هذه الدول دعماً مالياً لهما حتى إزالة آثار

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادي جـ٢ ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٢) مذكرات البغدادي ص ٣٠٦

العدوان[١] ، وكانت الدول العربية فى هذا الاجتماع تصدر عن فكر عربى رائع متناسية الخلافات التى بينها ، تلك الخلافات التى كانت عميقة التأثير فى الحياة العربية ، ولكن الملوك والرؤساء كانوا أسمى من التشفى والانتقام ، فنسوا أوتناسوا كل شىء ، واتجهوا للتعاون للصالح العربى العام بقدر الإمكان .

وقد كنت بالخرطوم قبل هذا الاجتماع وخلاله ، وأستطيع هنا أن أترجم بعض المشاعر حول هذا المؤتمر :

أولا : شاهدت الجهود الكبيرة التى بذلها الرئيس السودانى الراحل إسماعيل الأزهرى ورئيس الوزراء محمد أحمد محجوب ليتم انعقاد هذا المؤتمر فى ذلك الوقت ، ولينجح فى اتخاذ قرارات مفيدة ، وما من شك أن هذا المؤتمر ماكان لينعقد لولا جهد السودان وجهد قادته .

ثانياً : كان عبد الناصر قبل الهزيمة يهاجم بقسوة الحكومات الملكية وينعتها بالرجعية ، ولكن الدول التى حملت العبء المالى فى هذا المؤتمر كانت من هذا النوع (المملكة العربية السعودية ، المملكة الليبية ، دولة الكويت) .

ثالثاً : بعد فترة قصيرة من هذا المؤتمر هبت ثورتان فى الدول التى كان لها نصيب كبير فى نجاح هذا المؤتمر هما السودان وليبيا ، ومن المؤسف أن جمال عبد الناصر نسى الدور الذى قام به رؤساء هذه وتلك فى إنقاذ مصر فى أحرج الأوقات ، وكان - كما يقول محمد حسنين هيكل - سعيداً جداً بالثورة فى السودان ، فلما قامت ثورة ليبيا كان تقديره أن دورها أضخم وأهم ، وقد فرح جداً عندما شرح له هيكل استنتاجه بالنسبة لاتجاه الثورة[٢] .

أترى كان من الوفاء أن ينسى عبد الناصر بهذه السرعة عون الذين وقفوا بجانبه وقت الضيق والشدة ؟

---

(١) توقفت ليبيا عن دفع نصيبها من الدعم عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتوقفت السعودية والكويت عقب معاهدة السلام (سنة ١٩٧٩)

(٢) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٧٢

وليس معنى هذا أننى أعارض الوضع الجديد هنا أو هناك . ولكنى كنت أوثر أن يصمت عبد الناصر ، ويترك كل قطر عربى يباشر مستوياته الداخلية على النحو الذى يراه .

نتائج هزيمة ١٩٦٧

كانت هزيمة ١٩٦٧ ضربة قاسية متعددة النتائج ؛ وسنلمّ هنا إلمامة سريعة بالنتائج المريرة التى عانيناها خلال سنوات الهزيمة الحافلة بالكآبة والعناء.

أولا – النتائج السياسية والوطنية :

هذا الجانب من النتائج نقتبسه من كلام الرئيس محمد أنور السادات ، ونصُّه : عام ١٩٦٧ بعد الهزيمة الأليمة المريرة التى نعرف جميعا أبعادها ، فوّضت مصر الاتحاد السوفييتى فى الاتصال بالأمريكان والتحدث باسمنا ، وكان هذا التفويض بلاتحفظ ، فقد قالت السلطة لهم اتفقوا مع الأمريكان وما تتفقون عليه فنحن سلفا نرتضيه ؛ بل خطا زعماء مصر آنذاك أكثر من ذلك ، فطلبوا قائدا سوفيتيا للطيران ليتولى قيادة سلاح الطيران المصرى ، وقائدا ليتسلم الدفاع الجوى عن مصر ، وأصبح الاتحاد السوفيتى بذلك ولى أمرنا (١) . وقد سبق أن ذكرنا ذلك عند الحديث عن نقد اتفاقية الجلاء ، وذكرنا هناك أن عبد الناصر لم يجلب لمصر الجلاء ، بل جلب احتلالا أقسى وأمر من الاحتلال الانجليزى ، وهو الاحتلال اليهودى والسوفيتى .

ثانياً – النتائج العسكرية :

أثارت هذه الهزيمة الشكوك حول جيشنا ، وأحاطت مستقبلنا العسكرى بضباب كثيف ؛ فقد كان قادة عصر الهزيمة يفخرون بالجيش ويهددون به ، فلما انهار فى ساعات قصار ، قلّ الأمل فى إعادة بنائه ، وبالتالى قلّ الأمل فى النصر ، لأننا لم نعرف أسباب الهزيمة حتى نتحاشاها ، وتحت ضغط الرأى

---

(١) أنور السادات : صحيفة الأخبار فى الصادرة فى ١٩٧٥/٣/٢٠

العام المكبوت ؛ وثورة طلاب الجامعات سنة ١٩٦٨ ؛ أجريت محاكمات ولكنها كانت سرية ، وكانت الأحكام التى صدرت يشاع عنها الكثير مما يوحى بأنها ليست أحكاماً جادة وليست إلا وسائل لتخدير الناس .

وأصبح الناس يخافون أن يرسلوا أولادهم إلى الجيش حتى لايساقوا إلى الموت دون إعداد أو رعاية أو نظام ، وذلك أقصى ما يمكن أن يتعرض له بلد من هوان ، وقد رأيت بعض الطلاب بالفرق النهائية بالجامعة يتخلفون عن الامتحان فى بعض المواد أو يصطنعون الرسوب حتى لا يتخرجوا فيُدفع بهم إلى حياة عسكرية لايعرفون مصيرها ، وأشهد أنى رأيت الطلاب سنة ١٩٥٦ ، ورأيتهم حينما جدّ الجد سنة ١٩٧٣ يتزاحمون على الالتحاق بالجيش والاستمتاع بشرف الجندية .

وأصبحت بلادنا مفتوحة أمام العدو يسرح فيها ويمرح ، يضرب فى العمق ويصيب منطقة حلوان ومصانع أبى زعبل ، ومدرسة بحر البقر ، وتلعب طائراته فى أجوائنا ، ولا نملك إلا الصراخ لمجلس الأمن الذى يزداد منا سخرية كلما شكونا إليه .

وحتى الكليات العسكرية لم نستطع حمايتها فبعثنا بطلابها إلى الأقطار العربية ، وفتحنا هذه الكليات هناك ، وتندّر بعض الناس بهذا التصرف فقالوا : لماذا لا نرسل جيشنا للخارج لنحميه من غارات إسرائيل ؟

وكان جيشنا يدّعى أنه يحمل عبء الدفاع عن العرب أجمعين ، ويهدّد من يعتدى عليهم ، فلما انهار هذا الجيش ، انطلق العدو إلى أرض العرب بغطرسة وعجرفة شديدتين ، فهو يدخل أرض لبنان كأنما يذهب إلى نزهة ، ويقتحم الأردن بدون مبالاة ، ويضرب طائرة ليبية مدنية على حافة سيناء فيقضى على عدد من المدنيين الأبرياء ، وقد اضطرته بعض الدول العربية أن تعمل على القضاء على المقاومة الفلسطينية حتى لاتتعرض لهجوم إسرائيل.

ثالثاً — الأضرار الأدبية :

كانت الأضرار الأدبية التى ألمت بنا مريره جدا ، فقد أصبح العالم كله يستهين بنا ، ويتجاهل تاريخنا ، وينسى ما أحرزناه من انتصارات عسكرية عبر التاريخ ، وما حققناه من أدوارحضارية بعيدة الشأن فى تقدم العالم ، ووصل الحال فى تدهور سمعة مصر أن حكومات الكثير من دول أوربا كانت تتجاهل مصر ، وتقول السيدة زوجة الأستاذ إسماعيل فهمى وزير الخارجية السابق : إن اسم مصر قد هبط فى نظر المجتمعات الأوربية لدرجة أن بلغ من تجاهلهم لنا أنهم كانوا يغفلون اسم مصرفى كل الدعوات الرسمية ، وتجاهلوا دعوة السفير وحرمه ، وفقاً للبروتوكـــول والعرف الدبلوماسى المتبع (١) .

وليست أوربا فقط هى التى استهانت بمصر ، بل إن مصر عانت الكثير من العالم العربى نفسه ، وواجهت صوراً من الإهمال وعدم التقدير ، بل وصل الأمر أحياناً إلى نوع من العدوان ، وكم روى الأساتذة المصريون الذين يعملون بالبلاد العربية من مواقف مريرة تعرضوا لها كأنهم هم الذين تسببوا فى هذه الهزيمـــة النكراء .

رابعاً — الأضرار الاقتصادية :

ونزل بنا ضرر اقتصادى بالغ المدى ، وخسرنا خسارة فادحة فى هذه الحرب حددها وزير المالية فى بيانه أمام مجلس الشعب فى ١٩٧٥/١٢/١٩ بأنها ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠ (أربعون مليارا) من الدولارات وقرر أن هذه الخسارة الفادحة انعكس أثرها على انخفاض معدل التنمية ، وسوء المرافق ، والخدمات ، وزيادة التضخم ، وابتلاع كل الجهود التى بذلت

---

(١) مجلة صباح الخير فى ١٤ مارس ١٩٧٤

لتحسين معيشة المواطنين ، وبسبب هذه الحرب الخاسرة توقفت قناة السويس ، وقلت أو انقطعت وفود السياح ، وضاعت منابع البترول التى كانت تتدفق من سيناء ، ودمّر العدو محطات تكرير البترول بالسويس ، كما دمر الحياة فى مدن القناة ، وهُرِع الملايين مهجَّرين من هذه المدن هائمين على وجوههم .

وفى الداخل عانى الشعب أزمة اقتصادية طاحنة ، فالأجور والمرتبات كانت ضئيلة بالنسبة لنفقات المعيشة التى ارتفعت ارتفاعاً باهظاً ، وانهارت أسعار عملتنا انهياراً شنيعاً ، واختفت أكثر السلع الضرورية من السوق وعاش شعبنا فى حرمان لم يشهده فى أقسى فترات التاريخ ، وشهدت مصر حقبة وصفتها فى كتابى « رحلة حياة » بحقبة المفارقات العجيبة ، فقد كانت مصر — كالعهد بها — حافلة بالمفكرين والمؤلفين فى مختلف فروع المعرفة ، ولكن ورق الطباعة وماكينات الطباعة الحديثة قليلة بها أو قل غير موجودة ، وفى مصر أطباء من أرقى المستويات ولكن صيدليات القاهرة خلت من الأدوية الضرورية ، وفى مصر أعظم المهندسين المعماريين ولكن أدوات البناء ومعداته نادرة ، وفى مصر يوجد الخياطون المهرة للرجال وللنساء ، ولكن القماش اللازم غير موجود .

وبينما كانت أسواق القاهرة وحياة القاهرة على هذا النحو كانت أسواق « دبى » و « أبو ظبى » و « الكويت » تزخر بأحدث ما أنتجه العقل البشرى من وسائل الترف والنعيم .

خامساً — الأضرار النفسية والاجتماعية :

وانعكست هذه الهزيمة على المجتمع فظهر فيه الفساد والانحراف ، واضطرب الناس نفسياً واجتماعياً ، فالأخلاق انهارت ، واللامبالاة ظهرت ، والسخط قد انتشر ، بل بدا المستقبل مظلماً قاتماً ، وباسم الاستعداد للمعركة كُبِتَت الحريات ، وأُخفتت الأصوات ، وكان هناك سيف مصلت ضد من نعتوا بأنهم « قوى مضادة » أو « أصوات تعلو على صوت المعركة

مع أن المعركة كانت دائماً ولا تزال كلّ شيء بالنسبة للجميع ، وقد يوجد خلاف حول وسائل الاستعداد لها وإدارتها ، ولكن لم يوجد خلاف على الإطلاق حول ضرورتها ، وأنها قمة مانحرص عليه .

واتخذ الآثمون فرصة كبت الحريات وعدم إباحة النقد فعاثوا فى الظلام ، وانتشرت الاختلاسات والسرقات، وكثرت الحرائق التى يصطنعها الآثمون لتغطية هذا المنكر ، بل أذيعت أخبار عن ملايين الجنيهات الاسترلينية كان أعلى القمم من أصحاب النفوذ قد حولوها إلى بنوك سويسرا ، وأودعوها هناك تحت أرقام سرية(١).

ونحن هنا ننتهز هذه الفرصة لنطالب بإيضاح شامل حول هذه النقطة ، ونسأل :

— من هم الذين أودعوا هذه النقود ؟

— وما مقدارها ؟

— ما موقف الحكومة منها ؟

ونؤكد أن الجماهير يمزقها أن يشاع ذلك عن قادة كانوا موضع ثقتها يوما ما ، وتريد أن تعرف وجه الحقيقة فيه :

تلك لمحة سريعة ، وخطوط عريضة ، عن نتائج هذه الهزيمة النكراء التى ظن بعض الأغرار أنهم أهالوا عليها التراب وأخفوا معالمها، وقد ظلت هذه النتائج تفرض نفسها علينا حتى غسلت حرب ١٩٧٣ آلامنا وداوت جراحنا .

---

(١) أخبار اليوم فى ١٩٧٤/٣/١٦

كلمات شهود الحرب

دونت الحقائق السابقة من تتبعى للأحداث ، ولكن ظهرت عقب ذلك معلومات شاهدها منهم أقرب منى للقيادة ، وهذه المعلومات تُثْرى الموضوع ، ونحن هنا نقتبس ما يفيدنا منها :

من كلام أنور السادات :

— جمع عبد الناصر صفوة رجاله فى أواخر مايو ١٩٦٧ وقال لهم : إن حشودنا تجعل الحرب محتملة ٥٠٪ ، أما إذا أغلقنا المضايق فالحرب مؤكدة ١٠٠٪ ، ثم التفت إلى عامر وقال له : هل القوات المسلحة جاهزة يا عبد الحكيم ؟ فأجاب عبد الحكيم : رقبتى ياريس كل شىء على أتم استعداد . وكان عبد الناصر متجهاً إلى إغلاق المضايق حتى يوقف مزايدات العرب عليه ، وحتى يحتفظ بمكانته الكبيرة فى الأمة العربية[1] .

وفى يوم الجمعة ٢ يونيو صدق عبد الناصر على الخطة .

— أرسل السوفييت يطلبون أحد الكبراء للتفاهم معه حول الحالة ، فسافر لهم شمس بدران وزير الحربية ، وفى الكرملين سألوه : كيف ستتصرف مصر لو تدخل الأسطول السادس الأمريكى ؟ فأجاب بلا تردد : عندنا ما يدمره[2] .

— كانت شوارع القاهرة إبان المعركة مزدحمة بجماهير الشعب ، وبأعداد كبيرة من اللوريات قادمة من مديرية التحرير وكانت تسير متراصة ، والجميع يهتفون ويهللون ويرقصون فرحاً بالنصر المزعوم الذى تذيعه عليهم وسائل الإعلام ساعة بعد ساعة[3] .

---

(١) البحث عن الذات ص ٢٢٥
(٢) المرجع السابق ص ٢٢٦
(٣) المرجع السابق ص ٢٢٨

— فى ٩ يونيو أذاعت القيادة العامة بياناً كله استخذاء واستسلام ومهانة، إذ يشكو إلى العالم أن اليهود عبروا الضفة الشرقية للقناة إلى الضفة الغربية(١).

من كلام عبد اللطيف البغدادى :

— كان سحب قوات الطوارئ وقفل خليج العقبة أمام إسرائيل معناه إعلان الحرب، وذلك لتوقف جزء كبير من تجارة إسرائيل والقضاء على ميناء إيلات(٢).

— سأل عبد اللطيف البغدادى جمال عبد الناصر فى ١٨ مايو عن مدى استعداداتنا فى سيناء، ويقول البغدادى إن عبد الناصر أجاب باعتزاز بأن لنا خمس فرق منها فرقتان مدرعتان وثلاثة مشاة، وعاد البغدادى يسأله عن تقديره لموقف إسرائيل، وعن مدى إمكان تحركها عسكرياً، فأجاب عبد الناصر بأنه يستبعد تحرك إسرائيل، وذكر أنها إن تحركت فلن يكون ذلك قبل ستة أو سبعة شهور، ويسأله البغدادى سؤلاً ثالثاً عن موقف السوفييت من مساعدتنا : فأجاب عبد الناصر : إنهم مستعدون لمساندتنا إلى آخر درجة، وقال جمال عبد الناصر مبيناً الأسباب التى دعته لهذه الحركات العسكرية « لقيت العالم العربى نايم فحبيت أصحيه(٣) ».

— فى ٤ يونيو انضم العراق إلى اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والأردن، وألقى جمال كلمة بعد توقيع الاتفاقية جاء فيها : إننا ننتظر المعركة على أحر من الجمر(٤).

— بعد دقائق من المعركة كان سلاحنا الجوى قد انتهى، وطلب

---

(١) البحث عن الذات ص ٢٣٠
(٢) مذكرات البغدادى جـ ٢ ص ٢٦٣ — ٢٦٤
(٣) مذكرات البغدادى جـ٢ ص ٢٧٤ — ٢٧٥
(٤) المرجع السابق ص ٢٨٢ و ٢٨٦

عبد الحكيم عامر من جمال عبد الناصر أن يبحث عن حل سياسي ،وانهار العملاقان في دقائق وأعلن عبد الناصر أن القيادة حصل لها شلل[١] .

— كان قرار الانسحاب فضيحة وعاراً ، وكان العدو قد دمر فرقتين من الجيش المصري ، وطلب عبد الناصر أن يكون الانسحاب ليلا أو أن يترك المنسحبون أسلحتهم الثقيلة وأن يسيروا في مجموعات صغيرة متفرقة ، وقد قامر عبد الناصر بمستقبل أمة بأكملها في سبيل مجده الشخصي[٢] .

— وسط هذه المأساة كان جمال يبتسم ، وكان محمد الجيار يفغر فاه بالابتسام . وكنا نحن نرى أنه لا بد أن ينتحر هو وعبد الحكيم[٣] ويروى البغدادي تكرار ضحك جمال عبد الناصر أكثر من مرة ، كما يروى أن عبد الحكيم كان يبيت في سرير واحد هو وشمس بدران[٤] .

— عقب انتهاء خطاب عبد الناصر بالتنحي يوم ٩ يونيو سمعنا مباشرة الهتافات ورأينا تحركات شباب الاتحاد الاشتراكي في الأوتوبيسات واللوارى رغم حظر المرور ، واستنتجنا أن الأمر مدبر ومرتب من قبل، بأن تتحرك المنظمات وتطالب ببقائه ») :

من أقوال الفريق صلاح الدين الحديدي :

— كانت هزيمة ١٩٦٧ أقسى هزيمة للقوات المسلحة وأبعدها عن شرف الجندية وتقاليدها(٥)

---

(١) مذكرات البغدادي جـ٢ ص ٢٨٢ ٢٨٦
(٢) المرجع السابق ص ٢٨٩ — ٢٩٠
(٣) المرجع السابق ص ٣٠١
(٤) المرجع السابق ص ٢٩٦
(٥) المرجع السابق ص ٣٩١

– ينقل عن كليمنصو السياسي الفرنسى الشهير قوله منذ أكثر من نصف قرن : الحرب موضوع خطير ، أخطر من أن نتركه للعسكريين وحدهم(١) .

ويثبت ريتشارد ديكون أن انسحاب إسرائيل وفرنسا وانجلترا بعد زحف سنة ١٩٥٦ جعل إسرائيل تبدأ دون تأخير فى الإعداد لمعركة أخرى تتحاشى فيها الأسباب التى جعلت حرب ١٩٥٦ لم تحقق ماكانت إسرائيل تطمع فيه : وكانت إسرائيل تفعل ذلك فى نفس الوقت الذى انصرف عبد الناصر فيه للدعاية التى لم تقم على أى أساس صحيح بأنه انتصر سنة ١٩٥٦ وانصرف كذلك إلى تشتيت جيشه فى اليمن وغيرها من الميادين وإلى تعذيب شعبه ، وشاركه فى ذلك الرجل الذى كان مسئولا عن الجيش وهو عبد الحكيم عامر الذى كان كل همه تحقيق انتصارات داخلية على الشعب الأعزل(٢) .

وبعد ، لا تزال لدينا مادة واسعة عن هذه المأساة ، ولكننا نتوقف مكتفين بما ذكرناه ، ومؤكدين أن أرواح الشهداء لن تستقر حتى يحاكم هؤلاء العابثون .

---

(١) شاهد على حرب ١٩٦٧ ص ٣١

(٢) Richard Deacon : The Israel Secret Service

نهاية المشير

لايهمنا أبدا أن يكون المشير مات مسموما أو مات منتحرا ، فقد كان لابد أن تأتى نهايته ، فذلك التزام القائد الذى شن الحرب وانهزم .

ونحن هنا فقط نقرر حقيقة تاريخية ، فالمشير بعد أن أعلن تمرده على عبد الناصر ، وتجمع حول المشير أعوانه الكثيرون يهتفون « لاناصر بدون عامر » أدرك عبد الناصر أنه لا مناص من تصرف حازم مع رفيق العمر الذى بلغ فى دلاله مكانة لا تحتمل .

وقد نُصِح المشير وسط هذا الخلاف أن يسافر إلى بلدته (اسطال) ليهدأ الصراع ، وسافر فعلا ، ولكن عبد الناصر اتصل به تليفونيا وحادثه محادثة طيبة ، ثم أرسل إليه صلاح نصر يستدعيه ، كما أرسل إليه هيكل ، وهكذا يعيش الإنسان فى حيرة وهو يتصور العلاقات بين الاثنين ؛ هل كانت حقدا وكراهية أو ودا وهياما ، ولهذا فإن موسى صبرى يصف هذه العلاقة بأنها « علاقة غريبة » [1] .

وعاد عامر فعلا ، ولكن سرعان ما التف حوله أنصاره وأصبح بيته قلعة مشحونة بالأسلحة والرجال ، وهنا وجد عبد الناصر أن لابد من موقف متشدد وأمره إلى الله .

استدعى عبد الناصر المشير لمقابلته للتفاهم ، وفى أثناء المقابلة صدرت الأوامر بسحب سيارته وسيارات الحرس التى كانت تحميه ، وأرسل عبدالناصر قوة من مؤيديه إلى بيت المشير ، وأصدرت هذه القوة أوامرها لمن فى البيت بالاستسلام وإلا تعرضوا لدق البيت بمن فيه ، فاستسلموا ، ونزل المشير من اجتماعه بعبد الناصر ، فلم يجد سيارته ولا حرسه ، فاستسلم للاعتقال .

---

(١) وثائق ١٥ مايو ص ٨١

وانتهى المشير وأذيع أنه انتحر ولكن خبير السموم الدكتور على محمد دياب أعلن فى تقرير له نشرته أخبار اليوم فى ٢٧ / ٩ / ١٩٧٥ أن المشير لم ينتحر ، وإنما دُسّ له سم « لاكو نتين » فى كوب من عصير الجوافة قُدّم إليه .

السم أداة لقتل المعارضين :

وبمناسبة الحديث عن قتل المشير بالسم ننقل حوارا عجيبا دار بين المستشار محمد عبد السلام النائب العام وبين صلاح نصر رئيس المخابرات ، ونصه :

النائب العام : أنتم عندكم سموم ؟

صلاح نصر : نعم عندنا سموم .

النائب العام : فى أى شيء تستعملونها ؟

صلاح نصر : يعنى بنستعملها فى إيه ؟ بنستعملها فى قتل الخونة من أعداء البلاد فى الداخل والخارج .

النائب العام : بأمر من تستعملونها ؟

صلاح نصر : فى المسائل المهمة بأمر رئيس الجمهورية ، والمسائل الأقل أهمية بأمرى أنا .

النائب العام : هل تتم الأوامر بإجراء شفوى أو مكتوب ؟

صلاح نصر : فيه شفوى وفيه مكتوب .

والحوار كله بملف قضية المشير ، ولكن هذا القدر هو ما نقله الأستاذ محمد شوكت التونى (١) ولا نعرف عدد الذين قتلوا بالسم ولا كيف ثبت جرمهم ليستحقوا هذا العقاب الذى لاتعرفه شريعة ولا قانون .

---

(١) قضية التعذيب الكبرى ص ٣٧ - ٣٨

حوادث سنة ١٩٦٨

الترنحُ من هول الهزيمة

دخل عام ١٩٦٨ ومصر تترنح من هول الهزيمة ، وزعيم مصر الذى كان يتطلع لزعامة شاملة عربية أو عالمية قابع يستجدى الطعام لشعبه من الدعم بعد أن أفنى ثراء مصر وشباب مصر ، وأصبح جيشه الذى كان يهدِّد به ويرسله إلى هنا وهناك يعيش فى أعقاب هزيمة ساحقة ، وانكسار مروِّع ، وصار يعانى من جرح فى شرفه أليم ، ويعانى كذلك من تخبط داخلى إذ أصبح يضرب بعضه بعضاً باسم الرئيس والمشير ، فبأسه بينه شديد ، ولا بأس له على العدو الرابض فى أرض الوطن .

ووقف الجيش يحاكم بعض أفراده بعد أن كان يحاكم الشعب ، وبرزت للرأى العام مأساة الأموال التى حفر لها بعض قادة الجيش فى الأرض عقب الهزيمة فى وقت لم يكن هناك من يحفر فى سيناء ليوارى جثث القتلى أو يضمد الجراح ، فكم من آلاف كان يمكن إنقاذهم جرحى أو مشوَّهين ، ولكن القادة كانوا عن هؤلاء فى شغل شاغل ، كان عبد الناصر يعقد سلفة باسم مصر قدرها عشرة ملايين من الجنيهات يوم السابع من يونيو ، وكان المشير يحفر له أتباعه أرض الحدائق ليخفوا بها عملات أجنبية ليواصلوا ترفهم بعد ضياع البلاد .

لا بد من وقفة حساب عندما تستكمل مصر استقرارها ، ليعرف الناس حقائق الأمور التى غطَّتها الأوهام ردحاً من الزمن ، وإذا كان بعض الأفراد أفلتوا من الحساب بالموت ، فيجب أن يعرف أولادهم أن آباءهم خانوا الأمانة التى كانت فى أيديهم ، فإذا نكَّسوا رءوسهم بسبب ذلك كان هذا رادعاً للأجيال القادمة .

وعلى هذا فعام ١٩٦٨ كان استمراراً للنكبة العسكرية ، ولم يحدث به فيما عدا نتائج النكبة إلا أحداث قليلة سنعرضها فيما يلى :

على الباغى تدور الدوائر

على الرغم من الحقد الدفين بين عبد الناصر وعامر ، ذلك الحقد الذى رأيناه يبرز ويتأجج عدة مرات ، ثم رأيناه ينكمش ويضعف ثم يختفى ، على الرغم من ذلك الحقدفقد كان المشير مستعداً دائماً لتسخير الجيش ليضرب الشعب لصالح الرئيس ، فالتعاون بين الاثنين ضد الشعب كان هدفاً لم يختلف الزعيمان فيه ، فلما سقط المشير واختنق بالسم أو بالانتحار أصبح عبد الناصر وحده فى الساحة ، فاتجه بكل عنفوانه ضد أولئك الذين ساعدوا المشير ضده ، وتنادوا بذلك النداء الشهير : « لاناصر بدون عامر » فقبض عبد الناصر على هؤلاء ، وأنزل بهم من العذاب مثل ما أنزله هؤلاء بطبقات الشعب باسم تصفية الإقطاع ، أو باسم القضاء على الإخوان المسلمين الذين وُصفوا ظلماً بالتآمر والاتصال بقوى أجنبية ، وهكذا دارت الدائرة على الطغاة البغاة .

القضاء يصف مظالم هذا العهد :

ولعل أدق وصف لعهد عبد الناصر فى مجال الظلم هو كلمات المحكمة العسكرية العليا التى نظرت قضية التعذيب الذى عاناه أنصار المشير ليعترفوا بأنهم كانوا يدبرون مؤامرة لقلب نظام الحكم لصالح المشير ، فقد قالت المحكمة فى حكمها الصادر فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٧٦ ما يلى :

إن هذه الحقبة من تاريخ مصر كانت حقبة ساد فيها الظلام ، وتضاءلت فيها سمعة سجن الباستيل الفرنسى أمام سمعة السجن الحربى بمصر ، وقد أعادت هذه الحقبة للأذهان ذكرى محاكم التفتيش ، وإن جرائم التعذيب التى ارتكبت خلالها سبة عار فى جبين الحكم المصرى فى ذلك العهد (١) .

---

(١) صحيفة الأخبار فى ١٩٧٦/١٢/٢٤

أترى يمر هذا كله دون محاسبة القائمين على الحكم المصرى آنذاك أحياء وأمواتاً ؟ فالأحياء يجازون بما فعلوا ، والأموات يصحح الناس معارفهم عنهم حتى لا يعيش الخداع أكثر مما عاش .

فى اعتقادى أنه لابد من محاسبة فى العاجل أو الآجل ، وإذا سكت جيلنا فإن الأجيال النادمة لن تسكت على هذا الطغيان وستنشره للعالمين .

وهكذا يتضح لنا أن الهزيمة لم توقف التنكيل بالناس كما ظن أنور السادات فيما نقلناه عنه من قبل ، بل ظلت وقائع الاعتقالات والتعذيب على نحو ما كانت ، أو أكثر مما كانت ، ويضيف المستشار محمد عبد السلام(١) أن بعض الأشخاص قد اعتُقِلوا دون أوامر اعتقال أو أحكام أو أوامر قضائية ، وأن عدداً من المواطنين كان قد صدر قرار جمهورى فى أغسطس سنة ١٩٦٧ أى بعد الهزيمة بالإفراج عنهم ، ولكن هذا القرار لم ينفذ ، وظل هؤلاء فى المعتقلات ، ولما احتج على ذلك النائب العام أجابه وزير الداخلية بأن رئيس الجمهورية يصدر أحياناً أوامر اعتقال شفوية ، ومعنى ذلك أن أوامر بالإفراج قد تصدر رسمياً ، ثم تصدر أوامر شفوية أخرى مضادة فيبقى المعتقلون فى الاعتقال . وهذا هو الجو الذى كان موجوداً فى عام ١٩٦٨ .

---

(١) سنوات عصيبة ص ١٣١ وما بعدها .

مظاهرات يناير وبيان ٣٠ مارس

بجانب المحاكمات القاسية التى تعرض لها أنصار المشير ، والتى تحدثنا عنها آنفاً ، كانت هناك محاكمات أخرى هينة لينة لقادة الجيش الذين لم يؤدوا واجباتهم خلال المعركة المشئومة ، كانت محاكمة هؤلاء رقيقة رفيقة ، وكانت الأحكم يسيرة سهلة ، يقول عنها أنور السادات : إنها كانت أحكاماً مخففة صدرت على قادة الطيران الذين يعتبرهم الشعب من أقوى أسباب الهزيمة المهينة(١) .

من أجل هذا ، ومن أجل المطالبة بحرية الرأى وسيادة القانون وإلغاء القوانين الاستثنائية . . . اندلعت خلال شهرى يناير وفبراير مظاهرات صاخبة قام بها الشباب الواعى مطالبين بالتغيير الشامل ، والقضاء على الفساد، وتوقيع العقاب المناسب على كبار العسكريين الذين تسببوا فى هزيمة يونيو الساحقة ، وأنزلوا الضرر أشد الضرر بالوطن العزيز .

واهتز عرش عبد الناصر ، وأسرع الحواريون للبحث عن وسيلة يمتصون بها غضبة الشعب ، وكان بيان ٣٠ مارس هو وسيلتهم لذلك ، وهذا البيان هو تكرارٌ للأفكار التى وردت بالميثاق ، تلك الأفكار التى يقول عنها أنور السادات إنها لم تكن إلا لامتصاص نكسة الانفصال بين مصر وسوريا ، فجاءبيان ٣٠ مارس بنفس اللهجة ، ونفس الغرض ، أى لامتصاص غضبة جديدة عبّر عنها الشعب بسبب هزيمة يونيووعدم محاسبة المسئولين عنها(٢) .

وبيان ٣٠ مارس جاء فى صورة خطاب ألقاه عبد الناصر فى حلوان فى هذا التاريخ ، وفيه يتحدث عن ضرورة تعبئة كل إمكانيات البلاد العسكرية

---

(١) البحث عن الذات ص ١٧٤

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة .

والاقتصادية والروحية من أجل تحرير الأرض العربية وبناء المجتمع الاشتراكى فى البلاد ، وتنشيط جماهير الكادحين على أساس ديمقراطى ، كما يذكر أن مركز الثقل يجب أن ينتقل من هيئات الإدارة فى الدولة إلى الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يجب إعادة بنائه على أساس انتخابى من القاعدة إلى القمة ، ويصبح المؤتمر القومى العام أعلى هيئة سياسية فى مصر ، ويعتبر هذا المؤتمر الهيئة التوجيهية حتى نهاية النضال ضد العدو الإسرائيلى ، ومن الناحية الاقتصادية نتجه إلى التنمية الشاملة للزراعة والصناعة ، وضمان العمالة الكاملة بين السكان ، ورفع المستوى المادى والروحى للشعب ، وتعميق التعاون بين الشعب والجيش ، وتشجيع الحركة العمالية وحركة الشباب(١).

وعلى العموم فبيان ٣٠ مارس صورة من الوعود التى اعتاد عبد الناصر أن يطلقها ، وقد فتح البابَ لنشاط استنفد الجهود والأموال ، فقد أُجرى استفتاء عليه فى ٢ مايو ، كما أجريت انتخابات الاتحاد الاشتراكى العربى من القاعدة إلى القمة وعقد المؤتمر القومى ، ولم يكن ذلك كله إلا حركاتٍ لا نتائج لها ولا هدف منها إلا امتصاص غضبة الجماهير كما ذكرنا من قبل ، وسنرى بعد قليل ما حدث للشيخ عاشور فى المؤتمر القومى ، فيبدو أن الشيخ قد خُدع ، وظن أن هناك ديمقراطية حقة فتكلم بما فى نفسه ونفوس الملايين ، ولاقى جزاء كلماته مالاقى مما سنذكره فيما يلى :

---

(١) نصوص من بيان ٣٠ مارس

قصة الشيخ عاشور

الشيخ عاشور أحد الشيوخ الذين نالوا قسطاً من التعليم بالأزهر ، وكان موظفاً بأحد المساجد التابعة لوزارة الأوقاف بالإسكندرية ، وقد اختارته دائرته الانتخابية عضواً بالمؤتمر القومى الذى أشرنا له آنفاً ، وأرادت مراكز القوى أن تجعل من هذا المؤتمر متنفساً ظاهرياً ، وأعلنت أن النقاش يدور على الهواء مباشرة ، فوقف الشيخ عاشور ، وكانت مراكز القوى قد لقّنته ما يقوله ، ولكنه تمرد على النص وصاح فى المجتمعين الذين كان يرأسهم جمال عبد الناصر حسين قائلا : إن جماعة يأتون إلينا ليتحدثوا عن الاشتراكية ، ويطلبون منا أن نربط الأحزمة على البطون لنبنى أمتنا ، ولكنهم يركبون سيارات فارهة ، طول كل منها ستة أمتار أو أكثر ، ويُحلّون أصابعهم بخواتم السوليتير والأحجار الكريمة .

وكانت هذه الجمل مثار غضب عليه ، فسرعان ما التقطته مراكز القوى من الاجتماع على مرأى ومسمع من المشاهدين ، وأودعته زنزانة ضيقة قذرة رطبة عدة أيام ، ويقول الشيخ فى حديث له إنه لم يقدّم له أى طعام ولا أى شراب طيلة بقائه فى الزنزانة التى استمرت عدة أيام ، ولكن الشيخ كان حسن الحظ لأن برقيات عدة وردت من داخل الجمهورية وخارجها تسأل عن مصيره بعد أن اختفى ، فاضطرت مراكز القوى إلى إطلاق سراحه ، ويقول الشيخ عاشور فى حديثه المشار إليه إنه استُدْعِيَ لمقابلة شخصية كبيرة قالت له : ستخرج الآن ، وحذار أن يعرف أحد ما حصل لك ، ولا زوجتك ، قل إنك كنت فى زيارة لبعض أقاربك ، وأضافت هذه الشخصية

---

(١) نشرته مجلة آخر ساعة (اكتوبر ١٩٧٤)

قائلة للشيخ : سأكلمك تبعاً لمعلوماتك ، أنت تقول إن الله يعلم الغيب ، فلتعرف أننى أيضاً أعلم الغيب ، وسأعرف كل همسة تهمس بها ، وتأكد أنك إن عدت إلى هنا فلن ترى النور بعد ذلك ».

وكان هذا هو جو المؤتمر القومى الذى انعقد نتيجة لبيان ٣٠ مارس ، ومن هنا فما أصدق قول أنور السادات : لم يغير هـذا البيان من القبضة الدكتاتورية شيئاً ، وقد أرجأ الدستورَ الدائم إلى ما بعد إزالة آثار العدوان ، وكرس حق الاعتقال (١) .

---

(١) البحث عن الذات ص ١٧٤

حوادث سنة ١٩٦٩

شهد عام ١٩٦٩ فجائع ألمت بمصر كلها ، وفجائع أخرى ألمت بعبدالناصر شخصياً ، فقد حدثت فى هذا العام زحفة « الزعفرانة » حيث عبرت الدبابات الإسرائيلية البحر ومعها جيش إسرائيلى ، وحلّت هـذه القوة بالجانب الغربى لقناة السويس ، ثم عادت عندما شاءت ومعها حشد من الأ . رى ، وكان معنى هذا واضحاً ؛ إذ أصبحنا تحت رحمة العدو ، ولا نملك الدفاع عن أنفسنا أو حماية أرضنا ؛ وسنتحدث عن هذا الموضوع فيما بعد .

وفى هذا العام انهارت صحة عبد الناصر ، واضطر أن يستسلم للمرض ، ويسلم نفسه للروس للعلاج :

والمهم أنه مع هذه الخطوب فإن الاتجاه الدكتاتورى بقى كما هو ، وكانت الدكتاتورية سبباً لكل ما عانينا من آلام ، ولم ينتفع الدكتاتور بالتجربة ، ولم يتحول عن طبيعته حتى بعد أن كبا وكبت معه البلاد .

وسنواصل فيما يلى دراسة أحداث هذا العام بالتفصيل :

القانون فى إجازة

عاش عهد عبد الناصر بلا قانون وبلا عدالة ، ووُصِفَ القانون خلال العهد بأنه تخلف ورجعية ، وقد كان هذا الاتجاه هو سمة العهد كله ، ولكن الذى يدعو إلى الدهشة أن هذا الاتجاه استمر بعد الهزيمة التي وقعت على الجيش والحكام ، ولم يرتدعوا بها ليعودوا إلى الهدى والرشاد ، وسنقتبس فيما يلى بعض العبارات والأحداث التى تدل على أنهم استهانوا بالقانون قولا وفعلا .

يقول أنور السادات : فى العشرين سنة الأولى للثورة عُطلت سيادة القانون ، ولم يصبح هناك مجال للمحاماة أو للقضاء(١) .

ويروى الأستاذ محمد شوكت التونى أن المشير طلب مرة القبض على بعض الصحفيين ولكن وزير العدل لم ينفذ هذا الطلب ؛ فاتصل به المشير تليفونياً وسأل بلهجة شاذه قائلا : لماذا لم تقبض على الصحفيين ؟ فأجاب الوزير : القانون يافندم . فقال له المشير : قانون ايه ؟ بلاش تخلف(٢) .

واستمراراً لتعطيل القانون ، وعدم الحرص على العدالة مُنع محمد أبو نار من أداء الشهادة ، وهو يقول فى ذلك : لقد لعب الشيوعيون دوراً مهماً فى الدفاع عن البلاد خلال حرب ١٩٥٦ . . . . ولما قُدموا للمحاكمة سنة ١٩٥٩ طُلبت لأداء الشهادة فى تهمة « العمالة » التى وجهت إليهم ، ولكن حسن المصيلحى رئيس قسم مكافحة الشيوعية فى المباحث حاول

---

(١) البحث عن الذات ص ١٠٢

(٢) قضية التعذيب الكبرى ص ٣٨٤

إقناعى بعدم الشهادة . واستدعانى عباس رضوان وزير الداخلية وطلب منى عدم الذهاب(١) .

وفى يوم ٢٣ يونيو ١٩٦٦ أعلن شعراوى جمعة أنه ضد تدخل النيابة فى التحريات والتحقيقات ، لأنه فى كل الموضوعات التى نحيلها إليها تنتهى بالبراءة ، لأن النيابة ببساطة تسير الأمور فيها بالطرق القانونية ، ولهذا ينبغى أن نحيل أمثال هذه الموضوعات إلى جهات ثورية للتحقيق فيها مثل المخابرات العامة ، والمخابرات العسكرية ، والمباحث الجنائية ، والعسكرية ، بدلا من الدخول فى دوامة القوانين التى تنتهى دائماً بالبراءة(٢) .

وتبعاً لهذا الاتجاه كان لدى سعد زايد محافظ القاهرة « فلقة » يحتفظ بها فى مكتبه ، وهو يقول إنها وسيلته لحل المشكلات(٣)

ويعلق المستشار محمد عبدالسلام على ذلك بقوله : ياله من شعار عجيب يتخذه محافظ القاهرة عاصمة مصر ، وقبلة الدول العربية والإسلامية والإفريقية ، وحاملة مشعل الحضارة والحرية ، وقد كان محافظ القاهرة فى قولته هذه أشبه بحاكم أجنبى يتفاخر بأن وسيلته فى حكم المواطنين هى « الفلقة والعصا » ، وهى صورة غير مقبولة ، فيها إهدار لكرامة المواطنين واستهتار بالغ بأحكام القانون(٤) .

ومن إهدار القانون ما يذكره الأستاذ جلال الحمامصى بقوله : وقد

---

(١) أحمد حمروش : شهود ثورة يوليو ص ٣٨٤

(٢) محمد عبد الرحيم عنبر : محاكمة جمال عبد الناصر حـ ١ ص ٧٦

(٣) المستشار محمد عبد السلام : سنوات عصيبة ص ٨٦

(٤) المرجع السابق ص ٨٦ — ٨٧

تكررت ظاهرة إغفال نشر بعض القوانين ، أو التراخى فى نشرها ، أو إعطاء تاريخ للنشر مغاير للتاريخ الحقيقى ، أو النشر فى عـــدد رمزى من الوقائع المصرية لا تطبع منه إلا نسخ قليلة جداً . . . . وفى هذا مخاطرة بحقوق المواطنين وإهدار لسيادة القانون ومجافاة لروح بيان ٣٠ مارس(١) .

وهكذا كان وضع القانون على الرف مصـدر المآسى التى عاناها شعبنا طيلة عشرين عاماً ،ولم يكن للمواطن ملاذ يلجأ إليه أو تشريع يعتمد عليه .

(١) حوار وراء الأسوار ص ٢٠٠

مذبحة القضاء

مأساة القضاء ، أو مذبحة القضاء كما اصطُلح على تسميتها امتداد للعسف الذى بدأ بالعدوان على السنهورى باشا رئيس مجلس الدولة ، وشيخ فقهاء القانون فى العصر الحديث ، وامتداد كذلك لوضع القانون على الرف الذى تحدثنا عنه آنفاً .

وقد كان واضحاً أن هناك جفوة هائلة بين رجال القانون من جانب ورجال الثورة من جانب آخر ، وقد سار رجال القانون غالباً سيرتهم العادلة ، فحكموا فى القضايا بنزاهة وإنصاف على الرغم من أن تيار الانحراف جرف بعض هؤلاء فعملوا جواسيس على زملائهم وعلى سواهم كما ذكرنا من قبل ، ولكن بوجه عام كان رجال القضاء نموذجاً طيباً للعدالة وللتمسك بالحق ، وترتب على ذلك أن ألِف الثوار محاكم عسكرية ولجأوا إليها ليتخلصوا من القضاء العادى ، كما لجأوا إلى المباحث بأنواعها ليتخلصوا من النيابة العامة .

وقد كتب المستشار محمد عبد السلام تفاصيل طويلة عن هذا الموضوع(١) بعنوان : «الأستاذ محمد أبو نصير وأعوانه والتمهيد للمذبحة» ونحن نقتطف من هذا الحديث الطويل بضعة سطور لإيضاح هذه المذبحة :

« المفروض أن المهمة الأولى لوزير العدل هى تثبيت دعائم استقلال القضاء ، وإشاعة روح الطمأنينة بين القضاة ، ولكن وزير هذه الحقبة الأستاذ محمد أبو نصير كان بعيداً كل البعد عن هذا الاتجاه ، وكانت له سياسة مرسومة هدفها هدم القضاء واحتواؤه سياسياً ، وكان يعتبر النقد

---

(١) سنوات عصيبة ص ١٦٦ وما بعدها

الذى يمسه حملة موجهة ضد الحكومة ، بل يعطيها الشعار الذى كان شائعاً وهو « ثورة مضادة » ، ومن هنا يتجه عبد الناصر لمقاومتها والقضاء عليها.

« ووافق اتجاه الوزير هوى لدى حكومة عبد الناصر التى لم تكن راضية عن اتجاهات القضاء والنيابة كما ذكرنا من قبل ، ثم إن الوزير قرّب إليه بعض العناصر التى كان بها جانب من الانحراف ، فعمل هؤلاء ضد الكثرة الصالحة .

« وعُقدت الجمعية العمومية للقضاة فى ٢٨ مارس سنة ١٩٦٨ لتجديد انتخاب ثلث الأعضاء ، فأصدرت الجمعية بياناً تحدث عن وجوب سيادة القانون ، واستقلال السلطة القضائية ، والبعد بالقضاة عن كافة التنظيمات السياسية ، كما تحدث عن وجوب تخصُّص القضاة وتفرغهم ، وأن النيابة العامة جزء لا يتجزأ من القضاء ، وجاء فى البيان ردٌّ عما يُقال عن الالتجاء للقضاء الشعبى فى بعض القضايا .

« وقد واجه على صبرى هذا البيان بمقالات نشرتها جريدة الجمهورية تندِّد بالقضاة ، وتطلب إشراكهم فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ، وتسخر من القاعدة التى اتّفقت عليها الشرائع الدنيوية والسماوية والتى ترى درء الحدود بالشبهات ، وتفسر الشك لصالح المتهم ، ثم طلب على صبرى تعيين ثمانية من شبان الاتحاد الاشتراكى فى وظائف معاونى نيابة دون مراعاة أسبقيتهم فى ترتيب التخرج ، فلما اعترضتُ على ذلك أصدر قراراً جمهورياً بتعيينهم .

« وعندما جاء موعد انتخاب نادى القضاة سقط أتباع الوزير الذين كانوا يسمون « مرشحى الحكومة » ، فجاء دور الإنتقام ممثلا فيما سُمِّى « مذبحة القضاء » فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٦٩ ، وقضت هذه المذبحة

بوقف العمل بقانون السلطة القضائية ، وبحصانة القضاة كبيرهم وصغيرهم ،

وفُصِلَ جميع أعضاء مجلس نادى القضاة ، وعدد كبير من القضاة ورجال

النيابة ، ولتغطية هذا التصرف الشاذ صدر قرار بفصل جميع رجال القضاء ، ثم أعيد منهم من لم يشترك فى إغضاب الحكومة ، وكانت هذه مأساة تُعدّ الأولى من نوعها ، فهى من مبتكرات هذا العهد ، وظل رجال القضاء المفصولين بعيدين عن وظائفهم حتى أعادتهم ثورة التصحيح ، وأزالت الظلم عن المظلومين » .

ويعترف محمد حسنين هيكل أن هذه الإجراءات أثارت ردود فعل كان يمكن أن يسمعها جمال عبد الناصر ويستجيب لها ، ولكن الثورة فى ليبيا قامت يوم أول سبتمبر وشدت الانتباه كله إلى ناحية أخرى(١) .

ومن عجب أن تستغرق ثورة ليبيا كل انتباه الزعيم واهتمامه فلا يجد من وقته لحظة فراغ لينصف القضاة الذين يتجهون بكل جهدهم ووقتهم لإنصاف المظلومين ، وعندما يقع الظلم الصارخ على عمد العدالة فإن كل بغى يصبح قريب الوقوع .

---

(١) لمصر لا لعبد الناصر ص ٣٦

ثورة السودان وثورة ليبيا

فى ٢٥ مايو سنة ١٩٦٩ قامت بالسودان ثورة عسكرية بقيادة اللواء جعفر محمد نميرى فقضت على مجلس السيادة برياسة الأستاذ إسماعيل الأزهرى ، وكان هذا المجلس قد اختير عقب سقوط النظام العسكرى برياسة الفريق إبراهيم عبود فى أكتوبر سنة ١٩٦٤(١) .

وفى أول سبتمبر أو الفاتح من سبتمبر كما يحلو لسلطات ليبيا أن تسميه قامت ثورة فى ليبيا بقيادة العقيد معمر القذافى ضد النظام الملكى فى البلاد ، ويقول محمد حسنين هيكل متحدثاً عن الثورتين :

بالنسبة إلى الثورة التى قامت فى السودان أتذكر أن عبد الناصر كان سعيداً جداً بها ، واعتبر أنها تحول أساسى بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وأنها نوع من إعادة الاعتبار إلى حركة القومية العربية التى كانت مضروبة ، ثم قامت الثورة فى ليبيا ، وكان تقديره أن دورها أضخم وأهم . . . وقد فرح جداً عندما شرحت له استنتاجى بالنسبة إلى الاتجاه الحقيقى للثورة ، هذا الاتجاه الذى تمثل فى الشعارات التى أطلقتها الثورة منذ الساعات الأولى لها ؛ وهى : الحرية — الاشتراكية — الوحدة(٢) .

ولنا تعليق على هذا الكلام من عدة اتجاهات :

أولا : أن يسعد عبد الناصر جداً ، ويفرح جداً لقيام ثورات دون أن يعرف القائمين بها واتجاهاتها ، فهذا أمر عجب ، ويدل على روح شر كامنة ، وسرور بالهدم دون ثقة بالقدرة على البناء .

---

(١) اقرأ عن ذلك الجزء السادس من هذه الموسوعة ص ٦٤٢

(٢) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٧٢

ثانياً : لست أفهم أبداً معنى لجعل ثورة السودان إعادة لحركة القومية العربية التى كانت مضروبة ، وكيف فهم عبد الناصر هذا عنها من أول لحظة ؟ وكيف نستطيع أن نطعن العمالقة الذين كان الحكم بأيديهم فى السودان قبل هذه الثورة ؟ وفى مقدمتهم إسماعيل الأزهرى ومحمد أحمد محجوب ؟

ثالثاً : كيف تعد ثورة ليبيا ذات دور أضخم وأهم من ثورة السودان؟ ولا تعرف مصر دوراً أهم من تحركات السودان الذى يكوّن مع مصر طبيعة واحدة يغذّيها تاريخ طويل ، ودم يجرى فى العروق ، ومياه النيل ، ذلك الشريان الأبدى العظيم .

رابعاً : هزّت الشعارات الليبية عواطف عبد الناصر ؛ وكم من شعارات كانت بعيدة كل البعد عما ينفعل فى النفوس وعن الحقائق الأكيدة .

خامساً : حدثت هاتان الثورتان بعد فترة قصيرة من مؤتمر الخرطوم الذى انعقد بجهد محجوب والأزهرى عقب الهزيمة المريرة ، وقد كان هذا المؤتمر دواء لبعض جراح هذه الحرب ، وقامت حكومة السودان بأعظم دور فيه ، ويمكن القول أنه لولا السودان لكان انعقاد هذا المؤتمر غير ممكن آنذاك ، وأسهمت ليبيا بنصيب كبير فى تحمل التبعات المالية . كيف نسى عبد الناصر بهذه السرعة دور الحكام الذين كان الأمر فى يدهم قبل قيام الثورتين ؟ وهل كان من الوفاء أن ينسى عبد الناصر عون الذين وقفوا بجانبه وقت الشدة ؟

•

وليس معنى هذا أننى أعارض الوضع الجديد هنا أو هناك ، ولكن كنت أوثر أن يصمت عبد الناصر ويترك كل قطر عربى يباشر مسئولياته الداخلية على النحو الذى يراه .

ومن عجب كذلك أن ثورة ليبيا شغلته عن « مذبحة القضاء » كما قال هيكل فيما اقتبسناه منه آنفاً ، وهذا دليل جديد على أن الرجل كان يعيش للخارج ولا يصيخ لمشكلات الداخل ومتاعب الشعب المصرى .

إسرائيل فى الزعفرانة

غرب خليج السويس

تقع الزعفرانة على الساحل الغربى لخليج السويس، وفى يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٦٩ قامت إسرائيل بعملية إن دلت على شىء فهى تدل على استهانة كاملة بقواتنا وبالمخابرات المصرية ، وتوضح حقيقة مهمة هى أن نشاط القوات المصرية والمخابرات المصرية كان ضد شعب مصر ، ولا دور لهذا النشاط ضد العدو الإسرائيلى .

فقد قامت إسرائيل فى هذا اليوم بزحف قوامه ١٦ دبابة برمائية وعدد من القوات الإسرائيلية ، وعبرت خليج السويس واحتلت منطقة الزعفرانة فى غرب الخليج وثبتت أقدامها ومدت سيطرتها وخيوطها حول المنطقة ، ويصف محمد حسنين هيكل هذا الغزو بقوله : إن الأنباء الصادرة من تل أبيب ومن بعض العواصم الدولية صورت المسألة على أنها غزو لمصر ، وأخذت وكالات الأنباء تبعث رسائل صحفية تقول فيها إنها من « مصر المحتلة(١) » .

أين كان جيش مصر ليرد هذا الاعتداء ولا يمكنه من العبور ؟ وأين كانت المخابرات لتعرف هذه الأنباء قبل حدوثها أو فى أثناء حدوثها أو على الأقل عقب حدوثها ؟

يبدو أنه لم يكن عندنا جيش ولا مخابرات ، ولذلك اعتمد عبد الناصر على هيكل ليعرف منه الأنباء ، فاتصل به هاتفياً وطلب منه أن يقرأ له ما تقوله وكالات الأنباء عن العملية ، وقرأ هيكل للزعيم ما لدى صحيفة الأهرام من

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ٢٠٣

تلك الأنباء ، ويضيف هيكل قوله : إن عبد الناصر اعتمد على الأهرام لأن المعلومات التى توافرت لدى المخابرات المصرية عن العملية لم تكن كافية ، أو لم تكن مكتملة وواضحة ، ويتساءل هيكل : مَن المسئول عن ذلك ؟ وعن الارتباك فى المعلومات الرسمية ؟ ولكن هيكل لا يعطى جواباً عن هذا التساؤل(١) .

والمهم - لحسن الحظ - أن إسرائيل لم تكن تريد احتلال هذه المنطقة احتلالا طويلا خوفاً من الرأى العام العالمى ، ولكنها أرادت أن تهز النظام وتسخر منه ، كما أرادت أن تستولى على أجهزة الرادار التى كانت مصر قد ثبتتها فى هذا المكان ، وبعد أن حققت إسرائيل ذلك كما تشتهى ، وبدون أن تلقى أية مقاومة انسحبت ومعها الأجهزة وعدد من الأسرى المدنيين والعاملين بهذه الأجهزة .

يا لله ! ! لقد كانت هذه هى النهاية الأليمة للزعيم الذى كان يهدد بجيشه دولا كثيرة .

وقد كانت هذه الحادثة - كما يقول هيكل - من الأسباب التى زرعت المرض الخطير فى جسم الرجل ونفسه ، ذلك الرجل الذى طالما دمَّر أجسام الرجال ونفوسهم .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٣ - ٢٠٤

أسرار مهمة يعلنها كيسنجر

نشر هنرى كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكى نيكسون للأمن القومى، ثم وزير خارجية أمريكا مذكراته بعنوان « سنوات البيت الأبيض » وقد نقلت صحيفة الأخبار فى شهرى أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٧٩ أجزاء من هذه المذكرات تتصل بالمحادثات التى جرت فى سنة ١٩٦٩ بين أمريكا والاتحاد السوفيتى عن قضية الشرق الأوسط ، وكان عبد الناصر كما ذكر أنور السادات فيما اقتبسناه من قبل قد طلب أن يمثلنا الاتحاد السوفيتى فى المفاوضات ذاكراً أن مصر تقبل ما يقبله الاتحاد السوفيتى ، ودخلنا بذلك متاهات لاحدود لها يُعلنها هنرى كيسنجر فى مذكراته ، فهو يقول : إن روجرز وزير خارجية أمريكا كان يتفاوض لمحاولة الوصول إلى حل ، ولكنه « كيسنجر » كان يعرقل هذا المسعى ، ويرى أن الطريق مسدود، لأن آراء الطرفين المتنازعين مختلفة تمام الاختلاف حول معنى الحدود الآمنة ، وَرَجَحَ اتجاهُ كيسنجر باعتباره شديد التأثير على نيكسون ، وكان نيكسون يدهش — كما قال للسفير السوفيتى — لأن مصر خسرت الحرب وخسرت الأرض ؛ ومع ذلك تتقدم بمطالب المنتصرين .

وأحسّ عبد الناصر بفشل محاولة الوساطة ولم يكن يستطيع أن يدخل تجربة حرب أخرى ، ومن هنا كان الطريق مسدوداً أمامه، فلا المفاوضات يحتمل نجاحها ، ولا الاستعداد العسكرى يمكن أن يصل إلى درجة تكسب الحرب ، ولذلك اضطر وهو يطلب أسلحة من السوفيت أن يُبدى استعداده بأن يمنح قواعد عسكرية للسوفييت ؛ وأن يجعل قيادة سلاح الطيران المصرى فى أيدٍ سوفيتية (١) .

---

(١) البحث عن الذات ١٩٣ ص ٢٥٧ ، ومذكرات كيسنجر التى نشرت بالأخبار يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩٧٩

ويواصل كيسنجر كلامه فيقول : بينما كانت هذه هى الحقيقة التى يعيشها عبد الناصر نجده يظهر أمام الشعب بمظهر آخر ، فيلقى خطاباً ملتهباً فى مجلس الشعب فى ٦٩/١١/٦ يعلن فيه أنه سوف يستعيد الأرض المحتلة بالنار والدم ، ولن يقنع بأنصاف الحلول السياسية .

وقد جاء فى مذكرات كيسنجر كذلك أن عبد الناصر كان يقبل أ رأ ويذيع على الناس غيره . فنى شهر مايو سنة ١٩٦٩ أدلى بحديث لمجلة « تايم» قال فيه إنه يقبل حقيقة « وجود إسرائيل » ولكنه أمر بحذف هذه العبارة من حديثه عند نشره وإذاعته فى وسائل الإعلام القاهرية .

ويذكر كيسنجر جملة يقتبسها من سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية الذى كان مختصاً بشئون الشرق الأوسط ، هى أن سيسكو قال للرئيس نيكسون إنه لم يجد دليلاً على أن السوفييت مستعدون للضغط على عبد الناصر لأنهم ينظرون إليه باعتباره أداتهم الرئيسية فى الشرق الأوسط ، ولذلك فإنهم غير راغبين فى المخاطرة بوضعه السياسى .

وهكذا كان عبد الناصر يتكلم بصوت القادة ويتصرف فى السر تصرف التابعين .

ونقطة أخرى من مذكرات كيسنجر نُشرت فى صحيفة الأخبار بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢٦ تقول إن الاتحاد السوفيتى يتحدث عن وجوده العسكرى بمصر سنة ١٩٦٩ وكأن مصر ولاية سوفيتية لا رأى لها ، وينقل رأى وزير خارجية الاتحاد السوفيتى وهو أن موسكو تملك تحديد عدد قواتها بمصر دون الرجوع إلى أحد ! !

السادات نائبا لرئيس الجمهورية

من أحداث هذا العام حَدَثٌ كان شديد التأثير على مستقبل مصر ، ذلك هو تعيين أنور السادات نائباً لرئيس الجمهورية ، وعبد الناصر يستحق الثناء على هذا التصرف ، فقد اختار رجلاً يستطيع أن يحمل العبء ، وإذا قارنا هذا الاختيار باختيار رجل آخر حصل عقب هزيمة يونيو نجد أن توفيق عبد الناصر كان عن مصادفة لا عن فكر ، فعقب الهزيمة كانت الكارثة ستمتد أو تتضاعف لو آل أمر مصر إلى زكريا محى الدين أو شمس بدران ، ولكن الله سلم أرضنا المباركة ، وألهم عبد الناصر الصواب فى هذه الخطوة ، فاختار أنور السادات قائداً ورائداً لمصر ، وله من ثقافته العسكرية ، وثقافته المدنية ، وبيئته الطيبة ما ضمن له عناصر النجاح .

وكان اختيار أنور السادات مفاجأة ، يتحدث عنها بقوله :

فى ساعة صفاء وإلهام قال لى عبد الناصر يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩٦٩ : يا أنور أنا مسافر لحضور مؤتمر القمة العربى فى المغرب غداً ، وزى ما أنت شايف المؤامرات حولى كثيرة . . . ومش عايز أسيب البلد فى فراغ ، ولذلك قررت أن أعينك نائباً لرئيس الجمهورية ، وتحلف اليمين قبل أن أسافر .

وسأله أنور السادات : هل فكرت جيداً فى هذا الموضوع ؟ أنا مستعد أن أكمل معك المسيرة ولو بلقب مستشار .

فأجاب عبد الناصر : لا . . بكره تفوت علىّ وتحلف اليمين ، وذهب أنور السادات وحلف اليمين فى اليوم التالى ، ولم يعلن هذا النبأ إلا فى المطار أعلنه عبد الناصر على المودعين (١) .

---

(١) البحث عن الذات ص ٢٥٥ - ٢٥٦

حوادث سنة ١٩٧٠

حرب الاستنزاف ونتائجها

ماذا تعنى كلمة الاستنزاف التى أطلقها عبد الناصر على المناوشات التى حدثت فى بعض الفترات بعد حرب ١٩٦٧ ؟ .

إن كلمة الاستنزاف فى القاموس اللغوى تعنى نزيف الدم والمال من عدو، فهل استطعنا من هذه المناوشات أن نجعل إسرائيل تنزف الدم والجهد والمال؟ أو أن هذه كلمة أسىء استعمالها كما أسىء استعمال كلمة «حراسة» و«ديمقراطية» و «حرية» وغيرها من الكلمات؟ .

إن الإجابة عن هذا السؤال نأخذها من شخص مهم هو أنور السادات، ومن كلامه يتضح أننا نحن الذين نزفنا ، وأضفنا إلى الخسارة خسارة جديدة ، وفيما يلى كلماته[1] :

بدأنا هذه الحرب فى سبتمبر سنة ١٩٦٨ فردّت علينا إسرائيل بضرب المحولات فى نجع حمادى وقناطر نجع حمادى وكوبرى قنا ، فاضطررنا إلى التوقف من سبتمبر سنة ١٩٦٨ إلى مارس سنة ١٩٦٩ حيث استأنفنا هذه الهجمات ، وكان رد إسرائيل على ذلك رداً همجياً فضربت مدرسة بحر البقر ضربة راح ضحيتها عشرات من الأطفال الأبرياء ، ثم ضربت مصنع أبو زعبل وقتل فيه أكثر من سبعين عاملا ، ودمر المصنع تدميراً تاماً ، ولا تزال أنقاض من معداته ملقاة بالقرب من المصنع تشكو همجية المهاجم وضعف الحماة .

ويقول الدكتور هنرى كيسنجر فى مذكراته « سنوات البيت الأبيض » التى نشرت الأخبار ترجمة أجزاء منها : « فى يناير عام ١٩٧٠ بدأت

---

(١) البحث عن الذات ص ٢٥٥ و ٢٥٧ .

إسرائيل غارات العمق فى مصر ، وشنت هجمات جوية حول القاهرة ودلتا نهر النيل ، وكان الهدف من هذه الغارات هو إظهار عجز عبد الناصر وإرغامه على وقف ما يسمى بحرب الاستنزاف »(١) .

وكان من نتائج هذه الضربات الجوية الإسرائيلية فى العمق أن طلب عبد الناصر من الاتحاد السوفيتى أن يتولى قائد سوفييتى قيادة الدفاع الجوى عن مصر(٢) .

وكان من نتائج هذه الضربات التى لم يستطع عبد الناصر ردها أن قبل مبادرة روجز بإيقاف الهجمات مدة تسعين يوماً لإعطاء فرصة لحركات الحل السلمى ، وقد تعرض عبد الناصر لحملة شرسة من الفلسطينيين بسبب قبول هذه "المبادرة ، ولم تسفر التحركات السلمية" عن أية نتائج ، ولم تستأنف مصر الصراع ضد إسرائيل بعد ذلك فى حياة عبد الناصر .

أترى من الذى كان ينزف فى هذه الحرب ، وإلى من كان الاستنزاف موجهاً ؟

---

(١) صحيفة الأخبار فى ١٩٧٩/١١/٦

(٢) أنور السادات : البحث عن الذات

أيلول الأسود ومؤتمر القمة

كان الملك حسين قد ضاق بالفلسطينيين الذين كانوا يعيشون فى بلاده، ويقومون بغارات فدائية على إسرائيل تعقبها عمليات انتقامية عنيفة تقوم بها إسرائيل على تجمعات الفلسطينيين فى المملكة الأردنية ، وكثيراً ما كانت هذه العمليات الانتقامية تدمر الممتلكات والرجال بالمملكة .

وكان الذين يقومون بالغارات الفدائية من الفلسطينيين لا يخضعون لإشراف الملك ، ومن هنا قرر الملك تصفية المقاومة الفلسطينية ببلاده ، فهاجمها هجوما عنيفا فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ مما أدى إلى مذبحة بين أفرادها بالمعنى الكامل لهذه الكلمة :

ودعا عبد الناصر الملوك والرؤساء للاجتماع فى مؤتمر قمة بالقاهرة فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ وحضر الملوك والرؤساء ، ودار نقاش ثنائى حول دعوة الملك حسين أو عدم دعوته ، واتُّفق أخيراً على دعوته ، وما إن حضر حتى أصبح المؤتمر يموج بالمتناقضات .

كان ياسر عرفات ينفعل ويبدأ سلسلة من الانفجارات لا نهاية لها ، وكان القذافى ظاهرة تلفت النظر بالطبنجة التى لا تفارق حزام سترته كما كان دائم السباب للملك حسين ، وكان يصفه بأنه رجل مجنون ولابدّ له من دخول مستشفى المجاذيب(١) .

وكانت الجلسات ثنائية، والاجتماع الوحيد الذى ضمّ كل الحاضرين كان هو الجلسة الختامية ، وقد حضرة القذافى بعد تمنُّع ، وعند ما حضر وضع رجليه على منضدة الاجتماع وصوره المصورون على هذه الصورة ، ولكن

---

(١) البحث عن الذات ص ٢٩٢

عبد الناصر أمر بإتلاف الأفلام ، وكان ياسر عرفات فى قاعة الاجتماع يحمل مترليوز . وكان الملك حسين يلبس بدلة عسكرية ، ويحمل مسدساً ، مما يخالف المراسم المتبعة[١] .

وعن نتائج هذه الاجتماعات يقول أنور السادات[٢] : انتهى المؤتمر بالاتفاق على ما اتفقوا عليه : وهذا يدل على غموض الاتفاق ، وعاد الملوك والرؤساء إلى بلادهم وتركوا جمال عبد الناصر فى غاية الإجهاد كما سنرى بعد قليل عند الكلام عن نهاية عبد الناصر .

---

(١) صلاح الشاهد : ذكرياتى فى عهدين ص ٣٦٢
(٢) البحث عن الذات ص ٢٦٣

نهاية عبد الناصر

لكل شيء فى الحياة نهاية ، وكل من عليها فان ، وقد يُخدَع الإنسان فيظن أنه طويل العمر ولكن العمر يكون قد نفد أو كاد ، وكان عبد الناصر يصارع المرض وهو يودع ضيوفه فى مؤتمر القمة الذى تحدثنا عنه آنفا ، وما إن رحل آخر رئيس عربى (أمير الكويت) حتى كان الإعياء قد وصل غايتــه من عبد الناصر فلم يستطع أن يسير فى المطار ليصل إلى سيارته ، ووقف حيث هو وطلب أن تجيء له السيارة عند موقفه ، وركب السيارة إلى البيت ، ولم تمض فترة حتى كان قد أسلم روحه إلى الله ، ومع نهاية العمر لم ينفع طب ولا عــلاج ، وانتهى الرجل فأصبح رهين عمله لا ينفعه مدح ولا يضره هجوم ، ولكنه فقط مسئول عما فعل فى دنياه .

وكانت وفاة عبد الناصر يوم الإثنين ٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٧٠ .

جنازة عبد الناصر :

حُمل جثمان عبد الناصر من منزله إلى قصر القبة وبقى به إلى يوم الخميس الذى تحدد للدفن ، فنقل الجثمان إلى مجلس قيادة الثورة حيث تقرر أن يبدأ سير الجنازة ، وفى خلال المدة بين موته وتشييع جنازته حضر عدد كبير من الرؤساء والملوك والزعماء لحضور هذه الجنازة ، وعند تشييع جنازته ازدحمت الطرقات بالآلاف من الجماهير المصرية ، وحدث فى الجنازة هرج ومرج ، ويقول الأستاذ صلاح الشاهد أنه بين الاضطراب الذى حدث فى الجنازة تمكن بعض الأشخاص من اختطاف الصليب الذهبى من فوق صدر مكاريوس كما خطفوا بعض الأوسمة من فوق صدر بوكاسا رئيس جمهورية أفريقية الوسطى آنذاك (١) .

ماذا لو قارنا هذا بما كان قد وصّى به الزعيم العظيم ديجول الذى مات بعد عبد الناصر بفترة قصيرة (٩ نوفمبر سنة ١٩٧٠) بأن تكون جنازته بلا

---

(١) ذكرياتى فى عهدين ص ٣٧٠

مراسم غير المراسم الدينية ، وأن يقتصر تشييع جثمانه على أهله الأقربين ؟

سرقة تركيبة رخامية لمقبرة عبد الناصر :

دُفِن جمال عبد الناصر فى مسجد بشارع الخليفة المأمون بعد أن أعدت له مقبرة رخامية سُرِق رخامها من المقبرة أو التركيبة الرخامية التى كان الأمير محمد على توفيق أعدها لنفسه موازيةً لمقبرة أخيه الخديوى عباس الثانى ، وقد أجْرَيْتُ تحقيقاً فى الموقع عن هذه المسألة وكتبت فى مذكراتى ما يلى :

المكان : مقبرة الخديوى توفيق العفيفى على بعد مئات من الأمتار من طريق صلاح سالم على الطريق المتفرع منه إلى مدينة نصر :

نظام المقبرة : نظام المقبرة هو كالشكل الآتى :

المدخــل



مقبرة والدة باشا (بمبة قادن)

(والدة عباس الأول)



مقبرة الخديوى توفيق



مقبرة عباس الثانى ← { مقبرة أم المحسنين (زوجة الخديوى توفيق) } ← مقبرة كانت معدّة ليدفن بها الأمير محمد على توفيق (أخو عباس الثانى) وهى التى سُرِق رخامها

وقد زرت هذه المقبرة بنفسى ، وقادنى لها أصدقاء أصفياء ، والمقبرة فخمة للغاية تناسب الملوك والسلاطين ، ويمكن أن تكون مزاراً هائلاً للسائحين لما بها من نقوش غاية فى الروعة ، وقد ظهر لى ما كنت أشك فيه ، وهو الاستيلاء على هذه التركيبة الرخامية الفخمة ، وظهر لى ما هو أكثر من ذلك ، ظهر لى غباء الذين استولوا على هذه التركيبة ، فقد تركوا مكانها

حفرة تدل على أن شيئاً قد سرق من هذا المكان ، وحرص خدم الضريح على أن يبقى هذا دليلاً على السطو ، فلم يضعوا بعض البلاطات مكان التركيبة وهم يقصدون أن يبقى المنظر دليلاً على أن شيئاً أخذ من هذا المكان ؛ وهكذا كان من حظ عبد الناصر أن يلازمه السطو والاستيلاء على حقوق الغير حتى بعد وفاته .

لم ينعم فى حياته :

تدل كل الدراسات على أن عبد الناصر لم ينعم فى حياته ، وكان دائماً مهدداً شديد الشك ، يعتقد أن حياته مهددة بالاغتيال فى كل لحظة ، وكان حبيس بيته قليل النزهة ، ويقول موسى صبرى إن عبد الناصر كان يعتبر ركوبه السيارة بجوار سائقه من منزله إلى شارع الهرم لزيارة أنور السادات نزهة العمر التى يرى فيها حريته[١] .

وهكذا فإن الرجل الذى سلب الحرية من الآلاف فقد أيضاً حريته فى عالم الشكوك والقلق والأوهام الذى خلقه حول نفسه .

لم أكتب كل شىء :

أحب أن أعترف وأنا على وشك أن أرفع القلم عن عبد الناصر أننى لم أكتب كل شىء ، فإن أمامى حشودا من الافكار اكتفيت بأن وضعت نماذج منها فيما دونت عن الرجل وعن عصره .

---

(١) وثائق ١٥ مايو ص ٣١٨

عبد الناصر فى الميزان

فى ختـام هذه الـدراسة نحاول أن نعطى كلمة إجمالية عن حسنات عبد الناصر ومساوئه :

حسنات عبد الناصر الخارجية :

عن حسنات عبد الناصر الخارجية أحب أن أوضح أننى هنا أكتب تاريخ مصر ، ولهذا فإن اهتمامى يتجه أساسا إلى ما قدّم رئيس مصر إليها وإلى شعبها ، وإنها لجريمة لانعرف لها نظيرا فى التاريخ أن يدفع رئيسُ دولةٍ قوت شعبه لدولة أخرى فيترتب على ذلك أن يجوع شعبه ؛ وأن يُرسل قواتٍ من قواته المسلحة لتساعد على تحرير الآخرين فيضعف جيشه ويترتب على هذا احتلال بلاده . . . . هذا هو قمة الخطل والظلم وسوء التدبير ، ومع هذا فإننا نسرد مواقف عبد الناصر فى هذا المجال التى يراها البعض حسناتٍ ، وللقارىء أن يرى فيها رأيه .

— أرسل قمحا إلى الهند إبان مجاعتها وكان القمح فى طريقه إلى مصر ، اشترته مصر بمالها لحاجة البطون إليه .

— أرسل مصانع للجزائر وكانت مصر قد اشترتها لتعمل بها .

— أرسل أسلحة كثيرة للجزائر ليساعدها فى حركة التحرير كما أرسل لها أفرادا من القوات المسلحة ومساعدات عينية أخرى :

ويعترف محمد حسنين هيكل بأن مساعدات عبد الناصر للجزائر كانت من أهم الأسباب التى دفعت فرنسا للاشتراك فى عدوان سنة ١٩٥٦ .

— قاوم حلف بغداد مقاومة عنيدة ، وأنفق على ذلك ملايين الجنيهات ونجح فى هزّ هذا الحلف .

— أرسل أسلحة وجيوشا إلى الكونغو .

— ساعد قبرص مساعدة مادية وعسكرية .

- فى خلال الوحدة مع سوريا أنفقت مصر على سوريا مئات الملايين من الجنيهات ، كما ذكرنا بالتفصيل من قبل .

- أيدّ لبنان فى صراعاته الداخلية حتى لا يُعاد اختيار كميل شمعـون لرئاسة الجمهورية ، وقد سخّر لذلك مال مصر ووسائل الإعلام المصرية .

- واستمرت مساعداته إلى صحف لبنان بعد ذلك لتظل هذه الصحف تمجده ، وقد اتضح أن بعض الصحف اللبنانية كانت تطبع عددا محدودا من النسخ يتحدث باسم عبد الناصر ، ولا تجد هذه النسخ وسيلة للتوزيع ، وإنما كانت ترسل للقاهرة لتعلن عن ولاء المحررين بها

- وفى اليمن كانت له هذه الوقفة الطويلة التى قضت على رصيد الذهب والفضة فى مصر ، كما دفعت للموت عشرين ألفاً من الشبان المصريين ،حتى تتحرر اليمن من حكم الأئمة الرجعى والبدائى .

- ساعد القضية الفلسطينية أكبر مساعدة ، عاش لها ومات فيها ، ويقول الملك فيصل : إن المزايدين كانوا يعملون ليحارب العرب حتى آخر جندى مصرى (١) ويمكن القول إنه الزعيم الذى ضحى بمصر من أجل فلسطين.

- وأسهم فى هزّ الاستعمار البريطانى فى الخليج العربى وفى اليمن الجنوبية ،

- أوى كثيراً من زعماء الحركات التحررية بأفريقيا وأنفق عليهم بسخاء ، وهم يقومون بجهدهم ضد الاستعمار .

- وجد اللاجئون السياسيون العرب وغير العرب فى رحابة كل سخاء ، وكل ترحيب ، وقد شاهدت وأنا أعمل فى المؤتمر الإسلامى نشاطاً لإعـداد مساكن رائعة لبعض هؤلاء ،ومما يذكر أن كثيرين من هؤلاء كانوا يحترفون هذا العمل ليعيشوا فى رخاء دون نشاط يذكر فى مجال خدمة بلادهم .

---

(١) الأخبار فى ١٩٧٩/١١/٨

ونظائر أخرى لهذه الأيادى والمنح يمكن أن تراها فى خط حياته الطويل، وللقارىء – إن شاء – أن يُعجب بها وأن يراها حسنات عظيمة ، ولكنى بحكم التزامى التاريخى أقرر نقطتين مهمتين تتصلان بهذا الموضوع :

أولا : ليس من حق رئيس دولة أن يأخذ قوت شعبه لحاجة شعب آخر أياً كان هذا الشعب ، صحيح إن المساعدات العامة مطلوبة، ولكن على أن تكون من الفائض بعد سد الحاجة فى الداخل ، ورئيس أى بلد مسئول عن بلده أولا مسئولية تشمل قضاء الحاجة والتعمير ،وبعد ذلك فقط يمكن أن يساعد الآخرين ، ولكن الذى فعله عبد الناصر كان لصالح الآخرين على حساب المصريين ، فالقمح كنا فى أمسّ الحاجة له ، وكذلك المصانع ورصيد الذهب . . . . والرئيس أمين على مال الأمة وشعبها ، ولا يجوز له أن يتصرف فى الدماء والأموال إلا لصالحها أولا وقبل كل شىء .

ثانياً : ما يقال عن مساهمة عبد الناصر فى تحرير الشعوب يجب – فى رأيى – أن يؤخذ بحذر ؛ فيلزم أن نتذكر ما وضحناه من قبل – عند الكلام عن المعاهدة التى وقعهاً عبد الناصر مع بريطانيا – أن العصر عصر جلاء ، وأن الاستعمار الأوروبى كان قد آن الأوان لنهايته بعد ظهور القوتين الكبيرتين بالساحة العالمية (أمريكا وروسيا) وبعد ظهور الأسلحة الحديثة التى جعلت الاستعمار العسكرى قليل القيمة .

ومن أجل هذه الحسنات كان يقال ؛ إن بصمات عبد الناصر واضحة فى المنطقة ، وأمثال هذا من التعبيرات الفجة الزائفة التى لامداول لها .

حسناته الداخلية :

لعل هدى عبد الناصر ابنة جمال عبد الناصر تعتبر أحسن مصدر يمكن أن نعتمد عليه فى ذكر حسناته الداخلية ، فقد سئلت عن إنجازاته فأجابت:

السد العالى ـ الاشتراكية ـ القطاع العام ـ صيغة قوى التحالف(١) .

وقد تكلمنا عن السد العالى كلاما طويلا فلا نعود هنا إليه .

ووَصَفَ أنور السادات اشتراكية عبد الناصر بأنها اشتراكية الصنم الذى ينوه ثم وقفوا يعبدونه ، وإنها اشتراكية توزيع الفقر .

أما القطاع العام فحسبنا ما ذكرناه عنه من انحرافات سطرها المستشار محمد عبد السلام النائب العام فيما اقتبسناه منه من قبل .

وأما صيغة قوى التحالف فهراء مات مع موت الاتحاد الاشتراكى .

ونلجأ إلى خوارى جمال عبد الناصر ، إلى محمد حسنين هيكل لنتعرف منه على إنجازات عبد الناصر وهو يعددها قائلا ، الإصلاح الزراعى ـ إعلان الجمهورية ـ كسر احتكار السلاح ـ معركة مقاومة الأحلاف ـ حروب تصفيه الاستعمار ـ تأميم قناة السويس ـ حرب السويس العظيمة ـ التصنيع ـ التحويل الإشتراكى ـ التصدى لمسئولية الوحدة العربية ـ بناء السد العالى ـ قيادة حركة الثورة الوطنية وتيار عدم الانحياز وإنشاء منظمة الوحدة الأفريقية ؛ وعودة بترول العرب للعرب(٢) .

وقد ذكرنا من قبل هذه الإنجازات وناقشناها وبيّنا أن :

ـ الإصلاح الزراعى كان مأساة اقتصادية ، ولم ينفّذ إلاضد المعارضين .

ـ الجمهورية : ليست هدفاً فى ذاتها ، وإنما الهدف كان فى القضاء على القصر المستبد ، وقد جاءت الجمهورية بعدة قصور وبصور بشعة من الاستبداد .

ـ تأميم قناة السويس : أرجو العودة إلى الإحصائية التى ذكرتها عند تأميمها ، كما أرجو العودة للتعرف على ذعر عبد الناصر وأنانيته عند الهجوم الثلاثى .

---

(١) محمود مراد : حوار مع هدى عبد الناصر ص ١٦

(٢) لمصر لا لعبد الناصر ص ٢٧

- كسر احتكار السلاح : خرافة أضرت بنا وانتهت وعدنا أدراجنا إلى حيث كنا .

- الوحدة العربية : ترك عبد الناصر للعرب وهم فى فرقة أشد وأقسى من أى وقت ، بسبب كلامه عنهم وهجومه عليهم .

ولم تجد هدى عبد الناصر ولا محمد حسنين هيكل فى الزعيم مكرمة قدمها للشعب الذى عرف كل صور العناء إبان هذه الفترة المريرة

مساوىء عبد الناصر :

إذا كنا قد اصطنعنا الصبر ونحن نعدد ما قيل عن حسنات لعبد الناصر فإننا يجب أن نضع فى الكفة الأخرى هذه المساوىء التالية :

- حروب خاسرة متلاحقة ومتعددة كان يمكن تحاشيها (حرب ١٩٥٦- الصراع فى سوريا - حرب اليمن - نكبة ١٩٦٧) .

- خسائر فى الأرواح : ٢٠,٠٠٠ شاب فى اليمن -

٣٥,٠٠٠ شاب فى حرب ١٩٦٧ ه

ولا نعرف عدد الآلاف اللذين سقطوا فى المعارك الأخرى .

- خسائر فى الأموال والمعدات : أربعون بليارا من الجنيهات (٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠) .

- ضياع سيناء مرتين فى عهده ، وتخريب منطقة القناة مرتين .

- ثروة مصر للخارج .

- انتهاك الحرمات وهتك الأعراض .

- الاعتقالات التى شملت عشرات الآلاف .

- التعذيب فى المعتقلات للرجال والسيدات والأطفال .

- مآسى ما سمى تصفية الإقطاع .

- فصل مئات الموظفين من وظائفهم بدون تحقيق .

- الخبز الأسود والحرمان التام .

— القطاع العام ومساوئه (يُقرأ فى هذا كتاب «التحدى» للأستاذ أحمد أبو الفتح ففيه تفاصيل مهمة) .

— المحاكمات الظالمة للزعماء السياسيين ، وللإخوان المسلمين ، والأحكام الجائرة عليهم بواسطة زملائه وزبانيته .

— الحراسة والمصادرات .

— إهمال المرافق بمصر إهمالا تاما حتى توقف الإسكان وضاقت المدارس بالتلاميذ ، وانخرست التليفونات ، وطفحت المجارى ، وانهارت الطرق ، فأصبح التدمير سمة العصر .

— انحرافات مالية تحدثنا عنها ، وقصور للأبناء وقد ذكرت مجلة الطلبة الصادرة فى ٨ فبراير سنة ١٩٧٦ بالعناوين الكبيرة وبالخط الأحمر مايلى :

منى عبد الناصر عرضت ١٦٠ ألف جنيه لشراء ٢١ فدانا من أراضى الإصلاح بمنطقة الهرم ، والمبلغ يزيد عن مجموع مرتبات رئيس الجمهورية مدة ٢٠ عاما ومرتبات السيده منى وزجها ، وتساءلت المجلة : من أين هذا المبلغ ؟

— زُوّار الليل .

— شركات للنقل تتبع المخابرات ، ويشترك فى رأس المال عبد الناصر والمشير كما اعترف بذلك صلاح نصر(١) .

— ٥٠ جرسونيرة يديرها أعوان عبد الناصر فى عهده(٢) .

— جَلب الاستعمار الروسى لبلادنا .

— الضعف عن حماية البلاد من العدو الصهيونى .

— القضاء على حرية الصحافة ، وحرية الرأى ، وحريه الإنسان .

— وبالإجمال فقد توقفت الحضارة توقفا تاما فى جميع مجالاتها ، وأسلمت البلاد إلى الضياع ؛ ناسها وأرضها ، ولم يبق لها ملاذ إلا أن يرحمها الله .

---

(١) وثائق ١٥ مايو ص ٢٣٥

(٢) محمد شوكت التونى : قضية التعذيب الكبرى ص ٧٠

فى هذه الخاتمة نعرض أموراً ثلاثة مهمة هى :

– عبد الناصر وأسرته بعد وفاته

– مخاطر الانقلابات العسكرية .

– بين عهدين

وسنتكلم عن كل من هذه الأمور كلمة فيما يلى :

عبد الناصر وأسرته بعد وفاته

ونبدأ بالحديث عن أسرة عبد الناصر فنسأل : ماذا عن مسئولية أسرة عبد الناصر وامتيازاتها ؟

أما عن مسئوليتها عما فعل الرجل فإننا ممن يخضعون للفكر الإسلامى الذى تمثله الآية الكريمة « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ومن هنا فلا نرى أن ينزل أى عقاب بأسرة جمال عبد الناصر نتيجة ما اقترفه الرجل من آثام فى حق الوطن والمواطنين ، ويحاسبه الله على ما عمل .

وأما عن امتيازات هذه الأسرة فإننا نرى من الظلم الفاضح أن تنال هذه الأسرة امتيازات باهظة من مال الشعب الفقير وقوته ، ونذكّر ولى الأمر أن أعظم زعيمين عالميين عرفهما العصر الحديث ، وأنقذا بلديهما من خطر محقق وهما تشرشل وديجول لم تنل أسرتاهما عشر معشار ما فُرِض لأسرة عبد الناصر ، فبعد موت تشرشل اضطرت زوجته أن تبيع لوحاته الفنية وبعض التحف التى كان يملكها لتعيش بثمنها ، ورفضت أن تقدم لها الدولة معونة خاصة حتى لا تسىء إلى سمعة زوجها ، وبعد موت ديجول اضطرت أرملته أن تقفل المنزل الريفى الضخم الذى كانت تعيش فيه مع زوجها لعدم استطاعتها الإنفاق عليه ؛ وانتقلت لتعيش فى بيت للمسنّين تديره كنيسة .

ولهذا فإننا نعلن أن إعطاء مال الشعب لأسرة عبد الناصر تصرّفٌ فى مال الشعب لا يرضاه الله ولا الوطن ، وبخاصة مع ما تنعم به هذه الأسرة من ترف وثراء ، ولو كانت أسرته حريصة على سمعته لرفضت هذا العطاء كما

رفضته أسرة تشرشل وديجول ، وبخاصة بعد أن انتهى الأولاد جميعاً من دراستهم ونالوا وظائف مرموقة تعد مرتباتها بالمئات ، ومن أجل هـذا فنحن نصرخ :

— بأى حق يُمنَح قصران شاسعان لأسرة عبد الناصر ؟

ومن العجب أن كثيرين من العظماء يمنحون منازلهم للدولة لتصبح متاحف عامة أو مدارس . . . . أما فى حالة مصر فالدولة تهب لأسرة الزعيم .

— بأى حق منحت أسرة عبد الناصر مرتباته ومخصصاته بدون ضرائب ؟

— لماذا تقف ١٧ سيارة بسائقيها فى خدمة هذه الأسرة؟ (تحديد عدد السيارات من كلام موسى صبرى) .

— ونجىء للحديث عن عبد الناصر بعد وفاته فنذكر أنه اذا كان قد نكّل بمصر وبالمصريين وترك البلاد محتلة كسيرة فإننا نصرخ .

— لماذا ترفع صوره فى الوزارات والمؤسسات مع صور رئيس الجمهورية؟

— إلى متى تظل تماثيله تملأ الميادين والمؤسسات ؟

— إلى متى تظل كثير من المؤسسات تحمل اسمه أو مشتقات هذا الاسم: مدينة نصر . شركة النصر . . . .

لابدّ فى رأى العدل أن تعيش أسرة عبد الناصر فى مسكن مناسب ، أما القصر الفسيح فى منشية البكرى بمطاراته وملاعبه وغاباته فيعود للدولة ، ويعود لها كذلك قصر الإسكندرية وتستردّ الدولة من أسرة عبد الناصر كل ما أخذوه زيادة عن المعاش الرسمى لهم .

لابدّ أن تنزل صُوَرُه وتزال تماثيله من كل مكان ، ويختفى اسمه ومشتقات هذا الاسم من المؤسسات والمعالم .

وذلك حق الشعب ، وأى تفريط فيه سيكون حسابه عند الله ، وسيكون خلطا بين جزاء من أحسن وجزاء من أساء .

مخاطر الانقلابات العسكرية

أجمع الباحثون على أن من أهم فوائد علم التاريخ أن نتّخذ من الماضى عظة تخدم حاضرنا ومستقبلنا ، وقد برهنت الأحداث التاريخية المتعددة على أن الحكم العسكرى يُلحق الضرر أبلغ الضرر بالمجتمع ، ويبدأ الضرر بالعسكريين الذين يقومون بالانقلاب ، إذ سرعان ما يضرب بعضهم بعضا ؛ مما يؤكد أن الصحبة بينهم قصيرة العمر ، فشركاء حركة الانقلاب تقفز العداوة بينهم بمجرد نجاح الانقلاب ، ثم يتجه الضرر للمدنيين فالبلاد ، وهذه النتيجة لم تتخلف عن الإطلاق فأنّى وُجد الحكم العسكرى يحل البلاء والدمار بالشعب والبلاد ، لقد حدث هذا بوضوح فى أمريكا اللاتينية وحدث فى بعض البلاد العربية ومن بينها مصر ، وحدث فى الباكستان وأفغانستان وأوغندة وأفريقية الوسطى واليونان . . .

ومن أجل هذا فنحن نضع هذه النتيجة أمام الناس فى كل مكان، حتى لا تخدعهم أية وعود براقة من العسكريين ، فكما أن الطبيب يبذل جهده فى المستشفى ، والمهندس يتّجه بكل حماسته لخدمة الأغراض الهندسية ، والأستاذ يفنى حياته بين إعداد درس أو إلقاء محاضرة . . . فكذلك الجيش يقف فى الميدان يحرس البلاد ويدافع عنها ، وذلك هو الهدف الأسمى لكل هؤلاء ، وليس لأحد أن يتخطى مكانه ، أما السياسة فلها رجالها الذين تعلموا فنونها كما تعلم سواهم الطبّ والهندسة والفلسفة . . . . وهم الذين يمارسون الحكم فى البلاد تحت المراقبة الصارمة من الجماهير وبخاصة من المعارضة النزيهة والصحافة الحرة ؛ ويمكن لأى ضابط أو أى طبيب . . . أى يخلى مكانه فى الجيش أو فى المستشفى ، ويدرس السياسة وفن الحكم فى كليات العلوم السياسية أو فى الأحزاب ، ويمارس بعد ذلك الأمور السياسية كما فعل أيزنهاور وديجول .

وإذا أنحرف الساسة بالحكم انحرافا تعجز المعارضة البرلمانية عن إصلاحه هبّت ثورة شعبية فى وجه المنحرفين ، ولا مانع من أن يمثّل الجيش فى هذه الثورة ليسقط زعماء الانحراف ، وعقب ذلك مباشرة يسلم زمام الأمر بالبلاد إلى جماعة محايدة من أساتذة الجامعات والأطباء والمهندسين .. ويعود الثائرون كل منهم إلى مقره وعمله ، ويجرى هؤلاء المحايدون استفتاء شعبيا حرا يتجه بالبلاد إلى حيث يريد الشعب .

ذلك هو الطريق الأمثل ، ولا خير على الإطلاق يرجى من حكم العسكريين ، وقد عبر عن هذا ماكسيم رودنسون حين قال : الجيش جماعة أنانية ، متلهفة على الاستمرار فى السلطة ، وعلى زيادة امتيازاتها ، وهى بعيدة عن الطبقات العاملة ، وغير جديرة أن تهب نفسها لأهدافها .

ومثل هذا ما اقتبسناه من قبل من كلمات الأستاذ أحمد محروش وهو يصف قادة الثورة المصريين ، مؤكداً أنهم كانوا بعيدين عن الشعب من جانب وعن الكفاءة من جانب آخر .

تلك صيحة نؤدى بها حق الله والوطن ، ونحمى بها البلاد والعباد من الفتن والدمار .

بين عهدين

إننى عندما أتصور ما كنا فيه وأقارنه بما نحن فيه ، أجدنى أنطق بالشكر والثناء ، وعميق الدعاء ، للرجل الذى نقلنا من الضعف إلى القوة ، ومن الهزيمة إلى النصر ؛ ومن تنكيس الرءوس إلى رفع القامة ، ومن عالم الخراب إلى دنيا العمران ، الرجل الذى استعاد لنا الحرية ، والكرامة ، والأرض السليبة ، وجعل خيرات مصر للمصريين .

وعندما أرى الجهود لإصلاح الأرض الزراعيـة وغزو الصحراء ، وعندما أشاهد النشاط الضخم فى عالم البناء والتعمير ، وعندما أرى شبكة التليفونات يساد بناؤها بتكاليف تقرب من مليارين من الجنيهات بعد أن خـُـرست تماماً ، وعندما أرى إصلاح الطرق ، وتحسين المواصلات ، وإزالة عشش الترجمان ... أدعو الله من كل قلبى أن يهب الرئيس محمد أنور السادات كل تأييد وقوة ، وأن يزيد الخير على يديه ، حتى يعم كل الناس بهذا البلد الأمين ، ويمتد لكل القرى والأقاليم ؛ كما أدعوه أن يجعل هذا العهد مطلعا لعهود نور وخير وبركة .

قد نختلف فى بعض الأمور ، وقد لا تكون أطماعنا كلها قد تحققت ، ولكن هذا لا يمكن أن يحجب أيادى أنور السادات ومآثره عن عيوننا ، فهذه المآثر ضوء وهاج يصل إلى كل عين وكل قلب .

تحية من الأعماق الرئيس محمد أنور السادات ، ودعاء أن يزيده الله توفيقا ونجاحا ، وأن يلهمه الخير والرشاد لهذا البلد الذى نحبه كل الحب ، ونعمل لخدمته بكل الولاء والإخلاص .

انحناءة شكر لله

فى ختام هذا العمل المضنى أتجه إلى الله العلى العظيم بانحناءة الذاكر الشاكر ، الذى يدرك أنه لولا عون الله وتوفيقه ما اكتمل هذا العمل الذى استغرق الجهد فيه ثمانية وعشرين عاما من مطلع الثورة إلى نهاية عام ١٩٧٩ ، فأقبل يارب شكرى وثنائى ، فالعبد لا يملك تجاه سيده إلا الشكران ، إنه بك يارب اتضح المبهم ، وانبثقت المعارف ، فأنت مصدر كل خير وكل فكر ، أما ما يمكن أن يكون فى هذا الكتاب من تقصير ، فذلك راجع إلى القوة البشرية التى لا تستطيع أن تصل إلى الكمال مهما حاولت ذلك ، ولا أملك تجاه هذا التقصير إلا الاعتذار .

وإلى اللقاء فى الجزء العاشر والأخير من هذه الموسوعة إن شاء الله ، وهو الجزء المخصص لعهد أنور السادات .

مصادر الكتاب

المصادر الأصيلة التي اعتمد عليها هذا الكتاب هي الصلة المباشرة بالأحداث ؛ رؤيةً بالعين أو سماعاً بالأذن من صانعي التاريخ ، أو سماعاً متواتراً من شهود العيان ، وإلى جانب ذلك هنالك مصادر وردت في ذيل صفحات الكتاب نذكرها فيما يلي مرتبة ترتيباً أبجدياً حسب أنواعها :

اولا ــ الصحف والمجلات :

١ ــ صحيفة الأخبار
٢ ــ « اخبار اليوم
٣ ــ « الأهرام
٤ ــ « الجمهورية
٥ ــ « المصرى
٦ ــ مجلة آخر ساعة
٧ ــ « اكتوبر
٩ ــ « روز اليوسف
١٠ــ « صباح الخير
١١ــ « الطليعة
١٢ــ « الفجر القطرية
١٣ــ « المصور
١٤ــ « منبر الاسلام

ثانيا ــ وثائق رسمية :

١٥ ــ بيانات من مجلس الشعب
١٦ ــ بيانات وزارية
١٧ ــ بيان ٣٠ مارس
١٨ ــ بيانات وأحاديث للرئيس انور السادات
١٩ ــ الدساتير المصرية من دستور ١٩٢٣ الى دستور ١٩٧١
٢٠ ــ كتاب من « محكمة الثورة » نشرته مصلحة الاستعلامات »
٢١ ــ الميثاق
٢٢ ــ نشرة الوثائق « تصدرها مصلحة الاستعلامات »

٢٣ ـ ورقه أكتوبر

٢٤ ـ الوقائع المصرية

ثالثاً : كتاب لم يذكر اسم مؤلفه :

٢٥ ـ عبدالناصر وهؤلاء

رابعاً : كتب مطبوعة :

٢٦ ـ دكتور ابراهيم عبده — اقول للسلطان

٢٧ ـ دكتور ابراهيم عبده — تاريخ بلا وثائق

٢٨ ـ دكتور ابراهيم عبده — رسائل من نفاقستان

٢٩ ـ دكتور ابراهيم عبده — الوسواس الخناس

٣٠ ـ ابراهيم سعده — الروس قادمون

٣١ ـ ابن الأثير — الكامل فى التاريخ

٣٢ ـ ابن عبد الحكم — سيرة عمر بن عبد العزيز

٣٣ ـ أجاريشيف — ناصر

٣٤ ـ احمد أبو الفتح — للتحدى

٣٥ ـ احمد حمروش — شهود ثورة يوليو

٣٦ ـ احمد حمروش — عبد الناصر والعرب

٣٧ ـ احمد حمروش — قصة ثورة ٢٣ يوليو

٣٨ ـ احمد حمروش — مجتمع جمال عبد الناصر

٣٩ ـ دكتور احمد شلبى — موسوعة التاريخ الإسلامى « الأجزاء السابقة »

٤٠ ـ دكتور احمد شلبى — اليهودية (من سلسلة مقارنة الأديان)

٤١ ـ دكتور احمد شلبى — موسوعة الحضارة الاسلامية (عشرة أجزاء)

٤٢ ـ دكتور احمد شلبى — مصر فى حربين ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ دراسة مقارنة

٤٣ ـ الشيخ احمد كاتب الشونة — تاريخ ملوك السودان

٤٤ ـ الهام سيف النصر — فى معتقل ابو زعبل

٤٥ ـ أنور السادات — البحث عن الذات

٤٦ ـ ايفور بيليا ييف وبزيماكوف — مصر فى عهد عبد الناصر

٤٧ ـ توفيق الحكيم — عودة الوعى

٤٨ – jesiph Horse — Thê Value of Hitstory

٤٩ – Gourge Haddad — Revolutions and Military Ruloe in the Middle East

٥٠ ـ جابر الحاج — الفراعنة الصغار

٥١ ـ جابر رزق — مذابح الاخوان فى سجون ناصر
٥٢ ـ جلال الدين الحمامصي — حوار وراء الأسوار
٥٣ ـ جمال عبد الناصر — فلسفة الثورة
٥٤ ـ حسن عشماوى — الاخوان والثورة
٥٥ ـ حسين كروم — عبد الناصر المفترى عليه
٥٦ ـ راشد البراوى — التطور الاقتصادى فى مصر
٥٧ ـ Richard Deacon — The Israel Secret Servise
٥٨ ـ زهير الشايب — مشاكل الوحدة مع سوريا (مقالات بمجلة اكتوبر)
٥٩ ـ زينب الغزالى — ايام من حياتى
٦٠ ـ سامى جوهر — الصامتون يتكلمون
٦١ ـ سيد مرعى — الاصلاح الزراعى ومشكلة السكان فى مصر
٦٢ ـ سيد مرعى — أوراق سياسية
٦٣ ـ السيوطى (جلال الدين) — تاريخ الخلفاء
٦٤ ـ شفيق غربال — تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية
٦٥ ـ الشوكانى — نيل الأوطار
٦٦ ـ الفريق صلاح الدين الحديدى — شاهد على حرب ١٩٦٧
٦٧ ـ الدكتور صلاح الدين المنجد — الملك فيصل
٦٨ ـ صلاح الشاهد — ذكرياتى فى عهدين
٦٩ ـ صلاح نصر — الحرب النفسية
٧٠ ـ طارق البشرى — الديمقراطية والناصرية
٧١ ـ عادل سليمان وعصام سليمان — شهداء وقتلة فى ظل الطغيان
٧٢ ـ عباس العقاد — الديمقراطية فى الاسلام
٧٣ ـ عبد الحميد العبادى — علم التاريخ
٧٤ ـ الدكتور عبد الرحمن البيضانى — نكبة الشعارات على الأمة العربية
٧٥ ـ عبد الرحمن الرافعى — عصر اسماعيل
٧٦ ـ عبد الرحمن الرافعى — ثورة ٢٣ يوليو
٧٧ ـ عبد الصمد محمد عبد الصمد — العشاء الأخير للمشير
٧٨ ـ دكتور عبد العظيم رمضان — الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر
٧٩ ـ عبد اللطيف البغدادى — مذكرات البغدادى
٨٠ ـ عبد المتعال الجبرى — لماذا اغتيل الشهيد حسن البنا
٨١ ـ عبد الواحد الامبابى — فجر التاريخ الافريقى

٨٢ ـ المستشار على جريشة — عندما يحكم الطغاه

٨٣ ـ المستشار على جريشة — فى الزنزانة

٨٤ ـ فتحى رضوان — اسرار حكومة يوليو

٨٥ ـ كرم شلبى — بصراحة عن هيكل

٨٦ ـ كرم شلبى — عشرون يوما هزت مصر

٨٧ ـ محمد انور رياض — القابضون على الجمر

٨٨ ـ محمد حسنين هيكل — بصراحة عن عبد الناصر

٨٩ ـ محمد حسنين هيكل — لمصر لا لعبد الناصر

٩٠ ـ محمد حسنين هيكل — عبد الناصر والعالم

٩١ ـ محمد شوكت التونى — محاكمات الدجوى

٩٢ ـ محمد شوكت التونى — قضية التعذيب الكبرى

٩٣ ـ محمد عبد الرحيم عنبر — محاكمة جمال عبد الناصر

٩٤ ـ محمد عبد الرحيم عنبر — ويل لهؤلاء من محكمة التاريخ

٩٥ ـ المستشار محمد عبد السلام — سنوات عصيبة

٩٦ ـ محمد مصطفى عطا — مصر بين ثورتين

٩٧ ـ محمد نجيب — كلمتى للتاريخ

٩٨ ـ محمود مراد — حوار مع هدى عبد الناصر

٩٩ ـ مختار نصار — معركة العدالة فى مصر

١٠٠ ـ مصطفى امين — سنة أولى سجن

١٠١ ـ مصطفى امين — سنة ثانية سجن

١٠٢ ـ موسى صبرى — وثائق ١٥ مايو

١٠٣ ـ NIKTIN — Fundamentals of Political Economy

١٠٤ ـ دكتور هنرى كيسنجر — سنوات البيت الأبيض (الترجمة العربية)

١٠٥ ـ دكتور وجيه ابو ذكرى — الزهور تدفن فى اليمن

١٠٦ ـ دكتور وحيد رافت — فصول من ثورة يوليو

محتويات الكتاب

الباب الثانى

دراسات عن الثورة

٦٩ ـ ٩٤

الباب الثالث

قادة الثورة : تعريف بهم من كلامهم

٩٥ — ٢٣٢

الباب الرابع

عصر محمد نجيب : الواجهة

٢٣٣ — ٣٣٥

حوادث سنة ١٩٥٢

حوادث سنة ١٩٥٥

حوادث سنة ١٩٥٦

تأميم القناة

حوادث سنة ١٩٥٧

حوادث سنة ١٩٥٨

حوادث سنة ١٩٥٩

حوادث سنة ١٩٦٠

حوادث سنة ١٩٦١

حوادث سنة ١٩٦٢

حوادث سنة ١٩٦٣

حوادث سنة ١٩٦٤

حوادث سنة ١٩٦٦

حوادث سنه ١٩٦٦

حوادث سنه ١٩٦٧

حوادث سنه ١٩٦٨

حوادث سنه ١٩٦٩

حوادث سنه ١٩٧٠

خاتمه

رقم الايداع ٥١٦٥/١٩٨٠

مطابع الدجوى - القاهرة - عابدين

HISTORY and CIVILIZATION of ISLAM

A study, in Ten Volumes, on History and Civilization of Islam in All Muslim Ages and Lands

9

THE HISTORY OF CONTEMPORARY EGYPT
(A Day By Day History of the 23 rd July Revolution)
- THE TIME OF MUHAMMAD NAGEEB
- ABD EL NASSER'S AGE

By
AHMED SHALABY,
B.A. (Hon.) Cairo University,
Ph. D. Cambridge University,
Professor of Islamic History and Civilization
Faculty of Dar El Ulum, Cairo University

FOURTH EDITION (1989)

Published by :
THE RENAISSANCE BOOKSHOP
9 Adly Street, Cairo.

طبع الغلاف بالمطبعة الفنية



دكتور أحمد شلبى

ـ تلقى دراساته فى الأزهر وفى كلية دار العلوم (جامعة القاهرة) وفى جامعة لندن وجامعة كمبردج .

ـ زار الولايات المتحدة الامريكية كما زار اكثر دول أوربا وآسيا وافريقيا ، ومثّل مصر فى عدة مؤتمرات دولية .

ـ درس مجموعة من اللغات الأجنبية ويجيد الانجليزية والاندونيسية .

ـ اشتغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصل الى درجة أستاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، وقد حاضر ـ منتدبا وزائرا ومُعارا ـ فى جامعة الأزهر ، وعين شمس ، واندونيسيا ، والسودان ، وماليزيا ، والمملكة العربية السعودية ، وليبيا ، وفى معهد الدراسات الاسلامية ، ومعهد البحوث والدراسات العربية ، ومعهد الدراسات الدبلوماسية .

مؤلفاته تزيد عن خمسين كتاباً ظهرت الطبعة العشرون من بعضها وأهم هذه المؤلفات :

١ ـ موسوعة التاريخ الاسلامى فى عشرة أجزاء .
٢ ـ موسوعة الحضارة الاسلامية فى عشرة أجزاء .
٣ ـ مقارنة الأديان فى أربعة أجزاء .
٤ ـ كيف تكتب بحثا أو رسالة .
٥ ـ المكتبة الاسلامية المصوّرة لكل الاعمار (١٠٠ جزء من السِّيَر والتاريخ وقصص القرآن للأولاد والشبان والسيدات والرجال .)
٦ ـ ISLAM: BELIEF, LEGISLATION, MORALS
٧ ـ HISTORY OF MUSLIM EDUCATION

ـ كتب بعض كتبه بالانجليزية والاندونيسية ، وتُرجمت أكثر مؤلفاته الى الأوردية ، والتركية ، والاندونيسية ، والماليزية والعربية ، والفارسية .